اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب

سجل لأعمال

- مجامع اللغة العربية
- المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العلمية
- الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب
- رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية

المجلد التاسع

الجزء الأول

يصدرها
المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي
جامعة الدول العربية :

الرباط (المملكة المغربية)

المكتب الدائـــم لتنسيق التعريب

١- يجمع حصيلة ماتنتهي اليه بحوث العلماء حول اللغـة العربيه وقـابليتها للتطور والتعـريب ومساوقــــة التقدم العصري في العلوم والمعرفـة .

٢- وحصيلة ماتنتهي اليه مجامع اللغة العربيه والجامعات والأساتيذ وكبار المترجمين ومشروعات المعاجم التي تقترحها الدول العربية وننسقها جميعاً ونكملها بملاحق ونجعلها مثلثة اللغات على الأقل ونعرضها على العلماء العرب والمستشرقين بصفة مشروعات .

٣- ومجلة "اللسان العربي" لسان حال المكتب ومراسليه . للموضوعات فيها تعبر عن آراء كاتبيها، وللمعاجـــم مشروعات تعرض على العلماء قبل عرضها في مؤتمر التعريب بمدة كافية لاتقل عن سنة .

٤- والمكتب يتقبل كل نقد وكل ملاحظة وينشرها بنصها خدمة لحرية الرأي العلمي وتقدم اللغة.

دراسات لغوية

ثورية التعريب (1)

من الثابت الذي لا شك فيه ان وحدة اللغة من اهم العوامل فى تمكين وحدة الشعب وتقوية اواصره وشد عزمه على التآخي والتعاون ودفعه للسير قدما فى مضمار التطور ومعارج التقدم . وكثيرا ما وقـع بسبب اختلاف اللغات بين الشعوب وسوء التفاهم على المعاني تشنجات اجتماعية وسياسية ادى بعضها الى قيام حروب وثارات سالت فيها دماء غزيرة وتبددت ثروات ضخمة .

ولقد كان لنا فى الجاهلية لهجات متباعدة تغالي بعض العلماء فيسماها لغات كابي عمرو بن العلاء القائل: « ما لغة حمير بلغتنا ولا لسانهم بلساننا » ولولا اسواق العرب الدورية لما تقاربت هذه اللهجـات فزالـت الفوارق وتروقت الالفاظ وتهذبت المعاني وتوضحت المصطلحات وسهل التفاهم وقامت اشباه اتحـادات سياسية قبلية كانت ارهاصا للوحدة العربية التامـة الشاملة التي انبثقت مع الاسلام ودعمها كتـاب الله الكريم وانضجت لنا هذه الحضارة التي ما زلنا نفاخر بها حتى اليوم . فمنذ ذلك الوقت والعرب كلما مزقتهم الاحداث او فرقتهم المصائب وجدوا فى الاسلام الذي وحدهم داعيا الى الصلح وفى القرآن الكريم الـذي انضبطت لغتهم عليه اساسا للاتحاد والتفاهم . لقـد جمعهم القرآن الكريم فألف بين قلوبهم ووحد صفوفهم وخلق منهم قوة يخشى بأسها ودفعهـم فى سلـم الحضارة صعدا ، فنحن حينما ندعو الى لغة القـرآن المجيد ونسعى الى تفصيح العامية ، انما ندعـو الى تحاب وتفاهم بين العرب . والتقاؤنا على الفصحى فى جميع اعمالنا العلمية والادبية والفلسفية هـو اول الطريق نحو وحدتنا المنشودة اقتصاديا وسياسيـا وعسكريا . وحدةُ الفكر والتفاهم اولا ، فهي التي تحدد شخصيتنا وتثبت اقدامنا فى التطور الحضاري ضمن المجتمع الدولي المتقدم .

كل شعوبنا ترنو الى الوحدة العربية الكبـرى بعيون ظماء وقلوب متلهفة . وكل شعرائنا وكتابنـا وارباب الفنون منا يتحدثون عنها ، وكـل زعمائنـا يتخذونها تكأة سياسية ... وكلما حزبنا امر اودهتنا مصيبة او اعتدى علينا مستعمر قلنا : لو كنا متحدين لكان لنا موقف آخر يرهب العدو ويرضي الصديق لكن كيف يتم لنا تحقيق هذه الوحدة او الاتحاد او ما شئتم له من تسمية . اذا كنا لا نستطيع التفاهم بدقـة على ما نريد ؟ ونتحدث بلهجات متباينة نكاد ندعي بأنهـا لغات لعظم التفاوت فيما بينها ، فنحن لا نختلف على المسميات والتراكيب وحسب ، بل ان نطقنـا فيمـا اتفقنا عليه مختلف احيانا اختلافا يظن معه انه لغـة اخـرى .

---

(1) استدعي الاستاذ السيد عبد العزيز بنعبد الله للحضور فى « الملتقى الخامس للتعـرف على الفكـر الاسلامي » الذي انعقد بوهران (الجزائر) بين 20 و 30 يوليوز 1971 فشارك بهذه المحاضرة .

ومع هذا نجد بيننا من يدعو الى تعميق هـذا التفاوت باستخدام اللهجات العامية مكان العربية الفصحى ويسميها لغات . فهناك من يدعو الى العامية اللبنانية بحماسة ، وقد وضعت فيها كتب تطبع اليوم في بيروت بعشرات الالوان وتوزع بالمجان تقريبا أو بثمن رمزي . وتكتب بحروف لاتينية ويكافأ المبرزون فيها بجائزة مقدارها نحو اربع مئة دولار وهي جائزة مستمرة تدفع في مطلع كل شهر للفائز الاول في تخريب الفصحى ، فيتهافت كثير من الشبان عليها طامعين بها وفي يد كل منهم معوله يضرب به في اساس اللغة فيخرب ناحية ويهدم ركنا حتى بلغ عدد الكتب المؤلفة باللغة العامية اللبنانية العشرات ، وهم يسمونها اللغة الفنيقية احيانا ويدعون بأنهم ورثة فنيقيا التي كانت قائمة في لبنان قبل نحو ثلاثة آلاف عام . والناس العقلاء الطيبون يتساءلون : من أين ياتي هذا الداعية الفقير بالمال لينفقه في هذه السبيل ؟ !

ونجد بيننا من يدعو الى كتابة الاغاني والحوار القصصي والمسرحي والسيناريو السينمائي باللهجات العامية ، وتقام للدعوة الى ذلك مناظرات صحفية وندوات وتؤلف الكتب وتنشأ المقالات وتفتح المجلات المصورة لها صدورها وترحب بها .

ونجد بيننا من يدعي بأن اللغة العربية ضعيفة قاصرة لا تستطيع مجاراة التطور الحضاري والعلمي المعاصر ، ويرون الخير في تركها واهمالها وتدريس العلوم بأي لغة أجنبية سواها .

وليت الامر اقتصر على الضجيج في الصحف والندى وحدها ، ليته وقف عند هذا الحد اذن لهان الامر وقلنا : حسبنا الله في بعض شواذ الناس ومتنطعيهم ، اما ان يحمل هذه الدعوى عضو مجمعي فيدعو فيه الى نبذ الحروف العربية نبذا قاطعا واستخدام الحروف اللاتينية مكانها توطئة لتقريبنا من الحضارة الاوربية على حد زعمه فأمر يدعو الى كثير من التعجب .

ونجد بيننا من يدعو الى تحطيم قواعد الفصحى وتكسير اساليبها وتدمير بلاغتها وتمزيق شعرها ونثرها وهجر أوزانها الموسيقية العذبة ، ويتغالون في استخدام المجازات والاستعارات والكنايات البعيدة ويسمونها رمزية ويستخدمون الالفاظ في غير ما وضعت له ويسمونها سريالية حتى عمي على قارىء العربية فهم ما يقصدون فكأنهم يكتبون لغة اخرى لا صلة بيننا وبينها الا صور الحروف وحسب .

ولو رجعنا الى أصل هذه المعارك ودرسنا اسبابها الحقيقية لوجدناها سالكة سبلا متفرقة لكنها كلها ترمي الى هدف واحد . فالحركة الالحادية تبعدنا عن عماد هذه اللغة وقطب رحاها ، تبعدنا عن كتاب الله الذي كان سبب وحدتنا وتقدمنا . فمتى تحللنا منه ونبذناه ضعفت لغتنا وضعفنا معها وتمزقنا وسهل على المستعمر ازدرادنا لقمة سائغة .

والحركة الداعية الى لاتينية الحرف ، تهدف الى قطع صلتنا بماضينا الحضاري والفكري ، وتفريغ مجتمعنا من الداخل تفريغا يجعله قابلا لأن يملأ بما يريدونه لنا ، فنعود الى وهدة التبعية التي لم نتخلص منها الا بشق الانفس وتقديم ملايين الضحايا .

والحركة الداعية الى العامية تهدف الى تمزيقنا تمزيقا يباعد بين اقاليمنا فنغدوا شعوبا صغيرة متخاذلة لا تفاهم بينها ويتركنا صفارا ضعفاء متهالكين امام اي صيحة ونتهافت تحت كل ضربة .

إن معركتنا أيها السادة معركة شرسة طحون غير أن سلاحنا فيها ماض قوي لو عرفنا كيف نستخدمه ، ان ايماننا بسمو لغتنا وقدرتها على التطور ومساوقة اى لغة عالمية في اى علم من العلوم هذا الايمان لا يكفي وحده ، لا يكفي ان نتغنى بهذا الجمال وبهذه القدرة ، ونقف عند كتابة المقالات الضافية في تمجيدها ونظم القصائد الطوال في الثناء عليها وتقديرها .

ان اللغة الآن في محنة من أشد المحن ، تقاتل على جبهات متعددة بعضها خارجي وبعضها داخلي ، وتجتاز مآزق حاسمة في أعنف لحظاتها التاريخية ، فان لم تقف في وجه هذا التحدي بتحد اشد واصلب، سقطت في هاوية لا مخرج لها منها . ان خصومها يخططون لتخريبها تخطيطا علميا بارعا ويدرسون ثم يصممون ويعملون ضمن برنامج معروف المبدا معروف الاسلوب معروف النهائية ، ولا مناص لنا من خوض هذه المعركة بمثل سلاحهم ، اما التفاخر بالماضي والادعاء العاطفي والارتجال فأمور لا تجدي في معركتنا هذه فتيلا . يجب ان نثور ثورة عاقلة وان تكون اول ثوراتنا على انفسنا فنغير مناهجنا وسلوكنا وتكتيكنا ثم نحدد خطتنا ونعين هدفنا وننطلق بايمان لا نلتوي بعده مهما تعاورنا من محن او تأكدنا من عقبات . ان اهم معاركنا تدور في حومات ثلاث هي :

ا — معركة الحرف العربي واصول الكتابة الطباعية

ب — معركـــة العاميـــة

جـ — معركـــة التعريـــب .

وما عدا ذلك فتبع لها او مشتق منها او متعاون معها . وسنعرضها بشيء من ايجاز لتركيز البحـــث عليها اذا شئتم وما أمرها بخاف عنكم .

ا — الحرف العربي :

يقيسون الحرف العربي في الطباعة على الحرف الافرنجي فيقولون :

ان رصف صفحة بالخط الفرنجي يعـــادل في الزمن رصف صفحة بالخط العربي ، ومعنى ذلك انه بينما يصف عامل المطبعة الافرنجي حروف صفحتين لا يستطيع زميله العربي أن يصف أكثر من صفحـــة واحدة ، وعيون الحروف الفرنجية في لوحة الرصف لا تزيد على التسعين لان كل حرف منها وحدة قائمة بذاتها يمكن رصه في أول الكلمة او وسطها او آخرها ونقله من مكان الى آخر بمنتهى السهولة ، اما الحرف العربي فتختلف صوره باختلاف موقعه من الكلمـــة ، فالعين مثلا في كلمة « عدل » الواقعة في أول الكلمـــة لا تشبه العين الواقعة في وسطها مثل « يعود » او في آخرها موصولة مثل « سميع » أو في آخرها مفصولة مثل « سماع » وهناك حروف تتصل بسابقها وبلاحقها وحروف تتصل بسابقها ولا تتصل بلاحقها مثل «الواو» وهناك الهمزة في أول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها فقد تعتلي متن الألف أو تركب ظهر الواو او تجلس على كرسي أو تنفرد وحدها ... وهناك المدة والشـــدة والتنوين .. وهناك الحركات من ضمة وفتحة وكسرة وهكذا تتزايد العيون اللازمة للحرف العربي حتى تبلغ سبع مائة عين أو أكثر . فاذا احتاج العامل الفرنجي الى شهرين ليتقن صناعة صف الحرف ، فلن يقـــل الزمن اللازم لزميله العامل العربي عن ستة اشهر ولهذا اختصروا فدعوا الى اتخاذ الحرف اللاتيني وراوا فيما ابتدعه مصطفى كمال أتا تورك للغة التركيـــة مثـــالا يحتذي . ونسوا ان :

1 — اللغة التركية لغة حديثة غير ذات امجاد حضارية وما فيها من نفائس الكتب مترجم أكثره عن العربية وان اللغة التركية وليدة جديدة ما زالـــت في دور الحضانة والنمو وانها تستعير نحو ثلثها من اللغة العربية والثلث الثاني من الفارسية والطورانية والثلث الاخير مستعار من اللغات الاوربية الحديثة .

2 — وانا لو بدلنا حرفنا هذا واتخذنا الحرف اللاتيني مكانه لاحتجنا الى اعادة طبع عشرات الالوف من كتبنا القيمة وفيها ارث حضارتنا وثقافتنا وتاريخنا وامجادنا والتبديل يحوجنا الى زمن طويل جدا وجهد جبار وبذل مليارات من الدنانير الذهبية ، وهو امـــر تعجز عنه ميزانيات البلاد العربية مجتمعة .

3 — وعجزنا عن اعادة طبعها كلها يدعونا الى اهمال كثير منها والى الانقطاع انقطاعـــا تاما عـــن مخطوطاتنا النفيسة وهي لا تقل عن مليونين وفيها من النفائس ما لا تقابله مخطوطات اي لغة اخرى في العالم أليس في مغامرتنا هذه ضياع كنوز فكرية لا تقدر بمال الدنيـــا ؟! .

4 — وقد ثبت الآن ان الحرف العربي حرف مثالي في جمال تكوينه وشكله وتنوعـــه والتوائـــه واستوائه وتعريجاته واختصاره ، وان الصفحة الواحدة من الكتاب العربي لو كتبت بالحرف اللاتيني لاحتاجت الى صفحتين على الاقل ، فالكتاب المؤلف من مائـــة صفحة بهذا الخط الجميل لا يمكن رصفه بأقل مـــن مائتي صفحة بالحرف اللاتيني وما جدوى كل هـــذا التبذيـــر ؟ !

5 — ان تطور الطباعة اليوم يتجـــه اتجاهـــا سريعا نحو اللونيتيب والمونوتيب ومعنى ذلك هـــو العدول بالتدريج عن أسلوب الرصف الحرفي واختصار القوالب الى نحو 160 فقط ، وقد توصل بعض العلماء الى ابتكار رسم حديث للحرف العربي لا يخرجه عن شكله ولا يبعده عن أصله ولا تزيد قوالبه على المائـــة ، (2) واهتمت جامعة الدول العربية بهذه المشكلة وتبنـــت بحثها ومناقشتها ودعت الى ندوة خاصة بذلك تعقد وشيكا واستدرجت لها كل المعنيين بها وقدم المغرب مشروعا ممتازا لا تزيد فيه قوالـــب الحـــروف عن التسعين مع جميع ملحقاتها من همزات وشدات ومدات وحروف أجنبية لا ينطقها العرب . والامـــل قريـــب بتوفيق الجامعة الى حل مشكلة الحرف حلا سريعـــا وموضوعيا تسهل به الكتابة على الراقنة « الآلة الكاتبة» وفي المطابع بحيث تسقط دعوى الداعين الى الحروف اللاتينية ويفقد خصومنا معركة .

ب — معركـــة العاميـــة :

يحتج الداعون الى العامية بعجز الفصحى عـــن التعبير بدقة وعمق عن خلجات النفـــوس وتصويـــر اللمحات العاطفية والامثال الدارجة في كل قطر . وبأن الطفل العربي يعاني في دراسة الفصحى ما يعانيه في تعلم اي لغة أجنبية سواها ، فخير له ان يدرس لغـــة اجنبية يتابع فيها دروسه العالية من بعد في مواطـــن العلم ، ويقتصد بذلك اقتصادا كبيرا في الزمن والجهد والمصروف !!

1 — ونسي هؤلاء الداعون او تناسوا ان في تقوية اللغة العامية اضعافا للغة الفصحى وتوهينـــا

(2) راجع نماذج من هذا الخط الجديد في غير هذا المكـــان .

لعزمها وخلقا لعدد من الشعوب تبدأ عربية اقليمية ثم لا تزال تتباعد مع الزمن وتوالي الأجيال حتى تنتهي الى شعوب نبطية ضعيفة متهالكة لصغرها امام القوى الكبرى فتهون على الاعداء وما أكثرهم ويلحق العرب بالشعوب البائدة التي أهملت نفسها واحتقرت لغتها ولم تخدمها واستعارت لغة سواها لثقافتها وتعاملها فذابت فيها ولم يبق لها ذكر يذكر . اين البابليون والآشوريون والسومريون والفنيقيون والقحطانيون والسريان ؟ ! .. اتظنون انهم قد بادوا بأشخاصهم ، وان اصولهم قد اجتثت من الحياة اجتثاثا ؟ كلا .. ان بقاياهم ما زالت تعيش بيننا ولكن من يعرفها ومن يحترمها ومن يقيم لها وزنا وما قيمتها فى الحضارة ؟ !

2 — والغريب ان يتجه العالم كله نحو التكتل ليصون نفسه بقوة أعظم وهؤلاء يدعون الى التمزق والتصاغر والضعف والتهالك فأي جناية أعظم منها ؟

3 — ونحن لا نرى ضيرا فى بقاء العامية لغة للتعامل اليومي على شرطين هما :

ا — أن يباعد بينها وبين الادب شعره ونثره فتجلو عن الصحف والمجلات المصورة والقصص والمسرحيات وما شاكلها .

ب — ان يسعى السعي الحثيث لتفصيحها (3) وتقريبها من اللغة القويمة بحيث تصبح الشقة بينهما اقرب ما يمكن حتى يسهل التفاهم بين العالم ورجال الشارع بغير كبير عناء ، وعلى اى حال فان أمر ذلك كله بين أيدي قادة الفكر العربي والمعلمين والمدرسين فى جميع مراحل التعليم .

ج — التعريب :

قالوا بان اللغة العربية لغة قديمة اصبحت عاجزة عن مجاراة التطور العصري قاصرة عن مباراة اللغات الحية فى العلوم . وقالوا : ان فى حروفها نقصا فنحن لا نستطيع النطق ببعض الحروف الضرورية فى المسميات العلمية أمثال En V.U.G. ... وما شاكلها . وقالوا : ان الفكر العلمي المعاصر يخلق فى كل يوم نحو مائة مصطلح جديد فكيف تلحقه اللغة العربية ؟ وقالوا غير ذلك كثيرا . والجواب عن هذا :

1 — ان نقصان اللغة العربية بعض الحروف لا يعيبها ، ولها أسوة بأقدر اللغات الحية المعاصرة ، فهل فى لغة من لغات العالم الحي حرف (ح) او (ع) مثلا . وهل فى الفرنسية حرف (ق) ، ماذا فعل الغربيون للتوصل الى النطق بالخاء والطاء والصاد وما شابهها ؟ اصطلحوا على رسوم معينة واشارات تضاف الى حروفهم ليلفظوها كما نلفظها نحن فى العربية . وكتب المستشرقين والمستعربين وشراح مخطوطاتنا ومترجميها مليئة بأمثال ذلك . فهل نكون اقل منهم دراية ؟ ! ومتى تمت الموافقة على الحرف العربي الجديد والمصطلحات الجديدة فى ندوة جامعة الدول العربية العتيدة ، فلن يبقى هناك عذر لمعتذر .

2 — ان التجربة العلمية الناجحة التي قامت بها سوريا عام 1919 واستمرت سائرة على نهجها الى اليوم تنفي دعواهم نفيا باتا ، فقد عربت سوريا التعليم فى جميع مراحله من دور الحضانة حتى نهاية الجامعة وخريجو جميع الفروع من علمية ورياضية وطبية وصيدلية وهندسية وزراعية لا يقلون عن زملائهم فى اي دولة راقية .

والخطوة الجبارة الشجاعةالتي خطتها الجمهورية الجزائرية هذا العام نحو التعريب ، لم تقدم عليها الا بعد بحث وتمحيص واستقصاء ، وستؤتي اكلها وتصبح نموذجا آخر حيا فى العالم العربي يرد به على دعاة التخريب على ان هذا لا يتعارض ووجوب التضلع من اللغات الاجنبية تدعيما للتعمق العلمي والفكري على الصعيد العالمي .

3 — ان الكرامة القومية تقتضي بان ندرس فى جامعاتنا بلغتنا القومية ، نفعل كما تفعل جميع الامم التي تحترم نفسها وتقدر قيمة لوجودها وتثبت عزمها على فرض شخصيتها والمساهمة فى حقل الحضارة والانسانية ، فالامم حتى الصغيرة منها كالبانيا وبلغاريا تأبى أن تدرس فى جامعاتها بغير لغتها القومية بل هذه اسرائيل سارقة فلسطين من العرب تدرس فى جامعتها جميع العلوم والفنون باللغة العبرية مع ان لغتها لم تتجدد الا فى مطلع هذا القرن . افنعجز نحن عن وضع لغتنا فى مكانها المرموق ؟ هذه اللغة التي حملت امانة الحضارة طوال القرون الوسطى ومنحتها جميع المصطلحات الانسانية والعلمية والتقنية كالطب والهندسة والموسيقى والفلك والرياضيات والفلسفة .. لم تعجز عنها فى عصور كانت وسائل التواصل الفكري بين البلاد شبه بدائية . افنعجز عنها اليوم ونرميها بالعقم ونحن فى عصر النور والكهرباء والذرة واللاسلكي والفضاء ؟ ! ان اجدادنا لم يجبنوا أمام تيار الحضارة بل اخذوا واعطوا وترجموا ونحتوا

---

(3) راجع فى غير هذا المكان بحثا حول تفصيح العامية .

واشتقوا وعربوا وطاوعتهم اللغة مطاوعة عجيبة ، وكان لهم جامعاتهم فى بغداد وفاس وقرطبة ومصر ودمشق وتونس . وسيطرت لغتنا على ثقافة تلك القرون حتى لقد تشكى بعض الكرادلة والبابوات من اهمال المسيحيين المثقفين اللغة اللاتينية واتخاذهم اللغة العربية مكانها !!

لكن كيف ندرس نحن فى جامعاتنا بلغتنا القومية اذا لم نقم على قاعدة من العربية الصحيحة فى المدارس الابتدائية والثانوية اولا ؟ ! من هنا نبدأ . يجب أن نهيء لتلاميذنا كتبا فى العلوم والفنون بحيث لا ينقصهم من المدركات العلمية والفنية شيء . يجب ان نعد لهم كتبا موحدة المصطلحات لينشأ الجيل الصاعد موحد التفكير موحد النظر الى الامور العامة ، موحد الاتجاه فى لب الحضارة المعاصرة . وكيف نوحد هذه المصطلحات ؟ ومن يعمل على هذا التوحيد ؟ لقد كانت تجربة سوريا درسا سويا ناجحا لو اقتصر الامر على سوريا وحدها. إما وقد درجت بعض الدول العربية فى بعض كلياتها الجامعية على سبيلها كالعراق والاردن ومصر والمجامع اللغوية فيها تعمل بجهد واخلاص ، ولكن كل واحد منها يعرب ويصحح منعزلا عن الآخر ، وفى كل بلد علماؤه ولغويوه واساتيذه ، ولكل منهم وجهة نظر وجيهة ، فكيف نربط بينهما جميعا ؟ !

هنا يبرز دور مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربي الذي دعا اليه المرحوم محمد الخامس فاجتمع مندوبو الدول العربية فى الرباط عام 1961 واقروه ومنحوه ثقتهم . ثم تبنته الجامعة وضمنه اليها فأصبح جزءا منها اعتبارا من عام 1968 .

كيف يعمل مكتب التعريب ؟ :

ان إيجاد هذا المكتب عمل ثوري فى حد ذاته . انه ثورة هادئة عميقة معقولة ، انه ثورة مدروسة مخطط لها إنطلقت من مبدأ ثابت رصين وسلكت سبيلا نيرا ورمت الى هدف واضح معروف . . ولاحظ المكتب هذه الفوضى فى التعريب وراى كيف يوضع للمصطلح الواحد اكثر من مرادف معرب احيانا وعرف ان من اهم الاسباب فى ذلك اختلاف أثر الثقافات الغربية فى العلماء العرب فبعضهم تأثر بالثقافة اللاتينية كسوريا ولبنان والمغرب العربي وبعضهم تأثر بالثقافة السكسونية كالعراق والأردن ومصر وأن بعض العلماء على حظ كبير جدا من العربية ومن الثقافة الاسلامية كخريجي الازهر والنجف ودمشق والزيتونة والقرويين . وبعضهم على حظ ضئيل منها كخريجي المعاهد الاجنبية .

ولاحظ المكتب كذلك أن مستوى المدارس الابتدائية فى معظم الوطن العربي دون مثيلاتها فى البلاد الراقية ، وقام باحصاء دقيق للمصطلحات والمدركات الواردة فى جميع الكتب المدرسية وجردها فاكتشف أمرا عجيبا وهو ان مجموع مدركاتنا لا يتجاوز ثمان مائة مدرك ، بينما يتجمع فى ذهن التلميذ الأجنبي الف وخمس مائة مصطلح (4) . ومعنى ذلك أن مستوى ادراك الطفل العربي يقل عن مستوى زميله الاجنبي بمقدار النصف ولذلك يعاني تلميذنا فى ملاحقة المدركات العلمية فى المدارس الثانوية والجامعية معاناة مؤلمة جدا هي التي جعلت نسبة الناجحين بالامتحانات العامة والانتقالية فى مستوى منخفض .

عرض المكتب هذا الواقع على الدول العربية ودعاها الى اعادة النظر فى الكتب والمناهج معا وقدم لها نموذجا هو معجم رياضي شامل وسيلحقه قريبا بمعجم لدروس الاشياء استكمالا للمفاهيم الانسانية فى الاطفال اي دعا الى ثورة عميقة فى أول درجة من درجات الثقافة لان الكتب المدرسية ما هي الا صدى للمناهج وكان ذلك أول اعماله ثم التفت الى المصطلح المعرب فوجد ان حاجة البلاد العربية اليه متفاوتة تفاوتا بعيدا كذلك . فبينما تغلغل الاستعمار فى بعض البلاد الى اعماق مجتمعها وحاول اجتثاث ثقافتنا العربية من اصولها ونشر لغته بكل وسيلة حتى اصبحت لغة المدرسة والمعمل والشارع والبيت ، توقف فى مواطن سواها على السطح فحفظت لغتها وثقافتها نوعا ما . وراى المكتب أن حاجة القسم الاخير الى تفصيح عاميته اشد من محاربة الدخيل فيه، اما القسم الاول فهو فى أشد الحاجة الى تفصيح عاميته ومحاربة الدخيل على لغته فى وقت معا . ولذلك اصدر سلسلة كتيبات منذ عام 1963 عنوانها « قل ولا تقل » بلغ تعداد الفاظها اكثر من الف وجعل من عام 1971 عام محاربة الدخيل واتصل بجميع الدول العربية لتزويده بما تحتاج الى تفصيحه او تصحيحه وهو مستعد لتقديم خدماته بكل سرعة ودقة . وكانت اول الدول العربية اهتماما بهذا المشروع هي الجمهورية الجزائرية . وأول الهيئات العلمية التي ايدته هي اليونسكو .

---

(4) سبق للأستاذ احمد الأخضر غزال ان قام باحصاءات موفقة فى هذا المجال .

ان النخبة المثقفة فى البلاد العربية على العموم وفى المغرب على الخصوص ، متأثرة بقدرة المصطلحات الاجنبية العلمية على الدقة فى التعبير والتصوير للمدرك العلمي والتقني فلا يرضيها التعريب الارتجالي ولا الفوضوي المتنافر ولا المتعدد المتكرر أو الناقص فى دقته واحكامه ، وهي على حق فى هذا لانها ترى الفكر العربي على مفترق الطرق وتريد له ان يسلك السبيل السوي ، وترى لغتها وقد قبلت فى المجامع الدولية لغة خامسة الى جانب اللغات الحية العظمى فتريد لها دوام التقدم واطراد النجاح . ولقد لاحظ مكتب التعريب هذا الامر فاتخذ لذلك خطة علمية دقيقة يحمل مسئوليتها علماء العرب مجتمعين فهو يضع المصطلح بلغتين أجنبيتين معا هما الانكليزية والفرنسية ويضع امامه جميع المصطلحات التي عرب بها منسوبا كل منها الى صاحبه ان كان مجمعا علميا أو أستاذا لغويا مشهورا له بالتفوق ، أو معجميا معروفا ... وينشر ذلك على شكل معجم الفبائي الترتيب ويضعه تحت انظار العلماء العرب لمدة لا تقل عن ستة أشهر ثم يدعو الى مؤتمر للعلماء المتخصصين يعقد فى ظل الجامعة العربية بالعواصم العربية على التوالي فيتدارسون المعجم وينقدونه ويختارون المصطلح الذي يريدون فيصبح شبه الزامي . واختيار مصطلح واحد من بين مجموعة مصطلحات يوحد التعريب حتما ويسهل السبيل على الدارسين والمدرسين والمؤلفين والكتاب .

ان الحضارة العلمية تقذف فى كل يوم بمائة مصطلح جديد الى ساحة التداول العلمي ، فكيف نلاحق هذا التراكض ! . المكتب أيها السادة يتراكض معها ويلاحق تطورها ويجمع المصطلحات فيعربها على هيئة ملاحق معجمية ويختار للمصطلح ما يقابله ويعرضه مع المعاجم الاولى على العلماء العرب للمداولة والنقد والتصحيح .

وتنبه المكتب الى أن جميع معاجم اللغة لم تجمع مفرداتها كلها ، فهناك مفردات متناثرة فى كتب العلوم والادب والتاريخ والجغرافيا القديمة لم تدخل المعاجم . وجمعها يحتاج الى وقت طويل جدا فماذا فعل ؟ ! جرد أكبر المعاجم العربية المعروفة (لسان العرب) ونسقه فى جزازات وجعله منطلقا يضيف اليه كل يوم ما يجتمع لديه من جزازات ويراكمها مصنفة تصنيفا أبجديا حتى بلغت مئات الالوف هي التي ستكون اساسا لمعجم المعاني الجديد واستخلص منها عددا من المعجمات فى بعض الفنون كمعجم الفقه المالكي ومعجم الاطعمة ومعجم الالوان ومعجم الطحانة والخبازة والفرانة ومعجم الرياضة واللعب ومعجم الآلات والادوات والاجهزة ومعجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم ومعجم الحرف والمهن ومعجم البناء والمعجم المنزلي ومعجم الاطعمة وسواها ...

وها نحن نضع امامكم العدد الثامن من مجلتنا (اللسان العربي) فى ثلاثة مجلدات ، كل مجلد منها بأكثر من سبع مائة صفحة ، وكلها معاجم علمية وتقنية باللغات الثلاث الانكليزية والفرنسية والعربية معروضة لمن يرغب من العلماء الحصول عليها بالمجان نقدمها ولا نتطلب اكثر من تقويمنا وتصحيحنا ومؤازرتنا فى البحث . وستصدر هذه المعاجم وملحقاتها منفردة على حدة مشكولة موضحة مفهرسة على الابجديتين العربية والفرنجية . ونحن ساعون الى اصدارها بأكثر من هذه اللغات واتخذنا الاجراءات اللازمة لتنفيذها قريبا وهي كما ترون على نوعين :

1 — تقنية : كمعجم البترول والميكانوغرافي

2 — علمية : كالكيمياء والفيزياء والجيولوجيا

وبذلك نساهم مجتمعين فى الثورة الثقافية المنشودة . ان ثورتنا معقولة مدروسة منتجة ، ثورة الاصالة والعمل المجدي .

ايها السادة نحن فى معركة لا هوادة فيها تتعرض فيها لغتنا لمحن عنيفة جدا ، تتناشها من كل جانب ، والشعب العربي فى حال توفر يريد منا ان يعمل شيئا ما لحفظ كيانه ، واللغة عامل مهم جدا فى تثبيت هذا الكيان وابراز شخصيته وفى دفع الثورة الثقافية قدما الى الامام . ولا بد من اتخاذ الخطوات الجريئة الحاسمة فى تبسيط قواعد اللغة وتسهيل دراستها وتزويدها بمفاهيم علمية كاملة وتوحيد مصطلحات واعادة النظر اولا وقبل كل شيء بمناهج التعليم وبالكتب والمؤلفات التي توضع بين أيدي التلاميذ والطلاب ومراقبة الدعوات الهدامة كالدعوة الى العامية أو الى الحروف اللاتينية .

ان اللغة كائن حي تعيش وتنمو بالتغذية المستمرة والعمل الجدي الدائب . ونحن فى مكتب تنسيق التعريب الدائم نضع انفسنا وخبراءنا وخبرتنا كلها تحت تصرف العاملين لخدمة لغة القرآن الكريم فى اي دولة عربية . نخدم لغتنا متحدين متآزرين لتخدمنا فى ثورتنا الثقافية وتحررنا العقلي وتثبيت كياننا الفكري .

نعطيها فتعطينا ، وما خاب من اتكل على الله وسعى .

معركة العربية في الجزائر

الدكتور محمود عبد المولى (تونس)

لقد حارب المستعمر ، حتى انموت ، اللغة العربية ، لانها اللغة الموحدة والمحررة لاقطار المغرب العربي ، وهي ايضا البؤرة الضخمة للعمل الفكري كله في ميدان الصراع بين مقومات الفكر العربي من جهة وبين عمليات التخريب الضخمة والمتعددة التي قام بها الاستعمار في ربوع مغربنا من أجل القضاء على خصوصياته القومية والثقافية ، وقد جرت هذه العمليات الاستعمارية على مراحل وبواسطة اجهزة متعددة وشارك فيها عدد كبير من الباحثين والمفكرين والمستشرقين ، همهم هو القيام بمؤامرة للقضاء على اللغة العربية ، (1) ففي الجزائر ، غلق الاستعمار جميع الفرص ، امام الجزائريين حتى لا يتمكنوا من تعلم لغتهم (2) ، وفرنس الادارة والاقتصاد والتعليم ثم حارب العقيدة الاسلامية وذلك بتحويل بعض المساجد الى كنائس (3) ، ويقول كاتب جزائري قبائلي في هذا الصدد في كتاب له بالفرنسية : «كان العدو الاستعماري ذكيا حين كان يهدم الجوامع ويحولها الى ثكنات أو اصطبلات ؟ ... كانت هذه معابد تهدم ويتم الخلاص منها الا ان الجامع كان ايضا الجامعة ، كما هي الزيتونة في تونس والقرويين في فاس ، وكما هو الازهر في القاهرة ، فهدم جامع كان يعني هدم مدرسة ومكتبة وقاعة للمحاضرات وبيت للشعب وجمعية استشارة او شورى ... ومتحف » (4) .

« وكان العدو الاستعماري بارع الذكاء في محاربته المستمرة المميتة للغة العربية ، اللغة الأجنبية : حين كان يغلق كل مدرسة عربية موجودة على بعد ثلاث كيلومترات من اية مدرسة فرنسية ، غايته تعليم بعض المفردات الكافية لادارة العمال الزارعين كما تعلم البقال بعض كلمات تجعل قيادتها اقل ازعاجا ، وكان العدو الاستعماري يدرك مدى الخطورة في ازدهار اللغة العربية الصحيحة ... فان تعلم الجزائريين لغتهم الأم ، يعني تخلصهم من عار انهم « أطفال الساحة العامة » ايتام ، ولقطاء ، ومشردون ؟ يعني ايقاظ وعيهم بجدارتهم وكرامتهم (...)

---

(1) انور الجندي ، اللغة العربية بين حماتها وخصومها ... ص 228 .

(2) عثمان سعدي ، قضية التعريب في الجزائر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1967 – ط 1 ، ص 37 .

(3) علال الفاسي : المغرب العربي – القاهرة – ص ص 71 .

(4) عمار ازيفان : الجهاد الافضل – ص 29 .

يعني أن تعاد للشباب الأعزب روحه الواثقة القوية الصافية ليدرك منشأ الفعل الانعكاسي الاستعماري ؟ مثلا عار الأروبية العرقية ، القاهرة التي ترفض أن ترقص مع عربي حتى لو كان ساحرا كادونيس « غربي فينيسيا » الذي عشقته فينوس .

ان تعلم اللغة العربية من جديد ، هو احياء التربية الطبيعية والعقلية والتاريخية التي تتيح لنا ان نكشف السبب في أن جبل الجرجورة الجبل الحديدي « الروماني الذي لم تصله قد سمي أعلى قمم الأطلس في منطقة التل باسم « لا لا خديجة » الزوجة الاولى للنبي العربي وأم المؤمنين . وهو ايجاد تفسير لهذا اللغز : لماذا تغلبت اللغة العربية على اللاتينية في افريقيا التي طبعت بطابع روماني » (5) .

ان هذه الشهادة المكتوبة اصلا بالفرنسية لترينا مدى اضرار سياسة الادماج الاستعماري بشعب الجزائر العربي ، ان هذه السياسة الفرنسية الغاشمة قد جرحت كبرياء هذا الشعب الأبي جراحات دامية ، وهذا ما جعل ردود فعله قوية كأشد ما تكون القوة ، وحادة كأشد ما تكون الحدة ، ان هذه السياسة الجهنمية التي خدشت وجرحت الضمير الاجتماعي لشعب الجزائر المسلم ، كان من نتائجها أن النضال الجزائري كان مليئا بالعنف وبردود الفعل الايجابية والسلبية في الوقت نفسه : بدأ هذا النضال في أول الأمر بطيئا متمثلا في حركات الاصلاح الديني والاجتماعي والتربوي ، كانت هذه الحركات تحث الشعب على تأسيس المدارس والجوامع والجمعيات الثقافية للابقاء على لغته وعلى عقيدته حية ، ونمت هذه الحركات الاصلاحية نموا مطردا بعد تأسيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » منذ أكثر من ثلاثين عاما ، (6) كان منهاجها يتلخص في الصيغة الآتية : « الاسلام ديننا والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا » ، وقد اتهمت الادارة الفرنسية وكذلك الحزب الشيوعي الفرنسي والصحافة الموالية لهما حركة جمعية العلماء (7) بأنها منظمة رجعية متعصبة تعمل لفائدة الملوك العرب . . .

وفيما يخص معركة اللغة العربية « ارتفع عدد المدارس العربية بين 1943 و 1954 من بضع عشرات الى مائة وخمسين مدرسة (. . .) ولقد شاركت الحركة الاصلاحية مشاركة فعالة في اضعاف الاتجاه الذي يدعو الى الادماج الذي يقول به المثقفون المتفرنسون برئاسة الدكتور بن جلول ، ويقول مستشرق الماني نزيه ، كان بين ظهرانينا منذ ايام وهو الدكتور هورنباخ ، في هذا الصدد : « لقد تمتعت ، في العهد الفرنسي ، طبقة من الكتاب والمثقفين برعاية الفرنسيين وتربيتهم في الوقت الذي كانت الجماهير الأخرى تستغل اشنع استغلال » .

ولربما كان نجاح فرنسا أكبر مما كان لو انها علمت بأن هذه الفئة من المتفرنسين هي مستعدة لضم الجزائر الى فرنسا على شرط المساواة ؟ فقد فقدت هذه الفئة الايمان بوجود وطن عربي ، ويئست من استقلاله ، وتنازلت عن تاريخه وماضيه المجيد وبدات تساوم عليه ، لبيعه ، سياسيا (8) ، لكن العلماء تحت راية ابن باديس وقفوا لهم بالمرصاد حيث اعلن هذا المصلح منذرا ومحذرا « بأن الجزائر ليست فرنسية، ولا يمكن أن تكون ولا تريد أن تكون ، وان اللغة هي جزء لا يتجزأ من كيان الوطن وروحه » .

وفي سنة 1962 تم توقيع اتفاق « ايفيان » « Evian » لتطبيق النظام الفرنسي في المدارس العالية ، ان هذا التاريخ هو أوضح دلالة على نوايا الفرنسيين في ابقاء الجزائر تحت نفوذهم الثقافي واللغوي : لقد انتهج الجنرال ديغول منذ تسلمه لمقاليد الحكم في فرنسا سنة 1958 سياسة تعليمية في الجزائر على درجة كبيرة من الخطورة ، فبحكم تجاربه وحصافته السياسية ، راي بثاقب رايه ان استقلال

---

(5) المصدر السابق : ص 30 — 31 .

(6) من العلماء الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ العقبي والشيخ الابراهيمي ، ومن الملاحظ ان الشيخ العقبي كان نائب رئيس جمعية العلماء التي تراسها الشيخ عبد الحميد بن باديس وقد ترك الجمعية عام 1939 ليتابع محاضرته في نادي التقدم في الجزائر .

(7) المصدر السابق — ص : 26 و 27 .

(8) القى الدكتور هورنباخ محاضرة حول الشاعر محمد العيد بتاريخ 5 مارس 1970 بالسفارة الألمانية وتناول بالتحليل نضال محمد العيد بشعره ، من أجل عروبة الجزائر .

الجزائر كمستعمرة فرنسية قد تجاوزها الزمن واصبحت مهزلة مضحكة ، وانه من الواقعية والحكمة السعي لتطبيق سياسة من شانها ان تبقي على الجزائر ضمن مناطق نفوذها الثقافية الى جانب التبعية الاقتصادية التي ليس من السهل على الجزائر التخلص منها ، وربما راى هذا السياسي العجوز المحنك ، أن التبعية الثقافية هي أهم وابقى من التبعية الاقتصادية فى هذه الظروف ولربما تؤول فى آخر المطاف الى تبعية ثقافية واقتصادية فى الآن نفسه ، فجعل الجزائر ضمن مناطق نفوذ الثقافة الفرنسية ، معناه ، ابقاء مقاليد الأمور وازمة الحكم بين أيدي الجزائريين المثقفين ثقافة فرنسية والجاهلين بلغتهم وثقافتهم القومية ، ومعناه ايضا ، دوام تبعية المدارس والمعاهد الجزائرية للمدارس والكليات الفرنسية مع ما يتبع ذلك من دفع الجزائر الى انتداب اساتذة واطارات فرنسية للعمل فى مؤسسات الجزائر المختلفة ... وهذا مما يضمن بقاء التبعية الثقافية والتبعية الاقتصادية فى نفس الوقت .

ويؤكد الاستاذ عثمان سعدي فى هذا المعنى بأن المتفرنسين الذين يسيرون الادارات الجزائرية يؤلفون طبقة ممتازة بالجزائر ، سواء بالنسبة لطريقة تفكيرهم أو لطريقة معيشتهم » . وهذه الطبقة هي التي ستعارض « الحتمية التاريخية المسماة « التعريب » اي العودة الى شخصية الجزائر الاصلية التي تعتبر اهم مطلب شعبي ، وانتصار سياسة التعريب سيحول فى نظر هذه الطبقة الى خطر يهدد وجودها وهذا مما يجعلها تحاربه بضراوة ، وتكافح من اجل الابقاء على تبعية الجزائر لفرنسا فى جميع مظاهر الحياة » (9) .

فبمجرد مجيء ديغول الى الحكم ، كان اول ما فعله ، هو تطبيق تلك السياسة التي المعنا اليها سابقا وهي تتمثل عمليا فى انجاز تخطيط ثقافي واقتصادي يهدف الى نشر التعليم بين الجزائريين وتنفيذ مخططات اقتصادية واسعة « تعود فوائدها لا على المستوطنين الفرنسيين فحسب ، كما كان متبعا من قبل ، بل على الجزائريين ايضا ، ونجحت خطة ديغول فبنيت آلاف المدارس وبرز «مشروع قسنطينة» الاقتصادي الى الوجود » (10) .

كانت سياسة ديغول فى ظاهرها الرحمة وفى مضمونها العذاب : كان يريد أن يثبت للجزائريين وللراي العام العالمي بأن سياسته ليست كسياسة المعمرين التي عملت طوال قرن وربع قرن على أخذ كل شيء من الجزائريين واعطائهم النزر القليل فى ميدان التمدن ، وانما كانت سياسته ، أو سياسة فرنسا المجسدة فى حكمة ، ترمي الى العمل من اجل خير الجزائريين باثرائهم ثقافيا وانعاشهم اقتصاديا ، لكن سياسة ديغول فى الواقع كانت تهدف الى حقيقة أخرى يمكن ان توجز فى العبارة التالية : « توسيع الخرق فى الميدانين الثقافي والاقتصادي » أمام الجزائر المستقلة ، فهذه السياسة البارعة مكنت ديغول خلال اربع سنوات : (1958 – 1962) من أن يجعل مشكلة التخلص من التبعية الفرنسية أمرا صعبا جدا بالنسبة للجزائر المستقلة ، لقد عمل كل شيء من اجل ابقاء الجزائر فرنسية الثقافة واللغة ، والديغوليون انفسهم لا ينكرون هذا الزعم ، يقول الوزير الفرنسي للشؤون الجزائرية خلال الحملة الإنتخابية الرئاسية آنذاك ما معناه : ان ديغول عمل من اجل تأخير تحقيق التعريف فى الجزائر الى أمد بعيد » (11) .

ففي خلال حكم ديغول حتى استقلال الجزائر ، اي خلال اربع سنوات ، تضاعف مرتين عدد التلامذة الجزائريين فى التعليم الثانوي والاعدادي ، كما تضاعف عدد الطلبة الجزائريين فى جامعة الجزائر ؛ فى نفس هذه المدة ، اربع مرات تقريبا ، وهذا دليل ساطع على مدى نجاح خطة ديغول البارعة فى ميدان التعليم بالجزائر .

ان سياسة الادماج على قوتها لم تستطع ان تقضي على حرية الجزائر وعلى عروبتها ... بل ولدت توترا وعنفا فى الكفاح من اجل تقرير المصير وكان ما كان من انتصار شعب الجزائر الذي خرج من حرب سبع سنوات الضروس ، يوم 20 مارس 1962 ظافرا ، لان الجزائر بفضل جهاد ابنائها وعروبتها واسلامها ابت الا ان تكون دولة عربية اسلامية مستقلة ذات سيادة ،

---

(9) قضية التعريب فى الجزائر ... ص. : 46 – 47 .
(10) نفس المصدر السابق ... ص. : 48 .
(11) المصدر السابق – ص : 48 .

وقبل كل شيء دولة عربية مغربية ، لا جزءا لا يتجزأ من القومية الفرنسية كما توهم الاستعمار الفرنسي العجوز .

ولكن ... انتهت المعركة السياسية بنجاح وبقيت معركة اللغة والأصالة على قدم وساق .

ففى الجزائر اليوم تيارات ثقافية ولغوية مختلفة: فهناك من يحبذ الابقاء على اللغة الفرنسية ، وهناك من ينادي بالتعريب ، وهكذا تتضارب الآراء ويحتد النقاش ...

وهناك رجال مخلصون فى الجزائر يعلمون أن الشعب الواحد لا يمكن أن تكون له الا لغة واحدة هي لغة اجداده وامجاده ، ويعلمون أيضا كل العلم ان الجزائر كادت أن تصبح فرنسية وتنفصم صلة الرحم بينها وبين شقيقتيها تونس والمغرب وكذلك الأمة العربية والاسلامية باجمعها .

لقد ادركوا اليوم ، بدون مشقة ، بأن المحافظة على استقلال الجزائر يعني المحافظة على العربية ، والتفريط فيها ، يعني التفريط فى استقلال الوطن وسيادته ، وبدأوا فى الحين بمقاومة نزعة الفرنسية وذلك بالتعريب التدريجي واتاحة جميع الفرص أمام الموظفين الجزائريين فى الادارة لتعلم العربية مقابل مكافآت سخية فى الترقية ... وكذلك باشتراط مستوى معين بالنسبة لكل من يتقدم الى العمل فى ادارة الجزائر (12) ، بهذه الاجراءات بدات الجزائر فى تخليص نفسها من هيمنة اللغة الفرنسية وهي تقدر الصعوبات التي ستلاقيها فى عملية التعريب : فعملية التعريب تقابل فى أوساط مختلفة فى الجزائر بشيء كثير من التحفظ لأنها قد تجر – فى رايهم – الى انحطاط المستوى العلمي وعرقلة التطور بالاضافة الى الصعوبات النفسية الأخرى ، وما مطالبات الطلاب الجزائريين سنة 1963 والحاحهم على انتداب أساتذة فرنسيين لا عرب ... والمحافظة على المناهج التعليمية فى الجامعة ... الا دليل على معارضة هؤلاء لعملية التعريب ، وهناك صوت آخر قوي يدعو الجميع الى التمسك بروح الثورة واتاحة المجال امام الجزائر لتطوير وتعريب شخصيتها كلف ذلك ما كلف من التضحيات والخسائر المادية .

ومن المعلوم بأن هناك فئة من الكتاب الجزائريين تشعر وتفكر بالعربية وتصوغ افكارها ، وخاصة فى المجالات العالية ، باللغة الفرنسية ، وقد اندهش العالم من وجود هذا اللون من الأدب الغريب الذي يتزعمه جان عمروش (Jean Amrouche) وكاتب ياسين وميلود فرعون ، فلم يدر عمروش مثلا ماذا يكون امله فى الحقيقة : اهو غلطة من غلطات التاريخ ؟ أم هول من اهوال الثقافة ؟ فهو يبحث عن وطن اجداده ولغتهم ، أما ميلود فرعون فقد كان معتدلا اذ انه يعتبر نفسه جزائريا قبائلي الأصل ، فرنسي اللسان والثقافة ، وأما كاتب ياسين فهو اروعهم لانه يعترف بأن الطريق الصحيح للأدب فى الجزائر هو أن يكون باللغة العربية وليس بالفرنسية على الرغم من عجزه عن الكتابة بالعربية .

(12) بمقتضى قرار مجلس الثورة ورئيسه هواري بومدين .

العوامل الطارئة على اللغة

دراسة لقضايا اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب... في ضوء علم اللغة الحديث

الدكتور محمد عيد، كلية دار العلوم
جامعة القاهرة

- 2 -

شغل « التصحيف والتحريف » اذهان علماء اللغة ، ذلك أن الخطأ الذي ترتب عليه وان كان يعود أصلا للرسم الكتابي – قد انعكس على النطق اللغوي بقراءة الكتابة ورواية القراءة .

وقد اهتم العلماء به لذلك ، اذ راوا فيه خطرا يهدد اللغة ، وعيبا يؤاخذ عليه فاعله بل عارا يلحق من يصدر منه .

ومن الطريف ان نعلم أن ظاهرة التصحيف والتحريف لم يقتصر امرها على العوام من القراء أو النساخ والوراقين ، بل تفشت بكثرة بين العلماء انفسهم ، كما يقول حمزة الأصبهاني ، قد فضح التصحيف في دولة الاسلام خلقا من القضاة والعلماء والكتاب والامراء وذوي الهيئات من القراء .

ولقد وجدت ظاهرة التصحيف والتحريف في وقت مبكر ، وحملت اللغة مظاهر الخطأ التي ترتبت عليها في الفترة نفسها التي هددها فيه مظاهر الخطأ « باللحن » – حوالي منتصف القرن الاول الهجري – وكما وجه العلماء جهودهم لمقاومة اللحن بدراسة اللغة ووضع قواعد النحو فقد بذلوا جهودا أخرى لمقاومة التصحيف والتحريف بوضع قواعد من نوع آخر لضبط الكتابة وتوقي الالتباس فيها .

وعلى الرغم من أن كلا النوعين من القواعد لم يقدم الحل الحاسم الناجع لخطأ القول وقراءة الكتابة ، فان قواعد النحو ظلت لديهم عالية سامية ، واطرد اهتمامهم بها مع اطراد نموها ، أما في الجانب الآخر فقد أعلنوا يأسهم من وسائل الضبط في الكتابة وبحثوا عن وسيلة أخرى لتوقي خطأ القراءة ، فلم يجدوا غير الزام الناس « بوجوب المشافهة في رواية اللغة » وهو حل شاق ، وغير عملي ، علاوة على أنه حاد عن موضوعه ، اذ كان من المتوقع ان يواصل العلماء جهودهم في « اصلاح الرسم العربي وضبطه » لكنهم – فيما يبدو – حين يئسوا من ذلك ، تركوا قضيته معلقة ، والتمسوا وسيلة اخرى هي « وجوب المشافهة » وهي وسيلة فضفاضة غير عملية وغير مقنعة .

ولم تقتصر جهود علماء اللغة في مقاومة التصحيف والتحريف على محاولة ضبط الكتابة والتواصي بالمشافهة في الرواية ، بل راحوا – منذ القرن الرابع الهجري وما تلاه – يبذلون جهدا آخر يتفق مع المرحلة العلمية كلها في تلك الفترة ، وذلك بالالتفات الى الوراء لجمع امثلة التصحيف والتحريف في مؤلفات تضمها ، تماما كما راجعوا جهود السابقين في النحو للتأليف في « أصول النحو » وكما راجعوا مادة اللغة في النحو للتأليف في « الشواهد » ثم في « الاستشهاد » .

فجهود علماء اللغة في مقاومة « التصحيف والتحريف » قد تدرجت في الآتي :

1– ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل .

2 – ضرورة المشافهة في رواية اللغة .

3 – تنقية الأخطاء بجمعها في مؤلفات .

وهذه الامور الثلاثة فى حاجة الى فضل ايضاح وتأييد للوقوف على جهودهم فيهـا ، ثم استخلاص أساس التصويب والتخطئة الذي وجه نظرتهم ومقاومتهم لهذا النوع من الانحراف فى اللغة .

هناك رواية مشهورة عن مقاومة ظاهرة التصحيف والتحريف فى الكتابة تتناقلها مصادر التصحيف والقراءات ، ومؤدى هذه الرواية ان العلماء تنبهوا لخطورة التصحيف والتحريف حين حدث فى قراءة القرآن ، فكان من ذلك الدافع الاصلي الذي دفعهم للبحث عن وسائل ضبط الكتابة ، فهذا الدافع الديني هو الذي أثار هم العلماء لتوقي التصحيف والتحريف فى القرآن واتخاذ الوسائل الواقية من حدوث ذلك فيه .

غير ان هذه الشهرة ينبغي أن تقتصر على موضوعها وزمانها ــ وموضوعها هو مصاحف عثمان المكتوبة والخطأ فى قراءتها ، وزمانها هو منتصف القرن الاول تقريبا ــ فلا يفهم من ذلك أن التصحيف والتحريف لم يحدث فى غيره من النصوص المكتوبة من قبل هذا العصر ومن بعده ، اذ من الثابت ان الكتابة كانت معروفة فى عصر الرسول وقبل عصره والمعتقد انه قد دونت بالكتابة غير المضبوطة أمور كثيرة كان منها نصوص اللغة من شعر ونثر ، والمعتقد كذلك أن ظاهرة التصحيف والتحريف حدثت فى قراءة هذه المدونات قبل حدوثها فى قراءة المصاحف وإن كان غموض التاريخ العربي قبل الاسلام وفى غير القرآن لا يسعفنا بأدلة مؤكدة لاثبات هذا الاعتقاد .

وهذا هو نص الرواية المشهورة عن المصاحف كما أورده حمزة الأصبهاني :

* كتب عثمان المصاحف الخمسة ، وفرضها على الأمصار ، فصار الناس يقرؤون فيها نيفا واربعين سنة وذلك من زمن عثمان الى أيام عبد الملك ، فكثر التصحيف على السنة الناس ففزع الحجاج ، وسأل كتابه تدارك الامر ، فوضعوا النقط افرادا وازواجا ، وخالفوا بين اماكنها ، بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحت الحروف ومع ذلك كان يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام ، فاذا اغفلوا الاستقصاء على الكلمة ، فلم توف الحقوق كلها من النقط والاعجام ، اعتراها التصحيف ، فالتمسوا حيلة ثالثة ، فلم يقدروا عليها .

فقد بان لمن عقل ، وانصف من نفسه أن اعتراض التصحيف فى هذه الكتابة مع ما جلب اليها من الزيادة فى البيان بالنقط والاعجام ليس الا من ضعف الأساس (1) .

وينبغي ملاحظة ان « النقط » المذكور هنا قصد به « شكل الحروف » من فتح وكسر وضم وسكون وتنوين ، اذ كان ــ كما تقول الرواية ــ يوضع نقطا افرادا وازواجا بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحت الحروف ، وهو ما غير فيما بعد ــ على يد الخليل ــ الى الشكل المرسوم على هيئة ابعاض الحروف (ــ ، و ، ه) كما يلاحظ ان المقصود « بالاعجام » هنا هو النقط التي تفرق بين الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء أو الجيم والحاء والخاء ، ولان كلا من النوعين كان يرسم نقطا ، فان التمييز بينهما اعتمد على لون المداد المستعمل فى الكتابة .

ذلك جهد كبير بذله العلماء فى ضبط الكتابة ، لكنه ــ كما تشير الرواية ــ كان جهدا شاقا لم يستطع التزامه فى كل ما كتب ، ولم يمنع تماما حدوث التصحيف واستمراره « فاذا اغفل الاستقصاء على الكلمة ، فلم توف حقوقها ، اعتراها التصحيف » وانى يكون هذا الاستقصاء دوما اذا كان الكاتب ملزما فى الكلمة الواحدة مثلا ان يكتب حروفها اولا ، ثم يأتي بمداد مخالف ليوفي شكلها بالنقط ثانيا ، ثم يعود للمداد الاول ليعجمها ثالثا ، ان هذا ــ فى الحق ــ عمل مجهد للغاية ، وقد احس العلماء انفسهم بمشقته ــ كما تقول الرواية ــ فالتمسوا حيلة ثالثة فلم يقدروا عليها ، وبقي التصحيف مع هذا الجهد ظاهرة خطرة فى قراءة الكتابة ، وهذا ــ كما عبر الاصفهاني ــ ليس الا من ضعف الأساس .

اجل .. ضعف الأساس فى الكتابة !! هذه هي المشكلة ، ولو واجه العلماء هذا الاساس الضعيف بوضع أساس بديل له ، او تقوية ضعفه بطريقة محكمة، لحلت مشكلة الخط بصورة نهائية ، ولما بقي التصحيف والتحريف خطرا يهدد نطق اللغة ، ويؤرق علماءها .

كان من الضروري اذن وقد ترك علماء اللغة هذا الاساس الضعيف على ما هو عليه من ضعف ، أن يقاوموا خطأ النطق بطريقة اخرى ذكرها ابو احمد العسكرى نصا ــ بعد ان ساق الرواية السابقة تماما مع اختلاف

---

(1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 37 ــ 38 .

طفيف في عرضها ـ قال : « فالتمسوا حيلة فلم يقدروا الا على الاخذ من افواه الرجال » (2) .

والاخذ من افواه الرجال لم ينقطع ابدا في عصر الاحتجاج باللغة وروايتها ، ولا يتصور انقطاعه في أي عصر من العصور ، لكن الذاكرة لا تقوى على حفظ النصوص اذا طالت ، وهي من ناحية اخرى لا تستطيع المحافظة على ما حفظته زمنا طويلا ، لذلك كان الناس في حاجة الى وسيلة اخرى لحفظ النصوص والمحافظة عليها ، وكان غريبا ان يترك العلماء قضية « الرسم العربي » دون حل حاسم ، لابدال ذلك بالزام الناس الاخذ من افواه الرجال مع التأكد من أن هذه طريقة غير عملية .

وقد ترتب على ذلك شيوع مجموعة من الافكار تدور حول الرواية والكتابة لا يصعب تفسيرها في ضوء ما تقدم .

من هذه الافكار مثلا الحرص الشديد على التظاهر بالرواية الشفهية وكثرة الحفظ ، وما يروى عن ذلك من غرائب الحفاظ في ضخامة ما وعته ذاكرتهم من اخبار واشعار ونوادر ، فالاصمعي ـ كما قيل ـ حفظ اثني عشر الف ارجوزة ، منها البيت والبيتان ومنها المائة والمائتان ـ يلاحظ ان ذلك في الرجز وحده ـ واسماعيل بن سيار أملى معجما كاملا من ذاكرته وهو معجم « العين » الذي حفظه ، ثم ضاع منه ، فأملاه من حفظه ، وغلام ثعلب كان يحفظ اكثر من ثلاثين الف شاهد على النحو ، الى غير ذلك من الاعاجيب .

ومن هذه المظاهر الحرص على اختيار من يأخذون عنه اللغة ، للتأكد من انه لا يعرف الكتابة والاخذ من الصحف ، فاذا اثبت الاختبار اقتراف الاعرابي لهذا الامر المنكر ، بهرجوه وزيفوه ورفضوا الاخذ عنه .

ومن ذلك العبارة اللغوية الذائعة الصيت حتى اليوم (لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي) والمصحفي : هو الذي يأخذ قراءته عن المصحف ، والصحفي : هو الذي يقرأ الصحف ، فتحدث في روايته الاخطاء باشتباه الحروف وتغيير الحركات .

وقد ترتب على ذلك حملة شديدة الوطأة على المصحفين والصحفيين جميعا وغدت نسبة ذلك الى احد العلماء شيئا يثير الحفيظة ويستوجب الانكار والاستبراء لما يلحقه بسببه من نقص وعار .

* قال ابو احمد العسكري : قد فضح بالتصحيف خلق من اهل الادب ومن الاشراف والقضاة والرؤساء وهجوا به ، وبقي ذمهم مخلدا في بطون الكتب ، وقد مدح بالاحتراز من التصحيف والتحفظ منه جماعة ، منهم خلف الاحمر ، فان الحسن بن هانىء رثاه وهو حي ، فكان من افضل ما عدد من مناقبه أن قال :

لا يهم الحاء في القراءة بالخاء ولا يأخذ اسناده عن الصحف (3) واغلب الظن أن « ابا نواس » قصد بذلك المداعبة لا الجد ، ولا يفهم غير ذلك من شعر يقوله ابو نواس في « رثاء انسان وهو حي » وجو المداعبة هذا دفعه الى ارضائه بقوله له : انه لا يصحف ولا يأخذ عن الصحف ، ولعل ابا نواس أعلم من غيره بأنه غير صادق في هذه القضية خصوصا مع خلف الاحمر مع ما هو مشهور عنه ومتهم به .

وعلى كل حال فقد قاوم العلماء التصحيف والتحريف باشاعة الحث على المشافهة في الرواية والتنفير من الاعتماد على الصحف ، وذم المصحفين ، وقد افادت رواية اللغة من ذلك دون شك وان كان ذلك كله ـ في واقع الامر ـ تظاهرا لا يتفق مع الواقع حتى من القائلين به أنفسهم . فمعظم العلماء كانوا يكتبون ويقرؤون في الصحف ، والا فماذا كان يصنع ابو عمرو ابن العلاء بكتبه التي ملأت ـ فيما يقال ـ حجرة الى السقف واشعل فيها النار في سورة غضب ، ومن الذي تولى انفاد خمس عشرة قنينة حبر اربق مدادها على الصحف والكسائي في البادية يكتب عن الاعراب !!

ان قصارى ما يفهم من الدعوة الى المشافهة وذم الاخذ عن الصحف هو دلالتها لا حقيقة ما تنطق به ، وهي تدل على شدة الحرص على ضبط اللغة والاخذ من العلماء وقد اعتبر هذا في الوقت نفسه بديلا لم يجدوا عندهم غيره لضبط النطق بعد ان شق عليهم ضبط الكتابة أو تغيير اساسها الضعيف .

وينبغي بعد ذلك الامر الثالث والاخير في معركة

---

(2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 13 .
(3) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 18 .

العلماء مع « التصحيف والتحريف » وهو « تنقيـــةالاخطاء بجمعها فى مؤلفات » يوضحها الجدول الآتـــي مما دخل فى امكاني الحصول عليه منها ومعرفتهـــا .وهي مرتبة بحسب وفاة مؤلفيها .

اسـم الكتـــاب	المؤلـــف وتاريـــخ الوفـــاة	لاشارة الى ما هو موجود منهـــا
1 ــ ما صحف فيـه الكوفيـون	محمـــد بن يحيـــى الصولـــي (ت 335)	ــــــــ
2 ــ التنبيه على حدوث التصحيف	حمزة بن الحســن الأصبهانـــي (ت 360)	مخطـــوط
3 ــ التنبيهات على اغاليط الرواة	علـــي بن حمـــزة البصـــري (ت 375)	مخطـــوط
4 ــ شرح ما يقع فيه التصحيـف والتحـــريـــف	أبو احمد الحســـن بن عبد الله العسكـــري (ت 382)	مطبـــوع
5 ــ تصحيـــــف المحدثيـــــن	أبو احمد الحســـن بن عبد الله العسكـــري	مخطـــوط
6 ــ تصحيـــــف المحدثيـــــن	أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت 385)	ــــــــ
7 ــ التصحيـــف والتحـــريـــف	أبو الفتح عثمان بن عيسى البلطي (ت 600)	ــــــــ
8 ــ تصحيح التصحيف وتحريـــر التحـــريـــف	خليـــل بن ايبـــك الصفـــدي (ت 764)	مخطـــوط
9 ــ التعريب فى فن التصحيـــف	محمـــد بن علـــي الصالحـــي (ت 953)	مصـــــور

والذي الاحظه على هذا الجانـــب من مقاومـــة «التصحيف والتحريف » ما يلي :

أولا : ان هذا جانب دراسي بدأ ــ فيما اعلم ــ فى القرن الرابع الهجري كما هو مبين فى الجدول وقـــد اعتمد على مراجعة جهود السابقين المتفرقة ورواياتهم المتناثرة لجمعها فى مؤلفات عن ظاهرة « التصحيـــف والتحريف » وهي ــ بهذه الصفة ــ تعتبر تسجيلا مهما لجانب من العوامل الطارئة على اللغة ، وبناء على ذلك فان فائدتها فى مقاومة التصحيف والتحريف تفيـــد دارس اللغة والادب تاريخيا لتحقيـــق النصـــوص ، والوقوف على مظاهر الصواب والخطأ فيها .

ثانيـــا : يضاف الى ذلك ان هذه المؤلفات لـــم تقتصر على الاحاطة الفنية بنماذج التصحيف والتحريف وايراد الامثلة الكثيرة ، وتعداد من وقع منهم ذلك من الشعراء وعلماء اللغة والمحدثين والقراء ، بل احتـــوت ايضا على تناول قضية التصحيف والتحريف من حيث نشأتها وعواملها ، ونظرة العلماء لها ، مما افدت منـــه فى افكار هذا الموضوع .

ثالثـا : يلاحظ أن مؤلفات التصحيف والتحريف قليلة نسبيا بالنظرة الى الجهود التي بذلت فى غيرهـــا من مظاهر الانحراف فى اللغة ــ كاللحن مثلا ــ ولذلك ــ فيما افهم ــ دلالته اذ الفت لرصد الخطأ الذي يعود اساسا الى قراءة اللغة المكتوبة ، وهو جانب لا يصل فى اهميته الى حد الخطأ الذي يحدث فى نطـــق اللغـــة ملحونـــــة .

اخيـــــرا :

فان ظاهرة التصحيف والتحريف خطأ ظهـــر فى رواية اللغة نطقا نتيجة اللبس فى قراءة الخط وقد بذل علماء اللغة جهودا طيبة لاصلاح هذا الخطأ فى منشئه ومظهره ، والمستوى الصوابي الذي نستخلصـــه من نظرتهم الى هذا الخطأ وجهودهم فى مقاومته يلخصـــه عبارة واحدة هي : (**اصلاح ما سماه الأصبهاني ضعف الاساس فى الكتابة ثم التحـــول عن ذلك الى وجـــوب المشافهة فى الرواية**) .

ذلك هو الاساس باختصار ، فهل كان حلا حاسما لمشكلة التصحيف والتحريف ؟ !

بيان ذلك موعده القسم الاخير من هذا البحـــث ان شاء الله .

ـــ ♦ ـــ

« التــوليـــد »

معنى التوليد فى الألفاظ ومصادره اللغوية

التوليد فى الالفاظ احد المباحث المهمة فى علم المعنى ، فهناك مكانه الاصلي فى دراسة اللغة بمستويات متعددة منها مستوى الدلالة ، والتوليد يتعلق بالمعاني وتطورها واحتياجها الى الفاظ جديدة ، لكن النظر هنا الى قضية « التوليد » تأتي اهميته من زاوية اخرى تتعلق بالألفاظ لا المعنى ، فان هذه الالفاظ المولدة ذات مظاهر فيما يتعلق ببنية الكلمات من حيث الاشتقاق او التعريب ، واستخدام صيغ صرفية خاصة ، ومن هذه الزاوية راى علماء اللغة فى التوليد ظاهرة طارئة على اللغة ، وخضعت — بهذه الصفة — لموقف معين منهم يدخل هذا البحث عن الصواب والخطأ .

وينبغي فى هذه الفقرة بيان الامور الثلاثة الآتية :

1 — عرض تاريخي مختصر للمولد ، من حيث استعمال اللفظ ، ودراسة العلماء لمظاهره .

2 — التحديد النظري لمعنى التوليد كما رآه الاقدمون

3 — مصادر التوليد فى الالفاظ ، وتقديم نماذج لها .

اولا : لفظة « مولد » ودراسة العلماء لنماذجه .

جاء فى اساس البلاغة : غلام مولد وجارية مولدة، ولدت عند العرب ، ونشأت مع أولادهم ، وتأدبت بآدابهم ، ومن المجاز : ولدوا حديثا وكلاما ، استحدثوه، وكلام مولد ، ليس من أصل لغتهم .

ويدل النص السابق على أن المولد قد يطلق على الاشخاص وعلى الكلام ، ونسبته الى الاشخاص تعتمد على النسب والعنصر ، فمن كان نسبه عربيا خالصا فهو عربي خالص ومن داخل نسبه عنصر أجنبي عن العرب فهو المولد ، ثم اصبح هذا اللفظ يطلق مجازا — كما قال الزمخشري — على الكلام المحدث الذي ليس من اصل لغتهم .

ومن الواضح أن اللفظ اطلق أولا على الاشخاص الذين وجدوا بين العرب الخلص ثم اتسع استعماله فأطلق على الكلام المحدث الذي ليس من اصل لغة العرب ، وانما هو كلام جديد شاع فى المجتمع العربي مع ازدياد مخالطة الاجانب ، فكثر العنصر المولد ، وقل العنصر العربي الخالص النسب .

ذلك ان الاجانب وجدوا بين العرب فى الجاهلية ثم ازداد اختلاط العرب والاجانب فى الاسلام بفعل الدين الجديد والحروب والتجارة ، وفى القرن الاول شكل الاحساس بالخطر من هؤلاء الاجانب على العنصر العربي ولغته مشكلة اشترك فى مقاومتها رجال الدولة الاموية وعلماء اللغة ، اما فى القرن الثاني فقد تطورت العلاقة بين العرب والاجانب وكون الأخيرون عنصرا غالبا سيطر على الدولة ، واصبحوا اشد تأثيرا فى اللغة مما ترتب عليه منع الاستشهاد بلغة الحضر بصورة نهائية . لكثرة المولدين بين العرب وشيوع الكلام المولد من حديث الناس عامة وخاصة .

ومن الصعب على الدارس ان يحدد بدقة متى بدأ استعمال لفظة « المولد » وكيف تطور هذا الاستعمال كما اشار اليه الزمخشري ، لقصور دراستنا فى الحقل اللغوي التاريخي عن اداء هذه المهمة حتى اليوم ، وغاية ما يستطيعه الدارس لذلك ان يلتقط بعض النصوص المتناثرة التي تفيد فى تقريب ذلك .

واول نص علمي قديم — فيما اعلم — عن المولدين من الكلام ما رواه ابن رشيق منسوبا الى ابى عمرو بن العلاء وهو :

* قال ابو عمرو : لقد احسن هذا المولد ، حتى هممت ان آمر صبياننا بروايته — يعني بذلك شعر جرير والفرزدق — فجعله مولدا بالاضافة الى شعر الجاهليين والمخضرمين ، وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن ، فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح، فهو من عندهم ، ليس النمط واحدا ، ترى قطعة ديباج، وقطعة مسح ، وقطعة نطع (4) .

فهذا اللفظ — ان لم يجانبني التوفيق — قد استعمل فى نهاية القرن الاول أو بداية القرن الثاني مرادا به من اختلطت انسابهم او ما قيل من الكلام العربي فى المجتمع العربي الذي كثر فيه هؤلاء المهجنون، ثم اطرد استعمال هذه اللفظة فى القرن الثاني مع وجود لفظة اخرى الى جوارها هي لفظة « محدث » مرادا بها ايضا الناس او الكلام ، وهو معنى اللفظة الاولى .

اما قبل ذلك فلم يكن استعمال اللفظ « مولد » شائعا بين الناس ولا العلماء والذي يصادفنا فى

---

(4) انظر : العمدة ج 1 ص 56 .

الروايات العلمية عن القرن الاول الهجري الفاظ اخرى قريبة الصلة بلفظة « المولد » مثل الاعجمي والمولـي والاجنبي ، وهذه مناسبة للفترة التي شاعت فيها ، اذ لم يكن الاجانب قد تم اندماجهم بالعرب بالصورة التي حدثت فى نهاية القرن الاول وبداية الثاني ، مما انتـج المولدين من الاشخاص والكلام .

وتتردد الكلمة بعد ذلك بكثرة بين علماء القـرن الثاني والثالث ومن بعدهم ، ولنتأمل النص التالي عن الاصمعـي :

* روى أبو حاتم : قال الاصمعي : وعمر بن أبـي ربيعة مولد وهو حجة،سمعت أبا عمرو ابن العلاء يحتج فى النحو بشعره ، ويقول : هو حجة ـ وفضلةبن شريك الأسدي وابن الرقيات هؤلاء مولدون، وشعرهم حجة ـ ورايته طعن فى الأقيشر ، ولم يلتفت الى شعره ، وقال: لا يقال الا (رجل شرطي) قلت : قال الاقيشر :

انما يشرب من اموالنـــا
فاسألوا الشرطى ما هذا الغضب

قال: ذلك مولد (5) .

فالأصمعي يردد هذا اللفظ ثلاث مرات فى هـذا النص القصير عن هؤلاء الشعراء الذين عاش أكثرهم فى العصر الأموي ، فوصفهم بأنهم مولدون ، وكلامهم مولد.

هذا . . . والحديث عن الاستشهاد بكلام المولدين يدخل ضمن الحديث عن الاستشهاد بكلام الموالي عامة ـ وليس هذا موضعه ـ اما الذي نحن بصدده فانـه يتعلق بظاهرة خاصة من كلام المولدين وهي الالفـاظ التي ترد فى معاجم اللغة وكتب اللحن والتعريب ، ثم يحكم عليها بأنها « مولد » ولا يقتصر على ذلك فقط ، بل يتردد معه أحيانا القول بأنه ليس من كلام العرب وانه خطأ ـ كما فى النموذجين التاليين :

* الكشخنة : مولدة ، وليست بصحيحة

* النحرير : ضد البليد ، وكان الأصمعي يقول : النحرير ليس من كلام العرب ، وانما هي كلمة مولدة(6)

فهذا النوع من الالفاظ التي يحكم عليها بانهـا « مولدة » مع الحكم عليها احيانا بما يخرجها عن كـلام العرب ، وعن الصواب كلية هي موضع النظر هنا .

هذا ومن المفيد أن يعلم هنا ان المولد من الالفاظ لم ينفرد فى الغالب الاعم بكتب دراسية خاصة به ـ عدا ما ذكر عن « كراع النمل المصري » انه الف كتابا فى المولد وهو مفقود ـ بل ذكرت أمثلته متناثرة بقلة فى معاجم اللغة ، وبكثرة نسبية فى كتب لحن العوام وكتب المعرب والدخيل . ولعل ذلك يرجع الى ان استقصاء الفاظ التوليد مع تعدد مصادرها المتسعة ـ كما سيأتي ـ لا تحد ولا يحيط بها العد ، ولذلك اقتصر على ذكـر المهم منها عرضا فى الكتب التي تناولت بعض الظواهر اللغوية الخاصة الطارئة على اللغة كظاهـرة اللحـن والتعريـب .

ثـانيـا : التحديد النظري لمعنى التوليد فى آراء الاقدمين .

* قال السيوطي : هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بكلامهم ، والفرق بينـه وبين المصنـوع أن المصنوع يورده صاحبه على انه عربي فصيح ، وهـذا بخلافه ـ وفى مختصر العين للزبيدي : المولـد من الكلام المحدث ـ وفى ديوان للفارابي : يقال هذه عربية وهذه مولدة ـ قال فى الجمهرة : الحسبان الـذي ترمي به هذه السهام الصغار مولد ، وقـال : كـان الأصمعي يقول : النحرير ليس من كلام العرب ، وهي كلمة مولدة ، وقال : الخم ، القوصرة يجعل فيها التبن ، لتبيض فيها الدجاجة ، وهي مولدة (7) .

* أورد المحبى عن ثعلب انه سئل عن التغييـر فقال : هو كل شيءمولد(8)، ثم قال : وهذا يقتضي ان كل لفظ كان عربي الاصل ، ثم غيرته العامة بهمـز أو تركه أو تسكين أو تحريك ونحو ذلك مولد (9) .

* وفى الطراز المذهب : هو ما أحدثه المولدون ، وقيل : كل لفظ عربي غيرته العامة (10) .

---

(5) نحولـة الشعـراء ، ص : 32 .
(6) انظر : المعرب من الكلام الأعجمي ، ص : 281 - 331 .
(7) المزهـر ج 1 ، ص : 304 .
(8) مجالس ثعلب ، ص : 802 .
(9) قصد السبيل فيما فى اللغة العربية من الدخيل ص : 17 .
(10) الطراز المذهب فيما فى اللغة من المعرب ص 8.

* وفى الاشتقاق والتعريب : ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام ، وانما استعمله المولدون، وجروا عليه فى منثورهم ومنظومهم (11) .

ويلاحظ على هذه التعريفات النظرية السابقة ما يلي :

1) ان بداية الحديث عن ذلك نظريا كان من علماء القرنين الثالث والرابع ، اذ حدثت المراجعة لكل ما تقدم من آراء متناثرة فى دراسة اللغة ، كما هو واضح فيمن ورد ذكره فى النصوص ثعلب والزبيدي والفارابي اللغوي .

2) ان علماءنا الاقدمين – فيما يبدو – لم يتفقوا على اتجاه واحد فى تحديد معنى المولد فهو عند بعضهم : المحدث ، وعند الآخر : التغيير ، وعند ثالث شيء عام ، اذ يقال هذه عربية ؛ وهذه مولدة ، وعند رابع : كل لفظ عربي غيرته العامة .

3) ان الالفاظ التي استعملت فى تعريف المولد الفاظ فضفاضة عامة الدلالة وهي بذلك معرضة للاخذ والرد فيما يتعلق بالتحديد الحاسم للمولد من الالفاظ وغير المولد منها .

4) والذي يفهم من هذه الآراء كلها انها تدور حول امرين : اولهما : ان المولد هو التغيير عامة سواء فى ذلك ما يشمل الالفاظ المحدثة مما لم يستعمله العرب – فى رأيهم – اصلا أو الالفاظ والتراكيب التي استعملها العرب ، ثم غيرت باستعمال المولدين والعوام وهذا واضح فى رأى ثعلب (ت 291) الذي سئل عن التغيير فقال : هو كل شيء مولد ، وثانيهما : ان المولد هو المحدث من الالفاظ الذي لم يستعمله العرب فالالفاظ المولدة الفاظ جديدة أحدثت بعد عصر الاستشهاد فى الحضر ، وهذا واضح فى رأي الزبيدي (ت 380) الذي تابعه فيه السيوطي ، ووضح فكرته له .

وقبل هذين الرأيين يلاحظ ان جيل الأصمعي من العلماء لم يكن يعنيه التقعيد النظري للمولد ، بل يحكم على الأمثلة من خلال علمه بكلام العرب . اذ يقول الأصمعي – فيما نقله السيوطي – النحرير ليس من كلام العرب . وهي كلمة مولدة ، ثم يتوقف .
وبعد هذين الرأيين نلاحظ ان اللغويين المقلدين فى العصر الحديث لا يخرجون عنهما ، اذ يورد صاحب الطراز المذهب – القرن الثاني عشر – كلا الرأيين دون تعليق ، كما يورد المغربي فى « الاشتقاق والتعريب » الرأى الاخير فقط ، فالمولد فى نظره : ما لم يعرفه أهل اللغة ، ولم ينطقوا به من الكلام، وانما استعمله المولدون وجروا عليه فى منثورهم ومنظومهم .

5) والذي فهمته من تلك الآراء النظرية ومن الامثلة التي صادفتها عن الالفاظ المولدة والتعليق عليها، ان الامر قد تدرج كالآتي :

فى القرن الثاني وجه العلماء – كالأصمعي – همهم للتعليق على الامثلة المتناثرة لبيان انها مولدة ، وليست من كلام العرب ، كما وجه الاهتمام نفسه لامثلة أخرى توصف باللحن او التعريب .

وفى القرن الثالث ، فهم كل تغيير على انه مولد ، نسبة للمولدين الذين لم يكونوا خالصي النسب وفى تلك الفترة وجه اهتمام لهذا التغيير بصورة عامة ، وخصوا باهتمامهم اللحن فى بنية الكلمات أو تأليف الكلام ، فشمل ذلك أيضا التغيير الآخر الذي يأتي من احداث الفاظ جديدة ، وكثرت كتب اللحن فى القرن الثالث – راجع جدول ذلك – بما تتجه اليه أساسا من الخطأ فى الكلام العربي ، وبما تشمله ايضا من الالفاظ المستحدثة على قلة ويشار اليها بلفظة « مولد » ومثل هذا الرأي نظريا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

وفى القرن الرابع خصص العلماء نظريا المولد بأنه الالفاظ المحدثة ، وان كان عمليا لم يخرج قبل ذلك عن هذا المفهوم لا فى القرن الثاني ولا فى القرن الثالث ، وان دخل مع غيره تحت مفهوم « التغيير العام» فى القرن الثالث .

ومع كل ذلك ، فان « المولد » من الالفاظ لم يلق عناية خاصة من العلماء توجه للتأليف فيه ، فبقيت امثلته متناثرة بين كتب تناولت ظواهر لغوية متخصصة كاللحن أولا ثم التعريب ثانيا .

ثالثا : مصادر التوليد والتمثيل له

تتلخص مصادر التوليد عن طريق ملاحظة كلماته فى الأمور الآتية :

1 – الارتجال بالاشتقاق .

---

(11) الاشتقاق والتعريب ص : 62 .

2 ـ التعريب بعد عصر الاحتجاج .

3 ـ التحويل من المعنى اللغوي الى معنى آخر مولد . Semantic Shift

ومن الحق اولا ان يقال : ان الناس العاديين الذين استعملوا المولد ، لم يعرفوا اشتقاقا ولا غيره ، ولم يكونوا يقيسون الامور بمقاييس الصرف وتقنين الكلام، بل انهم يمارسون الكلام دون بحث عما وراء ذلك ، وبملاحظة ظاهرة التوليد فى الالفاظ التي حدثت دون قصد يمكن تصنيفها فى الامور الثلاثة السابقة .

فأما الارتجال بالاشتقاق فمعناه ان يشتق المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان ، لكنهم لم يعرفوا الكلمة المذكورة ، ولم يشتقوها ، فهي اذن كلمة جديدة على الكلام العربي المتوارث .

واذا صح ان تذكر سمات معينة لذلك الذي تم عن طريق الاشتقاق ، فانه يلاحظ فيه الآتي :

أ ـ استخدام النواة الدلالية او حروف الاصول ، فمثلا كلمة (فسقية) مولدة ومادة (ف. س. ق.) موجودة فى اللغة من قبل بمعنى الخروج .

ب ـ مجيء كلمات على الصيغ الصرفية ذات المعاني ، مثل كلمة (حرار) لبائع الحرير ، فهي كلمة ـ كما يقول الخفاجي ـ مولدة ، وقد جاءت على صيغة (فعال) التي تدل على النسبة لكن العرب لم يستعملوها من قبل .

جـ ـ استخدام حروف الزيادة ذات المعاني ، فالالف والنون مثلا تدل على المطاوعة ، ومن ذلك الكلمات المولدة (انكسار الضوء وانعكاسه) .

د ـ وسائل تعديل الصيغ فى اللغة العربية ، كالهمزة والتضعيف والتصغير ، ومن ذلك الكلمات المولدة (الابراء والفرغرة والجديري) .

وقد لعب التوليد بالاشتقاق دورا مهما بوسائله السابقة فى أسماء الفرق الدينية وآرائها ، كما يلاحظ من الكلمات الآتية :

الثنوية ـ القدرية ـ الشعوبية ـ الخوارج ـ المعطله ـ الغلاة ـ المشبهة ـ المرجئة ـ التصوف ـ التشيع ـ الرافضة ـ الزندقة ـ وكذلك لعب دورا مماثلا فى أسماء العلوم ومصطلحاتها.

اما التعريب بعد عصر الاحتجاج فيقصد به ان ينقل المولدون كلمة من لغة اجنبية الى اللغة العربية ، وتختص باسم « مولدة » للتفرقة بينها وبين الكلمات التي عربها العرب انفسهم .

من ذلك مثلا ـ كما يقول الجواليقي ـ كلمة (قطربل) فهي كلمة اعجمية ، وليس لها مثال فى كلام العرب البتة ، ولا توجد فى الشعر القديم ، وانما ذكرها المحدثون .

ومن ذلك ـ كما يقول الخفاجي ـ كلمة (شاش) معروف ، يلف على الراس وبعد اللف يسمى عمامة ، وهو مولد منقول من اللغة الهندية .

اما التحويل من المعنى اللغوي فيقصد به ان يكون للكلمة معنى معين ، استعملت به عند العرب ثم حولها المولدون عن هذا المعنى الى معنى آخر ، واستعملوها فيه .

ومن ذلك مثلا كلمة (منخطف اللون) لمن تغير لونه بسرعة ، فكانه خطفه خاطف والعرب لم تقله ، وانما ولده المولدون .

واذا لوحظ ان هذا المصدر الاخير يتعلق بتطور معاني الكلمات ، وان هذا التطور فى حركة دائبة لا تتوقف ، لا تضح ان هذا المصدر من مصادر التوليد ، يصعب احصاء الكلمات الناتجة عنه ، ومع ذلك فقد أورد العلماء بعض نماذجه فيما ذكروه من نماذج التوليد المتناثرة .

وسأقدم هنا عشر كلمات من المولد فقط ، ومن كتاب واحد هو (شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل) مرتبة حسبما وردت فى ذلك الكتاب مع ذكر تعليق الخفاجي عليها ، لربطها بعد ذلك بمصادر التوليد السابقة ، وهي :

1 ـ بطاقة : بمعنى رقعة صغيرة ، مولدة ، وجاء فى فقه اللغة : انها معربة عن الرومية .

2 ـ الجريدة : دفتر ارزاق الجيش فى الديوان، وهو اسم مولد .

3 ـ شراقى : التشريق عند اهل مصر الا تسقى الارض بماء النيل ، والارض يقال لها شراقي وهي مولدة ، مأخوذة من التشريق ، بمعنى التقديد ، لانها متقددة .

4 ـ طلبق : قال : اطال الله بقاءك ، وهي مولدة

5 ـ فوارة الماء : معروفة ، وهي مولدة ، قال الشريف العقيلي :

من حول فوارة مركبـــة
قد انحنى ظهر مائهـا تعبـا

6 ـ فذلكة : لفظة مولدة ، سمعتها ، وعرفت معناهــا .

7 ـ قصف : بمعنى اللهو ، استعمله المولدون فى اشعارهم ، واصل معناه كرغض صغير .

8 ـ كيمياء : لغة مولدة من اليونانية ، واصل معناها الحيلة والحذق .

9 ـ ماهية : بمعنى الحقيقة ، نسبة الى (ماهو ؟!) مولدة ، لم تسمع .

10 ـ مقامة : مولدة محدثة ، لم تقع فى كلام احد من المتقدمين ، لكن لها وجه من المجاز ، حيث سموا ما يقام فى المجلس من حديث (مقامة) (12) .

وبملاحظة الكلمات العشر السابقة والتعليق عليها يتبين انه يتمثل فيها مصادر التوليد الثلاثة السابقة كلها وقد يجتمع فى كلمة واحدة اكثر من مصدر واحد، كما فى كلمة (شراقى) ففيها الاشتقاق والتحويل .

فالاشتقاق واضح فى الكلمات المولدة (شراقي ـ طلبق ـ فوارة ـ فذلكة ـ ماهية)

والتعريب واضح فى الكلمات المولدة (بطاقة ـ جريدة ـ كيمياء) .

والتحويل عن المعنى بين فى الكلمتين (قصف ـ مقامة) .

وليس ثمة داع ماس لتفصيل الكلام فى كل كلمة على حدة .

وبعـد :

فقد تكفلت هذه الفقرة ببيان ما يتعلق بالتوليد من حيث معناه ومصادره الدراسية واللغوية .

اما ما يتعلق بنظرة علمائنا الاقدمين له من حيث التصويب والتخطئة فهو موضوع الفقرة التالية ان شاء الله .

— ◆ —

نظرة النحاة للتوليد فى ظل الاصرار على نقاء اللغة :

قبل الحديث المباشر عن نظرة النحاة للمولد ينبغي التنبيه الى الامور الآتية :

أولا : التفريق بين المولدين والاستشهاد بشعرهم فى دراسة اللغة بمستوياتها المختلفة وبين ما نحن بصدده من الحكم على ظاهرة خاصة هي الالفاظ التي يعقب عليها بكلمة « مولد » أو « مولدة » .

والامر الاول موضعه الاستشهاد باللغة ، ويحتاج الى تفصيل واسع خلاصته ان علماءنا الاقدمين قد نظروا الى المولدين عموما بشك وريبة ، وترتب على ذلك المبالغة فى التصون من كلامهم ، واعتمدوا فى هذا التصون على التحديد الزمني الذي اختلف مداه بين التشدد التام والتسامح النسبي ، فأبو عمرو بن العلاء كان لا يحتج ببيت اسلامي قط ، واشتهر عنه قوله « لقد احسن هذا المولد حتى هممت ان آمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق » فالشعر الجاهلي وحده هو الجدير بالعناية والدراسة لديه ، وما عداه مرفوض . اما الاصمعي وغالبية العلماء فقد تسامحوا نوعا فى نظرتهم للتحديد الزمني ، وعلى ما هو المشهور عنهم قبلوا ما جاء من مادة اللغة حتى حوالي منتصف القرن الثاني الهجري تقريبا ، وشملت هذه الفترة بالطبع كثيرا من المولدين الذين روى العلماء شعرهم ، واعتبروه حجة ، كما يوضح ذلك النص الآتي:

* عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : عمر بن ابي ربيعة مولد ، وهو حجة ، سمعت أبا عمرو ابن العلاء يحتج فى النحو بشعره ويقول : هو حجة .

وفضلة بن شريك الأسدي وابن الرقيات ، هؤلاء مولدون ، وشعرهم حجة (13) .

ثانيا : ان النظرة التي نرصدها هنا تتعلق بالألفاظ المولدة من حيث صيغها الشكلية لا من حيث معانيها ، فقد قبلت الالفاظ المولدة من حيث المعنى ، لكنها رفضت من حيث النظرة اللغوية ، وترتب على ذلك ان تعتبر الكلمة فصيحة ، لكنها مرفوضة لغويا لانها مولدة ، وان تدرس فى الادب ، لتعبيرها عن المعنى ، لكنها تعارض فى دراسة اللغة ، لانها ليست من كلام العرب .

(12) انظر : « شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل» الصفحات الآتية على التوالي : 36 ـ 62 ـ 115 ـ 129 ـ 152 ـ 153 ـ 154 ـ 167 ـ 186 ـ 189 .

(13) فحولة الشعراء ، ص : 39 .

* كان الاصمعي يقول : النحرير ليس من كلام العرب ، وانما هي مولدة ، وقد جاء في الشعر الفصيح، قال الأسود بن يعفر :

يوم لا ينفع الرواغ ولا يقدم الا المشيع النحرير (14)

* وقال ابن جني : المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون (15) .

ثالثا : ان نظرة علمائنا الاقدمين للمولد من حيث التصويب والتخطئة لم ترد عنهم – فيما أعلم – بصراحة وحسم ، وبعبارة أخرى : لم يدرس التوليد في الالفاظ – حتى عند المتأخرين – باعتباره موضوعا متكاملا يتبين منه موقفهم المباشر منه والذي جاء عنهم في ذلك الموضوع تعليقات قصيرة متفرقة على بعض الأمثلة المتناثرة التي تذكر في المعاجم او كتب اللحن والتعريب .

لذلك ، فان رصد موقفهم من الالفاظ المولدة يعتمد على هذه التعليقات وتجميعها وقد تبين منها انهم حكموا عليها بالآتي :

1 – الالفاظ المولدة ليست من كلام العرب .

2 – بعض الالفاظ المولدة خطأ .

وينبغي تقديم نماذج تثبت هاتين الفكرتين أولا ، لمعرفة المستوى الصوابي لنظرتهم اخيرا .

وقبل عرض هذه النماذج ينبغي ايضا التنبه الى ان معظم أمثلة المولد مسكوت عن التعليق عليه فيما يخص الفكرتين السابقتين ، وهذا المسكوت عنه لا يثبت حكما ولا ينفيه . اذ يقتصر مع وروده على أنه مولد فقط ، وعرض امثلة منه أمر سهل ، ولكنها لا تفيد كثيرا في معرفة نظرة العلماء اليه ، ولذا كان من الافضل الاقتصار على ايراد نماذج من الامثلة التي ذكر معها آراء العلماء حول الفكرتين السابقتين لاثباتهما .

المجموعة الاولى :

1 – قول العامة : هم فعلت مكان أيضا ، وبس مكان حسب ، وله بخت مكان حظ ، كله مولد ، ليس من كلام العرب (16) .

2 – اطراف : جمع (طرف) بالسكون مولد ، وانما هو جمع طرف بالفتح .

قال الخليل : الطرف لا يثنى ولا يجمع ، لانه مصدر (طرف) اذا حرك طرفه وفي الفائق : انه لم يرد به سماع (17) .

3 – التشويش : شوش بمعنى خلط ، واجمع اهل اللغة على ان التشويش لا أصل له في العربية ، وانه من كلام المولدين (18) .

4 – الأنانية : هي اختراع محض لا اصل لها (19) .

فالعبارات التي وردت مع هذه الامثلة بعد الحكم عليها بانها « مولد » هي « ليس من كلام العرب » و « لم يرد به سماع » و « لا أصل له في العربية » و « اختراع محض لا أصل لها » يفهم منها ان كلام العرب صاحب الاصل الذي ورد به السماع قد اعتمد على تحديده بعرف علمي اعتمد على زمن محدد في الحضر ، وان هذا الزمن الذي امتد الى حوالي منتصف القرن الثاني الهجري على ما هو المشهور قد وقف حاجزا علميا يجعل ما وراءه من كلام العرب ، وما يأتي بعد ذلك ليس من كلامهم وهو اختراع محض لا أصل له .

المجموعة الثانية :

1 – الطرش : ليس بعربي محض ، بل هو من كلام المولدين ، وهو بمنزلة الصمم عندهم (20) . قال ابو حاتم : لم يرضوا باللكنة حتى صرفوا له فعلا ، فقالوا : طرش يطرش طرشا .

2 – الكشخنة : مولدة ، وليست بصحيحة (21) .

3 – وتقول : (هذا جواب كثير) .

قال العسكري : والعامة تقول في جمع الجواب جوابات واجوبة ، وهو خطأ لان الجواب مثل الذهاب .

---

(14) المعرب من الكلام الاعجمي ، ص : 331 .
(15) الخصائص ط ص 24 .
(16) ذيل الفصيح ، ص : 116 .
(17) ، (18) شفاء العليل ، ص : 14 – 15 .
(19) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ، ص : 12 .
(20) ، (21) المعرب من الكلام الاعجمي ص : 224 – 281 .

وقال سيبويه : الجواب لا يجمع ، وقولهم : جوابات كثير واجوبة كثير مولد ، وانما يقال : جواب كثير (22) .

4 – وتقول : شوشت الشيء اذا خلطته ، فأما التشويش فاجمع أهل اللغة انه لا أصل له في العربية ، وانه مولد ، وخطئوا الليث فيه (23) .

5 – انحفظ وانقرأ وانكتب : مستحدث ، استحدثه المولدون مما لا يعتمد بوجوده ولا يعبأ بكونه (24) .

فقد وصفت الكلمات المولدة السابقة باللكنة أو عدم الصحة او الخطأ ، او انها مما لا يعتمد وجوده ولا يعبأ بكونه ، وكلها تدور حول معنى الرفض والتخطئة ، والدارس فى ذلك أمام احتمالين :

اولهما : ان الحكم بالتخطئة على بعض الالفاظ المولدة خاص بتلك الالفاظ وحدها ، ويترتب على ذلك امر آخر هو : ان من الالفاظ المولدة ما هو خطأ ، كالنماذج السابقة ، وما هو صحيح ، وهو ما لم يصرح بشيء عنه .

وثانيهما : ان الحكم على بعض نماذج المولد بالخطأ ينسب ايضا على المسكوت عنه ، مع تخصيص المقصود من الخطأ فى عرف علماء اللغة بانه الخطأ الذي يخرج المولد به عن كلام العرب الذي يصح الاحتجاج به ، وان كان المولد بذلك الاعتبار لا يخرج عن صحة الاستعمال فى التعبير عن المعاني عند المتأخرين.

وليس لدى من الأدلة الحاسمة ما ارجح به احد الاحتمالين ، وان كنت اميل الى الاحتمال الثاني اعتمادا على ان علماءنا قد اخرجوا المولد من الكلام العربي فى تعريفهم النظري له ، وفى نصهم على ذلك فى بعض امثلته ، ولما هو معروف عنهم من اعتمادهم على التحديد الزمني الذي بمقتضاه رفض ما جاء بعد ذلك من الظواهر اللغوية الجديدة ومنها المولد .

اخيرا :

نتساءل عن المستوى الصوابي الذي وجه نظرتهم للمولد من الالفاظ ، فاخرجوه به عن كلام العرب ؛ وحكموا على بعضه بخطأ الاستخدام فى دراسة اللغة ، انه باختصار (**التحديد الزمني المعتمد على عرف العلماء لا الاستعمال اللغوي المعتمد على عرف المتكلمين)** هذا هو الاساس !!

أما مدى توفيقهم فيه ، فله موضع آخر فى القسم الاخير ان شاء الله .

المعرب

ينبغي منذ البداية الاعتراف بأن الخوض فى موضوع التعريب والحديث عن المعرب من الكلمات أمر لا سهولة فيه ولا يسر .

ذلك انه ينبغي لمن يتصدى لهذا الموضوع ان يكون على دراية كافية بعدد من اللغات التي يقال ان العرب قد نقلوا قديما من الفاظها ، وذلك كي يتمكن من التمييز بين ما هو معرب حقا وله اصل أجنبي ، وما ادعي فيه التعريب من الكلمات دون سند علمي يعتمد به، كما نص على ذلك علماؤنا الاقدمون أنفسهم .

يضاف لذلك ما يجب من المام الدارس لهذا الموضوع بقدر كاف من دراسة الاصوات والصرف من وجهة نظر الاقدمين ، ليكون فهمه لآرائهم عن ضوابط المعرب متسما بالموضوعية والانصاف لهم ولنفسه .

وقبل كل ذلك ينبغي التتبع الشامل الدقيق للظروف التي هيأت للكلام الاعجمي طريقه للسان العرب ، وهي ظروف متنوعة ومتشابكة اجتماعيا ولغويا ، خصوصا مع المدى الزمني الطويل الذي حدث فيه اللقاء بين العرب وغيرهم من الامم .

هذا ما ينبغي ان يتهيأ لدراسة موضوع التعريب ، وهو – بحق – جهد ثقيل ليس فى طوقي الآن الوفاء به، كما انه ليس من هدف هذا البحث الوفاء به ، اذ هو

---

(22) تقويم اللسان ورقة 11 .
(23) ذيل الفصيح ص 108 .
(24) سهم الالحاظ فى وهم الالفاظ ورقة 5 .

مخصص للنظر الى قضية معينة هي « الصواب والخطأ » وهو بذلك لا يتسع للاستقصاء والتتبع .

والكلمات المعربة باعتبارها ظاهرة طارئة على اللغة العربية الاصيلة ، فقد نظر اليها العلماء بحذر ، وقاوموها بوضع شرائط الصياغة وسمات التعريب .

لذلك فان ما يدخل فى امكاني وامكان هذا البحث هو رسم صورة واضحة الملامح ــ وان كانت مختصرة ــ للأمور الثلاثة الآتية :

1 ــ حركة التعريب وتطورها استعمالا ودراسة .

2 ــ جهود الاقدمين لاخضاع المغرب لمسلك الصيغ العربية .

3 ــ المستوى الصوابي فى نظرة الاقدمين للمعرب بين شرائط الصياغة والاستعمال .

حركة التعريب وتطورها استعمالا ودراسة :

فى كتابة هذه الفقرة ينبغي بيان الامورن الآتيين :

1 ــ الصورة العلمية لحركة التعريب فى الكلام العربي فى عصر الاستشهاد فى الحضر .

2 ــ الصورة العلمية لدراسة المعرب فى الكلام العربي بعد عصر الاستشهاد .

من الحق ان الدارس لا يملك النصوص الكثيرة لاثبات وجود الكلمات المعربة فى اللغة العربية فى الجاهلية ، ولكن هناك من الظروف والأدلة ما يقطع بحدوث ذلك فيها ، فالعرب فى الجاهلية لم تكن أمة منطوية على نفسها ، بل فرضت عليهم ظروف حياتهم الاتصال بمن جاورهم من الامم ، سواء أكان ذلك عن طريق التجارة أو الغزو أو الوفادة ، وهذه كلها وسائل للمخالطة واللقاء ، ويستتبعها نقل الالفاظ من اللغات الاخرى ، وتداولها بين العرب ولقد استعمل بعض الشعراء الجاهليين الفاظا غريبة فى شعره مما دعا العلماء فيما بعد الى عدم الاحتجاج به ، فأمية بن أبي الصلت مثلا كان ــ فيما يقال ــ يستعمل الفاظا غريبة فى شعره فيسمى الآله « السلطليط » والسماء « صاقورة وحاقورة » واغلب الظن أن هذه الالفاظ كلها لم تكن من ابتداعه ، بل كانت مما اطلع عليه فى الكتب الدينية التي يقال انه كان يداوم قراءتها ، و « عدى بن زيد العبادي » كان من نصرانيي الحيرة ، وقد عاش فترة فى البلاط الفارسي ، والمعتقد ان هذه الفترة قد انعكس تأثيرها عليه حضاريا ، فلان شعره ، كما انعكس تأثيرها عليه فى نقل الفاظ من الفارسية واستخدامها بين العرب .

ولم تكن الوفود العربية تنقطع عن الرحلات الى بلاد الفرس والروم والحيرة وغسان والحبشة والهند، والنتيجة بالضرورة تبادل الالفاظ بين العرب والاجانب .

والدليل العلمي الحاسم على وجود المعرب من الالفاظ فى الجاهلية هو القرآن الكريم ، فقد احتوى على الفاظ كثيرة وصفها بعض الصحابة والتابعين ــ فيما روي عنهم ــ انها من غير لغة العرب ، كما ألف العلماء فى ذلك كتبا خاصة ، وصنف السيوطي وحده كتابين فى هذا الموضوع هما : « المتوكلى فيما فى القرآن من المعرب » و « المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب » وقد جمع فيهما ــ كما هي عادته ــ مجهودات السابقين عليه فى الافكار والالفاظ .

ووجود المعرب فى القرآن قضية علمية اختلف حولها العلماء اختلافا كبيرا على رايين : احدهما : وجود المعرب فى القرآن ، والى ذلك ذهب بعض الصحابة والتابعين والعلماء منهم ابن عباس ووهب بن منبه وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء والضحاك ، والسدى وابو عمران الجويني وعمرو بن شرحبيل وابو موسى الاشعري والزمخشري وازن الحاجب والسيوطي وغيرهم .

وثانيهما : ان القرآن لا يحتوي على غير العربي من الالفاظ ، وهو مذهب كثير من العلماء ومنهم الامام الشافعي وابو عبيدة وابن فارس وابن جرير الطبري ، والباقلاني والرازي وغيرهم (25) .

وليس مما يفيد كثيرا هنا عرض التفاصيل لكلا الرايين وادلتهما والرد عليها ، وانما المفيد فى ذلك فهم الامور الآتية :

---

(25) راجع : المعرب فى القرآن الكريم ص 199 .

اولا : أن الدارسين المتأخرين قد ارتضوا الرواية التالية عن ابي عبيد القاسم بن سلام ، وكأنما وجدوا فيها حلا لهذه القضية ، وخروجا من هذا الخلاف ، وقد اوردها الجواليقي بعد أن اورد قول ابي عبيدة : من زعم أن فى القرآن لسانا سوى العربية فقد اعظم على الله القول ، واحتج بقوله تعالى « انا جعلناه قرآنا عربيا » — والرواية هي :

* قال ابو عبيد : وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم فى احرف كثيرة انه من غير لسان العرب ، مثل (سجيل والمشكاة واليم والطور واباريق واستبرق) وغير ذلك فهؤلاء اعلم بالتأويل من ابي عبيدة ، ولكنهم ذهبوا الى مذهب ، وذهب هذا الى غيره ، وكلاهما مصيب ان شاء الله تعالى .

وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب فى الأصل ، فقال اولئك على الأصل ، ثم لفظت به العرب بألسنتها ، فعربته ، فصار عربيا اياه ، فهى عربية فى هذه الحال ، اعجمية الاصل فهذا القول يصدق الفريقين جميعا (26) .

وقد نقل هذه الرواية نفسها من جاء بعد الجواليقي ودرس موضوع التعريب فى القرآن كالسيوطي وغيره .

ثانيا : انه سواء اكانت الالفاظ الواردة فى القرآن من لغات اخرى اعجمية باعتبار الاصل عربية باعتبار الحال : او اعجمية باعتبار الاصل والحال ، فان ورودها فى القرآن يدل على أن العرب قد فهموها وتقبلوها ، وفهمهم لها يدل على شيوعها بينهم من قبل ان يأتيهم بها ، وهذا يثبت ما نحن بصدده من وجود الالفاظ المنقولة من لغات اخرى فى الجاهلية ، ومن استمرار ذلك حين جاء الاسلام .

ثالثا : يبدو ان الذين رفضوا وجود المعرب فى القرآن سيطر عليهم الوازع الديني اكثر من تقرير الواقع اللغوي ، ولذلك فان السيوطي حين اورد هذه الالفاظ فى كتابه ساق بين يديها اسانيد نسبتها الى الصحابة والتابعين ، كأنما يتحرز هو ايضا من القول بذلك بنفسه ، وقد عدد اللغات المنقول عنها تلك الالفاظ ، فأوصلها الى عشر ، وهي الحبشية والفارسية والرومية والهندية والسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية ،

وذكر تحت كل لغة الالفاظ المعربة منها فى القرآن ، وعددها جميعا 124 كلمة ، ومن نماذج ذلك :

* اخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله تعالى (تتخذون منه سكرا) قال : السكر بلسان الحبشة : الخل .

* اخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : الاستبرق : الديباج الغليظ بالفارسية .

* اخرج ابن المنذر عن وهب بن منبه فى قوله تعالى (فصرهن) قال : قطعهن بالرومية .

* اخرج ابو الشيخ عن جعفر بن محمد عن ابيه فى قوله تعالى (يا ارض ابلعي ماءك) اشربي بلغة الهند .

* اخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك فى قوله تعالى : (يحمل اسفارا) قال : كتبا ، والكتاب بالنبطية يسمى سفرا (27) .

ولا يستطيع المرء الجزم القاطع بصحة نسبة هذه الالفاظ فى القرآن الى اللغات التي قيل انها جاءت منها ولا بصحة نسبة هذه الروايات المسندة الى الصحابة والتابعين ، لان ذلك يحتاج لمعرفة تلك اللغات فى العصور القديمة مما لا يتوافر لي ، ولعل ذلك لم يتوافر لمن نسب اليهم ذلك من الصحابة والتابعين والدارسين من العلماء .

والذي اعتمه ان كلمة (بلع) عربية اصيلة قال عنها صاحب القاموس (بلعه كسمعه ابتلعه) .

(26) المعرب من الكلام الاعجمي ص 4 — 5 .
(27) انظر فى هذه النماذج : المتوكلي فيما وقع فى القرآن من المعرب ، الأوراق 3 — 4 — 5 — 6 على التوالي .

وان كلمة « سقر » كلمة موجودة في اللغة العبرية ([illegible]) فهل كانت موجودة في النبطية أيضا قبلهما كليهما او معهما ؟ ربما !! وهذا يدفع الى كثير من الحذر في اخذ هذه الاقوال وتلقيها ، وغاية ما يستطاع قوله : ان هذه الاقوال تدل بمجرد ورودها على وقوع الفاظ معربة في الكلام العربي في عصور مبكرة ، وقد استخدم القرآن بعض هذه الالفاظ حين نزل لمخاطبة العـــرب .

ومع مجيء الاسلام ازداد اختـــلاط العـــرب بالاجانب بالفتح والهجرات والرق والخدمة ، ويترتب على ذلك استخدام الالفاظ الاجنبيـــة في العربيـــة ، ووجود الفاظ عربية في اللغات التي احتكت بالعربية ، وهذه الالفاظ المعربة قد ضم الكثير منها فيما بعـــد المعاجم العربية والمصنفات الخاصة بالتعريـــب دون اشارة الى تاريخ استخدامها في اللغة العربية . ومع ذلك فمن المؤكد ان حركة النقل اللغوي في القـــرن الاول قد استمرت وزادت عما كان عليـــه الامـــر في الجاهليـــة .

على ان اهم موقف واجه العرب فيمـــا يتعلـــق بالتعريب جاء في بداية القرن الثاني الهجري حيـــن اتسع نشاط الثقافة العربية تأليفا وترجمة فازدادت الحاجة لكلمات جديدة ومصطلحات جديدة ، يقـــول السيوطي : « قال محمد بن علي الخراساني : المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجميـــة بالعربية ككتاب كليلة ودمنة واقليدس » (28) والذي اعتقده ان حركة الترجمة نشطت قبل المنصور بزمن بعيد ، واستمرت بعده في ازدياد وقوة . والمهم ان العرب واجهوا موقفا لغويا جديـــدا لسد حاجتهـــم لمتطلبات التأليف والترجمة ، وتغلبوا على ذلك بأمرين :

الاول : التصرف في مدلول الكلمات العربيـــة الاصل مثل الفاعل والمفعول والموضوع والمحمـــول وذلك بتحويل المعنى اللغوي الى معنى اصطلاحي .

الثاني : نقل الالفاظ الاعجمية نفسها الى اللغة العربية : واكثر ما كان ذلك في أسماء النبات والحيوان والآلات والامراض والمآكل وسلع التجارة .

وفي حوالي منتصف القرن الثاني الهجري توقف الاستشهاد باللغة في الحضر ، وشمل ذلك ايضـــا ظاهرة التعريب في الالفاظ : اما ما نقل بعد تلك الفترة من الالفاظ الاجنبية ، فقد أطلق عليها اسم « المولد » وقد تقدمت دراسته .

ذلك عرض مختصر لحركة التعريب في فتـــرة الاستشهاد ، فكيف تمت دراسته بعد ذلك ؟؟

كان من الطبيعي أن يهتم علماؤنا ــ رحمهم الله ــ بظاهرة التعريب كما اهتموا بغيرها من الظواهر الطارئة على الكلام العربي ، وذلك بهدف دراستهـــا وجمـــع روايات السابقين المتناثرة عنها والتمييز بين الكلمات المعربة وغيرها .

وفي رصد جهود العلماء في هذه الظاهرة يتبين انه قد تناولها اولا النحاة واصحاب المعاجم والفقهاء والمفسرون تناولا سريعا في اطار الاتجـــاه العـــام لمؤلفاتهم .

فالنحاة تناولوا هذه الظاهرة مهتمين ببنيـــة الكلمات المعربة ، وخضوعها لشرائط الصياغة العربية ، كما تناولوها أيضا في باب علل الممنـــوع من الصـــرف وبدأ ذلك بكتاب سيبويه الذي جاء فيه عنوان نصه : « هذا باب ما اعرب من الاعجميـــة (ج 2 ص 342) ، واورد تحت هذا العنوان ما يتعلق بابدال الحـــروف وطرق الصياغة والالحاق للكلمات المعربة ، وتابعه على ذلك النحاة بعده .

واما اصحاب المعاجم فيوردون بعض الكلمـــات المعربة لذكر معانيها ، ويقفون على ذلك بأنها معربة مع النص على اللغة التي عربت منها .

اما الفقهاء والمفسرون فقد أهمهم من ذلك كله وقوع المعرب في القرآن الكريم ومناقشة هذه الناحية بالرفض أو القبول ، فالامام الشافعي (ض) تنـــاول هذا الموضوع في كتابه (الرسالـــة ص 41 ــ 45) فأثبت انه لا يوجد في القرآن غير العربي ، ورفـــض آراء المخالفين له في تلك الفكرة .

اما تخصيص ظاهرة التعريب وكلماته بمؤلفات مستقلة ، فقد تأخر ــ فيما أعلم ــ الى القرن السادس الهجري ، وبدأ ذلك بكتاب الجواليقي (المعرب من الكلام الاعجمي) وتوالت بعده الجهود الخاصة بتلـــك الظاهرة بقلة أولا ، ثم بكثرة في العصر الحديث كما يتضح ذلك من الجدول الآتي لهذه المؤلفات مرتبـــة بحسب وفاة مؤلفيها مما دخل في امكاني معرفته :

---

(28) تاريـــخ الخلفـــاء ص : 105 .

اسم الكتاب	المؤلف وتاريخ الوفاة او طبع الكتاب	الاشارة الى وجوده
1 ـ المعرب من الكلام الأعجمي	لأبي منصور الجواليقي (ت 539)	مطبوع
2 ـ التذييل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل	عبد الله بن محمد البشبيشي (ت 820)	مخطوط
3 ـ المتوكلي فيما فى القرآن من المعرب.	جلال الدين السيوطي (ت 911)	مخطوط
4 ـ المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب	جلال الدين السيوطي (ت 911)	مخطوط
5 ـ التعريب (رسالة)	ابن كمال باشا (ت 940)	مخطوط
6 ـ شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل	شهاب الدين الخفاجي (ت 1096)	مخطوط
7 ـ المعرب والدخيل	مصطفى المدني (قرن \ 11)	مطبوع
8 ـ قصد السبيل فيما فى اللغة من الدخيل	محمد الامين المحبي (ت 1111)	مخطوط
9 ـ الطراز المذهب فى الدخيل والمعرب	محمد نهاني (ت 1185)	مطبوع
10 ـ المعرب فى القرآن الكريم	احمد القوصي (ت قرن \ 13)	مخطوط
11 ـ الدليل الى مرادف العامي والدخيل	رشيد عطية البناني (ت 1898 م)	مطبوع
12 ـ التقريب لأصول التعريب	طاهر بن صالح الدمشقي (طبع 1337)	مطبوع
13 ـ التهذيب فى أصول التعريب	احمد عيسى (طبع 1342)	مطبوع
14 ـ الاشتقاق والتعريب	مصطفى المغربي (طبع 1366)	مطبوع

ويلاحظ على هذه الجهود ما يلي :

اولا : ان التأليف فى هذه الظاهرة قد تأخر نسبيا عن غيرها من الظواهر اللغوية التي تناولتها فترة المراجعة فى القرن الرابع وما تلاه ، ولعل ذلك يعود الى صعوبة الحديث عن هذه الظاهرة ، لما تستلزمه من معرفة لغات متعددة للحديث فيها ، وهذا لا يتيسر للكثير من الناس ، ولعل هذا يفسر اعتماد هذه المؤلفات كثيرا على اقوال السابقين ـ مسندة احيانا ـ فى القول بالمعرب .

ثانيا : وضحت ظاهرة اخرى فى كتب التعريب ، وهي التمهيد لذكر الكلمات المعربة بمقدمة علمية تتناول الافكار الخاصة بهذه الظاهرة ، كتحديد معناه وفائدته وضوابط النحاة له ، ووقوعه فى القرآن ، وغير ذلك مما يفيد منه الدارس فائدة حقيقية ، ومما لم يحدث لظواهر اخرى مماثلة كاللحن والتوليد مثلا .

ثالثا : كلمة (الدخيل) جعلت عنوانا لبعض هذه الكتب مستقلة او مع غيرها من المعرب او العامي ، ويبدو ان هذه الكلمة اعم من كلمة المعرب ، اذ تشمل ما نقل الى لغة العرب سواء جرت عليه احكام التعريب او لم تجر عليه ، وسواء اكان فى عصر الاستشهاد او بعده ، وهو ما اطلق عليه اسم « المولد » .

رابعا : الكتب الأربعة الأخيرة مؤلفة حديثا ، ولذلك فان مادتها العلمية لا تقتصر على تناول المعرب قديما فحسب ، بل تزيد عليه ما حدث فى العصر الحديث من ذلك .

واخيرا : فقد كانت هذه الفقرة خاصة بتوضيح الحركة العلمية للتعريب استعمالا ودراسة ويهمنا منها الجانب اللغوي الذي تتكفل ببيانه الفقرة التالية ان شاء الله .

نظرة الاقدمين للمعرب وجهودهم فى اخضاعه لمسلك الصيغ العربية

دارت دراسة علماء اللغة الاقدمين للمعرب حول تحديد معناه ، والمقصود منه ، ووضع الضوابط لصيغه ، ومعرفة هذه الامور الثلاثة تؤدي الى استخلاص المستوى الصوابي لموقفهم منه .

وعلى هذا فان منهج كتابة هذه الفقرة يتحدد بالآتي :

1 — التحديد النظري لمعنى المعرب .

2 — المقصود بالمعرب فيما نقل من اللغات الاعجمية الى العربية .

3 — جهود النحاة فى اخضاع المعرب لمسلك الصيغ العربية .

4 — المستوى الصوابي لموقف الاقدمين من المعرب.

التعريب باختصار هو : نقل الكلمة مع عرفها الاجنبي ، وحول هذا المعنى جاءت تعريفات الاقدمين النظرية له :

* قال سيبويه : اعلم انهم مما يغيرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتة، فربما الحقوا ببناء كلامهم ، وربما لم يلحقوه (29) .

* وجاء فى شفاء العليل : التعريب نقل اللفظ من العجمية الى العربية ، والمشهور فيه التعريب وسماه سيبويه وغيره اعرابا ، فيقال حينئذ معرب ومعرب (30) .

* وجاء فى الطراز المذهب : التعريب من باب التفعيل ، ومن معانيه التكلف ، لان العرب تكلفوا ادخال اللفظ العجمي فى لغتهم ، وتصرفوا فيه بالتغيير عن منهاجه ، والتغيير فيه أكثر من عدمه ، وأجروه على وجه الاعراب ، وتفوهوا به على منهجهم (31) .

ويتضح من هذه التعريفات الثلاث السابقة انها تتجه جميعا الى وصف الناحية العملية واللفظية فى عملية التعريب ، اذ ينقل العرب هذه الالفاظ او يغيرونها — حين يأخذونها — كما عبر سيبويه ، او يتكلفون ادخالها فى لغتهم كما فهم غيره من معنى التعريب ، ويترتب على ذلك أحكام لفظية من الحاق او تغيير أو اعراب .

اما ناحية معنى الكلمة المعربة فقد انصرفوا عن التعرض لها فى هذه التعريفات ، ويبدو ان سبب الانصراف عن ذلك هو شيوع العرف بين العلماء من ان الكلمة المنقولة من لغة أخرى تنقل ومعها معناها فى اللغة المنقول عنها قبل أن تعرب ، كما جاء فى كشاف اصطلاحات الفنون نص على هذه الناحية ، اذ قال : « المعرب عند اهل العربية لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الوضع» (32) وهذا هو الغالب فى استخدام الكلمات المعربة ، وقل ان يحدث تغيير فى معاني الكلمات المنقولة .

وهنا نقطة جانبية تتعلق بلفظة (المعرب) فان سيبويه قد استعمل لفظ (معرب) باسكان العين وفتح الراء ، وكذلك استعمل الفعل (اعرب) ولم يستعمل لفظ (معرب) بفتح العين وتشديد الراء المفتوحة على ما هو المشهور ، وهذا الخلاف فى التعبير لم يترتب عليه خلاف جوهري فى فهم المعنى المقصود ، فسواء عبر بهذا أو بذاك فان المقصود من ذلك هو نقل الكلمة مع عرفها الاجنبي ، وجريانها مجرى الكلمات العربية من حيث الصيغة والاعراب احيانا .

هذا وقد نص العلماء على ما يجب ان يتسم به اللفظ المنقول من لغة اجنبية كي يطلق عليه انه « معرب » ففرقوا بين ما جاء فى نصوص موثقة كالقرآن والحديث أو ما نقله العرب المعتد بكلامهم وبين ما نقله المولدون الذين لا يعتد بما جاء عنهم ، أو بعبارة أخرى بين ما نقل عن عصر الاستشهاد فى الحضر وما استعمل بعد ذلك العصر ، فقبلوا النوع الاول وحكموا بصحته ، وعزلوا النوع الثاني ، واطلقوا عليه اسم « المولد » .

* قال الجواليقي عن كتابه المعرب من الكلام الاعجمي : هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به

---

(29) كتاب سيبويه ج 2 ص 342 .
(30) شفاء العليل ص 3 .
(31) الطراز المذهب ص 2 .
(32) كشاف اصطلاحات الفنون ج 3 ص 944 .

العرب من الكلام الاعجمي ، ونطق به القــرآن المجيد ، وورد في أخبـار الرســول (ص) والصحابة والتابعين ، وذكرته العرب في أخبارها واشعارها ، ليعرف الدخيل من الصريح (33) .

* ونقل الخفاجي النص السابق ، ثم زاد عليه قوله: فما عربه المتأخرون يعد مولدا ، وكثيرا ما يقع مثله في كتب الحكمة والطب (34) .

وينبغي التنبيه الى أنه يفهم من عبارات الاقدمين مثل (ما ذكرته العرب) أو (ما تكلمت به العرب) أو (ما نطقت به العرب) عرف خاص لدى علماء اللغــة يقصد به المادة اللغوية الموثقة في عصر الاحتجاج ، وبذلك يفهم من كلام الجواليقي أن المعرب لا يطلق الا على الكلمات التي استخدمها الناطقون من العرب في هذا العصر ، أو التي وردت في نصوص موثقة كالقرآن والحديث ، أما الذي نقله المولدون بعد ذلك فقد نص الخفاجي انه يطلق عليه اسم (المولد) .

ويأتي هنا تساؤل عن موقف التعريب من حيث القياس والسماع ، فهل يعتبر تعريب الكلمات سماعيا، لانه مما استأثر به العرب المحتج بهم وحدهم ، وينبغي الاقتصار على ما استعملوه ونقل عنهم أو يعتبر قياسيا، فيصبح لمن جاء بعد هذا العصر السعيد الحــظ أن يعرب كما عربوا ، ويستورد حاجتــه من الكلمــات الاجنبيــة مثلهم ؟ !

واضح أن علماءنا ــ رحمهم الله ــ على الاتجـاه الاول ، فالمعرب من الالفاظ لا يعتد به الا اذا ورد عن عصر الاستشهاد ، أما ما يحدث بعد ذلك فلا يعتد به في المعرب الصحيح ولا يصح دخوله في هذا النطاق ، ولذلك اطلق عليه انه « مولد » .

اما عن جهود النحاة العرب في اخضاع المعرب لمسلك الصيغ العربية فانه ينبغي أن يعلم منذ البداية أن هذه الجهود جاءت لتقنن لما قد حدث فعلا ، اذ أن نقل الكلمات الاعجمية الى العربية لم ينتظر قواعــد النحاة التي وضعوها للتعريب ليتوافق معها توافقــا كليا والناطقون العرب الذين اتصلوا بالاعاجم ، ونقلوا الكلمات من لغاتهم لم يدر في حسبانهم الاتيان بها على صيغ معينة او التزام مطرد لحروف عربية خاصة مكان حروف اخرى في اللغات الاجنبية ، وانما يعرفــون الكلمات من غيرهم ، فينطقونها على حسب ما سمعوها، او على حسب مقدرتهم على نطقها ، خصوصا مع لغات لم يكونوا يجيدونها كالفارسية والروميــة والهنديــة وغيرها ، والمتصور ان يأتي هذا النطق موافقا تمامـا لنطقها في لغتها احيانا او يحدث فيه التغيير في احايين كثيرة ، وهذا التغيير الذي يحدث لا يلتزم دائما طريقة موحدة ــ كما اراد النحاة له من بعد ان يكون ذلك أن النحاة قد نظروا للمعرب من الكلمات الاجنبية من زاوية النظر الى مسلك الكلمات العربية فحاولوا ــ بجهــد مشكور ــ ان يضعوا لها قوانين تحكمها مستهدين في ذلك بدراسة اللغة العربية باعتبار أن الكلمات الاجنبية قد استعملها العرب ، ولكن فرض منطق لغة على لغة اخرى ان صح في بعض الامثلة فان أمثلة أخرى كثيرة تبقى غير خاضعة له .

وترتب على ذلك ان المطلــع على القوانيــن الدراسية التي وضعوها للمعرب يلاحظ عليها القصور عن تغطية استقرائية صحيحة لأمثلة التعريــب ، كما يلاحظ ايضا انها غير مطردة على اتجــاه واحــد ، فالقاعدة الواحدة تحتل وجوها اخرى غيرها تذكــر معها ، بحيث لا يؤدي كل ذلك الى نتائج مقنعة ، ولم يكن المنتظر غير ذلك .

وعلى كل فلنتبين اهم ما تعرض له النحاة مــن قضايا التعريب .

1 ــ الالحاق بابنية العرب

* قال سيبويه : اعلم انهم مما يغيرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما الحقــوه بأبنية كلامهم ، وربما لم يلحقوه .

فاما الذي الحقوه ببناء كلامهم ، فدرهم الحقوه ببناء هجرع ، وبهرج الحقوه بسلهب ، ودينار الحقوه بديماس وديباج الحقوه كذلك ــ وقالوا : اسحــاق فالحقوه باعصار ، ويعقوب فالحقوه بيربوع ، وجورب فالحقوه (بفوعل) ــ وقالوا : آجور فالحقوه بعاقول ــ وقالوا : شبارق فالحقوه بعذافر ، ورستاق فالحقوه بقرطاس ، لما ارادوا ان يعربوه ، الحقوه ببناء كلامهم .

---

(33) المعرب من الكلام الاعجمي ص 3 .

(34) شفــاء الغليــل ص 3 .

ثم عاد سيبويه يقول : وربما تركوا الاسم على حاله ، اذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم او لم يكن نحو خراسان وخرم والكركم (35) .

* ويقول ابو حيان : الاسماء الاعجمية على ثلاثة اقسام .

قسم غيرته العرب والحقته بكلامها ، فحكم ابنيته باعتبار الاصلي والزائد والوزن حكم أبنية الاسماء العربية الوضع ، نحو درهم وبهرج .

وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها ، فلا يعتبر فيها ما يعتبر فى القسم الذي قبله ، نحو (آجر) .

وقسم شركوه غير مغير ، فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم ، لم يعد منها ، وما لحقه ، عدمنها ، مثال الاول خراسان ، لا يثبت به (فعالان) ومثال الثاني خرم الحق بسلم (36) .

والذي يفهم من هذين النصين ان الامر المعتد به لدى النحاة هو الالحاق لا التغيير ، فاذا الحق الاسم بأبنية العرب ـ سواء غير أم لم يغير ـ اخذ احكامها ، او بتعبير سيبويه « لما ارادوا أن يعربوه الحقوه بناء كلامهم » واذا لم يلحق بأبنيتهم ـ غير او لم يغير ايضا ـ لم يأخذ هذه الاحكام ؛ ويتضح من ذلك ما تقدم قوله من ان النظرة الى المعرب اصطبغت بالصبغة العربية الخالصة تماما وادى ذلك الى التفريق بين صنف واحد من الكلام نقله الناطقون العرب عن الاجانب .

ومن الملاحظات التي ترتبت على هذه النظرة ما يلي :

أ) تعريب الصيغة بحيث تقرب من الموازين الصرفية العربية . وذلك مثل :

فلسفة وهرطقة ـ سفسطة على وزن فعللة
سندس ـ بندق ـ فندق على وزن فعلل
بطريق ـ زنديق على وزن فعليل

ب) تغيير الصيغة الاجنبية لتناسب الصياغة العربية، مثل :

المجوس ـ حلب ـ حمص ـ دمشق ـ ايلة ـ الجليل ـ طبرية ـ صيداء .

ج) الحاق الكلمات الاجنبية الطويلة بالمركب المزجي وذلك مثل :

بزرجمهر ـ شانتمارية .

د) ما جاء فى النص السابق لأبي حيان من اعتبار الاصلي والزائد والوزن .

هـ) الصرف والمنع من الصرف ، فاذا تمكن المعرب من الكلام العربي ، فدخلته الألف واللام وصار نكرة ، صرف ، وذلك مثل : لجام وسندس واستبرق ، واذا لم يتمكن فى كلام العرب وبقى معرفة لديهم ، فانه يمنع من الصرف ، مثل اسماعيل واسحاق ويعقوب .

2 ـ تغيير الحروف والحركات :

* يقول سيبويه : وربما غيروا حاله عن حاله فى الاعجمية مع الحاقهم بالعربية غير الحروف العربية فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للمعرب عربيا غيره ، وغيروا الحركة ، وابدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون به بناء كلامهم ، لانه اعجمي الاصل ، فلا تبلغ قوته عندهم الى ان يبلغ بناءهم وانما دعاهم الى ذلك ان الاعجمية يغيرها دخولها العربية بابدال حروفها ، فحملهم هذا التغيير على ان ابدلوا وغيروا الحركة كما يغيرون فى الاضافة ، اذ قالوا : هنى نحو زباني وثقفي وربما حذفوا كما يحذفون فى الاضافة ، ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء وما لا يبلغون به بناءهم ، وذلك نحو آجر وابرسيم واسماعيل وسراويل وفيروز والقهرمان . وقد فعلوا ذا بما الحق ببنائهم وما لم يلحق من التغيير والابدال والزيادة والحذف لما يلزمه من التغيير .

وربما تركوا الإسم على حاله اذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن ، نحو خراسان وخرم والكركم (37) .

---

(35) كتاب سيبويه ج 2 ص 342 .
(36) ارتشاف الضرب ورقة ـ 13 .
(37) كتاب سيبويه ج 2 ص 342 .

فلان الاعجمية يغيرها دخولها العربية ــ كما يقول سيبويه ــ حدث التغيير فى الحروف والحركات بابدال حرف مكان آخر ، أو تغيير الحركة ، أو حذف بعض الحروف فى الصيغة أو الزيادة فيها أو ترك البنية على حالها اذا كانت حروفها من حروفهم .

لكن سمات التغيير ــ على هذه الصفة ــ عامة وغير منضبطة ، بل ولا يستطاع ضبطها بدقة لانها خضعت لتصرف الناطقين لا لصناعة الدارسين ، ولذلك جاء اسلوب سيبويه عن هذا التغيير ــ فى نصه السابق ــ حذرا ، استخدم فيه كلمة (ربما) ثلاث مرات .

وقد نص الاقدمون على بعض المظاهر التي يظن اطراد التغيير فيها ، ومن ذلك مما ذكره الجواليقي :

* ما كان بين الجيم والكاف من الحروف (8) ربما جعلوه جيما ، وربما جعلوه كافا ، وربما جعلوه قافا ، قالوا (كربج) و (كربق) و (كربك) .

* الحرف الذي بين الباء والفاء (P-V) ربما ابدلوه باء وربما ابدلوه فاء . قالوا : فرند وبرند ــ وقالوا : البهلوية والبالوذة وفارس وفيروز .

* ابدلوا السين من الشين ، قالوا (سراويل واسماعيل) واصلها (شروال واشماويل) .

* وابدلوا اللام من الزاي فى (قفشليل) واصلها (كفلجاز) وجعلوا الكاف منها قافا والجيم شينا، والفتحة كسرة ، والألف ياء .

* ومما ابدلوا حركته (زور ــ آشوب) .

* ومما زادوا فيه ونقصوا (ابريسم واسرافيل وفيروز وقهرمان) واصل الاخير (قرمان) .

* ولما تركوه على حاله ، فلم يغيروه : خراسان وخرم وكركم (38) .

ولو تابع الدارس التأمل فى الكلمات التي حوتها كتب المعرب ، وامكنته قدرة الرجوع الى اللغات الاعجمية التي نقل منها ذلك ، فسيخرج بمظاهر أخرى غير ما نصوا عليه منها ، بل ان الذي نصوا عليه منها لا تطرد ظواهره فى كل الامثلة، ولنتأمل الامثلة الخمس الآتية مما أورده الخفاجي فى شفاء العليل ، حيث يذكر الكلمة واصلها الاجنبي ــ والعهدة عليه فى ذكر هذا الاصل ــ :

1) خندريس : اسم الخمر ، تكلمت به العرب قديما، قيل : هو معرب (كندره ريش) اي شاربها ينتف لحيته ، لذهاب عقله .

2) دهقان : بفتح الدال وكسرها ، معرب عن الفارسية (دهخان) اي رئيس القرية ، ومقدم الزراعة .

3) زنديق : قال ابو حاتم : هو فارسي معرب (زنده كرد) اي عمل الحياة ، لانه يقول ببقاء الدهر ودوامه .

4) سردار : من الفاظ التراكمة ، وهي بالفارسية (اسفهسالار) ومعناه رئيس الجيش .

5) سدير : علم قصر معروف ، وقد قيل : انه معرب من الرومية ، واصله (سه‌دل) اي فيه ثلاث قباب متداخلة (39) .

ففي المثال الاول : غيرت الكاف خاء مع الشين سينا ــ وهو مما لم ينص عليه الجواليقي فى التغيير .

وفى المثال الثاني : غيرت الخاء قافا ، ولم ينص أيضا على ذلك .

وفى المثال الثالث : يلاحظ النقص فى الصيغة مع ابدال الكاف قافا ، ولم ينص عليه ايضا .

وفى المثال الرابع : تكاد الصلة تنقطع بين الكلمتين ، وان احتوى كل منهما على السين والراء وحرف المد الطويل .

وفى المثال الخامس : يلاحظ ابدال الراء من اللام ومد حركة الدال .

والذي يدل عليه ذلك ان مسلك التغيير فى التعريب لا يضبط بقوانين محددة ، وان ما ذكره العلماء منها يصدق عليه انه ملاحظات غير مطردة ، أو على اقل تقدير ما عبر به بعض المتأخرين الذين درسوا المعرب ، اذ قال : « وهذا كله أغلبي » .

(38) راجع : المعرب من الكلام الاعجمي ص 6 وما بعدها .
(39) راجع : شفاء الغليل : الصفحات 76 ــ 86 ــ 97 ــ 112 ــ 114 على التوالي .

3 ـ علامات المعرب :

جانب آخر من جوانب الجهد الذي بذله علماؤنا للتمييز بين العربي والمعرب ، وقد اتجه ذلك بصفة خاصة الى بيان صفات الصيغ المعربة من حيث اجتماع الحروف التي لا تجتمع فى العربي أو ذكر أوزان الكلمات التي لا تأتي على مثلها الكلمات العربية .

وقد جمعت كتب التعريب المتأخرة مثل (قصد السبيل فيما فى اللغة العربية من الدخيل) و (المعرب فى القرآن الكريم) ـ راجع الجدول السابق ـ معظم ما ذكر من قبل عن هذين الامرين ، وهو كثير ، يؤدي استقصاؤه هنا الى التطويل فيما يمكن الرجوع اليه فى المصدرين السابقين .

فان الاوزان التي اختص بها المعرب فيما اورده المصدر الاخير وحده بلغت 72 وزنا وقد عدها وذكر امثلتها .

ويكفي هنا ذكر نماذج ثلاثة لكل من هذين الامرين من علامات التعريب على سبيل التمثيل لا الحصر :

اولا :

1) لم تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية ، فمتى جاءتا فى كلمة ، فاعلم انها معربة ، ومن ذلك (جلوبق) و (جرندق) .

2) لا تجتمع الصاد والجيم فى كلمة عربية ، ومن ذلك (الجص) و (الصيجة) .

3) ليس فى أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء ، وما جاء من ذلك معرب مثل (نرجس) و (نرسيان) (40) .

ثانيا :

1) ليس فى كلامهم وزن (فعالان) كخراسان .

2) ليس فى كلامهم وزن (فاعيل) كقابيل وهابيل ، وذلك معرب .

3) ليس فى كلامهم وزن (فعاويل) كسراويل وذلك معرب (41) .

والحق ان هذا الجهد الذي بذل فى استقصاء علامات المعرب وتصنيفها يقصر عن الاحاطة بكل ما عرب من الكلمات الاعجمية ، لوضعها فى قواعد تنتظمها ، ويؤكد هذه الدعوى تصفح كتاب واحد يضم كلمات نسب لها التعريب ، فان الانطباع الذي يخرج به المرء من ذلك هو :

ان ما ذكروه من علامات التعريب ملاحظات تصدق على بعض الامثلة ، ويبقى الكثير من الكلمات مما لا يخضع لهذه الملاحظات ، لان ظروف موردة للعرب من لغات متعددة ، وظروف نطقه من العرب الذين لا يجيدون هذه اللغات لا تسمح له بالنظام والتقنين .

اخيرا :

ماذا يستنتج من موقف علمائنا الاقدمين ازاء النقل من اللغات الاجنبية ؟؟ أو بعبارة اكثر صلة بموضوع البحث : ما هو المستوى الصوابي لموقفهم من المعرب الذي اعتبروه ظاهرة طارئة على اللغة ؟؟

يتلخص ذلك فى امرين :

الاول : قصر المعرب على العرب وحدهم الذين عاشوا فى فترة زمنية خاصة .

الثاني : فرض قواعد الصيغ العربية على استعمال المعرب من لغات متعددة .

وواضح أن الاساس الاول وراء تخصيص المعرب بفترة الاستشهاد فى الحضر ، وهي لا تتجاوز النصف الاول من المائة الثانية .

وأن الاساس الثاني وضح فى جهودهم العلمية حول المعرب من حيث بنيته وعلاماته .

فهل يتفق الاساس الاول مع الحاجات العلمية والاجتماعية المتجددة باستمرار ، وما تدعو اليه من نقل كلمات اجنبية من اللغات الاخرى ؟ ! .

وهل يتفق الاساس الثاني مع طبيعة الاستعمال للكلمات الاجنبية ممن لا يجيدون اللغات التي وردت منها ، وهل يمكن فرض نظام لغة على لغة اخرى ؟ !

بيان ذلك كله فى القسم التالي ان شاء الله .

---

(40) راجع : المعرب من الكلام الاعجمي ص 11 .
(41) راجع : المعرب فى القرآن الكريم ص 140 وما بعدها .

راي علم اللغة الحديث

مناقشة آراء النحاة عن اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب تفصيلا

تختص هذه الفقرة بعرض الامور التالية :

1 ــ اللحن بين تحكم القواعد وتطور الاستعمال

2 ــ التصحيف والتحريف من مظاهر ضعف الرسم العربي

3 ــ الالفاظ المولدة فى ضوء تطور اللغة

4 ــ التعريب بين قيود النحاة وحاجة الاستعمال .

وعرض كل واحد من هذه الامور يتبع نهجا ملتزما فيها جميعا ، من بيان وجهة النظر الحديثة فيها ــ وتقويم المستوى الصوابي للاقدمين فى ضوئها ــ ثم الدلالة على الموقف العلمي الآن منها .

1 ــ اللحن بين تحكم القواعد وتطور الاستعمال .

فى رصد نظرة النحاة لما اطلق عليه « اللحن » فى الكلام العربي ، تبين انهم بذلوا جهودا مفيدة فى جمع مظاهره ومادته اللغوية التي تسربت للفصحى على مدى العصور ، لكن المتأمل فى هذه الجهود يفهم منها انهم نظروا اليه فى ضوء القواعد التي اعتبروها مقاييس الحكم عليه بالخطأ ، فاعتبروه امرا خطيرا يهدد الفصحى فى المعاني والصيغ وتأليف الكلام واعرابه ، لذلك حاربوه بشدة ووقفوا منه موقف الشك والانكار ، وتقويم هذا الموقف كله يكون بالآتي :

ا ــ النظرة الحديثة للحن فى ضوء تطور اللغة.

ب ــ الراي فى جهود النحاة حوله ونظرتهم اليه

ان نظرة اللغويين المحدثين للتغير فى اللغة تتسم بالتسامح ، اذ ترقب هذا التغير فى ضوء استعمال الناطقين له فقط ، فلا تربط بينه وبين مستوى لغوي آخر لعصر مضى او عصر لاحق كي ترتب على ذلك حكما عليه بالتقدم او التقهقر ، كما لا تنظر اليه فى ضوء معايير جاهزة ، فما وافقها كان صوابا ، وما خالفها كان خطأ ولحنا ، لان مرجع ذلك كله هو هو الجماعة اللغوية التي تستعمل اللغة وما ترتضيه او ترفضه من معاني الالفاظ وصيغها وطريقة تأليفها .

يقول جسبرسن : من راي علماء اللغة أن المقصود بالتطور Development فى اللغة لا يصح أن يلصق به المعنى المشهور فى الامور الاخرى بأنه اتجاه تقدمي نحو الكمال ، فى مقابل من يصرون على اعتبار التغير تقهقرا الى الوراء أكثر منه اتجاها الى التقدم ، اذ يقصد بالتطور ببساطة : انه تغير مستمر فى اللغة بدون حكم على قيمة هذا التغير ، والذي يجب اخذه فى الاعتبار هو اهتمام الجماعة نفسها المتحدثة باللغة ، فهي سلسلة من الاعمال الانسانية بقصد الاتصال الفكري والشعوري . وتلك وحدها هي الطريقة التي تقاس بها القيم اللغوية . (42)

اذ ينفي « جسبرسن » فى نصه السابق أن يوصف التغير فى اللغة بالتقدم أو التقهقر ، وبالرقي او الانحطاط ، فهو تغير مستمر فقط ، وهذا من طبيعة اللغات ، وينبغي النظر اليه فى ضوء الاستعمال ومن حق الناطقين وحدهم الموافقة عليه أو رفضه ، وهذا يقودنا الى بيان قبول الجماعة اللغوية ورفضها بطريقة اكثر تحديدا .

يقرر « أولمان » أن اللغة ــ اية لغة ــ ليست ساكنة بحال من الاحوال ، فهي فى تغير مستمر فى اصواتها وتراكيبها وعناصرها النحوية وصيغها ومعانيها ، وان اختلفت سرعة التغير من فترة زمنية الى اخرى ، فانها موجودة على كل حال ، فلو قمنا بدراسة فترتين متباعدتين للغة ما ، فسيؤدي ذلك الى وضوح اختلافات عميقة كثيرة بينهما ، ومع ذلك فان التغير لا يتم بطريقة عشوائية ، بل يسير وفقا لاتجاه منظم ، اذ يبدأ أولا بالابتداع والتجديد Innovation بحدوث ذلك من فرد أو أفراد ، فاذا صادف التغيير قبولا بين من يستعملون اللغة ، انتقل الى مرحلة اخرى هي مرحلة انتشار التغير Dissimination وحينئذ ينفذ الى نظام اللغة ، ويصبح عنصرا من عناصرها بقوة الاستعمال (43) .

فادخال التغير فى عنصر من عناصر اللغة لا يعني بالضرورة استعماله ثم انتشاره بين جماعة الناطقين ، فقد لا يبقى أصلا ، اذ ينسى وينتهي أمره ، وقد يبقى مقصورا على صاحبه او على جماعة صغيرة محددة لا يتعداها ، لكن اذا قدر له الانتشار بقوة الاستعمال وقبوله فان ذلك يعني حدوث تغير فى

---

(42) انظر : Language, its Nature, Development and Origin, p. 320-324

(43) راجع : دور الكلمة فى اللغة ص 156 .

اللغة ، وليس من حق احد رفضه أورده ، وسواء أجاء هذا التغيير دون قصد من الناطقين انفسهم ــ كما هو الغالب فيه ــ أم حدث بطريقة مقصودة من فــرد أو افراد ، كأن يقترح احد العلماء أو الادباء لفظا أو تعبيرا يراه جديرا بالاستخدام أو تقترح هيئــة مختصــة ــ كالمجمع اللغوي مثلا ــ استعمال مصطلح او صيغة أو تركيب ما ، فان كل ذلك ــ كما سبق ــ يبقى مجرد اقتراح يتوقف الامر فيه على الرضى به واستخدامه من الناطقين انفسهم .

تلك هي النظرة الحديثة للتغير في اللغة ، فمـا هو الراي في موقف النحاة العرب من اللحن في ضوء ذلــك ؟؟

ونبادر اولا بنفي التردد والشك حول روايــات اللحن ومادته التي جمعها النحاة ، اذ افترض استاذنا الدكتور انيس انها تحتمل الصحة والوضع من النحاة ، ليخرج من ذلك بما يؤيد رايه المشهور في حركــات الاعراب ، فرتب على احتمال صحتها أن الاعراب لــم يكن سليقة بين العرب ، وعلى احتمال وضع النحــاة لها أن الاعراب نفسه من عمل النحاة ، وقد اخترعــوا روايات اللحن ، ليؤكدوا قيمة معرفتهــم وحدهــم بالاعراب ، وينالوا ــ كما يقول ــ المثالة لدى الخلفاء والامــراء (44) .

والحق أن هذا الشك لا موضع له ، وأن الاقرب الى الصواب أن ما رواه النحاة مما أطلقــوا عليــه « اللحن » قد حدث فعلا ، وقد يكون فيه دلالــة على نفس السليقة كمافهمها الاقدمون ، لكنه لا غرابة فيه من وجهة النظر الحديثة التي تفسر السليقة على أنها اكتساب اللغة بالتمرين والدربة وان اللغة ــ بهذا الفهم ــ يحدث فيها التغير والتطور مما سمــاه الاقدمــون « اللحن » ثم ان افتراض ان النحاة أنفسهم قد وضعوا روايات اللحن لا يكاد يصدق ، لان المطلع على جهــود الاقدمين الضخمة عن اللحن ــ مما نقلته كتب الطبقات أو مؤلفات اللحن الخاصة على مدى العصــور وقــد قاربت الخمسين مؤلفا (45) ــ يبعد عن ظنــه انهــم توفروا على وضع ذلك كله . وأن هذه المادة كلهــا مزيفة مدعاة . كما يضاف الى ذلك أن مظاهر اللحــن التي أحصاها النحاة لم تقتصر على حركات الاعراب فقط ، بل شملت ــ كما سبق عرضه في القسم الاول ــ الصيغ وتأليف الكلام ومعاني الالفــاظ وحركــات الاعراب ، فتعميم الشك والتردد في جهود النحاة عن اللحن بهذه الصورة لا يؤيده واقعها نفسه .

فاللحن قد حدث فعلا ، وجهود النحاة حولــه صحيحة ، وعلمنا هنا تقويم جهودهم في جمع مادته ، ونظرتهم لــه .

ان جهود النحاة في جمع مادة ما اسموه «اللحن» التي نقلتها كتب طبقات النحاة وضمتها كتب « لحن العوام » في القرن الثاني الهجري وما بعده جهــود موفقة جديرة بالاحترام والتقدير ، والمادة العلميــة التي حوتها عن مظاهر اللحن المختلفة تدل على دقــة التتبع للجزئيات ، وطول الاستقراء والنظر في اللغــة الفصحى ، لكن هذا الجهد الصابر ــ للاسف ــ لم يؤد دوره الصحيح باعتباره تغيرا في اللغة وتطــورا في عناصرها على مدى العصور ، لان النحاة نظروا اليــه في ضوء مسلمات علمية منها اعتبار اللغة العربيــة الفصحى في الحضر قد بلغت غاية كمالها حوالــي منتصف القرن الهجري الثاني وأن ما طرأ عليها مــن تغير بعد ذلك فساد وانحراف من الواجب مقاومته ، ومن ذلك اللحن بطبيعة الحال .

ومن ذلك تجاوز النحاة موقف الباحث في وصف الاستعمال المتطور الى موقف آخر قاموا فيه بالنص على ما يجوز وما لا يجوز ، فناصبوا تطور اللغة العداء ، واستخدموا في ذلك القواعد التي توصلوا اليهــا من قبل ، لوضع عناصر التغير في اللغة تحت سيطرتها ، ثم الحكم عليها بالخطأ . وبذلك لم يؤد جهدهــم في تقصي جزئيات ما اسموه « اللحن » الى نتائجه المرجوة في معرفة تطور الفصحى وتاريخها ، لعدم اعترافهــم بالتطور أصلا ، ومراعاة جانب القواعد لا الاستعمال .

ومن المفيد لنا الآن ــ بعد أن فات ما فــات ــ القيام بالامرين التاليين نظرا وعملا .

اولا : تنحية الفكرة القديمة عن المادة المجموعة في كتب « لحن العوام » باعتبارها فسادا وانحرافــا ليحل في النظر اليها نظرة أخرى من اعتبارها تطــورا في اللغة يهدينا السبيل في دراسة مراحلها المختلفة .

ثانيا : النظر في هذه المادة ودراستها مــع غيرها من النصوص الموثقة في عصرها ، ليعلم مــن

(44) انظــر : من أسرار اللغة ص 189 .

(45) سبق ذكر الكثير منها في جدول مرتب زمنيا في القســم الاول .

ذلك مدى انتشارها فى الاستعمال ، فيقبل منها ما تحقق له ذلك ، ويتوقف فيما عداه دون وسمه بالخطأ او الفساد أو اللحن ، وفى ظني انه **سيقبل من هذه المادة اللغوية كثير من الصيغ واستخدام الادوات النحوية والتراكيب ، دون ما يخل بالاعراب أو يشوه الصيغ .**

وتنفيذ ذلك ليس بالامر المستبعد ، اذا اخذ فى الاعتبار أن معظم كتب « لحن العوام » ما زالت مخطوطة او مصورة ، وتنال نصوصها بالتحقيق ينبغي أن يصحبه دراسة لهذه النصوص فى ضوء المنهج السابق ، فتتضافر بذلك جهود مفيدة ، لمعرفة تطور الفصحى فى عصورها المختلفة .

2 ــ التصحيف والتحريف من مظاهر ضعف الرسم العربي .

لقد قاوم النحاة العرب مشكلة التصحيف والتحريف التي انعكس تأثيرها على النطق بتغيير معاني الكلمات وصيغها واحيانا قليلة اعرابها ، وسلكوا فى اجتهادهم حول هذه المشكلة طريقا طويلا ، بدأ اولا بمحاولة ضبط الرسم العربي بالنقط والشكل ، ومع ذلك بقي التصحيف مظهرا فى النطق يؤرق بال العلماء كما قرر ذلك حمزة الاصفهاني بقوله : « فقد بان لمن عقل وانصف من نفسه ان اعتراض التصحيف فى هذه الكتابة مع ما جلب اليها من الزيادة فى البيان بالنقط والاعجام ليس الا من ضعف الاساس » .

وقد ترك العلماء هذا الاساس الضعيف على ما هو عليه من ضعف ، وتحولوا عن ذلك الى ما ذكره ابو احمد العسكري نصا بقوله : « فالتمسوا حيلة ، فلم يقدروا الا على الاخذ من افواه الرجال » فما الراي فى هذا الموضوع من وجهة النظر الحديثة ؟؟ ــ يكون ذلك ببيان الآتي :

أ ــ صعوبة اصلاح الرسم ــ لأية لغة ــ لارتباطه بقوة العرف والعادة .

ب ــ الراي فى موقف النحاة من الرسم العربي وما ترتب عليه من تصحيف وتحريف .

ينبغي منذ البداية معرفة أن رسم الكتابة لا يتطابق دائما مع النطق ، أو بعبارة أخرى ، ان صورة اللغة المنطوقة لا تتمثل تماما فى الرسم ، ويعود ذلك ــ كما يقول دي سوسير ــ الى ان اللغة تتغير دائما وباطراد ،بينما تميل الكتابة الى الثبات والمحافظة (46) » فالكتابة اصطلاح عرفي عام لتسجيل النطق بطريقة جامدة لا تخضع للتغير والتطور ، اذ تبقى الصورة العرفية التي بدأت بها أولا واقفة عند نقطة البدء ، بينما يخضع النطق باللغة للتنويع والتغيير فى الاصوات والصيغ والتراكيب والاسلوب بما لا بد لأحد على ايقافه ودفعه ، وذلك تبعا لصلته القوية بحيوية الناطقين وعاداتهم النطقية التي تتغير من فرد لآخر ، ومن عصر لآخر بما لا تستطيع الكتابة ان تلاحقه ، فالكتابة ترتبط بالعادة ، بينما يخضع النطق لعرف الاستعمال ، والعادة فى الكتابة محافظة ، والاستعمال فى اللغة متطور ، والكتابة اداة لتسجيل اللغة ، بينما النطق نشاط حى لمن يستعملون اللغة .

وعلى ذلك ، فان قضية اصلاح الرسم للغة من اللغات ينبغي فهمها فى اطار ظروفها ، دون أن نفرض عليها ظروف اللغة المنطوقة فعلا ، بمحاولة الربط بينهما أو الزام مطابقة النطق ، فان مثل هذه المحاولات غير عملية ولن تؤدي فى النهاية الى نتائج ذات بال .

وقد تناول « فندريس » هذه القضية فى حديث طويل فى كتابه « اللغة » (47) فقرر اننا لا نكتب كما نتكلم ، بل نكتب كما يكتب غيرنا ، اذ نشعر بمجرد وضع أيدينا على القلم بالتزام قواعد واصطلاحات خاصة لها مجالها واهميتها المنفردة .

وتعرض فى حديثه للشكوى من الرسم ، فقرر انها شكوى عامة ، فلا يوجد شعب من الشعوب لا يشكو منه ان قليلا وان كثيرا « وما تعانيه الفرنسية والانجليزية من جرائه قد يفوق ما في غيرهما ، حتى ان بعضهم يعد مصيبة الرسم عندنا كارثة وطنية » وبين ان السبب فى ذلك يعود الى أن الرسم لا يساير دائما حركة اللغة ، اذ تحميه قوة التقاليد التي تسندها المدرسة والآداب واجماع المثقفين ، وأن الكتابة بطبيعتها محافظة « **فالثبات ضرورة للغة المكتوبة ، لانها تعتبر لغة مثالية حددت معالمها نهائيا ، ولا يمكن المساس بها الا بعد فوات الاوان ، فمهما عنينا بجعل هذا الكساء مرنا مطابقا لحنايا الجسم ، فلن نستطيع مطلقا أن نخضعه لنزوات الطبيعة وأن نجعله ينمو بنمو الجسم ، لانه ميت يغطي كائنا حيا** » ثم امتدح الجهود التي تبذل لاصلاح عيوب الرسم فى الفرنسية ، واورد الاسانيد التي يعتمدون عليها للقيام

---

(46) Course in General Linguistics, p. 27

(47) انظر : اللغة من ص 405 الى 416 .

بهذا الاصلاح ، من انه لا مساس له باللغة ، وأن فيه فائدة للمتعلمين من الصغار والاجانب .

لكن « فندريس » مع ذلك يشك فى قيمة هذه الجهود ، ويرى أن هناك عقبات ضخمة لا تسمح لهذا الاصلاح ان يؤدي مهمته ، وهي عقبات متنوعة ، ثقافية ونفسية واجتماعية وتعليمية ، تقف فى وجه هذا الاصلاح ، ثم ينتهي من ذلك الى الراى التالي :

* نعم .. أغلب الظن أن اللغة المكتوبة قد ولدت من اتفاق قام بين بضعة افـراد ، ولكن هذا الاتفاق قد امتد حتى شمل المجتمع بأسره ، وفرض نفسه عليه بقوة صارمة ، وليس العقل هو الذي ينظم حياتنا الاجتماعية ، بل العادة ، وحجج الفلسفة كلها عبث فى عبث أمام قدرة العادة ... فنحن عبيد العادات الاجتماعية الى حد كبير ، والرسم هو احدى هذه العادات بالنسبة لكل شخص متحضر ، فلا يمكن اصلاحه الا بأشد الحذر ، وباستيحاء العادة نفسها (48)

أجل .. لا يمكن اصلاح الرسم الا بأشد الحذر وباستيحاء العادة نفسها ، وفى فهمي أن العادة فى الرسم لا تسمح بهذا الاصلاح ابدا ، سواء اتم بحذر أم بغير حذر ، خصوصا اذا قطعت عادة الرسم شوطا طويلا فى تسجيل ثقافة لغة ما ـ كالعربية مثلا ـ حيث لا يمكن ارجاع ذلك ولا تغييره ولا قطع الصلة به ، بالاضافة الى ما يحدثه التغيير من هزات نفسية واجتماعية قاسية من العسير تحملها وتحمل نتائجها ، واعتقد ـ ان لم يجانبني التوفيق ـ أن كل محاولة لتغيير رسم الكتابة فى مثل هذه الظروف جهد ضائع مصيره الفشل . ـ فما الراي اذن فى موقف النحاة العرب من هذا الموضوع ؟ !

من الانصاف لعلمائنا الاقدمين أن تقرر انهم لم يبحثوا فى تغيير الرسم العربي بطريقة مباشرة ، فان الذي وجهوا اليه اهتمامهم كان امرا آخر هو التصحيف والتحريف فى النطق ، وقد دفعهم الى بحث ذلك المظهر سبب ديني هو تلافيه فى نصوص القرآن التي دونت بالرسم العربي فى مصاحف عثمان ثم عمموا بحثهم عن هذا الموضوع فى كل نصوص اللغة شعرا ونثرا ، فاصلاح الرسم العربي لديهم لم يكن موضعا مقصودا لذاته ، وهذا المعنى يفسر مسلكهم تجاه اصلاحه ، كما يفسر فى الوقت نفسه مسلكهم تجاه المظهر الاساسي الذي ترتب عليه وهو التصحيف والتحريف ، ذلك انهم حصروا جهودهم فى ضبط الرسم العربي بالاعجام والشكل فقط ، ولم يتناولوا الموضوع من أساسه باعتبار الرسم العربي كما قال الاصفهاني من بعد « ضعيف الاساس » ، واذا جاز أن تغيير الرسم العربي فى وقتنا الحاضر فكرة غير عملية حيث قطع شوطا طويلا فى تسجيل الثقافة العربية ونقلها ، ففي ظني ان هذا التغيير كان ممكنا فى هذا الوقت المبكر من القرن الاول والثاني من الهجرة لكن الاقدمين لم يواجهوا ذلك بطريقة صريحة جريئة ، فبقي ضعف الأساس على هذه الصفة حتى اليوم ، ومن يدري !! فربما كان ذلك موانع دينية وثقافية قامت ايضا فى وجوههم ، فحجزتهم عن هذا التغيير والتفكير فيه ، ومن ذلك أن القرآن كان قد دون بهذا الرسم العربي ، وأن هذا الرسم ـ ان صح التقدير ـ كان قد قطع شوطا كبيرا فى تسجيل ثقافة العرب وعاداتهم فى الجاهلية وصدر الاسلام فمنعهم ذلك كله من تغييره ، وكان موقفهم مماثلا لموقفنا اليوم ، ودارت جهودهم حول ضبطه فقط ، وكان هذا غاية ما فى وسعهم .

كما أن جهودهم لتلافي التصحيف والتحريف ـ بالقياس الى ظروفهم ـ فى مجملها جهود مفيدة ، فحاولوا ضبط الاساس ، ثم تواصوا بالرواية الشفهية ، وعابوا المصحفين والمحرفين حين لم يسعفهم اصلاح الخط العربي ، واخيرا جمعوا ذلك كله فى مؤلفات خاصة ، لتنقية ما وقع من أخطاء التصحيف والتحريف من العوام والخاصة ، وكان ذلك أيضا غاية وسعهم .

وموقفنا العلمي اليوم من هذا الموضوع أن التفكير فى تغيير الرسم العربي أمر غير عملي ، وأن الرسم العربي ـ شأن غيره فى اللغات الاخرى ـ قد يشتمل على عيوب ، وهذه العيوب ينبغي احتمالها والرضى بها تلافيا لما يترتب على التغيير من مشاكل لا قبل لنا بها ، عملا بالعبارة المتوارثة عن الاقدمين « باحتمال أخف الضررين » .

3 ـ الالفاظ المولدة فى ضوء تطور اللغة :

اختلف موقف الاقدمين من الالفاظ المولدة بين الاعتراف بفصاحتها ورفض الاستشهاد بها ، او الاعتراف بمعانيها واستخدامها فى الادب والانصراف عن بنيتها ودراستها فى اللغة ، مما قرره ابن جني نصا بقوله : « يستشهد بشعر المولدين فى المعاني ، كما يستشهد بشعر العرب فى الالفاظ » ، وقد اتخذ

(48) انظر : اللغة ص 416 .

تقييد عصر الاستشهاد وعدم الاعتراف بتطور اللغة الاساس الذي ركن اليه الاقدمون فى اخراج هذه الثروة الجديدة من الالفاظ عن كلام العرب ، وعدم السماح لها بالدخول الى الدراسة ، وبقيت حتى اليوم مشتتة تائهة فى مصادر اللحن والتعريب والمعاجم موسومة بتلك السمة العنصرية « مولدة » ، فما الراي فى هذا الموضوع من وجهة النظر الحديثة ؟ ! يتضح ذلك ببيان الآتي :

أ ــ الالفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة .

ب ــ الراي فى موقف النحاة من هذه الالفاظ الجديدة .

ان تأمل المصادر اللغوية لتوليد الالفاظ من الارتجال بالاشتقاق والتعريب بعد عصر الاستشهاد وتطور دلالة الالفاظ ــ سبق عرضها فى الباب الاول ــ يتضح منه ما نحن بصدده من حاجة الناطقين بالعربية الى الالفاظ الجديدة واللجوء فى ذلك الى وجوه مشروعة ــ وان كانت غير متعمدة ــ لسد حاجتهم منها ، وتغير الظروف الاجتماعية الدائم ينعكس تأثيره على اللغة واستعمالها فتنزوي الفاظ لم يعد ثمة حاجة اليها ، وتجد أخرى فى الاستعمال لدواعي الظروف الجديدة اليها ، ويتم كل ذلك بطريقة تلقائية مستمرة ، تماما كما يتم التغيير فى كل المظاهر الاجتماعية الاخرى .

والباحث فى اللغة ــ من وجهة النظر الحديثة ــ يعترف بالتطور باعتباره مظهرا اجتماعيا يحدث للغة كما يحدث لغيرها . وينظر اليه بهذا الاعتبار ، فيلاحظه ويصفه ، ويصل من ذلك الى معرفة ما جد من عناصر التطور فى مرحلة من مراحل اللغة عن مرحلة أخرى ، وليس من عمل الباحث أن يقف بدراسته عند فترة معينة ، يحتفي بلغتها ، ويرفض غيرها ، معتقدا أن ما احتفى به هو الصحيح الجدير بالدراسة ، وأن غيره مما لم يسر على نهجه مخالفات ينبغي وسمها بهذه الصفة ، فهي مخالفات حقا اذا وضعت فى ضوء مسلك اللغة فى مرحلة سابقة ، ولكنها بالقياس الى عصرها ذات قيمة متميزة لا تقل فى تمثيل المستوى الصوابي له عن غيرها من العصور كما سبق بيانه والاستدلال عليه فى مناقشة تقييد عصر الاستشهاد .

وعلى ذلك ، فان موقف النحاة من الالفاظ المولدة قد تحكمت فيه اعتبارات سلموا بها ، ثم استسلموا لها ، وهي اعتبارات تعود اليهم ، من تنصيب أنفسهم سلطة تبيح وتمنع ، مع أن عملهم الحقيقي هو الوصف والاستقراء ، كما تعود الى تعلقهم بربط اللغة المثالية بعصر خاص مع ان واقع الامر انها ترتبط بالاستعمال وحاجات المجتمع فى كل عصر على انفراد ، وينبغي النظر اليها بهذه الصفة بدون تفضيل عصر على عصر آخر بالقبول والرفض ، وهي اخيرا ترتبط بفكرة الربط بين نقاء العنصر ونقاء اللغة ، فقد وثقوا الاعراب بعد وقف الاستشهاد بالحضر حتى القرن الرابع ، ورفضوا الاعتماد على المولدين فى هذا العصر نفسه . فكل هذه الاعتبارات غير مقنعة لغويا ، وقد وجهت نظرتهم فى رفض الالفاظ المولدة .

* يقول برجشتراسر : الذي منع علماء الشرق ــ مع بذل الجهد العجيب فى درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات ــ عن الاعتناء الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الاسلام سببان مرتبطان احدهما بالآخر :

اولهما : مداومتهم على السؤال عن الجائز فى اللغة وضده ، وعلى المنع عن كثير من العبارات ، وهذا وان كان واجبا نافعا ، فهو عمل المعلم لا العالم ، فالعالم يفحص عما يكون فى الحقيقة لا عما كان ينبغي أن يكون ، والمعلم لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة ، فان نسي هذه النصيحة واجتهد أن يقهر حياة اللغة ويعوقها ، جازته وغفلت عن تعليمه ، فيتسع اذن الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية وبين ما يعلمه النحويون ، كما نشاهد ذلك فى تاريخ اللغة العربية .

والسبب الثاني : اعتقاد علماء الشرق أن اكمل ما كانت عليه اللغة العربية واتقنه واحسنه ما يوجد فى الشعر القديم ، وهذا حكم غير علمي (49) .

اجل .. هذا حكم غير علمي ، يتجاوز موقف العلم الى موقف التعليم ، ويحاول قهر حياة اللغة والتفاعل عن تطورها ، فتجوزه وتغفل عن تعاليمه ، ولا تعترف فى سيرها المستمر بما اعتنقه النحاة عن عصر آخر من الكمال والاتقان والحسن ، وهذا الحكم غير العلمي هو الذي طبقه النحاة على المولد من الالفاظ لغويا ، وهو الذي يفسر تلك المفارقة التي وردت عنهم فى الاعتراف بفصاحة المولد دون حجيته فى الاستشهاد ، والاعتراف بمعانيه دون صيغه ، واستخدامه فى الادب دون دراسة اللغة .. اليس هذا غريبا !!

---

(49) التطور النحوي ص : 127 .

ان واجبنا الآن ان نرد لما أطلق عليه النحاة « المولد » قيمته اللغوية باعتباره جانبا مهما من مظاهر تطور الفصحى ، وسبيلنا لذلك جمع شتاته من مصادره مرتبة بحسب عصور الفصحى ، ثم استقراء بنية الكلمات فيه لمعرفة ما جد من تطور على مسلك الصيغ العربية بسببه ، مع اباحة التوليد الغنية فى استخدام كلمات جديدة فى وقتنا الحاضر ، كما اعترف الاقدمون انفسهم بذلك فى المعاني ودراسة الادب ، فسارت دراستهم فى طريق طبيعي مفيد لم يتح مثله لدراسة اللغة حتى اليوم .

4 ـ التعريب بين قيود النحاة وحاجة الاستعمال :

فى فهم نظرة النحاة للمعرب ـ فى الباب الاول ـ تبين انهم قصروه على عصر الاستشهاد فى الحضر ، او بتعبير الجواليقي على « ما تكلمت به العرب من الكلام الاعجمي » و « ما ذكرته العرب فى اخبارها واشعارها » وقد نص الخفاجي على أن « ما عربه المتاخرون يعد مولدا » ، وبالفوا فى الاحتياط لموقفهم فقصروا المعرب على السماع فى عصر الاستشهاد ، ورفضوا القياس عليه بعد ذلك ، ثم زادوا هذا الاحتياط شدة بأن حاولوا جاهدين اخضاعه لمسلك الصيغ العربية فى الالحاق والتغيير والعلامات ، لكن هذا الجهد العظيم مع ذلك قصر عن الاحاطة التامة باستعمال الكلمات الاجنبية المتعددة المصادر والاستعمال فجاءت نتائجه عامة غير منضبطة وغير مقنعة .

فما الراي فى ذلك من وجهة النظر الحديثة ؟ لـ يتبين ذلك بالآتي :

أ ـ التعريب ضرورة علمية واجتماعية متجددة

ب ـ مدى صحة اخضاع نظام لغة لاخرى فى الدراسة .

جـ ـ الراى فى موقف النحاة من المعرب نظرا ودراسة .

لقد تناول اللغويون المحدثون ما اسماه العرب « التعريب » ضمن دراسة عامة لما اطلقوا عليه اسم الاقتراض او الاستعارة Barroming ، فدرسوا التاثير والتاثر بين اللغات من نواح متعددة ، من ذلك بيان مدى تاثر اللغة المستعيرة أو المقترضة من لغة اخرى عن اختلاط عناصرها أو بقائها لغة واحدة مع ما طرأ عليها من عناصر اللغات الاخرى ، وقد أورد « فندريس » عن ذلك نظرتين متعارضتين تقول احداهما : « ان كل اللغات تعتبر لغات مختلطة الى حد ما » ومن راي الاخرى « أن الانسان لا يتكلم مطلقا فى الوقت الواحد الا لغة واحدة » كما أورد نقاش كلتا هاتين النظريتين ليخلص أخيرا الى القول بأن الذي يحسم الامر فى ذلك هو مدى تدخل العناصر المستوردة فى افساد نظام اللغة المقترضة أو عدم تدخله ، وبذلك يمكن الحكم بالاختلاط فى اللغة أو بقائها دون تأثر مخل (50) .

كما درس المحدثون أيضا مدى التأثر بين اللغات من فصائل مختلفة أو من فصيلة واحدة ، أو ما اسماه « مايه » اللغات المتميزة وغير المتميزة ، حيث يقتصر التأثير فى النوع الاول غالبا على المفردات بينما يمكن ان يمتد التأثير فى النوع الاخير الى عناصر اخرى فى اللغة نحوا وصيغا ومفردات واذا كثر هذا النوع الاخير فى لغة ما ، كان أمرا خطيرا حيث يؤدي ذلك ـ كما يقول ـ الى استبدال اللغة بغيرها استبدالا تاما (51) .

ويتوسع « أولمان » فى بيان المصادر اللغوية التي يلجأ اليها المتكلم للاقتراض حين يواجه بالنقص فى قصور الثورة اللفظية لديه عن أداء حاجاته ، اذ يلجأ فى ذلك الى اللغات الأجنبية أو اللهجات المحلية أو الاصطلاحات الفنية والمهنية الخاصة ، فينقل الكلمات كما هي او يلجأ فيها الى الترجمة (52) .

وحول هذه الافكار العامة عن « الاقتراض » تفصيلات واسعة ليس من المفيد هنا التعرض لها لان ما نحن بصدده يتعلق بموضوع خاص هو : نقل الكلمات من اللغات الاجنبية مع عرفها فى لغتها الاصلية بما لا يؤثر فى اللغة المقترضة مما اطلق عليه النحاة العرب « التعريب » وبيان مدى الحاجة اليه اجتماعيا وعلميا ، وقد اعتبر اللغويون المحدثون هذا النوع من الاقتراض امرا عاديا لا خوف منه ولا خطر فيه ، وذلك

---

(50) انظر : اللغة ص 358 وما بعدها .
(51) راجع : منهج البحث فى اللغة والادب ص 101
(52) انظر : دور الكلمة فى اللغة ص 145 .

بالقياس الى انواع الاقتراض الاخرى التي تؤثر في نظام لغة ما ، وقد تؤدي الى الاخلال به وافساده .

* يقول فندريس : لندع جانبا استعارة المفردات التي تتبادلها اللغات فيما بينها ، فمن خصائص هذه المستعارات انها لا تحتم كون المتكلم يتكلم اللغة التي استعيرت منها ، او حتى معرفته بها ... فاستعارة المفردات مهما اشتد تأثيرها يمكن أن تظل مسألة خارجة عن اللغة (53) .

فنقل الكلمات من لغة الى أخرى أمر عادي كثير الحدوث يترتب على الاتصال الاجتماعي بمظاهره المختلفة من التجارة أو الثقافة او الحروب او انتقال العادات والتقاليد ، وذلك بالتعرف على انواع من النبات والحيوان والماكول والمشروب والملابس والمعادن وآلات الحرب والطرب والكلمات العلمية والفنية . ويتم ذلك كله في غالب الاحيان من الناطقين باللغة انفسهم بطريقة تلقائية تدعو اليها ضرورة الاستعمال ، ويتوقف انتشارها على العرف اللغوي في البيئة التي نقل اليها ، ومن الطبيعي ان هذه الكلمات الاجنبية المنقولة تتوقف صحة نطقها — كما هي في لغتها الاصلية — على ظروف أخرى تتعلق بالناطقين انفسهم ، سواء من نطقوها أولا أم من استعملوها بعد ذلك ، تبعا لاجادة اللغة التي نقلت منها الكلمة ، أو دقة السماع لها ، ويبقى الاختلاف في نطقها موجودا حتى بعد انتشار استعمالها في البيئة الجديدة .

ان الحالة الوحيدة التي يمكن فيها تحديد مسلك الصيغة هي حالة التعريب المتعمد ، حين تدعو الحاجة العلمية او الفنية لاستخدام مصطلحات جديدة تدعو اليها الضرورة ، ففي هذه الحالة يتصور خضوع نقل الكلمات من اللغات الاجنبية لطريقة موحدة سواء انقلت دون تصرف فيها على الاطلاق أم نقلت مع التصرف في صيغتها أو حروفها أو حركاتها ، هنا فقط يمكن ان يتدخل علماء اللغة بالتحديد والتقنين ، أو بعبارة اخرى : يمكن فرض مسلك اللغة المنقول اليها على الكلمات المنقولة ، كما يمكن التدخل في ضبط كمية الالفاظ المنقولة حسبما تدعو الضرورة ، اما منعه مطلقا فأمر بعيد وغير عملي ، لانه يتنافى مع الحاجات العلمية والفنية المتجددة في كل العصور .

اما استعمال الكلمات الاجنبية بين الناطقين انفسهم ، فان التدخل في تحديد كتبه او اخضاعه لنظام اللغة التي نقل اليها لن يؤدي الى نتائج مفيدة مطردة ، اذ تقصر هذه النتائج عن الاحاطة بها ، أو اخضاع الناطقين لها ، لان الناطقين — مع تعددهم وقدراتهم — يتعذر اخضاع نطقهم لقوانين محددة حين النقل او الاستعمال ، واللغات التي ينقلون عنها ذات نظم خاصة بها في الصيغ والحروف يتعذر معها فرض نظام آخر عليها ، فاذا أضيف لذلك ان النقل يكون من لغات متعددة — كما حدث في العربية قديما ويحدث الآن — بدا الامر حينئذ اشد عسرا ، ومع ذلك فانه لا يدعو للجزع ، لان الامر كما قال : « فندريس » أن استعارة المفردات مهما اشتد تأثيرها يمكن اذن أن تظل مسالة خارجة عن اللغة » .

وفي ضوء ما سبق يمكن تقويم موقف النحاة العرب من المعرب نظرا ودراسة بما يلي :

أولا : ان قصر النحاة التعريب على عصر الاستشهاد باللغة في الحضر ، وتخصيصه بالسماع زيادة في الاحتياط **قد خضع لوجهة نظرهم في تقييد عصر الاستشهاد باللغة عموما** ، واختص بشدة الاحتياط منهم تجاهه ، حيث وثقوا نقل الكلمات الاجنبية الواردة عن هذا العصر ودرسوها ، مع الإنصراف عما نقل في غيره قياسا عليه ، وهذا مسلك لا يتفق مع الحاجة الاجتماعية المتجددة على مدى العصور ، وما يحدث فعلا بين اللغات من تأثير وتأثر لا ينقطع ، يتبعه بالضرورة انتقال الكلمات من لغة لأخرى ، واستعمال الناس لها ، كما لا يتفق مع الحاجات العلمية المتجددة — خصوصا في عصرنا الحاضر — لاستخدام مصطلحات تحتم ظروف العلوم أحيانا أن تكون عالمية ، وقد لا يتيسر الوفاء بها عن طريق الترجمة او الاشتقاق أو تطوير دلالة الكلمات .

ثانيا : **أن اخضاع كل ما ينقل من لغات أجنبية في عصر الاستشهاد لمسلك الصيغ العربية أمر لم يتوافق تماما مع الواقع** ، ومستندنا في ذلك القواعد التي توصل لها النحاة انفسهم عن المعرب حيث يبدو فيها العموم وسوق الاحتمالات والتحرز في الرأي ، سواء في ذلك ما ذكروه عن الحاقها بالصيغ العربية أو التغيير فيها او علاماتها المميزة لها ، كما يدل على ذلك ايضا الاطلاع على احد كتب المتاخرين عن التعريب — راجع جدولها في الباب الاول — وما ضمه من كلمات معربة ، اذ يتبين — حتى بالنظرة السريعة —

---

(53) اللغة ص 358 .

انها لا تتوافق تماما مع قواعد النحاة عن التعريب ، وهذا طبيعي ، لان التعريب يخضع لظروف الناطقين وقدراتهم وهي غير موحدة ، كما يخضع لظروف اللغات الاصلية التي حدث النقل منها ، وهي لا تخضع تماما لفرض نظام لغة اخرى عليها .

والراى ـ فى فهمي ـ أن يدرس هذا الموضوع بطريقة مستقلة ، باستقراء الكلمات المعربة الى العربية مما نصت عليه مؤلفات التعريب الخاصة ومما ورد فى نصوص موثقة ، وذلك لحصرها ، ومعرفة العوامل الاجتماعية التي ادت الى نقلها ، ومدى تأثر الفصحى بها على مدى العصور ، وذلك أكثر فائدة لنا ولها من محاولة مصادرتها أو اخضاعها لقواعد محددة لا تتوافق معها تماما .

ثالثا : انه يمكن الافادة من قواعد النحاة للتعريب فى حاجة العلوم والآداب فى الوقت الحاضر للمصطلحات والكلمات التي لا تفي بها وسيلة أخرى ، ففى هذا النوع من التعريب المتعمد يمكن استخدام الكلمات الاجنبية بنصها أو التصرف فيها فى ضوء جهود النحاة عن هذا الموضوع ، مع كتابة المقابل الاجنبي بجوارها ، وهذا ما يفهم من قرار المجمع اللغوي الذي نص على انه « يجوز أن تستعمل بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب فى تعريبهم » حيث قيد استعمال الكلمات الاجنبية بالضرورة ، وهي لا تتحقق الا فى هذا النوع المتعمد ، أما الاستعمال العام ، فلا ينتظر قرارا أو اجازة ، ولا يبحث عن ضرورة أو رخصة .

استخلاص نظرة المحدثين للعوامل الطارئة على اللغة

من العرض السابق لوجهة النظر الحديثة فى أسس الصواب والخطأ عن العوامل الطارئة على اللغة ـ بمناقشتها وبيان الرأي فيها ـ تتلخص نظرة المحدثين فيما يلي :

أولا : اعتبار التطور فى اللغة من اسس النظرية الحديثة للمستوى الصوابي ، ومفهوم هذا التطور ـ كما يرى جسبرسن ـ هو التغيير المستمر فى عناصر اللغة ، والمرجع فيه استعمال الناطقين انفسهم دون حكم عليه بأنه تقدم أو تقهقر ودون تحكيم معايير مسبقة فيه ، فما وافقها كان صوابا ، وما خالفها كان لحنا وخطأ ، وهذا التغير يتم وفقا لاتجاه منظم فى الاستعمال ، اذ يمر أولا بمرحلة الابداع والتجديد الفردي ، ثم القبول العام من الجماعة ، وحينئذ لا يكون من حق أحد رده ، بل يجب استقراؤه ودراسته ، فما اسماه النحاة « باللحن » هو فى واقع الامر تغير وتطور ، ومن ثم يجب دراسته بهذا الاعتبار ، ليؤدي دوره فى بيان تاريخ العربية وتطورها .

ثانيا : لاتتطابق الكتابة تماما ـ لاية لغة ـ مع نطق هذه اللغة ، فنحن ـ كما يقول فندريس ـ لا نكتب كما نتكلم ، بل نكتب كما يكتب غيرنا ، فالرسم من العادات العرفية التي يترتب على تغييرها مشاكل فى غاية الخطورة ـ ثقافية واجتماعية ونفسية ـ من العسير تحملها وتحمل نتائجها ، ويصدق على الرسم العربي ما يصدق على غيره فى اللغات الاخرى ، أما ما يترتب عليه من تصحيف وتحريف فمن المفيد الاخذ بمسلك علمائنا الاقدمين تجاهه من ضبط النطق وجمع الاخطاء وتنقيتها ، ما دامت تلك الاخطاء تترتب على الرسم ، وهو مما يتعذر تغييره .

ثالثا : ان تغير الظروف الاجتماعية ينعكس تأثيره على الالفاظ من حيث اختفاء بعضها واندثاره وحدوث الآخر واستعماله ، تماما كما يتم التغيير فى المظاهر الاجتماعية الاخرى ، وينبغي أن تتفق النظرة الى الالفاظ الجديدة مع هذا الفهم السابق دون فرض ظروف خارجة عن ذلك تعود الى سلطة الدارسين أو العصر أو العنصر ، والتوليد فى الالفاظ العربية مظهر للتجديد فى الالفاظ بطرق مشروعة ، وقد لجأ اليها الناطقون لسد حاجتهم فى الاستعمال ـ ومن حقنا الآن الافادة منها ـ وهو بذلك جدير بالدراسة لمعرفة ما جد من تطور على الصيغ العربية بسببه .

رابعا : من رأي المحدثين أن نقل الالفاظ من اللغات الاجنبية يخضع للحاجات الاجتماعية المتجددة للناطقين انفسهم ، كما يخضع فى أحد مظاهره للحاجات العلمية والفنية ، وأن انتقال الالفاظ بين اللغات امر عادي لا خطر فيه ولا خوف منه ، ولا يتصور فى هذا النقل أن يقتصر على عصر دون آخر ومحاولة اخضاعه لمسلك الصيغ فى اللغة التي نقل اليها يتعذر ضبطه بدقة ، لاختلاف قدرات من ينقلون الالفاظ مضافا اليه اختلاف اللغات التي حدث منها النقل وتعددها ، والحالة الوحيدة التي يمكن التدخل فيها لتحديد بنية الكلمات هي النقل المتعمد الذي تدعو اليه الضرورة فى المصطلحات العلمية والادبية والفنية، وفى هذه الحالة الاخيرة يمكن حقا الافادة من جهود النحاة العرب فى دراسة التعريب .

مصـــادر البحـــث

اولا : المصادر العربية المطبوعة

1 ــ ادب الكــاتــب

لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة ــ القاهرة ــ الطبعة الرابعــة سنـــة 1962 م

2 ــ الاشتقـــاق والتعريـــب

عبـــد القـــادر المغربـــي
مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ــ القاهرة
الطبعة الثانية سنة 1947 م

3 ــ اصـــلاح المنطـــق

لابى يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت
تحقيق : احمد شاكر وعبد السلام هارون
دار المعارف ــ القاهرة سنة 1952 م

4 ــ الاغـــانـــي

لابى الفرج علي بن الحسين الاصفهاني
تصحيح : الشيخ احمد الشنقيطي
مطبعة التقدم ــ القاهرة (دون تاريخ)

5 ــ امالـــي الزجاجـــي

لابى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي
تحقيق : عبد السلام هارون
طبع المؤسسة العربية الحديثـــة ــ القاهـــرة سنـــة 1382 هـ .

6 ــ امالـــي المرتضـــى

للشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي العلـــوي
تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم
طبع دار احياء الكتب العربيـــة ــ القاهـــرة سنـــة 1954 م

7 ــ انباه الرواه على انباه النحاة

تاليف : علي بن يوسف القفطي
تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم
مطبعة دار الكتب ــ القاهرة سنة 1950 ــ 1955

8 ــ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة

جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطـي
تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم
مطبعة الحلبي ــ القاهرة سنة 1965 م

9 ــ بلوغ الأرب فى معرفة احوال العرب

محمود شكري الالوسي
المطبعة الرحمانية ــ القاهرة ــ الطبعة الثانيـــة سنـــة 1925 م

10 ــ البيـــان والتبييـــن

لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق : عبد السلام هارون
مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ــ القاهرة سنـــة 1948 ــ 1950

11 ــ تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين

جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطي
المطبعة الميمنية ــ القاهرة ــ سنة 1305 هـ

12 ــ التطـــور النحـــوي

تاليف : برجشتراسر
طبع القاهـــرة سنة 1929 م

13 ــ التنبيه على غلط الجاهل والنبيه

تاليف : ابن كمال باشـــا
تحقيق : عبد القادر المغربي
طبـــع دمشق سنة 1344 هـ

14 ــ الحيـــــوان

لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيـــق : عبد الســـلام هـــارون
مطبعة الحلبي ــ القاهرة ــ سنة 1938ــ1945م

15 ــ درة الغواص فى اوهام الخواص

لابى محمد القاسم بن علي الحريري
طبع بغداد (عن ليبزج) سنة 1871 م

16 — دليـــل لغـــة العـــرب

تاليـــف : محمـــد أمـــر اللــه
مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ سنة 1345 م

17 — دور الكلمـــة فى اللغـــة

تاليف : ستيفـــن أولمـــان
ترجمة : دكتـــور كمـــال بشـــر
طبـــع القاهـــرة سنـــة 1962 م

18 — ذيـــل الفصيـــح

لابى محمد عبد اللطيف البغدادي
مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ سنة 1325 هـ

19 — شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف

لابى أحمد الحسن بن عبد الله العسكري
تحقيـــق : عبـــد العزيـــز احمـــد
طبع الحلبي ـ القاهرة ـ سنة 1963 م

20 — شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل

شهاب الديـــن أحمد الخفاجـــي
مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ سنة 1325 هـ

21 — صبح الأعشي فى صناعة الانشا

لابى العبـــاس احمـــد القلقشنـــدي
المطبعة الأميرية ـ القاهرة ـ سنة 1331 هـ

22 — طبقات فحول الشعراء

محمد بن ســـلام الجمحـــي
تحقيـــق : محمـــود محمد شاكـــر
دار المعارف ـ القاهرة ـ سنة 1955 م

23 — الطراز المذهب فى الدخيل والمعرب

تاليـــف : محمد نهانـــي

24 — العمدة فى صناعة الشعر ونقده

لابى علي الحسن بن رشيق القيرواني
مطبعة ابن هندبة ـ القاهرة ـ سنة 1925 م

25 — الفاخر فيما تلحن فيه العامة

لابي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم
تحقيـــق : عبد العليـــم الطحـــاوي
طبع دار الكتب العربية ـ القاهرة ـ سنة 1960م

26 — فحولة الشعراء

لابى محمد عبد الملك بن قريب الاصمعي
تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي
المطبعة المنيرية ـ القاهرة ـ سنة 1953 م

27 — كتـــاب سيبويـــه

لابى بشر عمرو بن قنبر الملقب « سيبويه »
المطبعة الاميرية ـ القاهرة 1316 هـ

28 — لحـــن العـــوام

لابى بكر محمد بن الحسن الزبيدي
تحقيق : دكتور رمضان عبد التواب
المطبعة الكمالية ـ القاهرة ـ سنة 1964 م

29 — اللغـــة

تاليـــف : ج. قندريـــس
ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص
طبع لجنة البيان العربي ـ القاهرة سنة ـ 1950

30 — ما تلحن فيه العوام

علـــي بن حمـــزة الكسائـــي
تحقيـــق : عبد العزيز الميمنـــي
المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ سنة 1344 هـ

31 — مجالـــس ثعلـــب

لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب
تحقيـــق : عبد الســـلام هـــارون
طبع دار المعارف ـ القاهرة سنة 1948 ـ 1960

32 — مجالـــس العلمـــاء

لابى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي
تحقيـــق : عبد الســـلام هـــارون
طبـــع الكويـــت سنـــة 1962 م

33 — محاضـــرات الادبـــاء

لابى القاسم حسين بن محمد الاصبهاني
مطبعة المويلحي — القاهرة — سنة 1387 هـ

34 — مراتــب النحوييـــن

لابى الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي
تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم
مطبعة نهضة مصر — القاهرة — سنة 1955 م

35 — المزهر فى علوم اللغـــة

جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطي
تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم وآخرين
دار احياء الكتب العربية — القاهرة (بدون تاريخ)

36 — مصادر الشعر الجاهلي

دكتور ناصـــر الديـــن الأســـد
طبع دار المعارف — القاهرة — الطبعة الثانيـــة
سنـــة 1962 م

37 — معجـــم الادبـــاء

تاليـــف : ياقـــوت الحمـــوي
طبع دار المامون — القاهرة — سنة 1938 م

38 — المعرب من الكلام الاعجمي

لابى منصور موهوب بن احمد الجواليقي
تحقيـــق : احمد محمـــد شاكـــر
طبع دار الكتب — القاهرة — سنة 1361 هـ

39 — مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب

لابى محمد عبد الله بن يوسف بن هشام
تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد
مطبعة المدني — القاهرة — (بدون تاريخ)

40 — المـــلاحـــن

لابى بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي
تحقيق : ابراهيم اطفين الجزائري
المطبعة السلفية — القاهرة سنة 1347 هـ

41 — من أســـرار اللغـــة

دكتـــور ابراهيـــم انيـــس
المطبعة الفنية الحديثة — القاهرة — الطبعة الثانية
سنـــة 1966

42 — منهج البحث فى الادب واللغة

تاليـــف : لانســـون ومايـــه
ترجمة : دكتور محمد مندور
طبـــع بيـــروت سنـــة 1946 م

43 — الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء

لابى عبيد الله محمد بن عمران المرزباني
المطبعة السلفية — القاهرة — سنة 1343 هـ

— ◆ —

ثانيا : المصادر العربية المخطوطة والمصورة

44 — ارتشاف الضرب من كلام العرب

لابي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيـــان
مخطوط — دار الكتب — 1106 نحو

45 — تصحيح التصحيف وتحرير التحريف

لابى الصفا صلاح الدين خليل الصفوي
مصور — دار الكتب — 37 — 38 الزكية

46 — تصحيـــف المحدثيـــن

لابى احمد الحسن بن عبد الله العسكري
مخطوط — دار الكتب — 2 من حديث

47 — تقويـــم اللســـان

لابي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي
مصور — دار الكتب — 427 لغة طلعت

48 — التنبيه على حدوث التصحيف

حمزة بن الحسن الاصبهاني
مصور — دار الكتب — 896 ادب تيمور

49 — رسالة فى اغلاط العوام

جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطـــي
مخطوط — دار الكتب — 348 لغة طلعت

50 — سهم الالحاظ فى وهم الالفاظ
محمد بن أبراهيم بن الحنبلي الربعي
مخطوط ـ دار الكتب ـ 254 لغة

51 — قصد السبيل فيما فى اللغة من الدخيل
محمـــد الأميـــن المحبـــي
مخطوط ـ دار الكتب ـ 295 لغة تيمور

52 — المتوكلى فيما فى القرآن من المعرب
جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوط
مخطوط ـ دار الكتب 5706 هـ

53 — المعرب فى القرآن الكريم
تاليـــف : احمد القوصي
مخطوط ـ دار الكتب ـ 465 لغة تيمور

54 — منح المغيث فى جواز اللحن فى الحديث
لابي عبد الله الافراني المراكشي
مخطوط ـ دار الكتب ـ 176 مجاميع تيمور

— ◆ —

ثالثا : المصادر الاجنبية

55 —
Course in General Linguistics, F. De Saussure, London, 1959.

56 —
Language, its Nature, Development and Origin, O. Jespersen, London, 1947

اللغــة الإنســانية

نشأتها. فلسفتها. مفهومها. تطورها

الأستاذ / أحمد عبدالرحيم السايح « جامع الأزهر »

اللغة ظاهرة اجتماعية اقتضتها حيـاة بنـي الانسـان ، لان الله خلق هذا النوع اضعف قوة من كثير من انواع الحيوانات الاخرى ، التي تعيش معـه على الارض ولكن الله عوض الانسان عن قـوة الجسـم والسلاح ، قوة العقل ومنحه الاستعـداد للتفاهـم والكـلام .

فدعا بعض افراد الانسان بعضا للتفاهم والتعاون على اتقاء عادية الحيوان وعلى جلب المنابع وتحصيل المرافق ، واضطره ذلك الى سكنى المدن وانشـاء المجتمعات ، ولذلك قال فلاسفة الاجتماع « الانسـان مدني بطبعه » اى انه مضطر الى سكنى المدن ، وانشاء المجتمعات ـ ليتم فيها التعاون والتبادل والقدرة على استغلال ما اعد له فى هذه الدنيا من مقومات حياته .

وكانت اللغة هي : الاداة التي تكشف لبعـض الأفراد عما فى نفوس الآخرين وقـد كان التفاهـم الانساني فى اول الامر بالاشارات التي لا يزال بعضها فى لغة الجماعات البدائية والتي تظهر فى الطفل قبل ان يتعلم الكلام ثم حصل التفاهم بالاصـوات التـي تالفت منها الكلمات فى اللغات المختلفة (1) .

فاللغات : اصلا : اصوات وليست كلمـات وان الكلمة صوت يرمز الى معنى وكتابة الكلمة رسم يرمز الى هذا الصوت ، والصوت : هو الاصل والصـوت يصنعه الهواء يخرج من رئة الانسان وتقوم الحنجرة ويقوم اللسان ويقوم الفم وحتى الانف باعطائه شكـلا خاصا . هو الكلمة المسموعة .

واللغة : فى اللغة : فعلة ، من « لغـوت » أي تكلمت واصلها لغة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات، لقولهم : كروت بالكرة وقلوت بالقلة ، ولان ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب .

وقالوا فيها : لغات ولغون ككرات وكرون وقيل منها : لغى يلغي ، اذا هذى قال :

ورب اسراب حجيـج كظـم
عن اللغـا ورفـث التكلـم

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى « واذا مروا باللغو مروا كراما » اى بالباطل . وفى الحديث من قال فى الجمعة صه فقد لغا : اي تكلم (2) .

واللغة : فى اصطلاح اهل اللغة : اصوات يعبـر بها كل قوم عن اغراضهم . وهذا التعريف يشمـل معناها الخاص .

اما معناها العام فهو : مجموعة الوسائل المعبر بها عن المعاني وآلدالة على نفس المعاني لدى الآخرين سواء كانت تلك الوسائل فطرية أم اصطلاحية (3) .

وقد يصعب على الباحث معرفة متى واين وكيف بدات اللغـة ؟

الا اننا لا نعدو الصواب ، اذا قلنا : انها بـدات عند ما تكونت اول جماعة انسانية فى هذا الوجـود ، ولا نعدو الصواب ايضا ، اذا قلنا ان الجماعة الانسانية الاولى ايا كان طابعها ـ عندما تكونت أصبحت معهـا

مشاكلها الخاصة الناتجة عن علاقات الافراد بعضهم ببعض والناتجة عن علاقة الانسان بالبيئة والطبيعة ، وفى سبيل البحث عن حل لتلك المشاكل الجديدة فى نوعها : تولد النشاط الانساني فى استخدام الصوت ، لتكوين الفاظ لغوية بدائية الطابع ، والانصات لتلك الاصوات بما يتبعه من مسلك ذهني لفهم مدلولها اللفظي ، عن طريق الاذن .

تجسد هذا النشاط الانساني المتميز عن كائنات الطبيعة الاخرى فى صيحات موسيقية توحي بمعان سحرية ، تختلف فى دلالتها باختلاف موسيقاها ، بذلك تكون العنصر الاساسي للبيئة الثقافية الخاصة بالانسان وحده ، فاللغة بظهورها ـ كمرحلة عليا فى مجريات التطور ـ خارجة خروجا تلقائيا من صور سبقتها للنشاط الحيواني كان رد فعلها الحتمي : هو تحويل تلك الصور والضروب التي كان السلوك الجماعي يجيء على غرارها يضيف بعدا جديدا ، الى ابعاد الخبرة الانسانية ما نطلق عليه : انسانية الوجود، فالتعبير الرمزي عن الاشياء ، يحولها من اشياء قائمة بذاتها منفصلة عن الوجود الانساني الى جزء من هذا الوجود .

فمثلا : تسمية الساق الخشبية المنبثقة من الارض والمنتهية بأفرع ووريقات خضراء ، بلفظ شجرة هو بمثابة اذابتها فى الوجود الانساني ، تقع تحت سيطرته وتفقد معنى وجودها بدونه ، وعلى هذا تسميه الشيء اي اطلاق لفظ لغوي عليه هو الخطوة الاولى للسيطرة على وجوده ومزجه بالوجود الانساني بعد المعرفة السابقة له ، كشيء منفصل عن هذا الوجود . والقوة فى التعبير الرمزي عن الشيء بلفظ لغوي عليه تكمن فى انبثاق مواضيع من هذا الرمز لا تمت للشيء المرموز به اصلا ، بصلة مباشرة وان كان هذا لا يتم الا بعد عدة مراحل من التطور اللغوي ، ومن هنا يتبين الفرق الاساسي بين التعبير الرمزي عن الاشياء والافعال برسمها،والتعبير الحركي-الرقص - الذي من الصعب ان يتولد عنه شيء آخر بخلاف اللفظ اللغوي الذي يملك تلك الامكانية ، وليست على هذا الاساس البيئة التي يحيا فيها الانسان يعمل ويبحث ، « مادية » فقط بل ثقافية كذلك فانفعال الانسان وكيفية آدائه لها ، لا تتوقف على التكوين العضوي لجسده فقط ، بل البيئة والانسان يتأثران كذلك بمؤثرات تراثه الثقافي المنبثق فى التقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والاهداف والمعتقدات

التي تحملها الالفاظ اللغوية فى طيها وتوحي بها ، والمشكلات التي تبعث على التقصي والبحث انما تنشأ من علاقات الناس بعضهم ببعض ولا تقتصر الاعضاء التي تختص بهذه العلاقات على العين والاذن ، واللسان ، بل من أدواتها كذلك تلك المعاني المتطورة على مر الحياة مضافا اليها وسائل التكوين الثقافي .

تحتل اللغة اذن : فى مركب العناصر التي يتألف منها المحيط الثقافي للانسان مكانا ذا دلالة خاصة وهي تؤدي وظيفة ذات دلالة خاصة ايضا فهي فى حد ذاتها نظام ثقافي وان شئت بعبارة ادق فقل هي :

أ ـ الاداة الرئيسية التي تنتقل بها سائر تلك النظم الاخرى والعادات المكتسبة .

ب ـ والالفاظ التي تتغلغل خلال الصور ومضموناتها فى آن واحد معا اعني الانظمة الثقافية الأخرى ومضموناتها .

ج ـ وتتميز بتركيب خاص بهالة قابلية التجريد باعتبار اللغة « صورة » من الصور ولهذا التركيب اذا ما تجرد فى صورة تأثير حاسم من الوجهة التاريخية .

واللغة التي جاءت بهذا الوضع هي اللغة بأوسع ما اريد لها من معنى ، فاللغة فى هذا المعنى المتوسع هي الوسيلة التي تتقمصها الثقافة فتبقى ، وعن طريقها تنتقل وهي ذلك التدوين الذي يديم بقاء الحوادث ويجعلها فى متناول الناس عامة لبحثها من جديد ، ومن جهة اخرى فان الافكار أو المعاني لا وجود لها الا فى رموز يستحيل فهمها ، دون الرجوع اليها مرة ثانية وبذلك تشكل الرموز نوعا من البقاء الضروري لوجود الاشياء المرموز اليها ، بعد ان كانت بداية استخدامها وسيلة فقط للتعبير الرمزي .

ومن هذا يتبين أن علاقات العالم النفساني والعالم الخارجي تنسجم فى التعابير المختلفة ، توجد بوجودها وتنعدم بانعدامها ، انها شرط وعلة لها وبما ان الموضوع والذات ، اي المفعول والفاعل يلتقيان فى الشعور الفردي ليتحققا كان لزاما على الدراسات النفسانية ، ان تبدأ بالتعرف على حقيقة التعبير واصنافه .

فاللغة : فن تقني « لان لها نماذج وقواعد متفقا عليها » ولكن حقيقتها تندمج فى حقيقة تاريخية : التاريخ الفكري والنفساني والصناعي والجغرافي

للامة او للامم المتكلمة بهذه اللغة . ونقصد هنا بالتاريخ الماضي طبعا ، ولكنه ماض يسترسل في الحاضر مع التأكيد بأن الحاضر لا ينحصر في الحال بل هو ما يعبر عنه النحويون « بالمضارع » اى الحال والمستقبل لان ما يقوم به الانسان فى الحاضر انما هو انجاز لما يريد ان يكون عليه ما بعد الحاضر فالمستقبل ليس مرادفا للبعيد ، كما ان الحاضر ليس منحصرا فيما قد حضر ، فحاضر ليس وصفا لحالة بل اسم فاعل أى انه الزمن الذي يقع فيه فعل فعليا .

فالحاضر يختلف عن الماضي لان الماضي قد انتهى كحركة مباشرة ولم يبق الا فى اشارة أو فى ذاكرة ويخالف ايضا المستقبل لان المستقبل يصوب اتجاهه نحو الامام ويتقمص الآمال .

فالمتكلم يغير اللغة ولكنه يخضع لاسسها ومصطلحاتها كي يفهم ، فالكلام اداة للتفاهم لا غاية فى ذاته ، ان المتكلم يرمي من وراء الكلام أن يفهم المستمع انه يريد تواصلا .

لكن خلافا لما يمكن ان نظنه ان الانسان الاول لم يتكلم ليعبر عن مفاهيم وافكار ولم يتكلم لانه كان له شيء يجب ان يقال بل على العكس لقد فهم وفكر وافهم لانه تحدث حيث ان ما راج فى خاطره قبل ان يتكلم لم يكن فى شكل أولي يرمي الى قصد وانى له ان يقصد الافهام قبل ان يحصل عنده فهم هو نفسه ؟

ان التفكير واللغة : وجهان لواقع واحد ، ان الجد الاول للانسان لم يعبر عما فكر فيه لانه كان يفكر بل فكر لانه تكلم وهو لم يتحدث الا بعد ان انتهى من الحركة ، فللافعال اى ما يقابل الاسماء الاسبقية والمكان الاول والافعال آخر ما يضيع من الذاكرة ، ان اللعب وهو عمل جماعي من أول الحركات التي يقوم بها الطفل فكل لعب فى الحقيقة ملاعبة ، وأداة اللعب بالنسبة للصبي غالبا ما تكون : هو من يلعب معه من اقرانه او من الكبار ، فالاتصال الاولي بين الصبي وعالم الاحياء هو الثدي وعند الفطام تلهيه بثدي لا لبن له أو بأشياء جامدة . فاللعب عالم مصطنع بين الواقع واللاواقع اى حركات رامزة يتعدى الرمز عند الطفل دور الوساطة ويصبح غاية فى ذاته ، نعني أن الرمز فى الشعور كأنه الواقع ويصير الواقع شيئا أجنبيا (5) .

وان اول اداة للتعبير اخترعها الانسان هي الآلة مثل : الحجر والعصا وهذه الأدوات ان هي الا أفعال مجسمة : فالمفعول شيء مشترك بين الانسان والحيوان ، يقلع « الشمبانزي » غصنا من الشجرة ليستعمله كما يستعمل الانسان : العصا ، لكن الفرق هنا هو ان القرد يستعمل آلته فى الحالة الحاضرة فى حين ان الانسان يخلق بينه وبين الآلة صلات يملكها فيقول : هي لي . هي لك . هي لنا . فيدخرها ثم ينقحها ويطورها ومن هنا يكسبها معاني جديدة وكرد فعل لذلك تكسبه هى بدورها كلمات جديدة افعالا واسماء « فهناك « دياليتيك » للتطور الانساني فى علاقاته بالادوات ، يؤثر بها ثم فيها ، وهي بدورها تؤثر فيه ، فالانسان يتطور بقدر ما يطور أدوات العمل .

فالانسان يمتاز عن الحيوان فى علاقاته بالآلات فى كونه يستعملها ، وقد استعملها أمس ويستعملها الآن ، ويحتفظ بها لما بعد وبمجرد ما أصبحت الآلة مصاحبة للانسان متصلة بالتاريخ تكونت حولها ، عادات جماعية نعني اعرافا تقنية تتوارثها الأجيال «صنع الآلة وكيفية استعمالها واصلاحها» والاستعمال مجموعة عمليات تنشأ عنها نتائج يرجوها العامل لفائدة مباشرة او للمبادلة اي الآلة اول واسطة بين الانسان والعالم ، بين الانسان والمجتمع ، فاللغة لا تنتعش الا فى البيئات الفنية بالآلات ، بالاشياء المصنوعة والمكتشفة ، لان كل لغة انما هي أدوات حضارية وان الجد الاول للانسان ، قد استعمل العصا فى الصيد ، وقلد صوت الحيوان ثم تلفظ بمسميات للعصا وللصيد وللصوت وللطير ، فالحياة تدور حول اشباع الحاجيات ، هذا الاشباع يدفع الى العمل والعمل يدفع الى اكتشاف الآلات او الى صنعها ثم ترقيتها .

هكذا تكثر الاتصالات المجتمعة حول اعمال مشتركة فتتجلى مختلف التعابير من علامات واشارات ولغات ورموز .

من هذا التحليل نصل الى اصل المعرفة واصل الاحداث التاريخية واصل المجتمع الانساني ، وبالتالي هنا : يبدأ التفكير الفلسفي : ان الفلسفة بطبيعة وظيفتها تشتغل بمعرفة الانسان والعالم وعلاقاتهما ، فهى تبحث فيهما ، والبحث حديث ، والحديث نقاش كلامي ، والانسان هو الحيوان الذي يتكلم اى يصنع العالم بالالفاظ فتصبح كل لفظة اما مفتاحا لفهم أو اداة مواصلة واتجاه واما تحديدا لسلوك فردي أو جماعي، فالكلمات كالأوراق النقدية والأسلحة أو الخاتم السحري » يكفيه ان ينطق ليحدث شيئا فى شعوره ورد فعل فى شعور الآخرين ومن هذا التجاوب

الشعوري ينتج صدى ، يحرك الطبيعة الخارجية . فالكلام خلاق ، ان الكلمة الواحدة تحدث احيانا فسادا واحيانا اصلاحا ، واذا لم يتسبب عنها شيء محسوس عند المتكلم ، ربما حصل ذلك عند المستمعين او عند متكلم آخر مرة اخرى فالكلمة كالدرهم الذي يحتفظ بقيمته التداولية ، سواء انتقل الى بائع والى مشتر او لم ينتقل ، « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة » فالبحث فى الكلمات من حيث تركيبها المادي، ومدلولاتها المحسوسة وآثارها النفسانية : يلتقي فى ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الانسان وحول المعرفة ومن هنا كان التأمل فى اللغة فلسفة وعلما وبما ان اللغة حركات وعلامات واشارات ورموز ، اتخذتها الفلسفة واتخذها العلم اداة للتعبير هكذا نرى اللغة فى نفس الوقت مادة للبحث واداة له اذ انها تأمل ينعكس على ذاته .

واللغة ليست شيئا خاصا بفرد بل ملكا مشتركا انها « بين » بين المرء وشعوره وبين الشعور كحالات واحساسات وبين ابرازها كاحداث ، بين المعنويات والماديات ، بين الأنا والآخرين ، بين الانسان والعالم .

اللغة هي الواسطة العظمى والصغرى ، فى الغياب والحضور ، فيما كان وفيما هو كائن ، وفيما سيكون .

اللغة تعبير « الأنا » ونداء للآخرين اي دعوة ودعاء فالمرء يعطي كلمة « الشرف » فيلزمه الكلام امام نفسه وامام المجتمع ، ويقيد سلوكه ، ويفرض عليه مسئولية ، ورجل لا كلمة له رجل ينقصه الضمير نعني ان انسانيته غير كاملة ، فالكلام يرتفع من حركة التعبير الى مستوى العناصر « الانطولوجية » وربما استطعنا ان نقول : الانسان جسم وروح ولغة (6) .

بعد هذه الفذلكة الفلسفية فى الكلمة والمفهوم والتعبير ، نعود الى جوانب هامة من اللغة لها ثقلها فى الموضوع فاذا اردنا ان نعرف اهداف اللغة المكتوبة والمتكلم بها قال عنها ابن جنى فى الخصائص والجرجاني فى التعريفات : انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم وجدنا انها :

1 ـ اداة التفكير الانساني فالقاموس اللغوي الذاتي يشكل الى درجة كبيرة طبيعة التفكير واتجاهه.

2 ـ نقل الافكار والمشاعر من انسان الى آخر .

وهذان الهدفان ينبعثان من ذات الانسان كوجود مستقل ، ويتجهان اثر ذلك اتجاهين متضادين احدهما: الى خارج ذات الانسان يقوم بعملية نقل الافكار والمشاعر ، والآخر الى داخل ذات الانسان حيث يشكل طبيعة التفكير ونوعيته ، وكمحصلة لهذين الهدفين اللذين ينبعثان من ذات الانسان ينشأ الهدف الثالث وهو الهدف الاجتماعي والترابط الانساني والتفاهم البشري (7) .

وقد لخص العالم العلامة « اولبرت » وظائف اللغة الاجتماعية فقال :

1 ـ انها تجعل للمعارف والافكار البشرية قيما اجتماعية بسبب استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على افكاره وتجاربه .

2 ـ وانها تحتفظ بالتراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل .

3 ـ وانها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد ، تعينه على تكييف سلوكه ، وضبطه حتى يلائم هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه .

4 ـ وانها تزود الفرد بأدوات التفكير وما كان المجتمع البشري البصير الى ما هو عليه الآن بدون التعاون الفكري لتنظيم حياته . ولا يتأتى هذا التعاون الفكري الا بالتفاهم وتبادل الافكار بين افراد المجتمع ، والوسيلة العملية الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هي : لغة الكلام ، وبدونها ينحط التفاهم الى مستوى التعبير عن المدركات المحسوسة والانفعالات الأولية (8)

فاللغة اهم مظهر لوجود الجماعة ـ والمحافظة على كيانها واذا تدرجنا الى مستويات المجتمعات الحضارية نجد ان اللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات هذا المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادىء تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والافعال وعناصر الوجود المختلفة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك يدل على هذا الشيء او الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ اللغوي دوره كرمز مشترك متفق عليه من كافة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

فاللغة باعتبارها شرطا ضروريا لتماسك المجتمع انما تقع فى كونها من جهة ضربا من السلوك البيولوجي الخصيص بأدق المعاني ناشئا تلقائيا من المناشىء العضوية الاولى ، وفى كونها فى الوقت نفسه من جهة اخرى تضطر الفرد الواحد من افراد الناس ، ان يلتزم بوجهة نظر سائر الافراد الآخرين وان ينظر الى الأمور وان يجري عليها البحث من زاوية لا تقتصر على فرديته الذاتية وحدها ، بل تكون مشتركة بينه وبينهم

باعتبارهم شركاء او اطرافا متعاقدة وان شئت فهي مشروع مشترك – لا شك – قد يكون عنصرا من عناصر الوجود الفعلي الذاتي هو الموجه ، والهدف لنشوء اللغة ، ولكن الذي لا شك فيه ايضا انها تهم اول ما تهم شخصا آخر هو المستمع أو اشخاصا آخرين يوجه اليهم المتكلم الحديث فوسيلة التفاهم بين المتكلم والمستمع تقيم شيئا مشتركا ، ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من هذا الاشتراك تصبح عامة وموضوعية (9) .

واذا اردنا ان نعرف اللغة تعريفا جامعا مانعا – كما يقول علماء المنطق والاصول – على ضوء تحديد ماهيتها فاننا نجد ذلك فى منتهى الصعوبة ولو تحقق الوصول الى تعريف جامع مانع فسنجد اننا انتهينا الى نص لا يمكن ان يكون تعريفا ابدا لان تعدد مظاهر اللغة، من صوتية الى كتابية الى اشارية حركية الى اشارية ضوئية ، الى لغة باللمس على طريقة المكفوفين ، الى غير ذلك ، لا بد ان يفرض على نص التعريف الذي نحاوله أن يطول حتى لا يعود تعريفا اذ يصبح وصفا مسهبا لعدة امور كل منها « لغة » ويبقى بعد ذلك ان يلجأ العلماء فى تعريف اللغة الى بيان وظيفتها (10) .

وقد قال فى محاولة التعريف بعض العلماء : ان اللغة وسيلة لايضاح الافكار وقد رد العالم « تاليران » على ذلك ، بأن اللغة وسيلة لاخفاء الأفكار لا لايضاحها

وقد قال علماء آخرون : ان اللغة وسيلة للتعبير. وقد اعترض على هذا التعريف بأن المرء قد يتكلم الى نفسه احيانا ، حتى لا يكون بحاجة الى التعبير عن افكاره اذ يكون قد عرفها فعلا وادركها ادراكا اعمق مما تستطيع كلماته ان تعبر عنه .

وقال بعض العلماء : ان اللغة افراز حركي ضروري للفرد ، وصالح لأن يكيف بالكيفيات الاجتماعية ، وبهذا يمكننا ان نفسر كلام المرء الى نفسه وكلامه الى صاحبه .

وقال هنري دولاكروا : اللغة هي دالة الفكر .

والحقيقة ان اللغة فى عمومها ذات وظيفة هامة جدا ، يمكن ان تلخص فى أمرين :

1) امر فردي : هو قضاء حاجة الفرد فى المجتمع .

2) امر اجتماعي خالص : هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية ، فاما بالنسبة للشق الاول من وظيفة اللغة فواضح ان طبيعة التخصيص تبدو فى وظيفة كل فرد بحيث لا يمكن أن يكون خبازا ونساجا وحدادا ونجارا وصيادا فى وقت واحد .

ومن هناك كان على الفرد ان يعتمد فى اموره على غيره من اصحاب هذه المهن وان يتصل بهم ، لقضاء حاجاته ولا سبيل الى هذا الاتصال ، ولا الى قضاء الحاجات الا بواسطة التفاهم ولا بد للتفاهم من لغة . ولو راقب المرء نفسه يوما واحدا فى حقل الاستعمال اللغوي ، لراى كيف يعتمد وجوده الى حد كبير على وجود اللغة بل ان مصالح الانسان قد تتوقف على حسن استخدامه للغة لا على مجرد الاستخدام .

واما الشق الثاني من وظيفة اللغة : وهو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية .

فان اللغة اصل وجذر لكل ما يمكن ان نتصوره من عوامل تكوين المجتمع ، كالتاريخ المشترك والدين المشترك والادب المشترك والفكر والاحساس والارادة والعمل المشترك اذ لا يقوم شيء من ذلك بدون اللغة وكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، او دين بلا لغة او فكر بدونها او احساس لا يترجم عنه بها ، بعد أن يتم تكوينه بواسطتها او ارادة تقوم بغيرها ، او عمل يتحقق بعيدا عنها ، ان الشركة فى كل اولئك هي الحياة الاجتماعية ولا تتم هذه الشركة بدوناللغة (11).

ويعتبر بزوغ اللغة وبروزها الى الوجود اثناء عملية تطور البشر وارتقائه من المظاهر القائمة التي تمتاز بما لها من اهمية وخطورة بالغتين . وذلك ان الوسيلة الوحيدة الفعالة التي نتمكن بها من ادراك معنى الحياة وتوضح معالمها ونعت مظاهرها هي اللغة ، فمهمة اللغة هي تمثيل العالم على مرآة تعكسه وفلسفة اللغة تنطوي على انعاشها وتنسيقها بحيث تصبح مطية للمعاني ، ووسيلة للاتصال والتفاهم ، ورمزا للحقيقة وشارة للواقع .

فاللغة مجلى للفكر وترجمان له (12). وهيسبيلنا الى استكشاف جواني الامة التي تتكلمها واستكناه خصائص روحها التي تكمن وراء برانيها (13) .

ومما يذكر ان انظار العلماء والباحثين اختلفت فى تعريف جامع مانع للغة طبقا للمناهج التي يدرسونها . ولذلك نرى فريقا يعرفها على أساس عقلي او نفسي ويمثل هذه المدارس ذلك التعريف الذي يقول ان اللغة استعمال رموز صوتية ، للتعبير

عن الافكار ونقلها من شخص الى آخر ومن مؤيـــدي هذه المدرسة العالم الامريكي : سابير .

وينظر علماء المنطق والفلسفة الى اللغة باعتبارها الوسيلة للتعبير عن الافكار فيقول الاستاذ « جفونز » فى كتابه « مبادىء دروس المنطق » : ان للغة ثلاث وظائـــف :

أ — كونها وسيلة للتوصيل .

ب — كونها مساعدا آليا للتفكير .

ج — كونها اداة للتسجيل والرجوع .

وينظر علماء المجتمع الى اللغة باعتبار وظيفتها فى المجتمع فيعرفها العالم اللغوي الامريكـــي « ادجـــار ستيرتفنت » بأنها : نظام من رموز ملفوظة عرفيـــة بوساطتها يتعاون ويتعامل اعضاء المجموعة الاجتماعية المعينـــــة .

ومن التأمل فى هذه المجموعة من آراء العلمـــاء يتبين ان تعريف علماء النفس والمنطق يهـــدف الى ناحية واحدة لا يتفق والمطلوب من اللغة فى المجتمع الانساني لانها لا تقف عند حد التعبير عن الافكـــار ، وتوصيلها الى الاذهان كما يقول علماء المنطـــق ، لان ذلك يقصر وظيفة اللغة على طبقة من الناس وهم اهل الفكر حال اشتغالهم بأمور فكرية .

ولا يمكن ان يقال ان اللغة اداة لنقل الافكـــار ، وانما هي وسيلة للتعاون والترابط بين أفراد المجتمع ، فاننا نتبين كثيرا من الناس يتكلمون فى موضوعـــات وليس يعنيهم نقل افكارهم الى غيرهم وانما يكـــون القصد من حديثهم الترفيه والتسلية او النظـــر فى امور تخصهم فى ادارة شؤونهم وبذلك يبدو ان راي علماء المجتمع بتعريفها تعريفا يتناسب مع وظيفتها فى المجتمع هو خير ما تعرف به اللغة ، واذا كان ذلـــك صحيحا ، فينبغي ان نشير الى تعريف الاقدمين للغة وهو انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (14).

وهذا التعريف ذكره الجرجاني فى التعريفات ، وابن جنى فى الخصائص وابن منظور فى اللســـان ، ومن الملاحظ ان هذا التعريف ، قد تمشى مع وجهة علماء المجتمع تمشيا دقيقا لان الاصوات ما هـــي الا الرموز الصوتية التي تنبىء عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج اليه انسان فى حياته سواء كان احتياجـــا عاديا كشؤون الناس ، فى حياتهم المتمشيـــة مـــع احتياجاتهم فى كل اوقاتهم ، ام كان احتياجا ضروريا كاحتياج الباحث للتعبير عن افكار القائمة بنفســـه لتوصيلها الى اذهان الدارسين .

وان اللغة ذات اثر قوي فى حياة المجتمع الانساني لانها السبيل لفهم الاشياء المحيطة بالناس والطريق لارتباط أفراد المجتمع بعضهم ببعـــض ، والموصـــل للافكار القائمة بالاذهان والمهيئة لرقي الامم فى شتى نواحيهـــا (15) .

وقال العالم « جون لوتز » : الوجود البشـــري ملتحم باللغة ، فاللغة ظاهرة انسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس فى كل لحظة وترافق المجتمعـــات فى اطوارها التاريخية المتلاحقة فيصيبها ناموس التغير الحتمي الذي يجعلها اداة صادقة للتعبيـــر ، باللفظ والرمز والايحاء عن حياة المجتمعات العقلية والحسية ومعيارا دقيقا لرقيها وانحطاطها فى ميدان الثقافـــة والعلم والحضارة .

واللغة لذلك لا تعرف التحجر ، وهي قادرة على العمل قدرة كاملة وهي لا تفتأ تتغير شكلا ومبنى تتغير حروفها واصواتها او صيغتها وبناؤها او من ناحيـــة معناها ، فقد تنقل الكلمة من معنى الى آخر او تضيف الى معناها معنى آخر جديدا دون ان تترك الأول .

وان تطور لغة ما مرتبط بتطور الاقوام التـــي تنطق بها واللغة والتطور عنصران مترابطان وهما سمة المجتمعات منذ اقدم العصور ولا سبيل الى تفضيـــل لغة على اخرى وانما يكون التفاضـــل بين الوسائـــل المتبعة لتنمية اللغات واغناء تراثها التعبيري .

الامة ابدائية حتما لغتها بدائية وغير مصقولـــة ومفتقرة الى عديد من الالفاظ التي تؤدي المعانـــي الحسية والمجردة ؟ فهي تقتصر على التعبير عن تفكير هذه الامة ووسائلها الثقافية المحدودة وكلمـــا ازداد تفكير المجتمع اتساعا ، وثقافة ونموا تطورت لغتـــه وازدادت قدرتها على التعبير واعطاء كل سمة لفظـــا مناسبا ، ان اللغة تمنح الانسان بالاضافة الى وراثتـــه البيولوجية خطا آخر للاستمرار يجعل الثقافة وتراكم المعرفة امرا ممكنا ، وقد أتاح العلم الحديث للغـــة ممكنات ووسائل متعددة للتعبير عن دقائق الاحكـــام العقلية فى صورها النظرية والتطبيقية كمـــا اتـــاح للالفاظ المعنوية المجردة انطلاقات جديدة مالت بهـــا نحو وضوح اكثر وتخصيص ادق ، واصبحت الكلمات بفضل تقدم الادب والفنون ، غنية بالايحاءات التـــي

تعمقت اغوار النفس البشرية حتى صار عدد من الفاظ اللغة : عالما من الاشارات والرموز المعبرة عن ادق المعاني المجردة واعمقها (16) .

وشواهد الماضي وتجارب الحاضر في الشرق والغرب تثبت في وضوح ان اللغة على الاطلاع هي أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين اهلها حتى لقد ذهب العالم اللغوي « ادوارد سابير » الى ان اللغة هي على الأرجح ، اعظم قوة من القوى التي تجعل الفرد كائنا اجتماعيا ، ومضمون هذا الرأي أمران : الاول ان اتصال الناس بعضهم ببعض في المجتمع البشري ، لا يتيسر حصوله بدون اللغة . والامر الثاني : ان وجود لغة مشتركة بين افراد قوم او امة من شأنه ان يكون هو نفسه رمزا ثابتا فريدا للتضامن بين افراد المتكلمين بها (17) .

وقال الفيلسوف « فشته » : ان اللغة تلازم الفرد في حياته وتمتد الى اعماق كيانه ، وتبلغ الى اخص رغباته وخطراته انها تجعل من الامة الناطقة بها كلاما متراصا خاضعا لقوانين . انها الرابطة الوحيدة الحقيقة بين عالم الاجسام وعالم الأذهان (18) .

ولنتعمق في مفهوم اللغة فاذا هي اهم واعز ما ملكته النفس البشرية من حيث جريانها في عروق الانسان مجرى الدم ، حتى أن كل تعد حيالها يعتبر تعديا حيال الشخصية الانسانية ، وهناك من الفلاسفة علماء اجلاء حاولوا تفسير اللغة باصطلاحات فلسفية دقيقة فمن قائل : انها ليست الا مجموعة اختلقها الفكر البشري وامكن تعديلها حسب المباديء الموضوعة من قبل وقد بذلت جهود جبارة في سبيل ابداع لغات مصطنعة الا انها باءت بالفشل كما شهد بذلك تاريخ الانسانية وكثير من علماء اللغة ، يرون ان نشاة اللغة وازدهارها راجع الى العواطف الانسانية وهذا هو الاقرب الى الصواب ، لان اول مدرسة يرى فيها الطفل هي : مدرسة الامومة وفيها يرضع الطفل من امه اللغة كما يمتص خصائصها الذاتية تماما بتمام .

ويمتاز لسان الانسان بقدرته على التعبير عن الاحاسيس والمشاعر تعبيرا ذا قوة ودلالة ، والفكر الانساني له الاهمية العظيمة في سبيل تقدم اللغة ونموها وازدهارها . فاللغة هي الصق الاشياء بالانسان واعسرها انفكاكا عنه ، وهي الرابطة التي تربط بين انسان ومعاني الحياة والكون والمجتمع .

جاء في « الأبنيشد (19) (*) » ان لم يكن النطق موجودا لم نهتد سبيلا الى معرفة الحق ولا الباطل ولا الصدق ولا الكذب ، ولا الفرح ولا السرور ، والفضل لفهمنا لمعنى هذه المظاهر وادراك مفهوم هذه المشاعر يرجع الى النطق ولذلك حق لنا ان نتبصر في النطق ونتعمق فيه (20) .

وقال العالم الهندي « همايون كبير » لعمري ان ذلك – النطق – من الآلاء التي خصص الله بها الانسان دون سائر خلقه من انه يقدر على تحليل الموقف وتفكيكه ، فاقتباسه منه النتائج المتعة ثم تطبيقها في ظروف اخرى ملائمة حيث دعت الحاجة الى ذلك . ولا شك ان معظم الفضل في ذلك عائد الى لسان الانسان ، وان التقدم في اللغة يدل على مدى التقدم الذي احرزه المجتمع او افراده ونخرج من كل هذا الى ان اساس اللغة ينبعث عن التأثيرات العاطفية وتقدمها ورقيها ، ويرد الى التفسح في الفكر وتغلب البشر العلمي على العالم ، الا انها قد تتسامى فتجاوز حدود العواطف والفكر كليهما ، حيث انها تنشيء رباطا يربطها فترتد وسيطا ومحيطا معا وهي ولا شك اوسع نطاقا وافسح مجالا فان الكل في مجموعه أوسع واكبر من اجزائه (21) فاللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات المجتمع أى مجتمع وهي مشروع مشترك قد يكون عنصر من عناصر الوجود الفعلي الذاتي هو الموجة والهدف لنشوء اللغة واللغة تهم أول ما تهم شخصا آخر هو المستمع ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من اشتراك يربط بين المتكلم والمخاطب تصبح اللغة عامة وموضوعية .

واللغات في تصنيف بعض علمائها تنقسم على حسب الاجناس والسلالات التي تتكلمها ولكنه تقسيم يعتريه الاختلاط لاشتراك الامم في لغة واحدة او عائلة لغوية واحدة مع انتمائها الى اصول متباعدة وخير منه ان نقسم اللغات على حسب تكوينها وتكوين قواعدها ، وعوامل التصريف في مفرداتها وتراكيبها ، وهو تقسيم يضبط الفوارق ضبطا كافيا للموازنة بينها والمقابلة بين عوامل الفهم والاختيار وعوامل التقليد والاضطرار في تراكيبها وتعبيراتها .

وتنقسم اللغات من حيث التكوين : الى لغات النحت ولغات التجميع ولغات الاشتقاق ، فلغات النحت هي التي تتكون فيها الاسماء والافعال والصفات

(*) الابنيشد : مجموعة كتب هندية في الفقه الهندوسي .

بادخال المقاطع الصغيرة او الحاقها بها ، وتسمى لغات النحت احيانا باسم اللغات الفروية فى اصطلاح الاوربيين Agglutinating لان مفرداتها تلصق لصقا لتنويع معانيها ، كما نلصق أدوات البناء بالغراء .

ولغات التجميع هي : اللغات التي تعتمد على اللصق كما تعتمد عليه اللغات الفروية ولكنها تعتمد قبل ذلك على « التنغيم » لتنويع المدلول ، والتمييز بين الصفات والظروف وبين الاوقات والاجناس ، وغيرها من معاني الجمع والتثنية والافراد وقد تسمى لغات التجميع احيانا باللغات المنفصلة Isolating لأن الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغير حروفها وانما يتغير المعنى بضم صيغة منها ، الى صيغة أخرى بترتيب متبع او بغير ترتيب يلتزم فى جميع الاحوال ومن فروع هذه اللغات ما تتكون اسماؤه وافعاله من جملة تتألف من عدة مقاطع واجزاء وتسمى لذلك بلغات التركيب الكثير Polysynthetic اما لغات الاشتقاق فهي اللغات التي يعم فيها الفعل الثلاثي فى كل مادة وتجري قواعد الصرف فيها على المخالفة بين الاوزان بحسب معانيها ويكثر فيها اختلاف الحركة ، فى أواخر الكلمات اتباعا لموقعها من الجملة المفيدة .

ويشيع النحت فى اللغات الهندية الجرمانية كما يشيع التجميع فى اللغات المغولية ولغات القبائل الامريكية الاصيلة ، اما الاشتقاق : فهو من خصائص اللغات السامية وتكاد اللغة العربية من بينها ان تنفرد بعموم الاشتقاق واطراده مع تحريك أواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل المفيدة .

وربما اتفق اللغويون على قواعد عامة ، عملت فى تطور هذه اللغات جميعا ولم تختص لغة دون سائرها ومن هذه القواعد العامة أن الكلمات الانفعالية التقليدية، اسبق من الكلمات الارادية الفكرية ويريدون بالكلمات الانفعالية ما يصدر عن الانسان عفوا من الاصوات والصيحات التي تعبر عن الفرح او الفزع او الدهشة وما تكون الكلمة منه احيانا من قبيل المحاكاة الصوتية Onomatopoeia كاسم البلبل والكوكو والفاظ الدق والقطع والوسوسة وما جرى مجراها .

ويريدون بالكلمات الارادية الفكرية كل ما يقصده المتكلم ويجري فيه على القياس والاستعارة واطلاق القاعدة الواحدة على المتشابهات لفظا او المتشابهات لفظا ومعنى .

واكمل اللغات على سنة التطور والتقدم تلك اللغات التي انتظمت قواعدها الصوتية Phonologic وقواعدها الصرفية Morphologic وقواعد التركيب والعبارات .

ثم يضاف الى الظواهر الصوتية فى قياس تطور اللغات ظاهرة التميز والتخصيص فى الصفات اجمالا وفى المفردات على التعميم كالتمييز بين المذكر والمؤنث والجماد ، وبين المفرد والمثنى والجمع ، وبين جمع القلة وجمع الكثرة وبين الصفات العارضة والصفات اللازمة وهي جميعا من المزايا التي تمت للغة العربية على مثال لم تسبقها اليه لغة من لغات الحضارة .

فقيام اللغة على القواعد الفكرية دليل يثبت لها السبق على لغات الارتجال الجزاف ، فى وضع الكلمات ، سواء بالمحاكاة الصوتية ، او بالتكرار على غير قياس وشيوع القاعدة فى فعل كل مادة وفى الاسماء والصفات منها دليل على سبق التفكير فى التعبير ، وتعميمه على الاحداث والمعاني غير موقوف على اصوات الانفعال والمحاكاة ويتبع ذلك شيوع الاستعارة وامكان الجمع بين الوضع الحقيقي والوضع المجازي فى كلام المتكلم لتوسيع المعاني وبناء الكلمات على المضاهاة بين المدلولات (22) .

وعلماء اللغات : صنفوا اللغات وبوبوها وحللوها فوجدوا بينها اشباها ، استطاعو بناء عليها ان يصنفوها ثلاثة اصناف على قدر الامكان وهي صنوف ليست متميزة بعضها عن بعض كل التميز ، ولا متفاصلة كل التفاصل .

1 ــ الصنف الاول : اللغات العازلة : وهي لغات فيها الكلمة الواحدة غير متغيرة لا تشتق منها كلماتها : انها اسم وفعل وصفة وظرف ، فى آن واحد واكثر هذه اللغات كلماتها ذات مقطع واحد ، واكثرها عندها للكلمة الواحدة اكثر من صوت واحد ، تنطقها نغمة عالية او تنطقها نغمة منخفضة او تنطقها متطاولة او تنطقها متقاصرة ولكل من هذه الانغام للكلمة الواحدة معنى بذاته .

وتتعدد الانغام وتختلف ، فاللغة الصينية الكنتونية بها ست نغمات وكذا السيامية ، اما لغة برما فلها نغمتان . ومن اللغات العازلة Isolating اللغات الصينية التبتية ، ومن اللغات العازلة كثير من لغات افريقيا ، وهي تبلغ ما بين خمسمائة الى سبعمائة لغة .

ومن اللغات الهندية الاوربية ـ وهي غير عازلة ـ لغات مالت الى هذا المزاج العازل بعض الشيء لا سيما الانجليزية ، مثال ذلك لفظ Light انه اسم وفعل وصفة : النور أو ينير أو منير ويفرق بين المعاني الثلاث موضع اللفظ من الجملة اى السياق .

2 ـ الصنف الثاني اللغات اللاصقة وهي التي تؤلف الكلمات فيها باللصق فيتغير معناها ويتبدل واللصق يكون باضافة مقطعين بعضا الى بعض فتكون كلمة لها معنى جديد، او قد تصنع الكلمة من اكثر من مقطعين . وهذا الصنف اللاصق Agglutinative من اللغات هو اكثر الصنوف الثلاثة فى اللغات عددا ، وهو يتضمن اللغة السومرية القديمة ولغة أورال والقوقاز واللغات الدرفيدية واليابانية والكورية ولغات المحيط الهادي واللغات الافريقية واللغات الوطنية لمواطني امريكا الاصليين .

3 ـ الصنف الثالث : اللغات المتصرفة وهي اللغات التي تدخل كلماتها التصريف ، فالكلمة يتغير بناؤها فتدل على جديد ، كتب ، يكتب ، كاتب ، مكتوب ، كتاب ، اكتب . وما الى ذلك ، ويدخل فى هذا الصنف اللغات الهندية الاوربية وكذا اللغات السامية ومنها اللغة العربية وكذا الحامية ويلاحظ ان بعضا من هذه اللغات المتصرفة Infectioned ما يضيف الى الكلمة مقطعا تصدر به الكلمة فيتغير معناها Prefix اى سابقة ، او مقطعا تذيل به الكلمة فيتغير معناها Suffix اى لاحقة او كاسحة وهذا من صفة اللغات اللاصقة ، لا « المنصرفة » ومعنى هذا ان اللغات قد لا تكون لاصقة خالصة او متصرفة خانصة ومثال اللغات المتصرفة التي مالت الى اللصق اللغة الانجليزية فنقول : Hope ومعناها « الرجا » ونقول Hopeful ومعناها « ملىء بالرجاء» ونقول Hopeless ومعناها « لا رجاء فيه ، ونقول Sense ومعناها « معنى » ونقول Nonsense ومعناها « لا معنى له » وهلم جرا .

واللغات من حيث مرونة نظام ترتيب الكلمات وعدمه تنقسم الى ثلاثة اصناف :

1 ـ اللغات الحرة : وهي اللغات التي لا يخضع نظام ترتيب الكلمات فيها الى قواعد لازمة كالاغريقية واللاتينية بل تحدها قوانين الاسلوب والمفاضلة بين اسلوب وآخر وتخصيص اسلوب معين بمجال من القول لا يصح معه استعمال غير هذا الاسلوب أو هذا الترتيب وعليه فمثل هذه اللغات لا تخضع لنظام لازم فى ترتيب الكلمات ، تأليف الكلام ، وانما يفاضل بين نظام ونظام من حيث البلاغة ، ويخصص نظام بمجال يختلف عما يخصص للمجال الآخر من دون ان تكون هناك قواعد لازمة .

2 ـ اللغات المستقرة : وهي اللغات التي تتبع فى ترتيب الكلمات لتأليف الكلام نظاما مستقرا كالانجليزية والفرنسية استقرارا يكاد يقرب من الجمود فليس للمتكلم باحدى هاتين اللغتين ان ينتقل بالكلمة من مكانها المعين فى الجملة . واللغات غير المعربة غالبا تتصف اكثر من اللغات المعربة بصفة الاستقرار فى نظام ترتيب الكلمات ليمكن تبين العلاقة والصلة بين الكلمة والتي تليها فللفعل موضع وللفعل آخر وللمفعول ثالث وهكذا .

3 ـ اللغات الوسط : وهي اللغات التي لا يكون نظام ترتيب الكلمات فيها حرا ، كما فى اللغة الاغريقية واللاتينية ولا مقيدا ثابتا ، كما فى اللغة الانجليزية والفرنسية ومن هذه اللغات الوسط اللغة العربية اذ ان نظام ترتيب الكلمات فيها على ثلاثة اضرب ، احدها : ما عينه الواضع وحكم به على سبيل الوجوب فيعد مخالفة مخطئا ويخرج الكلام الخالي من مراعاته عن الاسلوب العربي كتأخير التمييز عن المميز ، والمضاف اليه عن المضاف ، ثانيهما : ما عينه الواضع ايضا ولكنه قضى به على وجه الاصالة واعتبار ما هو الاولى ولا تخرج العبارة بمخالفته عن حدود العربية كتقديم اسم من مصدر الفعل على اسم الذات الواقع عليها والبحث عن اسرار ما كان من قبيل هذين الضربين مثبتا فى مدارج علم النحو ، ثالثها : ما لا يقتضيه الوضع على التعيين وجعل امره دائرا على رعاية ما يناسب المقام وتعينه بحسب التراكيب المخصوصة موكول الى المعية المتكلم وحسن تصرفه كتقديم المفعول على الفعل لافادة اختصاصه به وعدم تعلقه بغيره والبحث فى هذا القسم ووجوهه المناسبة متدرج فى موضوع علم البيان (24) .

وقديما كان مسلك اللسانيات ، تشبيه الكلمات مع الأخرى يلاحظ بلا نظر الى السلسلة التاريخية وأسباب التطور التي وقعت في مضي الزمن وغيرت مظاهر اللغات . لكن العلم الجديد يعتبر تطور الاصوات وأسبابه بين اللغات المختلفة لأجل تقريبها وتصنيفها. التشابه الظاهري وحده لا يدل على قرابة اللغات فقط، انا اضرب مثلا واحدا واعتقد انه يقنع في هذا الصدد والكلمة الفرنسية Larmes الدموع ، والكلمة الالمانية Zahre لا تتشابهان مع انهما من أصل واحد وتطورت الاغريقية واللاتينية Dakinuma عبر القوطية والالمانية القديمة الى جديدها ، وعلى هذا المسلك ضبط اللغويون أسر اللغات الى الآرية واورال تارة والى السامية تارة اخرى .

واللغات الآرية منحدرة اصلا من اللغة الهندية السانسكريتية ولذلك تسمى احيانا الهندية الآرية ولهذه العائلة ميزة خاصة جديرة بالملاحظة الا وهي فقرها بالافعال .

وقد يبدو هذا الراي لاول وهلة غير منطقي فيتساءل البعض كيف تستطيع تلك اللغات الآرية أن تعبر عن جميع أساليب الافعال ، والجواب بأنها تستطيع ذلك ولكن باستعمال حروف مستقلة لكل منها صوت وتكوين مختلف تربط بعضها وساطة مقاطع شتى تكتب امام أصل الفعل وقد امتازت اللغتان اليونانية واللاتينية القديمتان بمعين لا ينضب من الكلمات ، اشتقت منها جميع المصطلحات العلمية في الحياة الحديثة مع فقرهما في الافعال وكيف حدث ذلك ؟ لنورد الآن مثلا :

فكلمة نفخ باللاتينية Spirare قد اضيف أمامها مقطع Con ، ومعناها يساوي الحرف « مع » فأصبحت Conspirare نفخ معه يعني : مؤامرة وإذا أضيف امامها مقطع In ومعناها يساوي الحرف « في » أصبحت Inspirare ومعناها « الهم » . وإذا أضيف امامها مقطع Ad يعني « الى» أصبحت Adspirare يعني طمح . هكذا يمكن استنباط كلمات كثيرة من أصل واحد واللغات المنحدرة من اللاتينية : الطليانية والفرنسية والاسبانية وأخرى ورثت هذا النظام اللغوي (25) .

نسأل الان : لم كانت أسباب اختلاف اللغات المنحدرة من أصل واحد ، وجوابنا انه يرجع الى تغيير البيئة مع عوامل طبيعية « فيزولوجية » وكثيرا ما ينطق الاحفاد بعض الاصوات بطريقة مخالفة لما فعل أجدادهم واليوم نستطيع ضبط نطق الاصوات بواسطة آلات مدققة مثل الحاكي Grammophone وماغنتوفون .

وعلاوة على العوامل الطبيعية ، وجد عامل تاريخي مؤثر في النطق كاختلاط العناصر والشعوب بعضها ببعض وإذا حللنا أسباب اختلاف اللغات وصلنا : الى نتائج طريفة فاللغات الهندية الآرية ذات الفروع المتشعبة يختلف بعضها عن بعض الى حد يجعلها تبدو لاول وهلة غريبة بعضها عن بعض .

فاللغة اليونانية القديمة على كراهيتها للحروف الساكنة المركبة واللغات الصقلبية (الصلاوية) ذات الحروف الساكنة المزدوجة والمثلثة منحدرة من نفس الأصوات الآرية .

واللغة الطاليانية ذات النغمات الموسيقية واللغة الالبانية المحشوة ابنتا عمومة ومن اليسير علينا كشف هذه العلاقة في كلمتي Inpret الالبانية و Imperafor اللاتينية .

وما هو السبب الذي جعل تلك اللغات تسير في هذه الطرق المتباينة ؟ اذا عرفنا الظروف المادية التي كانت تعيش فيها الشعوب القديمة استطعنا تفسير هذه الظاهرة .

فالاكتشافات الفنية الآلية ساعدت الانسانية فانقذتها من المضار الناشئة من الطبيعة . لقد كانت الجماعات البدائية اكثر تعرضا لقوى الطبيعة مما نحن عليه حيث نتمتع بالتدفئة المكيفة والمذياع والطيارة النفاثة الى آخره .

واللغات التي انفصلت عن أصلها المشترك في العصور القديمة ما لبثت ان منيت بتغييرات اساسية نشأت عنها لهجات متباينة ، لقد أصدر «دانيال ويبستر» في معجمه العظيم منذ أكثر من قرن حكمه على اللغة الانجليزية فتنبأ أن اللغة الانجليزية في أمريكا ستنفصل عن أمها ـ أي اللغة الانجليزية القح ـ الى حد ان الانجليز والامريكيين سيكتبون ويتكلمون لغتين مختلفتين فلا يستطيعون التفاهم .

بيد أن هذا التنبؤ كان مخطئا ؟ ففي خلال ذلك اخترع البخار والكهرباء والاذاعة وتقدمت الصحافة فربطت بميثاق من حديد ، ضفتي المحيط الاطلسي وما زال الشعبان متفاهمين كسابق عهدهما .

نعم ان بينهما بعض الفروق فى النطق والاسلوب لكنهما نتيجة التطور التاريخي . ويمكن ان نفرض انه لولا المخترعات الآلية لانفصلت امريكا عن انجلترا قبل التاريخ المعروف (26) .

واذا اردنا ان نعرف اصول اللغات وهل هي من اصل واحد أم من اصول متعددة وجدنا ذلك فى منتهى الصعوبة ، فالعلم لم يكشف الآن اصول اللغات الاولى ولم يعرف اي الاصول من اللغات التي توصل اليها أصل الا انه مما لا يسوغ انكاره ان العلم لم يعرف الكلمة الاخيرة فى هذا الموضوع ولعله ياتي بجديد يوصل الى قديم ، ممتدة جذوره فى الماضي السحيق ، ولغات العالم التي هي من أصول غير معروفة نذكرها فيما يلي:

1) السامية وفروعها وهي : العربية والحبشية والحامية والعبرانية والبابلية .

2) الملاى والبولينيز

3) الدرافيدية

4) البنتو

5) الاوربية الهندية وهذه تتفرع الى :

ا ــ الايرانية الهندية وهي : الافغانية الاردو، الهندستانية ، البنغالية ، الكردية ــ السيلانية ، الفارسية ، السنسكريت .

ب ــ السلتية وهي : الويلزية ، الارلندية ، البريتونية .

جـ ــ الالبانية .

د ــ الجرمانية التيتونية وهي : الدنمركية الانجليزية ، والالمانية ، السودية ، الايسلندية ، النرويجية .

هـ ــ البلطيك : وهي : اللثوانية والليتية .

و ــ السلافية وهي : البولاندية ، والروسية، البلغارية ، التشيكية ، السلوفاك ، السلوفين .

ز ــ الارمنية .

ح ــ ا ــ اللاتينية : ب ــالايطالية الرومانية وهي : الرومانية البرتغالية ، الاسبانية، الفرنسية ، الطليانية .

ط ــ اليونانية . هذه هي شجرة اللغات الاوربية الهندية .

6) اليابان : كوريا .

7) الاورال وما اليها .

8) منغوليا .

9) الصين وتبت «الهند الصينية» وهي : الصينية، تيلاندية ، برماوية ، وما اليها (27) .

هذه اصول لغات العالم وهي تعطي فكرة عامة عن عائلات لغات الارض المختلفة وما تفرع منها ، والفرع الواحد يحمل لغات متشابهات .

ولا شك ان جذورا نشأت منها اللغات ، لكن التاريخ طواها وهي اليوم ترقد فى اعماقه يعجز الانسان عن استشفافها وليس للانسان الا الحاضر من هذه اللغات وهذه اللغات الحاضرة انما هي انسال تلك اللغات البعيدة الغابرة والولد كثيرا ما يحمل من اجداده سمات تدل عليهم مهما طال الزمن ، بل كل الكائنات الحية تحمل الخصائص الذاتية لآبائها تبعا لقانون الوراثة مع موافقة قانون التطور العام كذلك اللغات تطورت مع الزمن تبعا للقانون العام ، الا ان الخصائص الوراثية تدل على الاصل أو ترشد اليه .

واللغة تراث اجتماعي يرثه الجيل اللاحق من الجيل السابق فهي تراث اجتماعي تقليدي مورث يرثه ويتطبع عليه ويحاول أن يسير على وفقه كل متكلم لأية لغة او لهجة .

ولما كانت اللغات هي : مجموعة من الرموز الاصطلاحية من حيث المفردات ومجموعة من القواعد النحوية الاتفاقية من حيث ضبط تلك المفردات ومجموعة من النظم الاتفاقية التقليدية ايضا ــ من حيث تأليف وتركيب تلك المفردات ، فهي لهذا لا تخضع لمنطق عقلي عام . لانها اصطلاحية ، اتفاقية ، تقليدية، موروثة او بتعبير آخر : ان اللغة من الامور الاعتبارية والامور الاعتبارية لا يشترط فيها ان تكون عامة بين الناس جميعا الا اذا اتفقوا على ما هو معتبر، اما اذا فقد عنصر الاتفاق اختلف الناس فيما هو معتبر .

وحيث ان اللغة من الامور الاصطلاحية الاتفاقية التقليدية غير المتفق عليها بين الناس لهذا اختلفت اللغات ، فكان لكل لغة مفرداتها الخاصة بها ، وقواعدها ونظمها ، واللغة لشدة التأثير بها والتطبع عليها تبدو

لتكلميها وكأنها من الامور الطبيعية . ويبدو ما يخالفها شاذا غريبا لا يقبلونه الا فى حدود معينة (28) .

النمـــو والتطـــور :

حياة الانسان لا تستقر على حال : علومه تتطور وأفكاره تتسع ، وحضارته تتقدم ، وحياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هي الاخرى تتطور وتتقدم ، وهذا يعني انه فى حياة الانسان الجديد من المعانـي التي تتطلب وضع الفاظ لها ، لهذا يلجأ الانســـان الى لغته ، بمفرداتها وقواعدها ، يستعين بها يضع لهـذه المعاني الفاظا او ينقل الفاظا من معانيها التي وضعت لها الى هذه المعاني الجديدة لتدل عليها فان لم يجـد الانسان فى لغته ما يسعفه لجأ الى الاقتراض من لغات أخرى ، وقد يصقل ما يقترض بمصقل لغته لينتظـم فيها وكأنه منها ؛ ولا يقتصر الامـر على الالفـاظ بـل يتعداها الى الاساليب فهي الاخرى تنمو وتتطور . فاذا بأساليب لا تعرفها اللغة فى زمانها السابق تدخل فى زمان لاحق كل ذلك لان حياة الانسان تنمو وتتطور ، واللغة اداة ووسيلة فلا بد لها من ان تسايـــر تطـــور الانســان والا ماتت لان حياتها بوفائها .

والذي يرجع منا الى صورته وهو طفل وصورته وهو شيخ طاعن فى السن وصورته وهو شاب أو صبي أو كهل يرى التغير والتبدل الذي اصاب كيانه واضحا فيما تنطق به الصور ولكن الانسان لا يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل بل يلحظ نفسه وهو فى يومه ويعلق فى ذهنه عن أمسه بعضه لا كله واللغات شأنهـا شأن الانسان ، فهي تتطور وتتغير وتتبدل وكل هـذا يحدث فى البنية اللغوية فى الامس الغابـــر واليـــوم الماثـل .

وعمر اللغة لا يقاس بعمر الانسان ، اذ منها ما بين مولدها وعصرنا المئات من السنين فنصفهـا بأنهـا حديثة وما هي بالحديثة . وأخرى ما بين مولدهـــا وعصرنا الالوف من السنين ونصفها بانها قديمة ومـا هي بالقديمة ، لاننا اذا رجعنا الى أصولها او الى اصل الاصول كان عمر اللغة المئات من آلاف السنين بـل الملايين منها ، فهل يمكن ان يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل فى هذا الامتداد الزماني ؟ الحقيقة لا، اما لماذا ؟ فالاسباب :

ان اللغة الأم لم تخلف لنا الآثار ما يدل عليهـــا وبتطور الانسان تطورت لغته الى لغات وكان التطـور تدريجيا . فنسي الانسان امس لغته وعاش حاضرها فانقرض ما انقرض وعفى الزمان على ما انقرض فنسيته الاجيال ، أما بالنسبة لاصول لغات عالمنـا الحديـث فالتي ولدتها أم وكانت ولادتها حديثة . عرف أصنهـا أى أمها كاللغات المولودة من اللاتينيـة ، اما ما كانت ولادتها قديمة ، فقد نسيت امها . ومن اللغـات مـا دونت مفرداتها وقواعدها ونظمها اللغوية فى الاسفار . ومنها ما خلف امسها آثارا فأمكن ان نتبين بعض ــ لا كل ــ صور تطورها وتغيرها وتبدلها . ومنها ما لـم يدون فى الأسفار ولم يخلف امسها الآثار . فلا تعرف عنها الا صورتها الحاضرة ان لم تكن قد انقرضـــت . ونعود الى لغات العالم التي تحتفظ بصـــور تغيرهـــا وتبدلها وتطورها ونسأل هل تعطي هذه الصور واقعا يطابق واقع اللغة وهي تتطور وتتبدل فى الامتـــداد الزماني لهذا التطور والتبدل ، الحقيقة لا : لان هـــذه الصور نسبية تماما كصورة الشيء لا تعني انها حقيقة الشيء بكل كيانه ومقوماته وصفاته فكم من الالفـــاظ بادت . وكم من الاساليب عفى عليها الزمن ، وكم من القواعد والنظم لم تصل اليها اجهزة المصور اللغـــوي فانساها الزمن .

وسؤال آخر يقفز الى الذهن ويتطلب الجواب !

ما هي اسباب النمو والتطور والتبدل والتغيـــر والانقراض فى اللغات ؟ والجواب على ذلك اننا نجـــد اهم تلك الاسباب فيما ياتي :

(1) النمو والتطور والتغير والتبدل فى حياة الانسان نفسه وهذا يدفعه الى ان يضع لما يجـــد من جديد الفاظا واساليب ونظما لغوية .

(2) نقل الالفاظ الموضوعية للمعانـــي . فتطـــاول الزمان يدعو الى وضع الفاظ جديدة .

(3) من المعاني ما يرتبط بعصر من العصـــور فاذا انقضى العصر لا تكون هذه المعاني من التراث الفكري والحضاري للجيل اللاحق فتهمل ثـــم تنسى باهمال الفاظها .

(4) عدم وفاء اللغة بحاجة الانســـان الى التعبيـــر والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد تراثه الفكـــري والعلمي والادبي وازاء ذلك يضطر الانسان الى ان يغير ويبدل أو يهجر لغته .

(5) التحريف والتغيير والتبديل فى اللغة قد يستقر فى دلالته فيخرج الاصيل حتى ينسى .

(6) ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية اتفاقية غير مستقرة . لهذا قد تلد لغات او لهجات ، وقد تستقر هذه اللغات او اللهجات المولدة ، وتهجر اللغة الام .

(7) تسرب الدخيل والمولد الى اللغة مع عدم الحاجة اليهما وبمرور الزمان قد يتغلب الدخيل والمولد على الاصيل .

(8) تجاوز الامم واختلاط الشعوب سبب من أسباب تطور اللغة ونموها فتقترض اللغة من لغات الامم والشعوب ما تقترض مما ليس موجودا فيها .

(9) تعرض الامم للغزوات والنكبات يعرض احيانا الامم المغلوبة الى فقدان لغتها عندما تفرض الامم الغالبة لغتها عليها ، أو تتأثر لغة الامم المغلوبة بلغة الامم الغالبة .

(10) انقراض الامم والشعوب يؤدي الى انقراض لغاتها لأن اللغات ترتبط بمتكلميها فاذا انقرضوا انقرضت .

(11) تشتت الامة والشعب يؤدي الى تأثر لغتها او لغته بلغات الامم المخالطة مما يؤدي الى مسخ لغة الامة المشتتة .

(12) بعض اللغات تمتاز بسهولة قواعدها ومرونة أساليبها وهذا قد يدفع بعض الامم الى هجر لغاتها اذا كانت قواعدها وأساليبها شديدة التعقيد .

نواحي التطور والتغير اللغوي :

(1) التبدل الصوتي للحرف والكلمة : وذلك بأن يتغير صوت الحرف وعلى سبيل المثال حرف الجيم العربي يلفظ فى لبنان وسوريا بصوت يختلف عنه فى مصر وفيهما فى العراق وكذلك فى مصر نفسها حرف الجيم يلفظ فى الصعيد بصوت يختلف عنه فى القاهرة كذا حرف القاف والضاد ، أو ان يتغير صوت الوحدة اللغوية .

(2) توسيع القاعدة اللغوية وذلك بأن يخضع أهل اللسان ما يقترضونه لقواعدهم اللغوية فيجرون عليه ما تجري عليه قاعدة لغتهم أو توسيع القاعدة لتشمل الشاذ غير الخاضع لها .

(3) اقتراض المفردات : وذلك حين تعجز قواعد اللغة عن الوفاء بوضع مفردات جديدة ولا يكون ذلك عن عجز وانما تكون المفردات الاجنبية قد استقرت بحيث لا يمكن احلال مفردات لغوية موضوعة بموجب القواعد اللغوية للغة .

(4) استعارة أساليب أو تراكيب لا تعرفها اللغة : ومن امثلة ذلك فى اللغة العربية ذر الرماد فى العيون ، وعاش ستة عشر ربيعا ، وضع المسألة على بساط البحث ، ولا جديد تحت الشمس وساد الامن فى البلاد .

ومن امثلة ذلك ايضا الاصطلاحات الفنية والادارية : كهيأة المحكمة وتشكيل المحاكم وانعقدت المحاكم ، وتعريفة الرسوم ، واللاسلكي واللانهائي .

(5) تبدلات فرعية مختلفة : كالنقل والارتجال والاستعمال المجازي والنحت على غير قياس أو سماع .

مقياس اللغة الحية :

من اللغات ما توصف بأنها : حية ، ومنها ما توصف بأنها : ميتة ، والميتة هي اللغة التي تشتت الشعب الذي يتكلمها فخالط أمما وشعوبا مختلفة اللغات ، وكان ان مسخت لغة الشعب المشتت . وقد يطلق وصف الميتة على لغات تحتفظ بشخصيتها وذاتيتها ويتكلمها الملايين وهذا الذي هو يدعونا الى التساؤل . ما هي المقاييس التي يقاس بها كون اللغة حية او ميتة ؟

مما يجاب على هذا التساؤل : ان العلماء يختلفون فى المقاييس التي تعتبر اللغة : لغة حية وللاختلاف أسباب : فمن العلماء من يعتبر المجتمع هو المقياس ، اللغة التي يرتضيها المجتمع بمفرداتها وقواعدها وأساليبها ونظمها ، هي اللغة الحية ، لان اللغة كما عرفها بعض الباحثين ، هي وسيلة للتعبير والتفاهم . وليست غاية ، وللمجتمع ان يختار الوسيلة التي يرتضيها . ويضيف العلماء الى ما سبق شرطا آخر اذا توفر فى اللغة بالاضافة الى ارتضاء المجتمع كانت اللغة لغة حية ، وهو ان تكون اللغة سهلة فى قواعدها مرنة فى أساليبها ونظمها ، وعلى أساس هذا المقياس للمجتمع ان يغير ويطور ويبدل فى اللغة ما شاء الا فى حدود ضيقة كأن يجري تأليف وترتيب

الكلمات وفق نظام ثابت ليؤدي الكلام المؤلف منها معناه العام .

ان الحياة تتطور وفى تطور مستمر واللغة ينبغي لها ان تساير هذا وهي وسيلة للمجتمع ان يختار تلك الوسيلة . ولا ينبغي لتلك الوسيلة ان تقيد المجتمع وتقف حجر عثرة أمام تطوره واحتياجاته .

وبعض العلماء لا يعتبر المجتمع هو المقياس ، بل يعتبر وفاء اللغة بحاجة الانسان الى التعبير والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد آثاره الادبية والعلمية والفكرية ، والعقائدية هو المقياس .

فاللغة التي تفي بذلك لغة حية ولا يسمح هؤلاء العلماء لاممهم ان يغيروا ويبدلوا ويطوروا فى لغتهم كيفما شاءوا . بل لا بد ان يكون التطور والتغيير فى اللغة يجري على اساس من قواعدها واساليبها اللازمة الاتباع . وهؤلاء العلماء يربطون بين لغتهم وبين تراثهم العلمي والفكري والادبي والحضاري ، ويربطون بينها وبين عقائدهم ونظمهم وبينها وبين مشاعرهم واهدافهم فى الحياة (29) .

نشأة اللغة الانسانية :

قد كثر القائلون والباحثون فى نشأة اللغة الانسانية وأصلها منذ أقدم العصور ــ ولا زال علماء اللغات يدرسون ويبحثون ــ ولقد عالجها فلاسفة اليونان وعلماء اللغة العربية والاسلام ، واهتم بها الباحثون من الاوربيين ومشى على آثارهم كثير ممن اخذ عنهم وخاصة العرب منذ القرن التاسع حتى اليوم وقد اختلفت وجهات النظر ونتج عن ذلك نظريات كثيرة منها .

المذهب الاول :

ان اللغة الهام وتعليم من الله : بمعنى ان الواضع للغات هو الله سبحانه وتعالى ، وقد بلغها الانسان بطريق الوحي والالهام او بابداع ذلك فى طباعه .

(1) وذهب الى هذا الراى جماعة من المفسرين وقد حكى ابن جنى عن بعض المفسرين فى تفسير الآية « وعلم آدم الاسماء كلها » ان الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بهـا ثم ان ولده تفرقوا وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه واضمحل عما سواها لبعد عهدهم بها واذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده والانطواء على القول به (30) .

وعن ابن عباس انه كان يقول : علمه الاسماء كلها ، وهي هذه الاسماء التي يتعارفها الناس من دابة وارض وسهل وجبل وجمل وحمار واشباه ذلك من الامم وغيرها . وعن مجاهد انه قال : علمه اسم كل شيء . وقال غيرهما : انما علمه أسماء الملائكة . وقال آخرون : علمه أسماء ذريته أجمعين .

(2) وممن ذهب هذا المذهب : الاصوليون ، قال الآمدي حاكيا آراء العلماء فى ذلك : اختلف الاصوليون فذهب الاشعري واهل الظاهر وجماعة من الفقهاء الى ان الواضع هو الله ووضعه لنا متلقى من جهة التوقيف اما بالوحى او بأن يخلق الله الاصوات والحروف ويسمعها لواحد او لجماعة ويخلق له اولهم : العلم الضروري بأنها قصدت للدلالة على المعاني محتجين على ذلك بآيات منها قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » وهذا يدل على أن آدم ، والملائكة لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى ، ومنها قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » واللغات داخلة فى هذه المعلومات ومنها قوله تعالى : « ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ، ما انزل الله بها من سلطان » ذمهم على تسمية بعض الاشياء من غير توقيف ، وقوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم » . المراد به اللغات لا نفس اختلاف هيئات الجوارح من الالسنة لان اختلاف اللغات أبلغ فى مقصود الآية (31) .

(3) وذهبت طائفةمن علماء اللغة الىمثل ما ذهباليه المفسرون والاصوليون حكى ابن جنى فى الخصائص عن استاذه ابى علي الفارسي المتوفى سنة 377 هـ قال: ان ابا علي رحمه الله قال لي يوما هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » (32) .

وايد ابن جنى هذا الرأى فقد جاء عنه فى الخصائص : واعلم فيما بعد انني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الوضع فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على

فكري وذلك انني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به امام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا ومنه ما حذوته على امثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده صحة ما وفقوا لتقديمه منه ، ولطف ما اسعدوا به وانضاف الى ذلك ، وارد الاخبار المأثورة بانها من عند الله عز وجل فقوى في نفسي اعتقاد كونها من الله سبحانه وانها وحي (33) .

(4) وقال ابو الحسين احمد بن فارس : ان لغة العرب توقيف واستدل بالآية : « وعلم آدم الاسماء كلها » وتفسير ابن عباس ومجاهد وغيرهما . ولكن ابو الحسين بعد ان اطلق كلامه هذا الاطلاق ، رجع فخصص ما عمم فقال : ولعل ظانا يظن ان اللغة التي دللنا على انها توقيف انما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد ، وليس الامر كذلك بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء ان يعلمه اياه مما احتاج اليه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله ثم علم بعد آدم عليه السلام من الانبياء نبيا نبيا ، ما شاء ان يعلمه حتى انتهى الأمر الى نبينا محمد صلى الله عليه وآله واصحابه وسلم ـ فآتاه الله من ذلك ما لم يؤته احدا من قبله (34) .

ثم قال فان تعمل لذلك اليوم متعمل ، وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولقد بلغنا عن ابي الاسود ان امرا كلمه ببعض ما انكره ابو الاسود ، فسأله ابو الاسود عنه فقال هذه لغة لم تبلغك . فقال ابو الاسود يا ابن اخي لك فيما لم يبلغني .

وجاء انه لم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه (35) .

وقد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهم البلغاء والفصحاء من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة او احداث لفظة لم تتقدمهم .

قال الاستاذ مصطفى السقا بعد ان اورد اقوال اصحاب المذهب السابق : والذي يلوح لي أن اكثر ما استدل به اصحاب هذا المذهب ادلة دينية مع ان البحث نظري عقلي لا ديني فينبغي ان يستبعد منه الاستدلال بالآيات والاحاديث ونحوها . على أن الآية الأولى التي هي معتمد القوم في الاستدلال ليست نصا في الموضوع وانما هي من قبيل الظاهر الذي يحتمل اكثر من وجه ، فقد يمكن تأويلها : بأن الله اقدر آدم على ان واضع عليها . قال ابن جنى في الخصائص بعد ان اورد الآية : وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك انه قد يجوز ان يكون تأويله : اقدر آدم على ان واضع عليها . وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة ، فاذا كان ذلك محتملا وغير مستنكر سقط الاستدلال به وقد كان ابو علي رحمه الله ايضا قال به في بعض كلامه وليس يعنينا ذلك من الادلة التي استدلوا بها غير كلام ابن جنى وخلاصته انه راى في احكام اللغة ودقة تنظيمها ما جعله يعتقد ان ذلك الاحكام لا يتأتى من غير الله . وهذا الدليل ان لم يكن صريحا في التدين ، فهو مقنع بقناع الدين ، فان كثيرا من اعمال القدماء كالاهرام وغيرها آية في دقة الصنع فهل نقول ان صانعها هو الله من اجل اتقانها ، على ان ابن جنى نفسه بعد ان ذكر كلامه الذي سقناه لم يلبث ان شعر بما فيه من ضعف فاستدرك على نفسه بقوله : كذلك لا ننكر ان يكون الله قد خلق من قبلنا وان بعد مداه عنا ، من هم الطف منا اذهانا واسرع خواطر واجرا جنانا فأقف بين الخلتين حسيزا واكاثرهما فانكفيء مكثورا ، وان خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف باحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها ، قال الاستاذ مصطفى السقا : اما صدر كلام ابى الحسين احمد بن فارس فهو تقليد لائمة الدين وقد كان الشيخ محافظا شديد المحافظة ، وقد عدل كلامه فضيق دائرة الدعوى ، واما انكاره على العرب انهم اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء ، مصطلحين عليه فيكفي في رده ما نقله غير واحد من ائمة اللغويين من ان رؤبة العجاج وجريرا وابن احمر الباهلي ، انفرد كل منهم بالفاظ لم يقلها غيره من العرب وانهم كانوا يرتجلون اللغة احيانا . فهذا دليل على استمرار نهر اللغة حتى العصر الاموي والى انقضاء عصور الفصاحة العربية قبل ان تسيل سيول العجمة وتفسد السلائق باختلاط العرب بغيرهم الاختلاط الاكبر في العصر العباسي وليست المواضعة والاصطلاح والتواطؤ الذي يريده القائلون به الا ان يخترع اللفظ مخترع فيتقبله منه الناس ويستعملوه .

وخلاصة ما تقدم : ان القائلين بأن اصل اللغة توقيف ووحي يعوزهم الدليل العلمي لا الديني ولم نجد هذا الدليل فيما بين ايديهم من فروض واحتمالات .

وقد ذهب هذا المذهب من اليونانيين قديما الفيلسوف « هيراقليط » ومن الادبيين المحدثين طائفة على راسهم الاب « لامى » فى كتابه « فن الكلام » ويستند الى نص الفقرتين 19 ، 20 من الاصحاح الثاني من سفر التكوين وهما : « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول ، وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الانسان فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول»

وهذا الدليل فوق انه دليل ديني ليس فيه شيء من الاستدلال على اصل الدعوى وقد بان من هذا ومما تقدم أن هذا المذهب مجرد دعوى لا سند لها غير الأدلة النقلية التي ليست نصا فى الموضوع (37) .

ولكن بعض العلماء توصل الى دليل عقلي ينهض قويا ليدعم الادلة النقلية وهذا الدليل ان الانسان الاول لما كان نبيا ــ فهو لا بد له ، لكي يتفهم ما يوحى اليه ولابلاغ رسالته من لغة يستطيع بها تفهم وابلاغ رسالته، والا تعذر عليه التبليغ وتفهم ما يوحى ، فالله سبحانه لما خلق أبا البشر واصل الخليقة آدم عليه السلام واسكنه وزوجته الجنة ، واوحى اليه هو وزوجه ان ياكلا من الجنة حيث شاءا ــ وان لا يقربا شجرة معينة وغير ذلك مما خاطبهم به ، فلا بد من غير شك انه علمهم معاني ما خاطبهما به ، وما أوحى به اليهما بل الظاهر انه سبحانه علمهما ما يتخاطبا به فيما بينهما أو مع الملائكة وذلك لاتمام النعمة عليهما فى الجنة .

نعم من الجائز أن الله أودع فى آدم وذريته الاولين قوة توسيع اللغة الاصلية ثم تفرعت منها لغات بعد ذلك حسب التكتلات البشرية فى اقطار المعمورة فكان لكل كتلة منهم لغتها ولهجتها ونغمتها الخاصة(38)

المذهب الثاني :

أن اللغة تواطؤ واصطلاح : وخلاصة هذا المذهب ان الواضع للغة هو الانسان وان وضعه لها كان على مراحل . ولقد ذهب الى هذا المذهب اكثر اهل النظر كما قال ابن جنى فى الخصائص : هذا موضع محوج الى فضل تأمل غير ان اكثر اهل النظر على أن اللغة انما هي تواضع واصطلاح لا وحي ولا توقيف(39)

ولعل المراد بأهل النظر فى كلام ابن جنى المتكلمون عامة والمعتزلة منهم خاصة ، وكان ابن جنى واستاذه ابو علي الفارسي منهم كما ذكر السيوطي فى كتاب المزهر .

1 ــ حكى ابو الحسن علي بن محمد الآمدي فى كتاب الاحكام ان البهشمية وجماعة من المتكلمين ذهبوا الى ان ذلك من وضع أهل اللغات واصطلاحهم وان واحدا او جماعة انبعثت داعيته او داعيتهم الى وضع هذه الالفاظ بازاء معانيها ، ثم حصل تعريف الباقين بالاشارة والتكرار كما يفعل الوالد بالولد الرضيع وكما يعرف الاخرس ما فى ضميره بالاشارة والتكرار مرة بعد اخرى محتجين على ذلك بقوله تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » وهذا دليل على تقدم اللغة على البعثة والتوقيف (40) .

2 ــ وزاد ابن جنى على هذا المذهب توضيحا بقوله : ذهبوا الى ان اصل اللغة لا بد فيه من المواضعة وذلك كأن يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا الى الابانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد سمة ولفظا ، فاذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز عن غيره وليغنى بذكره عن احضاره الى مرآة العين فيكون ذلك اقرب واخف واسهل من تكلف احضاره لبلوغ الغرض فى ابانة حالة بل قد يحتاج فى كثير من الاحوال الى ذكر ما لا يمكن احضاره ، ولا ادناؤه كالفاني، وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد كيف يكون ذلك لو جاز وغير هذا مما هو جاز فى الاستحالة والبعد مجراه . فكأنهم جاءوا الى واحد من بني آدم فأومئوا اليه وقالوا : « انسان انسان انسان » فأى وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوق وان أرادوا سمة عينه او يده اشاروا الى ذلك فقالوا : يد عين رأس قدم او نحو ذلك ، فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها وهلم جرا ، فيما سوى هذا من الاسماء والافعال والحروف ثم لك بعد ذلك ان تنقل هذه المواضعة الى غيرها فتقول الذي انسان فليجعل مكانه مرد والذي اسمه : راس فليجعل مكانه سر . وعلى هذا بقية الكلام . وكذلك لو بدئت اللغة الفارسية فوقعت المواضعة عليها لجاز ان تنقل ويولد منها لغات كثيرة من الرومية والزنجية وغيرهما . وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الاسماء كالنجارة والصائغ والحائك والبناء وكذلك الملاح ، قالوا : ولكن لا بد لأولها من ان يكون متواضعا بالمشاهدة والايماء (41) .

وعلى ذلك اختلفت اقلام ذوي اللغات ، كما اختلفت انفس الأصوات المرتبة على مذاهبهم فى

المواضعات . **وتوسط قوم بين المذهبين** فذهب ابو اسحاق الاسفرايني . الى ان القدر الذي يدعو به الانسان غيره الى التواضع بالتوقيف ، والا فلو كان بالاصطلاح ، فالاصطلاح عليه متوقف على ما يدعو به الانسان غيره الى الاصطلاح على ذلك الامر . فان كان باصطلاح لزم التسلسل وهو ممتنع ، فلم يبق غير التوقيف . وجوز حصول ما عدا ذلك بكل واحد من الطريقين (42) .

وخلاصة الرد على أصحاب هذا المذهب : فى ان قولهم : باجتماع حكيمين أو ثلاثة فصاعدا ليضعوا لكل شيء سمة ولفظا ليس الا مجرد خيال وحدس وظن لا يغني من الحق شيئا ، ذلك الى ان القول بأن الانسان وضع من اول الامر كلمات ذات مقاطع مركبة يجافي طبائع الأشياء اذ ان التدرج والترقي من البسيط الى المركب هو القانون الملحوظ فى نشأة الظواهر الاجتماعية التي من اهمها ظاهرة اللغة كما يلاحظ ذلك فى نشأة لغة الطفل وتدرجها شيئا فشيئا .

واما الاستدلال بالآية « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » فليس فيه دليل لانه يجوز أن يكون التوقيف الذي قبل التواضع بالوحي من غير واسطة اللغة ، على اننا نقول ما قلناه آنفا ان الاستدلال بالنصوص الدينية فى مقام البحث العلمي لا يجوز ، ولذلك كله توقف جماعة من العلماء عن القطع بأحد المذهبين فذهب القاضي : ابو بكر الباقلاني وغيره من اهل التحقيق ، الى ان كل واحد من هذه المذاهب ممكن بحيث لو فرض وقوعه ، لم يلزم عنه محال لذاته واما وقوع البعض دون البعض فليس عليه دليل قاطع والظنون متعارضة يمتنع معها المصير الى التعيين — ولذلك ايضا قال الآمدي : والحق ان يقال ان كان المطلوب فى هذه المسألة يقين الوقوع لبعض هذه المذاهب ، فالحق ما قاله أبو بكر الباقلاني اذ لا يقين من شيء منها (43) .

المذهب الثالث :

ان اللغة نشأت من الاصوات ويرى هذا العلماء الأوربيون المحدثون ، وسبق اليه علماء اللغة العربية قال ابن جنى فى الخصائص : وذهب بعضهم الى ان أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات . كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيح الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي — صوت تيس الظباء عند السفاد — ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عند ذلك فيما بعد (44) . ويقول ابن جني : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل (45) .

ويرى الأب انستاس ماري الكرملي نفس هذا الراي ويقول : الكلم وضعت فى أول أمرها على هجاء واحد متحرك فساكن محاكاة الأصوات الطبيعية (46) .

وهذا المذهب قال به جماعة من المتاخرين مثل : « ادم سمث » و « دوكلر ستيورت » ونقل عنهم أن الانسان كان يعبر عما فى ضميره بالاشارات والحركات حتى تكاثرت فجعل يحكي الاصوات التي يسمعها فكان اذا اراد ان يشير الى الغراب قال : غاق ، ولما وجد حكاية الاصوات هذه تفي بالمقصود اعتمد عليها فحصلت منها أصوات اللغة ، ثم طرأ عليها التركيب والنحت والحذف والتغيير وما شاكل ، فتالفت سائر الفاظ اللغة عن كل خاطر يخطر فى النفس (47) .

وبمقتضى هذا المذهب كان الانسان اذا أراد استحضار معنى الحصان عبر عنه بصهيله « حم حم » او معنى الكلب عبر عنه بمحاكاة نباحه «عو عو» وهكذا . واذا اراد الدلالة على معنى قطع الغصن او قصفه نطق بالصوت « قط او قصى » او معنى سقوط الحجر على الارض نطق بالصوت « طق » لما بين هذه الاصوات ومعانيها من المناسبة . وقد قال الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : « صر » وتوهموا فى صوت البازي تقطيعا فقالوا : « صر صر » ومن الطبيعي ان يكون التفاهم فى هذا الطور الاول بكلمات مقطعة لا بجمل وان هذه الكلمات كانت حكاية لأصوات الاشياء او حكاية افعال اما الحرف التي تربط بين الكلمات فى الجمل ، فلم تكن نشأت بعد (48) .

فانت ترى ان اللغة نشأت بمحاكاة الانسان للاصوات الطبيعية وكانت المحاكاة فى اول أمرها عضوية . اى لم يقصد بالاصوات الحاكية التعبير عن المعاني المحكي عنها بها للاتصال بالغير ، ان الوظيفة الاجتماعية للغة لم تبرز فى اول الامر . ثم وجد الانسان ان هذه الوسيلة مثمرة ونافعة وسهلة فى دلالتها على المعاني ، لهذا أصبح يطلق على الاشياء اصواتا هي حكاية لأصواتها الصادرة عنها للدلالة عليها وللاتصال بالغير ، فمعنى هذا أن استعمال الإنسان للاصوات الحاكية أصبح استعمالا لا شعوريا اراديا هادفا ، وهنا يبرز العنصر الاجتماعي للغة ثم طرأ على الاصوات الحاكية الدالة : التركيب والنحت والحذف

والزيادة والقلب والابدال ، ليدل الانسان على معاني جديدة بأصوات متمايزة . بعد ان التفت الى اهمية وفائدة الرموز الصوتية فى الدلالة على المعاني الصوتية وغير الصوتية المادية وغير المادية ، وكان هذا على مراحل . ثم ان التصرف فى الاصوات الحاكية بالكيفيات المتقدمة يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات الاجتماعية ثم اقرت هذه الاصوات المتصرف بها مع الزمن فبعد كثير منها عن اصله وهو الصوت الذي حاكى به الانسان الاصوات الطبيعية وهكذا نشأت اللغة (49) .

ويستدل أصحاب هذا المذهب على صحته :

(1) بأنه اقرب المذاهب الى البساطة التي تقتضيها حياة الانسان البدائي وتقتضي التدرج والتطور الذي تقضي به طبائع الاشياء والذي يلحظ فى نشوء الظواهر الاجتماعية عامة .

(2) وبأنه توجد مناسبة ملحوظة بين الاصوات وما تدل عليه من معنى وهذا امر ظاهر فى لغات الامم الاولية .

(3) وبأنه شبيه بنشأة لغة الطفل التي تتدرج من الاصوات الساذجة المستطيلة الى الاصوات المقطعة ثم يتدرج الى الكلمات ذات المقاطع المركبة اذا كملت اعضاء النطق عنده .

ولا يرد على هذا المذهب من النقد ما ورد على المذاهب الاخرى السابقة ولذلك كان اقرب المذاهب الى العقل وان لم يوصل الى اليقين فى نشأة اللغات وقد ارتضاه ابن جنى فى كتابه الخصائص حين قال : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل .

والاصوات جمع صوت : وهو الجرس الذي ينتقل بالهواء الى حاسة السمع . وتنقسم هذه الاصوات بحسب المصدر الذي تنبعث عنه . الى قسمين : **الاول** : الاصوات الطبيعية كصوت الريح أو الرعد أو النار ، أو جري المياه وانصبابها من علو الى اسفل ، وكاصوات الحيوان والطير والاصوات التي تسمع من الانسان فى احوال الانفعال كالانين والصراخ والعويل وكأصوات الفرح والطرب ونحو ذلك .

والثاني : الاصوات غير الطبيعية كأصوات الحركات والافعال التي يفعلها الانسان واصوات الآلات والادوات التي يستعملها كأزيز الطائرات وجعجعة الطواحين وصوت المنشار فى الخشب ووسوسة النقود والحلى وصرير الابواب وصلصلة الاجراس وما أشبه ذلك .

ويلحق بهذا القسم الاصوات البدائية التي اخترعها الانسان لدعاء الحيوان او لزجره ، وتنقسم الاصوات من حيث صفاتها الى اصوات ساذجة وهي التي تمتد فى استطالة بدون تقطيع كصوت زمارة الانذار عند انتهاء الغارات وكصفير الحيوان او الانسان من غير ترجيع ولا تكرير . وهذا النوع ليس موضوع بحث اللغويين ، والى أصوات مقطعة كالحروف التي يلفظها الانسان بالاعتماد على المقاطع والمخارج وكالاصوات الطبيعية التي سبقت الاشارة اليها فانها وان صدرت عن أشياء لا مقاطع لها كمقاطع الانسان فقد تمكن حكايتها بالألفاظ الانسانية المؤلفة من الحروف ، فلما أشبهت الاصوات اللغوية الانسانية ذات المقاطع والحروف جرت عليها احكامها (50) .

وهناك من العلماء من يقرر ان اصل اللغة الانفعالية للانسان ، التي كان يطلقها الانسان فى ظروف حياته البدائية وهي تختلف باختلاف حالاته النفسية والجسمية وباختلاف الظروف المحيطة به . وكانت تلك الاصوات فى بدايتها عفوية لم يقصد منها الاتصال بالغير ، بل هي مجرد أصوات تصدر عنه كتعبير عن حالة من حالاته الانفعالية ولما ارتبطت هذه الاصوات بتلك الحالات الانفعالية نتيجة تكرارها ، عند تعرضه لها انتبه الى اهمية هذه الأصوات وفائدتها ، فأخذ يستعملها للاتصال بالغير وبهذا أصبح الصوت يخدم غرضا اجتماعيا وكان أن وسع مجال الصوت فى الدلالة على الأشياء تدريجيا وهكذا نشأت اللغة (51).

المنهب الرابع :

يقرر كثير من العلماء المحدثين ان اصل اللغة يرجع الى جذور نفسية وفى هذا عدة نظريات :

(1) اصل اللغة رغبة الانسان فى ان يرى الواقع مرموزا اليه . وفى ذلك نجد الاستاذ سابر Sapir وهو من المشتغلين بفلسفة اللغة لا يرى ان الحاجة الى التفاهم انشأت اللغة ، بل يرى أن منشأها رغبة الانسان فى ان يرى الواقع مرموزا اليه او معبرا عنه بالرموز ، ثم اكتشف مصادفة ان ذلك خير وسيلة للتفاهم (52) .

(2) اصل اللغة التعبير عن الحالات الانفعالية .

(3) اصل اللغة التعبير عن المعاني الكامنة وفى هذا يقول « ماكسي » وهو من اشهر من قال بهذه النظرية فى القرن الماضي 1863 م « فى الانسان قــوة من شأنها التعبير عما فى ضميره بكلمات ملفوظــة فكان الفكر اول ما يجول فى دماغه ، كأنه يقرع تلــك القوة فتصوت بألفاظ يفهم الفكر منها . وهذه الالفاظ هــي اصول اللغة ثم تقلبت عليها اطوار التعبير والتركيب فتألفت مفردات اللغة ولما تم الاستنباط درج عليهــا الاستعمال ولم يبق لهذه القوة من حاجة فأهملــت وتضعضعت ولم تعد تحس كما يضعف السمع والبصر لقلة الاستعمال (53) .

من هذا يتضح ان اللغة انما نشأت بسبب عوامل ودوافع نفسية بتة ثم وجد الانسان الاول ان اللغــة يمكن ان تحقق له فوائد كثيرة فانتبه لذلك وكــان ان وسع من نطاقها وظواهرها لتخدم اغراضه التي يمكن ان تؤديهـــا .

المذهـــب الخامـــس :

الاصل الاجتماعي وخلاصته : ان اللغــة نشأت بظهور البذرة الاولى لتكون المجتمع وان الانسان كان مضطرا لان يتفاهم مع الاخرين لاسباب ودوافع كثيرة لهذا كان يطلق اصواتا فى حالات مختلفة ثم اكتسبت هذه الاصوات صفة التباين النسبي حتى اصبحــت لها دلالتها على معان معينة (54) . فأخذ يستعملهـــا للتعبير والاتصال بالآخرين لتحقيق غرض ما فنشـــأة المجتمع هي سبب نشأة اللغة .

المصـــــادر

1 — مجلة المعرفة ـ السنة الاولى جـ 3 ، ص 11،مايو 1970 السعودية
2 — الخصائص لابن جنى ـ جـ 1 ، ص 31 ، طبعة الهلال بمصر 1331هـ
3 — مجلة النجف ـ السنة الثانية جـ 6 ، ص 47 ، تموز 1968 العراق
4 — مجلة اللسان العربي ـ العدد 3 ، ص 54 ، المغرب 1385 هـ
5 — مجلة دعوة الحق ـ السنة 6 ، العدد 5 ، ص 38 المغرب 1382 هـ
6 — نفس المصدر ـ ص 39 ـ 40 .
7 — مجلة اللسان العربي ـ العدد 3 ، ص 55 .
8 — كتاب اللغة العربية لعبد العزيز عبد المجيد جـ1 ص19ـ20 القاهرة
9 — مجلة اللسان العربي ـ العدد 3 ، ص 55 ، الرباط .
10 — مجلة المجلة ـ العدد 114 يونيه 1966 ، القاهرة .
11 — مجلة المجلة ـ العدد 114 ، مقال الدكتور تمام حسان .
12 — مجلة المنار للسيد رشيد رضا ـ المجلد 3 ، ص 303 ، القاهرة .
13 — مجلة منبر الاسلام ـ 1961 ، القاهرة .
14 — الخصائص لابن جنى ـ جـ 1 ، ص 31 ، القاهرة .
15 — اللهجات العربية للدكتور ابراهيم نجا ـ مطبعة السعادة بمصر .
16 — مجلة اللسان العربي ـ العدد الاول ، ص 28 ، المغرب .
17 — فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان أمين ، القاهرة .
18 — تراث الانسانية ـ العدد 3 ، المجلد الثاني ، القاهرة .
19 — الابنيشد ـ مجموعة كتب هندية فى الفقه الهندوي ، ثقافة الهند.
20 — مجلة ثقافـــة الهند ـ المجلد 11 ، الهنـــد .
21 — المصدر السابـــق .
22 — اشتات مجتمعات فى اللغة والادب ـ عباس العقاد ، مصر .
23 — مجلة العربي ـ العدد 98 ، الكويت .
24 — مجلة النجف ـ العدد السادس ، ص 8 ، السنة الثانية ، العراق.
25 — مؤتمر مجمع اللغة الدورة 26 ، ص 18 ، القاهرة .
26 — نفس المصدر ـ ص 19 .
27 — العـــربـــي ـ العدد 98 ، الكويـــت .
28 — مجلة النجف ـ العدد 6 ، السنة الثانية ، ص 72 ، العراق .
29 — المصدر السابق ، ص 85 ـ 86 .
30 — الخصائص لابن جنى ، جـ 1 ، ص 39 ـ 40 ، القاهرة .
31 — الاحكام فى أصول الأحكام للآمدي ، ص 105 ، القاهرة .
32 — الخصائص لابن جنى ، جـ 1 ، ص 39 .
33 — المصـــــدر السابـــق ، ص 45 .
34 — الصاحبي فى فقه اللغـــة ، ص 5 ، بيروت .
35 — المصـــــدر السابـــق .
36 — نفـــس المصـــدر ، ص 7 .
37 — المعرفة السعودية ـ السنة الاولى ـ العدد 3 ، السعودية .
38 — مجلة النجف ـ العدد 6 ، ص 38 ـ 40 ، السنة الثانية ، العراق.
39 — الخصائص لابن جنى ، جـ 1 ، ص 39 .
40 — مجلة المعرفة ـ العدد 3 ، السنة الاولى ، السعودية .

41 — الخصائص لابن جنى ، ج 1 ، ص 41 — 42 .
42 — الاحكام للامــــدي ، ج 1 ، ص 106 .
43 — المعرفة السعودية — السنة الاولى ، ج 3 .
44 — الخصائص لابن جنى ، ج 1 ، ص 44 — 45 .
45 — المصــــدر السابـــق ، ص 45 .
46 — دراسات فى فقه اللغة ، ص 155 ، العراق .
47 — معجـــم متـــن اللغـــة ، ج 1 ، ص 18 .
48 — المعرفة السعودية — السنة الاولى — العدد 3 .
49 — النجف العراقية — العدد السادس ، ص 50 — 51 .
50 — المعرفـــة السعوديـــة — السعودية .
51 — النجف — العدد السادس ، ص 51 ، العراق .
52 — اصول تدريس اللغة العربية — ص 10 ، العراق .
53 — معجم متن اللغة — ج 1 ، ص 19 ، العراق .
54 — النجف — العدد السادس ، ص 53 ، العراق .
55 — المزهـــر للسيوطـــي — ج 1 ، ص 36 ، القاهرة .

نشأة اللغة العربية ومصادرها

اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وهي التي يقال لها اللغة العربية الفصحى ، وكذلك سائر لهجات العرب هي فروع من مجموعة لغات ، عرفت عند المستشرقين باللغات السامية ، وقد اولع بعض المستشرقين بدراسة هذه اللغات ، فألفوا فيها كتبا وابحاثا وانشأوا مجلات عدة تفرغت لها ، وما زالوا يسعون فى توسيعها وتنظيمها وتبويبها ، وقد عرفت دراساتهم هذه عندهم بالساميات Semitistik وهي تتناول بالدرس كل اللغات التي يحشرها علماء الساميات فى مجموعة اللغات السامية تتناولها بغض النظر عن وجود اللغة أو عدم وجودها فى هذا العصر . فالبحث علم والعلوم تبحث عن المعرفة دون تقيد بزمان او بمكان وينفق علماء الساميات مجهودا كبيرا فى المقارنة بين اللغات السامية وفى معرفة مميزات كل لغة وما بينها وما بين اللغات الاخرى من فروق او تطابق او تشابه .

وترجع تسمية السامية الى عالم الماني اسمه شلوتسر Schlotzer فهو اول من استعمل السامية فى بحوثه فى تاريخ الروم القديم ، ويعود فضل ايجاده الى شجرة انساب الامم الواردة فى التوراة والتي ترجع انساب البشر الى ابناء نوح الثلاثة: سام وحام ويافث « سفر التكوين . الاصحاح العاشر»

فاطلق العالم شلوتسر لفظ السامية على جملة شعوب رجعت التوراة نسبها الى سام بن نوح وشاعت التسمية منذ ذلك الحين وخاصة باستعمال المستشرق الالماني ايسن هورن Eichhorn وادخاله اياها فى مؤلفاته وبحوثه واستعملها غيره من العلماء الالمان والانجليز والفرنسيين حتى صارت مصطلح علم عندهم ذا مدلول معين مفهوم ثم وجد هذا المصطلح سبيله الى الامم المنتشرة فى آسيا وافريقيا (1) .

والقرابة بين اللغات السامية واضحة بينة وهي اوضح وامتن واوثق من الروابط التي تربط بين فروع طائفة اللغات المسماة باللغات « الهندواوربية » او الهند جرمانية على حد تعبير بعض العلماء .

وليس الاختلاف بين اللغات السامية القديمة يزيد على الاختلاف الكائن بين اللغات الجرمانية ولقد ادرك مستشرقوا القرن السابع عشر من امثال هوتنكر Hottinger (1620 – 1667) وبخارت Bochart والبرت سولتنس Albert Schultens (1686 – 1750 م) ولودلف Ludolf وكاسل Edmcastell (1606 – 1685) بسهولة الوشائج التي تربط بروابط متينة ما بين تلك اللغات واشاروا اليها ونوهوا بصلة القربى التي تجمع شملها ، بل لقد سبقهم الى ذلك علماء عاشوا قبلهم بمئات السنين هداهم ذكاؤهم وعلمهم الى اكتشاف تلك الوشائج والى التنويه بها فقد تحدث عالم يهودي إسمه ياهودا بن قريش Iehuda ben Koraish وهو ممن عاشوا فى أوائل القرن العاشر تحدث عن القرابة التي تجمع بين اللغات السامية وعن الخصائص اللغوية المشتركة بين تلك الالسن . كما أبدى هذا العالم اليهودي ملاحظات قيمة عن الأسس اللغوية التي تجمع شمل تلك اللغات(2) .

ولقدماء علماء السامية آراء بنيت على اعتبارات دينية ونفسية فى قدم لغات ابناء سام فتعصبوا للغتهم وحملهم تعصبهم هذا وتقديسهم للغتهم على تفضيلهم لغتهم هذه على سائر لغات أبناء آدم بل لم يقبل بعضهم ذلك ايضا فوجدوه قليلا لا يليق بجلال لغته فجعل لغته لغة آدم فى الجنة ولغة البشر بعد الموت ، ولغة السماء ، وهكذا صارت العبرانية سيدة اللغات وارقاها ولغة الوحى ولغة آدم فى كتب الاحبار ، وهكذا صارت

لغة بني آرم عند علماء بني آرم والمتعصبين لها : لغة آدم ، واقدم اللغات على الاطلاق ، وسرت هذه النظرية الى غيرهم من الناس ، ونظرة مثل هذا لا تقبل بالطبع وبأي حال من الأحوال (3) .

وللمستشرقين آراء فى اقرب اللغات السامية الى الاصل . فذهب بعضهم الى ان العبرانية هي اكثر تلك اللغات شبها بالسامية الاولى ــ وهي لذلك أقرب بنات سام اليها .

وذهب آخرون الى تقديم لغة الآراميين على غيرها، جاعليها البنت الاولى التي اجتمعت فيها الخصائص السامية الاصيلة اكثر من اجتماعها فى اى لغة اخرى ، ولهذا استحقت فى رأيهم هذا التكريم والتقديم ، وذهب آخرون الى تقديم العربية على سائر اللغات الاخرى لمحافظتها اكثر من بقية اللغات السامية على الخصائص السامية الاولى وعدم تنصلها منها وتركها لها كالذي نراه من استعمالها للمقاطع القصيرة الصامتة ومن كثرة تعدد قواعدها التي زالت بقواعد بقية اللغات .

غير أن هذه الامتيازات والحصانات التي تتمتع بها هذه اللغة يقابلها من جهة اخرى مميزات فى العربية لا نجدها فى اللهجات السامية الباقية ، مما يبعث على الظن انها طرأت عليها فيما بعد وان اللغة العربية قد مرت بأطوار .

والتطور هذا معناه ابتعاد هذه اللغة عن الاصل ثم اننا نجد فى العبرانية وفى لغة بني آرم قطعا من الكلام اقدم عهدا من اللغة العربية ، غير اننا لا نستطيع مع ذلك أن ننكر أن معرفتنا واحاطتنا باللغة العربية لا تكاد تدانيها معرفتنا واحاطتنا لبقية اللغات السامية . ومن هنا صارت اللغة العربية بلهجاتها المتعددة حقلا مهما لاجراء التجارب والاختبارات فى ميدان مقارنات اللغة السامية ودراساتها . وقد ذهب المستشرق « نولدكه » الى أن من الضروري فى دراسة مقارنات اللغات السامية البدء باللغة العربية وذلك بأن ناخذ فى تسجيل خصائصها ومميزاتها وقواعدها وكيفية النطق بها وما الى ذلك (4) .

ويقسم علماء الساميات اللغات السامية الى قسمين : لغات سامية شمالية ولغات سامية جنوبية ويقسم العلماء اللغات السامية الشمالية الى مجموعتين: مجموعة شرقية ومجموعة غربية ويقصدون بالمجموعة الشرقية : اللغات السامية المتركزة فى العراق ويقصدون بالمجموعة الغربية اللغات السامية المتركزة فى بلاد الشام (5) .

واللغات السامية الشرقية او الشمالية الشرقية وتسمى ايضا باللغة الأكدية نسبة الى بلاد اكد فى وسط العراق من حدود 2500 ق. م الى القرون الاخيرة ق. م .

أ ــ اللغة البابلية : القديمة والوسيطة والحديثة 2000 ق. م الى القرون الاخيرة ق. م .

ب ــ اللغة الاشورية : القديمة والوسيطة والحديثة 2000 ق. م الى 600 ق. م .

واللغات السامية الغربية او الشمالية الغربية منذ منتصف الالف الثاني ق. م . وهى : السريانية والارامية والبابلية والمندائيه ــ لغة الصائبة ــ والكنعانية والاخلامية والفينيقية والبونية والنبطية والموابية والامورية والاوغاريتية ، ومن لهجات أخرى محليـة .

اما المجموعة الجنوبية : فتتألف من اللهجات العربية بأنواعها ومن بعض اللغات الافريقية التي يطلق عليها العلماء اسم اللغة الحبشية او المجموعة الحبشية. ويراد باللهجات العربية عربية القرآن والصفوية والنمودية واللحيانية وهي لهجات عربية شمالية وردت بها نصوص جاهلية .

ثم اللهجات العربية الجنوبية التي عثر على نصوص مدونة بها يرجع تاريخ عدد كبير منها الى ما قبل الميلاد وهي : المعينية والسبئية والقتبانية والأوسانية والحضرمية والحميرية (6) .

ولقد توصل الباحثون وعلماء مقارنة اللغات الى خصائص اللغات السامية التي تميزت بها وهي :

1 ــ اعتماد مجموعة اللغات السامية على الحروف الصامتة - Konsonant اكثر من اعتمادها على الاصوات Vokale فنرى ان اغلب كلماتها تتألف من اجتماع ثلاثة احرف صامتة . اما الاصوات فلا نجد لها حروفا تمثلها فى اللغات السامية وهي بذلك على عكس اللغات الآرية التي اهتمت بالأصوات فدونتها مع الحروف الصامتة وقد اضطرت اللغات السامية نتيجة لذلك الى الاستزادة من الحروف فزادت فى عدادها عن العدد المألوف فى اللغات الآرية وأوجدت لها حروفا للتفخيم والتضخيم والترقيق وابراز الاسنان والضغط على الحلق .

2 — ويتولد فى اللغات السامية من تغيير حركات الاحرف الثلاثة الصامتة وتبديلها معان جديدة ولهذا كان من اهم واجبات الاصوات السامية ، تغيير حركات الحروف لتولد معان جديدة فالاحرف الثلاثة الصامتة اذن هي : التي تكون مفهوم الكلمة وهيكلها ولكن مفاهيم هذه الاصول الثلاثة لا تبقى على حالها ، متى تغيرت حركات هذه الحروف .

3 — ومن الممكن احداث معان جديدة فى اللغات السامية وذلك باضافة زوائد تتألف من حرف او اكثر الى الاصول الثلاثة فيتبدل بذلك معنى الاصل .

4 — وليس فى اللغات السامية ادغام للكلمات اى وصل كلمة بأخرى لتتكون من كلمتين كلمة واحدة يكون لها معنى مركب ، من معنى الكلمتين المستقلتين كما فى اللغات الآرية ، واما ما نراه من عد كلمتين مضافتين كلمة واحدة تؤدي معنى واحدا فان هذا النوع من التركيب بين الكلمتين شيء جديد فى اللغات السامية لم يكن معروفا عند اجدادهم القدماء .

5 — وهذا هو سبب ظهور الاعراب فى اللغة العربية . ويذهب العلماء الى ان الاعراب كان موجودا فى جميع اللغات السامية ، ثم خف حتى زال من اكثر تلك اللغات . ونرى له اثرا يدل عليه فى العبرانية فى حالتي المفعول به وفى ضمير التبعية وفى السريانية البابلية فى ضمير التبعية فان هاتين الحالتين تدلان على وجود الاعراب فى اصولها القديمة .

6 — ويرى العلماء ان الفعل قد تطور فى اللغات السامية تطورا خطيرا استغرق قرونا طويلة وان ما نعرفه من تقسيم الافعال الى ماض ومضارع وامر لم يكن معروفا على هذا النحو عند قدماء الساميين (7) .

اذن مما سبق بيانه وضح لنا ان اللغة العربية من اللغات السامية — الآرية والكنعانية والكلدانية والسريانية والاشورية والعبرانية وغيرها — التي نشات فيما يسمى الآن منطقة الشرق الاوسط .

وقد ظلت الآراء مضطربة ومختلفة فى الاصل المشترك للغات السامية والعلم على اى حال لم يعرف الكلمة الاخيرة . ودائما يزيدنا العلم معرفة وقربا .

ومما هو جدير بالذكر ان اللغة العربية آخر لغة انفصلت عن اللغة الام « السامية » الامر الذي مكنها ان تاخذ ما فى السامية من مزايا وتتجنب الى حد بعيد كثيرا من مزالق مما لم يحصل للسريانية والعبرية اللتين سبقتا اللغة العربية فى الانفصال .

وقد استفادت اللغة العربية من تطور السريانية والعبرانية وما اعتراهما من تحوير وتجديد فجاءت بدايتها لا كبداية هاتين اللغتين بمعنى ان بداية العربية جاءت اقرب الى النضج والاكتمال من شقيقتها فكانت بحق بداية جديرة بان تقود الى نتيجة هي اكثر نضجا واستقرارا وسعة .

والمراكز التي تبلورت فيها اللغة العربية هي : اليمن والحجاز ، اما فى اليمن فكانت العربية اكثر اتصالا بالاكدية والحبشية من اي لغة اخرى ، على ان الهجرات الجنوبية الى الشمال والغرب جعلت عربية اليمن تؤثر الى حد بعيد فى هذه المناطق ، واما فى الحجاز فقد كان هناك تقارب بين العربية والعبرانية وهكذا فان هجرات القحطانيين واحتكاكهم بالعدنانيين ساعدت على تركيز لغة مشتركة .

ومما لا يسوغ انكاره ان هجرات اليمنيين الى الشام وعدم وجود حكومة عربية ورغبة العرب بوجه عام فى الحفاظ على المقومات القبلية لم يكن من شانه الا ان يوسع دائرة اللغة العربية بما شملته من تعدد المصطلحات للمعنى الواحد ، اذ كان لكثير من القبائل لهجات خاصة ودون ان يكون التفاهم مع ذلك صعبا بينها ، واذا كان من الصعب الآن أن نعرف متى نشأت العربية الا انه من المعلوم انه قد مر اكثر من قرن قبل ظهور الاسلام وقبل ان تصل اللغة العربية الى درجة الاتقان .

ولم يقتصر العرب على شبه الجزيرة وحدها كموطن لسكناهم ومعيشتهم بل هاجر كثير منهم الى البلاد المجاورة لشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام بقرون .

ولما كانت هذه البلاد المجاورة نفسها موطنا لاناس بينهم وبين العرب صلة شديدة القوة كالانباط والاشوريين والكلدانيين فقد سهل على المهاجرين من شبه الجزيرة الاستقرار بهذه البلاد وكونوا فى ظل الحكم الروماني والفارسي بعض الممالك التي اشتهر منها مملكة الحيرة فى القرن الخامس قبل الميلاد ومملكة غسان فى القرن السادس قبل الميلاد .

فلم يكن العرب منكمشين على انفسهم بل كانت لهم علاقات وطيدة بمدينة الفرس والروم وهذا ينطبق ايضا على سكان الحجاز وعرب الشام والعراق .

ولقد كان لعرب الحجاز تجارة واسعة مع الفرس والرومان وبعبارة ادق مع العراق والشام ، وكان يحتكر التجارة فى الحجاز قريش لان قريشا كانت تقطن مكة وهي تعتبر منذ زمن سحيق العاصمة الروحية للعرب .

والتجار يحتاجون الى تعلم لغة البلاد التي لهم بها علاقة تجارية ، ومن ثم كان لا بد ان تدخل الفاظ كثيرة الى اللغة العربية من الفارسية والرومانية وهذه الالفاظ حضارية .

ولغة العرب ظلت ترتبط فى الجاهلية الى حد ما بالمحسوسات التي يقع عليها بصر العربي ، ويوضح ذلك الشعر العربي العريق وتجد ذلك ايضا فى المعلقات العشر ولكن الذي يثير انتباه الباحث هو أن كل ما يرتبط بظواهر الطبيعة فى حدود شبه الجزيرة العربية يمثل ثروة لغوية لا تقدر .

واذا كانت قريش زعيمة قبائل العرب طالما كانت تتولى امور الكعبة وتسيطر على تجارة الحجاز فان لهجتها استطاعت فى النهاية ان تصهر كل اللهجات العربية فى بوتقتها لتخلق منها لغة مشتركة (8) . قال جماعة من الباحثين أن قريشا افصح العرب وبلسانها نزل القرآن الكريم وذلك لانها كانت تختار افضل لغات العرب وهذا الراى منسوب الى قتادة المتوفى 117 هـ.

وللفراء المتوفى سنة 207 هـ راى يشبهه قال : كانت العرب تحضر المواسم فى كل عام وتحج البيت فى الجاهلية وقريش تسمع لغات العرب فخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ (9) .

وقال احمد بن فارس المتوفى سنة 395 هـ نقلا عن اسماعيل بن ابى عبيدة ، اجمع علماؤنا بكلام الرواة لاشعارهم والعلماء بلغاتهم وايامهم ومجالسهم أن قريشا افصح العرب السنة واصفاهم لغة وذلك ان الله جل ثناؤه اختارهم من بين جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمدا فجعل قريشا قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ، يتحاكمون الى قريش فى امورهم وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة لسانها اذا اتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب (10) .

وجاء فى مقدمة ابن خلدون : كانت لغة قريش افصح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم واما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان واياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم فى الصحة والفساد عند اهل الصناعة العربية (11) .

وقد توسع العلماء المتحدثون فى اثر ما كان لعكاظ فى تثقيف قريش وفى تأثر من كان يحضر فيه من الشعراء والادباء بلغة قريش ومن هؤلاء سليمان البستاني والدكتور طه حسين ومصطفى صادق الرافعي وعدد كبير من المستشرقين فلهجة قريش على راي هذا الفريق من العلماء هي افصح اللغات (12) .

وهناك روايات تصف لهجات اخرى بالفصاحة ، قال ابو عمر بن العلاء : افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم (13) .

ووصفت بالفصاحة هذيل وثقيف وجرهم ونصر قعين وجاء فى اللسان لابن منظور ان بعض العلماء سئل اى العرب افصح فقال : نصر قعين .

ووصفت بالفصاحة قيس وتميم واسد والعجز من هوازن الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف (14) .

وقال ابو عبيدة : واحسب افصح هؤلاء بني سعد بن بكر وذلك لقول الرسول « انا افصح العرب بيد انى من قريش واني نشأت فى بني سعد بن بكر وكان مسترضعا فيهم وهم الذين يقول فيهم عمرو بن العلاء : افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم (15) .

وقد عدت هوازن وتميم واسد من افصح القبائل فى الاسلام ولذلك رحل اليها علماء اللغة للاخذ منها مثل الخليل والكسائي والازهري وامثالهم من العلماء .

جاء فى كتاب المزهر : ان ابا نصر الفارابي فى اول كتابه المسمى « بالالفاظ والحروف » قال : كانت قريش اجود العرب انتقاء للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا وابينها ابانة عما فى النفس والذين نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم :

قيس وتميم واسد فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما اخذ ومعظمه وعليهم اتكل فى الغريب وفى الاعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم (16) .

قال الدكتور جواد علي عضو المجمع العلمي العراقي: والقائلون بأن العربية الفصحى هي لسان قريش متأثرون بكون الرسول من قريش وبأن القرآن الكريم نزل بين قريش فهو اذن بلغة قريش وبما اورده علماء اللغة من انتقاء قريش لأدق الالفاظ واعذبها وكقصص سوق عكاظ ، اما ان الرسول من قريش ، فهذا امر مفروغ منه واما ان القرآن الكريم بلسان قريش فمسألة فيها نظر وقضية تحتاج الى بحث .

فلو كان القرآن بلسان قريش لم سأل رجال منهم فى تفسير كلمات من كلام الله ؟ ولم لجأ المفسرون الى الاستشهاد بشعر غير قرشي وبلغات قبائل اخرى لتفسير كلمة من كلام الله ؟ ولم ندر الشعر فى قريش ؟ وقد ورد ان قريشا كانت اقل العرب شعرا فى الجاهلية فاضطرها ذلك الى ان تكون اكثر العرب انتحالا للشعر فى الاسلام وورد أيضا ان العرب كانت تقر بالتقدم لقريش فى كل شيء الا فى الشعر فانها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن ابي ربيعة فأقرت له الشعراء بالشعر ايضا ولم تنازعها .

ولم استشهد العلماء فى اللغة بأبيات من الشعر وبكلام الاعراب بدلا من الاستشهاد بلغة قريش ثم من يثبت مقالة من قال ان قريشا كانت تتخير الكلام فتنتقي منه اعذبه وأصفاه وليس لديهم دليل جاهلي مكتوب ولا اثر عتيق يمكن الاعتماد عليه ؟ ثم ما قولنا فى حديث طال بحث العلماء فيه وهو « انزل القرآن على سبعة احرف » وقد قيل ان خمسة منها لعجز هوزان واثنين منها لقريش وخزاعة . وهو حديث فى امره نظر .

على كل حال ينسب الى عبد الله بن عباس وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله . وذلك ان الذي روى عنه ــ ان خمسة منها من لسان العجز من هوزان ــ الكلبي عن ابي صالح وان الذي روى عنه ــ ان اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة ــ قتادة ، وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه «كما فى تفسير الطبري ج 1 ص 23»والعجز من هوزان: سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف .

وقيل : ان القرآن الكريم جاء بلسان قريش ولسان خزاعة لان الدار واحدة وقد اجمل الطبري فى تفسيره ج 1 ص 25 رايه فى لغة القرآن بقوله : « ان القرآن كله عربي وانه نزل بألسن بعض العرب دون السن جميعها وان قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي بين اظهرهم ببعض الالسن التي نزل بها القرآن دون جميعها .

وذهب ابو عبيدة المتوفى سنة 223 هـ الى ان فى القرآن لهجات : لهجة قريش ولهجة هذيل ولهجة هوزان ولهجة يمن ولبعضها نصيب كبير فيه « كما فى الاتقان للسيوطي » .

وذكر ابو بكر الواسطي : ان فى القرآن خمسين لهجة « الاتقان للسيوطي » .

وذهب ابن عبد البر المتوفى سنة 463 هـ الى ان فى بعض مواضع من القرآن ما يعارض ما نعرفه من لهجة قريش ومن جملتها الهمزة « الاتقان » .

وذكر ابن النقيب أن القرآن الكريم تضمن مفردات من جميع لهجات القبائل وكذلك مفردات من الاغريقية والفارسية والحبشية « الاتقان للسيوطي »

وجاء ايضا ان الخليفة عثمان بن عفان كان يفضل ان يكون المملي من هذيل والكاتب من ثقيف وورد انه قال : اجعلوا المملى من هذيل والكاتب من ثقيف .

وجاء ان الخليفة عمر قال : لا يملين فى مصاحفنا الاغلمان قريش وثقيف .

وقال الصحابي : قال ابو عبيدة واحسب افصح هؤلاء بني سعد بن بكر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا افصح العرب بيد اني من قريش واني نشأت فى بني سعد بن بكر وكان مسترضعا فيهم وهم الذين قال فيهم ابو عمرو بن العلاء افصح العرب عليا هوزان وسفلى تميم .

وفي كل هذا دليل على ان الفصاحة والعربية لم تكن خاصة فى قريش والقرآن الكريم لم يكن بعربيتها حسب (17) .

قال الدكتور جواد علي : ان لسيادة لهجة ما من بين لهجات عديدة ، شروطا منها : نبوغ شاعر او شعراء او كاتب او كتاب فى تلك اللهجة ، غاية فى البلاغة والفصاحة والصناعة فتنتشر آثارهم بين الناس .

ويحاكيهم غيرهم فى ذلك ، ويكون ذلك سببا فى انتشار اللهجة وتفوقها كما حدث عند اليونان فى الشعر القصصي الذي بلغ كماله فى الياذة «هوميروس» المنظومة بلغة اليونانيين فى القرن التاسع قبل الميلاد ، وفى الشعر الغنائي المنظوم بلغة الأيوليين احدى اللهجات اليونانية وذلك لسبق الايوليين غيرهم بهذا الفن ، فلم يقل بعدهم سائر اليونان هذا النوع من القريض الا بهذه اللهجة . وكالذي حدث ايضا فى الشعر الخورسي المنظوم باللهجة الدورية عند عموم اليونان . ومن اسباب تفوق لهجة على اخرى سبقها فى مضمار التأليف او اتخاذها لغة رسمية فى دوائر حكومة قوية لها كيان وسلطان او جعلها لغة دينية أو تأليف الكتب الدينية بها كما حدث في الالمانية حيث صارت اللهجة التي ترجم بها « مارتن لوثر » الكتاب المقدس فى القرن السادس عشر ، لغة الادب نظرا لمحاكاة الشعراء والادباء اياه فى استعمالها للتعبير عن آرائهم ، او السيادة السياسية والاقتصادية وأمثال ذلك من عوامل بسطها العلماء المتبحرون فى اللغات ولم يرد فى كل الروايات ان قريشا كانت تمتلك هذه الاسباب ليجوز لنا القول ان لغتها كانت لغة الأدب والشعر فى جزيرة العرب قبل الاسلام (18) .

وانني ارى ان لغة قريش لها من المقومات ما جعلها تصهر فى بوتقتها اللهجات الاخرى وتتفاعل معها تفاعلا ادى فى النهاية الى تفوقها وجمعها شمل لهجات العرب فى لغة عربية اصيلة .

والعرب امة ككل الأمم الموجودة الآن يرجع نسبها الاعلى الى نبي الله نوح عليه السلام لانه كما يسميه العلماء آدم الصغير ، وجاء ذلك فى القرآن صريحا فى قوله تعالى : « وجعلنا ذريته هم الباقين » (19) .

ويقسم النسابون : العرب قديما الى ثلاث طوائف :

الاولى : عرب بائدة وهم عاد الاولى وثمود وطسم وجديس وجرهم الاولى وهؤلاء بادوا ، وانقطعت اخبارهم الا قليلا .

الثانية : عرب عاربة ومنهم سبأ وقحطان وجرهم الثانية .

الثالثة : عرب مستعربة ، وهم أولاد اسماعيل ابن خليل الله ابراهيم عليهما السلام وأمهم من جرهم حيث جاور قومها اسماعيل وهو فى مهده ورأوا الماء « زمزم » ينفجر حولها فأقاموا بجوارها وكانوا اول من كونوا بلدا عرف من بعد باسم « مكة » ومن ولد اسماعيل هذا كانت القبائل العدنانية التي منها خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، وكانت مساكنهم مكة وما حولها من الحجاز وتهامة . ومن عدنان هذا حفظت العرب العدنانية انسابها ويقال لبطون هذا الشعب العدنانية النزارية .

وتشعبت عدنان هذه الى قبائل اشهرها قريش ويسمى « فهرا » . وهو الجد الحادي عشر للنبي عليه الصلاة والسلام ، واصل معنى الفهر «الحجر الصلب».

وانقسمت قريش الى بطون منها بنو هاشم أسرة النبي ، ومنها بنو مخزوم الذين منهم الوليد بن المغيرة ، ومنها تيم ومن تيم أبو بكر الصديق ، ومنها عدي ، ومن عدي عمر بن الخطاب ، ومنها أمية ، ومنهم ابو سفيان بن حرب والد معاوية ، وكان لبطون قريش الشرف فى الجاهلية والاسلام عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قريش الجؤجؤ والعرب الجناحان، والجؤجؤ لا ينهض الا بجناحين(20)

وكان سبب اعتزاز قريش بنفسها ما هيأه الله لها من اسكانها بجوار بيته حتى كانت تسميهم العرب جيران الله وآل الله ، وفى ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلوات الله عليه وسلامه :

نحن آل الله فى ذمته
لم نزل فيها على عهد القدم

ان للبيت لربا مانعا
من يرد فيه بإثم يخترم

لم تزل لله فينا حرمة
يدفع الله بها عنا النقم

وكان من تدبير الحكمة الالهية لرفع ذكر هذه الامة : ان الهم احد زعمائها وهو قصي بن كلاب من اولاد فهر « قريش » عندما راى ان كثيرا من بطون قريش تفرقت وراى المرعى والماء الكثير حتى وصل بعضهم بلاد البحرين راى عند ذلك بالهام ان يجمعهم حول هذا البيت العتيق الذي كرمه الله واكرم من يجاوره . وكان من نتيجة ذلك انه سبحانه سخر بيوتا منها لعمارة بيته ولسقاية حجاجه وهم بنو هاشم ، ومنها من جعله الله مرجع العرب فى الراى والمشورة ومنهم من امتاز فى الحروب وكانت له الراية فيها . ومنهم من كانت له الرفادة وهي ما كانت تخرجه من

اموالها وتعطي منه من انقطعت به الطريق من الحجاج ، ومنهم من كانت سدانة الكعبة فى بيته اى خدمتهــا وحفظ مفاتيحها ، ومنهم من كان عليه دفع الديــات والمغارم عن المحتاجين كبيت ابى بكر الصديق .

ومنهم من كان مختصا بالسفارة بين قريــش وغيرها اذا وقعت حروب أو نزلت نوازل وهم بيت عمر ابن الخطـــاب .

ولما جاء الاسلام ، اقر كل ذلك لانه من مكــارم الاخلاق ، ومن اعظم اسباب احترام عرب الجزيرة وما حولها لهم ان الله هيأ لهم سكنا جوار البيت العتيق ، وضمن لهم امنهم وقوتهم ، وجعل من دخلــه كان فى حرام الله وامانه حتى ان الرجل منهم يلقى قاتل ابيه او اخيه أو ابنه فلا يمسه بسوء ما دام فى حــرم الله ، اقرأ ذلك فيما حكاه الله سبحانه عن ابيهم ابراهيم عليه السلام فى قوله تعالى : « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات » الى ان قال : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيــم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » (21)

وكان لقريش رحلتان هامتان لجلب ما يحتاجون وتصريف ما يستغنون عنه من انعامهم ومنتجاتهـــا : رحلة فى الشتاء الى جنوب الجزيرة ورحلة فى الصيف الى الشام وهم فى كلتا الرحلتين آمنون مطمئنـــون لانهم جيران الله ، قال الله سبحانه وتعالى : « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (22)

وقال تعالى ممتنا عليهم بذلك « أو لم نمكن لهــم حرما آمنا تجبيإليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون » . (23)

وقال تعالى مشيرا الى ان هذه الميزة خصهم بها دون من حولهم من العرب : « أو لم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » . (24)

وكانت قريش تنتهز فرصة اجتمـــاع القبائــل العربية الكثيرة فى مكة وذلك فى موسم الحج ويقيمون اسواقا يقصدون بها اغراضا شتى منها التجارة ومنها ان تفخر كل قبيلة بمن نبغ فيها من شاعر او خطيب . حتى كانت القبيلة التي ينبغ فيها شاعر وخطيب تقيم الافراح الليالي والشهور لانه رفع ذكرها ، وسجــل تاريخها بين العرب . وكان من نتيجة ذلك ان اللغـــة العربية القرشية اتسعت اساليبها وغزرت مفرداتها ، وتنوعت مواردها وتوفرت لها اسباب النمو من المجازات المختلفة التي تساند الحقيقة فى تأدية المراد .

قال علماء الادب : رات قريش ان تحمل العــرب على توحيد اساليبهم وان تكون لغة قريش هي السائدة ولم تزل تهذب فيها وتسيرها فى الالفاظ على السنة الشعراء والخطباء حتى عرفها من لم يكن قريشا فوصلت قريش بذلك ذروة النفوذ الادبي والسيادة على جمهرة القبائل العربية وصارت لغتها ممتازة بصفاء التركيب وعذوبة اللفظ مما جعل العرب يقبلون على محاكاتهــا حتى انتهى الامر الى ذلك الاصلاح القرشـــي بظهـــور الاسواق الادبية التي كان لقريش فيها الفضـــل الاول فكان العرب يحاكون أساليبها ويتأثرون لعذوبة الفاظها فيما يقولون شعرا ونثرا .

وكان العرب يأتون لهذه الاماكن من كل فج عميق ليؤدوا مناسك الحج ويتجروا بأسواقهـــم ، وكـــان المعروف من هذه الاسواق عندهم : ثلاثة أسواق : سوق عكاظ وهي موضع قريب من الطائف ، وكانــت تقوم من اول ذي القعدة الى عشرين يوما منه ثم ينتقل العرب منها الى سوق « مجنة » بكسر الميم ، وفتــح الجيم وتشديد النون المفتوحة وهي موضع قرب مكة بمر الظهران ثم منها الى سوق ذي المجاز وهي سوق على بعد نحو خمسة كيلومترات من عرفة ويمكثون بها الى ايام الحج .

يقضون فى هذه الاجتماعات نحو شهرين يتعارفون فيها ويتناشدون الاشعار والخطب وكانت اللغة السائدة فى هذه المجامع هي لغة قريش (25) .

ومن الواضح انه لم يكن المتكلمون بالعربية طائفة واحدة رغم انتسابهم الى العرب ولكنهم كانوا قبائــل متفرقة فى انحاء الجزيرة ، وقد اضطرت هذه القبائل الى الاتصال ببعضها لتبادل المنافع من تجارة وغيرها، فاجتمعت فى الاسواق واتصلت عند شــن الغارات والحروب . وهذه الاتصالات اوجدت سبيلا للتصارع بين اللهجات فباد الضعيف وازداد القوي قوة وما زالت اللهجات تتصارع حتى كتب للقرشية التفوق والتغلب لاسباب ، عديدة :

(1) النفوذ الديني : فقد كان لقريش مكانة دينيــة ممتازة لقيامهم بسدانة البيت الحــرام الــذي يفدون اليه لتقديم قرابينهم ، وتقديس آلهتهـم وشهود منافع لهم فكانوا لذلك موضع تقديــس العرب جميعا .

(2) النفوذ التجاري : وقد كان للقرشيين سلطان اقتصادي كبير ، فقد كان زمام التجارة بأيديهم فيجلبون البضائع من الشام صيفا ومن اليمن شتاء ويوزعونها على القبائل العربية فأصبحوا قبلة الانظار العربية .

(3) النفوذ السياسي : وقد تهيأ لقريش مكانة سامية بفضل ما أوتوا من نفوذ ديني واقتصادي وما حبوا به من حضارة ومجد فأصبح لهم نفوذ عند العرب جميعا ، ويرشدنا الى ذلك ما قاله أبو بكر الصديق فى رده على الانصار الذين طمعوا فى الخلافة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام : « لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على اخوانكم » .

(4) النفوذ اللغوي : ان القرشيين لم يقفوا حجر عثرة فى سبيل تقدم لغتهم بل عملوا على نموها ، فاضافوا اليها ما هي فى مسيس الحاجة اليه وما رواه اخف على اسماعهم وايسر على السنتهم . فهذه العوامل قد هيأت للقرشية سبيل النجاح ومكنتها من ان تصبح اللغة العربية السائدة ذات الاصالة والعمق . فانت ترى أن قريشا افردت بعلو الكلمة وسمة الزعامة وسعة الجاه ووفرة السلطان وتمام النفوذ الروحي والاقتصادي بين العرب لما تواتي لهم من ثقافة وخبرة وحنكة .

والذي ورث من لغة الحميريين ليس كثير التمييز عن لغة قريش سواء فى التصريف ام فى الاعراب ام فى الاسلوب . بل ان اكثره ظاهر فى اختلاف بعض الالفاظ عن بعض فى الدلالة على المعاني المتحدة ، فلفظ « انطى » فى لهجة الحميريين معناه « اعطى » عند قريش والكتع عند الأولين هو الذنب عند الآخرين، والشناتر عند حمير ، هي الاصابع عند قريش ، وسامدون في لغة حمير هي الغناء فى لهجة قريش الى غير ذلك مما تجد له نظيرا فى لهجات مضر كالسدفة فهي الظلمة عند تميم والضوء فى لغة قريش (26) .

ولما كان الخلاف بين الحميرية والقرشية غير متشعب ذابت لغة الحميريين كسائر اللغات الأخرى فى لغة قريش التي صارت ذات غلبة وسيادة على سائر اللغات ، وقد استفادت القرشية من صراعها مع اللهجات الاخرى امورا كثيرة اهمها :

(1) استفادت كثيرا من المفردات والاساليب ولا سيما التي كانت تنقصها فتنوعت فنون القول وتمكنت من التعبير عن جميع الاغراض ، وقد غنيت بالمترادف والمشترك والمتضاد وغيرها من الأمور التي كانت كبيرة الأثر فى نمو اللغة وسعتها

(2) صيرورتها اللغة القومية للعرب جميعا ، لان اللغات او اللهجات اذا تصارعت وكتب لاحداها الفوز اتجه الجميع الى التكلم بها ولذلك صارت القرشية لغة الشعراء فى اشعارهم والخطباء فى خطبهم ، ويؤكد ذلك ان العرب على اختلاف قبائلهم ورد الينا شعرهم بلغة موحدة الا فى القليل النادر وهو الذي كان عليه الاعتماد فى تعرف البقية من لهجاتهم (27) .

وانت ترى بعد هذا ، ان احتكاك اللهجات العربية ادى فى نهاية الامر الى تزعم القرشية وصرعها جميع اللهجات الا انه قد بقي لكل قبيل بعض الالفاظ التي كانوا يستعملونها فى مخاطباتهم وفى النادر من اشعارهم ، والذي يرشدنا الى هذه البقية من اللهجات مصدران :

المصدر الاول : القراءات التي رويت فى القرآن الكريم عن ائمة القراء الموثوق بهم والذين نقلت الينا قراءاتهم من طرق لا يتسرب الشك اليها ، وقد روى عن ابي بن كعب رضى الله عنه قال : دخلت المسجد اصلي فدخل رجل فافتتح النحل فقرأ فخالفني فى القراءة ، فلما انفتل من صلاته قلت : من اقراك ؟ قال: رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم جاء رجل فقام يصلي فقرأ فخالفني وخالف صاحبي ، فلما انفتل، قلت من اقراك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كان فى الجاهلية ، فاخذت بأيديهما وانطلقت بهما الى النبي فقلت : استقرىء هذين فاستقرأ احدهما : وقال احسنت ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كنت عليه فى الجاهلية . ثم استقرأ الآخر وقال احسنت فدخل صدري من الشك والتكذيب اشد مما كنت عليه فى الجاهلية .

فضرب رسول الله صدري بيده وقال اعيذك بالله يا ابي من الشك ثم قال : ان جبريل عليه السلام اتاني فقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت اللهم خفف عن امتي . فقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على حرفين فقلت : اللهم خفف عن امتي ، ثم عاد وقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على سبعة أحرف .

فهذا الحديث صحيح فى اجازة النبي القراءات التي هي مصدر لاختلاف اللهجات .

والمصدر الثاني : ما رواه الثقاة فى كتب النحو والادب واللغة والتاريخ من آثار لتلك اللهجات ومما يذكر استطرادا : ان الخلاف بين اللهجات متعدد النواحي متشعب الجهات ، فتارة يكون الخلاف ناشئا عن اختلاف الحروف وتارة اخرى يكون عن تباين الحركات . وثالثة من اختلاف حركات الاعراب والبناء وآونة يتعلق بهيئة النطق .

وبالنظر الى ما وصلنا من لهجات العرب يمكننا ان نحصر مظاهر اختلافها فيما يلي :

1) الابدال : ويشمل ابدال الحروف من الحروف والحركات من الحركات .

2) التصحيح والاعلال .

3) الاختلاف فى الاعراب .

4) التردد بين الاعراب والبناء .

5) الزيادة والنقصان .

6) الفك والادغام .

7) هيئة النطق : وهي تشمل : الامالة والترقيق والتفخيم والاخفاء والاظهار .

8) تقديم بعض حروف الكلمة على بعض وهو : القلب المكاني .

9) دلالة اللفظ على معنيين فأكثر وهو المشترك والمتضاد .

10) دلالةعدةألفاظعلىمعنىواحد وهو المترادف (28)

واما المستشرقون فآراؤهم فى اللغة الفصحى مختلفة كذلك . يرى « نولدكه » ان الفروق بين اللهجات فى الاقسام الرئيسية من جزيرة العرب ـ مثل الحجاز ونجد ومناطق البادية المتاخمة للفرات ـ لم تكن كبيرة ، وان اللهجة الفصحى مبنية على جميع هذه اللهجات .

ويرى غويدي : أن اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها أهل نجد والمناطق المجاورة لها ولكنها ليست لهجة معينة لقبيلة معينة .

اما المستشرق « نلينو » فيرى أن اللغة الفصحى وهي لغة الشعر الجاهلي هي لغة القبائل التي اشتهرت بالبراعة فى نظم القصيد والتي تردد اليها النحاة وعلماء اللغة فى الاسلام ليتعلموا من اهلها صحة النطق بالحروف أو المعاني الغريبة والشواهد لقواعد النحو وهي قبائل معد التي جمع ملوك كندة كلمتها قبل منتصف القرن الخامس للميلاد ؛ ويرى ان هذه اللهجة تولدت من احدى اللهجات النجدية وتهذيب فى مملكة « كندة » وفى أيامها فصارت اللغة الادبية السائدة بين العرب .

ويرى فيشر Fischer ان العربية الفصحى هي لهجة معينة ولكن فيشر لم يعين هذه اللهجة . اما راي هارتمن Hartmann وفولرس Vollers فخلاصته : ان العربية الفصحى هي لهجة أعراب نجد واليمامة ، غير أن الشعراء ادخلوا عليها تغييرات عديدة ، أما الاجزاء الباقية من الجزيرة فكانت تتكلم بلهجات أخرى .

ومن راي بروكلمن Brockelman وويتزشتاين Wetzstein وآخرين : ان اللهجة العربية الفصحى لم يتكلم بها على الشكل الذي نعرفه ولم يشرح « بروكلمن » علاقة هذه اللهجة ببقية اللهجات .

ويرى « لندبرج » Landburg ان قواعد هذه اللهجة انما هي من وضع الشعراء فمن شعرهم استخرجت القواعد ومن قصائدهم استنبطت (29) .

هذا مجمل آراء كوكبة من كواكب العلم والاستشراق والدراسات الواسعة فى المقارنة والعمق والأصالة الجاهدة . ومع انها آراء تبدو مختلفة الا انها فى جملتها ومضمونها العام تعطي صورة صادقة لفصاحة القبائل العربية المنتشرة فى طول الجزيرة العربية وعرضها .

ومما يرجى ذكره : ان العلماء لم يتفقوا على اول ناطق « لاهج » بالعربية ، فافترق الباحثون حسب ما بدا لهم من ادلة اساسها الحدس والتخمين .

فيرى فريق من باحثي اللغات : ان العربية نشات على يد القبائل البائدة التي لم يشملها الفناء والهلاك كطسم وجديس ويستند اصحاب هذه الفكرة الى التوافق بين النقوش المعثور عليها والاصوات التي امتازت بها السامية كالضاد والغين .

ويتجه آخرون : الى أن يعرب بن قحطان هو اول متكلم بالعربية ويؤيدهم كثيرون من العلماء محتجين

بأن العرب البائدة قد ذهبت ادراج الرياح فليس لها أثر محقق سوى المروي من قصصها فى الكتب السماوية والمنقوش على الآثار المعثور عليها . وهـذا الـرأي منسوب إلى اليمانيين الذين يرون انهم اصل العرب .

ويتجه جماعة : الى ان اسماعيل هو اول متكلم بالعربية مستدلين بما ورد فى الاثر من ان أول من فتق لسانه بالعربية اسماعيل .

وجاء فى المزهر : ان اول من تكلم بالعربية ونسي لسان ابيه اسماعيل عليه السلام(30). ويرى بعض العلماء : إن العربية هي لغة العرب العاربة ومنها انتقلت الى القحطانيين فالعدنانيين ، وقال فريق : ان لسان جميع من كان فى سفينة « نوح » هو السريانية الا واحدا منهم هو « جرهم » فكان لسانه لسان العرب الاول . فلما خرجوا من السفينة تزوج ارم بن سام بعض بناته فمنهم صار اللسان العربي فى ولده عوض ابى عاد وعبيل وجاثر ابى ثمود وجديس .

تلك آراء العلماء وقد عززت بالادلة التي وضحت لاصحابها .

ومن النظر البين فيها تتجه النفس الى ان العربية اخذت من بقايا القبائل البائدة فليس هلاكها مؤثرا فى لغتها فهناك قبائل بقيت كطسم وجديس .

ولانه من غير المقبول ان يكون « يعرب » اول لاهج بها . لانه وفد من العراق متكلما بلغته التي تفاهم بها فى وطنه الذي ارتحل عنه وهي غير عربية قطعا ، فترك يعرب للغته التي تعودها منذ نعومة اظفاره ليتكلم بلسان جديد هو العربية مناف للمألوف ومخالف للمعروف .

كذلك لا يمكن القول بأن اسماعيل العبري أول لاهج بها . بناء على اثر نبوي فالطعن فى هذا الحديث بناء على حال اسماعيل قوي ولكننا نقبله ونفسره بما يساير الواقع ويتفق مع الحاصل وهو ان اسماعيل أول ناطق بالعربية من العدنانيين بعد أن تعلمها من مخالطة الجراهمة التي هي فرع قحطاني عند نزوله مع امه ببطن مكة سنة الف وسبعمائة قبل الميلاد . وعلى ذلك فلا تنافي بين الاثر والواقع .

والقحطانيون وقد تلقوا لغتهم من بقايا العرب البائدة لم يكن لهم لسان موحد فى شتى العصور لان العوامل اللغوية فعلت فعلها فكانت اللهجات المختلفة .

اللهجة المعينية : وهي منسوبة الى المعينيين الذين اسسوا اقدم مملكة فى بلاد اليمن وقد اتخذوا « قرنا » عاصمة لهم وذلك فى القرن الثامن قبل الميلاد غالبا .

اللهجة السبئية : وتنسب الى السبئيين الذين قامت دولتهم القوية على انقاض الدولة المعينة واتخذوا « مارب » عاصمة لهم .

اللهجة الحميرية : وهي منسوبة الى الحميريين الذين نازعوا السبئيين الحكم امدا طويلا .

اللهجة القتبانية : وتنسب الى قبائل قتبان التي انشات مملكتها فى المنطقة الساحلية شمال عدن .

اللهجة الحضرمية : وهي منسوبة الى قبائل حضرموت وقد انشات مملكة قوية نازعت سبأ السلطان .

فالقحطانيون تلقوا هذه اللغة عن بقايا القبائل العربية البائدة وقد توسعوا فيها حسب مطالب الحياة واخذها :العدنانيون عنهم لجوارهم لفرع قحطاني وهو « جرهم » (31) .

فالعربية عريقة فى القدم — ممتدة فى جذور التاريخ العميق . ولها تاريخ ممتد فى الزمن الماضي وان التاريخ الطويل للغة يعطيها فاعلية اكثر وتبلورا وتناسقا مع مقتضيات كل زمان .

وللعربية مصادر اصيلة وركائز اساسية اعتمدت عليها فى تفاعلها مع الزمن وهذه المصادر يمكن ان نستقيها من: القرآن الكريم والشعر والامثال والقصص.

اما القرآن : ففضلا عن كونه احدث تغييرا جذريا فى التفكير العربي فى جميع مناحي الحياة ، فقد كان مصدرا عظيما للغة التي اغناها بمصطلحات كثيرة أو باسلوب جديد ، وكثير من هذه المصطلحات أو الاساليب يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين والعقائد والعبادات والمعاملات .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقدم هذا الاسلوب المنزل فى صورة وحي كأخبار او جواب عن اسئلة يثيرها العرب « يسالونك عن الأهلة — يسالونك عن الشهر الحرام — ويسالونك ماذا ينفقون — يتساءلون عن النبا العظيم » الخ .

وفى عهد الرسول لم تثر أسئلة كثيرة لتأويـل عدد من نصوص القرآن فكان على الصحاب ان يأخذوا على انفسهم ثقل هذه المسئولية فلم يقدم على ذلـك الا قليل منهم كعكرمة وابن عبـاس الذين تصديـا للجواب على كثير من الاسئلة التي أثارها المستفسـرون.

واثار الخلاف فى قراءة القرآن مشكلة ظهور عدة روايات تنوقلت عن جماعة معينة من القراء واحتفت الآيات بوجه عام بصورتها الحقيقية ، وانما كان الخلاف يتعلق بالحركات لا بجوهر اللفظ نفسه . ومهما يكـن من شيء فان القرآن كان مرجعا اساسيا لرواة اللغـة الذين اعتمدوه كنقطة استقرار واستنتاج وقد حفظ عدد من الاستعمالات التي لم تعد اليوم جاريـة فى الأسلوب العربي مثل : « ان هذان لساحـران ، قال رب ارجعون » « والأرض فرشناها ــ فقد صغـت قلوبكما » وكل هذه الاستعمالات وغيرها كان يستشهد بها للتدليل على صحة ما يقابلها من غير القرآن . قال المستشرق بروكلمان Brockelmann بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه اى لغـة اخرى من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي احل لهم ان يستعملوه فى صلاتهم . وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع اللغات الاخرى التي تنطق بها شعوب اسلامية .

وقال الدكتور ستينجاس : ولنسائل انفسنا ماذا كان مصير هذه اللغة العربية ولو لم يكن محمد ولو لم يكن القرآن ؟ ونحن لا ننكر ان اللغة العربية انتجت قبل الاسلام الوانا عديدة من الشعر هي غايـة فى الحسن والرقة الا انها كانت كلها محفوظة فى اذهان النـاس وغير مكتوبة ، زد على ذلك ان الشعر العربي ليس هو الادب كلـه .

وقال الدكتور « جورج سارطون George Sarton وهب الله اللغة العربية مرونة جعلتها قـادرة على أن تدون الوحي الالهي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته ، وأن تعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيهـا متانة . وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربيـة الى مقام المثل الاعلى فى التعبير عن المقاصد . الا ان هذا كله لم يمنع من نشوء لهجات متعددة للتخاطـب العادي وخصوصا حينما أصبح أبناء الامم المختلفـة يتكلمون العربية ولكن القرآن الكريم جعل من اللغـة العربية وسيلة دولية للتعبير عن اسمى مقتضيـات الحيـاة (32) .

والحديث الشريف لم يخط بمثل هذه الخطوة ومع ذلك فتوجد تراكيب مشهورة وردت قصـدا او ضمنا فى احاديث النبي حتى قيل انها لم تسمع عـن غيره من قبل ومنها: «مات حتف انفه ــ الحرب خدعة ــ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

واما الشعر: فمصدر بالغ الاهمية للغة حتى قيل: انه لولا الشعر لضاع نصف اللغة ، وانما ظل الشعـر مصدرا للغة لسهولة حفظه وروايته ولأنه لا يحتمـل المكذوب والمدسوس مثلما يحتمله النثـر ، واذا كان الشعر لم يسلم من التحريف والانتحـال ، فان بعض الادباء عمدوا الى جمع كثير منه كتابة فى وقت متأخر نسبيا كأبي تمام فى كتاب « الحماسة » وابو فـرج الاصبهاني فى كتاب « الأغاني » والذين قصدوا جمع مواد اللغة للتأليف، فى هذا الباب عمدوا الى الاستشهـاد بالشعر كما فعل النحاة أيضا . وهكذا استشهـدوا بالشطر التالي على ان « عزب » تطلق على الذكر والانثى

يا من يدل عزبا على عزب

كما استشهدوا فى مخاطبة الواحد بلفظ التثنية بقول سويد بن كراع :

فان تزجراني بابن عفان انزجـر
وان تدعاني احم عرضا ممنعـا

وقس على هذه الامثلة وقد كان ابن عباس يقول: اذا قرأتم شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبـوه فى اشعار العرب لأن الشعر ديوان العرب (33) .

قال ابو حاتم الرازي المتوفى فى سنة 322 هـ ان للغة العربية ديوانا ليس لسائر لغات الامم وهو الشعر الذي قد قيدوا به المعاني الغريبة والالفـاظ الشاردة فاذا احوجوا الى معرفة حرف مستصعب ولفظ نادر التمسوه فى الشعر الذي هو ديوان لهم متفق عليـه مرضي بحكمه مجمع على صحة معانيه واحكام اصوله محتج به على ما اختلف فيه من معاني الالفاظ واصول اللغـة .

والشعر : هو الكلام الموزون على روي واحد ، المقوم على حذو واحد حتى لا يخالف بعضه بعضا فى الوزن والروي وسموه شعرا : لانه الفطنة بالغوامض من الاسباب وسموا الشاعر شاعرا لانه كان يفطن لما لا يفطن له غيره من معاني الكلام واوزانه وتاليف المعاني واحكامه وتثقيفه ، فكان لا يفوته من هذه الاسباب كلها شيء . قال عنترة :

هل غادر الشعراء من متـردم
أم هل عرفت الدار بعد توهـم

بمعنى ان الشعراء لم يدعوا شيئا الا وفطنوا لـه يقال شعرت بالشيء اذا فطنت له ، قال الكسائي في قوله تعالى « ولكن لا تشعرون » شعرت بالشيء شعرا وشعورا وبعضهم يقول مشعورة ، وقال ابو سعيدة : هو شعره فحذفوا الهاء قال : وهو مثل الدرية والفطنة وهو على وزن « فعلة » قال : وقيل شاعر لانه يشعر بالشيء ويفطن له ، قال : ومنه قولهم ليت شعري اي ليتني أشعر به .

وسموا الكلمات المنظومة المؤلف بعضهـا الى بعض « قافية وجمعها » « قواف » قال النابغة :

قواف كالسـلام اذا استمـرت
فليس يرد مذهبها التظنـي

يعنون بالقوافي الكلام الذي يقفو بعضه بعضا على مثال واحد ثم سموا اجتماع القوافي قصيدة .
قال جـريـر :

فى ليلتين اذا حدوت قصيـدة
بلغت عمان وطـيء الاجيـال

يعني بالقصيدة : الكلمة التي ملئت بالمعانـي وكثرت فيها الالفاظ المستحسنة يقال ناقة قصيدة اى ممتلئة كثيرة اللحم سمينة فكأنهم شبهوا القصيـدة بذلك ، قال الشاعر :

قطعت وصاحبي سـرح كنـاز
كركن الرعن ذعلبة قصيـد (34)

فالعرب تكلموا بالشعر الرصين المحكم المعاني الموزون بالعروض المقوم بالانحاء من غير ان يعرفـوا عروضا او نحوا وابرزوه فى الفاظ حسنة ومعان متقنة وقواف موزونة ومصاريع مستوية فرواه أهل اللـب والادب منهم وقبل اهل الشرف والحسـب عنهـم وجعلوا رويه فى ذكر الاحساب والمآثر ومدح الملوك والاكابر والنبلاء من الناس ، وفى ذكر المثالب والسباب وهجاء اهل الضغائن والاحقاد ،وفى ذكـر الوقائـع والحروب ونشر كل شاعر محاسن ايـام قبيلتـه ومفاخرها ومساوىء اهل الشنآن والبغضاء واستفتحوا كلامهم بذكر النسيب وبسطوه بصفات الديار والقفار والنجع والامطار ، ونعت الخيل والابل والوحش وغير ذلك مما يطول الشرح به ، ويكثر الكلام بذكر عللـه فتقيدت به الالفاظ الغريبة والمعاني اللطيفـة وحفظ الرواة عنهم كثيرا من ذلك الشعر ودونوه ورواه السلف للخلف وعرفوا به اختلاف لغات القبائل (35) .

واما الأمثال : فتعد ايضا من المصادر الأصيلة للغة العربية حيث انها ذات اهمية بالغـة من حيـث ارتباطها اجتماعيا وادبيا بحياة العرب . وهي من آداب العرب الهامة ، لانها تجري على السنتهم مجرى الشعر وهي عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقـل الراجـح .

قال ابو عبيد : الامثال من حكمـة العـرب فى الجاهلية والاسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها فى النطق بكناية غير تصريـح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال ايجـاز اللفظ واصابـة المعنى وحسن التشبيه (36) .

والعرب تضمن اشعارها واقوالها الامثال والحكم فتزينها كقول ابى ذؤيب من قصيدة :

فلا تك كالثور الذي بـه دفنـت
حديدة حتف ثم أمسى يثيرها (37)

وبعضهم نظم القصائد كلها من الامثال كأرجوزة ابي العتاهية التي سماها ذات الأمثال (38)ولا تخلو أمة من الامثال المتوارثة فى الاعقاب . لكن العرب يمتازون بامثالهم المبنية على الحوادث لان الامثـال عندهـم نـوعـان :

1 ـ امثال حكمية كقولهم : الجار قبل الدار، الحرب خدعة ، والخطأ زاد العجول ، والعتاب قبـل العقاب ، ونحوها مما يتناقله النـاس فى الأعقـاب وترويها الامم بعضها عن بعض ، واقدم مجموع لهـا امثال سليمان واكثر الامم اخذت عنها .

2 ـ الامثال المبنية على الحوادث وهي خاصة بهم لان الحوادث جرت لهم كقولهم : « وافـق شـن طبقة » و « قطعت جهيـزة قول كل خطيـب » و « الصيف ضيعت اللبن » و سبق السيف العذل » وهم يؤثرون تلك الامثال عن قائليها وقد يروون عشرات من الامثال قالها الواحد فى حادثة واحدة كمـا رووا فى حادثة الزباء وقصير وجذيمة الأبرش(39) فذكروا فى اثناء هذه الحادثة عشرات من الاقوال ذهبت مثلا منها قول قصير « راى فاتر وعدو حاضر » وقوله « رايك فى الكن لا فى الضح » وما ضل من تجري به العصا » وقول الزباء « لامر ما جدع قصير انفه » « وبيدي لا بيد عمرو » ونحو ذلك ، وهذه الامثال واشباهها كثيرة فى اقوال الجاهلية .

وقد عني العرب بجمع الأمثال لأنها من جملة مـا احتاجوا اليه فى تحقيق الفاظ اللغة ، ذكر ابن النديم ان عبيد بن شرية من أهل اليمن ألف كتابا فى الأمثال فى خمسين ورقة بأواخر القرن الاول الهجري وهـــو اول من فعل ذلك وقد ضاع هذا الكتاب .

واشتغل كثيرون من ادباء البصرة والكوفة فى ابان التمدن الاسلامي بجمع امثال العرب منهم صحار العبدي كان معاصرا لابن شرية ويونـــس النحـــوي المتوفى سنة 182 هـ وابو عبيدة سنة 211 هـ وثعلب سنة 291 هـ وابو عبيد القاسم بن سلام سنة 223 هـ والمفضل الضبي وأبو هلال العسكري ومحمد بن زياد الاعرابي ومحمد بن حبيب البغدادي وحمزة الاصفهاني وغيرهـــم .

وقد شرح هذه الكتب كثيرون واضافوا اليها من الامثال الحادثة فى الاسلام ، واهم هذه الكتب الباقية الى الآن كتاب « المستقصى » للزمخشري « توفـــى سنة 538 هـ » ومجمع الامثال للميداني « توفى سنة 518 هـ » وفى مجمع الامثال نخبة مما احتوته كتـب المتقدمين جمعه مؤلفه من نحو خمسيـــن كتابـــا فى الأمثال ورتبه على حروف المعجم بعد أن اضاف اليه امثال المولدين . وهو اجمع كتاب فى الامثال العربية وفيه شروح لطيفة وقد طبع مرارا فى مصر وغيرها ، أما المستقصى للزمخشري فمنه نسخ خطية فى مكتبة ليدن وفينا والمتحف البريطاني وكوبرلى بالأستانـــة ودار الكتب المصرية .

اما كتب الامثال الاصلية التي أخذ عنها الميداني والزمخشري فالباقي منها قليل : اهمها كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام طبع فى غوتنجن سنة 1836 وأمثال العرب للضبي طبع فى الاستانة سنة 300 1 هـ وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري طبعت فى الهنـــد سنة 1307 هـ وامثال لقمان طبعت مرارا فى اوربـــا ومصر ومنها طبعة فى باريس سنة 1847 مع ترجمة فرنسية ، وتجد كثيرا من امثال العرب فى كتـــاب الأمالي لابى علي القالي ، وكتب اللغة وكتـــب الادب ونحـــوهـــا (40) .

واما القصص : فوراء كل مثل قصة حفظت كتب الامثال السابق ذكرها كثيرا منها وخصوصا مجمـــع الأمثال للميداني 518 هـ والقصص تمثل بدورها نماذج صادقة من تفكير العرب وآدابهم واهميتها اللغويـــة تتمثل فيما شملته من غريب اللفظ وجمال الاسلوب واحسن مرجع لها هو كتاب « الامالي لابى علي القالي وكتاب الأغاني لأبي فرج الاصفهاني وكتاب البيـــان والتبيين للجاحـــظ » .

وخلاصة القول : ان القرآن الكريـم والشعـــر والأمثال والقصص قد ادت دورا بارزا فى حفظ اللغة العربية وتقويمها . الا ان جميع الدراسات اللغويـــة اثبتت فى قوة ان سبب نشأة اللغة العربية ونموهـــا واتساعها وشمولها وتبلورها ، هو القرآن الكريم قبل غيره وذلك ان الفاظا كثيرة يرددها القرآن كانت مثار اسئلة المسلمين منذ عهد الرسول ، وكان بين هـــذه الالفاظ ما هو غير عربي ثم كان المعنى اللغوي يتعين فهمه قبل الاقدام على التاويل الشرعي فنشأ عن ذلك العناية بتفسير القرآن الكريم .

واختلفت الروايات فى قراءة القرآن . فنشا عن ذلك علم القراءات التي كانت ذات ارتباط وثيق بالنحو. واخيرا فان وضع قواعد النحو كان ضروريا لحفـــظ آيات القرآن على صورتها الأصلية بقطع النظر عن تعدد القراءات ولحسن الحظ ، فقد كان العرب يفطنون الى ضرورة تدوين اكثر ما يمكن من الاشياء التي يخشون ضياعها بسرعة كما فعلـوا فى تدويـــن المصحـــف مثلا فقد بداوا فى ذلك منذ عهد ابى بكر الصديـــق . وهذا يدل على ان العرب كان فيهم عدد ممن يحســـن الكتابة والقراءة . بل يمكن ان يفهم من تعليم أســـرى مكة لصبيان المدينة اثر وقعة بدر الكبرى أن الكتابـــة والقراءة كانتا تنتشران بمكة التي عرفتها قبل المدينة ومن ثم فتدوين العلوم المتصلة بالقرآن قـــد سبـــق تدوين غيرها من العلوم .

وبالرغم من ان الكتابة كادت تكون مجهولـــة فى باقي اجزاء شبه الجزيرة العربية فان الالفاظ اللغوية التي حفظتها القصائد تشكل ثروة هائلة ، ولقد كانـت لغة الشعراء كما يقول « بروكلمان » أشبه ما تكون بنهر جداوله هي اللهجات للقبائل التي اشتقت من العيـــن نفسهـــا .

واذا كان للقرآن الكريم فضل فى انتشار العربية بشكل لم تكد تعرفه لغة اخرى فى العالم فان المـوارد الاخرى التي استقى منها الرواة ودارســو اللغـــة الأولون قد أدت بدورها خدمة للعربية لا تنكر .

وقد ظلت اللغة العربية على متانتها وقوتهـــا فى عهد الرسول وفى ايام الخلفاء الراشدين وما سجـــل من الهفوات واللحن على بعض العرب آنذاك لم يكـــن شيئا يذكر بالقياس الى ما أبلغته العربية من فوضـــى
شيئا يذكر بالقياس الى ما بلغته العربية من فوضـــى

والى البصريين يرجع الفضل بطبيعة الحال فى تحقيق اللغة وتمييز صحيحها من فاسدها وغريبها من مستعملها ، وان كان الكوفيون قد ساهموا بدورهم فى هذا الميدان الا ان مؤلفاتهم على العموم لم يتح لها تأثير كبير من حيث الذيوع والانتشار (41) .

عَوامِل ذاتيّة وتاريخيّة ودينيّة

اللغة العربية من اعرق اللغات العالمية منبتا ، واعزها جانبا ، واقواها جلادة وابلغها عبارة واغزرها مادة وادقها تصويرا لما يقع تحت الحس وتعبيرا عما يجول في النفس ، وذلك لمرونتها على الاشتقاق وقبولها للتهذيب وسعة صدرها للتعريب .

نزل القرآن الكريم بها ، فجعلها اكثر رسوخا ، واشد بنيانا ، واقوى استقرارا ، وبفضل القرآن صارت العربية ابعد اللغات مدى ، واوسعها افقا ، واقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الانسانية .

واستطاعت في ظل عالمية الاسلام ان تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر ، وترتفع حتى تصعد أرقى اختلاجات النفس فليس هناك معنى من المعاني ولا فكر من الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالأحرف والكلمات تصويرا صحيحا حي المقاطع بارز القسمات واضح السمات ، هذه اللغة العريقة فتحت صدرها لتراث الانسانية الخالد ومعارف البشرية الراقية الرائقة كما اتسعت لمقومات الامة الاسلامية التي شرقت بالحضارة وغربت .

برزت في اواسط القرن السادس الميلادي بغتة تتمتع بقوة لغة بالغة اشدها فما عرف التاريخ لها طفولة ، وما بدت الا لتكون لسان الحضارة والعلوم فانتقلت من شبه الجزيرة العربية الى الامصار القصية بمفرداتها ومميزاتها .

ولقد اشترك مع اللغة العربية لغتان اخريان بكونهما لغتين عموميتين لافكار دينية وعقائدية ومذاهب سياسية انتشرت بين شعوب مختلفة ، وهاتان اللغتان هما : اللغة اليونانية واللغة اللاتينية . فقد كانت اللغة اللاتينية تستعمل من « كمبانيا » في ايطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية، ومن نهر «الراين» الى جبل الاطلس .

واستعملت اليونانية من اقاصي « صقلية » الى «شاطىء دجلة» ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة. لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قابلناه بانتشار العربية التي امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء وجنوب آسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتار فقد استولت لغة العرب الكتابية على جميع انحاء الشرق الاسلامي .

لقد امست اليونانية واللاتينية في صف اللغات الميتة منذ هبطت مدنيتاهما . فما الذي حفظ اللغة العربية حية بعد زوال مدنية العرب بقرون سبعة .

تشير الكاتبة « مي » الى أن الذي كان باعثا على قيام الحضارة العربية الاسلامية هو الذي ما زال حافظها الى اليوم وهو القرآن . لقد كان الاسلام يرمي الى التوحيد سواء في الدين والسياسة واللغة ، والعربية لغة الاسلام .

لذا ستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حيا، فمن الذي لا يعرف للقرآن فضله في بقاء العربية حية ومن الذي يجهل ان اللغة العربية باقية ما بقي الاسلام ؟ (1) .

من ذا الذي لا يعترف بما ادته هذه اللغة من خدمة للانسانية وبأنها كانت الصلة الوحيدة بين حضارات الماضي وحضارات اليوم . لقد اندثرت جميع اخواتها السامية من ارامية وكنعانية وكلدانية وسريانية وأشورية وعبرانية قديمة وغيرها . في حين بقيت هي

على رغم ما مر بها من عصور الركود . وما فتئت تفيض قوة وحيوية انها الحصن المنيع الذي يحمي من طغيان العامية ، وانها الرابطة النفسية القوية التي تجمع بين أهل البلاد المتباعدة وهي الصيغة الجميلة النابضة بالاحساس والتي نودعها مكنونات العقول والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة وسعت مبادىء ومثلا سماوية لم تضق بها ولم تنكل عن احتمال اعبائها بل في ظل حضارة الاسلام مرنت وتفاعلت ونمت نماءها الطبيعي المتطور من داخلها ، وهضمت خلاياها القوية كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى تعملقت واتسعت آفاقها وانتشرت ظلالها وطوت في دورانها القوي كل ما يقف في طريق انبعاثها وتفوقها وكل ما يعرقل انطلاقها ويثقل اجنحتها عن التحليق ، واستطاعت بقوتها الذاتية ان تقشع سحب اللهجات الغامضة وتخرج من كل جولة ـ جالتها في صراع ـ بغذاء مفيد ودماء جديدة وقدرة فائقة وطاقة خلاقة معطاءة .

هذه اللغة التي زادها القرآن دعما وتأصيلا اخذت تفرض سلطانها في بيئات جديدة متفرقة في اقطار الارض ، ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من اواسط « آسيا » حتى جبال «البرانس» في شمال « اسبانيا » ولم تستطع لغة من لغات هذه البيئات ان تثبت لها او تحول بينها وبين سيادتها وقد يكون من اسباب ذلك انها لغة القرآن . وقد يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفني بحيث لم تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات . ومهما تكن الأسباب فانها اصبحت لغة قومية لامم وشعوب قد تختلف وتتباين في اجناسها واصل نشأتها ولكنها تأتلف وتتحد في عروبتها . فهي جميعا تنضوي تحت لوائها وتتلقن لسانها ، وتعب من قرآنها وشعرها وبيانها ، ولا تلبث ان تعيش لها وبها ، وتحيي فيها حياتها المعنوية الادبية والعقلية وهي ما تزال الى اليوم لغة شعوب الشرق العربي من الخليج الى المحيط الاطلسي تتوهج جذوتها وترسل ضوءها الى كل مكان حتى في امريكا ، فقد تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال تضيء في مجلاتها وآثارها الادبية .

والعربية اجتازت آمادا واحقابا متطاولة من الزمن ، وقد المت بها خطوب كثيرة ولكنها وقفت في طريقها كالصخرة في مجرى السيل يلم بها ثم يزايلها . وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تتطور بل لقد تطورت اطوارا كثيرة ، بحكم ما التقت به من ثقافات .

وقد حولت اليها وصبت فيها ثقافات الفرس واليونان والهند واسبانيا اللاتينية فوسعتها جميعا ، وتمثلتها تمثلا منقطع النظير ، وكأنما اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول شتى من الفكر والمعرفة ، وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته بل يجري غزيرا زاخرا متدفقا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود ، بين الامم والشعوب ، ولقد وحدت اللغة العربية بين هذه الشعوب والامم ، فاذا هي جميعها عالم عربي واحد مهما تدانت او تباعدت ومهما شرقت أو غربت (2) .

لغة كريمة انضجها الزمان المتطاول في البقاع الشاسعة من الجزيرة العربية واخرجتها الفطرة السليمة والاحساس المرهف والادراك النافذ . لغة كاملة معجبة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل كلماتها خطرات النفوس ، تكاد تتجلى معانيها في اجراس الالفاظ ونبرات الحروف ، كأنما كلماتها خطرات الضمير ونبضات القلوب وبسمات الحياة ، فالمعاني المحسة والمعقولة مبنية في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الاشياء المتشابهة فتضع للشبيه لفظا غير ما وضعته لشبيهه ادراكا للفرق الدقيق بينهما فاذا وضعت بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة وضعت العربية كلمات تختلف باختلاف آلة الضرب وموضعه من الجسم ، واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني مثلا بكلمات مركبة لكل صفة دلت العربية على كل حلية في الانسان وكل صفة في عينيه وحاجبيه وانفه وفمه واسنانه وغيرها بأسماء خاصة وليس هذا مقام التمثيل والتفصيل .

ثم انظر الى هذا الاحساس الدقيق المتمثل في المفردات يتجلى في التركيب مدهشا فكل كلمة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم او تحس بها الكلمة نفسها فتعطي او تأخذ صوتا مكافئا لهذه الكلمة . فالكلمة الاصيلة لها اقوى الاصوات وهو الضم والاخريات لها الفتح والجر ، وما أرى هذا الا ضربا من الحياة في الالفاظ والتركيب يبين عن ادق الاحساس والطفه .

واذا اشتملت اللغات على كلمات هي مادتها ففي اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة . فيها مادة ووزن . فخذ المادة او اخلقها او استعرها من لغة اخرى ثم صبها في قالب من قوالب الاسماء والافعال وصورها بالقوالب او الاوزان . فمن سمع فاعلا أو مفعولا ، ادرك ان هذا الوزن في حركاته وسكناته له معنى يلازمه في المواد كلها . وبهذا

امتازت اللغة العربية واستبانت خصائصها حتى نفت عن نفسها كل كلمة أجنبية ما لم تخضع لأوزانها وقوانينها . للأسماء أوزان وللأفعال اوزان فما لا تزنه هذه الاوزان فهو أجنبي ، وبهذا بقيت على الدهر المتطاول خالصة نقية صحيحة قوية .

وقد امتحنت هذه اللغة العريقة واختبرها التاريخ الطويل فلم تعجز ولم تضق بكل ما ادركه الانسان من علم وثقفه من صناعة بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والامم المختلفة غير كارهة ولا مكرهة، وقد اراد الله لها ان تكون لغة كتابه وترجمان وحيه وبلاغ رسالته فاشتملت على العالم الحسي والعقلي مصورا فى كلمات وآيات . وجوزيت على هذا خلودا ما خلد للانسان عقل وقلب . وما استقام له احساس وادراك .

وتقلب الزمن وتوالت المحن وثارت الفتن وهي ثابتة ناضرة رائعة ثبات قوانين الله وروعة كواكبه محيت لغات وخلقت لغات وبدلت لغات وحرفت لغات والعربية هي العربية لم تمح ولم تغير ولم تبدل . ما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق هذه العربية لغة العرب وحدهم بل ثقفتها الامم الاخرى واولتها من العناية والحفاوة اكثر مما اولت لغاتها احيانا فصارت لغة العلوم والآداب للعرب وغير العرب حقبا طويلة ما بين اقصى المغرب واقصى المشرق . ولا تزال على تبدل الاحوال وتوالي الغير لغة ادب وعلم فى الامم الاسلامية غير العربية وما تزال لغات هذه الامم مترعة بألفاظها . وما تزال تستمد العربية . وقد حوت على مر العصور ادبا لا تحويه لغة اخرى ادبا موطنه ما بين الصين الى بحر الظلمات وزمانه اربعة عشر قرنا ولا تعرف فى آداب العالم قديمها وحديثها أدبا اتسعت به المواطن هذا الاتساع وامتدت به الاعصار هذا الامتداد .

فالعربية بأهلها وموطنها وخصائصها وآدابها وتاريخها العربية بقرآنها خالدة باقية على الخطوب والعصور لغة دين وعلم وادب وحضارة وانسانية (3) .

ولست اعرف فى اللغات القديمة لغة بلغت مبلغ اللغة العربية من القوة والايد ومن السعة والانتشار ومن القدرة على السيطرة على العالم القديم فى أكثر اجزائه.

وقد كانت قبل اللغة العربية لغات قديمة اخرى، انتشرت فى الشرق وسيطرت على سياسته وادارته وثقافته ، ولكنها لم تبلغ فى اى وقت من الاوقات اعماق الشعوب الشرقية ولم تستطع ان تغير من نفوس الشرقيين ولا أن تغير من لغاتهم وانما فرضت نفسها هذا الفرض السياسي المعروف فكانت لغة الحكام ولغة الادارة ولغة الثقافة الرسمية .

وظلت الشعوب مع ذلك تتكلم لغاتها الخاصة وتتوارث آدابها الخاصة . فالامة اليونانية فرضت لغتها على الشرق عشرة قرون . منذ عهد الاسكندر الى الفتوح العربية وكان الحكام فى اول أمرهم من اليونانيين وكانت ادارة البلاد الشرقية ولا سيما مصر والشام وما اليهما كانت الادارة فيها يونانية وكانت اللغة الادارية والسياسية هي اللغة اليونانية . وكانت لغة الثقافة الرسمية فى المدارس وفى المعاهد وفى الاديرة ـ بعد انتشار المسيحية ـ هي اللغة اليونانية ولكن الشعوب التي كانت تسكن هذه البلاد الشرقية ظلت محتفظة بلغاتها الخاصة فكان المصريون محتفظين بلغتهم القبطية وكان السوريون واهل الجزيرة والعراق محتفظين بلغاتهم السامية والارامية وما يتفرع منها ولم تستطع هذه اللغة اليونانية ان تؤثر فى هذه اللغات ، ولا أن تحول الشعوب عن لغاتها بحال من الاحوال .

وجاء الرومان بعد اليونان وحاولوا فرض لغتهم ومع ذلك فقد ظلت الشعوب محافظة على لغاتها الموروثة وآدابها الموروثة وعلى تقاليدها كلها الى ان جاءت اللغة العربية بعد الفتح الاسلامي ودون ان يتخذ السلطان العربي اى قوة لفرض هذه اللغة ودون ان تتخذ الحكومات العربية على اختلافها اى اجراء لحمل الشعوب على ان تتكلم اللغة العربية . ننظر فاذا هذه اللغة العربية تنتشر شيئا فشيئا وبسرعة مدهشة ولا تلبث ان تصبح ، هي العامة لكل البلاد التي فتحها المسلمون فى شرق الدولة الاسلامية وغربها .

فى شرق الدولة الاسلامية فى بلاد ايران وفى جزء من بلاد الهند . كل هذا القسم كان يتكلم اللغة العربية ويكتب بها ويحاول أن يغالب العرب عليها وفى المغرب وفى الشام وفى مصر وشمال افريقيا وفى الاندلس كذلك غلبت اللغة العربية كل اللغات التي كانت منتشرة فى كل هذه البلاد واصبحت هي لغة الحديث وهي لغة الادارة وهي لغة الثقافة وهي لغة الدين .

فاللغة العربية قد انتشرت وحدها بقوتها الخاصة وبقوة الاسلام وقوة القرآن الكريم ، وبهذه القوة وحدها استطاعت اللغة العربية ان تكون لغة عالمية لاول مرة

فى التاريخ الانساني . لغة عالمية . بأوسع معاني هذه الكلمــــة .

ولاول مرة فى التاريخ نجد لغة تنتشر الى هذا الحد . فقد انتشرت اليونانية فى جميع البلاد الشرقية ولكنها لم تصل الى اعماق الشعوب ولم تغير لغـة من اللغات التي كانت قائمة فى تلك الايام فى بلاد الشرق ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغــات ، غلبتهـــا وتعمقت شعوبها ووصلت الى اعماق الشعوب وحولت الالسنة عن اللغة القديمة الموروثة الى هـــذه اللغـــة نفسها ، لغة العرب ، لغة القـــرآن ، والرومانيـــون استطاعوا أن ينشروا لاتينيتهم فى الغرب الأوربي فى فرنسا وفى بريطانيـــا وفى اسبانيـــا وحاولـــوا ان يجعلوها لغة منتشرة فى شمال افريقيا فلم يفلحـــوا الا قليلا ولكن اللغة العربيـــة استطاعـــت ان تقهـــر اليونانية فى الشرق وان تقهر اللغات الشعبية التـــي كانت منتشرة فى هذه البلاد الشرقية وان تقهـــر اللغة الفارسية نفسها ثم ان تقهر اللغة اللاتينيـــة فى المغرب العربي وفى الاندلس وان تصبح هي اللغـــة العالمية التي يتكلمها الناس فى الشرق والغرب جميعا.

هذه اللغة منذ تم لها الانتشار لم تكن لغة حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة ولغـــة ادارة ولغة دين ، وكانت فى الوقت نفسه لغة التفكير والانتاج الادبي والعصري . وفى اقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت ان تسيغ كل الثقافات التـــي كانت معروفة فى العصور القديمة .

اساغت ثقافة اليونان على سعتها وصعوبتها وعلى عمقها واساغت فلسفتهم وعلومهم وطبهم وفنونهـــم العملية ايضا . واساغت ثقافة الفرس وثقافة الهند . واساغت بعد ذلك الثقافات التي كانت متوارثة بيـــن الامم السامية والثقافات التي نشأت عن التقاء الساميين بالامم المختلفة والتي نشأت عن تـــوارث التـــوراة والانجيل بين تلك الأمم المسيحية فى هـــذه البـــلاد الشرقية والمغربية . وبعد ذلك جـــاءت المعجـــزة الكبرى وعي ان هذه اللغة العربية قد انتشرت بطريقة مدهشة واساغت كل الثقافات بهذه الطريقة المدهشة ايضـــا (4) .

فهي بلا شك افصح اللغات واكملها واتمها واعذبها نقل الناس اليها الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور وسائر كتب الانبياء من السريانية والعبرانية الى العربية . ونقلوا اليها ايضا ما قالته حكماء العجم باللغة الفارسية . وسائر ذلك من كتب الفلسفة والطب والنجوم والهندسة والحساب باللغات اليونانيـــة او الهنديـــة (5) .

ولهذا كله أسباب منها التاريخي ومنها الذاتـــي ومنها الدينـــي .

فالاسباب التاريخية ترجع الى كون اللغة العربية آخر لغة انفصلت عن اللغة الأم السامية الأمر الـــذي مكنها من ان تأخذ ما فى السامية من مزايا وتتجنب الى حد بعيد كثيرا من مزالق مما لم يحصل للسريانية والعبرية اللتين سبقتا اللغة العربية فى الانفصال عن السامية الام .

ومما هو معروف مما تقدم ان اللغـــة العربيـــة تنتمي الى طائفة اللغات السامية فهي على حـــد قول الكاتبة العربية « مي » ان اللغة العربية ثالث اصـــول جوهرية ثلاثة ـ الأرامية والكنعانيـــة والعربيـــة ـ **فالارامية تشمل الكلدانية والسريانيـــة والاشوريـــة** « الميتة منذ زمن بعيد » وهي لغـــة عاميـــة يقال ان السيد المسيح كان يخاطب بها تلاميذه . **انشعبـــت الكنعانية من العبرية والفينيقية** . فالعبرية لغة اليهود المقدسة ومع انها تختلف اليوم كثيرا عن العبرانيـــة الاصلية ، فانها ما زالت مستعملة عندهم فى الطقوس الدينية . ولهجة من الفينيقية وهي البونيقية استعملت فى قرطاجنة وعلى شواطيء اسبانيا مدة طويلة .

اما العربية فتشمل العربية الفصحى ، ولهجات مختلفة تكلمتها القبائل القاطنة فى جنوب بلاد العرب وبلاد الحبشة وغيرها ، وهي اللغة التـــي سعـــدت بنصيب البقاء على حين أن أخواتها وبنات عمها دخان فى عالم النسيان منذ امد بعيد ، وبعض خصائصهـــا اللغوية كجمع التكسير مثلا يميزها عن العبرية والارامية فيجعلها أوسع منهما معنى واتم نظاما (6) .

اما السبب الذاتي : فهو نابع من صميم العربية ، من طبيعتها صوتيا وحرفا او حركة وحرفا اذ ان لهـذه الطبيعة مجالا أرحب ، وشمولا أوسع ارتضته أو ارتضاه لها الناطقون بها أعنـــي بـــه المجـــاز والمـــرادف والاشتقاق .

فالحرف العربي حرف مرن مطواع يمكن تركيبه على صور وهيئات تخرج منها الالفاظ والكلمات ، وقد نمت هذه المرونة والطواعية منذ نشأة اللغة .

والشكل وهو حرف صغير يتغير موضعـــه من اللفظ فيحدث تلفظا جديدا يحمل معاني جديدة .

اما المجاز والاشتقاق والمرادف فانها منابع رئيسية لمرونة اللغة العربية كما انها ثروة رائعة من الجمال الذي تتحلى به ، فالمجاز وهو استخدام اللفظ لغير ما وضع له بسبب علاقة ذات قرينة من ان يفهم اللفظ بمعناه الاصلي ، وجاء ان المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة . بحيث يأتي المتكلم باسم موضوع لمعنى فيختصره اما بأن يجعله مفردا بعد ان كان مركبا او غير ذلك من وجوه الاختصار ، واما ان يذكر ما هو متعلق به أو كان من سببه لفائدة .

والمجاز جنس يشتمل على انواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والاشارة والارواق ، والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد (7) .

هذا المجاز قد فسح للعربية ميدانا خصبا لا يحد بسهولة ، فلو قلت ان محمدا يلقي الدرر ادرك السامع مرادك وهو أن محمدا يتكلم كلاما فصيحا بليغا جميلا ولو قلت : لقد جادت السماء ولبست الارض حلة قشيبة ادرك السامع ان مطرا قد هطل ونباتا ظهر . ومثل قول جرير .

اذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه مذان كانوا غضابا

يريد اذا نزل مطر السماء رعينا ما ينبته هذا المطر النازل (8) .

والاشتقاق : هو اخذ كلمة من اخرى تتشابه فيها بعض الحروف ، فاذا تشابهت الحروف الاصلية اسفرت عن معاني قد تكون قريبة وقد تكون بعيدة عن المعنى الاصلي وهذا الاشتقاق قد اضاف الى اللغة العربية ما اضافه المجاز فلفظة « بصر » التي تفيد النظر والرؤية وكذلك الخبرة والدراية لك ان تشتق منها فوق قواعد الاشتقاق افعالا واسماء لكل منها معناها الخاص فانك تشتق منها « بصر » باصرة . مبصر . بصير . متبصر . مستبصر .

وكل هذه اسماء تختلف فيما بينها اختلافا معنويا واضحا . اما الافعال فهي لا تقل عن هذه الاسماء كثرة وتنوعا ، فلك ان تقول : يبصر . يتبصر . يتباصر . يستبصر . ولكل منها معنى يختلف اختلافا عن معنى الفعل الآخر . فالاول ينظر ويرى ، والثاني يستعلم ويتحقق ، والثالث يدعي الرؤية او الخبرة ، والرابع يحاول النظر او الادراك . فلو احصينا ما اشتققنا من اللفظة « بصر » لوجدناها عشرة الفاظ ، لها معان عشر والفاظ عشرة بل لعل المعاني فى حقيقتها تفوق العشرة .

وهذا كله غير تصريف الفعل الذي لم نذكره لانه ليس من الاشتقاق وهو التصريف الذي يتناول اثنتي عشر صيغة موزعة على الضمائر .

والمرادف : وهو اللفظ الذي يؤدي نفس المعنى ويختلف عن مرادفه فى النطق والحرف اختلافا قد يكون كليا وهو باب واسع من اوسع ابواب اللغة العربية . وليس ادل على ذلك مما صنعه بعض المؤلفين القدامى مثل عبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى عام 320 هـ فى كتابه « الالفاظ الكتابية » والذي جعله فى ثلاثمائة وستين بابا . جمع فى كل باب من الالفاظ المختلفة حرفا المتقاربة معنى ما يعسر حصره ، وعلى سبيل المثال نذكر باب حسن المنظر : منظر حسن . نضير . بهيج . بهي . رائع . زاهر . رائق . قسيم . وسيم . مرونق . ففي هذه الالفاظ المترادفة وصفنا منظرا حسنا .

اما جمال العربية فانه ناجم عن الدقة والجرس وتجانس التركيب والاستعارة والتجنيس والطباق والاعجاز والالتفات والتمام والاستطراد وحسن التضمين وتجاهل العارف والكناية والتشبيه والمساواة والاشارة والارداف والتتبع وائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن وائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت والتوشيح والترشيح والتوشيع والايغال والاحتراس والموازنة والترديد والتعطف والتفويف والتسهيم والتورية والاستخدام والتغاير والتسميط والمماثلة والتجزئة والتسجيع والترصيع والتصريع والتشطير والتعليل والتطريز والعكس والتبديل والاغراق والغلو والاطراد والتوهيم والتكميل والمناسبة والتفريغ والتكرار والابداع والاستعانة والموازنة والتذييل والمشاكلة والتهذيب والتأذيب والحل والانسجام والعقد والتعليق والادماج والازدواج والاتساع والمجاز والايجاز والتوليد والتنكيب والاتفاق والالتزام والتدبيج والتمزيج والاستقصاء والبسط والايضاح والتشكيك والعفوان والحيدة والانتقال والفرائد والنزاهة والافتنان والمراجعة والمقارنة والمناقضة والانفصال والايداع والابهام والسلب والايجاب وغير ذلك كثير مما عنى به علماء البلاغة وقد يكون من السهل ايراد الشواهد على هذه العناوين الجمالية فى اللغة العربية وقد يكون من الاسهل تحديد هذه الصفات التي ترد تحت الوصف

لشيء واحد مثل « منظر حسن » ولكن الصعوبة تكمن فى تصوير الصفات للسامع تصويـــرا ماديا يمســـك بالانامل . ونمل هذا التصوير المادي ليس من متطلبات التدليل على جمال اللغة ـ اية لغة كانت ـ والقول فى جمال لغة ما عند اهل تلك اللغة يعتمد مقاييس ذوقية ومادية تنظمها مشاعر وقواعد ، فالمشاعر هي وليـدة الحس الذي يقرع العقل والقواعد هي الادوات المصنوعة لأجزاء القياس ونحن حين نطبق هذه المقاييس علـى جمال لغة العرب نخرج بنتائج مدهشة رائعة .

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « والنجـم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ، علمه شديد القـــوى ، ذو مـــرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قـــاب قوسين او ادنى » .

جرس ساحر آخاذ فى تقطيع لفظـــي عجيـــب يصوران موضوعا جليلا ببراعة معجـــزة بدات الآيـــة الكريمة بالقسم بالنجم الذي كان بعض العرب يحلونه محل الاله ولكن القسم ليس بالاله المزعوم فحسب بل به حين يهوي ويهبط من عليائه التي خدعت بعـــض الناس فجعلوا منه الها غير الله . فهذا السقوط الذي يجرح الالوهية والذي اورده القـــرآن الكريـــم مـــع القسم له ابعاد معنوية خارقة . ثم نفت الآية الكريمة عن الرسول العربي صفة الضلال التـــي اتهمه بهـــا الجاحدون اولئك الذين بلغ الضلال بهم ان عبدوا النجم الذي ليست له مناعة ضد السقوط ، ومضت الآيـــة الكريمة فى تنزيه القرآن الذي نزل على الرسول الامين عن الهوى والعاطفة ، وقال فيه انه وحـــي من اللـــه الخالق القوي الذي امر الرسول بحمل رسالة القرآن نصدع بالأمر ونهض يبشر قومه بهداه وينذرهم فى تنكرهم لرشاده . ولم يكن هذا الوحي فى ذلك يدعو الى التشكك او التشكيك بل كان والرسول الكريـــم اقرب ما يكون الى ربه سبحانه وتعالى . انه كان على بعد ما بين طرفي القوس والعـــرب يعرفون قصـــر المسافة بينهما حق المعرفة لان القوس تعيـــش بين ايديهم وتصحبهم طول الوقت .

هكذا استطاعت اللغة العربية ان تقسم بالمقدس جهلا وضلالة وتجرح تقديسه وتنفـــي عن الرســـول مزاعم المشركين وتسمي الوحي وتصـــف قـــرب النبي فى حالة الوحي وتبين ان الدعوة ليست من هوى وعاطفة انسان بل ارادة ربانية . كل هـــذه المعانـــي صورتها اللغة العربية تصويرا هو من جمال القوة فى الـــذروة (9) .

واذا اردنا المزيد من التدليل على جمال العربية فالشواهد ميسورة فى كل ضرب من ضروب الكلام فى الشعر والنثر والحكمة والخطابة . قال المتنبي يصف جيش سيف الدولة الحمداني :

خميس يشوق الأرض والغرب زحفه
وفى اذن الجوزاء منـــه زمـــــام

تجمع فيه كـــل لســـن وامـــــة
فما تفهم الحداث الا التراجــــم

وقال البحتري يصف الربيع :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكـــا
من الحسن حتى كاد ان يتكلمــــــا

وقد نبه النيروز فى غسق الدجـــى
اوائل ورد كن بالامــــس نومـــــا

يفتحها قطـــر النـــدى فكانمـــــا
يبث حديثا كان قبـــل مكتمــــــا

هاتان صورتان من صور التعبير الشعري : فى الاولى تجد الفخامة والقوة والسبك ، وفى الثانية تجد الرقة والعذوبة والرخامة .

صورت اللغة فى الفاظهما ما اراده الشاعران او صور الشاعران فى كل منهما ما اراداه تصويرا تمازجت فيه الالفاظ بالمعنى فكانت روعة التعبير فى الصورتين اللتين رسمتا موضوعين مختلفين ، احدهما الجيـــش وضخامته وجلبته ، والثاني : الربيع ونعومته ورقتـــه وبهـــاه (10) .

ولا بأس من ايراد شاهدين آخرين وليكونـــا فى موضوع واحد هو الرثاء اجاد فيه كل من الشاعريـــن اللذين رسما صورة للحزن على الفقيد ومكانته .

قال ابو تمام يرثي محمد بن حميد الطوسي ، وقد قتل فى معركة فر فيها جنده وبقي هو فى وجه عدوه « بابك الخرمي » :

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة
تقوم مقام النصر ان فاته النصـــر

وقد كان فوت الموت سهلا فـــرده
اليه الحفاظ المر والخلق الوعـــر

فاثبت فى مستنقع المـوت رجلـه
وقال لها من تحت اخمصك الحشر .

كأن بني نبهـان يـوم وفاتـه
نجوم سماء خر من بينها البـدر

اما جرير فقد رثى زوجته فقال :

لولا الحياء لهاجنى استعبـار
ولزرت قبرك والحبيب يـزار

ولهت قلبي اذ علتنـي كبـرة
وذوو التمائم من بنيك صغـار

واذا سريت رايت نارك نـورت
وجها اغر يزينـه الاسفـار

كان الخليط هم الخليط فاصحوا
متبدليـن وبالديـار ديـار

لا شك انك حين سمعت ابيات ابى تمام فى رثاء الطوسي استشعرت الاباء والجلد والانفة والشجاعة وحين سمعت رثاء جرير زوجته احسست بالاسى واللوعة والالم ، وكلتا الصورتين الشعريتين لمصور واحد هو الرثاء ، وان استخدمت الريشة من قبل رسامين هما الشاعران الرائيان .

ومن جمال اللغة العربية الذاتي غناها بالالفاظ والكلمات التي تتشابه فى اللفظ وتختلف فى المعنى .

ومن ذلك ما جاء فى المقامة الحلبية للحريري .

اما السبب الديني فهو فى القرآن العظيم واسلوبه المعجز . واللغة العربية بفضل القرآن الكريم صارت ابعد اللغات مدى وابلغها عبارة واغزرها مادة واقواها جلادة وادقها تصويرا لما يقع تحت الحس وتعبيرا عما يجول فى النفس تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر وتصعد حتى تصل أرقى اختلاجات النفس والضمير واسعة سعة السماء،عميقة عمق البحر(11).

قال م. فنتيجوا مؤلف كتاب «المعجزة العربية» : ان سرعة انتشار اللغة العربية ترجع الى الثمار المادية والروحية التي جنتها من الاسلام أكثر منها الى القرار الذي اتخذه الأمويون بجعل العربية اجبارية فى الوثائق الرسمية . وخلال القرن الثاني الهجري بدأ انحلال مراكز الثقافة اليونانية فى الشرق الادنى وتمخض هذا الانحلال عن اكبر فوضى فى اللغات والاديان فقد بدات شعوب عريقة فى الحضارة كالمصريين والهنود تتحلل من تراثها الخاص لتعتنق على اثر احتكاكها بالعرب معتقداتهم واعرافهم وعوائدهم . ان العربية امست فى فارس اللغة الرسمية واتخذها الشعراء انفسهم اداة لصياغة القريض فى حين ظلت اللهجة البهلوية مستعملة فى الجبل ، وقد استمر نفوذ العربية فى القرون التالية بل صارت العنصر الجوهري فى الاوردية التي هي لغة الثقافة عند الهندوس والتي يعتبر نصف مرداتها تقريبا من اصل عربي (12) .

قال جورج رفوار : لقد ظل نفوذ اتباع محمد لأزباء لم يتغير، ففي نواحي افريقيا وآسيا التي دخلوها من المغرب الى الهند تغلغل ذلك النفوذ فى الاعماق الى الابد ولم يستطع فاتحون جدد استقصاء دين العرب ولغتهم (13) .

ان اللغة العربية التي بلغت مبلغا كبيرا من المرونة والثروة فى العهد الجاهلي كأداة للتخاطب وكمصهر لصقل التعبير عن ادق الاحساسات وارق العواطف ادركت فى القرن الرابع الهجري فى عنفوان العصر العباسي أوج كمالها .

وقد وصف زكي مبارك روعة النثر الفني العربي فى القرن الرابع الهجري ، ووصف فيكتور بيرار اللغة العربية فى ذلك العصر بأنها اغنى وابسط واقوى وارق وامتن واكثر اللهجات الانسانية مرونة ، فهي كنز يزخر بالمفاتن ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب ، رائع التصوير ، واعجب ما فى الامر – وهو شيء لا نظير له عند الشعوب الاخرى– ان البدو كانوا هم سدنة هذه الذخائر وجهابذة النثر العربي جبلة وطبعا ومنهم استمد كل الشعراء تراثهم اللغوي وعبقريتهم فى القريض (14) .

هذا وقد عربت أهم المصنفات اليونانية فى عهد الخلفاء العباسيين حيث انكب العرب والعلماء على دراسة الاداب الاجنبية بحماس شديد وقد خضعت العربية لمقتضيات الاصلاح الجديد ، فانتشرت فى مجموع انحاء آسيا ، واستأصلت نهائيا اللهجات القديمة وقضت على اللاتينية فى شبه الجزيرة الايبرية (اسبانيا والاندلس) .

ان نفوذ اللغة العربية اصبح بعيد المدى حتى ان جانبا من اوربا الجنوبية ايقن بنفوذ العربية واوضح (جورج ريفوار) ان رجال الكنيسة – فى اوربا الجنوبية اضطروا الى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها فى الكنائس الاسبانية ، وان « جان سيفيل » وجد نفسه مضطرا الى ان يحرر بالعربية معارض الكتب المقدسة ليفهمها الناس .

اما فى فرنسا فقد أكد (جوستاف لوبون) فى كتابه « حضارة العرب » ان للعربية آثارا مهمة فى فرنسا نفسها . وقد لاحظ المؤرخ الفرنسي «سديو» عن حق ان لهجة ناحيتي : أوفيرني وليموزان زاخرة بالالفاظ العربية ، وان الاعلام تتسم فى كل مكان بالطابع العربي .

وكان من الطبيعي أن يزود العرب كلا من فرنسا وايطاليا — فى القرن الثامن الميلادي — بمعظم مصطلحاتها البحرية على انها تركت اثرها فى مصطلحات الجيش والادارة والصيد والعلوم وغيرها . وقد لوحظ نفس التأثير فى صقلية .

ومما يجدر ذكره ان أول اتجاهات أوربا من الاقتباس العربي كان فى الميدان العلمي ، ولقد قال المستشرق « ماسينيون » ان المنهاج العلمي قد انطلق اول ما انطلق باللغة العربية ، ومن خلال العربية فى الحضارة الاوربية ، وان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر فى الميدان الدولي ، وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا لهو العنصر الجوهري للسلام بين الامم .

وقد اوضح « جوستاف لوبون » ان العربية اصبحت اللغة العالمية فى جميع الاقطار التي دخلها العرب حيث خلفت تماما اللهجات التي كانت مستعملة فى تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية .

وقال المستشرق ماسينيون ان العربية بقيمتها الجدلية والنفسية والصوفية استطاعت ان تضفي سربال الفتوة على التفكير الغربي .

ومما لا يسوغ انكاره ان الكثير من المصطلحات فى انواع الفنون المختلفة — فى اوربا — تستمد عناصرها من اللغة العربية مثل الكحول والاكسير والجبر . وقد ذكر ليفي بروفنصال ، ان الاسبان استمدوا معظم اسماء الرياحين والأزهار من اللغة العربية ومن جبال البرانس انتقلت مصطلحات العلوم الطبيعية الى فرنسا مثل البرقوق والياسمين والقطن والزعفران ومجموعة مصطلحات الراي تقريبا — كما قال الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى كتابه «معطيات الحضارة» — هي من اصل عربي كما تحمل الحلى فى اسبانيا اسماء عربية ويتجلى نفس التأثير فى الهندسة المعمارية وبالجملة فقد استمدت اسبانيا وبواسطتها أمريكا اللاتينية من اللغة العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا .

وقد لاحظ عالم ايطالي كبير ان معظم التعابير العربية التي تغلغلت بكيفية مدهشة فى لغة روما لم تنتقل عن طريق التوسع الاستعماري ولكن بفضل اشعاع الاسلام الثقافي (15) .

وان اللغة العربية هي بلا شك اداة الفكر . وهي تعتمد على المناخ الفكري لاداء المعاني الحضارية اذ ان الحضارة والمدنية والثقافة لا بد لها من الاداة ، وان المقومات الثقافية لاى امة من الامم تتمثل فى اللغة التي تستوعب الفاظها ومدلولاتها وكلماتها والعبارات المستعملة فيها القيم العليا وقضايا المعرفة .

وهذه القيم وهذه القضايا هي التي توجه الافراد وتحدد علاقة بعضهم ببعض كما تحدد علاقتهم بالمجتمع سواء المجتمع القومي او المجتمع الانساني .

ان حضارتنا العربية وليدة اللغة العربية ، واللغة العربية وليدة الحضارة العربية ، والحضارة العربية هدفت الى الخير والمعرفة وافادت الانسانية .

المصــــادر

1 — المقتطف ـ المجلد الثاني والخمسون ، ص 399 مقال الكاتبة «مى»

2 — مجلة « العربي » ـ العدد 58 مقال الدكتور شوقي ضيف ، الكويت

3 — كتاب « مهد العرب » للدكتور عبد الوهاب عزام ، سلسلة اقرأ ، رقـــم : 40 ، القاهرة .

4 — مجلة « المغرب » ـ العدد الخامس ، وزارة الشئون الخارجية ، محاضرة الدكتور طه حسين ، ص 62 ، المغرب .

5 — كتاب « الزينة » للشيخ الرازي ـ الجزء الاول ، ص 61 طبـــع دار الكتـــاب العربي بمصر .

6 — مجلة المقتطف ـ المجلد 52 ، ص 393 .

7 — كتاب تحرير التحبير ـ لابي الاصبغ المصري ، ص 457 ، طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة .

8 — نفـــس المصـــدر الســـابـــق .

9 — مجلة اللسان العربي ـ العدد الرابع رقم 24 ، المغرب الربــاط ، المكتب الدائم للتعريب ، 1386 هـ ، 1966م

10 — نفـــس المصـــدر الســـابـــق ، ص 25 .

11 — انظر مقالنا بمجلد اللسان العربي ـ العدد الرابـــع ، ص 40 ، المغـــرب الرباط ، 1386 هـ ، 1966 م .

12 — راجع مقدمة اللسان العربي ـ العدد الثالث ، ص 3 .

13 — المرجـــع الســـابـــق ، ص 3 .

14 — المصـــدر نفســـه ، ص 4 .

15 — انظر العدد الرابع من مجلة اللسان العربي ، ص 6 المغرب الرباط .

الدّلالة المعنويّة

وللغة العربية خصائص ومميزات بزت بها غيرها لا تدانيها فيها لغة من اللغات ، فانت تستطيع ان تصنع من مفرداتها المانوسة قطعا تسحر الالباب وتأخذ بالافهام وتتألق بالعقول فى عالم السمو والسحر والابداع .

وعناية العربية بجمال الالفاظ وحسنها ، لا لذات الالفاظ . وانما اهتماما من اللغة العربية بالمعنى . وذلك حتى يقع القول من نفس السامع الموقع المرجو الذي يهيىء له الحالة النفسية التي تحفزه الى الحركة والعمل وتبعث به الى المقصود فى ثوب مفوف ووسام لامع جذاب اخاذ ساحر .

ولقد ثبت من المقارنة بين اللغات أن اللغة العربية من أكثر اللغات دلالة معنوية بل ان الكثير من الالفاظ العربية قد فقد الدلالة الحسية .

قال جورجي زيدان : فالفعل « قضى » معناه « حكم » والاصل فيه القطع الحسي والفعل « عقل » معناه « فهم » وهو ماخوذ من عقل الناقة اى ربطها ، والفعل أدرك الاصل فيه البلوغ الحسي فيقال : فلان ادرك القطار اى لحقه ، والفعل « بلغ » وضع اصلا للدلالة على الوصول الحسي فى المكان والزمان ، بل ان الاصل فى معنى الفصاحة قولهم : فصح اللبن اذا ذهبت رغوته ، ثم قيل : فصح بمعنى وضح ، « والراى » اصله من « راي » اى شهد بعينه (1) .

وفى العربية ابنية وصيغ وقوالب دالة على معان وصفات واحوال . فما كان على فعلان دل على الحركة والاضطراب كالنزوان والغليان والضربان والهيجان . وما كان على فعلان دل على صفات تقع من احوال كالعطشان والغرثان والشبعان والريان والغضبان ، وما كان على افعل دل على صفات بالالوان نحو : ابيض واحمر واسود واصفر واخضر وازرق ، وكذلك العيوب تكون على افعل نحو أحول واعور واقرع واقطع واعرج واخيف ، وتكون الادواء على فعال كالصداع والزكام والسعال والخناق والكباد .

والاصوات اكثرها على هذا كالصراخ والنباح والضباح والرغاء والثغاء والخوار ، وفصل آخر منها على فعيل كالضجيج والهرير والهدير والصهيل والنهيق والزئير والضغيب والنعيق والنعيب والخرير والصرير . وحكاية الاصوات على فعللة كالصرصرة والقرقرة والغرغرة والقعقعة والخشخشة ، واطعمة العرب على فعيلة كالسخينة والعصيدة واللفيتة والحريرة والنقيعة والعقيقة ، واكثر الادوية على فعول كاللعوق والسعوط والوجود واللدود والذرور والفطور والنطول ، واكثر العادات فى الاستكثار على (مفعال) نحو مطعان ومطعام ومضراب ومضياف ومكثار ومهذار وامراة معطار ومذكار ومئنات ومئثام (2) ، وصيغة الافعال واوزانها فى اللغة العربية عامل من عوامل ثروة اللغة وقدرتها على الدلالة على فروق وظلال تنضاف الى المعنى الاصلي دون زيادة فى اللفظ ومع الاحتفاظ بطابع التركيز والدقة ، قال الثعالبي فى الاكثر الاغلب (فعل) يكون بمعنى التكثير كقوله عز ذكره « وغلقت الابواب » ، وقوله : « يذبحون ابناءكم » ، وفعل يكون بمعنى افعل نحو خبر واخبر وكرم واكرم ونزل وانزل ، ويكون مضادا له نحو افرط اذا جاوز الحد وفرط اذا قصر ، قال الشاعر :

لا خير فى الافراط والتفريط
كلاهما عندي من التخليط

وقلت في كتاب المبهج : اياك والافراط الممل ، والتفريط المخل .

و (افعل) يكون بمعنى فعل نحو أسقى وسقى وامحضه الود ومحضه وقد يتضادان نحو نشط العقدة اذا شدها وانشطها اذا حلها .

(وفاعل) يكون بين اثنين نحو : ضاربه وبارزه وخاصمه وحاربه وقاتله ، ويكون بمعنى فعل كقوله عز وجل : « قاتلهم الله » اى قتلهم .

(وتفاعل) يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو تجادلا وتناظرا وتحاكما ، ويكون من واحد نحو تراءى له ، ويكون بمعنى اظهر نحو : تغافل وتجاهل وتمارض وتساكر اذا اظهر غفلة وجهلا ومرضا وسكرا ، وليس بغافل ولا جاهل ولا مريض ولا سكران .

(وتفعل) يكون بمعنى فعل نحو تخلصه اذا خلصه كما قال الشاعر :

تخلصني من غفلة الغي منعما
وكنت زمانا في ضمان اساره

وكما قال : عمرو بن كلثوم :

تهددنا واوعدنا رويدا
متى كنا لامك مقتوينا ؟

ويكون بمعنى التكلف نحو تشجع وتجلد وتحكم ، ويكون لاخذ الشيء نحو : تادب وتفقه وتعلم ، ويكون تفعل بمعنى : افعل نحو تعلم بمعنى اعلم كما قال القطامي :

تعلم ان بعض الشر خير
وان لهذه الغمم انقشاعا

اى : اعلم

(واستفعل) يكون بمعنى التكلف نحو استعصم اى تعظم واستكبر اى تكبر ، ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب نحو استطعم واستسقى واستوهب ويكون بمعنى فعل نحو استقر اى قر، ويكون بمعنى صار، نحو استنوق الجمل واستنسر البغاث .

(وافتعل) يكون بمعنى فعل نحو اشتوى اى شوى واقتنى اى قنى اى كسب ، ويكون لحدوث صفة نحو : افتقر وافتتن ، واما انفعل فهو فعل المطاوعة نحو : كسرته فانكسر وجبرته فانجبر وقلبته فانقلب (3) ، قال ابن جني : « فاذا رأيت العرب أصلحوا الفاظها ـ العربية ـ وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وارهفوها فلا ترين ان العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ ، بل هي عندنا خدمة للمعاني وتنويه وتشريف ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحصينه وتزكيته وتقديسه وانما المبغى بذلك منه الاحتياط للموعي عليه وجواره بما يعطر بنشره ولا يعر جوهره كما قد تجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويغض منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه (4) .

وذلك ان العرب كما تعني بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ احكامها بالشعر تارة وبالخطب اخرى وبالاسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها ، فان المعاني اقوى عندها واكرم عليها وافخم قدرا في نفوسها فأول ذلك عنايتها بألفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقا الى اظهار اغراضها ومراميها اصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع واذهب بها في الدلالة على القصد (5) .

فكأن العرب انما تحلي الفاظها وتدبجها وتوشيها وتزخرفها عناية بالمعنى التي وراءها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ، وان من البيان لسحرا فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصائد واشراكا للقلوب وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعاني ، والمخدوم لا شك اشرف من الخادم ، والاخبار في التلطف بعذوبة الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من ان يؤتي عليها او يجشم للحال تعب بها (6) .

واعلم انه لما كانت الالفاظ للمعاني ازمة وعليها ادلة واليها موصلة ، وعلى المراد منها محصلة عنيت العرب بها فأولتها صالحا من تثقيفها واصلاحها (7) ، وشيء آخر يجعل اللغة العربية اكثر مرونة في الواقع من غيرها . وهو انها اكثر اللغات قبولا للاشتقاق . والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة ان تؤدي معاني الحضارة ، والاشتقاق في العربية يقوم بدور لا يستهان في تنويع المعنى الاصلي وتلوينه اذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ومبالغة وتعدية ومطاوعة ومشاركة ومبادلة مما لا يتيسر التعبير عنه في اللغات الآرية مثلا الا بالفاظ خاصة ذات معان مستقلة وصيغ الالفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة بين الجواني والبراني وبين ما هو حركة في النفس وما هو

حركة فى الجوارح . العربية تفرق مثلا بين الكبر والتكبر والعلم والتعلم والفقه والتفقه .

وقد التفت المستشرق الفرنسي كرادوفو الى هذه الظاهرة فلم يسعه الا أن ينوه بها فى كتابه عن الغزالي فقال : « لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلي » والكبر الخارجي . الداخلي هو استعداد فى النفس ، والخارجي ناتج من افعال الجوارح ، واللفظ الفرنسي الذي يدل على معنى الكبر هو Orgueil اما التكبر فاولى ان يكون مرادفه الفرنسي Superbe

ولاحظ كارادوفو ايضا ان هذه الفروق المعنوية الدقيقة التي تحملها الفاظ اللغة العربية ليس من الميسور نقلها فى لفظ واحد الى اللغات الاخرى وخلص من هذه الملاحظة الى التنويه بما تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق ، ما دام ان احداث تغيير طفيف فى بنية اللفظ العربي يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين الحالة النفسية وبين العادة البدنية التي تطابقها (8) . ولا نزاع فى ان منهج اللغة العربية الفريدة فى الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعاني لا يسهل اداؤها فى اللغات الاخرى فى نطاق التركيز الجواني الذي هو شيمة الأسلوب العربي الاصيل ، وقد لاحظ السيوطي هذه الزيادة فى المعنى المشترك حين عرف الاشتقاق بانه اخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الاصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا او هيئة (9) .

وجلي ان : هذه الطريقة فى توليد الالفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسما حيا تتوالد اجزاؤه ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لا بد منها لو عدم الاشتقاق ، وان هذا الارتباط بين الفاظ العربية الذي يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة وهي الحروف او الأصوات الثلاثة وثبات قدر من المعنى سواء ماديا ظاهرا او مختفيا مستترا خصيصة عظيمة من خصائص هذه اللغة تشعر متعلمها بما بين الفاظها من صلات حية تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي وان طريقتها حيوية توليدية وليست آلية جامدة (10) .

قال الدكتور عثمان أمين : واذا اردنا مثلا على ثروة العربية بهذا الضرب من الاشتقاق والتصريف فلننظر الى كلام رجل من المشتغلين بالعلوم الطبيعية . فهو يرى فى كلمة مثل « صهر » اى آذاب الجسم بالنار انه يستفاد لتأدية هذا المعنى بكلمات دقيقة من حالات الجسم تخالف غيرها من الحالات فنقول انصهر واستصهر وتصاهر ومنصهر ومصهور (11) . وفى العربية منهاج آخر مخالف للغات الاخرى ، فان العربية تدل بالحركات على المعاني المختلفة . من غير ان تكون تلك الحركات اثرا لمقطع او بقية من اداة فيكون ذلك فى وسط الكلمة واولها وآخرها . فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول فى مثل مكرم ومكرم وبين فعل المعلوم وفعل المجهول ، نحو : كتب وكتب ، وبين الفعل والمصدر فى مثل علم وعلم ، وبين الوصف والمصدر فى مثل فرح وفرح ، وبين المفرد والجمع فى مثل اسد واسد ، وبين الفعل والفعل فى مثل قدم وقدم ، وبين الاسم والاسم فى مثل : سحور وسحور .

المصـــــادر

1 — انظر الفلسفة اللغوية جرجي زيدان ، ص 110 الطبعة الثالثـــة القاهـــرة 1923 .
2 — فقه اللغة للثعالبي ، ص 553 ـ 555 ، المكتبة التجارية الكبرى القاهـــرة .
3 — المـرجـــع الســابـــق ، ص 549 ـ 553 .
4 — الخصائص لابن جنى ، ج 1 ، ص 225 ، طبعة الهـــلال 1913 القاهـــرة .
5 — الخصائـــص لابن جنى ، ص 223 .
6 — نفـــس المصـــدر الســابـــق ، ص 228 .
7 — المصـــدر الســابـــق ، ص 317 .
8 — فلسفة اللغة العربية ، الدكتور عثمان امين ، المكتبة الثقافية 144.
9 — المزهر للسيوطي ، طبعة دار احياء الكتب العربية .
10 — فقه اللغة محمد المبارك ، دمشق ، ص 61 .
11 — فلسفة اللغة العربية عثمان امين ، ص 48 .
12 — احياء النحو ابراهيم مصطفى ، 136 ، القاهرة ، ص 45 .

العَربَّيَة وفلسفَة الإعرَاب

اللغة العربية : من اللغات العريقـــة المنبـــت الواسعة الأفق اتسعت فأحاطت بأبعد انطلاقات الفكر وارتفعت حتى صعدت ارقى اختلاجات النفس .

ولقد زادتها مرونتها تبلورا وتفاعلا ونماء وقدرة على النهوض بنبعاتها الحضارية عبر التطـــور الـــذي تعيشه الانسانية فى مسيرتها .

وكان لها عبر الزمن الاصالة الجاهدة المولـــدة المعطاة والميزات المطواعة المتطورة .

وانك لتحسن هذا فى كلماتها التي تمثل خطرات النفوس ونبضات القلوب ، وكل كلمة لها فى الجملـــة مكان يحس بها المتكلم او تحس بها الكلمة نفسها .

ولهذا صارت ــ بفعل عوامل مختلفة ــ لغة حية بارزة ، ذات دلالة ووضوح ، وزادها متانـــة وابانـــة وافصاحا عن المعاني : الاعراب .

والعربية لغة تتوخى الايضاح والاصالة والاعراب باحدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية : غاية الايضـــاح والافصاح عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعض ، وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .

وفى اللغات الخالية من الاعراب يعتمد أهل اللغة على القرائن وعلى اضافة كلمات الى الجملـــة لفهـــم المقصود من المعاني ولكن الاعتماد على القرائن ربما لا يطرد ــ كما يقول صاحب الطراز ــ فأوجبت العربية التفريق بين الفاعل والمفعول والا وقع اللبس والابهام.

والاعراب : مصدر اعربت عن الشيء اذا أوضحت عنه . ويقال : فلان معرب عما في نفسه اى مبين لـــه وموضح عنه ومنه : عربت الفرس تعريبا اذا بزغتـــه . وذلك بأن تنسف اسفل حافره .

ومعناه : انه قد بان بذلك ما كان خفيا من أمره لظهوره الى مرآة العين بعد ما كان مستورا وبذلـــك تعرف حاله أصلب هو أم رخو ، أصحيح هو أم سقيم، وغير ذلـــك .

واصل هذا كله قولهم : « العرب » وذلك لمـــا يعزى اليه من الفصاحة والاعراب والبيان ، ومنـــه قولهم فى الحديث : « الثيب تعرب عن نفسها » .

والمعرب صاحب الخيل العراب وعليـــه قول الشـــاعـــر :

ويصهل فى مثل جوف الطـــوى
صهيـــلا تبيـــن للمعـــرب

اى اذا سمع صاحب الخيل العراب صوته علم انه عربي ومنه : العروبة . والعروبة الجمعة ، وذلـك أن يوم الجمعة اظهر أمرا من بقية الاسبوع لما فيه من التاهب لها والتوجه اليها وقوة الاشعـــار بهـــا ، قال الشاعر العربي القديم :

يوائم رهطا للعروبة صيمـــا

ولما كانت معاني المسمين مختلفـــة كان الاعراب الدال عليها مختلفا ايضا . وكأنه من قولهم : « عربت معدته » اى فسدت . كأنها استحالت من حـــال الى حال ، كاستحالة الاعراب من صورة الى صورة .

الاعراب اذن مطلب العقل فى اللغة ولذلك يرى بعض الباحثين والدارسين من علماء مقارنة اللغات أن الاعراب ارقى ما وصلت اليه اللغـــات فى الوضـــوح

والأبانة وهذه المرتبة قد بلغتها العربية الفصحى ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة الا اليونانية واللاتينية ولا يشاركها فيه من اللغات الحديثة الا الالمانية .

اما اللغات الآرية الحديثة ــ وتشمل معظم لغات أوربا الحديثة ــ فقد خلت من حالات الاعراب ولا مميز فيها بين الرفع والنصب والجر وانما يقوم مقامها الحاق ادوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر او بتقديم الالفاظ وتأخيرها مما لا يخرج عن الوضع الخارجي في المكان هذا ، في حين ان اللغة العربية قد استلزمت من اول الامر ــ ما دام الاعراب مرعيا ــ ان يكون الفكر الواعي محددا للوضع الخارجي وان يكون النظر الى المعنى هو المبرر للتقديم والتأخير وتأكيد الاسناد وغير ذلك ، الا ترى انك اذا سمعت : اكرم سعيد اباه وشكر سعيدا أبوه . علمت برفع احدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام نوعا واحدا لاستبهم احدهما من صاحبه .

فبالأعراب يعرف الخبر من الانشاء والمفعول من الفاعل وبه يتميز المضاف من المنعوت والتعجب من الاستفهام والنعت من الحال الى غير ذلك .

وبالجملة : فتميز اغراض المتكلم عند السماع يكفي فيه الاعراب ، فالاعراب في مثل (ما احسن زيد يفرق بين الاغراض الثلاثة الممثلة فيه ، فاذا قلت : ما احسن زيد « بفتح نون احسن وضم دال زيد » كانت «ما» نافية، وانت تريد ان زيدا لم يحصل منه احسان.

واذا قلت « ما احسن زيدا » بفتح النون والدال كانت « ما » تعجبية ، وانت تريد ان شيئا عجيبا جعل زيدا حسنا .

واذا قلت « ما احسن زيد » بضم النون وكسر الدال ، كانت « ما » استفهامية ، وانت تريد معرفة اى شيء حسن في زيد علمه ام ادبه ام اخلاقه .. الخ.

وقد يفرقون بين المعاني بغير الحركات كالتمييز فبالحركة يقولون : مفتح للالة بكسر الميم وفتح التاء و « مفتح » بفتح الميم لموضع الفتح ، وللفتح نفسه .

وقد يفرقون بين المعاني بغير الحركات كالتمييز بتاء التأنيث وعدمها ، فيقولون امراة طاهر بدون التاء اذا ارادوا طاهرة من الحيض ، لان الرجل لا يشاركها فيه ، واذا ارادوا طهارتها من العيوب الخلقية ، قالوا امراة طاهرة ، لان الرجل يشاركها فيها ، فيحتاجون الى التمييز بينهما ، ومثله امراة قاعد اذا اثقلها الحبل

وقاعدة من القعود ، اى جالسة لان الرجل يشاركها فيه فيقال : رجل قاعد ويروى أن رجلا دخل على امير المؤمنين علي ــ كرم الله وجهه ــ فقال له : من غير اعراب : « قتل الناس عثمان » فقال له امير المؤمنين : « بين الفاعل من المفعول رض الله فاك » .

وبنت ابي الاسود الدؤلي وقفت مرة تشاهد السماء وتتعجب لجمالها . فقالت لابيها : « ما احسن السماء » ، فقال ابوها : نجومها ، فقالت « ما عن هذا اسأل وانما انا اتعجب » فقال لها اذن قولي « ما احسن السماء » وافتحي فاك . وسمع ابو الاسود قارئا يقرا قوله تعالى : « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بكسر اللام في رسوله ، فأكبر ابو الاسود ذلك وقال : عز وجه الله ان يبرأ من رسوله .

وكان هذا سببا في وضع علامات الاعراب للمصحف بأمر زياد .

ويروي ابن قتيبة ان رجلا من الخوارج مدح رئيسهم شبيبا بن يزيد الخارجي بقصيدة جاء في بيت منها :

ومنا سويد والبطين وقعنب
ومنا امير المؤمنين شبيب

فأخذه عبد الملك بن مروان وسأله وهو يحاكمه عن هذا البيت فقال لم اقل هذا بل قلت : ومنا امير المؤمنين شبيب » بفتح الراء في امير اى يا امير المؤمنين ، فأمر بتخلية سبيله .

وقد اشار ابن خلدون في مقدمته الى الاعراب عند العرب فقال : ان كلامهم ــ اى العرب ــ واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة ، الا ترى أن قولهم : زيد جاء في مغاير لقولهم : جاءني زيد . من قبل ان المتقدم منهما هو الاهم عند المتكلم .

فمن قال : زيد جاءني افاد ان اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند وكذلك التعبير عن اجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول او مبهم أو معرفة ، وكذا تأكيد الاسناد على الجملة كقولهم : زيد قائم وأن زيدا قائم وان زيدا لقائم ، متغايرة كلها في الادلة ، وان استوت من طريق الاعراب فان الاول العاري عن التأكيد انما يفيد الخالي الذهن والثاني المؤكد يفيد المتردد والثالث يفيد المنكر .

وكثير من كواكب الاستشراق وعلماء اللغات . نوهوا بخصيصة الاعراب فى العربية ، قال العلامة : « بركلمان » عند حديثه عن لغة الشعر العربي :

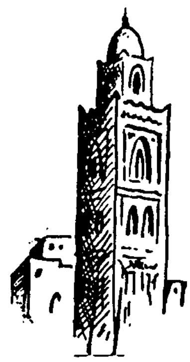
لقد تميزت لغة الشعر العربي هذه بثروة عظيمة من الصور النحوية وبلغت من حيث دقة التعبيــــر عن علامات الاعراب والنحو ذروة التطــور فى اللغـــات الساميـــة .

وقال البحاثة : « لوى مسينيون » فى حين ان اللغة السريانية قد نقلت أجروميتها عن اللغة اليونانية نقلا صرفا ، استطاعت لغة الضاد ان تشيد بناء ضخما من الاعراب يضع أمام الابصار مشهدا فلسفيا ذا روعة واصالـــة .

فاللغة العربية لها من الخصائص لافهام المعاني الدقيقة والمعاني الثانوية التي تصل الى نهاية الابداع وكمال الصنع ما يملك على السامع مشاعره ويستخدم حواسه ويدفعه حيث يشاء .

والاعراب فى ذاته فلسفة لغوية تضع كل شيء فى مكانه الملائم له وتعطي كل ذي حق حقه .

فلا ابهام ولا لبس ولا غموض ولا تعقيد . بـــل وضوح وابانة وهدى وافصاح .



الأضداد في اللغة

الأستاذ حسين محمد (القاهرة)

– 2 –

كان الاستلطاف سببا فى ظهور اول كتاب خاص بالاضداد ، فقد اعلن قطرب فى صدر كتابه : « وانما خصصناه بالاخبار عنه لقلته فى كلامهم ولظرافته » . وكان لهذا السبب اثره الكبير فى الهدف الذى نصبه المؤلفون امام أعينهم . فقد كان الجمع المستقصى ، والشمول التام هدفا لهم ، منذ الكتاب الاول ايضا . قال قطرب : « وسنأتي عليه كله ان شاء الله » .

وسرعان ما تغير هذا السبب ، اذ تحول عند الجيل التالي الى سبب ديني . قال ابو حاتم السجستاني : « حملنا على تأليفه انا وجدنا من الاضداد فى كلامهم والمقلوب شيئا كثيرا ، فأوضحنا ما حضرنا منه ، اذ كان يجيء فى القرآن الظن يقينا وشكا ، والرجاء خوفا وطمعا . وهو مشهور فى كلام العرب ... فاردنا ان يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب ان الله عز وجل حين قال : (وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، الذين يظنون ..) مدح الشاكين فى لقاء ربهم وانما المعنى يستيقنون ... واما قوله : (قلتم ما ندري ما الساعة ، ان نظن الا ظنا) فهؤلاء شكاك كفار » .

وتضع هذه العبارة ايدينا على اشياء من التغيير عرضت للتاليف فى الاضداد غير السبب ايضا. فالاضداد التى اتسمت « بالقلة والظرافة » عند قطرب ، صارت عند ابي حاتم « شيئا كثيرا ». والهدف الذى كان يطمع فى « الاتيان على الاضداد كلها » عند قطرب ، تواضع عند ابي حاتم واقتصر على « ما حضر منها » . ويدلنا هذا على ان المؤلفات فى الاضداد كثرت ، واختلفت مادتها ، فجعلت ابا حاتم ينظر اليها نظرة تختلف عن المؤلفين السابقين عليه ، الذين لم تكن بين ايديهم كتب تكشف عن قدر المادة ، فظنوا انهم قادرون فى يسر على حصرها واستقصائها .

وتغير السبب مرة اخرى فى الجيل التالي ، فصار الدفاع عن اللغة العربية ، والرد على مطاعن الشعوبيين ، كما نفهم من النص الذى أوردته فى فصل سابق من كتاب ابن الانباري ، ووصف من رد عليهم « بأهل البدع والزيغ والازراء بالعرب » .

اما الهدف فعاد كما بدأ مرة اخرى : استيعاب الجمع ، غير ان مؤلفي هذا الجيل كانوا يتطلعون الى هذا الجمع في ثقة دونها ثقة الاولين ، اذ وجدوا بين ايديهم ما ييسر عليهم السبل الى هدفهم . وكان مفهوم الجمع عندهم مختلفا عن مفهومه عند قطرب . فقد كان هذا يستهدف جمع الاضداد التى فى اللغة العربية اما مؤلفوا هذا الجيل فكانوا يستهدفون جمع الاضداد المدونة فيما الف السابقون عليهم .

واضاف ابن الانباري الى الجمع اهدافا اخرى تتصل بطريقته فى عرض مادة كتابه : قال (1) :

(1) 13 .

« وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا فى احصائها كتبا ،نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم اتى من الحروف بجزء ؛ واسقط منهـا جزءا ، واكثرهم امسك عن الاعتلال لها . فرايت ان اجمعها فى كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه . اذ اشتمل على جميـع مـا فيها ، ولم يعدم منه زيادة الفوائد ؛ وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد » .

ونجد كل هذه الاهداف او اغلبها عنـد ابـي الطيب ، ثم اضاف اليها تمحيص مادة الكتب السابقة ونقدها . قال (2) : « تحرينا فى تاليفـه ـ بعدمـا سبق من كتب السلف فى معناه ـ احكام تصنيفه ، واحسان ترصيفه ، والزيادة علـى ما ذكـر منـه ، والفاء ما خلط من غيره فيه ، لتقـوى منة القائليـن به ، ويضعف قول النافين له » .

وجاءت الاجيال التالية ، فوجدت اهل القـرن الرابع فرغوا من جمع الاضداد المتفرقة فى الكتـب الكثيرة ، ومن تمحيصها ونقدهـا ، ومـن جمـع الشواهد عليها . وكانت الغايات التعليمية قد غلبت عليهم ، فاستهدفوا التيسير على تلاميذهم ، وتمهيد السبل امامهم ليحفظوا علومهم . فجعلوا من كثير من المواد قوائم عارية . وذلك ما نراه عند ابن الدهـان فى قوله : « فانه لما كثرت تصانيف العلماء فيما ورد من الالفاظ المتضادة المعاني من العرب ورايت فى بعض كتبهم اشياء لا يجب ذكرها ، وفى بعضها اختـلالا فيما يجب ذكـره ، ورايـت بعضهـا مشحونـة بالاستشهادات ، بامثلة وابيات ، احببت ان اجمع ما ورد فيها مختصرا ، معرى من الاستشهادات » .

وانقضت قرون لم تصل الينا منها كتب فى الاضداد ، الى ان كان القرن الثالث عشـر آخـر قرون التاخر الادبي، والشغف بالمحسنات اللفظية. فكان تيسير الوصول الى هذه المحسنات سببا فى عودة التاليف فى الاضداد . قال السيد عبد الهادي نجا الابياري صاحب ارجوزة « دورق الانداد فى نظم اسماء الاضداد » المؤلفة قريبا من عـام 1297 هـ ، عمـا دفعه الى هذا النوع من التاليف :

اسما الاضداد اسمى ما يعين اديـ
ـبا رام تأنيق او ترنيـق ما نظمـا

بهـا يحلـى بتجنيـس وتـوريـة
نظما ونثرا ، ويجلي الهم والغمما

ونستبين من هـذا ان الدافـع الـذى حمـل اللغويـين على تدويـن الاضـداد لم يثبت على مـر العصور ، بل تغير من جيل الى آخر . فقد بدأ هواية فى القرن الثاني ، ثم صار تقوى تحمل على ازالة ما قد يعتري بعض الآيات من غموض فى القرن الثالث ، ثم تحول الى رغبة فى الدفاع عن العرب ولغتهم امام الدعاوي الشعوبية فى اوائل القرن الرابع ، وحـب المعرفة المجرد فى ذلك القرن أيضـا ، وانتهـى الى الرغبة فى منح الباحثين عن المحسنات اللفظية ذخيرة لغوية جديدة فى العصور المتأخرة . وتغير الهدف الذى سعى اليه كل من هؤلاء المؤلفين . فبينما كان اولهم قطرب يسعى الى استقصاء الاضداد من نهر اللغة مباشرة ، استكثر هذا ابو حاتم ووجد الا سبيل اليه واقتصر على التطلع الى جمـع ما أمكـن . ثم سعى ابن الانباري الى «الجمع»، ولكـن مـن الكتب المؤلفة قبله ، واضافة بعض الشواهـد والعلـل . وسعى ابو الطيب الى ذلك ، مع التمحيص والنقد . ثم كان الهدف الاختصار والجمع معا .

بواكيـر جمـع الاضـداد

تجلى لنا ان الحديث عن الاضداد بدأ مبكـرا فى اللغة العربية ، وان كثيرا من اللغويين الاوليـن خاضوا فيه . فكان منهم من التقط اللفظ بعد اللفظ، ونبه الى انه من الاضداد مثل ابي عمرو بن العلاء . وكان منهم من عقد للالفاظ واحدا من فصول احد كتبه ، مثل ابن قتيبة . وكـان منهـم من افـرد للاضداد كتابا مستقلا ، مثل قطرب .

واقدم من عثرت على اشارات منه الى الاضداد الخليل بن احمد الفراهيدي ، المتوفى حوالي سنة 170 هـ ، وكان يعد الاضداد « من عجائب الكـلام ووسع العربية (3) » . فأشار الى قـدر منـهـا فى كتابه « العين » ، غير ان ابن سيده الوحيد ممن عالج الاضداد ونقل واحدا منهـا عنـه ، قـال فـى

(2) 1 ـ 2 .
(3) العين : مادة شعب .

المخصص (4) : « صاحب العين : حصباء الحصى : صغارها وكبارها » . وكان يجدر به ان يعرف الحصباء بالحصى مجردا ، ومهما كان حجمه ، كما فعل صاحب القاموس المحيط ، فتخرج الكلمة عن الاضداد .

وروى قطرب واحدا من الاضداد عن يونس بن حبيب ، المتوفى حوالي 182 هـ ، قال (5) : « قال يونس : الرغوث : التى يرغثها ولدها من الشاء ، فصارت فى معنى مرغوثة ، والولد ايضا رغوث ، والمعنى انه راغث لها ، فصار رغوث للمفعول والفاعل » .

كذلك أورد ابو الطيب ضدا آخر عنه، قال (6): « عن يونس قال : سمعت اعرابيا بذكر مصدقا لهم، فقال فى كلامه : فنمقه بعد ما نمقه : اي محاه بعد ما كتبه » .

والنص الاخير صريح ان يونس التفت الى المعنيين المتضادين وفسرهما ، الا ان النص الاول لا يدل بهذه الصراحة على ان الكلام كله عن يونس . فمحتمل ان يكون اورد واحدا من المعنيين واورد قطرب الآخر .

وروى ابو عبيد فى الغريب المصنف ثلاثة اضداد عن الكسائي ، المتوفى حوالي 189 هـ اورد ابو حاتم اثنين منهما فى المجموعة التى شك فيها ، وهما افاد واودع . وقد اورد ابن الانباري وابو ابن الانباري ، وعقب ابو الطيب عليه بشك ابي حاتم الطيب الاول منهما دون تعليق . اما الثاني فتركه فيه . ولم يورد الثالث منها غير ابي عبيد : « الكسائي : غبيت الكلام ، وغبي عني » . وينسب ضد واحد او ضدان الى مجموعة اخرى معاصرة من اللغويين مثل ابي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، المتوفى 202 هـ ، وابي محمد عبد الله بن سعيد الاموي .

فاذا استثنينا الخليل — بسبب معجمه — لم نجد لغويا من هذا الجيل تروى عنه اضداد كثيرة ، وانما هي كلمات قلائل ، ترد عليه عارضة فى اثناء دروسه ، فيتنبه اليها فينبه عليها ، اولا يتنبه ويكتفي بالتفسير . فتعلق فى ذهن احد التلاميذ ويفطن الى ما فيها من تضاد فيدونها فى كتابه . ثم تكثر الاضداد عند لغويي الجيل التالي ، على تفاوت بينهم .

فما ينسب الى الفراء المتوفى فى 207 هـ يماثل ما نسب الى الجيل السابق ندرة ، لا يتعدى الضد او الاثنين . قال محمد بن الجهم ، عن لفظ (تحنث) (7) : « فسألت الفراء عنه ففكر ساعة، ثم قال : يتحنث : يتجنب الحنث ، يقال : قد تحنث الرجل : اذا تجنب الحنث ، واذا اتاه ايضا ، كما يقال : قد تأثم اذا اتى المأثم ، واذا تجنبه » .

وتكثر الاضداد بعض الشيء عند ابي عمرو الشيباني ، المتوفى فى 206 او 210 هـ . فقد نسب اليه ابو الطيب ما اقتصر فيه على الاضداد دون شواهد ، مثل (8) : « ابو عمرو الشيباني : يقال : قد تياجروا على الطريق : اي تبع بعضهم بعضا على الطريق . وتياجروا عن الطريق ، اي عدلوا عنه » . ونسب اليه ما عنى فيه بالشواهد ، مثل (9) : «قال ابو عمرو الشيباني : الماثل القائم ، والماثل اللاطيء بالارض . وانشد : « خلقا كثالثة المحاق الماثل »

وعثرت على مجموعة من الاضداد صرح جامعوها انهم رووها عن (أبي عمرو) ، دون ان يبينوا ايريدون الشيباني ام ابن العلاء . وقد حاولت ان اميز بينها على اساس من المدرسة اللغوية التى تخرج الراوية فيها ، فاذا كان كوفيا كان يروى عن الشيباني ، واذا كان بصريا كان راويا عن ابن العلاء . ولكن المحاولة اخفقت ، لان اكبر كتابين فى الاضداد — كتابي ابن الانباري وابي الطيب — من انتاج كوفيين ، ولكن الرجلين ادخلا فى كتابيهما كل ما اورده البصريون من الاضداد ، فاختلط عندهما التراث البصري والكوفي . وحاولت ان اعتمد على

---

(4) المخصص 13 : 266
(5) 17 . واورده ابن الانباري 243 ، وابو الطيب 308 .
(6) 649 .
(7) 111 .
(8) 687 .
(9) 626 . واورده ابن الانباري 184 ، وابن الدهان 19 .

الكتب القديمة فى الاضـداد . فوجـدت الظاهـرة نفسها متمثلة فيها . فاضداد الاصمعي نفسه تحتوي على ما ينسب الى ابي عمرو الشيباني صراحة ، مثل المائل التى اوردتها ، ومثل (10) : « قال ابو عمرو الشيباني : الجلل : الصغير ، والجلل : العظيم . ولا اعرف الجلل فى معنى العظيم » . وحاولت ان اعتمد على ما يشيع بيـن النـاس ان القدمـاء اذا ارادوا الشيباني ذكروا لقبه لا محالة ، ولم يتحروا ذلك مع ابن العلاء ، فان قالوا : « ابو عمرو » فقط ، كان المراد ابن العلاء ، فأخفقت المحاولة ايضا . فقد جاء فى اضداد الاصمعي (11) وابي الطيب : « حكى ابو عمرو : الخجـل : المـرح . والخجـل : الكسـل ، وانشـد :

اذا دعا الصـارخ غير متصـل

مرا امـرت كل منشـور خجـل

مرا : جمع مرة ، اراد مرة بعد مرة . منشورا : اي منتشرا امره » . واورد ابن السكيـت كل هـذا ونسبه صراحة الى الشيباني .

لهذه الاسباب أميل الى ان المراد بأبي عمـرو هنا هو الشيباني . وتكشف هذه الاضداد ان ابـا عمرو اورد اضـدادا من اللغات العربيـة ، واضدادا مجازية ، وما يندرج تحت صيغة فعول .

ثم تكثر الاضداد وتتنوع عند ابي زيد الانصاري، المتوفى سنة 215 ، وعاصر التأليف فى الاضداد . فنجد عنده من الاضداد ما لم يستشهد عليه ، مثل قوله (12) : « يقال : جمل سهو بين السهـاوة : اذا كان بطيئا ودابة سهوة : خفيفة سهلة السير » . ونجد ما استشهد عليه مثل (13) : « قال ابو زيد : الشفيف من الاضداد . يكون لهب الحر ، ويكـون برد الريح . وانشد فى لهب الحر :

جـاءت تشكـي لهـب الشفيـف

وانشد فى البرد :

فالجاهـا الى نـاري الشفيـف »

وروي من الاضداد ما قبله اللغويـون بعـده فادخلوه فى كتبهم، وروى ما ضعفوه ايضا مثل (14): قال ابو زيد : يقال : تصدق الرجل يتصدق تصدقا : اذا اعطى صدقته . قال : وبعض العرب يقولون : تصدق يتصدق : اذا سأل ان يتصـدق عليه . قال ابو حاتم : والمعروف عند العرب تصـدق اذا اعطـى الصدقة » .

واورد منها ما يمكن رد تفسيره الى معنى واحد لا تضاد فيه ، مثل (15) : « قال ابو زيد الفلـذ : العطاء القليل والعطـاء الكثيـر . قال الشاعـر فى القليل :

تكفيه فلذة لحـم ان الم بهـا
من الشواء ويروي شربه الغمر

وقال العجاج فى الكثرة :

فلـذ العطـاء فى السنيـن البـزل

« وكان جديرا بابي زيد ان يعرف الفلـذ بانه العطاء مجردا من الوصف بالقليل او الكثير ، فيخرج اللفظ من زمرة الاضداد .

واورد اضداد المتعلقات . قيـل فى اضـداد الاصمعي (16) : « قال ابو زيد : طلعت على القـوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك . وطلعت عليهم : اذا اقبلت عليهم حتى يروك » . وقد خضعت هذه العبارة لبعض التشويه ، يكشف عنه قول ابي حاتم : « يقال : طلعت فى الجبل : اذا اقبلت فيه او ادبرت . وطلعت على صاحبي : اقبلت عليه . وطلعت عنه : ادبرت . والمصدر الطلوع » فالتضاد آت من الحرف لا من الفعل .

(10) 6. واورده ابن الانباري 52 ، وابن الدهان 8 ، ونسبه ابو الطيب الى الشيباني ايضا 150 .
(11) 12 . واورده ابو الطيب 250 . وابن السكيت 287 .
(12) ابو الطيب 378 .
(13) ابو الطيب 415 .
(14) ابو الطيب 437 .
(15) ابو حاتم 243 . ابن الانبـاري 348 . ابو الطيب 554 .
(16) 49 . ابو حاتم 234 . ابن الانباري 203 ، 309 . ابو الطيب 458 .

واورد من الاضداد المجازية ما مثاله (17) : « الظعينة : المرأة على البعير ، ويجوز ان تكون فى بيتها . قال ابو زيد : الظعائن : الهوادج ، وانما سميت النساء ظعائن لانهن يكن فيها » .

وروى له ضد من اضداد التفاؤل ، قيل فى اضداد الاصمعي (18) : « قال ابو زيد : الناهل فى كلام العرب : العطشان ، والناهل : الذى قد شرب حتى روي .. وعلق ابو حاتم على هذا القول بقوله : «فانما قيل للعطشان ناهل على التفؤل ، كما يقال : المفازة للمهلكة على التفؤل ، ويقال للعطشان : ريان ، وللملدوغ : سليم . اي سيسلم وسيروى ونحو ذلك .

وروي له من اضداد اللغات عدة الفاظ ، امثل لها بقوله (19) : « قيس تجعل من لم يدرك من الصبيان فرطا ولا يقولون للكبار فرطا ، وغيرهم يجعلونه واحدا » .

ونسب ابو حاتم ضدا لابي زيد ، آت عن اختلاف الاصلين المشتق منهما معنياهما ، قال (20): « قال ابو زيد : يقال : اضعف الرجل : اذا كثرت ابله ونشت ضيعته وانتشرت واضعف : اذا كانت ابله ضعافا مهازيل » . فالمعنى الاول من الضعف بكسر الضاد بمعنى المثلين ، والثاني من الضعف ـ بفتح الضاد ـ اي الهزال .

وبقي بعض الناس يوردون اضدادا ، بعد عهد التاليف فيها ، دون ان يشاركوا هم فى تدوينها فى كتب خاصة بها . فاقتبس المؤلفون فى الاضداد بعدهم اقوالهم وادخلوها فى كتبهم . وعلى هذه الصورة كثيرا ما ظهر اسم ابن الاعرابي فى كتب الاضداد ، مثل (21) :

« قال : « ابن الاعرابي : يقال : اخلاق مشمولة ، اي اخلاق سوء ، وانشد :

ولتعرفن خلائقا مشمولة
ولتندمن ولات ساعة مندم

... قال : ويقال للرجل ، مشمول الخلائق . اي كريم الاخلاق » . وروى ابن الانباري هذا اللفظ دون ان ينسبه الى احد .

— ◆ —

كتاب الاضداد

لم تصل الينا اخبار يقينية عن اول من الف فى الاضداد ، ولا نستطيع الجزم بذلك ، لان هذا النوع من التاليف ظهر على يد ثلاثة من اللغويين المتعاصرين : هم قطرب المتوفى عام 206 ، وابو عبيدة المتوفى عام 210 هـ ، والاصمعي المتوفى حوالي عام 213 .

ومن الطبيعي ليس من العدل الاعتماد على تاريخ وفاتهم ، لان الاخير منهم فى الوفاة قد يكون اولهم فى التاليف ، اذ ليس الفرق بين وفياتهم باكثر من سبع سنوات . ولكننا نسير فى علاج كتبهم، وفقا لترتيب وفياتهم ، اضطرارا . ويطمئننا الى هذا الترتيب قول الصغاني فى مقدمة اضداده : « هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق فى الكتب المصنفة فى الاضداد من عهد قطرب محمد بن المستنير الى زمان ... » . فهذه العبارة تجعل المرء يشعر بأن قطربا اول من الف فى الاضداد .

وقد عثرت فى اثناء بحثي عن الاضداد على اسماء ثلاثة وعشرين كتابا فيها . وهاك هذه الاسماء مرتبة بحسب وفيات مؤلفيها :

1 ـ اضداد قطرب المتوفى عام 206 هـ : طبعه هانزكوفلر Hans Kofler فى مجلة اسلاميات ، المجلد الخامس ، العدد الثالث، ص 241 ، وترجمه وعلق عليه
Islamic : Das Kitab Al-Addad von Abu Ali
فى العدد الرابع ص 385 من نفس المجلد
Muhammed Qutrub ibn Al-mustanir. Vol. 5. Fasc. 3, p. 241, S. fasc. 4, p. 385

2 ـ اضداد ابي عبيدة المتوفى عام 210 هـ : مفقود .

---

(17) الاصمعي 68 . ابن السكيت 342 . ابن الانباري 100 .
(18) 45 . ابو حاتم 135 . ابن الانباري 65 . ابو الطيب 637 .
(19) ابو الطيب 547 .
(20) ابو حاتم 166 . ابو الطيب 451 .
(21) الاصمعي 18 . ابن السكيت 290 . ابو الطيب 413 . وانظر ابن الانباري 104 .

3 ــ اضداد الاصمعي المتوفى عام 213 هـ : نشره الدكتور أوغست هفنر Dr August Haffner استاذ العربية فى كلية انسبروك ، بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، فى بيروت عام 1913 مع اضداد السجستاني وابن السكيت والصغاني فى مجلد واحد . (واشك فى كونه للاصمعي) .

4 ــ اضداد التوزي المتوفى عام 233 هـ : مفقود.

5 ــ اضداد يعقوب بن السكيت المتوفى عام 246 هـ : انظر اضداد الاصمعي .

6 ــ اضداد ابي حاتم السجستاني المتوفى عام 255 هـ : انظر اضداد الاصمعي .

7 ــ اضداد عبيد بن ذكوان من معاصري المبرد : مفقود .

8 ــ اضداد ابي بكر محمد بن القاسم الانباري المتوفى عام 328 هـ : نشره هوتسما Th. Houtsma فى ليدن عام 1881 ، ثم الشيخ محمد بن عبد القادر سعيد الرافعي مع الشيخ احمد الشنقيطي بالمطبعة الحسينية المصرية عام 1325 هـ ، ثم محمد ابو الفضل ابراهيم فى سلسلة التراث العربي التى تصدرها الكويت 1960 م.

9 ــ اضداد ابن درستويه المتوفى عام 347 هـ : مفقود .

10 ــ اضداد ابي الطيب اللغوي المتوفى عام 351 هـ : نشره الدكتور عزة حسن فى دمشق 1382 / 1963 .

11 ــ اضداد الآمدي المتوفى عام 371 هـ : مفقود .

12 ــ اضداد احمد بن فارس المتوفى عام 395 هـ : مفقود .

13 ــ اضداد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان المتوفى عام 569 هـ : نشره محمد حسن آل ياسين فى نفائس المخطوطات بالنجف 1952 .

14 ــ اضداد ابي البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري المتوفى عام 577 هـ : مفقود .

15 ــ اضداد الحسن بن محمد الصغاني المتوفى عام 650 هـ : انظر اضداد الاصمعي .

16 ــ مختصر اضداد ابن الانباري لتقي الدين عبد القادر التميمي المصري المتوفى عام 1009 هـ : مفقود .

17 ــ ترتيب المختصر السابق ، لابن المختصر ملا حسن : مفقود .

18 ــ دورق الانداد فى نظم أسماء الاضداد للسيد عبد الهادي نجا الابياري المتوفى عام 1305 هـ : مصور بدار الكتب المصرية ، تحت رقم 844 لغة .

19 ــ الرونق على الدورق : للمؤلف نفسه ، شرح فيه دورق الانداد : مفقود .

20 ــ الكأس المروق على الدورق ، للسيد احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني .
شرح لدورق الانداد الفه عام 1302 هـ تقريبا: مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم 844 لغة .

21 ــ رسالة فى ذكر بعض الالفاظ المستعملة فى الضدين الموجودة فى القاموس لعبد الله ابن محمد وهو مجهول ولكنه محدث : مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 241 مجاميع .

22 ــ منبه الرقاد فى ذكر جملة من الاضداد لمؤلف مجهول ، ولكنه حديث : مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 329 لغة .

23 ــ الاضداد ، للشيخ محمد المدني ، مخطوط بمكتبة السليمانية بالاستانة تحت رقم 1041

كتاب قطرب

واذن فالمؤلف الاول فى الاضداد هو ابو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب تلميذ سيبويه . وقد درسنا انواع الاضداد عنده ، وعند غيره ، من المؤلفين فى الاضداد خاصة وما زاده كل منهم على سابقيه ، فلا نعيد القول عن ذلك ، ونعني بابراز صور تمثل كتبهم ، وتوضح طرق تناولهم .

صدر قطرب كتابه بمقدمة قصيرة : افتتحها بتقسيم كلام العرب الى الاوجه الثلاثة المتقدمة فى اول الكلام عن الاضداد ، واختتمها باشارة الى استقصائه جميع الاضداد كلها ثم انتقل الى الاضداد نفسها .

والف قطرب في معالجة اضداده، ان يبدا بذكر المعنيين المتضادين ، ثم يذكر الشواهد وما اليها، فيقول مثلا (22) : « ومن الاضداد ايضا السامد . والسامد بلغة طيء : الحزين ، وبلغة اهل اليمن : اللاهي ، والسامد : اللاعب ، وهذا ضد الحزين . وقالوا ايضا : السامد : المطرق . وقالوا : سمد الرجل يسمد سمودا : اذا لعب . وقال : المسمود : الطائح الطرف . وقالوا : المسمود : المغمي عليه . وقال الله جل ثناؤه : (وانتم سامدون) .

قال ابن عباس : على اللغة اليمانية ، التى ذكرناها . وقال الكلبي : سامدون مهتمون على لغة طيء ، سمعنا من ينشد :

قيل قم فانظر اليهم
ثم دع عنك السمودا

وقال رؤبة :

ما زال اساد المطايا سمدا
تستلب السير استلابا مسدا

قال ابو زبيد :

وتخال العزيف فيها غناء
لندامى من شارب مسمود

وقال ذو الرمة :

يصبحن بعد الطلق التجريد
وبعد سمد القرب المسمود

... ومن الاضداد ايضا : امر جلل : هين ، وامر جلل : اي شديد ، وقال امرؤ القيس :

لقتل بني اسد ربهم
الا كل شيء سواه جلل

وقال الآخر :

رسم دار وقفت في طلله
كدت اقضي الفداة من جلله

وقال لبيد :

وارى اربد قد فارقني
ومن الارزاء رزء ذو جلل

غير عظيم . وقال : يجوز ان يكون غير هين وغير شديد ... » .

وكان في بعض الاضداد يتفاضى عن هذه العادة، ويبدأ بمعان غير متضادة ، أو بأمثلة ، او يدخل ضدين في بعضهما . قال مثلا (23) : « والنهيك : وهو الشجاع . ويقال قد نهكه المرض ونهكه لفتان ، ونهكت الرجل نهاكة ونهكة : قهرته . ويقال ايضا : نهك الرجل اذا قوى واشتد » فالقوة والضعف هما المعنيان المتضادان ، اما الشجاعة فأمر آخر .

وقال (24) : « ومنه ايضا : الاستجمار : هو الاستنجاء بالحجر ، وكانت قريش تجمر نساءها ، وذلك ان تجعل لها كالنزعتين من نتف وحلق وما اشبه ذلك . وقال : لا تجمروا جنودكم : اي لا تحبسوهم . قال ابو محمد : يقال : جمرت المراة شعرها : اذا جمعته ويقال : لا تجمروا جنودكم : اي لا تقطعوا نسلهم . وفي المفازي : « تقطعوا نسلكم ». ويقال للذؤابة : جمار ، ، ولها جماران ، وهي كالضفيرة التى تقبل على الوجه » . خلط المعاني ، ولم يبين اي اثنين منها متضادين ، وليس فيها معان متضادة . وانظر ما فعله في عسى وظن اللتين خلطهما كل الخلط (25) .

وكثيرا ما كان لا يذكر في الضد الا معنى واحدا . قال مثلا (26) : الفنوز : التى لا تدر حتى يغمز ضرعها » وقال (27) : « يقال ناقة ظئور : تعطف على ولد غيرها » . وغير ذلك من صيغة فعول .

وكثيرا ما كان قطرب يلتفت الى المشتقات في الضد الذي يعالجه ، فيشير اليها . وقد مرت بنا

---

(22) 3 ، 4 .
(23) 62 .
(24) 74 .
(25) 1 ، 2 .
(26) 19 .
(27) 24 .

امثلة لذلك ، وهذه امثلة اخرى : قال (28) : « يقال ايضا : اهمد الثوب يهمد همودا بلي . واهمد : أسرع. واهمد: سكن. والاهماد: السرعة في السير. والاهماد : الاقامة .. » .

ولم يسر قطرب في شواهده على طريقة واحدة . فكان في كثير من الاضداد لا يستشهد البتة . قال مثلا (29) : « ومنه : البعل ، يا هذا : لما سقت السماء ، وقالوا : البعل ايضا لما يشرب بعروقه ـ والبعل : الزوج » . وقال (30) : « ومنه البحتر : للقصير ، والبحتر : للعظيم » .

وكان في احيان اخرى يستشهد على احد المعنيين المتضادين ، ويهمل الآخر . نرى مثال ذلك في قوله (31) : « ومنه ايضا : السليم . فالسليم : السليم ، والسليم : الملدوغ .. قال النابغة :

يسهد من نوم العشاء سليمها
لحلي النساء في يديه قعاقع

وقال الآخر :

الاقي من تذكر آل ليلى
كما يلقى السليم من العداد

الانتظار .

ويفعل ذلك في غيره من الاضداد ، مثل الناهل، والاعور، والخل، وارم، وجربة والفوارض، والتفشمر ، وهجد .

وفي مواضع اخرى استشهد على المعنيين معا . قال مثلا (32) : « ومنه التلعة : مسيل الماء من الجبل الى الوادي ، والتلعة : الارتفاع من الارض . وقال الراعي :

رآني ذوو الاحلام خيرا خلافة
من الراتعين في التلاع الدواحل

وقال زهير :

واني متى اهبط من الارض تلعة
اجد اثرا قبلي جديدا وعافيا »

وانظر افرع ، والرهوة ، والمقتوى ، وبهوى ، وعسعس ، والمنة وغيرها . وكان احيانا يستشهد على المعنى الواحد باكثر من شاهد ..

وتنوعت الشواهد عنده : ما بين شعرية رأيناها فيما سبق ، وقرآنية في قوله (33) : « فمن الاضداد : عسى : تكون يقينا مرة ، وشكا اخرى ، قال الله جل ثناؤه : (عسى ربكم ان يرحمكم) وعسى في القرآن واجبة » . وقال (34): « يكون الظن شكا او يقينا ... وقال الله جل ثناؤه: (الذين يظنون انهم ملاقو ربهم) وقال في آية اخرى : (ظننت اني ملاق حسابيه) فهذا يقين ، ولو كان ذلك شكا لم يجز في المعنى وكان كفرا ولكنه يقين .. » . وانظر سمد ، وعاصم ، وراضية ، وخفي ، واسر ، ورجا ، وشرى ، وقبل ، وغيرها. وامثال نراها في قوله (35) : « وفي مثل : الحق ابلج والباطل لجلج . والابلج : المضيء المستنير . واللجلج: الذي ليس بمستقيم .

وقال الراجز :

وانعدل النجم عن المجرة
وانبلج الصبح لام بررت

باتت على مخافة وظلت »

وكان قطرب في اضداده ميالا الى التنظيم ، فوضع جميع المواد التي تنضوي تحت صيغة فعول للفاعل والمفعول به في موضع واحد من (13 ـ 32) ونبه على هذه الصفة التي توحد بينها في آخرها ، اذ قال : « هذا كله الذي ذكرنا اضداد على فاعل ومفعول ». ولم يفصل بينها الا بصيغة واحدة « فاطم » التي لا تدخل في هذه الصيغة .

---

(28) 7 .
(29) 48 .
(30) 49 .
(31) 8 .
(32) 12 .
(33) 1 .
(34) 2 .
(35) 216

ونظم صيغة فاعل ايضا ، وجمع موادها في موضع واحد من (33 ـ44) ونبه عليها في اولها في قوله : « وقد جاءوا بفاعل في معنى مفعول ضدا..». ولم يشذ عنه الا الصيغة السابق ذكرها ، التي اتت في وسط امثلة صيغة « فعول » اضطرابا .

اما اضداد صيغة فعيل التي تأتي للفاعل والمفعول فلم ينتبه اليها ولم يفعل فيها ما فعله مع اختيها ، نفرقها في (70 ، 71 ، 74 ، 75 ، 87)

وهناك ظواهر اخرى قليلة الاهمية في اضداد قطرب ، لانها لم تبلغ مبلغ الظواهر السابقة في الظهور والبروز . ومن هذه الظواهر رجوعه الى من قبله من اللغويين ، واكثرهم ظهورا يونس بن حبيب (15، 17، 32) فأبو عمرو بن العلاء (7 ، 167) فالكلبي (163)

ورجوعه الى الاعراب مثل ابي طفيلة الحرمازي (16) وابي عون الحرمازي (119) وابي خيرة العدوي (162). واكثر في تفسير الآيات من الرجوع الى ابن عباس (162 ، 163 ، 164 وغيرها كثير) .

ومنها التفاته الى الروايات الشعرية ، كما نرى في (5 ، 146 مثلا) والى اللغات كما في (45 ، 59 ، 62 ، 92 ، 162 ، 197 ، 200) ، والى المعرب (7 ، 13) وبعض القواعد النحوية اللغوية (32) .

ومن الظواهر البارزة في اضداد قطرب ، انها لم تعرف الاضداد تعريفا دقيقا ، ووسعت مدلولها جدا ، فادخلت كثيرا من الالفاظ التي نقدها القدماء انفسهم ، وخاصة ابن الانباري وذكرنا من ذلك امثلة كثيرة . بل بلغ من حبه لإيراد الالفاظ ان ادخل بعض الالفاظ العامية ، على علم منه بها . قال ابن الانباري (235) : « قال قطرب : الحرفة من الاضداد ، يقال : قد احرف الرجل احرافا : اذا نما ماله وكثر ، والاسم الحرفة من هذا المعنى . قال : والحرفة عند الناس: الفقر وقلة الكسب . وليست من كلام العرب ، انما تقولها العامة » . وكان السبب في هذا رميه الى استقصاء الاضداد كلها ، والاكثار منها ، حتى اوقعه ذلك في التزيد .

ومما يؤخذ عليه ايضا ـ الى جانب هذا ـ خلطه بعض الاضداد ببعض ، كما فعل في عسى وظن (1 ، 2) فأورد ثانيتهما في وسط كلام عن الاولى .

ويلام على عدم انتهاجه خطة موحدة في معالجة الاضداد ، فقد كان من الواجب عليه افتتاح الضد بذكر معنييه المتضادين ، ثم تناول ما يعن له . فكان هذا يوضح له الالفاظ التي لا تشتمل على معنيين متضادين فيطرحها من كتابه ، ويعرفنا الضدين منذ النظرة الاولى . كما قد نلومه على استطراده الى المعاني الاخرى في الاضداد التي نستطيع الحصول عليها من الرسائل اللغوية الاخرى ، وعلى افلات التنظيم منه احيانا . وتكرير بعض الاضداد مثل زعوم (28 ، 171) واضب (110 ، 215) وبطائن (130 ، 182) وذفر (116 ، 217) وجون (79 ، 94) ، يضاف الى ذلك تفريقه الاضداد المشتقة من اصل واحد كظهر وظهر وظاهر (149 ، 179، 188) ، وخفي واستخفى (45 ، 135) وبعل (بمعنيين مختلفين 48 ، 189) .

وجميع هذه الظواهر والمآخذ ـ كبيرها وصغيرها ـ على قدر كبير من الاهمية ، لانها تسربت من كتاب قطرب الى جميع كتب الاضداد المؤلفة بعده، فسارت عليها دون كبير تمحيص . فما تخلص منها غير القليل ، حتى ان ابن الانباري كرر (زعوم) لتكرير قطرب اياه .

ومجمل القول في اضداد قطرب انه اشتمل على 218 ضدا ، تكرر منها خمسة ، اي مجموع ما فيه منها 213 ، انفرد قطرب بثمانية منها لم يتابعه احد فيها ، هي (21 ـ 30 ـ 31 ـ 38 ـ 47 ـ 100 ـ 105 ـ 184) ، والثلاثة الاولى من صيغة فعول ، والرابعة من صيغة فاعل . ولعل ذلك سبب عدم ذكرها ، اما بقيتها فربما كان الشك فيها هو الذي دفع الى اهمالها .

واشترك قطرب مع ابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري في 54 ضدا ، غير ان الكثرة الغامرة رواها الاصمعي او ابو عبيدة او ابو زيد بالاضافة اليه . وحذف ابن السكيت وابو حاتم من اضداد قطرب في كتابيهما 86 ضدا . واتفق ابن السكيت وابن الانباري على حذف ثلاثة اضداد (77 ـ 80 ـ 164) وانفرد ابن السكيت بحذف 59 ضدا . وانفرد ابو حاتم بحذف ثمانية اضداد (86 ـ 91 ـ 98 ـ 103 ـ 108 ـ 129 ـ 177) .

وجلي ان ابن السكيت ترك من اضداد قطرب 156 ضدا ، اي حوالي ثلثيها ، واورد منها الثلث الباقي الذى شارك قطربا في روايته المؤلفون الاولون ، عدا ثمانية اضداد . وتدعم هذه النتيجة القول المذكور في البغية (104) : « قال ابن السكيت:

كتبت عن قطرب قمطرا ثم تبينت انه يكذب في اللغة ، فلم اذكر عنه شيئا » .

وهذه النسخة التى حققها كوفلر من رواية المكنى « ابا محمد » المذكور كثيرا فى تضاعيف الكلام عن الاضداد . ولم يشتهر بهذه الكنية فى عصر تلاميذ قطرب غير اثنين ، هما : ابو محمد اسحاق بن ابراهيم الموصلي المتوفى عام 235 وابو محمد عبد الله بن محمد التوزي المتوفى عام 238 هـ . اما الموصلي فقد اخذ « عن الاصمعي وابي عبيدة وغيرهما (النزهة 227) ولكن لم يصرح احد بمقابلته لقطرب ، وروايته اضداده . واما التوزي فقد « اخذ عن ابي عبيدة والاصمعي والجرمي » (النزهة 232) ولم يصرح احد بمقابلته قطربا . ولكن له كتاب فى الاضداد اقتطف منه المبرد ضدين ، لم اجد احدهما فى نسخة قطرب ، والثانية مختلفة عن مثيلتها فيه. واذن فهذا الكتاب ليس للتوزي . ومع ذلك ، لايمنع هذا ان يكون رواه التوزي .

وكان ابو محمد يروي تعليقاته عن الاصمعي (2 – 4 – 118) وابي عبيدة (2 – 118 – 131) وابي عمرو الشيباني 173) ولم يرو كثيرا منها عن احد ، كما سيبين فيما يلي .

وكان قدر كبير من تعليقات ابي محمد موجها الى شرح الشواهد . وابتدأ هذا الشرح منذ المقدمة : فقد استشهد فيها قطرب بالآية : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله) فقال « ابو محمد : الامة : الرجل وحده يؤتم به». وهاك مثالا آخر. قيل (1) : «قال ابن مقبل :

ظن بهم كعسى وهم بتنوفة
يتنازعون جوائز الامثال

قوله: ظن بهم: اي يقين بهم ، فذلك ضد ايضا: يكون الظن شكا او يقينا . قال ابو محمد : وقال الاصمعي : وعسى فى بيت ابن مقبل ليست بواجبة، وقال ابو عبيدة : هي واجبة .. » .

يليها فى الكثرة تعليقاته التى تنكر الضد ، مثل ما قيل فى (125) : « الشجاع القوي والشجاع : الضعيف . قال ابو محمد : ما سمعنا فى الضعف شيئا » . ونرى امثال هذا النقد فى (161 – 171 – 173 – 192 – 167) .

ثم تعليقات فى تصحيح بعض المعاني التى ذكرها قطرب ، كما فى قوله (136) : « سارب بالنهار : متوار ، سمعنا ذلك . وقالوا : انسرب الوحش فى الجحر : دخل . وقال ابو محمد سارب : منتشر » .

ثم تعليقات توضح الضد ومعناه ، مثل قوله (139) : « قالوا : الصريم : الليل ، والصريم : الصبح . وقال بعضهم : الصريم : الليل وآخره ... قال ابو محمد : كل ما انجلى من شيء فهو صريم ، كالليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل . ومن ذلك يقال : صريم الزمان اي منقطع من معظمه. ومنه يقال : الصرمة من البيوت : اي القطعة ، ومنه يقال : صرمة من الابل ، ومنه يقال : صرم ما بيني وبينه : اي قطعه . ومنه يقال : سيف صارم ، ومنه يقال : صرم الناس النخل . ومنه يقال : صريمتي : اي بذمي وقطعي الامر » ، وقوله (157) : « قالوا المأتم : الجماعة من النساء فى الحزن ، والمأتم فى الفرح .. وقال ابو محمد : كل جماعة من رجال ونساء فهو مأتم » . ومن الواضح ان نتيجة توضيحه توجب رفض الضد ، ولكنه لم يرفضه صراحة .

ويماثلها فى العدد تعليقاته التى تبين مشتقات الضد ، وبعض الالفاظ الواردة فى تفسيره كقوله (49) : « ومنه البحتر للقصير ، والبحتر للعظيم . قال ابو محمد : رجل بحتر ، وامراة بحترة ، وبهتر وبهترة للقصير » .

ومثلهما تعليقاته التى يأتي فيها بالشواهد مثل قوله (2) : « قال ابو محمد : انشدنا ابو عبيدة :

فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج
سراتهم فى الفارسي المسرد

اي تيقنوا » .

وذكر فى بعض تعليقاته رواية لشاهد . مثل (115) : « قال عمرو بن كلثوم :

نصبنا رهوة من ذات عرف
محافظة وكنا القدمينا

وانشدنا ابو محمد :

نصبنا مثل رهوة ذات حد
محافظة وكنا القدمينا

اي كتيبة ذات حد ... » .

وضعف فى تعليقه الشاهد . روى قطرب (2) بيت ابي دواد :

رب هم فرجتـــه بعزيـــم
وغيوب كشفتهـــا بظنـــون

فقال ابو محمد : قرات على الاصمعي بيت ابي دواد ، فقال : هو لخلف الاحمر » .

ووثق معنى ضد بأن العلماء رووه ايضا ، قيل (156) : « قالوا : اعبل الشجر : اذا سقط ورقه ، واعبل ايضا : اخرج ثمرته ... وقال ابو محمد : اعبل اذا سقط ورقه قول الاصمعي والعلماء . والتفت مرة الى ما يحدث فى الضد من ابدال ، كما راينا فى بحتـر ..

— ◆ —

كتـاب ابـي عبيـدة

نستخلص الظواهر التى سادت كتاب ابي عبيدة من المقتطفات الباقية منه . وتدلنا هذه المقتطفـات على انه احتوى على عدة انواع من الاضـداد ، مثـل المجازية ، والتفاؤلية ، واضداد اللغات وفعل وافعل وغيرها . وتبين لنا ايضا انه اختلف بعـض الشيء عن قطرب فى الشواهد فهي عنده اكثر ممـا عنـد قطرب . ولذلك كثيرا ما نراه يستشهد باكثر من شاهد على المعنى الواحد . مثل قوله (36) : « امر جلل : اي جليل ، وامر جلـل : اي هيـن يسيـر صغير ، قال جميل فى الجليل :

رسم دار وقفت فـى طللـه
كدت أقضي الغداة من جللـه

اي من عظمه فى عيني او قلبي . وقال بعضهم ، من اجله . وقال آخر :

فلئن عفـوت لاعفـون جلـلا
ولئن سطوت لاوهنن عظمـي

وقال فى الهين الحارث بن خالد المخزومي :

قلت للرنـة لمـــا اقبلـت
كل شيء ما خلا عمرا جلـل

اي هين . وقال لبيد :

وارى اربـد قـد فارقنـــي
ومـن الأرزاء رزء ذو جلـل

وخالف ابو عبيدة قطربا ايضا . فعلق على اكثر شواهده بكلمة توضح موضع الشاهـد ، او تربطـه بالمادة التي اتى به من اجلها ، ولم يفعل ذلك قطرب. قيل فى اضداد الاصمعي (37) « وقال ابو عبيدة : يقال : عسعس الليل : اذا اقبل . وعسعس : ادبر. وانشـد :

مدرعات الليـل لمـا عسعسـا

اي اقبل .

ثم مائل قطربا فيما عدا ذلك من عدم استشهاد احيانا ، واستشهاد على معنى واحد احيانا اخرى ، واستشهاد على المعنيين كليهما مرة ثالثة ، وشرح للشواهد مرات معدودة واستشهاد بالقرآن والشعر والاقوال والامثال. وهاك امثلة من كل ذلك : «قال ابو عبيدة (38) : الكاس : الاناء الذى يشرب فيه، والكاس ما فيه من الشـراب . وقـال : « يقال : قمات الماشية تما : اذا سمنت . ويقـال : صغـر فلان وقمؤ قماءة ، قال ابن احمر فى الاول :

وجرد طـار باطلهـا نسيـلا
واحدث قمؤها شعرا قصارا »

وقال (39) : « شراة المال : بمنزلـة شـراة المال ، اي رذال المال ، والجميع شـرى ، كقولـه :

مفادرات بالشـرى المحســل

اي المنفى المتـروك .

والشراة فى لغة بعضهم : خيار مسـان مـن الابل وكرائمها ، كقوله :

من الشراة روقـة الامـوال »

وقال : « المنة : القوة ، والمنـة : الضعـف . ومنه حبل منين : اي ضعيف . وقال ذو الرمة :

ترى الناشيء الغريد يضحي كانه
على الرحل مما منه السير عاصد

(36) اضداد ابي حاتم 112 .
(37) 7 .
(38) الاصمعي 67 . ابن السكيـت 341 . ابـن الانباري 98 .
(39) الاصمعي 19 . ابن السكيـت 291 . ابو الطيب 414 .

اي مما اضعفه. والعاصد: الذي يلوي عنقه..». « وقال: (فظلتم تفكهون) اي تندمون. وقالوا: القوم يتفكهون: من الفكاهة، اي الضحك والمزاحة. ويتفكهون من الفاكهة» وقال: «الزبية: حفرة تحفر للاسد، والزبية، جمعها زبى: اماكن مرتفعة. ويقال في المثل: علا الماء الزبى، اي بلغ الامر اقصاه. قال العجاج:

وقد علا الماء الزبى فلا غير (40) »

وخالف ابو عبيدة قطربا في عنايته بايراد المعاني الاخرى للاضداد، التي لا تندرج تحت المعنيين الضدين. قيل في اضداد الاصمعي (41): «المولى: المنعم، والمولى: المنعم عليه. قال ابو عبيدة: وللمولى سبعة مواضيع: المولى ذو النعمة من فوق. والمولى: المنعم عليه من اسفل. وفي كتاب الله تبارك وتعالى: (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم). والمولى في الدين: من الموالاة، وهو الولي، ومنه قول الله جل ثناؤه: (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا، وان الكافرين لا مولى لهم).. والمولى: ابن العم، وفي كتاب الله تبارك وتعالى: (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) اي ابن العم عن ابن العم.. والمولى: الجار، قال سريع بن وعوعة الكلابي، وجاور بني كليب – كليب ابن يربوع – فاحمد جوارهم:

جزى الله ربي والجزاء بكفه
كليب بن يربوع وزادهم حمدا

والمولى: الحليف ... »

وعني بالمشتقات المتصلة بالاضداد اكثر من عناية قطرب بها، كما راينا، ونرى في قرء، قيل في اضداد الاصمعي (42): « قال ابو عبيدة: يقال اقرأت النجوم بالالف معناه غابت، ومنه قرء المراة في قول من زعم انه طهرها لانها خرجت من الحيض الى الطهر كما خرجت النجوم من الطلوع الى المغيب. ويقال: هذه ناقة ما قرات سلى قط، بغير الف: اي ما حملت ملقوحا ولا غيبت في بطنها ولدا ».

كذلك عني اكثر منه باللغات فيما يورده من الفاظ. قال (43): « امدان: مثل السبخة يقال: ماؤه امدان، وبعضهم يقول: مدان» وقال(44): يقال: سبد شعره وسبت لغة، في الحلق والتطويل ».

وفي آخر الامر أعود الى الاشارة الى ان هذه الظواهر افتراضية، لانها مبنية على مقتطفات الكتب الباقية من أبي عبيدة. وربما غيرت هذه الكتب في عبارته وفي شواهده، وفي غير ذلك من الامور، وربما زادت في عبارته، وربما نقصت منها. وقد حدث ذلك. كما نرى في قول ابي حاتم (45): « قال ابو عبيدة: مهرة شوهاء: قبيحة وجميلة، قال ابو حاتم: لا اظنهم قالوا للجميلة شوهاء الا مخافة ان تصيبها عين، كما قالوا للغراب: اعور، لحدة بصره ». على حين قيل في اضداد الاصمعي وابن السكيت (46): « قال ابو عبيدة: يقال: فرس شوهاء: اي حسنة. ولا يقال للذكر من هذا شيء، ويقال: لا تشوه علي: اي لا تقل ما افصحك (او ما احسنك) فتصيبني بالعين. قال: وما سمعتها الا في هذين الحرفين، واما القبح فيقال: قد شوه الله خلقه، ورجل أشْوَهُ وامراة شَوْهَاء، قال الحُطَيْئَة:

أرى ثَمَّ وَجْهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَهُ
فَقُبِّحَ من وَجْهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ

وقال ابو دواد يَذْكر فَرَسا:

فهي شوهاءُ كالجوالق فوهـا
مُسْتَجَافٌ يضِلُّ فيه الشكيمْ »

ويتضح من هذا ان ابا حاتم حذف الكثير من عبارة ابي عبيدة.

وكان كثير من اقوال ابي عبيدة موضع نقد من الاصمعي وابي حاتم، وخاصة ما يتعلق بتفسير الفاظ القرآن، فقد نقده الاخير نقدا مرا. وهناك

(40) الاصمعي 86. ابن السكيت 358. ابو الطيب 330.
(41) 33. ابن السكيت 305. وابو الطيب 660.
(42) 1.
(43) الاصمعي 13.
(44) ابو حاتم 121.
(45) 220.
(46) 38، 311.

امثلة ذلك : قال ابو حاتم (47) « قال ابو عبيدة : ماء بثر : كثير ، وماء بثر : قليل. وانشد في هذا ـ زعم ـ للهذلي :

فافتنهن من السواء وماؤه
بثر وعارضه طريق مهيع

وقال الاصمعي : انما بثر اسم ماء بعينه ، وليس ما قال ابو عبيدة بشيء » . وقال ابو حاتم ايضا (48) : « قال ابو عبيدة : «والليل اذا عسعس» : اقبل ، ويقال : ادبر . وانشد لعلقة بن قرط التيمي فجعله اقبالا :

مدرعات الليل لما عسعسا
وادرعت منه بهيما حندسا

البهيم : الاسود : الذي لا يخالطه بياض . والحندس : الشديد السواد . قال : زعموا ان ابن عباس رحمه الله قال : عسعس : ادبر ، والله اعلم. قال ابو عبيدة : وقال الزبرقان في الادبار :

وماء قديم عهده ما يرى به
سوى الطير قد باكرن ورد المغلس

وردت بافراس عتاق وفتية
فوارط في أعجاز ليل معسعس

قال ابو حاتم : قد تقلد ابو عبيدة امرا عظيما . ولا اظن ههنا معنى اكثر من الاسوداد عسعس : اظلم واسود في جميع ما ذكر ، وكل شيء من ذا الباب في القرآن فتفسيره يتقى ، وما لم يكن في القرآن فهو ايسر خطبا » . ولكن ابا الطيب لم يقبل نقد ابي حاتم ورد عليه (49) .

كتـاب الاصمعـي

يحتوي كتاب «اضداد الاصمعي» ، على 105 كلمة من الاضداد. ولكنها ليست جميعا عن الاصمعي. لان الكتاب ليس خالصا له ، بل جامعا لشتات من الاضداد . ولا شك ان المقتطفات السابقة منه تدل على ذلك دلالة واضحة . فهو لا ينسب للاصمعي صراحة غير خمسة اضداد (2 ـ 10 ـ 15 ـ 35 ـ 63) ، على حين ينسب لابي عبيدة أحد عشر ضدا: (3 ـ 8 ـ 19 ـ 38 ـ 53 ـ 60 ـ 67 ـ 71 ـ 72 ـ 86 ـ 95) نستطيع ان نضيف اليها ثلاثة اخرى ، معطوفة على اضداد له ، فيرجح انها له ايضا (9 ـ 20 ـ 54) . وينسب لابي عمرو الشيباني (في الغالب ؟) خمسة اضداد (12 ـ 14 ـ 16 ـ 37 ـ 64) نضيف اليها اثنين آخرين لنفس الظاهرة التي رايناها في اضداد ابي عبيدة (13 ـ 17) . وينسب لابي زيد الانصاري ثلاثة (43 ـ 45 ـ 49) ، وواحدة لكل من ابن الاعرابي (18) والاموي (62) ، اما بقية الاضداد فبعضها من مؤلفين مختلطين مثل قرا وجون (ـ 44) ، خلطت فيهما اقوال الاصمعي بأبي عبيدة (وغيرهما ايضا) ، وباع (36) خلطت فيها اقوال ابي زيد بأبي عبيدة ، واكثرها لم يصرح بقائله . ومن الممكن نسبة بعض هذا المجهول الى الاصمعي ، مثل الشيح (48) التي نسبها اليه ابو عبيد في الغريب المصنف ، وبعضها الاخر الى ابي عبيدة ، مثل اسر وبثر (27 ـ 41) اللتين نسبهما اليه ابو حاتم (168 ـ 229) ، وغيرهما لابي زيد ، مثل لمق (50). نسبها اليه ابو حاتم ايضا (137) ، وغير ذلك لابي عمرو ، مثل خل (56) نسبها اليه ابن السكيت (330) . ومن الممكن نسبة كثير من هذه الاضداد المهملة الى ابن الاعرابي بفضل مضاهاته بما يرويه ابن منظور في لسان العرب لهذا العالم من الاضداد ، مثل ارقام 4 ـ 5 ـ 22 وغيرها

وقد وردت أسماء بعض هؤلاء العلماء في تضاعيف الكلام عن الاضداد أحيانا ، فربما كان هذا ايذانا بأنها لمن يرد ذكرهم فيها .

وخلاصة القول ان الكتاب ليس خالصا للاصمعي، بل يشاركه فيه كثير غيره . حتى لو اضفنا اليه جميع الاضداد المهملة التي لم نستطع معرفة قائلها ، يضاف الى ذلك انه لا يحتوي على جميع اضداد الاصمعي ، فقد روى ابو حاتم ضدين له ، لم يردا فيه ، هما نعف وحميم (271 ـ 267) الا انهما يشك في صحة نسبتهما اليه .

كل ذلك يجعلنا نميل الى الاطمئنان بان هذا الكتاب الذي لدينا ملفق من اضداد مختلفة وليس للاصمعي وحده ، اعني انه يجمع اضداد عدد من

---

(47) 229 .
(48) 131 .
(49) 491 .

اللغويين : اهمهم ابو عبيدة والاصمعي وابن الاعرابي. وقد حاولت ان اعرف من الذي فعل ذلك بالكتاب ، فوجدت بعض العبارات التى قد تنير الطريق امامنا. وجدت فى « ناء » عبارة : « وقال الاشرم : اخبرني ابو عبيدة قال : يقال : نؤت بالحمـل : اذا نهضت مثقلا ... » . واذن فالراوي عن ابي عبيـدة هـو الاشرم . اما كلمة « الاشرم » فمحرفة عن « الاثرم » وهو علي بن المغيرة الاثرم المتوفى عام 232 هـ ، وكان تلميذا لابي عبيدة وللاصمعي ايضا. فهل الاثرم هو الذى جمع اضداد الاصمعي وابي عبيدة معا ؟ ليس الامر ببعيد . ولكن هل هو ايضا الذى وضع معها اضداد ابن الاعرابي وابي عمرو الشيبانـي ؟ ليس من البعيد ان يروى عن الشيباني المتوفى 206 تقريبا ، ولكن هل يروى عن ابن الاعرابي المتوفى بين عامي 230 ، 233 ؟ هما متعاصران وفى سن واحدة ، فلا مانـع من رواية احدهما من الآخر ولكن ذلك نادر فى اللغة خاصة ، ولم ينص عليه احد فى ترجمة الاثرم . وقد يكون احد تلاميذ الاثرم هو الذى اتى بما رواه هـذا من اضداد الاصمعي وابي عبيـدة . واضـاف اليـه اضداد ابن الاعرابي وابي عمرو الشيباني وابي زيد ، وهو الذى يقول : « قال الاثـرم » كما فى العبـارة المذكورة فمن هو هذا التلميذ ؟ لا يبعـد ان يكـون: يعقوب بن السكيت الذى « اخـذ عـن البصريـين والكوفيين كالفراء وابي عمرو الشيباني والاثرم وابن الاعرابي (50) ، اولئك العلماء المذكورون فى الاضداد. وقد روى ابن السكيت عن الاثرم فى الاضداد المنسوبة اليه صراحة قال (51) : « اخبرني الاثرم هذا الحرف عن ابي عبيدة » . واذن فهذه النسخة من الاضداد التى وصلت الينا هي اضداد ابن السكيـت ، فمـا الشأن فى الاضداد الاخرى المنسوبة اليه صراحة ؟ انها ـ بكل يقين ـ رواية اخـرى مـن اضـداد ابن السكيت ، لاتفاقهما الذى يكاد يكون تاما فى العبارة والاضداد ، حتى اضطر الناشر الى ان يقـول عـن اضداد ابن السكيت (52) : « يتضح من مطالعة كتاب الاضداد لابن السكيت انه تتبـع كتـاب الاضـداد للاصمعي الا فيما نـدر ، فيورد العبارات ذاتهـا ، وبالترتيب ذاته ، ويرفع الى الاصمعي ما يورده عنه قائلا : « قال ابو سعيد » او « قال الاصمعي » او « الاصمعي » مكتفيا بذكر اسمه فى بدء ما ينقله عنه. ومن ثم يمكننا اعتبار كتاب الاضـداد لابن السكيت كرواية ثانية للاصمعي » .

اما سياق العبارة فلا يختلف الا قليلا جدا فى النادر . ويفسر لنا هذا وجود اضداد للاصمعي فى كتب اخرى ، غير موجودة فى هذه النسخة ، لان ابن السكيت ـ فيما يبدو ـ كان يختار من اضداد الاصمعي ، ولم يرم الى ذكرها جملة ..

وتبين لنا دراسة الاضداد المنسوبة الى الاصمعي فى هذه النسخة وعند ابي حاتم وفى النسخة الاخرى من اضداد ابن السكيت ، ان هذا العالم لم يختلف كثيرا عن قطرب وابي عبيدة فى خطته فى التأليـف فى الاضداد . فقد وافقوا فى عدم الاستشهاد مرة، والاستشهاد على معنى واحد آخـرى ، والاستشهاد على المعنيين مرة ثالثة ، والاستشهاد بأكثر من شاهد واحد ، وشرح الشواهد . وهاك الامثلة على ذلك : قال ابو حاتم (53) : « قال لي الاصمعي : النعف . ما ارتفع عن بطن المسيل . والنعف : ما انخفض عن الجبل » . وقال ابو حاتم (54) : « الريح الطيبـة يقال لها : الذفر : ومسك اذفر ، وروضة ذفراء . ويقال للريح المنتنة : الذفر ايضا . ويقال : فلان اظفر اذفر ، اي وافى الاظفار منتن الريح كريح التيس ، قال امرؤ القيس فى الطيب :

وريح سنا فى جفـة حميريـة
تشاب بمفروك من المسك اذفرا

وفى نسخة الاضداد المنسوبة الى الاصمعـي شاهد واحد على المعنـى الآخـر للذفـر ، دون ان يورد الشاهد الذى رواه أبو حاتم ، ودون ان تنسب المادة الى احد ، ومن الطبيعي ان نميل الى ما أورده ابو حاتم ، لا نسبه صراحة الى الاصمعي .

وقال الاصمعي (55) : قد صرى الماء تصرية :

---

(50) البغيـة 418 .
(51) 345 .
(52) ص 163 .
(53) 271 .
(54) 130
(55) الاصمعي 10 . ابن السكيت 289 .

اذا جمعه ، وشاة مصراة : وهي التي يترك لبنها في ضرعها يوما او يومين لا تحلب . وانشد :

رب غلام قد صرى في فقرته
ماء الشباب عنفوان سنبته

عنفوان : يعني اول شبابه . والسنبة والسنب: الدهر . ويقال : صرى يصري : اذا قطع . يقال : صرى ما بينهما : اي قطع . وجاء في الحديث : « ما يصريني عنك » اي ما يقطع مسألتك عني . وصرى ايضا : نجى . قال الشاعر :

صرى الفحل مني ان ضئيل سنامه
ولم يصر ذات النبي مني بروعها

يقول : نجى الفحل مني هزاله . ويقال : صرى الله عنك شر ذلك الامر : اي دفعه وانشد للراعي وذكر صقرا :

وظل بالاكم ما يصري ارانبها
من حد اظفاره الحجران والقلع

اي لا يدفعه ولا يصرفه . والحجران : جمع حاجر ، وهو المكان ترتفع نواحيه ويطمئن وسطه له حروف تمنع الماء ان ينبثق » . ولكنه اختلف عن قطرب وابي عبيدة في ايراده شواهد من الحديث ، ولم نر ذلك فيما بقي من ابي عبيدة . وكان هذا اورد شاهد من القرآن الكريم . ولم نر ذلك فيما روي عن الاصمعي . وربما لو وصل الينا اكثر مما وصل تغيرت هذه الفروق . .

واتفق الاصمعي وقطرب وابو عبيدة في الالتفات الى اللغات والمعاني الاخرى للاضداد ، قال الاصمعي : « اقرات الريح : اذا جاءت لوقتها . ويقال : ذهبت عنك القرءة ـ خفيفة . يريد وقت المرض ، وذلك اذا صرت الى بلد غير البلد الذى انت فيه ، فمكثت فيه خمس عشرة ليلة ، فقد ذهبت عنك قرءة البلد التى تحولت عنها ، واهل الحجاز يقولون : قرة بغير همز ، يعني انك ان مرضت بعدها فليس ذلك من وباء تلك البلدة ، وقوله العقر واهل الحجاز يقولون : عقر الدار ، واهل نجد: عقر الدار ، واهل الحجاز يضمون العين والعقر : اصل الدار » . وظهر اهتمامه بالمعاني الاخرى في كلمة (صرى) التى نقلتها آنفا .

ويبدو ان الاصمعى عنى بالمشتقات المتصلة بالاضداد اكثر من عناية ابي عبيدة بها . ظهر هذا في « ذفر » و « قرء » و « صرى » ، ويظهر ايضا في قوله في مادة « ناهل (56) » : « الانثى ناهلة ، والجميع نهال ، ورجل منهل : اي معطش ، وابل نهال : اي عطاش ، يتطيرون بها من العطش ، فيقولون : هذه ابل ناهلة ، والنهل : الشرب الاول يقال للذي شرب اول شربة ولم يعد : نهل ينهل ، وانهل الرجل ابله » .

ويبدو كذلك انه اورد بعض الاخبار في اضداده، كقصة الرجل العربي مع الملك الحميري الذى قال له : ثب ، فالقي بنفسه من الجبل . وهي معروفة فلا داعي لذكرها . (اضداد الاصمعي 63) .

وشك ابو حاتم في ضدين للاصمعي ، فاوردهما في المجموعة المريبة عنده ، هما نعف والحميم . وقد ذكرنا ما قاله الاصمعي في «النعف» والحق انه « الارض فيها غلظ وانحدار » فالكلمة لا تعني الانحدار وحده ، ولا الارتفاع وحده ، فلا تضاد فيها . وقال ابو حاتم في الثانية (57) : « زعموا ان الاصمعي قال : الحميم : الماء الحار والماء البارد . ولا اعرفه » . وابو حاتم نفسه يضعف هذه النسبة ، وقد وجدت الكلمة منسوبة الى ابن الاعرابي في لسان العرب (حم) .

كتاب التوزي

وروى ابو الطيب اللغوي عن التوزي عدة اضداد، كشفت عن ظواهر متعددة غلبت عليها . فقد ابانت ان التوزي نقل كثيرا من اضداده عن ابي عبيدة ، مثل قوله (58) : « قال التوزي عن الاصمعي : اذا صغر المسيل عن التعلة فهي الشعبة ، فاذا عظم حتى يكون ثلثي الوادي او نصفه فهو ميثاء ، فاذا زاد على ذلك فهو ميثاء جلواخ . قال : وقال ابو عبيدة : المرتجل الذى يطبخ رجلا من جراد ، اي قطعة منه ، والارتجال الطبخ ، يقال : ارتجلت شيئا اي طبخته » . ويدعم ذلك ما جاء في البغية (59) . وروى مرة عن كل من الاصمعي ، وكيسان معرف ابن درهم وابي زيد وابي

---

(56) 45 .
(57) 267 .
(58) 104 . وانظر 186 ، 240 ، 296 ، 426 ، 490 ، 523 .
(59) 290 .

عبيد (60) . وربما كان الاسم الاخير محرفا عن ابي عبيدة .

وادى اعتماده على ابي عبيدة الى انتقال الظواهر الموجودة فى كتابه الى كتاب التوزي . فنجد فيه الاضداد التى يظهر التضاد فى معنييها جليا ، مثل (61) : « قال التوزي : يقال : ثوب يدي اذا كان ضيق الكم ، وثوب يدي اذا كان واسع الكم » . والاضداد المأخوذة من اسماء اجناس ، مثل (62) : « قال التوزي :أسد الرجل اذا فزع من الاسد ، واسد ايضا اذا صار اسدا ، من الشجاعة » . واضداد فعول ، مثل (63) : « قال التوزي : الاكولة الفاعل — يريد قولك : رجل اكولة ، والهاء للمبالغة — والاكولة الشاة يربيها الراعي ، والرجل يربيها لنفسه ليأكلها » . واضداد فعيل ، مثل (64) : « قال التوزي : التبيع التابع ، والتبيع المتبوع » وفعل وافعل ، مثل (65) : « قال التوزي : ومن الاضداد ثبت الرجل ، اذا اعطيته من الثواب ، واثبته اذا طلبت نواله . قال ابو حاتم : ولا اعرف الثاني الا توهما » . والاضداد الناتجة عن تصريف مختلف ، مثل الذى رواه المبرد (66) فى شرحه لبيت حسان ابن ثابت :

لقد رميت بها شنعاء فاضحة
يظل منها صحيح القوم كالمودي

قال: فالمودي فى هذا الموضع الهالك. وللمودي موضع آخر يكون فيه القوي الجاد . حدثني بذلك التوزي فى كتاب الاضداد ، وانشدني :

مودون يحمون السبيل السابلا

المؤدي بالهمز : التام الاداة والسلاح ، وبغير الهمز : الهالك » .

واورد غير ذلك من الاضداد ، بل اورد الفاظا من المشترك لا تضاد فيها ، مثل (67) : « قال ابو حاتم والتوزي : الزاهق الميت . يقال : زهقت نفسه تزهق زهقا ، وفى التنزيل (وتزهق انفسهم) والزاهق : السمين ... » .

وتعددت الشواهد عنده . فكان منها القرآن ، مثل (68) : « قال التوزي : خفيت الشيء واخفيته لغتان فى الاظهار والكتمان جميعا . قال : ومن ذلك قول الله جل وعز : (أكاد أخفيها) يقرأ بالضم والفتح » . وكان منها الامثال ، مثل ما ذكره ابو الطيب فى حزور (69) : « وقال آخر فى مثل ذلك:

ان احق الناس بالمنيه
حزور ليست له ذربه

قال : اراد ها هنا رجلا ضعيفا لا نسل له . وقال التوزي : هذا مثل تمثل به الاحنف ابن قيس، واراد بالحزور الغلام الحديث السن » . وكان منها الاقوال الفصيحة كالاتباع فى « شحيح نحيح » (70).

وكان بطبيعة الحال الشعر ، الذى اختلفت معالجته له اختلافا كبيرا . فاكتفى بايراد الشاهد حينا ، وعلق عليه حينا آخر . مثل (71) : « انشد قطرب وابو حاتم والتوزي فى البسل بمعنى الحلال بيت عبد الله بن همام السلولي :

ايثبت ما زدتم وتلغى زيادتي
دمي — ان اسيغت هذه — لكم بسل

قال التوزي : هذا رجل كان له زيادة فى ديوان ، فقال : ان الغيت زيادتي فدمي لكم حلال ، اي لا ادعها لكم . الا ترى ان قبل هذا البيت :

---

(60) 55 ، 103 ، 646 . كامل المبرد 569 .
(61) 686 .
(62) 16 .
(63) 24 .
(64) 101 .
(65) 124 .
(66) الكامل 144 .
(67) 333 .
(68) 237 . وانظر 360 ، 560 ، 569 ، 680 .
(69) 188 .
(70) 650 .
(71) 34 . وانظر 25 ، 53 — 55 ، 65 ، 348 ، 399 ، 474 ، 534 .

زيادتنا نعمان لا تحرمننا

تق الله فينا والكتاب الذى تتلو »

وكثيرا ما نسب هذه الشواهد الى من انشده اياها مثل (72) : « قال التوزي : وأنشدني ابو مالك وابو عبيدة :

ولما راى الحجاج جرد سيفه

أسر الحروري الذى كان اضمرا

اي اظهر . قال : وانشد غيرهما :

أسر الحروري الذى كان مظهرا »

فذكر رواية اخرى فى البيت .

واخطأ فى بعض الابيات ، فاوردها ولا شاهد فيها على ما يقوله ، كما فعل فى حديثه عن (بيضة البلد) ،اذ قيل فى اضداد ابي الطيب (73) : « وانشد التوزي فى المدح :

كانت قريش بيضة فتفلقت

فالمح خالصه لعبد مناف

قال ابو حاتم : ليس هذا من هذا الباب . قال ابو الطيب : وهو كما قال :

« واعتاد فى حديثه عن الاضداد ان يذكر كثيرا من مشتقات الضد ، مثل (74) : « من الاضداد قال التوزي : يقال حرس فلان الشيء يحرسه حرسا وحراسة وحرسة ومحرسا ، اذا حفظه وكلأه، والشيء محروس وحريس » .

— ◆ —

كتاب ابن السكيت

من الطبيعي الآن ، اننا حين ننتقل الى الكلام عن نسخة الاضداد المنسوبة الى ابن السكيت صراحة، نراها تجمع بين ما قلنا عن الاصمعي، وعن أبي عبيدة، بل ربما كان اغلب الظواهر التى نسبناها الى هذين العالمين ، هي فى حقيقة امرها من عمل ابن السكيت. ولم يقدم هذا المؤلف بين يدي كتابه مقدمة يبين فيها اسباب اهتمامه بهذا النوع من التاليف كالحال فى نسخته الاخرى التى نسبت الى الاصمعي . ويحتوي كتابه هذا على 94 ضدا ، كلها للعلماء الذين سبق ذكرهم ، وعلى راسهم : ابو عبيدة ، فالاصمعي فابن الاعرابي فابو عمرو الشيباني . وليس هناك من دليل على ان المؤلف اتى بشيء من عنده ، اللهم الا اذا كان فيما اهمل نسبته ما هو من جمعه .

وما دام الامر كذلك فنحن فى غنى عن الاطالة فى الكلام عنه اكتفاء بما قلناه آنفا . ولكننا نشير الى بعض المعالم الكبرى فيه .

اختط ابن السكيت لنفسه خطة واضحة . هي ان يورد المادة اولا ، ثم يعقبها بمعنييها ، ثم يورد الامثلة . قال (75) : « جلل .. والجلل : الهين ، والجلل : العظيم . فقد جلت مصيبتهم اي عظمت : وانشد :

كل شيء ما خلا الموت جلل

والفتى يسعى ويلهيه الامل

وقال الآخر فى العظيم :

فلئن عفوت لاعفون جللا

ولئن سطوت لاوهنن عظمي

وكان احيانا اخرى لا يراعي هذه الخطة فيورد المادة ، ثم احد معنييها او يستشهد له ، ثم المعنى الآخر وشواهده . قال (76) : « اقوى والمقوي : الذي لا زاد معه ولا مال له ، وكذلك الدار التى قد اقوت من اهلها ، قال الله تبارك وتعالى : (ومتاعا للمقوين) . وفى موضع آخر المقوي : الكثير المال . يقال : اكثر من اتيان فلان فانه مقو . والمقوي ايضا : الذى ظهره قوي » .

---

(72) 353 . وانظر 356 ، 365 .
(73) 55 .
(74) 225 . وانظر 403 ، 412 ، 485 ، 534 ، 539 ، 546 وغيرها .
(75) 281 .
(76) 279 .

وكان يلتفت احيانا الى المشتقات المتصلة بالاضداد ، والمعاني الاخرى لها التى لا تدخل فى الضدين . وتنوعت الشواهد عنده : بين القرآن ، والحديث ، والشعر ، والامثال . وسلك طرقا مختلفة فى الاستشهاد : كثرة وقلة ، واستشهادا على معنى واحد او اثنين او عدم استشهاد البتة. وكل ذلك رأيناه فى كلامنا السابق ، غير ان الاحاديث لم نسر منها كثيرا ، ولذلك اشير الى بعض مواطن الإستشهاد بها : (89 – 300 – 305 – 308 – 311) . وكل هذه الامور : من منهج وظواهر ، رأيناها فى اضداد قطرب ، واذن فابن السكيت سار على الدرب الذى مهده هذا المؤلف الاول ، وربما شابهه فيه الاصمعي وابو عبيدة . ولكن ابن السكيت لم يخضع لقطرب فى مواده ، بل حذف منها قريبا من ثلثيها لشكه فيها .

دخيل أم أثيل ؟

الأستاذ عبد الحق فاضل

- 3 -

الحـــــرب

: فى الارمية : (حربو ـ harbo) : سيف، تدمير ، حرب . وهي من : (حرب ـ hrab) خرب ، حارب ، قتل .

نقت الدجاجة نقيقا : صوتت . وكذلك الضفدعة والحجلة والرخمة.. الخ. ونعتقد ان الاصل هو صوت الدجاجة ثم شمل اصوات غيرهـا من الحيوانـات ، لانها هي التى تقول : نق نق نق . ونشأت من (نق) افعال منها : نقر ونقـد بمعنـى ، لان المنقـاد هـو المنقار . وكذلك : نقب ونقت ونقث ونقح ونقخ .. الى غير ذلك من الالفاظ التى تدل على خصب نقنقة الدجاجة هذه ووفرة عطاءاتها فى العربية .

ومن (نقب) نشأ فعل (نخب) ، ومن (نقر) نشأ (نخر) ، ومنهما او من احدهما نشأ (نخـرب ينخرب) بمعنى : نقب . والنخاريب هي الثقوب ، ومنها نخاريب النحل .

ومن (نخرب) نشأ فعـل (خـرب) بمعنـى الثقب ايضا . ومن بقايا هذا المعنـى فى العربيـة قولهم خرب الرجل : صار مثقوب الاذن. ومن الخرب صاغوا (الخرم) فى الاذن وغيرها . ثم صار قولك خربت الشيء : يعني ثقبته او شققته او دمرته . ومن هنا صار الخرب والتخريب يعنيان انواعا من الفساد والافساد منها خرب الدار : سرقها ، والاصل نقبها . وخرب الرجل : صار خاربا اي لصـا ، والجمـع خراب ـ زنة عشاق .

ونطقوها بالحاء المهملة ايضـا فقيـل : حربت الرجل : سلبته ماله . والحريبة : المال السليـب . والحرب (بفتحتين) : الويل ، ومن ذلك : واحرباه : واويلاه . والخلاصة انه صار للصيغة الحائية كل ما للخراب والتخريب من معاني السوء وزيادة ، ومنها (الحرب) ـ زنة الـدرب ـ التـى تشمـل معانـي الصيغتين الارميتين الآنفتين . اما معنى السيف فى الارمية فتقابله (الحربة) وهي سلاح دون الرمح . وتوجد فى اللاتينية بصورة (هربـه harpe) السيف المنحني ، وكأنما هو السيف العربي بذاته .

الحـــــرذون (زنة البرذون)

: الضب . ار : (حردونـو hardono) . يخيل لنا ان اثلها العربي هو قولهم حرش الضب واحترشه : اصطاده . وهذه اثلها حاش الصيد : جاء من حواليه ليدفعه الى الحبالة . وبهذا المعنى يقـال

بالدارجة العراقية حاده وحاوده ، واحسبها فصيحة مضاعة اهملها جامعو اللغة مذ حسبوهـا عاميـة او مولدة لانهم لم يجدوها فى مظانهم التى اقتصـروا عليها . ومنها فى الفصحى حاوتـه : راوغه وخادعه كالحوت فى الماء ، وانما سمي (الحوت) لحوتانه ، اي لحيدانه من ناحية الى ناحية .

ويقرب من مادة الحرذون (الحريت) — زنة الكريم : نوع من السمك . وربما سمـي الحريـت والحرذون من الحرش والاحتراش، او من فعلي الحرت والحرذ المنقرضين .

الحريـــف (زنة السكير)

: لاذع الطعم . ار : (حريفو (hrifo حاد ، لاذع الطعم .

اثل الكلمة فى العربية هو فعل حر : ضد بـرد . ومـن اسـرة الكلمـة : حـرق ، حـرج ، حـرش (بمعنى خدش) ، حرض ، حرك . وحرافة الطعـم حرارته بطبيعة الحال ، وفى العراق يقولون (حار) بمعنى (حريف) .

الحـــراق (زنـة الدكان)

: الماء الشديد الملوحة . ار: (حركو (herko .

واضح ان الكلمة من الحرق ، لان الماء الاجاج يزيد حرقة العطش . ومن ذلك ايضا كانت الحـرة (بفتح الحاء او كسرها) تعني العطش ، والحران : الشديد العطش . ومن هذا الحر صيغ (البحر) لان ماءه الملح يجعل الشارب حران ، لذلك قالوا بحـــر المرء (من باب علم يعلم) بمعنى اشتد عطشه فلم يرو من الماء . وفى الموصل يقولون (انحمر) بهذا المعنى ، وهي مشتقة من الحر ايضا .

الحـــرم (زنة البئر)

: طرد الكنيسة شخصا من شركة المؤمنين . ار : (حرمـو — (hermo .

هنا ايضا واضح ان الكلمـة من فعـل الجـرم والتحريم والحرمان . ولما كان المعنى دينيا كنسيـا يمكن القول بكثير من الاطمئنان انه من وضع الارمية. ومادة الكلمة عربية .

الحـــزاز

: نبات . ار : (حزوزيتو (hazozito .

الكلمة من (الحز) اي القطع الذى من معنـاه صيغت اسماء بعض النباتات مثل : الجزر والخـس والقثاء والقت والحشيش . ويلاحظ أن بعض أجزاء الشجرة كالجذع والجذل والجذر والجذمور والجذمار، قد صيغت من معنى القطع ايضا .

الحـازي والحـزاء (زنة الجزار)

: الناظر الى الوجه أو الاعضاء ليتكهن. الخبير بالامور . ار : (حزويو — (hazoyo الناظر . الحكيم .

فى العربية حذذ القلب : ذكاؤه وسرعة ادراكه. والقلب الاحذ : الذكي . واصل معنى الحذ هو القطع، ومثله الحز . والرجل الحزيز والحزازي : السريع العمل . وكما صاغوا حذق يحذق من الحذ ، صاغوا حزر يحزر من الحز . ومنه الحزم ايضـا . وليـس ثمة ما يرجح أثالة الارمية فى هذه الكلمة .

الحـــازر

: دقيق الشعير . ار : (حزرو — (hezro الدقيق .

فى القاموس انه دقيق الشعير وله ريح ليست بطيبة . وهذه الزيادة فى المعنى ترشدنا الى أصل التسمية. لان فعل حزر يدل على الحموضة والمرارة ، فالحزرة شجرة حامضة ، وهي كذلك النبقة المرة . والحازر بالاضافة الى معناه السابـق يـدل علـى الحامض من اللبن والنبيذ . ومن هنا اطلق العرب الكلمة على دقيق الشعير الذى خبثت ريحه ومن ثم تغير طعمه ايضا ، فكان خامضا او مرا. وعندمـا اقتبست الارمية الكلمة اطلقتها على عموم الدقيـق من باب تعميم الخاص .

حزيـــران

: الشهر السادس بالتقويـم الميـلادي . ار : (حزيـرون — (hzeron .

يقال فى هذا ما سبق قوله فى اسماء الاشهر البابلية الاخرى التى انتقلت الى العربية رأسا ، او عن طريق الارمية .

الحسبـــــان (زنة الغفران)

: العـد . ار : (حوشبونو ــ houchbono) .

ان مصدر فعل حسب يحسب بالعربيـة هو : الحسب (كالكسـب) ، والحســاب ، والحسبـة (كالفكرة) ، والحسابة (كالسحابة) ، والحسبــان (كالعرفان) ، بالاضافة الى الحسبان (كالغفران) .

والظاهر انهم اعتبروا هذا الاخير (الحسبان) وحده الدخيل فى العربية لوجود ما يقاربه فى الارمية اي (حوشبونو) ، واهملوا المصادر الخمسة الاخرى لعدم وجود ما يقابلها او يقاربها فى الارمية . اي ان المصادر الخمسة اثيلة فى العربية على ما يستنتج من قولهم ، والحسبان (بالضم) وحده هو الدخيل .

ان اثل الحساب والحسبـان فيمـا نظـن هـو الحصبة (كالقصبة) اي الحصاة وجمعها الحصبــاء ، واثلهما ايضا هو الحصاة والحصى . ذلك انهم كانوا يعــدون الاشيــاء المتكـررة ولاسيمــا الايــام ، اي يحسبونها ، بالحصى فيضعون حصاة فى وعاء كلما تكرر الامر دفعة واحدة . ومن ذلك قالـوا احصـى يحصي بمعنى حسب يحسب وعـد يعـد . ومـن الطريف ان calculate بالانكليزية و calculer بالفرنسية اللتين تعنيان العد والاحصاء ايضا ترجعان الى نفس الارومة العريقة اي الحصى ، فان اثلهما هو calculus اللاتينية التى تعني الحصاة والاحصاء ! ذلك ان اللاتين ايضا كانوا يعــدون بالحصــى وقــد اشتقوا منه الاحصاء كالعرب : ولعل هذا من جملة الادلة التى تنم عن عروبة اصلهم . ولعل calculus ايضا عربية اثلا من القلقل (بكسرتين) او القلقلان (بضمتين) او القلاقل (بضمة وكسرة) . وثلاثتها اسم لشجر يحمل حبا اسود املس . ولا يستبعد ان يكون بعض العرب اطلقوا احد اسماء هذا الشجر على دقاق الحصى تشبيها بحبوبه ، وبقي اثر ذلك فى اللاتينية .

الحشـــــرة

يقول انها : علـى الارجـح مــن (رحشــو ــ rahcho) حيوان من الهوام اي الحيوانات الزاحفة ، من : (رحــش ــ rhach) : زحف .

نظن الاثل العربي للحشرة هـو فعـل خشـر خشـرا . فالخشـار والخشارة (كلاهما بضم الخاء) : الرديء من كل شيء ، وسفلة الناس . ويلاحـظ ان الخاء ابدلت حاء فى (حشارة الناس) ايضا ، اي (خشارتهم) : رعاعهم . ويبدو ان التسمية اصابت الحشرات لسفول قدرها وهوانها بين الحيوانات .

ومثل الخشــارة والخشــار : (الخشــاش) ــ بكسر الخاء ــ التى تعني حشرات الارض وما لا دماغ له مما يدب على الارض او يطير فى الهواء ، كما تعني العصافير ونحوها من ضعاف الطيور .

والحلقة المفقودة بين الخشارة والحشرة هـي (الخرشة) ــ زنة الحشرة ــ التى ما زالت تعنـي الذبابة فى المعجم ، والظاهر ان الحشرة تكونت منها بقلب وابدال . وبقلب آخر ظهرت فى الارمية صيغة (رحشو) بمعنى الواحدة من الهوام الزاحفة ، ومن هذه نشأ معنى الزحف لفعل (رحش) . اي ان معنى الزحف نشأ من الهوام الزاحفة ، لا العكس .

حصـــــد

ار : (حصــد ــ hsad) ، اي كما ينطقهـا المغاربة بتسكين اولها . وبتعبير آخر ان هذا النطق الارمي الذى نلاحظه فى الافعال المماثلة اثيل فى العربية بقيت اثارة منه فى المغربية والارمية .

ان فعل حصد واحد من افعال القطع الكثيرة ، التى لا تكاد تحصى . وقد تطرقنا اليهـا ونوهنــا بخصبها وتنوع مجالات نشاطها فى كلمة لنا بعنوان (قط وبناتها) ــ (اللسان العربي ــ العدد 8 ــ ج 3) . واثل الحصد هو الحص اي القطع ، ومن ذلك قالوا حص الشعر : حلقه . وقالوا تشبيها بذلك حصد الزرع ، وكأنما قصدوا حلقه . ومن اخواتها خضـد الشجر : قطع شوكه ، وخضد الشيء (بالتشديد) : قطعه (بالتشديد ايضا) .

وهذه كلمة اخرى جنى عليها كونها زراعية فظنوا العربية قد اقتبستها من الارمية ، بدلا من ان يظنوا العكس ، او بدلا من ان يظنوا انها كانت فى الارميـة قبل انسلاخها من العربية .

الحصـــن (زنة الفكر)

: المكان المحمـي المنيـع . ار : (حصنـو ــ hesno) ، من (حصن ــ hsen) : كان قويا .

وهو من فعل حصن يحصن (ككـرم يكـرم) بمعنى كان منيعا . ومن ذلك حصنت المراة : كانت عفيفة أي منيعة على من يرومها ، فهي محصنة (بفتح الصاد) وحصان (كصلاح).

ونخال اثل الكلمة هو الحصر . ومن ذلك كان (الحصير) يعني السجن اولا و (حصنا) باليمـن ثانيا . وقد جاء المعنى من حصر السجيـن فى مكان من جهة ، والحصار الحربي للمدن والقلاع من جهة .

ومما يؤيد تأثيل الحصن من الحصر ان الحصور: منلا يأتي النساء ، اي كالمحصن والحصان . وكثيرا ما تبادل النون والراء مكانيهما فى العربية فى مثل : ارفض وانفض ، زبر وزبن (منع) ، الزور والزون (ما يعبد من دون الله) ...

فهذا يدل على ان فعل (حصن) اي كان قويا ، بالارمية ، هو الذى نشأ من (حصنو) اي الحصن ، خلافا لما يذهبون اليه ــ لان اصل المعنـى نشـأ فى العربية من الحصر والمنع ثم صار يعني القوة .

المحـــــط (زنة المجن)

: خشبة او حديدة لنقش الجلد وصقله . ار : (محطـو mhato) : ابرة ، من : (حاط ــ hat) : خـاط ، حفر .

الذى نعتقده ان المحط (بالحـاء المهملة) مـن معنى الخط والتخطيـط لا من الخياطـة . واثلـه الصريح هو المخط (بالخاء المنقوطة) وهو عود يخط الحائك به الثوب .

اما فى الارمية فان محطو (ابرة) وحاط (خاط) قد نشأ اصل معناهما من الخيـط والخياطـة ، ولا علاقة لهما بالمحط . انظر (الخياط) فى موضعها .

الحكيـــــم

: العالـم . ار : (حكيمو ــ hakimo) من : (حكـم ــ hkam) : علـم (من باب فرح) .

الحكيم والحكمة والتحكم والمحاكمة .. كلها من الحكمة (زنة سمكة) وهي ما احاط بحنكي الفرس من لجامه . واثلها (الحنـك) الـذى منـه قالـوا احتنكت الفرس : جعلت فى فمه (اي حنكه) الرسن . ومن الحناك والتحنيك صيفت (الحنكـة) ــ زنـة الزبدة ــ اي الخبرة والتجربة . وكثيرا ما استعملوا المادتين مترادفتين فى مثل قولهم حنـك الشـيء : فهمه ، وحنكته السن : احكمته التجارب ، والمحنك : من جعلته التجارب خبيرا حكيما . وانما نشأ معنى الحنكـة والحكمـة من ربـاط الحنـك لان الدابـة المحنكة ــ المربوطة من حنكها ــ أقوم سيرا واطـوع لسيطرة الراكب . وقد شرحنا ذلك بتفصيـل فى كتابنا « مفامرات لغوية » (ص 74 ــ 77) (وفى عدد سابق من اللسان العربي) . وواضح بعد كـل هذا ان الارمية اقتبست المعني المذكور جاهزا بعد ان جرت عليه فى العربية تطورات مختلفة متشابكة .

الحلـــــة (زنة الجبة)

: ثوب يستر كل الجسـم . ار : (حيـلو ــ helo) : ثوب نسائي طويل .

يخيل لنا ان اثل الكلمة هو (الظلة) ــ بالضم ــ اي المظلة وكل ما تستظل به من حر او برد أو مطر. ومن اسرة الكلمة الجل (بفتح الجيم او ضمه) وهو من الدابة بمثابة الثوب من الانسان ، والكلـة وهـي الستر الرقيق الذى يجلـل السريـر للوقايـة مـن البعوض . اما اثل الظلـة فهو الظـل .. الخ . وقد سبق التنويه بها عند الكلام عن الاكليل والجل (فى العدد السابق من اللسان العربي) .

الحـلـفـاء (زنة الحسناء)

: نبات . ار : (حلفـو ــ halfo) .

للكلمة صيغة اخرى فى العربية هـي الحلفـة (زنة السمكة) وجمعها الحلف (كالسمك) ولعلهـا الاثل . ويخيل لنا ان اثل الحلف هو العلف وهو طعام الدواب ، لان اوراق هذا النبات كالحشيش الذى تعلفه الدواب . ومن اسرة الكلمة : العلث والعليثة : البر المخلوط بالشعير ، والعلس (زنة العكس) والعلاس (كالفؤاد) والعلوس (كالحنـون) : الطعـام ، والملاق (كالسماء) : ما تتبلغ به الماشية من الشجر ، والعليق (كالعميق) : علف الدابة ، والعلـك (كالشرق) : المضغ ، والعنك (كالصدق) : كل صمغ يعلك .. الخ.

فلا يظهر ان ثمة ما يدعو الى الظن ان الكلمـة ليست بالعربية اثلا .

حمـــم المــــاء

: سخنه . ار : (حمـــم ـ hamem) .

لا نعرف وجها لاعتبار الكلمة من الارميـــة فان فعل حم له فى العربية اشتقاقات كثيرة ، ذكـروا منها ثلاثة باعتبارها من الارمية هي : حمم المــاء ، وحم الظهيرة ، والحمى .. ولا نعلم ما قولهـم فى الصيغ الاخرى مثل الحمة (زنة العمـة) : العيـن الحار ماؤها ، والحمة (زنة القبـة) : السواد ـ وتنطق الحوة ايضا) ، والحمـم : الفحم ، والحمـام (بالتشديد) ، والحميم : الماء الحار ، واليحموم : الاسود أو الدخان .. الخ . فهل هذه الصيغ ايضـا من الارمية وهي من نفس المادة ، أم لا ؟ ولماذا تكون الصيـغ الثـلاث الآنفـة من الارميـة بينمـا بقيـة الاشتقاقات عربية ؟

مهما يكن فان من اسرة حم : حمي (زنة خشي)، حمش (ومنها الحبش) ، حمس ، حمص ، حمق ، احمر ...

حـــم الظهيــــرة

: وســط النهــار . شــدة حـرهـا . ار : (حومـو ـ houmo) : حر الشمس وغيرها .

نوهنا بها توا فى (حمم الماء) .

الحمـــــى

: ارتفاع حـرارة الجسـم . ار : (حمتـو ـ hamto) : حـــرارة .

انظر (حمم الماء) آنفـا .

الحمـــــص

: الحب المعروف . ار : (حمصو ـ hemso) .

نعتقد انه سمي بذلك من التحميـص لانه كما يؤكل مطبوخا يؤكل محمصا . وتأثيل الكلمة قد ورد فى (حمـم المـاء) .

الحماض (زنة الدكان)

: نبـات . ار : (حموعتـو ـ hmou'to) .

الكلمة فى العربية تطلق على عشبة كالهندبـاء ورقها حامض ، ومنها نوع مر . وواضح ان التسميـة جاءت من الحموضة وهي كلمة عربية لا شك فيها . أثلها : حمز الشراب : حمض ، وهذا من مز : صـار مزا ، اى كان طعمه بين الحموضة والحلاوة . اما فعل (مز) فمنشؤه من محاكاة صوت التمزمز الذي يحدثه الانسان عندما يطعم شيئا حامضا .

الحنـــان

: الرحمة . ار : (حنونو ـ hnono) .

ان فعل (حن) له مشتقات كثيرة فى العربيـــة منها الحنين والحنون والتحنن والتحنان .. وليـس ثمة ما يدل على ان صيغة الحنان وحدها المقتبسة من الأرميـة . ونظن اثل الحنين ورسه هو الانين ، فقد قالوا (حن) الرجل بمعنى صات ولا سيما من طـرب فرحا أو حزنا . وحنين النيب (النوق) الى أولادها مضرب المثل ، اي صوتها الشبيه بالأنين . ومن ذلك صار الحنين يعني الشوق ثم الشفقة .. ومنه نشـا (الحنـو) .

فوجود (حنونو) فى الارميـة ادل على انهـا المقتبسـة .

الحنوط (زنة الغفور)

: ما تحنط به جثة الميت . ار (حونطو ـ hountto) .

ان الحنوط فى العربية من مادة الحنطة .. ونظن ان سبب اجتماع هذين المعنيين المختلفين فى هذه المادة اللغوية الواحدة هو ان اثلهما مشترك وهو الطحـن ، فالحنيط بلغة الموصل يعني الحنطة او الكثير منها ، وأثلها الطحين . والظاهر أن الحنوط ايضا سمى بذلك لانه كان يتخذ من مواد مطحونة . ولصيغة (الطحون) معان منها الحرب التي تطحن الناس ، وكان صيغـة (الحنوط) مقلوبة منها .

تحـــوب (زنة تصور)

:تجنب الذنب . ار : (اتحيب ـ ethayab) : اذنب .

الذي يقابل الكلمة الارمية فى المعنى هو فعل حاب يحوب فى العربية ، اي اذنب . لكنهم تصدوا لصيغة فعل (تحوب) الذي يعني عكس المعنى اى تجنب الذنب لقرب الفعل الآرمي منه لفظا .

وأثل الكلمة فى العربية كما نظن هو (تهيب) ، مما يؤيد ان اصل المعنى هو كما فى العربية اى الامتناع عن الذنب ، ثم نشأت صيغ اخرى صارت تعني اتيان الذنب .

وواضح ان صيغة (اتحيب) الارمية اقرب من (تحوب) العربية الى الاثل (تهيب) . لهذا يظهر ان العرب قالوا اول الامر (تحيب) ثم صاروا ينطقونها : تحوب . وانما نقول ان العربية هي الأثل بالرغم من كون (الصيغة) الآرمية آثل لان معناها هو الاحدث ، اي ان الارمية اقتبست الكلمة منذ كان العرب ينطقونها (تحيب) .

الحيوان (زنة الطيران)

ار : (حيوتونو — hayotono) .

اصل معنى الحياة هو الحرارة لذلك كانت الحوة (زنة القوة) تعني السواد مثل الحرة (زنة الجرة) التى تعني الارض ذات الحجارة السوداء كأنها احرقت بالنار . ونعتقد انهم اطلقوا على النار اولا لفظة (حو) — زنة جو — وهي ما تزال فى لغة الطفل بالدارجة العراقية تعني النار او التحذير من الاكتواء بها او بأي شيء حار . و (الحو) يعني السم كذلك بالدارجة العراقية فى قولهم من باب الدعاء بالشر : يا كل حو ! وسنأتي وشيكا اهمية معنى السم فى هذه الكلمة .

وبنتيجة تفاعلات الواو والياء التى لا نريد التبسط فيها ، اطلقت كلمة (حية) على النار التي ما تزال كامنة تحت الرماد ، اى ضد النار الخامدة . وهي فيما يظهر مؤنث (الحو)، لان (الحية) اصل اشتقاقها (الحوية) — زنة الموجة . لذلك كانت الحية من أسماء الأفعى لان لدغتها كالنار . ومن هنا جاء معنى السم فى (الحو) بالدارجة العراقية . ومن (الحية) قالوا تحوى الحبل مثلا اى تلوى كالحية. والحاوي والحواء: من يجمع الحيات او يرقى منها .

ومن النار الحية ايضا ، اي ضد الخامدة او الميتة ، صيغت الحياة وجمعها الحيوات (زنة الصلوات). ومن صيغ الحياة (الحيوة) — زنة القبول — والحيوان، ومثلها الحي (زنة الزي) . ثم اطلقت صيغة الحيوان بالاضافة الى ذلك على كل ذي حياة .

ويظهر ان (حيوتونو) الآرمية محورة من (الحيوة) أو من احدى الصيغ العربية الاخرى الباقية او المنقرضة .

الخان

: هو الحانوت ، او محل نزول المسافرين . وهو اصل الحان . ار : (حونو — honou) .

نلاحظ انه يسمى كذلك النزل — بضمتين ، وان البيت يسمى (المنزل) ، وكلاهما من النزول اي نزول المسافرين عن ظهور المطايا . كما ان (البيت) سمي بذلك من المبيت ، والاغلب انه مبيت المسافرين أيضا . ومثل ذلك المحل والمحلة ، من معنى الحل — بفتح الحاء — اي حل الرحال عن الابل ، وهو خاص بالمسافرين والمطايا ايضا .

ثم نلاحظ ان المناخ يعني محل الاقامة ، وهو من معنى « مبرك الابل اى الموضع الذي تناخ فيه » . ومنه صاغوا فعل تنخ بالمكان : اقام . والتنوخ — زنة الوقوف — هو الاقامة .

هذه الوشائج بين المنازل من جهة والسفر والابل من جهة توحي لنا أن (الخان) صيغة مشتقة من الاناخة أو المناخ .. وهي قرائن لا ترقى الى مرتبة الدليل القاطع لكنها تدعو الى التامل .
ومن الخان نشأت صيغة الحان والحانوت .

الخبل (زنة العمل)

خبله الحزن : افسد عقله . ار : (حبل— hbal) : افسد .

ان اثل الخبل هو الهبل . فان قولهم اهبل الرجل يعني فقد العقل والتمييز ، فهو اهبل ، وحالته الهبالة. واما اثل (الهبل) فهو (البله) وكأن الهبالة هي البلاهة، وهذه من البلادة ، وهذه من فعل بلد ، وهذه من لبد .. الخ .

الخابية

ار : (حوبيتو — hobito) .

ان فعل خبأ يعني فى العربية أخفى . والخباء : بيت الشعر او نحوه لانه مخبأ اصحابه . والخابية ،

وتنطق بالهمزة (الخابئة) ايضا ، هي الجرة الضخمة يخبأ ما يخبأ فيها . فاشتقاق صيغتها من معناها واضح كل وضوح .

الخاتــم (زنة القالب)

ار : (حوتمو ــ hotmo) .

نعتقد ان اثل الختم هو عملية كسر الطين الذي يسدون به فم الجرة ، ثم انتقل المعنــى الى الطيــن نفسه الذي سمي الختام. ومنه الآية «ختامها مسك». ومن اخوات الختم بمعنى الكسر ونحوه : خت ، ختأ ، خترب .. قت ، حت ، جت ، .. الخ . ثم لما صاروا يسدون الرسائل بطين يطبعون عليه اسماءهم بميسم خاص صار الختم يطلق على وسم الطين بذلك الميسم، ثم صار الميسم نفسه يسمى خاتما . ولمــا كانــت الرسائل انما تختم بعد انتهائها صار الختام يعنــي النهاية او الانتهاء . ومن هنا قالوا « مسك الختام » لان العلية كانوا يخلطون طين الختم بالمسك . وليلاحظ القارىء الفرق بين « ختامها مسك » الذي يعني المسك بدل طين السداد ، و « مسك الختــام » الخــاص بالرسائل ، فان العادة الجارية الا يفرق الاكثرون ان لم نقل الاجمعون بينهما .

فهذه التطورات تنبىء ان الخاتم هــو منشــأ (حوتمو) بالأرمية .

الختــن (زنة الوطن)

:زوج البنت . ار : (حتنو ــ hatno) : زوج .

ان فعل (ختن) معناه القطع ، واثله الخت الذي كان ولا بد يعني القطع ايضا ثم صار يعني الطعــن . ومنه ختن الصبي : قطع قلفته . ومن هذا المعنــى نشأ معنى المصاهرة فصار قولك ختنه وخاتنه يعنــي صاهره . وربما كان اصل معنى المخاتنــة هو تبادل الرجلين اخواتهما اى يتزوج كل منهما اخت الآخر . او ربما جاء من ختن البنت كما لا يزالون يفعلون فى بعض الاقطار ، فكأنما قالوا ختن البنت لفلان او ختن الصبي لفلانة ، كنوع من الخطبة التي كانوا يعقدونها لاولادهم منذ الطفولة .

وبعد ان صار الختن يعني فى العربية زوج البنت صار فى الارمية يعني الزوج تعميما .

خــاتنــه

: صاهره . ار : (حتن ــ haten) : تزوج .

راجــع (الختــن) .

الخــروب (زنة التنور)

ومثله الخرنوب . ار : (حروبو ــ haroubo) .

والخرنوب هو الأثل منهما ، وهو شجر كبير له ثمر يؤكل او يسف دقيقه او يشــرب مــاؤه . وفى العراق يطلقون الخرنوب على نبات بري صغير الحجم موسمي ، اي يظهر فى الربيع ويموت فى الصيف ، وله ثمر يؤكل اخضر بعد كشط جلده العفص الطعم . وفى الموصل يسمونه الخيضر . واذا جــف كان لبذوره صوت عند تحريك ثمرته ومن هنا سموه فى الموصل (البجنجل) من صوته ، ويبدو ان الاثل (ابو جلجل). وصفوة القول ان الخرنوب الجاف منخرب، اي فيه نخاريب (تجاويف) للبذور ، ومن هذه النخاريب جاء اسمه (الخرنوب) ــ وربمــا كــان اسمــه الاول (النخروب) ــ ثم اصلق على الشجر المذكور لمشابهة ثمره بثمره .

اى ان تسميته (الخرنوب) بالنون سبقت صيغة (الخروب) بتشديد الراء وهذه ظهرت فى الارميــة بشكل (حروبو) .

خــربــق النبات

: اتصل بعضه ببعض . ار : (حربق harbeq)
: شبك . عقل .

اصل معنى الكلمة هو التقطيع ، ومن ذلك ظهــر معنى الافساد حيث قالوا خربق العمل : افســده . ومثل ذلك خربش الكتاب او خرفشــه : افســده . ومثله ايضا : شربق الثوب وشبرقه وشرقه وخرقه وشرزه وشرطه (والاربعة الاخيرة كلها بتشديد الراء) . ويظهر فعل (شربق) فى الدارجة العراقية بشكــل (شربك الشىء) اى جعله يشتبك ويتداخل بعضه فى بعض، وهي من الالفاظ الأثيلة المضاعة ، فيما نعتقد، فمنها نشأ فعل تشبك وتشبص ، فى الفصحى .

ومن كل هذا ، ولا سيما فعلي شربق وخــرق ــ بتشديد الراء ــ نشأ فعل خربق بمعنى التشابك ،

فقالوا (خربق النبات) بمعنى اتصل بعضه ببعض ، اى تشابك ، ومن ثم ظهر فى الارمية فعل (حربق) .

الخــرز (زنة النظر)

: ما ينظم فى سلــك من لؤلؤ ونحــوه . ار : (خرز ــ hraz) : رتب . أدخل .

الخرز فى العربية هو الحب المثقوب من زجاج او جزع او خشب او اية مادة صلبــة من الجواهــر الغالية او الحجارة الرخيصة . وسبب التسمية هــو كونه مثقوبا ، لان خرزت الجلد تعني ثقبته ، والمخرز: اداة الثقب . ومن اسرة الكلمة : خرم ، خرق ، خرت ، خــرب .

ولما كان الخرز ينظم فى سلك صار فعل خرز يخرز خرزا (من باب فرح) يعني احكم امره ، كمــا اشتقوا النظام والتنظيم من معنى نظم الخرز ايضا . ومن ثم ظهرت فى الأرمية صيغة (حرز) بمعنى رتب وادخل ، اي بمعنى نظم بالتشديد ونظم بالتخفيف .

الخــــردل

: النبات ذو الحب الدقيق الحريف المعروف . ار : (حردلو ــ hardlo) .

أثله من فعل (خرد) الذي يعني القطــع . ولا شأن لنا بمعانيه المعجمية الان ، لكن مما يدل على ذلك ان فعل خردل نفسه ما زال يعني القطع فى المعجم ، والخرادل : القطع من اللحم . ولعل قولهــم خردل اللحم بمعنى قطعه وفرقه هو الذي ادى الى اختصاص الكلمة بالقطع الصغيرة من كل شيء ، ثم تخصص بهذا الخــردل .

الخرطــوم

: انف الفيل . ار : (حرطومو ــ hartoumo) : أنف ، خرطوم .

نعتقد ان أثل الخرطوم هو الخطم وهو من الدابة مقدم انفها وفمها، ثم اطلق على الانسان مجازا بمعنى الانف . وصياغة الخرطوم من الخطم له امثــال فى العربية نكتفي منها بالعرقوب من العقب والفرطيسة من الفطس . وأثل الخطم على كل حال هو الخزم ، فقولك خزمت البعير يعني وضعت فى انفه الخزام او الخزامة وهي حلقة يشد فيها الزمام . واصل معنــى خزمت البعير هو ثقبت انفه .

وربما تكونت كلمة (الخرطوم) منذ كانت المعربة غابة تعيش فيها الفيلة ، قبل خروج الأرميين منهــا بالوف السنين .

الخــزف (زنة الهدف)

: الفخار . ار : (حصفو ــ hesfo) : اناء من خــزف .

أصل المعنى القطع أيضا . خزف الثوب : شقه . وقد اطلق على الفخار فيما يظهر لسهولة تكسيره، كما سميت كسراته الشقف والمفرد الشقفة ، بينما الشقفة تعني بالسورية : الكسرة او القطعة الصغيرة من أي شيء ، وهو فيما نعتقد أصل المعنى .

الخــص (زنة اللب)

: البيت من قصب او شجر . ار : (حوصو ــ houso) : خوص .

الكوخ هو البيت القروي فى الاستعمال اللغوي الرائج وان كان يعني فى المعاجم : البيت بلا كــوة . والاستعمال الشائع هو الاصل لان اسم الكوخ نفســه متطور من الكوة ! ومن الكوخ نشأت صيغة الكاخ بنفس المعنى ، ومنها فى اللاتينية casa . وكما نشأت من الكاخ صيغة (كاسا) التي اندثرت فى العربية وظهرت فى اللاتينية ، نشأت من الكوخ صيغة (خــوص) و (خص) ــ بضم الخاء .

ولما كان بعض الاكواخ البدائية يبنى من سعف النخل فقد تخصصت صيغة (الخوص) بالسعف و (الخص) بالبيت المبني منه او من القصب او الشجر .

ويلاحظ ان (حوصو) الأرمية تعني الخــوص بمعناه العربي أي السعف ، لا (الخص) المبني منه . (انظر كلامنا عن الكوخ وتطوراته فى الآريات فى كتابنا « مغامرات لغوية ») .

خطــر (من باب كرم)

: صار رفيع المقام . ار : (حطر ــ hatar) : تكبــر

اثل الفعل : خطا يخطو ، ومن ذلك قيل تخطرته وتخطريته : تخطيته . ثم صار فعل خطر (كجلس) يعني المشي مع تحريك اليدين . ومن هذا نشأ فعل (تمخطر) بالدارجة المصرية الذي ادى الى نشوء (تبختر) فى الفصحى . نعني ان التمخطر صيغة عربية قديمة لكن جامعي اللغة لم يأخذوا بها لمخالفتها الصيغة (الفصيحة) الرائجة التي كان يجب ان تكون (التخطر) . و (التمخطر) بالميم - كان لغة بعض العرب ضعف شأنها عند نشوء الفصحى فى الجاهلية ، وقد احياها بعض المتأخرين فى مثل (التمعني) ، وفى جيلنا (التمذهب) .

ولما كان التبختر من شأن ذوي الاقدار صار (الخطر) يعني الشرف وارتفاع القدر ، وصار فعل خطر (ككرم) يعني : ارتفع قدره . ومن ثم ظهر فى الأرمية بصيغة (حطر) : تكبر .

الخطـــر (زنة الفكـر)

: الغصن . ار : (حوطرو - hawtro) : قضيب، عصـــا .

ان تمايل المتبختر فى سيره جعلهم يقولـــون مجازا : خطر الرمح : اهتز ، ومن هنا سموه الخطار (بالتشديد) . وقالوا : خطر بسيفه او رمحه : هزه ، وخطر الجمل بذنبه: رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه . فمن هذه الحركة وذلك الاهتزاز سمي الغصن (خطرا) .

الاختطـــاف

: كون النفس مخطوفة فى رؤيا او نحوها . ار : (حطيفوتو - htifouto) .

ربما كان تخريج هذا المعني ارميا ، لكن الكلمة بمختلف صيغها عربية .

خلـــف خلافا وخلوفا

عن خلق أبيه : تغير . ار : (حلف - hlaf) : تغيـــر .

صيغ الكلمة كثيرة جدا فى العربيـــة ، وانمـا اختاروا فعل خلف بمعنى تغير لانه الصيغة التي وجدوا لها مثيلا فى الارمية . وأصل معنى الفعل هو التخلف، فقولك فلان خلف فلانا يعني : تلاه ، اي جاء خلفــه .

وقالوا خلف الطعام : تغير طعمه ورائحته ، لان هـــذا شأن الطعام المتخلف . ومن تغير الطعم ظهر معنـــى التغير عامة . وثمة الخلف (كالشكـــر) والاخـــلاف (كالاحسان) والاختلاف والمخالفة ، فكنها تعني التغير او التغيير . ونقول بالمناسبة انهم يسمون المعارضـــة السياسيـــة بالفارسيـــة (مخـــالفت) والمعارضيـــن (مخالفين) .

فاذا قال العرب : خلف الرجل عن خلق ابيـــه بمعنى تغير اي اختلف ، فلا يدل ذلك الا على ان فعل (حلف) بالارمية هو المقتبس .

الخمـــر

ار : (حمرو - hamro) .

قالوا فى العربية : خم اللبن : فسد ، ومنه خم اللحم : انتن ، ومثل ذلك خمج . ومن باب التضـــاد قالوا : خمط اللبن او الخمر : تغيرت ريحه او طابت. ومن معنى تغير الطعم قالوا : خمرت العجين : وضعت فيه خميرا ، واختمر العجين : صار خميرا ، واختمر العصير : صار خمرا ، أو خمرة .

الخميـــر

ار : (حميـــرو - hmiro) .

انظـــر (الخمـــر) آنفـــا .

الخميلـــــة

: دثار مخمل . ار : (حميلتو - hmilto) : غطـــاء .

أصل معنى الخمول هو الخفاء ، والخامل الذكر هو المغموره ، وأثل خمل هو غمل الشيء : ستره . ومن اسرة الكلمة : غمر وغمن وغمي وغم . ومن معنى الخفاء اطلقوا (الخميلة) على الشجر الكثيف الملتف والموضع الكثير الشجر - كما اطلقوا الجنة والغابـــة لنفس السبب . ومن معنى الشجر اطلق الخمـــل على هدب القطيفة ونحوها من الأنسجة المخملة ، ثـــم على القطيفة نفسها . والمخمل (زنة المكتب) بلغة الموصل: منشفة الحمام .

ثم صارت الخميلة تعني الدثار المخمل ، ثم عـــم معناها فى الارمية فصارت (حميلتو) تعني الغطاء .

الخنزيـــــــر

ار : (حزيــرو ــ hziro) .

كنزت الشيء: ادخرته وحفظته. ومنه نشأ فعل (خنز) الذي كان له نفس المعنى اولا بدليل أن مقلوبه (خزن) له نفس المعنى . الا ان فعل (خنز اللحم) صار يعني أنتن ، لان ذلك مصير اللحم المخزون (لم تكن لديهم ثلاجات) ، والمغاربة يستعملون الكلمة فى لغتهم الدارجة بمعناها هذا الفصيح بينما هي مجهولة عند المشارقــة حتى فى الفصحــى . و (الخنـــز) ــ بكسرتين ــ هو المنتن فى المغربية . ومن هنا جاءت تسمية (الخنزير) ، فيما نعتقد .

اما فى الارمية فان حذف النون من الاسم ، وهو تطور لفظي متاخر مع بقاء المعنى على حاله ، يدل على ان صيغة (حزيرو) الارمية هي المستحدثة المقتبسة .

الخنـــازيـــــر

: غدد صلبة فى العنق على سطحها درن شبيه بالعقد . ار : حزيروت ــ hazirot) .

هذه التسمية من الخنزير على كل حال ، ولا نرى ما يرجح انتماءها الى اية من اللغتين ، لكـــن المـــادة عربية . اما حذف النون من الكلمة فقد تكون له نفس الدلالة هنا ايضا ، وقد لا تكون .

الخنوص (زنة السنور)

: ولد الخنزير . ار : (حونوصو ــ honouso) .

يبدو ان الاسم من نفس مـــادة الخنزيـــر ، اى الخنز . ولعلهم سموه أول الامر (الخنوز) ثم صـــار (الخنوص) ، وعلى هذا قد يكون هو أثل (الخنزير) ، ثم تخصصت صيغة (الخنوص) بولد الخنزير : النتن الصغيـــر .

الخنفســـــاء

ار : (حرفوشتو ــ harfouchto) : خنفساء ســـوداء .

من اوصاف الخنفساء فى المعجم العربي انها كريهة الرائحة ، وهذا يرشدنا الى ان التسمية جـــاءت فى الاصل من الخنز ، وربما من الخنوص خاصة ، فـــلا يخفى أن بعض اللغات تنطق الواو فاءا مخففــة (٧) ونعتقد انها احدى اللهجات العربية القدمى تسربت الى اللغات المتولدة منها . ومن أسماء الخنفساء أيضا : الخنفس (بضمتين) والخنفس (بضمـــة وفتحـــة) والخنفس (بكسرتين) والخنفسة (بضمتين) .. الخ. ما اكثر اسماءها على هوان قدرها بين مخلوقات الله . وكلها قريب النطق من (الخنوص) اذا ابدلنا واوه فاءا. وتسمى فى بعض الدارجات (الخنفوس) ويظهر انها صيغة أثيلـة فى العربيـــة فمنـــها صاغـت الأرميـــة (حرفوشتو) بابدال الخاء حاءا كما رأينا فى الالفاظ العربية السابقة المبدوأة بالخاء ومنها (الخنـــوص) نفسه . واما ابدال النون راءا فعادة ارمية اخرى تظهر فى الكثير من الالفاظ مثل ترتين (= ثنتين) وبرتـــا (= بنت) . وهي فيما يبدو عادة عربية كانت عنـــد بعض القبائل بقي أثرها فى الارمية وربما فى بعـــض اللهجات الحية الاخرى ايضا .

فمن ابدال واو الخنوص فاء نشأت (الخنفس) باحدى صيغها الموجودة او المنقرضـــة ، ومن ابـــدال خاء (الخنفوس) حاءا ونونها راءا نشأت (حرفوشتو)

الخنـــاق (زنة البكاء)

: مرض يتعسر معه التنفس . ار (حونوقو ــ honouqo) .

الكلمة توحي بانها عربية معنى ومبنى . فالمعنى من الاختناق والمبنى من صيغة الفعال الـــدال على الامراض كالسعال والفواق والزكام والجذام والكزاز . ولا ندري ما الذي جعل اللغويين يظنونها مقتبسة من (حونوقو) الا توهمهم بأن تسمية الامـــراض مـــن الشؤون الحضارية ، فيما يظهر .

الخـــــوخ

: شجر . ار : (حوحو ــ houho) .

الخوخة هي الثمرة المعروفة ، وقد سميـــت بذلك لاستدارتها فيما يبدو ، لان للخوخة معنى آخـــر هو : الكوة التي تؤدي الضوء الى البيت ، اي ان اثلها هو (الكوة) نفسها ، التي هي أثل (الكوخ) أيضا . ومن هنا كان (الخوخ) يشبه الكوة شكلا والكوخ لفظـــا . فعلى هذا تكون العربية هي الاثل .

ونظن ان منها كذلك (الكوكب) وهـو النجـم السيار ، اي الدوار .

الخـوص (زنة البوق)

: ورق النخيل . ار : (حوصو ـ houso) .

نوهنا بمنشأ الكلمة في العربية عند الكلام على (الخص) .

الخيـاط

ار : (حيوطو ـ hayoto) .

صيغة الفعال هي المألوفة في العربية للدلالـة على صاحب الحرفة ، وهي هنا صيغة المبالغة مـن الخائط اي فاعل الخياطة . والأثل هو الخط ، ومنه الخوط (كالخوص) : القضيب والغصن الناعـم . وكانوا يستعملون العيدان لتشريج طرفي نسيـج او شقي غرارة او نحو ذلك ، ومن هنا نشأت من الخوط صيغة (خاط الثوب) : ضم بعض أجزائه الى بعض . ثم نشأ الخيط والمخيط والخياطة . كلمة حضاريـة اخرى يدل التأثيل على ان الارمية هي المقتبسة لهـا من العربيـة .

الـدار

: البيت . ار : (ديرو ـ dayro) : مسكن .
من : (دور ـ dor) : سكـن .

ان الدار في العربية من الدور اى دوران الجدار حول المسكن ، ومثل ذلك (الحائط) اى البستان من معنى الجدار المحيط به . وفي الفارسية يسمـون باحة الدار (خياط) . فأصل المعنى ليس من السكن اذن بل من الدوران ، وانما نشأ معنى السكن بعد ذلك حين استقر معنى (الدار) للمسكن .

ومما يؤيد ان الدوران اصل معنى الـدار هو ان (دور ـ dour) تعني في بعض الساميات السـور الذي يحيط بالمدينة ، ثم صارت تعني المدينة ومـن ذلك (دور شروكيـن ـ Dour Charroukin) اي مدينة شروكين (1) الواقعة انقاضها شرقي الموصل .

(1) هو الأثل الصحيح للاسم الشائع : سرجون .

وفي العربية أيضا صارت (الدور) تعنـي مجموعـة البيوت ، اى جمع الدار .

ومن (الدور) بمعنى الدوران نشأ (السور) ، ومن هذا نشأ (السوار) الذي يحيط بالمعصم . ومن السور قالوا (تسور الجدار) أي ارتقاه . وربما من هذا المعنى قيل في الفارسية (سوار) بمعنى فارس لانه يرتقي الفرس ، كمن يتسور الجدار .

الـدبـس (زنة الفكر)

: عسل النحل ، عسل التمر أو نحـوه . ار : (دبشـو ـ debcho) .

يبدو أن اصل معنى الدبس هو السواد ، ذلـك ان الدبس (زنة الدرس) هو الاسود من كل شيء . وادبست الارض : اخرجت نباتها عندما يظهـر اول سواده . ومن هذا المعنى اطلقوا (دبس) بتشديد الباء ـ فعلا لازما ومتعديا بمعنى اختفى او اخفـى . لهذا يظهر ان اثلها دمس الليل او الظـلام : اشتـد سواده ، فهو دامس .

وبعض انواع الدبس كدبس العنب : اسـود . فلعلهم اطلقوه أولا على الدبس الأسود تمييزا لـه من الانواع الاخرى ، ثم اطلق على كل انواعه من بـاب التعميم ، ثم عمموه كرة اخرى فشمل عسل النحـل ايضا . لكنهم في العراق لا يطلقون الدبس على عسل النحل بل على العسل الصناعي من عصير الثمار .

دبـق بكـذا

: التصق . ار : (دبق ـ dbeq) .

يبدو لنا ان (دبق) اثله (الدبس) صيغ منه بسبب لزوجته .

الدابوق والدبق (زنة الفكر)

ار : (دوبقو ـ doubqo) .

غراء اخضر يطلون به قضبانا توضع في الاشجار فيلتصق بها ما يقف عليها من الطيـر فيصيدونـه . ويجوز ان يكون هذا المعنى من صنع اية من اللغتين ، لكن هاتين الصيغتين عربيتان من حيث اشتقاقهمـا

فالدبق من صيغة (العلك) مثلا والدابوق من صيغة اليافوخ . يضاف الى ذلك أن في العربية صيغة ثالثة للكلمة هي الدبوقاء . ولم تخل المعربة من شجر وطير وصيد وغراء ، حتى اليوم ، بدليل وجود هذه الالفاظ الاثيلة في لغتها .

دجـــل

: كذب . ار : (دكل — dguel) .

اصل معنى الدجل هو الظلمة والتغطية ، ومن اسرة الكلمة: الدجى والدجن والدجم والديجور. ومن معنى التغطية قولهم دجلت الشيء (بالتشديد) : غطيته ، ودجلت البعير : طليته بالقطران ، ودجلت الاناء بالدجال (بالتشديد) : طليته بالذهب أي موهته. ومن هنا سمي « الدجال » لانه يلبس الحق بالباطل ويظهر خيرا مما يضمر . ومن ثم صارت الكلمة تعني الكذب . فتطور معاني الكلمة في العربية على هذا النحو ينبيء ان (دكل) التي تعني الكذب في الارمية هي المقتبسة منها .

دحـــل

: خاف . ار : (دحل — dhel) .

اصل معنى الدحل هو الستر ، اي قريب من معنى الدجل : التغطية . واثل الدحل هو الدح : الدس . من ذلك قولهم دح الشيء في الارض : دسه واخفاه . ومن هنا قيل : دحل الرجل : استتر وتباعد، اي هرب ، وهذا معناه الخوف بطبيعة الامر . ومن ثم صارت الكلمة تعني الخوف ، وعندئذ ظهرت في الارمية.

دخســه في الرمـاد

: دسه . ار : (دكش — dkach) .

هذه الكلمة من اسرة : دح ، دحس ، دحل ، دخل .. واثلها جميعا : دس . ومنها : دسر ، دسع، دسا يدسو . ومن اسرتها ايضا دكست الشيء : حشوته ، ويظهر ان هذه هي الأثل المباشر او القريب لصيغة (دكش) الارمية .

— يتبع —

الكتابة التمثيلية

الأستاذ عبد الله كنون

اقتبست اللغة العربية في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ، وما تزال تقتبس بطريق الترجمة عن اللغات الاخرى ، عبارات وصورا كلامية كثيرة أثرت محصولها من البيان وان كان ثريا من قبل ، ولكنها زادته ، ونوعت طرق الاداء فيها وقد كانت متنوعة بدونها ، الا انها توسعت نتيجة لذلك بكيفية ملحوظة . وهذا لان اللغة كائن حي يزيد وينمو بالغذاء والتطعيم ويضوى ويضمر بترك التعهد والعناية .

ففي العهد الجاهلي كانت العربية لغة مستكملة التكوين ، تفي بالتعبير عن مقاصد أهلها ومشاعرهم ، وهي الى كونها لغة مجتمع محدود الاغراض والمصالح، قد اضطرت الى الاقتباس من لغات اخرى مشتركة معها في الاصل او مختلفة ، فأخذت منها عديدا من الكلمات تسمى بالدخيل ، ولم يزر بها ذلك في شيء ، لا سيما وهي في حيويتها وفعاليتها قد صاغتها صياغة خاصة واضفت عليها من طابعها الاصيل ما جعلها تبدو كأنها من صميم الضاد .

وهذا في الالفاظ شيء معلوم لا جدال فيه ، واما في التركيب والتعبير فغير بعيد ان يكون العرب قد تأثروا بغيرهم في بعض الصور الكلامية مما كانوا يسمعونه في هذه اللغة او تلك ، بناء على عموم قاعدة الاخذ والعطاء ، ونحن نعلم ما لاحظه قدماء النقاد على عدي بن زيد العبادي واعشى قيس ومن ماثلهما في الاتصال بالعجم ، من ذكرهما لاشياء لا تعرفها العرب حتى ان بعضهم توقف في الاستشهاد بهما ، فهذا من ذلك . وهو تحفظ شبيه بتحفظ بعض لغويينا ازاء كل جديد في عصرنا هذا وقبله .

فلما جاء الاسلام وغمر العرب بعقيدته وتشريعه ونظريته الشاملة للمجتمع والحياة ، اتسعت دائرة اللغة العربية لفظا وتعبيرا ، وتعزز البيان العربي بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، واصبحت لغة العرب لغة دين ودولة ومجتمع متحول من حياة البداوة الى حياة المدنية التي جاءت بدعا في المدنيات لا تشبه غيرها بما لها من سمات خاصة ومثل متميزة ، فلا غرو ان يغني الاسلام هذه اللغة ويجعل دلالاتها ذات ابعاد تقصر عنها اللغات التي احتضنت الحضارة الانسانية قبلها ، فلا تملك الا ان تنقل عنها وتقتبس منها بعد ان اعتنق اهلها الدين الجديد . وكان ذلك مما حمل الاسلام لالفاظها من معان جديدة وما أتى به من تعابير لم تكن تعرفها من قبل .

وفي هذا الصدد يذكر علماؤنا عبارات وجملا مما اتى في القرآن ولم تنطق به العرب قبله كجملة سقط في أيديهم أو في السنة كعبارة حمي الوطيس .

ثم كان عهد الترجمة والنقل لعلوم الامم المتقدمة ومعارفها ، وما كان لذلك من تأثير في اللغة العربية سواء من حيث اقتباس المصطلحات العلمية او وضعها، أم من حيث مجاراة عبارات المؤلفين او ترجمتها ، كله معلوم للجميع فلا نطيل به .

ولا ريب ان ما جرى ويجري في عصرنا هذا هو من هذا القبيل ، فالاخذ والعطاء من سنن الحياة ، ولا غضاضة على العربية ان تتبنى الفاظا وعبارات بله الصور الكلامية التي يستحسنها الكتاب والمترجمون من لغات اخرى ، اذا كانت تنسجم مع الاسلوب

العربي ولو كان هناك ما يماثلها ، فقد وضعنا الهاتف ولكنا ما نزال نقول التلفون ، ووصف الدكتور لا نجد من يتنازل عنه ولو كان من اكثر الناس تحفظا فى هذا الصدد ، مع ان وصف الطبيب موجود فى العربية من قديم . وهكذا نرى ان ثروة اللغة وغناها من ذاتها وبالاقتباس ، شيء واقع ومرغوب فيه ، حتى ولو ادى الى خرق بعض القواعد المقررة كما نفعل هنا فى هذا المجمع احيانا .

وما اعرضه على انظاركم اليوم هو تعبير من مئات التعابير التي دخلت العربية فى العصر الحديث وجرت على الاقلام والالسن ، فلم ينكرها احد ولا اعترض عليها معترض ، بل اعتبر ذلك من التجديد للغة والتوسع فى طرق البيان ، وحقا هو كذلك ، فقد اصبحت العربية بمقتضاه تساير ركب الحضارة الجديدة ولا تتخلف عنه فى شيء ، ولا سيما فى حقل الادب والفن والعلوم الانسانية والسياسة والاجتماع . ولكن هذا التعبير ما يزال توجه اليه النظرات الشزراء من رجال اللغة ، وينبذه المتحفظون وان كان مما شاع وذاع وملأ الأسماع كما نقول فيما حفظناه من الاسجاع .

انه التعبير الذي تدخل فيه هذه الكاف التي حبب الى ان أسميها الكاف التمثيلية ، فرقا بينها وبين كاف التشبيه ولانها تقع موقع مثل ، وهي المقابلة لـ comme الفرنسية و como الاسبانية فى مثل قولنا فلان كسفير يمثل بلاده احسن تمثيل ، والوالي كأحد رجال الشرطة يجب ان يحتفظ بهيبته .

ولمزيد الايضاح أبين كيف تقع هذه الكاف فى عنوان بحث كنت القيته فى هذا المجمع منذ سنتين وهو ابن رشد الفقيه .

فقد كتبت هذا البحث عن الحفيد ابن رشد ، واسمه محمد وكنيته ابو الوليد مثل اسم جده وكنيته تماما ، واشتهر هو بالفلسفة كما اشتهر جده بالفقه . واردت ان يكون عنوان البحث دالا من اول وهلة على المراد ، فقلت اجعله الحفيد ابن رشد الفقيه أو فقيها، فلم اجده يؤدي ما فى نفسي بوضوح مع طوله ، وقلت أجعله الفيلسوف ابن رشد الفقيه او فقيها ، فوجدته يقارب ولكنه ربما اوهم اني اتناوله بوصفيه الفقيه والفيلسوف فى حين اني لم اتكلم الا على الناحية الفقهية من ترجمته . وعرض لي استعمال هذه الكاف بان أقول ابن رشد الفيلسوف او الحفيد كفقيه ، فوجدتها ادل على المراد من كل ما سبق ، ولكن استعمالها مرغوب عنه ، لا سيما وانا اعرض بحثي فى مجمع اللغة العربية .

فعدت الى العنوان الذي خطر لي اول مرة ، هو ابن رشد الفقيه ، اتكالا على ان الشهرة المطبقة لهذا الاسم ، بين العرب وغيرهم ، انما هي للفيلسوف لا للفقيه . وقد ترجم ذلك البحث الى الاسبانية ونشر بمجلة الفكر التي يصدرها المعهد الاسباني للفلسفة فى العصر الوسيط بعنوان Averroes Elyurista وكان واضحا اشد الوضوح ان المراد به الحفيد لا الجد . على اني فى طالعة البحث بينت اني انما اعني صاحبنا الفيلسوف لا جده الفقيه .

لذا ولما قدمت من ان اقتباس التعابير اللغوية كاقتباس الالفاظ ، لا ضير فيه ، حتى لو كان هناك ما يماثلها ، فانه يعد كالمترادف ، والمترادف قلما يخلو من فرق دقيق بين معانيه ، وكذا الجمل والتراكيب ، اقول لما ذكر فكرت فى ان احاول تخريج هذه الكاف واوجه استعمالها على نحو مقبول فى العربية . فرجعت الى المعاني التي يذكرها علماؤنا للكاف ، فاذا هي اربعة عند ابن مالك ، كما قال فى الالفية :

شبه بكاف وبها التعليل قد
يعنى وزائدا لتوكيد ورد

واستعمل اسما .

وعند ابن هشام فى المغنى ستة بزيادة الاستعلاء والمبادرة .

وقد استبعدت منها هذين المعنيين الاخيرين لانهما لا ينطبقان على هذه الكاف التي نتكلم عليها . وكذلك معنى التشبيه لانه الذي يتطرق منه النقاد الى ضعف استعمال هذه الكاف فيه ، اذ كان المشبه فيها هو عين المشبه به (1) ، فان قول الشخص مثلا انا ككاتب لا اتحرج من استعمال هذا التعبير ، انما يعني نفسه . فاختل حينئذ احد اركان التشبيه ، وان كنت انا شخصيا لا ارى ذلك ضربة لازب ، فيجوز ان يعني غيره ، ويحسن ذلك قصد التواضع فى حالة التكلم كما فى مثالنا هذا .

---

(1) ولهذا سميتها الكاف التمثيلية فان التمثيل للقاعدة يكون بفرد من أفرادها فهو منها ، كقولنا الفاعل مرفوع مثاله قام زيد .

بقي معنى التعليل ، وقد مثلوا له بقوله تعالى : (فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم) اى لهدايته لكم . وقيده قوم بكون الكاف مكفوفة بما ، ولكن ابن هشام رد ذلك واستدل بقوله تعالى : (وي كأنه لا يفلح الكافرون) اي اعجب لعدم فلاحهم . ولا أظن ان هذا المعنى يمتنع فى المثال الثاني من المثالين السابقين ، وهو قولنا الوالي كأحد رجال السلطة يجب ان يحتفظ بهيبته ، والتقدير لانه من رجال السلطة ، فما وافقه كان مثله كقولنا فلان كوزير لا ينبغي له ان يتعاطى التجارة .

ثم معنى الزيادة ، ومثل له النحاة بقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) التقدير ليس شيء مثله ، اذ لو لم تكن زائدة للزم اثبات المثل له تعالى . وانما زيدت لتوكيد النفي ، وهذا هو قول ابن مالك (وزائدا لتوكيد ورد) .

والمتكلمون لا يقولون بزيادة الكاف فى هذه الآية ، بل يعتبرونها اصلية ويجعلون الآية من باب الكناية ، ويقولون انها ان دلت على نفي مثل المثل فذلك نفي للمثل ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء اللازم .

وكذلك المفسرون . قال ابو حيان فى البحر : تقول العرب : مثلك لا يفعل كذا ، يريدون به المخاطب ، كانهم اذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان نفيا عن الشخص . وهو من باب المبالغة . ومثل الآية قول أوس بن حجر :

ليس كمثل الفتى زهير
خلق يوازيه فى الفضائل

وقول الآخر :

وقتلى كمثل جذوع النخيل
تغشاهم مسبل منهمر

وقال آخر :

سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم
ما أن كمثلهم فى الناس من احد

فجرت الآية على نهج كلام العرب من اطلاق المثل على نفس الشيء .

وقال الزمخشري فى الكشاف : قالو مثلك لا يبخل ، فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكتابة ، لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده ، وعمن هو على اخص أوصانه فقد نفوه عنه . ونظيره قولك للعربي : العرب لا تخفر الذميم ، كان أبلغ من قولك انت لا تخفر . ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه . وفى حديث رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب نالا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه . فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء ، الا ما تعطيه الكناية من فائدتها . وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد ، وهو نفي المماثلة عن ذاته . ونحوه قوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) فان معناه بل هو جواد من غير تصوير يد ، ولا بسط لها ، لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر ، حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له ، فكذلك استعمل هذا فمن له مثل ومن لا مثل له . ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال :

وصاليات ككما يؤثفين .

ومن قال : فأصبحت مثل كعصف مأكول .

وفى التلخيص للقزويني : ومما يرى تقديمه كاللازم لفظ مثل وغير فى نحو مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود الخ قال السعد فى شرحه : اذا استعملا يعني مثل وغير على سبيل الكناية بأن يراد بالمثل والغير انسان آخر مماثل للمخاطب او غير مماثل ، بل المراد نفي البخل عنه على طريق الكناية ، لانه اذا نفى عمن كان على صفته من غير قصد الى مماثل لزم نفيه عنه واثبات الجود له بنفيه عن غيره .

فتلخص من هذا ان الكاف ، وهي للتشبيه ، قد يعني بها ما يعني بمثل اي ذات الشخص والشخص نفسه ، فاذا قلنا فلان كسفير يمثل بلاده أحسن تمثيل فالمراد فلان نفسه ، وانما عدلنا الى هذا التعبير قصد الكناية التي هي أبلغ من التصريح .

وقد تأكد بهذه النقول ما قدمته من ان كاف التشبيه قد تدخل هنا ، لان المشبه به اعم من ان يراد به المشبه نفسه .

وخامس معاني الكاف ان تكون اسمية بمعنى مثل ، فتعرب حينئذ بما يقتضيه المقام نحو زيد كالاسد . قال فى المغني : الكاف فى موضع رفع والاسد مخفوض بالاضافة . وكثيرا ما يقع هذا في كتب المعربين . وعليه فاذا قلنا زيد كأديب له شهرة عالمية ، كان معناه زيد مثل اديب بنصب المثل على الحال ، ولعله ان يكون على ما تقدم ابلغ من قولنا زيد اديبا ، وقلت لعله ، لاني لا اجزم بهذا الحكم او لا آخذ بهذا النظر الذي شرحته حتى يحصل على موافقتكم :

وما انا الا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية ارشد

مَعاجِم الأبنيّة في اللغة العربيّة

المعاجم الكاملة

أحمد مختار عمر
دكتوراه فقه اللغة
(جامعة كمبردج)

— 2 —

تمهيـــد :

لم يبدأ هذا النوع من المعاجم الا منذ القرن الرابع الهجري . والرائد فيه هو عالم لغوي مغمور لم يلق من الباحثين العناية الكافية وهو ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي (وهو غير الفارابي الفيلسوف) . وتلا معجمه معاجم اخرى سادت على نظام الابنية ، بعضها تأثر به ، وبعضها بعد عنه قليلا او كثيرا ، وبعضها اختلف عنه اختلافا كليا . ولم يقف اثر الفارابي عند المعاجم العربية الخالصة بل تجاوزها واثر فى المعاجم المزدوجة ذات اللغتين كما يتضح فى معجم « ديوان لغات الترك » للكاشغري . كذلك لم يقتصر اثره على المعاجم الكاملة بل تجاوزها الى معاجم الافعال كما سبق أن اشرنا ، وكما سنوجز الحديث فيما بعد .

ومن المعاجم الكاملة التى وصلتنا :

1 — ديوان الادب للفارابي المتوفى عام 350 او 370 هـ .

2 — ديوان لغات الترك للكاشغري المتوفى عام 466 هـ .

3 — شمس العلوم لنشوان بن سعيد من علماء القرن السادس الهجري .

4 — مقدمة الادب للزمخشري المتوفى عام 538 هـ .

وسنتناولها الآن بالترتيب السابق ، ولكن لاهمية « ديوان الادب » للفارابي واثره فيما جاء بعده من معاجم سنبسط القول فيه وفى مؤلفه :

1 ـ ديــوان الادب للفارابــي (1)

وصفـــــه :

قدم الفارابي لمعجمه بمقدمة شغلت من احدى المخطوطات (2) ست عشرة صفحة ، تناول فيهـا مسائل عدة . ثم اتبعها المادة اللغويــة موزعــة على ابوابها بحسب ابنيتها على النحو الذى شرحــه فى مقدمته . وذيل معظم ابواب الافعال بأحكام تصريفية.

وسنتناول الآن كل ناحية من هــذه النواحـي بالشرح والتفصيل :

المبـــحـــث الاول

المقــدمـــة (3)

عالجت مقدمة «ديوان الادب» كثيرا من القضايا اللغوية والتصريفية كما تحدثت عن منهـج المؤلـف فى تنظيم المادة اللغوية وترتيبها .

واهم ما حوته المقدمة :

1 ـ الاشادة بقيمة اللغة العربية وذكر فضلها على سائر اللغات .

2 ـ الاشارة الى مؤلفات اللغويين السابقين ونقدها نقدا اجماليا وذلك فى قوله : « وقد الـف السلف رحمهم الله فى جمع هذا اللسان كتبا كثيرة ، تفاضلوا فيها وقيدوا منه فيها ما قيدوا ، من موجز وغير موجز ، ومعتدل بين المذهبين من غير ان يأتوا عليه ، ومحسن ما الفوا فعم بنفعه ، ومشير فيمـا صنف فخص به الطبقة العليا ، ومقصر فيما جمع فلم يعد بذلك ان عادهم فى مذهبهم » .

3 ـ الادلال بقيمة الكتاب والفخـر بتصنيفـه وذلك فى قوله « وقد انشأت ... كتابا عملت فيه عمل من طب لمن حب ، مشتملا على تأليف لم أسبق اليه ، وسابقا بتصنيف لم ازاحم عليه »

---

(1) هو ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي ، نسبة الى فاراب وهي مدينة وراء نهر سيحون . ولا نعرف بالتحديد سنة مولده ، ولكـن اذا علمنا انه كان من اقران الازهري وعلمنا ان الازهري ولد عام 282 هـ امكننا ان نحدس بأنه ولد فى أواخر القرن الثالث الهجري او اوائل القرن الرابع على اكثر تقدير . ويبـدو أن الفارابـي قـام برحلات علمية كثيرة بعضهـا الى بخـارى عاصمـة السامانيين وبعضها الى بغداد . ويبدو ايضا ان المطاف قد انتهى به مرة ثانية الى مسقـط راسـه « فاراب » وانه جلس لتدريس معجمه « ديوان الادب » واقرانه لتلاميذه هناك .
وقد اتفق المؤرخـون على ان الفارابـي خـال الجوهري صاحب الصحاح وان الجوهري تتلمـذ عليه . وذكر ياقوت ان الجوهري قرأ « ديوان الادب » على خاله بفاراب وذكر ايضا ان الجوهـري كتب نسخة منه بيده .
وقد اختلف فى سنة وفاته فذكر القفطي انه مات سنة 398 هـ وذكر بعضهم انه مات سنة 370 هـ وبعض آخر انه مات سنـة 350 هـ . ونحن نستبعد رواية القفطي لان الجوهري مات سنة 398هـ فلو كان الجوهري وخاله ماتا فى عام واحد لكان شيئا يستحق الذكر والاشـارة اليـه . ولكننا لا نملك وسائل الترجيح بين الروايتين الاخريين.
وقد ذكر المترجمون للفارابي ثلاثة كتب له هي « ديوان الادب » و « بيـان الاعـراب » و « شرح ادب الكاتب » وهناك كتاب نسب اليـه والى الفارابي الفيلسوف وهو « الالفاظ والحروف » .
وقد ضاعت كل مؤلفات الفارابي فيما ضـاع من تراثنا القديم ولم يبق لنا منها سوى « ديوان الادب».
ولقد كان الفارابي مجدودا فى كتابه هـذا اذ وصلتنا منه عشرات النسخ موزعة على مكتبات كثيرة فى اماكن متفرقة من العالم منها اياصوفيا وليدن وباريس ولندن واسطنبول وطهـران . ويوجـد بمصر وحدها ما يزيد عن عشر نسخ منه موزعة بين دار الكتب ومعهد المخطوطات العربية .
(انظر : « الفارابي اللغوي » مقال للمؤلف بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد 7 الجزء 2 جمادى الاولى سنة 1381)

(2) رقم 383 لغة المحفوظة بدار الكتب بمصر . وهي التى رجعت اليها ما لم انص على غيرها .

(3) انظر تحقيقا لها بقلم المؤلف بمجلـة معهـد المخطوطات السابق ذكرها .

4 — وتناولت المقدمة بعد ذلك الضابط العام الذى ينتظم كل ما حواه المعجم من مادة لغوية وانه مشروط بشروط هي :

ا — ان يكون مستعملا .

ب — ان يذكره النحارير من علماء اهل الادب فى كتبهم .

ح — ان يكون واردا فى قرآن او حديث او شاهد من كلام العرب .

5 — ثم تحدثت المقدمة عن منهج المعجم وما سيذكر وما سيترك على نحو ما سنتحدث عنه فيما بعد .

6 — وتخلل ذلك بعض البحوث التصريفية المرتبطة بنظام الكتاب مثل :

ا — تقسيم الكلام الى اسم وفعل وحرف وذكر علامات كل .

ب — الحديث عن أقل الابنية واقصاها وعن حروف الزيادة ومواضعها .

ج — الحديث عن ابنية الاسماء مجردها ومزيدها واستعمالات كل بناء من حيث الاسمية او الوصفية والافراد او الجمع . كقوله عن بناء « فعل » انه يكون واحد فعول (قلب وقلوب) او فعال (كلب وكلاب) او أفعال (ثوب وأثواب) ويكون وصفا من الافعال الدالة على الطبائع (ضخم) ومصدرا لفعل المتعدي (ضرب) وجمعا لفعلة (تمرة) .

واهم ما يسترعي الانتباه فى هذه المقدمة حديثها التفضيلي الدقيق عن منهج الكتاب واسهابها فى شرح نظامه وخطته . ويرجع ذلك الى تعدد جوانب هذا المنهج وتشعب نواحيه ، فضلا عما فيه من جدة وابتكار .

كما انها تكشف لنا عن اعجاب المؤلف باللغة العربية وتقديسه لها وايمانه بفضلها على سائر اللغات واختصاصها بميزات لا توجد فى غيرها . وتبين عن رايه فى توقيفية اللغة ونسبة وضعها الى الله ، وهو راي نادى به من قديم كثير من اللغويين.

وهي بعد ذلك تدلنا على مقدرة الفارابي الفائقة فى فن الصرف والاشتقاق ، ودرايته التامة بمسائله وتبحره فى فهم ابحاثه .

المبحث الثاني

المادة اللغوية

منهجه فى ترتيبها :

شرح الفارابي فى مقدمة معجمه — كما سبق ان ذكرنا — منهجه فى الترتيب شرحا مفصلا ، ولم ينس ان يدل بنفسه ويفخر بمصنفه حيث اعتبر نفسه رائدا فى هذا الميدان وسابقا بلا مزاحمة . وله الحق كل الحق فى ذلك ، فلسنا نعرف احدا من علماء اللغة السابقين له سلك مسلكه فى الترتيب او الف معجما فى اللغة على هذا النحو من التصنيف . كما فخر المؤلف بدقة نظام معجمه ووجود كل كلمة فى مظنتها اذ يقول « ورتبت كل كلمة فجعلتها اولى بموضعها مما يقدمهااو يعقبها ، ليجدها المرتاد لها فى بقعتها بعينها ، رابضة من غير نص مطية او آداب نفس (4) »

اما هذا المنهج الذي اخترعه الفارابي وفخر به فتتلخص اسسه فيما يأتي :

اولا : قسم الفارابي كتابه ستة اقسام سماها كتبا ، وهي على الترتيب الآتي :

أ — كتاب السالم وعرفه بقوله « ما سلم من حروف المد واللين والتضعيف » (5)

ب — كتاب المضاعف ، وعرفه بقوله « ما كانت العين منه واللام من جنس واحد » .

ج — كتاب المثال ، وعرفه بقوله « ما كانت فى أوله واو او ياء » .

(4) نص ناقته : استخرج اقصى ما عندها من السير . والاداب : الاتعاب .
(5) كان حقه ان يقول : « والهمز » .

د ـ كتاب ذوات الثلاثة وعرفه بقوله « ما كانت العين منه حرفا من حروف المد واللين (= الاجوف)

هـ ـ كتاب ذوات الاربعة ، وعرفه بقوله « ما كانت اللام منه حرفا من حروف المد واللين » (= الناقص)

و ـ كتاب المهموز

وذكر السر فى افراد المهموز بكتاب فقال : « والهمزة كالحرف السالم فى احتمال الحركات وانما جعلت فى حروف الاعتلال لانها تلين فتلحق بها » .

ثانيا : جعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين: اسماء وافعالا ، وقدم الاسماء على الافعال .

ثالثا : قسم كل شطر منهما الى ابواب بحسب التجرد والزيادة . ففى الاسماء سار على النحو الآتي :

الثلاثي المجرد (عنب) ثم ما لحقته الزيادة فى اوله (أصبع ومذهب) ثم المثقل الحشو (حمص) ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه والعين (طابع) ثم ما لحقته الزيادة بين العين منه واللام (سحاب) ثم ما لحقته الزيادة بعد اللام (خدب) ثم الرباعي وما الحق به (ثعلب) ثم الخماسي وما الحق به (جردحل) . وفى الافعال سار كما يلي : الثلاثي المجرد (ثقب) ثم ما لحقته الزيادة فى أوله من غير ألف وصل (اترب) ثم المثقل الحشو (رتب) ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه والعين (جاذب) ثم الابواب الثلاثة التى فى اولها الف وصل مما له فى الثلاثي اصل (اجتذب ـ انسحب ـ استصعب) ثم ما لحقته الزيادة فى اوله ـ وهي التاء ـ مع تثقيل الحشو (تكلم) ثم ما لحقته الزيادة فى اوله ـ وهي التاء ـ مع زيادة بين الفاء منه والعين (تجاذب) ثم بابا الالوان وما اشبه ذلك (احمر واحمار) ثم ابواب الرباعي وما الحق به أو زيد فيه (زعفر) .

رابعا : ولما كان كل باب من هذه الابواب قد يشترك فى عدة ابنية كالثلاثي المجرد من الاسماء الذى له تسعة ابنية وضع قاعدة لتقديم بعض هذه الابنية على بعض ، فابتدأ بالمفتوح الاول ثم اتبعه المضموم ثم المكسور . وقدم ساكن الحشو على المتحرك الحشو. وقدم ياء التانيث على همزة التانيث وقدم همزة التانيث على النون .

خامسا : كان البناء الواحد يخضع لتقسيمات اخرى مثل بناء « فعل » الذى قسمه الى اصل هو « فعل » وفرعين هما « فعلة » (بزيادة التاء) وفعلي (بزيادة النسب) .

وراعى فى كتب المعتل الثلاثة (المثال والاجوف والناقص) ان يقسم كل باب بالنظر الى حروف الكلمة الزائدة على الحرف المسمى باسمه الكتاب . ففى كتاب المثال بغض النظر عن الحرف الاول ثم ينظر الى الحرفين الآخرين ولذا رتبه هكذا : النوع الذى سلم فيه حرفاه الآخران (يقابل السالم) ثم النوع الذى ضعف فيه حرفاه الآخران (يقابل المضاعف) ثم النوع الذى اعتل اول حرفيه الآخرين (يقابل ذا الثلاثة) ثم النوع الذى اعتل ثاني حرفيه الآخرين (يقابل ذا الاربعة) (6)

اما كتاب الهمز فقد قسم ابوابه الى ثلاثة اقسام هي : المهموز الفاء ثم المهموز العين ثم المهموز اللام . ورتب كل قسم من هذه الاقسام ناظرا الى الحرفين الآخرين غير الحرف المهموز ولذا رتب المهموز الفاء كما يلي : النوع الذى سلم فيه حرفاه الآخران (يقابل السالم) ثم النوع الذى ضعف فيه حرفاه الآخران (يقابل المضاعف) ثم النوع الذى اعتل فيه اول حرفيه (يقابل ذا الثلاثة) ثم النوع الذى اعتل فيه ثاني حرفيه (يقابل ذا الاربعة) . اما النوع الذى همزت فيه عينه أو لامه (مع همز الفاء) او همزت فيه عينه ولامه فقد اهمله . وقد بحثت عن سر ذلك نفتشت فى «الصحاح» للجوهري فلم اجد فيه كلمة همزت فاؤها وعينها او عينها ولامها ووجدت كلمتين اثنتين همزت فيهما فاؤهما ولامهما وهما « اجأ » و « آء » فلعل هذا هو السر فى ترك الفارابي لهذا النوع .

(6) هذه هي القسمة العقلية ولكنها قد تتخلف فلا ترد بعض هذه الاقسام . وقد خلا المثال بجميع ابوابه من النوع الثالث وهو المعتل الفاء والعين .

سادساً : ولما كانت هناك كلمات كثيرة تشترك في الوزن الواحد، راى ترتيب الاوزان بحسب حرفها الاخير مع اولها ووسطها . فيبدأ بالكلمات التى اواخرها الباء ثم التاء ثم الثاء ... الى آخر حروف الهجاء فاذا وجدت كلمات اتحدت اواخرهن كان التقديم لما اوله اسبق فى الترتيب الهجائي فاذ وجدت كلمات اتحدت اواخرهن واوائلهن كان التقديم لما وسطه اسبق فى الترتيب الهجائي .

وقد عدل فى ترتيب الفاظ المعتل اللام او المهموزها عن اعتبار الحرف الاخير لانه واحد فى جميعها واعتبر الحرف الذى قبله مع الحرف الاول(7)

سابعاً : التزم فى المزيد تجريده من الزوائد وترتيبه بحسب اصوله .

ثامناً : كان فى كثير من الابواب ولاسيما فى شطر الافعال يذيل الباب بتعقيب يتحدث فيه عن بعض الاحكام العامة المتعلقة بالباب كما سنفصل فيما بعد .

تاسعاً : فى ابواب المعتل كان يفصل الواوي من اليائي ويقدم الاول منهما .

عاشراً : وضع مبادىء اخرى طبقها فى معجمه واهمها :

أ – تحقيق الايجاز باستبعاد الكلمات القياسية مثل « فعل » اذا كان جمعا لفعول (غفور) او فعيل (قضيب) او فعال (كتاب) ، ومثل « فعلة » من اسماء الالوان والعيوب كالحمرة والحدبة ، ومثل اسماء الزمان والمكان ومثل « افعل » للتفضيل و « الافعال » تذكير « الفعلى » و « الفعلى » تانيث « الافعال » ومثل « فعل » حين تكون جمعا لافعل او فعلاء .

ب – يكتفي بذكر اسماء البلدان والاودية والجبال والمفاوز ما لم يوجد شيء يتعلق بها فيصرح به .

ج – اذا جاء فى معجمه فعل بلا مصدر فذلك يحتمل احد شيئين ، اما ان مصدره قياسي فهو داخل فيما صرح – فى مقدمته – باهماله ، واما انه لم ينقل له مصدر عن الثقاة .

د – كشف عن مواضع العلل بتقديم احرى العلل بالقبول واولاها بالذكر مع ترك سائر الاقاويل فيها .

لماذا اختار الفارابي هذا النظام ؟

عاش الفارابي فى المائة الرابعة للهجرة واخرج معجمه فى قرن عرف بقرن المعاجم ، ففيه الف اكبر عدد من المعاجم المشهورة المعتمدة وفيه اخذ المعجم الصورة المألوفة لنا ، وفيه اتجه العلماء الى ترتيب الالفاظ ترتيبا هجائيا وبدأوا ينصرفون عن الترتيب الجاري على حسب المعاني .

ولذلك كان على من يفكر فى وضع معجم فى ذلك العصر ان يقلب المسألة فى راسه اولا ، ويتردد طويلا قبل ان يقدم ، ويحاول ان يشق بنفسه طريقا جديدا ويرسم منهجا فيه افادة وفيه ابتكار وجدة . وحينما قلب الفارابي المسألة فى راسه ونظر فى معاجم السابقين واهتدى الى موطن الداء فيها اراد ان يؤلف معجما يفوق معجم السابقين ويتلافى اوجه النقص فيها فالف معجمه على هذا النظام الذى شرحناه معتقدا انه بلغ الهدف واصاب الغرض ، واهتدى الى تاليف لم يسبق اليه وسبق بتصنيف لم يزاحم عليه ، ومفتخرا باحكام ترتيبه ووضعه كل كلمة فى موضعها المناسب حتى يجدها الشادي بدون مشقة .

---

(7) هذا وجه خلاف بينه وبين الجوهري الذى لم يعدل عن اعتبار الحرف الاخير حتى فى المهموز والناقص . فكلمة «البدء» تذكر فى الصحاح قبل «الخبء» لانها عنده من باب الهمز فصل الباء والثانية من باب الهمز فصل الخاء . ولكنها تذكر بعد «الخبء» فى ديوان الادب لانها من باب الدال فصل الباء وكلمة «الخبء» من باب الباء فصل الخاء .

وفى رأيي ان هذا المنهج المركب الذى اختاره الفارابي كان نتيجة لعوامل عدة اشتركت فى خلقه وتكوينه . وهذه العوامل هي :

1 ــ اختار ترتيب الكلمات على الترتيب الهجائي المعروف ، ولم يذهب فى ذلك مذهب الخليل بن احمد ولم يرتب ترتيبه « ميلا الى الاشهر ، لقرب متناوله ، وسهولة مأخذه على الخاصة والعامة » .

ولكن اذا كان الفارابي قد طرح نظام الخليل لصعوبته وبعد تناوله ، واختار الترتيب الهجائي المعروف ، فلماذا رتب الفاظه على حسب الحرف الاخير ولم يرتبها بحسب حرفها الاول ؟ اغاب عن ذهنه النظام الاخير ؟ أم تعمد اغفاله وفضل عليه النظام الذى سلكه ؟ لا اعتقد انه لم يفطن الى الترتيب بحسب الاوائل فهو شيء يسرع الى الذهن وبخاصة ان من علماء اللغة السابقين له من عمل به ، مثل ابي عمرو الشيباني فى كتابه « الجيم » ، وان اكتفى بهذا فلم ينظر الى الحرف الثاني او الثالث للكلمة فكان يجمع الكلمات ــ ايا كانت ــ تحت حرفها الاول دون ضابط او نظام ، ومثل ابن دريد فى «الجمهرة» الذي التزم فى ترتيبه اوائل الحروف . واذن فلم يبق الا الاحتمال الثاني. وهو انه قارن بين النظامين فى ذهنه ثم استبعد احدهما واختار الآخر . فما سر اختياره ؟ سبب ذلك فى رأيي هو الميل الى الابتكار وحب السبق وارادة التفرد بمنهج جديد والرغبة فى التأليف على نظام غير مالوف وهو مع ذلك لا يعدم فائدة ولا يخلو من نفع :

أ ــ فاذا صادف الباحث كلمة صعب عليه ان يعرف حرفها الاخير مثل اخ واخت ودم وسنة ... كان أسهل عليه الرجوع الى معجم مرتب بحسب اوائل الكلمات مثل الجمهرة . واذا صادفته كلمة عجز عن معرفة اولها او سبق اولها بحروف مزيدة كان أسهل عليه الرجوع الى معجم بحسب اواخر الكلمات مثل : يعد ــ ميزان ــ اواصل ...

ب ــ فضلا عن ان هذا النظام ييسر على الشعراء والكتاب النظم والنثر فى عصر كان قد شاع فيه السجع وفشت المحسنات البديعية والتزمت القوافي ، مع قلة المحصول اللغوي .

ج ــ ان لام الكلمة ثابتة لا تتغير « مهما اختلفت صورة الكلمة الا فى حالات قليلة ــ ومتى لحقها التغيير او زيد بعدها حرف او حرفان فان الكلمة تنتقل الى اوزان اخرى ولا تعتبر من الثلاثي ، بل تصير رباعية او خماسية » فى حين ان الفاء والعين لا تثبتان فى موضع ، فالترتيب على اوائل الحروف متيهة للباحث الذى لا يعرف التصريف والمجرد والمزيد (8).

2 ــ ويكشف لنا القاضي نشوان بن سعيد الحميري فى مقدمة كتابه « شمس العلوم » ــ وهو ممن تأثروا بالفارابي فى تنظيمه ــ عن عامل آخر أملى هذا النظام وذلك فى قوله : « وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى فى ذلك كثيرا من الكتب ... فمنهم من جعل تصنيفه حارسا للنقط وضبطه بهذا الضبط ، ومنهم من حرس تصنيفه بالحركات ، بأمثلة قدروها واوزان ذكروها ، ولم يأت احد منهم بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات .. فلما رأيت ذلك ورأيت تصحيف الكتاب والقراء .. حملني ذلك على تصنيف يأمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجعلها مع جنسها وشكلها ، ويردها الى اصلها ــ جعلت فيه لكل حرف من حروف المعجم كتابا ، ثم جعلت له ولكل حرف معه من حروف المعجم بابا ، ثم جعلت كل باب من تلك الابواب شطرين اسماء وافعالا ، ثم جعلت لكل كلمة من تلك الاسماء والافعال وزنا ومثالا . فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط، والامثلة حارسة للحركات والشكل ... فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا » (9) وهذا يصدق أيضا على كتاب الفارابي .

3 ــ وقد كان فى ذهن الفارابي فكرة حققها فى معجمه ، وهي فكرة الجمع بين نوعين من المادة اللغوية فى مكان واحد ، النوع المسموع والنوع المقيس . اما النوع الاول فكان جل معجمه ، واما النوع الآخر فقد تحدث عنه فى مقدمته وفى الفصول

---

(8) مقدمة الصحاح ص 122

(9) ص 2

التى ذيل بها كثيرا من أبواب كتابه ؛ ولاسيما فى شطر الافعال . وبذلك وضع بين أيدينا المادة اللغوية كلها ، ما لا ضابط له بالنص عليه ، وما له ضابط بذكر قاعدته .

4 ـ اما فصله الاسماء عن الافعال فشيء ضروري ما دام قد رتب كتابه على اساس الابنية ونظمه أبوابا بحسب التجرد والزيادة ، فان حروف الزيادة ومواضعها تختلف فى الاسماء عنها فى الافعال ، ولكل من الاسماء والافعال ابنيته وأوزانه الخاصة به .

5 ـ واما تقسيمه للكلمات من حيث الصحة والاعتلال والتضعيف والهمز فقد اراد منه ابراز خصائص كل نوع منها . فهناك اوزان جاءت على نوع من الكلمات دون نوع ، وهناك ابواب من الافعال اختصت ببعض الانواع دون بعض ، فضلا عن اختلاف كل نوع عن الآخر فى طريقة الاشتقاق منه ، وهو ما حرص الفارابي على الحديث عنه والافاضة فيه .

6 ـ والكتاب بعد هذا يوافق روح عصره ويعكس طابعه فى البحث وطريقته فى الدرس :

1 ـ ففى ذلك العصر كان العلماء قد فرغوا من جمع اللغة وحصرها ، وتوجه همهم الى الاحصاء والتتبع ووضع ضوابط التقصي لتسهل الاحاطة ويمكن التحدي فى المساءلة وحين المناظرة . وان مساءلة الفارسي للمتنبي عن عدد الجموع التى جاءت على وزن فعلى واجابة المتنبي على الفور : حجلى وظربى ... لخير دليل على ذلك (10) .

ب ـ كما ان انتهاء عصر الاستشهاد جعل العلماء يبحثون عن ميدان جديد يزاولون فيه نشاطهم غير ميدان الاستقراء والتقييد . ولذلك نجد البحث اللغوي ينصرف الى الانتفاع بالمادة اللغوية المسجلة ، ويحاول ان يخرج منها ببحوث طريفة او بتنظيمها تنظيما جديدا . ولذا نشأ فى هذا العصر فن المداخل او التداخل او المسلسل ، وذلك بأن تذكر اللفظة ثم تفسر بلفظة ثانية وتفسر الثانية بثالثة والثالثة برابعة ... وهكذا ، وهو فن لم يعرف قبل القرن الرابع ، وامامه ابو عمر المطرز البغدادي المتوفى سنة 345 هـ . ومن امثلته : « القلس ما يخرج من حلق الصائم من الطعام والشراب .. والشراب الخمر والخمر الخير .. والخير الخيل والخيل الظن والظن القسم .. » (11) ونجد عالما آخر يقسم كتابه الى ثمانية وعشرين كتابا بعدد الحروف المناسبة لمنازل القمر ، ويورد فى كل كتاب أثني عشر بابا بعدد شهور السنة وعدد البروج الاثني عشر (12) » .

ج ـ كما كان لشيوع السجع والمحسنات البديعية فى ذلك العصر وحاجة الادباء والمتكلمين الى الكلمات المتحدة الحرف الاخير او التى على وزن خاص او من نوع معين ـ كان لذلك اثره فى ترتيب الكلمات هذا الترتيب . ففى القرن الرابع التزم الكتاب السجع فى جميع الرسائل ولم يتحرروا منه الا الى الازدواج ، كما ظهر التكلف والتصنع فى الشعر وانطلق الشعراء ينظمون قصائد كل حروفها معجمة او مهملة او مهموزة او مما لا تنطبق معها الشفتان مما احال الشعر الى عمل لغوي صرف ، واذا الشاعر يصنع صنيع عمال المطابع اذ يرصون الحروف بعضها الى بعض فتتكون صناديق من الحروف والكلمات (13) . هذا كله الى شدة

---

(10) علي النجدي مقال بعنوان « فى النقد اللغوي » رسالة الاسلام .
(11) مقدمة « شجر الدر » ص 18 .
(12) مقدمة « دستور اللغة » .
(13) زكي مبارك : النثر الفني فى القرن الرابع ص106 ، 113 وضيف : الفن ومذاهبه فى الشعر العربي ص 158 .

المنافسة بين الكتاب والشعراء وحاجتهم الى البحث عن الالفاظ التى تتفق مع قوانينهم وملاحقتهم للغويين لمساعدتهم فى ذلك (14) .

المبحث الثالث

التذييلات

اتبع الفارابي كثيرا من ابواب الافعال بفصول تذييلية تناول فيها بالتفصيل أنواع المشتقات ، وتعرض لكثير من الاحكام التصريفية العامة . وكان غرضه من ذلك الجمع بين المادة اللغوية المسموعة والاخرى المقيسة وبذلك يضم معجمه اكبر قدر ممكن من الفاظ اللغة ، ما لا ضابط له بالنص عليه ، وما له ضابط بذكر قاعدته وكيفية اشتقاقه .

وكان تركيزه فى هذه التذييلات على امور :

1 ــ بيان المصادر من كل باب كقوله فى باب فعل يفعل : « والمصدر السالم (يعني القياس) فى هذا ما كان على الفعل او الفعول ، الفعل للمتعدي فى القياس والبناء والفعول للازم ويتبادلان . وربما اجتمعا مثل قولك سكت سكتا وسكوتا .. وربما جاء المصدر من هذا الباب على فعل وهو قليل ، وعلى فعل وهو أيضا فى القلة مثل الاول وهما من ابنية الاسماء .. ويجيء على فعل وليس من قياس مصادر هذا الباب .. وربما جاء على الفعال وهو من ابنية الاصوات والادواء وما قاربهما .. ويجيء على فعالة اذا كان كالولاية للشيء كما تقول كتب كتابة .. وفعلة قليلة وهي جنس من الفعل والحال التى يفعل عليها يعني اسم الهيئة) واختلطت بالمصادر فى بعض الكلام كقولك رقب رقبة وفطن فطنة .. وكذلك الفعلة قليلة ، وهي من بناء المرة الواحدة ، وربما جاءت فى موضع المصدر كقولك الرجفة والرحمة ... ويجيء على فعلان اذا كان معناه الحركة والذهاب والمجيء كقولك خفق القلب خفقانا ... ويجيء على فعلان وهو قليل فى هذا نحو كتم كتمانا ... وفعلان جد قليل نحو بطل بطلانا . وقد جاء على فعيل وهو نزر جدا .. وفعالية قليلة كقولهم علن الشيء علانية ... وقد جاء على فعالة وليس من بنائه وهو من بناء الطبائع (يعني فعل يفعل) .. ويجيء على فعال وذلك قولك كسد كسادا .. وعلى فعال نحو كتب كتابا .. ويجيء على فعل وهو قليل عزيز وهو قولك خنق خنقا » (15) .

2 ــ بيان النعوت من كل باب وذلك كقوله فى باب « فعل يفعل » : « وما كان واقعا (اي متعديا) من هذا الباب فان نعته على فاعل مثل قدمت البلد فأنا قادم ، وركبت الدابة فأنا راكب . وربما جاء على فاعل وفعل مثل قولك حذر الامر فهو حاذر وحذر قال الشاعر :

حذر امورا لا تخاف وآمن
ما ليس منجيه من الاقدار

وما كان غير واقع فان نعته فى اكثر الكلام على فعل وربما جاء على فعل وفاعل مثل قولك لبث فهو لابث ولبث، قال الله تعالى: «لابثين فيها احقابا». وقرأ بعضهم : لبثين فيها .. وقد يأتي النعت من هذا الباب على فعيل وهو مثل قولك سلم فهو سليم .. وما كان من النعوت على معنى الجوع والعطش وما قاربهما او ضادهما فهو على فعلان مثل جوعان وشبعان وعطشان وريان ... وربما جاء النعت فى هذا الباب على فعل مثل قولك شكس فهو شكس وشثن كفه فهو شثن الكف .. قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه
أساريع ظبي او مساويك اسحل

وقد جاء بعض النعوت على فعل وفعل جميعا ، قالوا عجل وعجل وحذر وحذر .. » (16) .

3 ــ كيفية اخذ اسم الزمان والمكان والمصدر الميمي كقوله فى باب « فعل يفعل » : « والمفعل اذا اريد الموضع مكسور . وهذا مذهب يفرد به هذا الباب من بين اخواته . وذلك ان المواضع والمصادر فى غير هذا الباب يرد كلها الى فتح العين .. ولم يكسر شيء فيما سوى المكسور الا فى حروف معدودة

---

(14) المعجم العربي ص 176 ، 177 .
(15) ديوان الادب ورقة 133 ، 134 .
(16) ديوان الادب ورقة 165 ، 166 .

.. وهي المسجد والمطلع والمنسك والمسكن والمنبت والمفرق . وقد جاء في بعضها الفتح ايضا » (17) .

4 ـ كيفية اخذ فعل الامر وضبط الفه في كل باب كقوله في باب « فعل » : « الامر من هذا الباب كله بغير الف لتحرك الحرف الثاني في يفعل . وتحركه لمجاورته حرفا ساكنا وهو الحرف المدغم في مثله » (18) . وقوله في باب « فعل يفعل » : « والف الامر تضم من المضموم العين في المستقبل لانها الف وصل . وانما جلبت لسكون الفاء في يفعل، وكانت هذه الالف لا حكم لها فاتبعت العين . وكسرت في باب يفعل فرقا بين الامر والخبر .. » (19) . وقوله في باب « فعل يفعل » مما اعتلت فاؤه ولامه : « الامر بهذا الباب قه بهاء تدخلها ، لان العرب لا تنطق بحرف واحد ، وذلك ان اقل ما يحتاج اليه للبناء حرفان : حرف يبتدأ به ، وحرف يوقف عليه ، لان الحرف الواحد لا يحتمل ابتداء ووقفا ، لان هذا حركة وهذا سكون وهما متضادان فلا يجتمعان . فاذا وصلته بشيء ذهبت الهاء استغناء عنها » (20).

5 ـ معاني صيغ الزوائد ، كقوله في باب « افعل » : و « هذا الباب يأتي لوجوه كثيرة . من ذلك ان يأتي « أفعل » بمعنى فعل سواء مثل قولك سعده الله واسعده ونبت البقل وانبت وانشد الفراء :

رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

اي نبت . ومن ذلك قراءة من قرا : تنبت بالدهن . ويجوز ان تكون الباء زائدة ... ومنه ان يكون « افعل » مجاوزا فعل اذا كان لازما مثل قولك اقعده فقعد واجلسه فجلس . ومنه ان يكون «أفعل»: جاء بذلك كقولك الام اي اتى بما يلام عليه واخس اي اتى بخسيس . ومنه ان يكون «افعل» بمعنى حان منه ذلك كقولهم البن الرجل اي كثر عنده اللبن واتمر اي كثر عنده التمر . ومنه ان يكون « افعل » اي صار ذلك في ابله وغنمه واصحابه واشباه ذلك ، كقولك : اقطف الرجل صارت دابته قطوفا واخبث الرجل صار اصحابه خبثاء . ومنه ان يكون « افعلت » الشيء بمعنى وجدته كذلك ، كقولك احمدت الرجل وجدته محمودا . ومنه ان يكون « افعل » لازم فعل كقولك فطرته فافطر وبشرته فابشر . ومنه ان يكون « افعل » الرجل صار الى ذلك كقولك اقهر الرجل اي صار الى حال يقهر عليها . ومنه ان يكون « افعل » مخالفا لفعل نحو افرى الاديم قطعه على جهة الافساد وفراه قطعه على جهة الاصلاح . ومنه ان يكون « افعل » بمعنى فعل سواء نحو اخبر وخبر . ومنه ان يكون « افعل » على معنى لا يراد به شيء من هذه المعاني ، انما هو بناء على حياله نحو اشفق عليه والسح في المسألة .. » (21) .

6 ـ احكام تخص بعض الابواب دون بعض ومن ذلك :

ا ـ ذكره سر المخالفة بين حركات الماضي الثلاثي ومضارعه كقوله في باب « فعل يفعل » : « وذلك ان الماضي مخالف للمستقبل في المعنى فوجبت المخالفة بينهما في بناء امثلتهما . فلما فتحت العين في الصدر (أي الماضي) لزم ضمها او كسرها في التلو (اي المضارع) ولم يجز فتحها الا ان يعتل الحرف (يعني ان توجد في الحرف علة معينة وذلك ان يكون احد حروف الحلق) . ولما كسرت في الصدر وجب فتحها او ضمها في التلو، ولم يجز كسرها . فاستعمل من هذين المذهبين احدهما واهمل الآخر لثقل

---

(17) المرجع ورقة 148 .
(18) المرجع ورقة 200 .
(19) المرجع ورقة 133 .
(20) المرجع ورقة 299 .
(21) ديوان الادب ورقة 189 .

الضمة الا فى الشاذ مثل نعم ينعم وفضل يفضل .. » (22)

ب ـ ذكره السر فى اشتمال باب « فعل يفعل » على أحد حروف الحلق وذلك قوله :

« وهذا الباب ليس من دعائم الابواب لانه لا يصح الا ان يكون موضع العين منه او اللام احد حروف الحلق ، وهي العين والغين والهاء والحاء والخاء والهمزة ، وذلك ان هذه الحروف متسفلة المخارج فشابوا ذلك بشيء من التصعد ليعتدل الكلام . وهذا فى الاصل انما هو «يفعل» او « يفعل » ، فلما الحقت هذه العلة رد الى الفتح » (23) .

ح ـ ذكره كثيرا من احكام الاعلال فى ابواب المثال وذوات الثلاثة وذوات الاربعة ، كقوله فى باب « فعل يفعل » من المثال : « الامر من هذا الباب ايجل واصله بالواو فصارت ياء لكسر ما قبلها . ولم تحذف الواو فى هذا الباب لانها لم تقع بين ياء وكسرة ولا بين فتح وكسرة » (24) .

وقوله فى باب « فعل يفعل » من ذوات الثلاثة : « قال كان فى الاصل قول وبعضهم يقول قول ، ولكل مذهب تطرد عليه العلل ، فلما تحركت القاف سكنت الواو ، ثم جرتها فتحة القاف اليها فصارت الفا . فاذا قلت : يقول، كان فى الاصل يقول على زنة يكتب الا ان الواو بنيت على السكون ، فلما سكنت نقلت حركتها الى القاف قبلها فحركت بحركتها لئلا يجتمع ساكنان . فاذا امرت قلت : قل وكان فى الاصل : اقول على زنة اكتب ، الا ان القاف لما حركت لتلك العلة سقطت الالف لان علة اجتلاب الالف سكون الحرف المبتدا . وسقطت الواو لاجتماع الساكنين ، لان اللام سكنت مع سكون الواو . فاذا ثنيت قلت: قولا ، فاعدت الواو الى موضعها لتحرك اللام ، وانما تحركت لمجاورتها الف التثنية . وكذلك امر الجميع والمؤنث ومثناه . حتى اذا صرت الى جمع المؤنث حذفت الواو لسكون اللام .. » (25) .

---

(22) المرجع ورقة 132 ، 133 . ولم يرض ابن جني باعتبار هذه الامثلة ونحوها من الشاذ وانما عدها من تداخل اللغات وتركبها (الخصائص 1 / 375) وشرح ذلك بقوله : « فنعم فى الاصل ماضي ينعم وينعم فى الاصل مضارع نعم ثم تداخلت اللغتان فاستضاف من يقول نعم لغة من يقول ينعم فحدثت هناك لغة ثالثة » (الخصائص 1 / 378)

(23) ديوان الادب ورقة 156 .
وتعليل الفارابي هنا مخالفة لما قاله سيبويه فى الكتاب (2 / 252) . يقول سيبويه : « وانما فتحوا هذه الحروف لانها سفلت فى الحلق فكرهوا ان يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي فى حيزها وهو الالف .. وكذلك حركوهن اذا كن عينات . ولم يفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء (يعني الضمة والكسرة) لانها من الحروف التى ارتفعت . والحروف المرتفعة حيز على حدة . فانما نتناول للمرتفع حركة من مرتفع وكره ان يتناول للذى قد سفل حركة من هذا الحيز » . والعبارتان تتفقان فى ان حروف الحلق متسفلة المخارج وان هناك ملاءمة بين الفتحة وهذه الحروف ولكنهما تختلفان فى تحديد هذه الملاءمة . فالفارابي ير ىانها نتيجة خلط المتسفل بالمتصعد ، وسيبويه يرى انها نتيجة اتباع المتسفل بمثله. والدراسات الصوتية الحديثة توافقهما على وجود هذه الملاءمة ولكنها تعللها بأن وضع اللسان مع الفتحة يتلخص فى انه يبلغ اقصى ما يمكن ان يصل اليه فى قاع الفم مما يوسع الفراغ بين اللسان والحنك . وهذا الوضع يناسب احرف الحلق لانها ليس لها نقطة التقاء فى الفم فيناسبها المجرى المتسع . (انظر الدكتور ابراهيم انيس: من اسرار اللغة ص 33 والاصوات اللغوية ص 37)

(24) ديوان الادب ورقة 300 .

(25) ديوان الادب و 334 .

(تعقيـــــب)

اهم ما نخرج به من هذه التذييلات :

1 ــ دلالتها على عقلية الفارابي الجدلة ومهارته فى الاستدلال ولباقته فى التخريج وحسن تعليلـه للاحكام وتفقهه للغة العرب ووقوفه عـلى اســرار تصريفاتها ، كقوله فى باب فعل يفعل مـن المثال : « الامر من هذا الباب : عـد بحذف الواو لان الامر ابدا يبنى على المستقبل وكان المستقبـل منه حذفت واوه . واختلفوا فى علة حذفها فقال بعضهم حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة وهما متجانســان والــواو مضادتهما . فان قال قائل فهذه قد حذفت اذا وقعت بين ياء وكسرة فما بالها تحذف اذا وقعت بين تـاء وكسرة او الف وكسرة او نون وكسـرة ــ قيل له : هذه الثلاث مبدلة من الياء ، واليـاء هي الاصـل . والدليل على هذا الحكم ان فعلت وفعلنا مبنيات على فعـل .

« وقال غير هؤلاء انما حذفت الواو ليكون ذلك فارقا بين ما يقع وبين ما لا يقع . فما وقع كان بحذف الواو ، وما لم يقع كان باثباتها .. فان قال قائـل : كيف خص الواقع منهما بحذف الواو قيل لان المفعول من تمام الكلام متصل بالحديث فصارت هذه الكلمة اولى بالحذف لطولها .

« وقال غيرهم حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ، فيدخل على القائل بهذا انه يقـال موقـع وموضع وموعد وما أشبه ذلك .. فله ان يخرج بأن يقول ان هذا فى الاسماء ، وحكم الاسماء خلاف حكم الافعال لخفة الاسماء وثقل الافعال ، وكانت الاسماء لخفتها تحتمل ما لا تحتمله الافعال لثقلها . » (26)

2 ــ تكشف هذه التذييـلات ــ بالاضافـة الى المقدمة ــ عن مكانة الفارابي اللغوية وتبين عن غزارة محفوظاته ووفرة محصوله وسعة اطلاعه على لغـة العرب وتمكنـه من ناصيتهـا . وانت تلمس ذلـك بوضوح فى استقصائه لاوجـه ما يعـرض له مـن القضايا ، وفى تلك الاحكام الحاسمة الجازمة التى يقرر بها ان العرب تستعمل هذا اللفظ ولا تستعمله، او ان مشهوري الثقاة حكوا ذلك البناء او لم يحكوه ، او ان هذا البناء مستعار من بناء آخر ، او انه خاص بالاسماء .. او نحو ذلك . انظر مثلا الى قوله فـي بـاب فعـل يفعـل : وبنـاء مصـدر هـذا الباب مقصور على ثلاث صـور : فعالـة وفعولـة وفعل نحو : خطب خطابة وجعد جعـودة وعظـم عظما . فاما غيرهن فبناء غيره اختلط به ودخل فيه واستعير له وذلك نحو كرم كرما ، استعير له الفعل من فعل يفعل . ودخل فى هذا الباب بعض امثلـة الاسماء كما دخل فى غيره وذلك مثل قولك جمـل جمالا وسخو سخاء .. » (27)

وقوله فى باب فعل يفعل من المثال: «يقال وجد يجـد ، وهذه نتيجة لا اخت لها ، وهي مع ذلك لغة عامر وحدها » . (28) .

وقوله : « لا يكون فى الكلام مفعل الا حرفين فى قول الكسائي : مكرم ومعون » (29) .

وقوله : « واصل ضيزى بالضـم ، لانها نعت والنعت لا يكون على فعلى وانمـا فعلـى من ابنيـة الاسماء مثل الشعرى » (30) .

وقوله : « ليس فى كلام العرب فعلاء يجمـع على فعال غير نفساء وعشراء » (31) .

3 ــ اشتمالها ــ هي والمقدمة ــ على كثير مـن النظريات اللغوية ومنها ما لا يزال معترفـا به حتـى الآن ، كنظرية « التوهم » او ما يعـرف الآن باسم القياس الخاطيء False analogy

ومن ذلك قوله فى باب الافتعـال من المثـال كالاتزان « وقد بنيت على هذا الادغام اسماء من المثال توهما ان التاء اصلية ، لأن هذا الادغام لا يجـوز

---

(26) ديوان الادب ورقة 298 ، 299
(27) المرجـع ورقة 171 ، 172
(28) ديوان الادب ورقة 296 .
(29) المرجـع ورقة 322 .
(30) المرجع ورقة 329 .
(31) المرجع ورقة 98 .

اظهاره في حال . فمن تلك الاسماء التخمة والتجاه والتراث والتقوى والتكلة والتكلان والتهمة ..»(32)

ومن ذلك ايضا حديثه عن نظرية المخالفة بين حركتي الماضي والمضارع في الثلاثي المجرد كما سبق الحديث عنها .

4 ـ ظهور شخصيته فيها واهتداؤه الى حقائق غابت عن ذهن السابقين وتعبيره عن رايه الخاص في كثير من الاحيان :

أ ـ كقوله بعد ان ذكر اسماء للمكان جاءت على مفعل مع ان مضارعها مفتوح او مضموم : « ونرى انه انما جاءت هذه الحروف بالكسر لانها كانت في الاصل على لغتين فبنيت هذه الاسماء على احدى اللغتين ، ثم اميتت تلك اللغة وبقي ما بني منها كهيئته . والعرب قد تميت الشيء حتى يكون مهملا لا يجوز ان ينطق به .. والعرب تقول احزنني هذا الشيء فاذا صاروا الى المستقبل قالوا : يحزنني ، قال الله تعالى : « ولا يحزنك قولهم » ... وعمل هذا على انه كان في الاصل احزن يحزن وحزن يحزن بمعنى واحد كما قالوا سلكته واسلكته وسحته الله واسحته بمعنى ، فاخذوا من هذا الصدر ومن هذا العجز واماتوا الآخرين » (33)

ب ـ وقوله : « واختلفوا في ياء مخيط ، فقال بعضهم انها الياء الاصلية والذى حذف واو مفعول ليعرف الواوي من اليائي . وقال آخرون انها واو مفعول قلبت ياء والذي حذف الياء الاصلية **وهذا هو القول** ، لان الواو مزيدة للبناء ولا ينبغي لها ان تحذف ، والاصلي احق بالحذف لاجتماع الساكنين .. » (34)

ج ـ ومن ذلك تركه عد همزة الوصل من حروف الزيادة ـ بخلاف السابقين ـ فاستفعل عنده مزيدة بالسين والتاء وافتعل مزيدة بالتاء وانفعل مزيدة بالنون .

وهذا سليم جدا لان الالف هاهنا ليست من حروف المعاني ، وانما جيء بها للتوصل الى النطق بالساكن ، دون ان يكون لها أثر في معنى الصيغة . ومما يدل على تفطنه لذلك وقصده اليه قصدا انه عد الف المفاعلة من حروف الزيادة . وهذا عين الصواب، لانها زيادة تؤثر في معنى الصيغة ، فلابد من عدها وادخالها في الاعتبار (35) .

5 ـ وبخصوص حديثه عن معاني صيغ الزوائد نلاحظ انه توصل الى اشياء تحسب له وتعد من محاسنه منها :

أ ـ انه اهتدى الى معان لم اجدها عند السابقين ، وقد ساعده على ذلك ترتيب معجمه . ومن ذلك ان صيغة «استفعل» تاتي لمعان عدة ذكرها سيبويه في «الكتاب» وابن قتيبة في «ادب الكاتب» والمبرد في «المقتضب» وقد اضاف اليها الفارابي ورودها بمعنى آن منه ذلك مثل استرقع الثوب واستحفر النهر واستحصد الزرع (36) . كما انه ذكر لصيغة « انفعل » اربعة استعمالات وهي:

1 ـ استعمالها مطاوعة لفعل وهو الاصل

2 ـ استعمالها موافقة لفعل نحو همل الدمع وانهمل .

---

(32) المرجع ورقة 306 . ومن امثلة التوهم الاخرى في اللغة العربية منع « اشياء » من الصرف واشتقاق « تمسكن » من المسكين على توهم اصالة الميم . وتوجد له كذلك امثلة كثيرة في اللغات الاخرى . انظر « محاضرات في علم اللغة » للمؤلف ص 130 .

(33) ديوان الادب ورقة 148 .

(34) ديوان الادب ورقة 337 .

(35) استفدت في كتابة هذه الفكرة من رسالة الدكتوراه للدكتور محمد سالم الجرح المحفوظة بمكتبة جامعة لندن بعنوان The "Ta" infix and prefix in Arabic Verbal forms الفصل الاول .

(36) ديوان الادب ورقة 215 .

3 ـ استعمالها مطاوعة لافعل نحو أزعجه فانزعج .

4 ـ استعمالها دون ان يكون لها فعل متعد نحو انسرب الثعلب في جحره (37) .

ولم يتحدث ابن قتيبة عن هذه الصيغة ، وذكر لها سيبويه استعمالا واحدا (38) .

ولكننا ناخذ عليه هنا انه لم يتحرر كلية من تبعية السابقين فكان في معظم ما ذكره من معاني هذه الصيغ ناقلا او متبعا ، وقد كان في امكانه بعد ان رتب المادة اللغوية ترتيبا جديدا ان يستقل بالاجتهاد ويحاول ان يدرس الصيغ صيغة صيغة ويرتب معانيها بحسب كثرة ورودها ترتيبا تنازليا ولكنه لم يفعل .

قيمة ديوان الادب في نظر القدماء :

عرف القدماء قيمة ديوان الادب وكانت له بينهم منزلة سامية . وقد استفاد منه الكثيرون ، واتخذوه مصدرا من مصادرهم ، من هؤلاء «الثعالبي» في «فقه اللغة» و«الصاغاني» في «العباب» وفي «التكملة» و«السيوطي» في كتابيه «المزهر» و«القول المجمل في الرد على المهمل» و«ابن مالك» في «اكمال الاعلام بتثليث الكلام» و«ابن الطيب الفاسي» في «اضاءة الراموس » و « الفيومي » في « المصباح المنير » وغيرهم .

كما أثنى عليه العلماء ووصفوه بأرفع الصفات . فسموه «الجامع لديوان الادب» ووصفوه بأنه «ميزان اللغة ومعيار العربية» وقال عنه ياقوت « المشهور اسمه الذائع ذكره » (39) ، وكان ابو العلاء يحفظه عن ظهر قلب وهو الذى اكمله لاحد الادباء اليمنيين حينما عثر على جزء منه واعجبه جمعه وترتيبه (40). وحينما دخل الكتاب اليمن لاقى من أهله عناية كبيرة، واتكبوا عليه يقراونه وينسخونه ويتكلمون على فوائده (41) .

وقد تداوله الباحثون منذ صدوره واحتفلوا به واخذوا يقراونه على العلماء ويتناولونه بالدرس والشرح . فقراه الجوهري على مؤلفه بفاراب (42) ثم اعاد قراءته على ابي السرى محمد بن ابراهيم الاصبهاني باصبهان (43) ثم عرضه على استاذه ابي سعيد السيرافي ببغداد فقبله ولم ينكره فصار عنده من صحاح اللغة (44). وقرأ الحاكم بعضه على ابي يعقوب يوسف ابن محمد بن ابراهيم الفرغاني الذى قراه كله على ابي علي الحسن بن علي بن سعد الزاميني الذى قراه على الفارابي (45) . وقراه ابو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز من اوله الى آخره على الجوهري وصححه له (46) . وقراه على ابي سعد وصححه عرضا بنسخته ابو يوسف يعقوب بن احمد وفرغ منه في ذي القعدة سنة 429 (47) وقراه على يعقوب ولداه علي والحسن . واعاد الحسن قراءته على والده قراءة بحث واستقصاء من اوله الى آخره بما على حواشيه من الفوائد ، وشرح الابيات في شهور سنة 463 (48).

---

(37) المرجع ورقة 213 .
(38) الكتاب 2 / 238 .
(39) معجم الادباء 6 / 62 .
(40) القفطي في انباه الرواة 1 / 52
(41) المرجع 1 / 53 .
(42) معجم الادباء 6 / 63 .
(43) المرجع والصفحة .
(44) المرجع والصفحة .
(45) المرجع 6 / 63 ـ 64 .
(46) المرجع 6 /64 .
(47) المرجع السابق .
(48) نفس المرجع .

ورواه شيخ الاسلام الشوكاني (محمد بن على 1172 – 1250 هـ) عن شيوخه وذكر اسناده فى كتابه « اتحاف الاكابر باسناد الدفاتر » حتى وصل به الى الجوهري صاحب الصحاح الذى رواه بدوره عن المؤلف (49) .

- كما مدحه كثير من الشعراء فقال احدهم :

كتــاب ديــوان الادب
احلى جنى من الضرب

حاضــر مــن يحفظــه
خمول ذكــر او نســب

يرفعـــه كتابنـــا
اعلى الاعالـي والحسـب

الفــه الشيــخ الـذى
اضحى اماما فــى الادب

واعتــرف النــاس لــه
بالفضل الا من كذب (50)

وقال القاضي نشوان بن سعيد الحميري :

نعم الكتاب كتـــاب ديـــوان الادب
نعم الذخيرة فهمــه والمكتســب

فى كل بـــاب منه كنــز دونــه
كنز اللجين ودونه كنــز الذهــب

ناهيك من علم شريــف قــدره
يسمو بصاحبه الى اعلى الــرتب

كل العلوم بهـــا اليــه خصاصــة
فى القصد والتوجيه منها والخطب

يا دفترا جمـع المحاســن كلهــا
وغدا له فضل على كـــل الكتــب

فهو المعلى فى السهام اذا اعتــزى
وهو المجلي فى الجياد اذا انتسب

واذا جرت كتب الانام الى مــدى
فالسبق خالصــه لديــوان الادب

روض من الآداب اصبــح ضائعــا
فى معشر عجم تعد من العــرب

لا عيب فيــه غيــر ان لبابتــه
اضحى غريبا فى زمان مؤتشب (51)

ديــوان الادب فــى الميــزان :

كان ديوان الادب فتحا جديدا فى تاريخ المعاجم العربية ، ودفعة موفقة الى الامام فى ميدان البحث اللغوي . وترجع قيمته الى ما يأتي :

1 – ترتيب كلماته على الترتيب الهجائي المعروف وسيره على نظام الباب والفصل . وهو اول معجم سلك هذا النظام واخذه عنه اصحاب المعاجم من بعده وعلى راسهم تلميذه وابن اخته « الجوهري » صاحب الصحاح . ومع ذلك نجد هذه الطريقة تنسب للجوهري ونجد الباحثين يضعونه على راس مدرسة الباب والفصل . ولو انصف الناس واعترفوا بالفضل لذويه لردوه للفـارابـي وجعلوه هو صاحب هذه المدرسة . وقد كان المعجميون قبل ذلك يتبعون نظام الخليل فى العين ، فجاء الفارابي واختـار الترتيـب الهجائي العادي « ميلا الى الاشهر لقرب متناولـه وسهولة مأخذه على الخاصة والعامة » (52) .

2 – انه اول معجم عربي جامع اتبع نظام الابنية فى ترتيب الالفاظ . ولم يأخذ التأليف فى الابنية قبل الفارابي صورة المعجم الكامل الذى يتجه الى حصر المادة اللغوية وتوزيعها على الابنية فى نظام معيــن ، وانما اتجه بعض اللغويين الى حصر الابنية والتمثيل لها ، واتجه بعض آخر الى العناية ببعـض الابنيـة ومحاولة حصر الفاظ كلي . اي ان عملهم جميعا كان فاقدا لاهم عنصرين من عناصر المعجم الكامل وهمـا الشمول والترتيب .

وميزة الترتيب على الابنية قد كشفنا عنها فيما قبــل .

(49) ورقـــة 37 .
(50) ديوان الادب نسخة رقم 344 لغة – دار الكتب المصرية – آخر الجزء الثاني .
(51) المرجع السابق – صدر الجزء الاول .
(52) ديوان الادب ورقة 7 .

3 ـ طرحه نظام التقاليب الذى بداه الخليل واقتفى اثره اللغويون من بعده . وبذلك فتح الباب امام المعاجم العربية لتتخلص من طغيان شخصية الخليل وتكف عن الدوران فى فلك نظامه وتبحث لها عن نظام آخر اكثر بساطة واقل تعقيدا .

4 ـ منهج الكتاب منهج مبتكر ناضج قليل التأثر بالسابقين . وقد افتخر المؤلف فى مقدمة معجمه كما سبق ان ذكرنا . كما انه حقق الدقة والنظام الى درجة كبيرة مما حدا بالمؤلف الى الادلال بنفسه فى المقدمة .

5 ـ تركه للمقيس من الفاظ اللغة اكتفاء بذكر قاعدته فى المقدمة وفى الفصول التذييلية . وبهذا اطرح كثيرا من الالفاظ القياسية التى تزحم المعجم دون فائدة تذكر ، وامكن ان يجمع فيه ـ مع صغر حجمه ـ كثيرا من المادة اللغوية .

6 ـ تخليصه الواوي من اليائي وافراده بالذكر كل واحد منهما . وقد افتخر الفيروزابادي فى مقدمة « القاموس المحيط » بصنيع مثل هذا فقال « ومن احسن ما اختص به هذا الكتاب تخليص الواو من الياء وذلك قسم يصم المصنفين بالعي والعياء » .

7 ـ ترتيب المعجم على نظام الابنية وجمع الكلمات التى على شاكلة واحدة فى صعيد واحد يفيد الصرفيين كثيرا ويطلعنا على خصائص الاوزان، وما يفيده كل بناء من الابنية ، كوزن «فعال» الذى يفيد الزيادة والكثرة ، فشيء عجاب اي عجيب جدا والظراف (بالضم) اظرف من الظريف، والجمال اجمل من الجميل والكرام اكرم من الكريم والحسان احسن من الحسن (53) . وكصيغة « فعيل » التى تدل على الملازمة والمبالغة فى الشيء، فالشريب المولع بالشرب والزميت اشد من الزميت والسكيت الدائم السكوت والصميت الدائم الصمات والمريح الشديد المرح والجبير الشديد التجبر والخمير الدائم الشرب للخمر والسكير الدائم السكر والفخير الكثير الفخر والنطيس الطبيب العالم بالطب والصريع الكثير الصرع لاقرانه اذا صارع والفسيق الدائم الفسق والظليم الكثير الظلم.. (54) . كما يقفنا على معاني صيغ الزوائد كأفعل وفاعل وفعل واستفعل.. الخ .

8 ـ فصله بين السالم والمضاعف وانواع المعتل والمهموز يفيد الباحث اللغوي ويهديه الى خصائص كل نوع . فهناك اوزان جاءت فى نوع من الكلمات دون نوع وهناك ابواب من الافعال اختصت ببعض الانواع دون بعض ، فضلا عن اختلاف كل نوع عن الآخر فى طريقة الاشتقاق منه .

9 ـ كذلك فان فصله بين قسمي الاسماء والافعال وافراد ابنية كل نوع بالحديث يهدينا الى خصائص كل قسم. فحروف الزيادة ومواضعها تختلف فى الاسماء عنها فى الافعال ، ولكل منهما ابنيته واوزانه الخاصة به .

10 من عيوب المعاجم انها كثيرا ما تهمل النص على باب الفعل الثلاثي مما يوقع الباحث فى حيرة . وقد تغلب الفارابي على هذه المشكلة بتوزيعه الافعال على ابوابها . فليس فى معجمه فعل واحد لم يرد الى بابه . ومن امثلة ذلك قول الجوهري : « وقلبت القوم كما تقول صرفت الصبيان .. وقلبته اي أصبت قلبه .. وقلبت النخلة اي نزعت قلبها وقلبت البسرة اذا احمرت » ولم يذكر الباب . وقد ذكرها الفارابي فى باب فعل يفعل (55) .

ومع ذلك لم يخل الكتاب من عيوب ، بعضها يختص بالمنهج ، وبعضها بتطبيقه ، وبعضها بالمادة اللغوية . وسنتناول فى ايجاز شديد هذه المآخذ على هذا النحو من الترتيب .

1 ـ اما عيوب المنهج فاهمها :

1 ـ منهج الكتاب معقد بشكل يرهق الباحث ويسبب له المشقة والعنت حتى يصل الى الكلمة التى يريدها . فهو منهج لا

---

(53) المرجع ورقة 69 .
(54) ديوان الادب ورقة 70 .
(55) المرجع ورقة 135 .

يسعف الباحث المتعجل الذى يريد ان يكشف عن معنى كلمة فحسب لا ان يوازن بين الابنية ويكتنه خصائص كل منها.

ب ـ ارغمت هذه الخطة المؤلف على تمزيق الصيغ التى ترجع الى مادة واحدة ، وتوزيعها على ابواب مختلفة بحسب اوزانها ، وبذلك حرم الباحث من اخذ صورة كاملة للمادة التى يبحثها والدلالات التى تدل عليها ، الا اذا قام برحلة طويلة بحثا وراء هذه الصيغ فى ابواب المعجم وكتبه . فهو يخدم الصرفيين ويمدهم بذخيرة وافرة من الالفاظ المتجانسة يستطيعون منها ان يستمدوا ما يريدون من الجانب الصرفي ولكنه لا يخدم الباحث اللغوي الذى يبحث عن الدلالة وينظر الى المادة اللغوية كلها نظرة عامة شاملة ويعقد الصلات بين صيغ المادة الواحدة ويردها كلها الى اصل واحد .

ج ـ اساس الاستفادة من هذا المعجم معرفة ضبط الكلمة اولا . ولهذا فهو يصلح لمن يريد ان يقف على معنى كلمة يعرف ضبطها ولكنه لا يصلح لمن اراد ان يقف على ضبط كلمة يعرف مدلولها .

3 ـ واما عيوب تطبيق المنهج فاهمها :

أ ـ اضطرابه فى ترتيب الكلمات التى اجتمعت فيها صفتان كأن تكون مضاعفا ومثالا معا مثل « وج » او مضاعفا ومهموزا مثل « اب » او مثالا ومهموزا مثل « وال » او مهموزا ومن ذوات الاربعة مثل « اتو » او مهموزا ومن ذوات الثلاثة مثل « أوب » .

ب ـ ذكره اشياء قياسية ذكر فى مقدمة معجمه انه لن يذكرها مثل « طلحة واحدة الطلح» و «الثمر جمع ثمرة» و«جوع جمع جائع» و «الملحة واحدة الملح» ... وغير ذلك .

ج ـ عدم افراده بابا للمبني للمجهول وتوزيع ما ورد منه على الابواب فمن ذلك وضعه «سقط فى يده» فى باب فعل يفعل و«جلدت الارض» فى باب فعل يفعل .

د ـ عدم افراده بابا للحروف ووضعه لها فى ابواب الاسماء مثل قوله فى باب « فعل الناقص»: «خلا حرف يخفض ما بعده»، وفى باب « فعل » : « رب حرف خافض لا يقع الا على نكرة » ، و « ثم حرف من حروف النسق مثل الفاء الا ان الفاء تصل وثم تراخي » .

هـ ـ وقوعه فى التكرار ووضعه الكلمة فى اكثر من موضع. مثال ذلك انه عقد بابا لما جاء على وزن « مفعول » مثل مغفور ومفرود ومنخور ، ثم عاد فعقد بابا آخر تحت اسم « ومما جاء على مفعول بضم الميم شبه بفعلول » وضع تحته الكلمات السابقة .

و ـ وضعه الكلمة فى غير موضعها مثل وضعه فى السالم كلمة « تخمة » وحقها ان توضع فى المثال لانها مبدلة من « وخمة » ، ووضعه « التراث » فى فعال السالم مع نصه على ان اصله وراث .

3 ـ واما مآخذ المادة اللغوية فاهمها :

أ ـ خطؤه فى النقل كقوله : وهي الكنيسة للنصارى . والصحيح كما فى «التكملة» للصاغاني و « تهذيب اللغة » للازهري ان الكنيسة لليهود والبيعة للنصارى .

ب ـ خطؤه فى الضبط كقوله : القليس بناء كان ابرهة بناه باليمن . والذى فى كتب اللغة القليس بالتشديد (انظر الصحاح واللسان والجمهرة) .

ج ـ تصحيفه بعض الكلمات كقوله : القترد الرجل الكثير الغنم . والصواب بالثاء المثلثة كما صرح به ابو عمرو وابن الاعرابي وغيرهما (انظر القاموس المحيط)

د ـ شرحه بعض الكلمات شرحا معيبا كقوله : « الخلع ما يجعل فى القرف » والعبارة غامضة وعبارة الصحاح اوضح وهي

« الخلع لحم يطبخ بالتوابل ثم يجعل فى القرف » (القرف نوع من الاوعية) . وقوله «الاكلف لون بين السواد والحمرة» والتعبير غير دقيق وصحته « الكلفة » . وقوله : « حسب الرجل صار حسيبا » وفى التعريف دور . ومثله قوله : « الوارس فى الطعام مثل الواغل فى الشراب » ، ثم قوله « الواغل فى الشراب مثل الوارس فى الطعام » .

المتاثرون بديوان الادب :

اثر ديوان الادب فيما جاء بعده من كتب اللغة . وقد اخذ هذا التأثير اتجاهات ثلاثة هي :

1 ــ اختصاره او تأليف الشروح عليه . ولم يصلنا من هذا النوع شيء ، وانما حفظت لنا كتب التراجم اسمي عالمين قاما بها احدهما الحسن بن المظفر الذى الف « تهذيب ديوان الادب » (56) . والآخر محمد بن جعفر بن محمد الفوري الذى اخذ ديوان الادب وزاد فى ابوابه واخرجه فى عشرة مجلدات ضخمة (57) .

2 ــ الاستفادة به فى جمع المادة اللغوية ، وقد شمل ذلك معظم ما جاء بعده من مؤلفات لغوية وقد سبق ان ذكرنا بعض هذه الكتب التى صرح اصحابها بنقلهم عن الفارابي . ولكن التأثر واضح فى معجم منها هو « الصحاح » للجوهري . وهو تأثر لم يقف عند حد المادة اللغوية بل تعداه الى النظام كذلك (58).

3 ــ التأثر بمنهجه . وهذا النوع كثير كذلك. ومن اشهر من تأثروا به « الزوزني » فى كتابه « المصادر » كما صرح بذلك فى مقدمة كتابه وكما هو واضح من مقارنة الكتاب بقسم الافعال من « ديوان الادب » . وكذلك ممن تأثروا به « بوجعفرك » فى كتابه « تاج المصادر » وقد صرح بتأثره هذا وبنقله عن الفارابي فى اكثر من موضع من كتابه (59) . كذلك تأثر به اثنان من اصحاب المعاجم الكاملة للابنية وهما القاضي نشوان بن سعيد الحميري والكاشغري كما سنتحدث فيما بعد .

---

(56) قال عنه ياقوت : اديب شاعر مصنف .. مؤدب اهل خوارزم فى عصره وشاعرهم ومقدمهم والمشار اليه منهم . مات فى 14 رمضان سنة 442 هـ (معجم الادباء 9 / 191 ، 192)

(57) قال عنه ياقوت : احد ائمة اللغة المشهورين والاعلام فى اللسان المذكورين . صنف كتاب ديوان الادب فى عشرة اجلد ضخمة . اخذ كتاب ابي ابراهيم اسحق الفارابي المسمى بهذا الاسم وزاد فى ابوابه وابرزه فى ابهى اثوابه فصار اولى به من منهلانه هذبه وانتقاه وزاد فيه ما زينه وحلاه . ولا نعرف سنة وفاته (18 / 104 ، 105)

(58) كان كرنكو اول من تنبه الى ذلك حيث قال : « ان الجوهري لم يكتف بان عب من ديوان الادب بل وجدت ــ قدر ما استطعت الاستقراء والمقابلة ــ ان الصحاح لا يحتوي على اي شيء لا يوجد فى ديوان الادب » (انظر The Beginnings of Arabic Lexicography مقال بملحق مجلة J.R.A.S. سنة 1924 .) ولكن الاستاذ العطار (مقدمة الصحاح ص 81 ، 82) لا يوافق على هذا ويقول : « ولقد اسرف الاستاذ كرنكو فى دعواه ولا سند له . فديوان الادب وصحاح الجوهري موجودان والفارق بين المعجمين كبير ». وقد قمنا بدراسة تفصيلية مقارنة بين المعجمين ربما تمكنا من نشرها قريبا . وخلصنا من ذلك الى ما يأتي :
أ ــ ان الجوهري اخذ نظام الباب والفصل عن خاله الفارابي .
ب ــ اشتراك ديوان الادب والصحاح فى كثير من الاشياء مثل الشواهد والرواية وحتى الاخطاء اللغوية بل اننا نجد احيانا ان اللفظ هو اللفظ والشرح هو الشرح .
ج ــ ان الصحاح اوسع مادة من ديوان الادب وفيه زيادات كثيرة . ولو ان كرنكو عكس القضية وقال : « ليس فى ديوان الادب شيء الا نجده فى الصحاح » لكان اقرب الى الصواب .

(59) نقل عنه فى باب « فعل يفعل » وباب « فعل يفعل » وباب « افعل » .

2 ـ ديـــوان لغـــات التـــرك للكاشغـــري (60)

الكتاب معجم يشرح الالفاظ التركيـة بعبـارة عربية . ووجه الشبه واضح تمام الوضوح بينه وبين ديوان الادب فى الترتيب وان لم يشر المؤلف الى ذلك، ولم يذكر اسم الفارابي . وليس بينهما من الاختلاف الا اختلاف تقتضيه طبيعة كل من اللغتين . ويمكنك ان تلمس التاثر واضحا منذ النظرة الاولى حين تقرأ فى مقدمة الكتاب (وهي باللغة العربيـة) بضعـة اسطر . فالمقدمة تكاد تكون هي المقدمة ، وهنـاك الفاظ بعينها وردت فى المقدمتيـن . والمنهـج فى الترتيب هو المنهج لا يختلفان الا فى اشيـاء يسيـرة فرضها الاختلاف بين اللغتين وحتمتها طبيعة كـل منهما .

واليكم الآن موازنة بين الكتابين ليتضح مـدى تطابقهمـا :

ا ـ المقدمـــة :

	ديـــوان الادب	ديـــوان لغـــات التـــرك
1	ـ بداها بحمد الله والصلاة علـى رسولـه وآله اجمعيـن	ـ بداها كذلك وان اختلفت الفاظه عن الفـاظ الفارابي
2	ـ الف كتابه للشيخ ابي الحسن احمد بن منصور ولاولاده ولجماعة المسلمين .	ـ الف كتابه برسـم الحضـرة المقدسـة .. سيدنا ومولانا ابي القاسم عبد الله بن محمد المقتدى بأمر الله
3	ـ قال الفارابي : رتبت كل كلمة فجعلتهـا اولـى بموضعها مما يقدمها او يعقبها ليجدها المرتاد لها فى بقعة بعينها رابضة من غير نص مطية او اداب نفس .	ـ قال الكاشفري : انخت كل كلمة فى محلهـا وانهضتها من عدائها ليصادفها فى مبركهـا طالبها ويرصدها فى مسلكها راغبها .
4	ـ قال الفارابي : جعلته ستة كتب ..	ـ قال الكاشفري : حصرت هذه اللغة بأسرهـا فى ثمانية كتب ..
5	ـ قال الفارابي : جعلت كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وافعالا وقدمت الاسمـاء فـى امثلتها وابوابها على الافعال ثم تلوتها بالافعال مبوبـة على مراتبهـا ومدارجها مقدما الاحـق فالاحق منها	ـ قال الكاشفري : جعلت كل كتاب من هــذه الكتب شريحين اسماء وافعالا ، وقدمـت الاسماء على الافعال ثم مفوتها بالافعال مبوبة على مراتبها الاولى فالاولى
6	ـ نبتديء بالاسماء التى فى اواخرها البـاء لـم نتجاوزها الى ما بعدها حتى ناتي على حروف المعجـم	ـ وضعته مرتبا على ولاء حروف المعجم
7	ـ لم نذهب فى ذلك مذهب الخليل بن احمد ولم نرتب ترتيبه ميلا الى الاشهر لقـرب تناولـه وسهولة ماخذه على الخاصة والعامة .	ـ ولقد تخالج فى صدري ان ابني الكتاب كمـا بنى الخليل كتاب العين واذكر المستعمـل والمهمل فكانت تلك الطريقة اوعب .. الا ان هذا البناء اصوب لما ان ماخذه اقرب . فملت الى هذا الترتيب طلبا للتخفيـف وتقصيـرا للتاليف
8	ـ نص الفارابي على انه ذكر فى كتابه ما ورد فى قرآن او سنة او حديث او شعر او رجز او حكمة او سجع او مثل او نادرة .	ـ نص الكاشفري على انه وشح كتابه بحكمة او سجع او مثل او شعر او رجز او نثر .
9	ـ قال الفارابي « مشتملا على تاليف لم اسبـق اليه ، وسابقا بتصنيف لم ازاحم عليه ».	ـ قال الكاشفري « برزت بتصنيف لم اسبق اليه وتاليف لم يوقف عليه »
10	ـ ابنت عن مواضـع العلـل بعلـل شرحتهـا واوضحتها .	ـ ادرجت الاصول بعلل اوضحتها واقيسـة فيها اقترحتهـا .

(60) هو محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري من اهل كاشغر على حدود الصين ، توفى سنة 466هـ (الاعلام للزركلـي)

ديـــــوان الادب

11 ـ استشهدت بالاشعار الصحيحـــة المأثـــورة عـن العلمـاء .

12 ـ قال الفارابي : « والمثل ما تراضاه الخاصـة والعامة .. واستدروا به الممتنـع من الـدر وتفرجوا به عن الكرب المكربة وهي من ابلـغ الحكمـة » .

13 ـ تحدث الفارابي عن منتهى الابنية فى اللغـة العربيـة .

14 ـ تحدث الفارابي عن احرف الزيادة فى الاسماء والافعال فى اللغة العربية .

15 ـ قال الفارابي : نبتـديء بالمفتـوح الاول لان الفتحة اخف الحركات ثم نتبعه المضموم ثم المكسور ونقدم ساكن الحشو على المتحرك لان السكون اخف من الحركة .

16 ـ قال الفارابي : « القول فى تقديم بعض الامثلة على بعض » اولها الثلاثي المجرد ثم ما لحقته الزيادة فى اوله وهي الهمزة والميم ثم المثقل الحشو وهو عين الفعل ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه والعين ثم ما لحقته الزيادة بين العين منه واللام ثم ما لحقته الزيادة بعـد اللام ثم الرباعي ثم الخماسي .

17 ـ قال الفارابي : « القول فى تقديم الحـروف بعضها على بعض » نبتديء بالاسماء التى فى اواخرها الباء ثم نتجاوزها الى ما بعدها حتى ناتي على حروف المعجمة كلها سوى حـروف الاعتلال

18 ـ اذا فرغنا من الحرف ابتدانا ما بعـده بغيـر حرف نسق ليكون ذلك دليلا على مستانـف ما بعده .

19 ـ ذكر الفارابي الصفات التى لا تدخـل فـى الذكر وعد انواعها وكذلك فعـل بالنسبـة للمصادر .

20 ـ قال الفارابي : « قول آخر فيما ذكـر فـى الكتاب وفيما لم يذكر وغير ذلك مما لا غنى بنا عن الابانة عنه » ، وذكر تحت هذا العنوان: كل ما كان من اسماء البلـدان والاوديـــة والجبال والمفاوز وما اشبه ذلك فذكرنـاه فسرنا عنه بانه اسم موضع لانه اسم عام ياتي على مالا ياتي عليه الخاص من الاسماء . الا ان يجيء امر مشهور فنضطر الى التصريـح بـه .

ديوان لغـات التـرك

11 ـ نثرت فيها شواهد من اشعارهم التى تفوهوا بها فى ابدانهم بالامور واشعارهم .

12 ـ قال الكاشفري : « وكذلك الامثـال التـي ضربوها على مدارج الحكـمة فى الكربـة والنعمـة »

13 ـ تحدث الكاشفري عن منتهى الابنية فى اللغة التركية .

14 ـ تحدث الكاشفري عن احرف الزيادة فى الاسماء والافعال فى اللغة التركية .

15 ـ قال الكاشفري : نقدم ساكن الحشـو علـى المتحرك ثم المحرك الحشو فى اوجه حركاتها.

16 ـ قال الكاشفري : نبتديء بالثنائي ثم الثلاثي ثم الرباعي ثم الخماسـي ثم السـداسي ثم ما لحقته الزيادة فى اوله وهـي الهمـزة ومـا يوافقها ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء والعين فى اوجه حركاتها ثم ما لحقته الزيادة بعـد الـلام .

17 ـ قال الكاشفري : « القول فى تقديم الحروف بعضها على بعض » نبتديء بالاسماء التى فى اعجازها الباء ثم نمر الى ما بعدهـا حتـى نستوفي حروف المعجم كلها اقتداء بائمـة الادب وتشبيها فى البناء بلغة العرب .

18 ـ ولم نورد فى اثناء اللغات واو النسق لانه لا مدخل له فى هذه اللغة فافهم .

19 ـ وكذلك فعل الكاشفري بالنسبة للغة التركية

20 ـ وقال الكاشفري : « قول آخر فيما ذكر فى الكتاب او لم يذكر » وذكر تحته : ما كان من اسماء الجبال والمهامـه والاوديـة والميـاه والغدران ذكرت التى فى بلاد الأسلام .. وما كان دخيلا فى هذه اللغة لم يذكر .. وما كان من اسمـاء الرجال والنسـاء كذلك .

ب ـ النظــــام:

وكما تأثر الكاشغري بالفارابي فى مقدمتــه ،وتابعه فى عناصرها وفى الموضوعات التى تناولهـا، تأثر به واحتذاه فى نظام الكتاب احتذاء يكاد يكون كاملا . وما بينهما من خلاف فى الترتيب خـلاف تافه لا يعد ابتكارا او تجديدا ، ومنه ما أملته طبيعة الاختلاف بين اللغتين ، وحتمه التغاير بينهمـــا . واليكم موازنة بين النظامين لنرى مقدار ما بينهما من تشـــابه :

ديـــوان الادب	ديـوان لغـــات التـــرك
1 ـ قسم الفارابي كتابه الى ستة اقسام هي الـسالم والمضاعف والمثال وذوات الثلاثة وذوات الاربعة والمهمـوز .	1 ـ قسم الكاشغري كتابه الى ثمانيـة اقسام هـي الستة السابقة + كتاب الفنة + كتاب الجمع بين الساكنين .

ومن هذا يظهر ان الكاشغري لم يكتف باخـذ التقسيم عن الفارابي ، بل اخذ عنه كذلك مصطلحات الاقسام فاستعمل ايضا اصطـلاحـات : السالـم والمضاعف والمثال وذوات الاربعـة والمهمـوز . وقـد اعترف الكاشغري بذلك فقال : « واستعرت القـاب هذه الكتب والابواب من العربيـة اصطلاحـا لمعرفـة الناس بها » (61) .

وكل ما بينهما من خلاف :

ا ـ ان الكاشغري بدأ بكتاب المهموز وقدمه على سائر الابواب تيمنا بكتاب الله تعالى

ب ـ انه زاد كتابين هما : كتاب الفنة وكتاب الجمع بين الساكنين .

وليس هذا فى الحقيقة خلافا فى المنهج ، وانما هو خلاف فى التطبيق فرض الثاني منهما طبيعة اللغة التركية .

ديـــوان الادب	ديـوان لغـــات التـــرك
2 ـ جعل الفارابي كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وافعالا وقدم الاسماء	2 ـ وكذلك فعـل الكاشغـري
3 ـ قسم الفارابي كل شطر من الاسماء والافعـال الى اقسام بحسب التجرد والزيادة (وقد سبق تفصيل ذلك)	3 ـ وكذلك فعل الكاشغري
4 ـ وضع الفارابي قاعدة لتقديم بعض الابنيـة على بعض بحسب نوع حركتها .	4 ـ وكذلك فعل الكاشغري (انظر المقدمة)
5 ـ ولما كانت هناك كلمات كثيرة تشترك فى الوزن الواحد ، رأى الفارابي ان يرتب الاوزان بحسب حرفها الاخير مع اولها ووسطها .	5 ـ وكذلك فعل الكاشغري
6 ـ كان الفارابي فى كثيـر من الابواب ولاسيما فى شطر الافعال يذيل الباب بتعقيب يتحـدث فيه عن احكام عامة تتعلق بالباب .	6 ـ وكذلك فعل الكاشغري . فقد اتبع باب الثنائي من كتاب الافعال ـ قسم السالم تذييـل عـن « العلل والتصاريف وبيان الصفـات ومجـاري الاقيسة » تحدث فيه عن التصاريف المختلفـة للافعال والمصادر والصفات وسائـر المشتقـات كاسماء الزمان والمكان والآلة .. وكذلـك اتبـع ابواب الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي بفصول مماثلة .

---

(61) ص 5. وقد كان بروكلمان اول من تنبه الى هذا التشابه الكبير بين الكتابين فقال: « كان ديوان الادب مثالا للكتاب الذى الفه الكاشغري واسماه ديوان لغات الترك » S. 1,195

وكذلك تأثر الكاشغري بالفارابي في القواعد والاسس التى ذكرها فى مقدمته وطبقها فى كتابه . وقد سبق تفصيل ذلك فى مقارنتنا بين مقدمتي الكتابين .

3 ـ شمس العلوم لنشوان بن سعيد

واسم المعجم بالكامل « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » واسم مؤلفه نشوان بن سعيد بن نشوان اليمني الحميري النحوي اللغوي الفقيه (62). وتوجد من المعجم نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب بمصر تحت رقم 30 لغة وهي فى اربعة اجزاء ولكن فى ثلاثة مجلدات وخطها دقيق واسطرها متزاحمة وقراءتها عسيرة . ويوجد ايضا الجزء الثالث والرابع من نسخة اخرى تجزئة اربعة اجزاء برقم 385 لغة . كما يوجد الجزء الخامس من نسخة اخرى منه برقم 598 لغة .

وقد طبع ك . و . سترستين جزءا من هذا المعجم اخرجه فى مجلدين وصل فيهما الى آخر حرف الجيم . كما اخذت مطبعة الحلبي فى طبعه واصدرت منه بعض اجزاء . ونتمنى الا تكمل اخراجه لانه مليء بالتحريف والتشويه .

وقد اختصره ابنه فى كتاب اسماه « ضياء الحلوم » ويوجد منه بمعهد المخطوطات الجزء الاول على ميكرو فيلم .

وصفه :

يبدأ الكتاب بمقدمة ، يليها فصل فى التصريف. اما المقدمة فقد بدأها بحمد الله وشهادة ان لا اله الا هو وان محمدا عبده ورسوله . ثم تحدث عن فضل اللغة العربية على سائر اللغات ، وذكر الحاجة الى تعلمها ، لانها وسيلة لفهم القرآن الكريم والحديث . ثم شرح منهجه شرحا اجماليا ، وفخر بنظام كتابه لانه ييسر على الطالب ادراك ملتمسه سريعا . ثم عدد الاشياء التى اودعها كتابه .

واما فصل التصريف فقد بين فيه اهمية علم التصريف وافتقار علم اللغة اليه . ثم شرح معنى التصريف وقسمه الى ثلاثة اشياء : زيادة وبدل وحذف . ثم تحدث عن احرف الزيادة ومواضع زيادتها ، وتحدث عن ابدال الحروف بعضها من بعض وعن الحذف السماعي والحذف القياسي ، وعن مخارج الحروف ، وعن الادغام بين الحرفين المتجانسين والمتقاربين، وعن حروف الاطباق وحروف الاستعلاء والاستفال والحروف المهموسة والمجهورة والشديدة والرخوة ... بما يخرج عن التداول المعروف . ثم فصل الحديث فى ابنية كلام العرب ، فقسم الكلام الى اسم وفعل وحرف وتحدث عن كل قسم بما لا يخرج عما نجده فى كتب النحو والصرف .

ثم تحدث عن اقل الابنية واقصاها ، سواء فى الاسماء او الافعال ، ثم ذكر عدد الابنية فى كل منهما . واخيرا تحدث عن مصادر الافعال وعن الافعال التى تشتق منها . ويشغل ذلك كله من ص 1 الى ص 29 من مطبوعة ليدن .

نظامه :

تحدث المؤلف فى مقدمة معجمه حديثا موجزا عن نظامه فقال : « وقد صنف العلماء رحمهم الله فى ذلك كثيرا من الكتب ، فمنهم من جعل تصنيفه حارسا للنقط وضبطه بهذا الضبط ، ومنهم من حرس تصنيفه بالحركات بامثلة قدروها واوزان ذكروها . ولم يات احد منهم بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات .. فلما رايت ذلك ورايت تصحيف الكتاب والقراء حملني ذلك على تصنيف يأمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ويجعلها مع جنسها وبشكلها ويردها الى اصلها :

1 ـ جعلت فيه لكل حرف من حروف المعجم كتابا .

2 ـ ثم جعلت له ولكل حرف معه من حروف المعجم بابا .

3 ـ ثم جعلت لكل باب من تلك الابواب شطرين اسماء وافعالا .

---

(62) من علماء القرن السادس الهجري . وهو من اهل بلدة « حوث » من بلاد حاشد شمالي صنعاء . وقد وصفه السيوطي بانه اوحد اهل عصره واعلم اهل دهره فقها ونبلا وانه كان عارفا بالنحو واللغة والاصول والفروع والانساب . وذكر ياقوت انه استقل ببعض الاماكن واستولى على قلاع وحصون وقدمه اهل جبل « صبر » حتى صار ملكا . (انظر تفصيل ذلك فى بغية الوعاة والاعلام ومعجم الادباء)

4 – ثم جعلت لكل كلمة من تلك الاسماء والافعال وزنا ومثالا .
فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط .
والامثلة حارسة للحركات والشكل .
فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا » (63) .

هذا فقط هو ما ذكره القاضي نشوان بن سعيد فى شرح نظامه ، وهو لا يعطي صورة واضحة لنظام الكتاب. فهناك مباديء كثيرة غيرها التزمها ولكنه اهمل ذكرها لانها تتفق كل الاتفاق مع اسس الفارابي . اي ان القاضي نشوان كان حريصا على ان يبرز المباديء التى استحدثها ويشرح من نظامه ما انفرد به ، وخالف فيه نظام ديوان الادب . اما ما اشترك فيه معه فقد مر على بعضه مرورا عابرا واهمل باقيه فلم يشر اليه ولم يتحدث عنه .

وسنقوم نحن بايضاح ما ابهمه ونتكفل بتفصيل ما اجمله :

1 – قسم المؤلف معجمه الى كتب على عدد حروف الهجاء مرتبة حسب الترتيب الهجائي المعروف فبدأ بكتاب الهمزة وتلاه بكتاب الباء ثم التاء ثم الثاء ... الخ .

2 – قسم كل كتاب من هذه الكتب الى جزءين ، جزء للمضاعف وجزء لغيره . وكان يبدأ كل كتاب بباب المضاعف فيجمع فيه الكلمات المضاعفة التى تبدأ بالحرف المعقود باسمه الكتاب . فاذا فرغ من المضاعف شرع فى غيره مع عقد باب لكل حرف مع ما يليه يحمل اسم الحرف الاول من الكلمة (وهو الحرف المعقود باسمه الكتاب) مع الحرف الثاني منها ، مراعيا تقديم ما ثانيه اسبق فى الترتيب الهجائي (مع تاخير ما ثانيه همزة الى بعد ما ثانيه ياء) . فالتقسيم المنطقي يفترض ان يكون لكل كتاب تسعة وعشرون بابا ، الباب الاول للمضاعف ، والابواب الاخرى لغير المضاعف ، لكل حرف ثان من حروف الكلمة باب ، فيكون عددها ثمانية وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء . ولكن كثيرا ما تتخلف القسمة المنطقية ، فترد فى بعض الكتب بعض الابواب دون بعضها الآخر .

وكانت طريقته فى ذكر عنوان الباب كالآتي :

ا – فى باب المضاعف يعقد الباب باسم الحرف الاول (وهو اسم الكتاب) ثم يقول : « وما بعده » .

فكتاب الهمزة يبدؤه هكذا :

باب الهمزة وما بعدها من الحروف فى المضاعف .

وكتاب الباء يبدؤه هكذا :

باب الباء وما بعدها من الحروف فى المضاعف .

وهكذا .

ب – فى غير المضاعف يعقد الباب باسم الحرف الاول المعقود باسمه الكتاب ويضم اليه الحرف الثاني فيقول مثلا :

باب الهمزة والباء وما بعدهما .

باب الهمزة والتاء وما بعدهما .
الخ .. الخ ..

3 – قسم كل جزء من هذين الجزأين الى شطرين ، شطر للاسماء وشطر للافعال وكان يبدأ بشطر الاسماء .

4 – قسم كل شطر الى اقسام بحسب التجرد والزيادة ، فكان يبدأ بالثلاثي المجرد ثم المزيد فيه ثم الرباعي ثم الخماسي .

5 – ولما كان كل قسم من هذه الاقسام يشترك فى عدة ابنية راعى فى المجرد الحركة فى ترتيب الاوزان ، فكان يقدم ساكن الحشو على المتحرك ، وكان يبتديء بالمفتوح الاول ثم يتبعه المضموم ثم المكسور . كما راعى فى ترتيب ابنية المزيد مكان الزيادة ، فقدم من الابنية ما كانت زيادته أسبق مع مراعاة نوع الحركة ايضا .

6 – واحيانا يلمح بين كلمات البناء الواحد اختلافا فى الصفة فنجده يقسم كل بناء الى انواع بالنظر الى صفاته (64) .

---

(63) شمس العلوم ص 6

(64) انظر الاصل الخامس من نظام ديوان الادب .

7 ـ ولما كانت هناك كلمات كثيرة تشترك في الحرفين الاول والثاني (المعنون باسمهما الباب) وتشترك في الوزن ، رأي ان يرتب كلمات الوزن الواحد بحسب حرفها الاخير (65) فكان يقدم ما آخره اسبق في الترتيب الهجائي ، ما عدا ما كان آخره همزة فكان يؤخره الى بعد ما آخره ياء (66). ولذلك جاءت كلمة مثل « الربيء » بعد « الربيث » و « الربيخ » و « الربيز » و « الربيس » ... (67).

وكان زيادة في الضبط حريصا على ان يذكر قبل الكلمة باقي حروفها التي لم تدخل في اسم الباب ، سواء كان حرفا واحدا او اكثر . اي انه كان ينص على جميع حروف الكلمة ، فحرفاها الاولان يذكرهما في اسم الباب ، وما بعدهما يضعه قبل الكلمة هكذا :

(فعيل)
د .... الأصيد
ل .... الأصيل
} تحت باب الهمزة والصاد وما بعدهما

(فعلل)
ظبل .... اصطبل
} تحت باب الهمزة والصاد وما بعدهما

(الفعللة)
ثر .... بحثر
ظل .... بحظل
} تحت باب الباء والحاء وما بعدهما

(التفعلل)
صل .... التبحصل
} تحت باب الباء والحاء وما بعدهما

8 ـ التزم في الكلمات المزيدة ان يحذف الزيادة في ذهنه ثم يضع الكلمة في موضعها بالنظر الى اصولها .

لضبط الكلمة والنص على حركاتها وترتيب الكلمات بحسب الحروف الهجائية ليكون ذلك حارسا للنقط وان اختلف تطبيق ذلك :

بين شمس العلوم وديوان الادب

اذا اردنا ان نقارن بين نظام هذا الكتاب ونظام ديوان الأدب ، وجدنا اوجها للتشابه واخرى للتخالف ، سواء في المنهج او في تناول المواد ومعالجة الالفاظ :

1 ـ اما في المنهج فوجه الشبه اوضح اذ اسس على فكرة واحدة وهي اتباع طريقة الابنية

ا ـ فنجد الفارابي يقسم الكلمات الى ستة اقسام بحسب نوع حروفها في حين ان القاضي نشوان راعى فصل المضاعف فقط عن غيره . ولست افهم سر افراد المضاعف فقط عن غيره .

ب ـ ونجد الفارابي يقدم مرحلة التقسيم بحسب الابنية على مرحلة التقسيم

(65) سواء كان الحرف الاخير ثالثا او رابعا . ولذلك رتب كلمات البناء « فعلل » في قسم الاسماء هكذا : جلعب ـ جلسد ـ جلعد ـ جلمد ـ جلهم ... فوجه نظره الى حرفها الرابع (لا الثالث) ولذا قدم جلعب على جلسد . ولو كان ينظر الى الحرف الثالث لعكس الترتيب .
(66) لعل سر ذلك ان الهمزة في الوسط او الآخر يكثر تسهيلها فتنقلب الى حرف علة ، ولذلك كانت جديرة ان توضع بجانب الواو والياء .
(67) شمس العلوم 2 / 203 طبعة الحلبي .

بحسب الحروف في حين نجد القاضي نشوان قد شطر مرحلة التقسيم بحسب الحروف الى شطرين ، قدم اولهما (وهو اعتبار الحرف الاول والثاني) على مرحلة الابنية واخر ثانيهما (وهو اعتبار الحرف الاخير) عن مرحلة الابنية .

ج ـ كذلك نجد الفارابي في اعتباره للحروف يرتب بحسب الحرف الاخير والاول (وهو ما يعرف بنظام الباب والفصل) في حين ان القاضي نشوان يرتب بحسب الحرف الاول ثم الثاني ثم الاخير .

وفيما سوى ذلك نجد الاسس مشتركة فيما عدا بعض فروق طفيفة هنا او هناك .

2 ـ فاذا وازنا بين المعجمين في تناولهما للمواد ومعالجتهما للالفاظ وجدنا الفرق شاسعا بينهما فديوان الادب معجم مختصر وقف عند حدود المعجم فأهمل المسائل الفقهية والكلامية ونحى الاشياء الغريبة عن علم اللغة وحد من الابحاث النحوية والبلاغية في حين ان شمس العلوم لم يقف عند حدود ولم يتقيد بقيود فكان يحشد كل ما يمكن حشده من ألوان العلوم والمعارف . وهذا واضح من الاسم الذى اختاره له وهو « شمس العلوم » . ولذا جاء حجم شمس العلوم ضخما اذا قيس بديوان الادب مع نص القاضي نشوان في مقدمته على انه بلغ في هذا التصنيف من الايجاز والاختصار جهده . ولكن ماذا يعني الاختصار والكتاب مليء بأخبار الملوك ومعرفة منافع الاشجار وطبائع الاحجار وبالحديث في علوم القرآن والقراءات والتفسير والانساب والاخبار والحساب والفقه والنجوم وتاويل الرؤى (68) ... الخ . ولكن اذا نحينا هذا النوع من البحوث وجدنا المادة اللغوية الخالصة تتحد او تكاد (69) . وقد وصفه احد الباحثين بانه « دائرة معارف على ترتيب المعاجم » (70)

4 ـ مقدمة الادب للزمخشري

من الكتب التى سارت على نظام الابنية « مقدمة الادب » للزمخشري المتوفى سنة 538 هـ . وقد قسمه الى خمسة أقسام :

القسم الاول : في الاسماء .
القسم الثاني : في الافعال .
القسم الثالث : في الحروف .
القسم الرابع : في تصرف الاسماء .
القسم الخامس : في تصرف الافعال .

ولا يوجد منه بدار الكتب نسخة واحدة كاملة، وانما توجد عدة نسخ يكمل بعضها بعضا وهي :

1 ـ نسخة رقم 100 لغة تشتمل على قسم الاسماء وقسم الافعال .

2 ـ نسخة رقم 636 لغة وتشتمل كذلك على قسمي الاسماء والافعال .

3 ـ نسخة رقم 272 لغة تنقص قسم الاسماء فقط ، وتشتمل على الاقسام الاربعة الاخرى وكتب عليها خطأ « كتاب الافعال » .

وصفه :

(المقدمة)

يبدأ الكتاب بمقدمة صغيرة شغلت من المخطوطة نحو صفحتين ، وليس فيها ما يستدعي الوقوف عنده ، فهي خطبة افتتح بها كتابه ، ولم يتعرض فيها لمنهج الكتاب او ترتيبه . وكل ما قاله في ذلك « وهو على خمسة اقسام : القسم الاول في الاسماء والثاني في الافعال والثالث في الحروف والرابع في تصريف الاسماء والخامس في تصريف الافعال » .

---

(68) انظر مقدمة المعجم ص 3 ، 6 . وقد تكلم المؤلف في اكثر من صفحتين منها عن علم النجوم واهميته ومنزلته .

(69) لم يستطع القاضي نشوان باغفاله الاشارة الى «ديوان الادب» ان يقطع هذه الصلة بينهما او يمحو معالمها . وقد فطن اليها من قديم القفطي في انباه الرواة (1 / 53) وان لم يوفق حينما اعتبر شمس العلوم شرحا لديوان الادب .

(70) الاعلام للزركلي . وقال فيه د. حسين نصار « ليست قيمته فيما يحويه من لغة وانما فيما يحويه من المعارف الاخرى » (المعجم العربي 1 / 183) .

(نظـــامـــه)

اما فى قسم الاسماء فلم يتبع نظام الابنية ولا اي نظام آخر ، وانما سلك سبيل المعاجـم المرتبـة بحسب الموضوعات فقسمه الى ابواب ، جمع تحت كل باب منها الكلمات التى تدور حول موضوع واحد، وبداه بباب جمع فيه الالفاظ الدالة على الازمنة ثـم بباب يتعلق بالسموات وصفاتها وما فيها ، ثم باب فى الارض وصفاتها وما فيها من معادن واحجار .. ثـم .. ثـم ...

ولم يكن له منهج معين فى ذكر الكلمات ، بل كان يوردها اعتباطا دون ضابط او نظـام . ولهـذا جاءت الكلمات فى الباب الاول على هذا النحو :

وقت ــ حين ــ اجل ــ اوان ــ ابان ــ دهر ــ حقـب ....

ولهذا فنحن نستبعد هذا القسـم من دائـرة بحثنـا .

اما قسم الافعال فقد اتبع فيه نظام الابنيـة ، ويتلخص منهجه فيما ياتي :

1 ــ قسم الافعال الى ثلاثة اقسام هي :

ا ــ الثلاثي المجرد

ب ــ الثلاثـي المزيـد

ج ــ الرباعـي

والحق به قسما رابعا جمع فيه (مـن غير نظام) الافعال غير المتصرفة .

2 ــ قسم كل قسم من الاقسام الثلاثة الاولى الى ابواب :

ا ــ فقسم الثلاثي المجرد بحسب ماضيه مع مضارعه الى ستة ابواب والحق بها بابا سابعا للمبني للمجهول وهو باب فعـل يفعـــل .

ب ــ اما الثلاثي المزيد فقد قسمه احد عشـر بـابـا .

ج ــ واما الرباعي فقد قسمــه الى خمســة ابواب .

3 ــ قسم كل باب من هذه الابواب الى اقسام من حيث الصحة والاعتلال . وهذه الاقسام هي :

ا ــ الصحيح (ويشمل المهموز)
ب ــ المضاعـــف .
ج ــ المعتــل الفــاء .
د ــ المعتــل العيــن .
هـ ــ المعتــل الــلام .
و ــ المعتــل الفــاء والــلام .
ز ــ المعتــل العيــن والــلام .

واحيانا يضيف اقساما اخـرى ، كـأن يفـرد للمضاعف المعتل الفاء قسما ، او يفصل بين المعتــل بالواو والمعتل بالياء .

4 ــ رتب الكلمات تحت كل قسم مــن هــذه الاقسـام ترتيبا هجائيا كترتيب الصحـاح وديـوان الادب .

اما فى تناوله للمواد ومعالجته لالفاظها ، فقد كان يميل الى الاختصار الشديد ، وكأن كل همـه يتوجه الى اثبات اللفظ وذكر تصاريفه ؛ ولذلك خلت مواده من الشواهد تماما ، ومن التفسيرات الا نادرا، وذلك كقوله « ضرب مثـلا ، وضرب فى الارض ، وضرب فى الماء ، وضرب على اذنه ، وضربه بكـذا ضربا ، وهي مضربة السيف والمضارب ، وضـرب الفحل الناقة ضرابا ، وضرب الجرح ضربانا »

ولهذا نرى من الاجحاف بديوان الادب او اي معجم آخر من معاجم الابنية ان نقارنه بهذا الكتاب من حيث المادة اللغوية .

فاذا اردنـا ان نقارن بيـن « ديـوان الادب » و « مقدمة الادب » فى النظام وجدنا بينهما تفاوتا كبيرا وفروقا جوهرية تتلخص فيما ياتي :

1 ــ الخطوة الثالثة عند الزمخشـري تقابـل الخطوة الاولى عند الفارابي مع وجـود خـلاف فى التطبيق فقد ضم الزمخشري المهموز للسالم ، وافرد له الفارابي قسما خاصا .

2 ــ الخطوة الثانية فى كتاب الفارابـي هـي الخطوة الاساسية فى كتاب الزمخشري .

3 ــ الخطوة الثالثة فى كتاب الفارابي تقابل الخطوتين الاولى والثانية فى كتاب الزمخشري .

4 ـ الخطوة السادسة فى كتاب الفارابي تقابل الخطوة الرابعة فى كتاب الزمخشري .
5 ـ الاصل الثامن فى ديوان الادب غير موجود عند الزمخشري .
6 ـ كان الفارابي يفرد اقساما خاصة لما جاءت منه الصفة على افعل فعلاء ولم يفعل الزمخشري ذلك .
7 ـ هناك خلاف فى ترتيب الابواب كما يتبين من هذه المقارنة :

ديوان الادب

الثلاثي :

1 ـ فعَل يفعُل
2 ـ فعَل يفعِل
3 ـ فعَل يفعَل
4 ـ فعِل يفعَل
5 ـ فعُل يفعُل
6 ـ فعِل يفعِل

مزيد الثلاثي :

1 ـ افعل
2 ـ فعّل
3 ـ فاعل
4 ـ افتعل
5 ـ انفعل
6 ـ استفعل
7 ـ تفعّل
8 ـ تفاعل
9 ـ افعلّ
10 ـ افعالّ
11 ـ (وضعه فى الرباعي)

الرباعي والملحق به :

1 ـ فعلل والملحق به .
2 ـ تفعلل والملحق به .
3 ـ افعنلل والملحق به .
4 ـ افعوعل .
5 ـ افعوّل
6 ـ افعللّ

مقدمة الادب

1 ـ فعَل يفعِل
2 ـ فعَل يفعُل
3 ـ فعِل يفعِل
4 ـ فعَل يفعَل
5 ـ فعِل يفعَل
6 ـ فعُل يفعُل

1 ـ افعل
2 ـ فعّل
3 ـ فاعل
4 ـ افتعل
5 ـ انفعل
6 ـ افعلّ
7 ـ افعالّ
8 ـ تفعّل
9 ـ تفاعل
10 ـ استفعل
11 ـ افعوعل

1 ـ فعلل والملحق به .
2 ـ تفعلل والملحق به .
3 ـ تمفعل .
4 ـ افعنلل والملحق به .
5 ـ افعللّ .

يضاف الى هذا وجود قسم للافعال « غير المتصرفة » فى « مقدمة الادب » دون « ديوان الادب » .

ومن هذا الجدول نستخلص ما ياتي :

1 ـ ان الزمخشري لم يكن يخضع ترتيب الابواب لنظام فى ذهنه ، وانما كان يضعها هكذا اعتباطا حيثما اتفق ، بخلاف الفارابي فكان يقدم بعض الابواب على بعض طبقا للنظام الدقيق الذى شرحه فى مقدمة معجمه سواء فى ذلك ابواب المجرد او المزيد .

2 ـ زاد الزمخشري قسما للافعال الجامدة .

3 ـ زاد الزمخشري قسما للافعال المبنية للمجهول .

4 ـ اعتبر الزمخشري بناء « افعوعل » من مزيد الثلاثي واعتبره الفارابي رباعيا .

5 ـ ذكر الزمخشري بناء « تمفعل » ولم يذكره الفارابي .

6 ـ اهمل الزمخشري بناء « افعول »

7 ـ اعتبر الزمخشري كلمات مثل « قوقا » و « جورب » و « قونس » من الرباعي المعتل العين بالواو فوزنها على هذا « فعلل » ، واعتبرها الفارابي من الملحق بالرباعي فوزنها « فوعل » .

ومن هنا نستبعد ان يكون الزمخشري قد تاثر بـ « ديوان الادب » او نظر اليه وهو يؤلف كتابه ، خاصة اذا نظرنا ـ بجانب ذلك ـ الى الفوضى التى اتسم بهاقسم الاسماء ، والا لعمل على ان يتخلص من هذه الفوضى ويضيف الى نظام الفارابي ما يتقدم بمعاجم الابنية الى الامام ، لا ما يرتد بها الى الوراء. ولهذا فنحن لا نوافق الدكتور حسين نصار فى قوله: « ان الزمخشري تأثر فى كتابه خطى الفارابي فى ديوانه ووضع كتابه على مثاله » (71) . وقوله : « ان الزمخشري فى قسم الافعال سار على نهج الفارابي مع بعض خلاف ضئيل » (72) .. فالخلاف جوهري والشقة واسعة والبون بين المعجمين شاسع .

(71) المعجم العربي 1 /181 .
(72) المرجع 1 / 182 .

اما القسم الخاص بالحروف فلا نجد له نظيرا فى ديوان الادب ، وهو مما يؤخذ على الفارابي . ومع هذا فليس لقسم الحروف فى « مقدمة الادب » اهمية كبيرة ، فهو قسم قصير جدا لم يعالج فيه الزمخشري الحروف معالجة اللغوي ، وانما عالجها معالجة النحوي الذى يبحث عن الاثر الاعرابي ولذلك كانت اقسامه :

فصل فى الحروف التى تجر الاسماء

فصل فى الحروف التى تنصب الاسماء

فصل فى الحروف التى تنصب الاسم وترفع الخبر

وغير ذلك .

فهو عمل ناقص وجهد قليل .

واما القسم الرابع الخاص بتصريف الاسماء ، **والقسم الخامس** الخاص بتصريف الافعال فيتناولان موضوعات تمس النحو والصرف كالاعراب والبناء ، والتعريف والتنكير ، والافراد والتثنية والجمع ، والتصغير ، والنسب ...

ولهذا لن نتعرض لهما لانهما بعيدان عن موضوعنا .

— * —

وبعد :

فهذه دراسة مركزة لما علمت وصوله الينا من معاجم الابنية ، ارجو ان اكون قد ارضيت بها المنهج العلمي ، ووفقت ان القي الضوء فيها على هذا الجانب من المعاجم الذي لم يلقَ من الباحثين قديمه وحديثهم العناية الكافية .

1 ـ مصادر البحث

1 ـ الافعال الثلاثية والرباعية لابن القوطية ـ ط ليدن سنة 1894 م .

2 ـ تاج المصادر لبوجعفرك (عربي) ـ مخطوطة دار الكتب المصرية .

3 ـ تاج المصادر لبوجعفرك (عربي ـ فرنسي) ـ ط حجر بالهند سنة 1330 هـ .

4 ـ ديوان الادب للفارابي ـ مخطوطات دار الكتب المصرية .

5 ـ ديوان لغات الترك للكاشغري ـ ط دار الخلافة العلية سنة 1333 .

6 ـ شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري ـ مخطوطات دار الكتب المصرية بالاضافة الى طبعتي ليدن سنة 1370 والحلبي بمصر .

7 ـ فعلت وافعلت لابي حاتم ـ مخطوطة دار الكتب المصرية .

8 ـ فعلت وافعلت للزجاج ـ ط السعادة ـ ط اولى سنة 1325 (ضمن مجموعة)

9 ـ كتاب الافعال لابن القطاع ـ ط حيدر آباد سنة 1360 ـ ط اولى

10 ـ كتاب الافعال للسرقسطي ـ مخطوطة دار الكتب المصرية

11 ـ المصادر للزوزني ـ مخطوطة دار الكتب المصرية . .

12 ـ مقدمة الادب للزمخشري ـ مخطوطات دار الكتب المصرية .

2 ـ مراجع ثانوية

1 ـ ابنية الاسماء لابن القطاع ـ نسخة مصورة بدار الكتب المصرية

2 ـ الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس ـ الطبعة الثالثة سنة 1961

3 ـ الاعلام للزركلي

4 ـ انباه الرواة على انباء النحاة للقفطي ـ ط دار الكتب المصرية

5 ـ بغية الوعاة للسيوطي ـ ط السعادة ـ ط اولى سنة 1326

6 ـ الخصائص لابن جني

7 ـ دستور اللغة لابي عبد الله الحسين بن ابراهيم النطنري ـ مخطوطة دار الكتب المصرية

8 ـ شجر الدر فى تداخل الكلام بالمعاني المختلفة لابي الطيب اللغوي تحقيق محمد عبد الجواد .

9 ـ الفارابي اللغوي وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الادب ـ مقال بمجلة معهد المخطوطات العربية نوفمبر سنة 1961 مجلد 7 جزء 2 للدكتور احمد مختار عمر

10 ـ الفن ومذاهبه فى الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف ـ ط اولى سنة 1943 .

11 ـ الفهرست لابن النديم ـ ط الرحمانية بمصر سنة 1348 .

12 ـ فى النقد اللغوي ـ مقال بمجلة رسالة الاسلام السنة العاشرة العدد 2 للاستاذ علي النجدي ناصف .

13 ـ كتاب سيبويه ـ ط بولاق سنة 1316

14 ـ كتاب العين للخليل بن احمد ـ تحقيق الدكتور عبد الله درويش ـ الجزء الاول

15 ـ كشف الظنون لحاجي خليفة .

16 ـ محاضرات فى علم اللغة للدكتور احمد مختار عمر ـ مطبعة كلية التجارة بالقاهرة 1967

17 ـ معجم الادباء لياقوت الحموي ـ ط الحلبي ـ تحقيق فريد رفاعي .

18 ـ المعاجم العربية للدكتور عبد الله درويش .

19 ـ المعجم العربي للدكتور حسين نصار ـ ط دار الكتاب العربي بمصر سنة 1956

20 ـ مقدمة الصحاح لاحمد عبد الغفور العطار ـ ط دار الكتاب العربي بمصر ـ ط اولى

21 ـ من اسرار اللغة للدكتور ابراهيم انيس ـ ط ثانية .

22 ـ النثر الفني فى القرن الرابع للدكتور زكي مبارك ـ ط دار الكتب ـ ط اولى ـ الجزء الاول .

23 ـ مقال للمستشرق كرنكو فى ملحق مجلة J.R.A.S. عام 1924 بعنوان :
The Beginnings of Arabic Lexicography

24 ــ تاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمان Brockelmann طبع Leiden (بالالمانية).

25 ــ رسالة الدكتوراة للدكتور محمد سالم الجرح المحفوظة بمدرسة لندن للدراسات الشرقية والافريقية بعنوان :
The "Ta", Infix and Prefix in Arabic

26 ــ كتاب بالانجليزية لـ Haywood بعنوان :
Arabic Lexicography

27 ــ المعجمات العربية المختلفة مثل :

أ ــ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري .

ب ــ تهذيب اللغة للازهري .

ج ــ لسان العرب لابن منظور .

د ــ القاموس المحيط للفيروزابادي .

هـ ــ الجمهرة لابن دريد .

و ــ التكملة للصاغاني .



النحت قديماً وحديثاً

الأستاذ كيفورك ميناجيان
مراسل المكتب الدائم في موسكو

النحت فى اللغة العربية ظاهرة قديمة ، وهو تكوين كلمة مركبة من كلمتين او اكثر او حتى من جملة، للدلالة على معنى مركب من معاني الالفاظ المتكونة منها (1) . والنحت نوع من الاختصار ، لجأ اليه الاقدمون ، وكان الداعي اليه عدم جواز اشتقاق كلمة من كلمتين فى اقيسة التصريف (2) . والنحت فى اللغة العربية يختلف عن مفهوم النحت فى اللغات الهند اوربية . ويبدو ان الفرق بسبب البنيان المورفولوجي المختلف للفصيلتين . وسنرى ذلك فيما بعد .

لقد كتب فى النحت كثير من علماء العرب (3) امثال : ابن فارس فى « فقه اللغة » و « المجمل » وذكر وجوهه فى كتاب « مقاييس اللغة » ؛ وابو علي الظهير فى كتاب « تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب » ؛ وابن السكيت فى « اصلاح المنطق » ، والتبريزي فى « تهذيبه » ، وابن مالك فى «التسهيل» ... الخ .

وهكذا نرى ان النحت كان معروفا للعلماء الاقدمين ، واهتموا به ، لكنهم لم يعطوه المجال لينتشر ، او يصبح معترفا به ، لان الآراء اختلفت بخصوصه ولم يتحدوا فى استنتاج واحد . فقال البعض من علماء اللغة : ان النحت يولد الفاظا غريبة على السمع معقدة ؛ وقال البعض الآخر : ان النحت ضرب من ضروب الاشتقاق ؛ وقال فريق ثالث : ان النحت قياس ؛ وقال رابع : انه مع كثرته عند العرب غير قياسي . وكان بعض علماء اللغة الاقدمين لا يبيحون النحت ، ويعتبرونه سماعيا . لكن الخليل بن احمد قال : « ان العرب تلجأ للنحت اذا كثر استعمالهم للكلمتين ضموا بعض حروف احداهما الى بعض حروف الاخرى » (4) . ولكن مهما جرى من نقاش واحاديث بخصوص هذا النوع من وسائل تكوين مفردات اللغة العربية ، لا يسعنا ان لا نتفق مع راي الدكتور رمسيس جورجس اذ يقول : « يدعى البعض ان النحت يأتينا بألفاظ غريبة على السمع ، معقدة تربك مستعطها ،

---

(1) انظر للتفصيل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي « المزهر فى علوم اللغة وأنواعها » ، الطبعة الثانية ، القاهرة — 1908 .

(2) انظر ابن دحية « التنوير » نقلا عن المزهر ، ص 483 .

(3) انظر رمسيس جرجس « النحت فى اللغة العربية » ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثالث عشر ، ص 63 .

(4) ابن منظور « لسان العرب » ، الجزء 14 ، ص 230 .

ونسوا اننا رغم تمسكنا بالدقة العلمية لا نطالب بتضحية حلاوة الجرس ، ولا باستعمال النحت فى الادب والموسيقى والفنون ، بل نشدد فى حصره فى العلوم : كالطب والكيمياء والطبيعيات والرياضيات ... الخ . فلن يخشى الادباء فساد الشعر والغناء » (5).

ولا شك ان احد اساليب تطوير اللغات الهند اوربية هو النحت على اساس قوانينها الداخلية ، فالمهم ليس الشكل بل المحتوى ، فقد انتشر النحت على طريقتها التي لا مجال لبحثها هنا ، وتمكنت من نحت مصطلحات تتكون من عشرات الاحرف وهي مقبولة لديهم وسائرة ، ونذكر على سبيل المثال :

فى الالمانية — (6) Glasfaserverstarkung
فى الروسية — (7) Glubokozadneyazitchnly
فى الفرنسية — (8) Antiautomorphisme
فى الايطالية — (9) Interriscaldamento
فى الانجليزية — (10) Octeochondrdystrophy
فى اليونانية — (11) Otorinolarigoloyia

ونحن نرى مما ذكرناه ان الالفاظ المنحوتة فى هذه اللغات الأوربية طويلة، وربما كانت ثقيلة فى النطق، ومع ذلك لا يجرؤ احد على نقدها مهما كانت مكانته العلمية ، لان الحاجة قد ادت الى ذلك ، ولم تجد هذه اللغات او بالاحرى علماؤها مخرجا آخر غير النحت فى هذه الحال . وقد ادت الحاجة باللغة العربية ايضا لتلجأ الى النحت كما قلنا سابقا ، ولكن العلماء لجأوا اليه بتحيز ولم يعطوه انطلاقا للتكاثر فى القديم ، لذلك نجد ان عدد الالفاظ المنحوتة فى اللغة العربية فى القديم حوالي مائة لفظ وربما اكثر بقليل .

وهذا النوع من توليد الالفاظ ينظر اليه فى فقه اللغة العربية التقليدي نظرة شاملة، حيث يبرز النحت، كعملية شرعية لوضع الالفاظ فى اللغة الفصحى . ومع ذلك ، فموضوع النحت فى اللغة الفصحى المعاصرة ينال تفسيرا خاصا .

لقد كتب م. ب. باناخي الاختصاصي فى اللغة العربية ، فى بحث له عن هذا الموضوع يقول انه من المسائل المتنازع عليها فى فقه اللغة العربية المعاصرة.

فيرى تعقد المسألة فى انه لم تعين حدود مسألة الالفاظ المنحوتة (12) .

ويعتبر كاتب البحث « ان المحققين هم اولئك النحاة العرب الذين يقسمون الالفاظ المنحوتة الى « مزجي » ، « اضافي » ، « اسنادي » .. » (13) . وهو يقترح اعتبارها من الالفاظ المنحوتة .

ومثل هذا التفسير لنظرة قواعد اللغة العربية ، يبعث معارضة جدية . لان النحاة العرب ، كانوا يعتبرون الشكل « المزجي » ، « الاضافي » ، « الاسنادي » وغيره من الاشكال ، كأنواع مختلفة من الالفاظ المركبة ، وليست انواعا مختلفة للنحت . وكانت تعتبر الفاظا منحوتة ، مركبات من النوع « المزجي » ، حيث لا تكون المركبات بنية نحوية نراها فى المركب « الاضافي » بل وحدة لفظية جديدة. ومهما كان من امر فهو عبارة عن تركيب كلمتين او اكثر . ولهذا السبب بالذات يعتبرها النحاة العرب « مركبات » من نوع خاص . وتنحصر ميزتها فى انها تؤدي فى اللغة وظيفة (مورفولوجية ونحوية) كالفاظ منفردة ، على خلاف الانواع الاخرى من المركبات التي هي عبارة عن بنية نحوية .

---

(5) رمسيس جرجس « النحت فى اللغة العربية » ، مجلة مجمع اللغة العربية فى ج. ع. م. ، الجزء الثالث عشر ، القاهرة ، 1961 ، ص 62 .
(6) W. Dawydoff und H. Howorka "Hochpolymere", Technik-Worterbuch. Berlin, 1969, p. 326
(7) ا. س. اخمانوفا ، معجم المصطلحات اللغوية ، بأربع لغات ، موسكو ، 1966 ، ص 109 .
(8) م. ف. دراجنيف ، م. ا. جاروف ، ن. خ. روزوف ، معجم المصطلحات الرياضية ، فرنسي — روسي ، موسكو ، 1970 ، ص 27 .
(9) ى. ب. كيرجينيفيتش ، معجم السيارات ، ايطالي — روسي ، موسكو ، 1969 ، ص 149 .
(10) م. ب. مولتانوفسكي ، ا. ى. ايفانوف ، المعجم الطبي ، انكليزي — روسي ، ط 2 ، موسكو ، 1969 ، ص 481 .
(11) خاري باتس . معجم المعاني والكتابة الصحيحةللغة المعاصرة ، اثينا ، 1965 ، ص 808 .
(12) م. ب. باناخي « عن مقاييس الالفاظ المنحوتة فى اللغة العربية » السامية ، موسكو ، 1965 ، ص ص 145 — 151 .
(13) نفس المرجع ، ص 146 .

ويجب الذكر هنا ان هناك في فقه اللغة العربية المعاصر حلا بخصوص تحديد الالفاظ المنحوتة . ويعتبر ب. م. جراندي الالفاظ المنحوتة كنوع خاص لظاهرة وضع الالفاظ . ولكنه لا يعتبر النحت من ميزات اللغات السامية ، ويؤكد ان « الالفاظ المنحوتة في اللغة العربية الفصحى نادرة جدا .. » (14) . ويبدو ان هذا المبدأ النظري مبني على اساس مواد محدودة جدا ، اي على اساس المواد القديمة دون دراسة اللغة العربية المعاصرة . ولا يجوز اعتباره مدعما ، لان الحديث يدور حول طبيعة اللغة العربية الفصحى ككل .

ويدعو للشك ايضا اعتقاد ب. م. جراندي بأن الالفاظ المنحوتة « تتكون احيانا من كلمات مركبة تحت تأثير اللهجات العامية » (15) .

ان توليد كلمات جديدة عن طريق النحت له جذور بعيدة في تاريخ تطور البنيان المورفولوجي للغة العربية الفصحى .

ونحن نقسم النحت الى نوعين : تركيب نحتي ، وتركيب مزجي ، كتصنيف بعض العلماء العرب ، وهي في رأينا ، وجهة النظر الصحيحة من حيث التصنيف المورفولوجي . والنوعان يلتقيان في معنى واحد اى استخلاص كلمة واحدة من اكثر من اصل واحد ، والفرق بينهما في طريقة هذا الاستخلاص ، فالتركيب النحتي هو استخلاص كلمة من كلمتين او اكثر باقتطاف بعض الاجزاء (قد يكون حرفا او اكثر او ربما مقطعا) . والتركيب المزجي يتم عن طريق ضم كلمتين بحيث تستعمل متجاورتين كلمة واحدة ، يكون المعنى مستخلصا من مجموع المعنيين اللذين دل عليهما الاصلان الملازمان كل منهما على حدة (16) .

يقول بعض العلماء انه ليست هناك قواعد واضحة للنحت ، اى ان الحروف تنتزع من كل كلمة لتوليد الكلمة المنحوتة . ولكن في رأينا ان هذا غير صحيح ، فمن يدرس الالفاظ المنحوتة في اللغة العربية قديما وحديثا سيجد قواعد . وقد قام بترتيب وايضاح هذه القواعد واستخلاصها في القديم الدكتور رمسيس جرجس عضو مجمع اللغة العربية في الجمهورية العربية المتحدة .

وذكرها في بحثه «النحت في اللغة العربية» (17) وهو بحث قيم جدا في الالفاظ المنحوتة قديما في رأينا ، عرضه على مجمع اللغة العربية ، وقد احيل بحثه الى لجنة الاصول لدراسته . يقول الدكتور رمسيس جرجس في بحثه . « ولم توضع النحت قواعد حتى الآن ، لذلك استقرات مناهج العرب في النحت وخرجت منها بهذه القواعد » (18) . وقد استخرج فعلا كل القواعد اللازمة للنحت في اللغة العربية قديما ، ومن يقرأ هذا البحث سيجد كل الاسس للتعمق ودراسة موضوع النحت ، لانه يدرسه ويعرضه بكل تفصيل ويذكر الامثلة اللازمة والمراجع ومتون اللغة . ولكن في رأينا انه غير كاف لسد حاجات عصرنا ، بل ايامنا هذه لانه لم يتطرق الى النحت حديثا في المصطلحات له مفهوم اوسع من النحت في اللغة (المقصود هنا مفردات اللغة) .

ونحن في بحثنا هذا سنحاول ان نذكر القواعد العامة والانواع الهامة للنحت في اللغة العربية من وجهة نظر علم المصطلحات ، وسنحاول ان نكشف الامكانيات الكامنة والاتجاهات المعاصرة لعلنا نصل الى نتيجة حميدة لتطور النحت في المستقبل . وهذه أول تجربة من نوعها في دراسة النحت حديثا ، قد تلفت نظر المختصين والمهتمين ولعله يفيد او يكون بداية لنهاية ناجحة .

النحت في اللغة العربية على انواع ومستويات تاريخية ، لذلك سنحاول تقسيمها وتصنيفها :

من حيث الزمن التاريخي :

1 — قديما
2 — حديثا

---

(14) ب. م. جراندي « الالفاظ المنحوتة في اللغات السامية » . كتاب اللغات السامية ، موسكو ، 1965 ، ص 144 .

(15) نفس المرجع ، ص ص 144 — 145 .

(16) انظر مهدى المخزومي «مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو » ، الطبعة الثانية ، القاهرة، 1958 ، ص 208 .

(17) انظر رمسيس جرجس « النحت في العربية »، مجلة مجمع اللغة العربية في ج. ع. م. ، الجزء الثالث عشر ، 1961 ، ص ص 61 — 76 .

(18) نفس المرجع السابق ، ص 63 .

من حيث النوع :

1 — تركيب نحتي

2 تركيب مزجي

وكل من هذه الانواع له تصنيفاته وتفرعاته ، ولنحاول دراسة وعرض ذلك .

نقصد بالنحت قديما ، ما نحته العرب حتى بداية عصر الكساد ، ونقصد بالنحت حديثا ما نحته العلماء في عصر النهضة الحديثة وبصورة خاصة النصف الثاني من القرن العشرين .

وما نسميه بالتركيب النحتي هو توليد كلمة من كلمتين او اكثر بحيث لا يبقى الشكل الاولى سليما من اى من الكلمات المنحوتة . وهذا على انواع .

اما ما نسميه بالتركيب المزجي فهو تركيب كلمة من كلمتين او اكثر بحيث لا تفقد اية كلمة حرفا من اصلها بل تلحق الى بعضها البعض وتكتب ككلمة واحدة . وهذا ايضا على انواع .

النحت قديما

اذا درسنا الالفاظ المنحوتة قديما في اللغة العربية ، نرى انها أما رباعي أو خماسي او سداسي أو سباعي لا غير ، وهذه ميزة يبدو انها تكون طبيعية لصعوبة قبول اللغة قديما اكثر من السباعي ، فالعرب كانوا يعتبرون ذلك ثقيلا على السمع وصعبا على اللسان . فنذكر فيما يلي امثلة من هذه الانواع :

1 — الرباعي وهو اكثرها شيوعا :

ا) تكون على وزن « فعلل »

مثل :

القصلب — القوى الصلب (19) .

ب) وعلى وزن « فعلل »

مثل :

الصلدم — الصلد والصدم ، بمعنى الشديد الحافر (20) .

2 — الخماسي ، مثل :

الصهصلق — صهل وصلق وكلاهما بمعنى الشديد من الاصوات (21) .

3 — والسداسي ، مثل :

البلهجيم — من بني الهجيم (22) .

4 — والسباعي ، مثل :

البلخبيثة — من بني الخبيثة (23) .

هذا من حيث البنية . اما من حيث النوع فهي على انواع اهمها الانواع الثلاثة التالية (24) :

1 — نحت من جملة للدلالة على التحدث بهذه الجملة . هناك في اللغة العربية جذور ، تكونت في اللغة العربية عن طريق اختصار جملة بكاملها (25) .

مثال :

بسمل — باسم الله الرحمن الرحيم

حمدل — الحمد لله

حوقل — لا حول ولا قوة الا بالله . . . الخ .

ومنها البسملة والحمدلة والحوقلة . وهذا النوع مستحدث في الاسلام .

2 — نحت من علم مؤلف من مضاف ومضاف اليه للنسب الى هذا العلم او للدلالة على الاتصال به بسبب ما ، نحو :

عبشمى — من عبد الشمس

---

(19) ابن منظور « لسان العرب » ، بيروت ، 1955 —1956 ، الجزء الثاني ، ص 171 .

(20) أبو منصور الثعالبي « فقه اللغة » ، ط 15 ،بيروت ، 1938 ، ص 578 .

(21) ابن منظور « لسان العرب » ، بيروت ، 1955 — 1956 ، الجزء الثاني عشر ، ص 76 .

(22) المرجع السابق ، الجزء الثاني ص 442 .

(23) المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص 114 .

(24) علي عبد الواحد وافي « فقه اللغة » ، القاهرة ، 1968 ، ص ص 180 — 183 .

(25) ب. م. جراندي ، « دراسة القواعد العربية على ضوء المقارنة التاريخية » ، موسكو ، 1963 ، ص ص 61 ، 62 .

عبقسى — من عبد القيس
مرقسى — من امرىء القيس .. الخ .

وهذا النوع قليل فى اللغة حصرنا منها ثمانية الفــاظ (26) .

3 — نحت كلمة من اصلين مستقلين ، او من اصول مستقلة للدلالة على معنى مركب فى صورة ما من معاني الاصول . وهذا النوع نجده بكثرة فى اللغات الهنداوربية ، وخاصة اللغات الحديثة منها ، ولكنه نادر فى فصيلة اللغات السامية بصورة عامة . ولا تختلف اللغة العربية فى هذا عن اخواتها السامية . اذ ان المفردات العربية المنتزعة من اصلين مستقلين او اصول تزيد عن اثنين ، لا تتجاوز بضع عشرات ، ومعظمها على اساس ظني . نذكر فيما يلي بعض الامثلة :

قال الخليل ان « لن » منتزعة من « لا » و « ان » وانها تضمنت بعد نحتها معنى لم يكن لاصليها .

وقال الفراء ان « هلم » من اصل « هل » (هل لك فى كذا ؟) و « أم » (بمعنى اقصد وتعال) . وقال البعض انها مركبة من « هاء التنبيه » و « لم » بمعنى ضــم .

وقال بعض العلماء ان « لكن » منحوتة من « لا » و « كان الخطاب » ، و « ان » فحذفت همزة ان وجعلت كلمة واحدة للدلالة على معنى الاستدراك (27).

وقال بعض العلماء ان كثيرا من الكلمات الرباعية والخماسية التي لا نشك فيها قد تألفت على اساس النحت (28) . فمثلا «دحرج» من اصل «دحر فجرى»، و « هرول » من اصل « هرب وولى » .. الخ .

وقد استخرج رمسيس جرجس قواعد للنحت فى العربية قديما بعد دراسة المفردات المنحوتة فى متون اللغة ، نذكرها فيما يلي بايجاز ، وحسب التصنيف التالي :

اولا — أجازوا الاخذ من كل الكلمات او بعضها.
ثانيا — يلاحظ اعتبار ترتيب الحروف الاصلية ، وما عدا ذلك فهو شاذ ، مثل :

طبلق (بتقديم الباء على اللام) من اطال الله بقاءك ، وقياسها « طلبق » ، او حوقل (بتقديم القاف على اللام) من لا حول ولا قوة الا بالله ، وقياسها حولق .

ثالثا — لايشترط التزام الحركات والسكنات الاصلية ، مثل :

بعثر : من بعث وثار .

رابعا — يصاغ من وزن فعلل ، بتكرير المقطع الاول ، مثل :

بأبأ — بأبي انت وامي .

نرى مما عرض اعلاه ان النحت كان موجودا فى اللغة ، واهتموا به ان لم يكن بكثرة وعمق . ونعتقد ان السبب يعود اولا الى العدد الضخم من المفردات التي كانت فى حوزة العلماء فى الماضي ووسائل الاشتقاق والصيغ .. الخ ، والثاني هو ان العلوم لم تكن منتشرة ومتطورة كما هي اليوم ، وبالتالي كانت متطلبات المصطلحات محدودة .

ان العالم يواجه اليوم تطورا عاصفا للعلوم والصناعات ، لذلك تقوم امامه مشكلة من اكبر مشاكل عصرنا فى وضع المصطلحات العلمية والتكنولوجية . لان العلوم والتكنولوجيا تتطور بسرعة لا يتصورها العقل وتنشق الى فروع أضيق ، الى جانب العدد الغفير من العلوم الحديثة المولد ، وكل ذلك يحتاج الى مصطلحات لا تعد ولا تحصى للتعبير عن المسميات والمفاهيم والاساليب الجديدة . وعلم المصطلحات ما زال عاجزا عن اللحاق بهذا التسارع الخطير . ونحن نعلم النتيجة التي قد نصل اليها اذا لم نسرع الى وضع ما هو ضروري من مصطلحات ، ولا شك ان العدد الكبير للمصطلحات يحتاج الى أساليب أوسع ، ويبحث العلماء طرائق ومنافذ من هذا المأزق فيلجأون الى شتى الوسائل القديمة منها والجديدة .

طبعا كل ما قلناه سابقا ينتشر على اللغة العربية ايضا كلغة حية وفى تطور مستمر ، بل مشكلة اللغة العربية اكبر ، لان التخلف العلمي والتكنولوجي بالنسبة

---

(26) وهي : عبشمى ، عبدرى ، مرقسى ، عبقسى ، قيلمى ، رسعنى ، حصكفى ، دربخى .
(27) انظر ابن فارس ، «الصاحبي»، ص ص 141 — 146 . نقلا عن على عبد الواحد وافى ، « فقه اللغة » .
(28) منهم ابن فارس . راجع الصاحبي ، ص 227 ، وحسن حسين فهمي «المرجع فى تعريب المصطلحات»، القاهرة ، 1958 ، ص 297 .

للبلدان المتطورة يزيد صعوبة المشاكل القائمة امام المصطلحات العربية . فهناك مصطلحات فى اللغات الاجنبية ـ الاوربية خاصة ـ لا مقابل لها فى العربية ، وهذا الى جانب ما يتولد يوميا بل كل ساعة من مصطلحات جديدة فى اللغات المذكورة فأصبحت احتياطات اللغة العربية من المفردات لا تكفي ولذلك يلجأ العلماء العرب والمجامع العربية الى وسائل عديدة لتوليد ووضع المصطلحات ومنها طبعا النحت . فالضرورة العلمية هي التي اجبرت العلماء وواضعي المعاجم على اللجوء الى النحت ، وخاصة وان النحت منتشر فى اللغات الاجنبية التي ينقلون منها الى العربية . بل نقول ان النحت فى اللغات الهنداوربية هو الشائع .

ان امام واضعي المصطلحات حلين : اما اللجوء الى النحت مع مراعاة ذوق اللغة ووضع قواعد لها الى جانب القواعد الموجودة ، وتطوير هذا الاسلوب ، او ان نقدم بدل المصطلحات العلمية الصحيحة ، مصطلحات وصفية او تعريفا للمصطلح يتكون من عدة كلمات بل ربما من جمل وتفسيرات مطولة تنفر منها اللغة العلمية ولا ترضى العلماء والاختصاصيين ، بل ولا تلبي الحاجة ، ثم لا يجوز ان نسميها مصطلحات ، لان المصطلح يجب ان يكون كلمة واحدة .

وقد الحت الضرورة العلمية فى عصرنا على اللجوء الى النحت ووضع واستنباط انواع جديدة له من اجل تلبية الحاجات المتزايدة للعلم والتكنولوجيا ، ولا سيما اللحاق بتطور اللغات الاجنبية فى مجال المصطلحات وخاصة المصطلحات المنحوتة التي تضم اكثر من اصل واحد . ولذلك اتخذ مجمع اللغة العربية فى الجمهورية العربية المتحدة قرارا (29) بهذا الخصوص جاء فيه : « يجوز النحت عندما تلجىء اليه الضرورة العلمية » (30) . ومع ان القرار يحمل طابعا فيه شيء من التحيز ، الا ان علماء عصرنا تصرفوا فيه وطوروه مع انه ما زال ضعيفا ، ونحن نأمل انها البداية وفيما بعد سيجد النحت طريقا يشقه من بين وسائل انماء وتطوير المصطلحات فى اللغة العربية ، على شرط ان يستخدم بصورة صحيحة مقبولة ولا تتنافى مع قواعد اللغة العربية وذوقها . وهنا نذكر ان الحديث يجري عن تطوير المصطلحات العلمية فى اللغة العربية وليس اللغة الادبية .

لا شك ان الحياة تجبر وستجبر الاختصاصيين على استخدام وتوسيع النحت مع ان هناك معارضة لا مبرر لها . فمثلا لجأ الى النحت الامير مصطفى الشهابي الرئيس السابق للمجمع العلمي العربي فى دمشق وعضو مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، وهو يعتبر من رواد تطوير المصطلحات العلمية فى اللغة العربية ومن علماء المعجمات فى العالم العربي ، لكنه كان حذرا فى ذلك لدرجة انه اضطر الى معارضة نفسه او التردد فى ابداء الرأي بهذا الخصوص . فيقول الامير الشهابي فى كتابه « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » : « لم الجأ الى النحت الا نادرا »(31) مثل :

لبأرز — من لبنان وارز (32)

تحترية — من تحت والتربة (33)

ومع ان الامير مصطفى الشهابي يقول انه لم يلجأ للنحت الا نادرا نراه يقول فى نفس الصفحة من كتابه : « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » : « ونحن فى حاجة الى النحت فى ترجمة بعض الاسماء العلمية . ولكن النحت يحتاج الى ذوق سليم خاص » (34) .

وللنحت معارضون ومؤيدون ، فالبعض رأى فى قرار مجمع اللغة العربية اباحة للنحت ، فراحوا يكثرون من النحت على حسب مشيئتهم دون تعمق . والبعض يتزمت له ولا يسمح به الا نادرا فى الحديث. وهناك فريق ثالث يضع النحت بلا قيود وشروط

يقول مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي فى الجمهورية العربية السورية وعضو مجمع اللغة العربية فى الجمهورية العربية المتحدة ، فى بحث

---

(29) صدر القرار فى الجلسة الحادية عشرة ، الثانية عشر للدورة الرابعة عشرة من مؤتمر مجمع اللغة العربية فى ج. ع. م.

(30) مجمع اللغة العربية ، مجموعة القرارات العلمية ، القاهرة ، عام 1963 ، ص 9 .

(31) مصطفى الشهابي « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » ، دمشق ، 1965 ، ص 18 .

(32) مصطفى الشهابي « معجم الالفاظ الزراعية » ،القاهرة ، 1957 ، ص 390 .

(33) المرجع السابق ، ص ص 607 ، 611 .

(34) مصطفى الشهابي « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » ، ص 18 .

له بعنوان « مدى النحت فى اللغة العربية » : ان البعض ممن لم يختصوا بعلم ولم يطلعوا كما يجب على خصائص اللغة العربية ينحتون الفاظا عجيبة لا تقبلها النفس ولا السمع ، وخاصة وان لها نظائر فى اللغة معمولا بها ، منها مثلا :

غشجنيات hyménoteres والمستعمل غمديات الاجنحة

او قبتاريخ préhistoire والمستعمل قبل التاريخ (35)

طبعا ، لا يصح ان نستنتج مما قلناه ان مصطفى الشهابي يمنع النحت منعا قاطعا ، بل ينتقد بعض المؤلفين الذين يلجأون اليه بلا ضرورة ، « فكل من يعاني وضع المصطلحات بالعربية يعرف اننا بحاجة الى النحت ... » (36)

وهنا نذكر ان الاختصاصيين العرب يلجأون عادة الى اللغات الاجنبية ليضعوا المصطلحات العربية (وخاصة اللغات الاوربية ، مثل : الانجليزية والفرنسية .. الخ) . ونحن نعلم انالبنيان المورفولوجي للغات المذكورة التي يستعير منها العرب يسمح بأن يضم المصطلح المتكون من لفظ واحد عدة عناصر اصطلاحية . ونقل هذه العناصر الداخلة فى لفظ واحد الى العربية معناه ان يترجم كل عنصر الى لفظ عربي . فتكون النتيجة ان مصطلحا يتكون من عنصرين اصطلاحيين فى لفظ واحد ، سينقل الى العربية بلفظين ، واذا كان المصطلح من ثلاثة عناصر اصطلاحية فى لفظ واحد فسينقل الى العربية بثلاثة الفاظ ، وهلم جرا . مثال على ما ذكرناه :

كان سينقل — بترولي كيميائي

ولكن المستعمل — بتروكيمائي (37) .

كان سينقل = قصبى رسفى قدمى —

ولكن المستعمل = قصبر سفقدمى (38) .

ولا شك ان اللجوء الى النحت يسهل النسب الى المصطلح او اشتقاق نظام كامل للمصطلح . ونعتقد ان الدافع الى اللجوء الى النحت هو تهرب العلماء من وضع المصطلحات المطلوبة التي تتكون من عدة الفاظ ، متأثرين فى ذلك ببنيان المصطلحات فى اللغات الهنداوربية .

ونذكر هنا ان طول المصطلح يعتبر من العيوب الجدية فى كل اللغات . فلقد جاء فى كتاب « كيف نعالج المصطلحات العلمية والتكنولوجية » فى فصل عيوب المصطلحات : « اولا ، يختل الاقتصاد النطقي وبالتالي الاقتصاد الفكري . ثانيا : تظهر امكانية السقوط : فعندما يكون المصطلح طويلا جدا يحدث سقوط الالفاظ البينية او الاخيرة للعناصر الاصطلاحية » (39) .

لذلك فالنحت اليوم ضرورة ملحة ، تدفعنا اليه الحاجة العلمية والتطور العاصف للعلم والتكنولوجيا والترجمة العاصفة للمؤلفات العلمية والتكنولوجية الى العربية . والدليل القاطع على هذه الضرورة الملحة ، هو ان الكثير من العلماء العرب والمستشرقين قد لجأوا الى النحت على اختلاف اشكاله ، ووضعوا مصطلحات منحوتة فى المعاجم الحديثة ، وقلما نجد معجما حديثا يكون خاليا من المصطلحات المنحوتة ، نذكر منها مثلا :

— مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها مجمع اللغة العربية .
— مصطلحات علمية ، لمحمد صلاح الدين الكواكبي، دمشق ، 1956 .
— معجم الجيولوجيا ، لمجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1965 .

(35) مصطفى الشهابي « مدى النحت فى اللغة العربية » ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، 1959 ، المجلد 34 ، الجزء الرابع ، ص ص 545 — 554 .
(36) المرجع السابق ، ص 48 .
(37) القطاع الحكومي للبترول « البترول فى الجمهوية العربية المتحدة » ، القاهرة ، 1960 ، ص 425 .
(38) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البرعي ، حسن محمد ريحان « معجم المصطلحات العلمية»، القاهرة ، 1965 ، ص 202 .
(39) لجنة المصطلحات العلمية والفنية لدى اكاديمية العلوم السوفييتية . « العمل فى مجال المصطلحات» موسكو ، 1968 ، ص 12 .

— معجم المصطلحات العلمية ، لعبد العزيز محمد ومحمود عبد الرحمن البرعي ، وحسن محمد ريحان ، القاهرة ، 1965 .

— معجم المصطلحات الفنية ، القوات المسلحة ، ج. ع. م. ، القاهرة ، 1967 .

— المورد ، لمنير البعلبكي ، بيروت ، 1969 .

— معجم الالفاظ العلمية ، شركة شل ، بيروت ، 1960 .

— معجم الالفاظ الزراعية ، مصطفى الشهابي ، القاهرة ، 1957 .

وغيرها الكثير من المعاجم التي لا مجال لذكرها الآن .

وفى راينا انها ناجحة وتلبي متطلبات العلوم ولا تسيء الى اللغة العربية الا فى عدد ضئيل منها ، نعتقد ان نحتها لا مبرر له مثال :

عبشم (40) : بدل « عباد الشمس » ، ذلك النبات المشهور بهذا الاسم .

قوزح (41) : « قوس قزح » المشهور قديما وحديثا .

ومما يجعل النحت فى زيادة مستمرة هو ان الكثير من المصطلحات الاجنبية التيينقلون او يترجمون منها منحوتة فى الأصل . ولكيلا تحدث اخطاء أو فوضىفى اسلوب وضع المصطلحات المنحوتة ، يجب على المختصين ان يضعوا قواعد ثابتة ليلجأ اليها كل من يهتم بالنحت .

وسنقوم الآن بدراسة تحليلية للمصطلحات المنحوتة حديثا ، لتصنيفها وترتيبها وايجاد اصول وقواعد للاساليب والاتجاهات التي يتبعها المحدثون فى ايامنا ، لان المختصين قد درسوا النحت قديما ولكنهم لم يدرسوه حديثا .

النحت حديثا

النحت حديثا على نوعين :

1 — التركيب النحتي
2 — التركيب المزجي

التركيب النحتي :

فى الحديث هو توليد مصطلح مركب من كلمتين أو اكثر تشترك فيه كل الالفاظ المنحوتة منها ، ويقتصر على المصطلحات التعريفية المركبة ولا تشترك فيه جمل من اربع او خمس او ست كلمات ، وتشترك فى اللفظة المنحوتة جميع الكلمات ، على خلاف النحت قديما .

ونرى بعد دراسة الالفاظ المركبة نحتا فى الحديث انها على انواع مختلفة ، لذلك سنحاول تصنيفها من حيث الاصل والبنيان كالتالي :

1 — تركيبها من حيث الاصل
2 — تركيبها من حيث البنيان

تركيبها من حيث الاصل : — هو تصنيفها حسب اصل الكلمات المنحوتة منها وهي على ثلاثة انواع :

1) التركيب النحتي الخاص —

عندما تكون الكلمات المنحوته منها من اصل عربي ، مثل : لبارز (من لبنان + رأز) .

2) التركيب النحتي الخليط —

عندما تكون الكلمات المنحوتة منها من اصل عربي ودخيل ، مثل : كهرمغنطيسي (من كهرباء + مغنطيسي) .

3) التركيب النحتي الدخيل —

عندما تكون الكلمات المنحوتة منها دخيلة مثل : ايدروجيولوجيا (من ايدروليكي + جيولوجيا) تركيبها من حيث البنيان : هو تصنيفها ووضع صيغ لها ينطبق بنيانها مع الصيغ على اختلاف أشكالها . وهذا النوع على شكلين :

الاول — غير متناسق ، اى ان الحروف المأخوذة من الالفاظ المنحوتة منها على غير انتظام معين من حيث تركيبها فى الكلمة ، لذلك حاولنا ان نطبق صيغا خاصة بها للاهتداء . ومن هذا النوع ، ذو عنصرين ، ذو ثلاثة عناصر .

(40) محمد صلاح الدين الكواكبي ، مصطلحات علمية ، دمشق ، 1956 ، ص 145 .
(41) المرجع السابق ، ص 89 .

1 — الرباعي :

ا) على وزن « فعمل »

فعل + فعل = فعـ ... + ... ـعل ، مثال :

خلسل (42) = خل + عسل (خ ل ل + ع س ل) oxymel

ب) على وزن « فعمل » ولكن من :

فعل + فاعل = فعـ ... + ... ـعل ، مثال:

جوئل (43) = جوز + مائل (ج و ز + ما ئ ل) datura

جـ) على وزن « فعمل »

فعالة + فعل = فعـ ... + ... ـعل ، مثال:

حثمر (44) = حثالة + خمر (ح ث ا ل ة + خ م ر) vinasse

د) على وزن « فلفع »

فعل + فعل = ف ... ل + فع ... ، مثـال :

عنشم (45) = عين + شمس (ع ي ن + ش م س) opale

هـ) على وزن « فعفع »

فعل + فعال = فعـ ... + فع ... ، مثال :

شبزج(46) = شبه + زجاج (ش ب ه + ز ج ا ج) hyaloïde

2 — الخماسي :

ا) على وزن « تفاعل »

تفاعل + تفعل = تفا ... + ... عل ، مثال :

تشاكب (47) = تشابه + تركب (ت ش ا ب ه + ت ر ك ك ب) homologie

ب) على وزن « مفعمل »

مفعل + مفعل = مفعـ ... + ... عل ، مثال :

مقيهل (48) = مقيء + مسهل (م ق ي ء + م س ه ل) eméto-cathartique

جـ) على وزن « فعللة »

فعل + فعللة = فعل + ... لة ، مثال :

خزلدة (49) = خزل + اكسدة (خ ز ل + ا ك س د ة) oxydo-réduction

د) على وزن « تفعفع »

تفعل + فع = تفعـ ... + فع ، مثال :

تحلدم (50) = تحلل + دم (ت ح ل ل + د م) hémolyse

هـ) على وزن « فعفيل »

فعل + فاعيل = فعـ ... + ف ... يل،مثال:

غوميل (51) = غول + مائيل (غ و ل + م ا ئ ي ل) alcooxy

و) على وزن « فعفعل »

فعل + افعل = فعـ ... + ... فعل ، مثل :

سمرقط (52) = سمك + أرقط (س م ك + ا ر ق ط) truite

ز) على وزن « فعفعل »

فعل + فعل = فعـ ... + ... ـعل ، مثل :

حلمر (53) = حلو + مر (ح ل و + م ر ر) douce-amère

---

(42) محمد صلاح الدين الكواكبي « مصطلحات علمية » ، الطبعة السابعة ، دمشق ، 1956 ، ص 111
(43) المرجع السابق ، ص 49 .
(44) المرجع السابق ، ص 150 .
(45) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 111 .
(46) المرجع السابق ، ص 82 .
(47) المرجع السابق ، ص 81 .
(48) المرجع السابق ، ص 63 .
(49) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 111 .
(50) المرجع السابق ، ص 79 .
(51) المرجع السابق ، ص 17 .
(52) المرجع السابق ، ص 147 .
(53) المرجع السابق ، ص 58 .

جـ) على وزن « فعفعل »

فعل + فعل = فعـ ... + فعل ، مثل :

رجوز (54) = رجل + وز (ر ج ل + و ز ز) chénopode

3 — السداسي :

أ) على وزن « متفاعل »

متفاعل + مفتعل = متفا ... + ... عل، مثل:

متماصف (55) = متماثل + منتصف (م ت م ا ث ل + م ن ت ص ف) mésomère

وكذلك على وزن « متفاعل »

متفاعل + متفاعل = متفا ... + ... عل،مثل:

متماثر (56) = متماثل + متكاثر (م ت م ا ث ل + م ت ك ا ث ر) polymère

ب) على وزن « مفعملة »

مفعلة + مفعلة = مفعـ ... + ... علة ، مثل:

محوجعة (57) = محولة + مرجعة (م ح و ل ة + م ر ج ع ة) transformateur-réducteur

جـ) على وزن « فعلميل »

فعل + فعيل = فعلـ ... + ... ـعيل، مثل:

غولثير (58) = غول + اثير (غ و ل + ا ث ي ر) alcool-éther

وكذلك على وزن « فعلعيل »

فعل + فاعيل = فعلـ ... + ... ـعيل،مثل:

حمضئيل (59) = حمض + مائيل (ح م ض + م ا ئ ي ل) acide-alcool

د) على وزن « فلعليل »

فعل + فعليل = فـ ... ل + ... عليل ، مثل:

شمنزير (60) = شحم + خنزير (ش ح م + خ ن ز ي ر) axonge

هـ) على وزن « فعللون »

فعل + فعلون = فعلـ ... + ... لون ، مثل:

حمضلون (61) = حمض + خلون (ح م ض + خ ا ل و ن) acide-cétone

و) على وزن « فعملان »

فعيل + فعلان = فعـ ... + ... ـعلان،مثل

دميوان (62) = دمي + حيوان (د م ي + ح ي و ا ن) hématozoaire

4 — السباعي :

أ) على وزن « فعلمليل »

فعل + فعليل = فعلـ ... + ... عليل،مثل:

فحمائيل (63) = فحم + مائيل (ف ح م + م ا ئ ي ل) carboxyle

5 — الثماني :

أ) على وزن « فاعفلية »

فاعلة + فعلية = فاء ... + ف ... لية ، مثل :

شارسبية (64) = شاردة + سلبية (ش ا ر د ة + س ل ب ي ة) anion

ب) على وزن « فعمليات »

فعيل + فعوليات = .. + .. هـ .. ليات،مثل:

---

(54) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ؛ ص 440 .

(55) المرجع السابق ، ص 99 .

(56) المرجع السابق ، ص 116 .

(57) المرجع السابق ، ص 146 .

(58) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ؛ ص 16 .

(59) المرجع السابق ، ص 9 .

(60) المرجع السابق ، ص 27 .

(61) المرجع السابق ، ص 10 .

(62) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ؛ ص 78 .

(63) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « الكيمياء الطبية » ، جامعة دمشق ، 1955 ؛ ص 120 .

(64) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ؛ ص 22 .

شبلريات (65) = شبيه + بلوريـات (شـ بـ يـ ه + بـ ل ل و ر يـ ا ت) cristalloïdes

ذو ثلاثـة عناصـر :

1 — الثمـانـي :

أ) على وزن « لا متفافع »
لا + متفاعل + فعل = متفا .. + فع ..، مثل:

لا متشاجه (66) = لا + متشابه + جهة (لا + م ت شـ ا بـ ه + ج هـ ة) anisotrope

الثاني — متناسق ، لم نضع له صيغا لانه منتظم، فيؤخذ بعض احرف الكلمة الاولى بشكل مرتب (متوالي) ثم يلحق بالكلمة الثانية التي تبقى سليمة ، وتصبح الاحرف المأخوذة من الكلمة الاولى بمثابة صدر . ويمكننا ان نسميه بالتركيب المزجي الناقص. ويكون على انواع ، حصرنا منها :

من عنصرين — يؤخذ حرفان من الكلمة الاولى ، وتكونان عادة ظرف مكان ، وتبقى الثانية سليمة مثل :

تحتربة (67) = تحت + تربة sous-sol

فوجزيئي (68)) = فوق + جزيئي supermoléculaire

دومجهري (69) = دون + مجهري submicroscopique

ب) من عنصرين — تؤخذ ثلاثة احرف من الكلمة الاولى ، وتبقى الثانية سليمة ، مثل :

كهرضوئي (70) = كهربائي + ضوئي

جيوفيزيائي (71) = جيولوجي + فيزيائي

جـ) من عنصرين — تؤخذ اربعة احرف من الكلمة الاولى وتبقى الثانية سليمة ، مثل :

كيميفيزياء (72) = كيمياء + فيزياء

بتروكيميائي (73) = بترولي + كيميائي

د) وهناك الفاظ منحوتة لا قاعدة واضحة لهـا ولا نظام بل تنحت على السمع (سمعا) وفق ذوق الواضع ، مثل :

صيرفي (74) = صيفي + خريفي estivo-automnal

بلمهة (75) = بلا + ماه anhydridiser

بلغز (76) = بلا + غاز dégazer

حلماة (77) = حلل + بالماء acetolyse

مافوسجية (78) = ما + فوق + بنفسجية ultra-violet

وغيـر ذلـك .

---

(65) المرجـع السابـق ، ص 48 .
(66) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحـات علمية » ، ط 7 ، دمشق 1956 ، ص 22 .
(67) مصطفى الشهابي ، « معجم الالفاظ الزراعية » ،ط 2 ، القاهرة ، 1957 ، ص ص 607 ، 611 .
(68) منير البعلبكي « المورد » ، ط 2 ، بيروت ، 1969 ، ص 932 .
(69) المرجـع السابـق ، ص 923 .
(70) طاهر تريدار ، « امتصاص الضوء » ، اسبوع العلم الاول ، نيسان 1960 ، الكتاب الثاني ، القاهرة ، 1961 ، ص 140 .
(71) كيفورك ميناجيان ، « المعجم الفني » ، روسي — عربي ، موسكو ، 1967 ، ص 42 .
(72) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، دمشق ، 1956 ، ص 41 .
(73) منير البعلبكي ، « المورد » ، بيروت ، 1969 ، ص 678 .
(74) صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية »،دمشق ، 1965 ، ص 66 .
(75) المرجـع السابـق ، ص 21 .
(76) المرجـع السابـق ، ص 52 .
(77) منير البعلبكي ، « المورد » ، بيروت ، 1969 ، ص 441 .
(78) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « الكيمياء الطبية » ، دمشق ، 1954 ، ص 97 .

التركيـــب المزجـــي

هو توليد مصطلح من مصطلحين أو اكثـــر دون حذف اى حرف من الاحرف الاصلية ، بل عن طريق ضمها الى بعضها البعض لتصبح بمثابة كلمة واحدة من حيث النطق والكتابة (الاملاء) وذلك لسهولة النسب اليها واختصار وقت النطق والتفكير . وهـــذا على اصنـــاف :

1 . تركيب مزجي خاص ــ عندما تكون كل العناصر عربية .

2 . تركيب مزجي مختلط ــ عندما يكـــون بعض العناصر عربية والبعض الآخر اجنبيا .

3 . تركيب مزجي دخيل (79) (مستعار) ــ عندما يكون كل العناصر دخيلة ، اى اعجمية .

1 . التركيب المزجي الخاص

يتكون من مختلف أنواع العناصر :

ا ــ من اسمى عين : انفبلعوم (80) = انف + بلعوم

ب ــ من اسم عين واسم النسبة : ذقنقاعـدي (81) = ذقن + قاعدي .

جـ ــ من ظرف مكان واسم عين : حولغضروف (82) = حول + غضروف

د ــ من ظرف مكان واسم النسبة : خلفمحوري (83) = خلف + محوري

هـ ــ من اسمى النسبة :

هذا النوع له رسمان :

الاول ـــ العنصران ملحقان مع بعض ككلمـة واحدة ، مثل :

خلفيقلبي (84) = خلفي + قلبي postcardiac

الثاني ـــ غير ملحقين مع بعض ، ويبـدو السبب ان المصطلح المنقول منه يتكون مـن عنصرين تفصلهما شرطة ، مثل :

ظهري جداري (85) = ظهري + جداري dorso-pariétal

و ــ تركيب مزجي اضافي : هذا النوع يتكـون من مضاف ومضاف اليه وله رسمان :

الاول ـــ العنصران ملحقان مـع بعضهمـا البعض ككلمة واحدة ، مثل :

نصفكرة (86) = نصف + كرة

الثاني ـــ غير ملحقين ببعضهما البعض ، ويبدو السبب ان المصطلح المنقول منـه من عنصرين تفصلهما شرطة فى اللغة الاجنبية ، مثل :

نصفسطيح (87) = نصف + سطيح

ز ــ من اسمى عين واسم النسبة :

قصبرسغقدمى (88) = قصب + رسغ + قدمى
ulnometacarpalis

---

(79) يكون هذا النوع عادة معربا .

(80) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البـرعي ، حسن محمد ريحان،«معجم المصطلحات العلمية»، القاهرة ، 1965 ، ص 263 .

(81) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البـرعي ، حسن محمد ريحان،«معجم المصطلحات العلمية»، القاهرة ، 1965 ، 157 .

(82) نفـس المرجـع ، ص 281 .

(83) نفـس المرجـع ، ص 288 .

(84) منير البعلبكي ، « المورد » ، ط 2 ، بيروت ،1969 ، ص 711 .

(85) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البرعي ، حسن محمد ريحان،«معجم المصطلحات العلمية»، القاهرة ، 1965 ، ص 202 .

(86) المرجـع السابـق ، ص 228 .

(87) المرجـع السابـق ، ص 196 .

(88) المرجـع السابـق ، ص 321 .

ح ـ من لا واسم النسبة :

لا تزامني (89) = لا + تزامني asynchronous

ط ـ من لا ومصدر صناعي :

ا) لادورية (90) = لا + دورية aperiodicity

ب) لا اخدوديات (91) = لا + اخدوديات aglyphodontes

وهذا النوع للدلالة على اسم الجنس او التصانيف

ى ـ من اسم عين ومصدر صناعي فى شكل جمع مؤنث سالم وهو للدلالة على اسم الجنس أو التصانيف .

راسحبليات (92) = راس + حبليات cephalochordata

2 . التركيب المزجي المختلط

هذا النوع من التركيب المزجي يكون مختلطا بين عناصر عربية وعناصر اعجمية للدلالة على مسميات وأنواع خاصة من المادة او الجنس او الدلالة على العلم . وهو على صنفين :

1 — طبيعي

2 — شاذ

الطبيعي :

يكون سليما لا نواقص او زوائد فى بنيان المصطلح وهو بدوره على نوعين :

1) من عنصرين :

1 — عربي + اعجمي

صوفين (93) = صوف + ين lanoline

كبريتات (94) = كبريت + ات sulphate

نحاسوز (95) = نحاس + وز cupperous

كبريتيك (96) = كبريت + يك sulphuric

كائنتلوجيا (97) = كائن + لوجيا antologie

2) من ثلاثة عناصر :

من عنصرين عربيين + عنصر اجنبي عبارة عن كاسعة ، مثل :

سمدمين (98) = سم + دم + ين hémotoxine

الشاذ :

يختلف عن الانواع المذكورة سابقا بانه من عنصرين ، عربي واعجمي وشذوذه فى ان حرفا قد يسقط او يضاف تسهيلا للنطق او لاسباب مورفولوجية اخرى ، وهو على ثلاثة اصناف :

1 — تركيب مزجي ناقص :

اسطورلوجيا = اسطورة + لوجيا mythologie

2 — تركيب مزجي شبه مدغم :

جمالوجيا = جمال + لوجيا esthétique

---

(89) كيفورك ميناجيان ، معجم الهندسة الميكانيكية ، موسكو ، 1968 ، ص 16 .
(90) القوات المسلحة فى ج. ع. م. ، «المعجم الفني» ، القاهرة ، 1967 ، ص 34 .
(91) مصطفى الشهابي ، « معجم الألفاظ الزراعية »، القاهرة ، 1957 ، الطبعة الثانية ، ص 18 .
(92) منير البعلبكي ، « المورد » ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1969 ، ص 163 .
(93) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، دمشق ، 1956 ، الطبعة السابعة ، ص 93 .
(94) حبيب اسكندر ، عبد الفتاح محمد ، « الكيمياء للمرحلة التوجيهية » ، القاهرة ، 1946 ، الجزء الثاني .
(95) المرجع السابق ، ص 98 .
(96) المرجع السابق ، ص 82 .
(97) محمد عزيز الحبابي ، « من الكائن الى الشخص » ، ص 57 ، نقلا عن مصطفى الشهابي ، « سوانح فى اللغة والمصطلحات » ، البحوث والمحاضرات ، الدورة 31 ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1964 — 1965 ، ص 29 .
(98) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 80 .

3 — تركيب مزجي زائد :

فكرولوجيا = فكر + و + لوجيا (99)
idéologie

ونرى فى الاصناف المذكورة ان الاول قد حذف منه حرف تاء التأنيث ليكون نطق وكتابة المصطلح اكثر ملاءمة كما يبدو ، والثاني ، حذف منه الحرف المزدوج (ل) وطبعا لتسهيل نطقه وكتابته ، والثالث أضيف اليه حرف (و) وهو من تأثير المصطلح الاعجمي حيث حرف الوصل (ه) ولسهولة نطقه لكيلا يتقابل حرفان مسكونان كما يبدو . وفى راينا ان هذا النوع لا مبرر له وعديم الذوق .

3 . التركيب المزجي الدخيل :

هذا النوع نشأ نتيجة تعريبه ، فكان فى اصله تركيبا مزجيا اعجميا ، وبعد استعارته اصبح تركيبا مزجيا فى العربية والأصح انه يعود الى انواع التعريب، ولكننا ندرسه الآن من حيث البنيان المورفولوجي . وهذا النوع على صنفين وقد يكون اكثر .

1 — مكون من عنصرين ، مثال :

امبرمتر (100) = امبر + متر amperemeter

فولتمتر (101) = فولت + متر voltmeter

فوسفوريك (102) = فوسفور + يك
phosphoric

2 — مكون من ثلاثة عناصر ، مثال :

ميكروباروغراف(103) = ميكرو + بارو+غراف
microbarograph

ميكروليكوبلاست(104) = ميكرو+ليكو+بلاست
microleukoblast

وهناك الفاظ منحوتة من عناصر أجنبية عديدة ، نتيجة تعريب المصطلح المركب ، وتكون عادة مسميات لمركبات كيميائية معقدة ، نتحدث عنها فى باب التعريب .

وبدأ النحت ينتشر اكثر فأكثر فمثلا نجده ليس فقط فى المعاجم ، بل كذلك فى المؤلفات ومنها الدراسية ، مثال على ذلك اننا نجد فى كتاب «الكيمياء الطبية » (105) وهو كتاب دراسي لكلية الطب فى جامعة دمشق عددا ضخما من المصطلحات المنحوتة تأخذ بالانتشار اكثر فأكثر ، منها : اللامتحالات ، تتحوصب ، الكهرليات ، الشارجابي ، الشارسبي ، الفحمائيل ، مائيل ، الفولاز ، المافوسجية .... الخ .

اما بخصوص المعاجم ، فنرى فى « المورد » (انجليزي — عربي) لمنير البعلبكي (106) ، وهو معجم معاصر يستحق الثناء والتقدير لانه وضع على أسس علمية تستجيب لمتطلبات العصر (107) ، وقد لجأ الى النحت لدى الحاجة . وطبعا كثر النحت فى المصطلحات الطبية والنباتية والاحيائية حيث المصطلح الاجنبي يتألف من عدة عناصر اصطلاحية .

كما سنجد النحت ولو بقلة فى مجموعات المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها مجمع اللغة العربية فى ج. ع. م. ، وكذلك فى مجلة « اللسان العربي » التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب فى العالم العربي لدى جامعة الدول العربية فى الرباط .

وكل هذا يعطي الاسس لنقول ان النحت ضرورة تلح عليها الحاجة العلمية لا مفر منها ، وانه يفتح طريقه

(99) الشهابي ، « سوانح فى اللغة والمصطلحات » ، ص 29 .
(100) الياس مرعى دفونى ، « الدليل الميكانيكي والكهربائي » ، بيروت ، 1948 ، ص 105 .
(101) روبرت روزنبرج — ترجمة محمد احمد قمر ،« اصلاح المحركات الكهربية » ، الجزء الثاني ، القاهرة ، 1962 ، ص 43..
(102) حبيب اسكندر ، عبد الفتاح محمد ، « الكيمياء للمرحلة التوجيهية » ، القاهرة ، 1946 ، ص 26 .
(103) القوات المسلحة فى ج. ع. م. ، « معجم المصطلحات الفنية » ، انجليزي — عربي ، القاهرة ، 1962 ، ص 463 .
(104) ميلاد بشاى ، « المعجم الطبي الحديث » ، انجليزي — عربي القاهرة ، 1967 ، ص 314 .
(105) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « الكيمياء الطبية » ، جامعة دمشق ، ص ص 29 — 172 .
(106) انظر « المورد » لمنير البعلبكي ، قاموس انجليزي — عربي ، ط 2 ، بيروت ، 1969 .
(107) مدح لي هذا المعجم ونصحني ان احصل عليه واستفيد منه فى وضع المعاجم الدكتور ابراهيم بيومي مدكور الامين العام لمجمع اللغة العربية فى ج. ع. م. فى اثناء حديثي معه فى المجمع .

أكثر فأكثر مهما كانت العقبات أمامه ، ويحتل مكانا هاما فى وضع المصطلحات العربية بعد النقل والاشتقاق والتعريب .

ومن دراستنا وتحليلنا للنحت فى اللغة العربية نستنتج ان هناك نوعين من النحت :

1 — التركيـــب النحتـــي

2 — التركيـــب المزجـــي

وبعد دراسة النحت فى اللغة العربية المعاصرة من حيث البنيان المورفولوجي نستخلص الانـــواع التالية مع وضع صيغ مشتركة لها ، لنصل الى قواعد معينـــة :

التركيـــب النحتـــي

الانواع الاساسية للتركيب النحتي

1 تركيب نحتي خاص

2 تركيب نحتي خليط

3 تركيب نحتي دخيل

1 ـ ذو عنصرين 2 ـ ذو ثلاثة عناصر

1 . ذو عنصريـــن

الاول : غير متناسق ويكون :

رباعيا ، خماسيا ، سداسيا ، سباعيا ، ثمانيا .

الـربـاعـــي :

ا) فعمل (فعل + فعل) فعـ ... + ... ـعل

ب) فعمل (فعل + فاعل) فعـ ... + ... ـعل

جـ) فعمل (فعالة + فعل) فعـ ... + ... ـعل

د) فلفع (فعل + فعل) ف ... ل + ... فع

هـ) فعفع (فعل + فعال) فعـ ... + ... فع

الخمـاســـي :

ا) تفاعل (تفاعل + تفعل) تفا ... + ... عل

ب) مفمعل (مفعمل + مفعل) مفمـل ... + ... عل

جـ) فعللة (فعل + فعللة) فعـ ... + ... لة

د) تفعفع (تفعل + فع) تفعـ ... + فع

هـ) فعفيل (فعل + فاعيل) فعـ ... + ف ... يل

و) فعفعل (فعل + افعل) فعـ ... + ... فعل

ز) فعفعل (فعل + فعل) فعـ ... + ... ـعل

حـ) فعمعل (فعل + فعل) فعـ ... + فعل

الســداســـي :

ا) متفاعل (متفاعل + مفتعل) متفا ... + .. عل

ب) مفعملة (مفعلة + مفعلة) مفعـ ... + .. ـعلة

جـ) فعلعيل (فعل + فعيل) فعا ... + ... ـعيل
وكذلك فعلعيل (فعل + فاعيل) ... + ـعيل

د) فلعليل (فعل + فعليل) ف ... ل + ... ـعليل

هـ) فعللون (فعل + فعلون) فعا ... + ... لون

و) فعملان (فعيل + فعلان) فعـ ... + ...علان

السبــاعـــي :

ا) فعلعليل (فعل + فعليل) فعا ... + ... عليل

الثمــانـــي :

ا) فاعفلية (فاعلة + فعلية) فاء ... + ف .. لية

ب) فعمليات (فعيل+فعوليات)فعـ ..+.. ـه .. ليات

2 . ذو ثلاثة عناصـــر

الثمــانـــي :

1) لا متفافع (لا + متفاعل + فعل) لا + متفا ... + ... فع

الثاني : متناسق ويكون منتظما ، وغير منتظم

1 — منتظـــم

ا) من عنصرين ، يؤخذ حرفين :
تحـ ... (تحت) =
فو ... (فوق) =

دو ... (دون) =

ب) من عنصرين ، تؤخذ ثلاثة احرف :

كهر ... (كهربائي)

جيو ... (جيولوجي)

جـ) من عنصرين ، تؤخذ اربعة احرف :

كيمي ... (كيميائي)

بترو ... (بترولي)

2 — غيـــر منتظـــم

مثل : صيرفي (صيفي + خريفي) ، بلهمـــة (بلا + ماه) ، بلغز (بلا + غاز) ... الخ .

2 — التركيب المزجي :

اصناف التركيب المزجي :

1) تركيب مزجي خاص

2) تركيب مزجي مختلط

3) تركيب مزجي دخيل

1 . التركيب المزجي الخاص

ا) اسمـــى عيـــن

ب) من اسم عين واسم النسبة

جـ) من ظرف مكان واسم عين

د) من ظرف مكان واسم النسبة

هـ) من اسمى النسبة

ا ـ ملحقـــان

ب ـ غيـــر ملحقيـــن

و) تركيب مزجي أضافي

ا ـ ملحقـــان

ب ـ غيـــر ملحقيـــن

ز) من اسمى عين واسم النسبة

حـ) من (لا) واسم النسبة

ط) من (لا) ومصدر صناعي

ا ـ لا + ... ية

ب ـ لا + ... يات

ى) من اسم عين ومصدر صناعي

2 . التركيب المزجي المختلط :

1 — طبيعـــي

ا) مـــن عنصريـــن

1 . عربي + أعجمي

2 . أعجمي + أعجمي

ب) من ثلاثة عناصـــــر

1 . عربيان + أعجمي

2 — الشـــاذ

ا) تركيب مزجي ناقص

ب) تركيب مزجي شبه مدغم

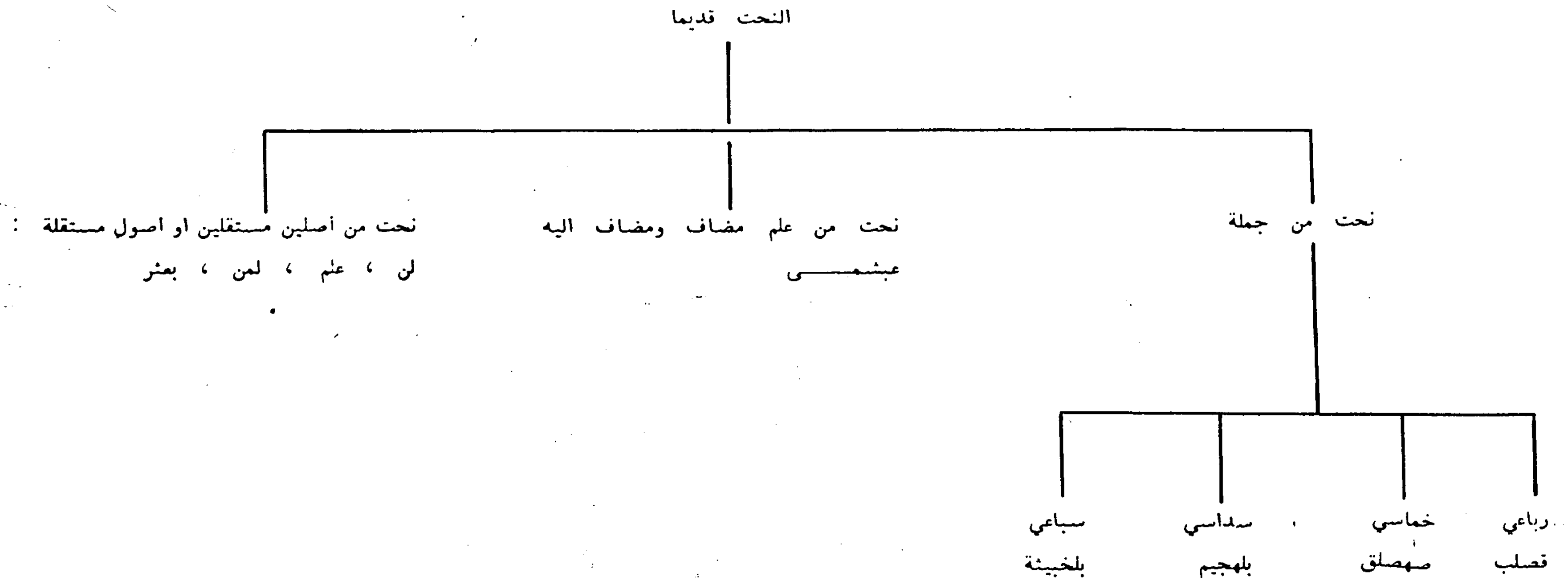
جـ) تركيب مزجي زائد

3 . التركيب المزجي الدخيل :

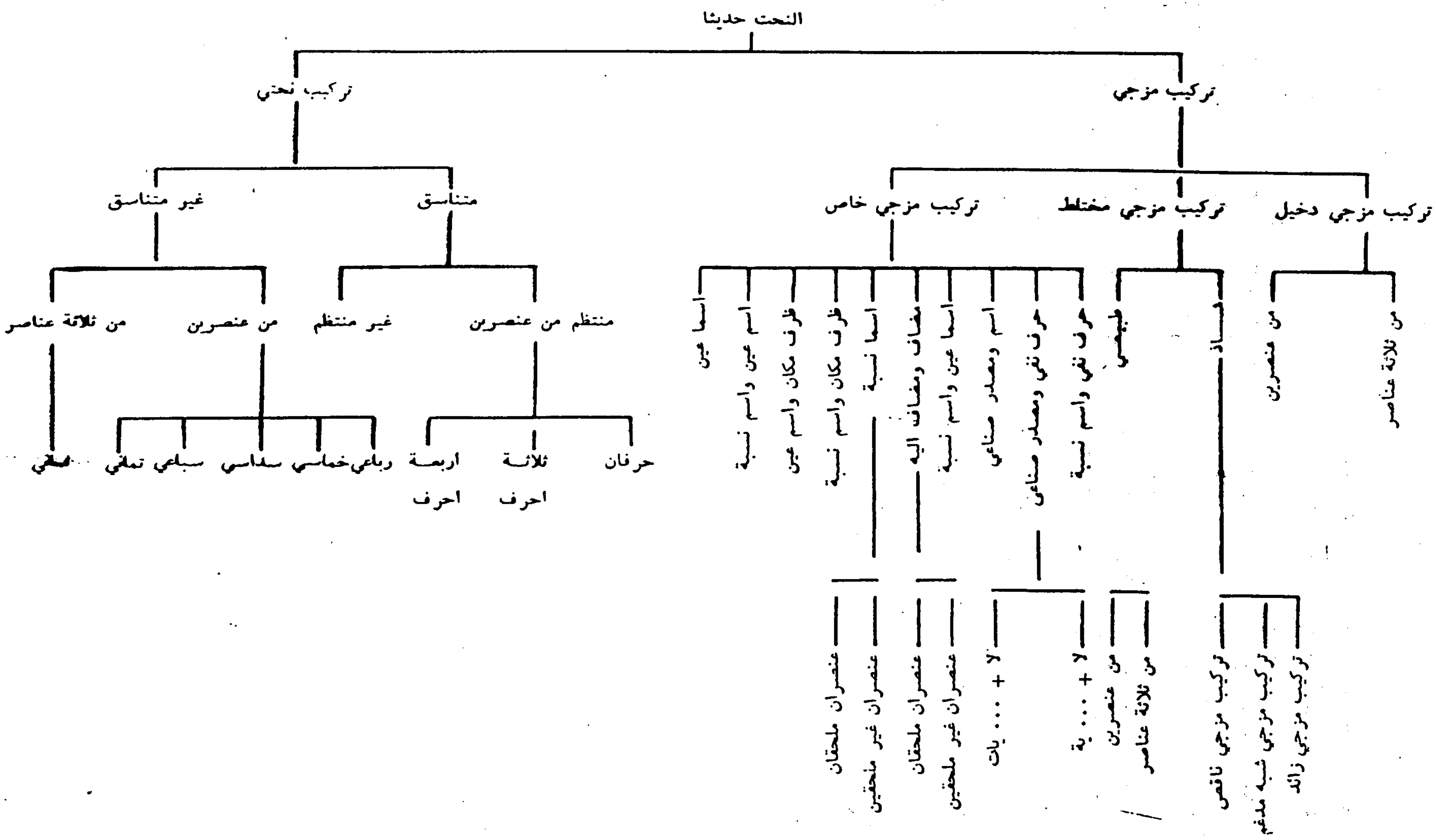
1 — من عنصرين

2 — من ثلاثة عناصر

جدول تخطيطي للنحت قديما



جدول تخطيطي للنحت حديثا



تاريخ المعجم العسكري

الأستاذ محمود شيت خطاب

تمهيـــد

- 1 -

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الرسول القائد النبي العربي وعلى جميع الانبياء والمرسلين .

واحتلت فرنسا تونس سنة 1883 ، والمغرب ان الجزائر جزء من فرنسا سنة 1870 .

واحتلت فرنسا تونس سنة 1883 ، والمغرب سنة 1912 ، ولبنان سنة 1918 وسورية سنة 1920 .

ولكن امتيازات فرنسا السياسية والاقتصادية والثقافية فى لبنان ، سبقت الاحتلال العسكري واعلان الانتداب رسميا سنة 1918 باكثر من قرنين، ولقد اعترفت الدولة العثمانية بتلك الامتيازات .

واستقلت سورية ولبنان سنة 1943 ، واستقلت تونس والمغرب سنة 1956، واستقلت الجزائر سنة 1962 ، بعد ان بقي الاستعمار الفرنسي جاثما على الجزائر اثنين وثلاثين ومائة عام ، وعلى تونس ثلاثة وسبعين عاما ، وعلى المغرب اربعة واربعين عاما ، وعلى لبنان خمسة وعشرين عاما وسورية ثلاثة وعشرين عاما .

وقد تغلغلت الثقافة الفرنسية فكرا ولغة فى هذه الاقطار العربية ، واصبحت لها جذور عميقة فى المثقفين بخاصة وغير المثقفين بعامة ، حتى نسي قسم من السكان لغتهم الاصلية أو كادوا . وكانت تلك الجذور تتناسب فى تغلغلها عمقا تناسبا طرديا مع المدة الزمنية التى بقي الاستعمار الفرنسي جاثما فيها على تلك الاقطار العربية ، فكانت فى الجزائر أعمق جذورا من الاقطار الاخرى ، وكانت فى تونس اقل عمقا مما كانت عليه فى الجزائر ، فالمغرب فلبنان فسورية .

لم يكن لدى الجزائر وتونس ولبنان جيوش نظامية تخضع للسلطات الوطنية، ولكن كان لديها شرطة محلية وعسكريون من السكان المحليين يعملون فى الدرك او مرتزقة فى جيش فرنسا بقيادة الجيش الفرنسي المباشرة وبامرته .

وكان لدى المغرب جيش نظامي، ولكنه كان يوالي السلطة ويعمل باشرافها .

وقد استغلت فرنسا الطاقات البشرية لكل من الجزائر وتونس والمغرب بالدرجة الاولى ولبنان وسورية بالدرجة الثانية فى الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918) وفى الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) وفى الحروب المحلية التى شنتها لاخماد الثورات الداخلية فى مستعمراتها الافريقية والاسيوية غير العربية ، كما استغلت الطاقات البشرية لتلك المستعمرات لاخماد الثورات الداخلية فى مستعمراتها العربية ، فجندت اعدادا ضخمة من الرجال لدعم المجهود الحربي الفرنسي .

وقد دربت العرب المجندين تدريبا عسكريا فرنسيا فى المدارس والمعاهد والكليات والوحدات الفرنسية ، فقاتلوا مع جيش فرنسا بأمرة قيادتها العسكرية المباشرة فى الجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الاولى ، وفى شمال افريقية وسورية ولبنان وايطاليا والجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الثانية، فأبلوا فى الحربين العالميتين وفى الحروب المحلية أعظم البلاء .

والذين قراوا كتب تاريخ الحرب ومذكرات قادة الحلفاء خاصة مذكرات اللواء أيزنهاور (1) القائد الاعلى لجيوش الحلفاء فى أوربا اثناء الحرب العالمية الثانية ، يجد ثناء عاطرا على شجاعة رجال المغرب العربي — ومما ذكره آيزنهاور بالتقدير والاعجاب فى مذكراته عن الحرب العالمية الثانية فى ايطاليا ، ان **القوات المغربية انتصرت على القوات الالمانية فى معركة : (دير كاسينو) واحتلت مواضعهم الحصينة فى قمم الجبال الايطالية بعد عجز القوات البريطانية والامريكية والكندية والنيوزيلندية والاسترالية عن احتلال تلك المواقع الجبلية الحصينة .**

وقد احتل الاسبان سنة 1912 المنطقة الشمالية من المغرب ، ولكن إثرهم الثقافي كان اقل بكثير من اثر الثقافة الفرنسية . الا ان الاسبان جندوا قسما من رجال المغرب فى جيشهم ، فقاتلوا فى صفوف اللواء فرانكو فى الحرب الاهلية الاسبانية (1936 — 1939) ؛ **وكان لشجاعتهم النادرة أثر حاسم فى انتصار فرانكو** على خصومه كما هو معروف .

وقد احتفظ اللواء فرانكو رئيس الدولة الاسبانية بقوات نظامية مغربية ، يعتمد عليها ويعتد بها ، حتى لقد اختار حرسه الخاص ضباطا ومراتب واختار اكثر مرافقيه العسكريين من المغاربة ! وبقي المغاربة يعملون فى اسبانيا مدة طويلة ؛ ولكنهم سرحوا قبل بضع سنين .

تلك امثلة ملموسة تدل بوضوح على تحلي رجال المغرب العربي بالسجية العسكرية شجاعة واقداما وضبطا ونظاما ، مما يدعو الى الفخر والاعتزاز .

وما يقال عن رجل المغرب العربي ، يقال عن رجال المشرق العربي ايضا .

المعجمات العسكرية الاولى

— 1 —

رحل الاستعمار الفرنسي عن لبنان وسورية وتونس والمغرب والجزائر عسكريا وسياسيا ، ولكن الاستعمار الفكري ظل مستحوذا على المثقفين العرب فى تلك الاقطار — وبخاصة اقطار المغرب العربي .

فقد كان العسكريون وهم جزء من المثقفين — عربا فى جنسيتهم واصلهم ، فرنسيين فى ثقافتهم ولغتهم ، كل تدريبهم وتنظيمهم وتسليحهم فرنسي.

هؤلاء العسكريون العرب اصبحوا بعد الاستقلال (قواعد) للجيوش العربية الوطنية فى الاقطار العربية التى تخلصت من الاستعمار الفرنسي ، وعلى تلك القواعد (العربية بالاسم الفرنسية بالفعل) ارتفع بناء تلك الجيوش .

كان من الطبيعي ان يعتمد اولئك العسكريون العرب على اللغة الفرنسية لغة عسكرية ، لانهم لم يكونوا يحسنون غيرها لغة للتخاطب فى القضايا العسكرية ، كما لم يكن لديهم رصيد جاهز من المصطلحات العسكرية العربية يملأ الفراغ الذى يتركه التخلي عن اللغة الفرنسية .

ولكن متطلبات رفع المعنويات من جهة، وضرورة اقرار اللغة القومية من جهة اخرى ، كانت حوافز تستحث الخطى لاتخاذ اللغة العربية بدلا من اللغة الفرنسية فى جيوش اقطار المغرب العربي وسورية ولبنان التى نالت استقلالها حديثا من فرنسا .

ان المعنويات فى الجيش ، هي احد عنصرين رئيسيين فى تكوينه : المعنويات اولا والماديات ثانيا . وهذان العنصران يتمم احدهما الآخر ولا يكون الجيش جيشا رصينا باحدهما دون الآخر .

واهمية المعنويات لاي جيش كاهمية الماديات له سواء بسواء ، وقد اصبحت المعنويات كالماديات بعد تطور الاسلحة التقليدية وانتقال الجيوش الحديثة من عصر القنابل ذات الماديات المحدودة والاجهزة اللا سلكية والسلكية الى عصر الصواريخ

---

(1) اصبح رئيس الولايات المتحدة فيما بعد .

عابرة القارات والاجهزة الالكترونية والاسلحة الذرية والهيدروجينية ، وكانت اهمية المعنويات قبل ذلك 75 ٪ واهمية الماديات 25 ٪ نقط ، كما قال نابليون بونبارت .

وبقاء لغة المستعمر في جيش وطني ، يؤثر اسوأ الاثر في معنوياته ، فليس من المعقول ان (تاخذ) تلك البلاد العربية استقلالها من فرنسا بالحديد والنار والتضحيات والشهداء ، ثم تستبقي لغة المستعمر مهيمنة على جيوشها ، وليس من المنطق ان تبقى تلك الجيوش الى الابد عربية الوجه والنسب فرنسية الفكر واللسان .

كان لابد من عمل ايجابي لوضع الامور في نصابها ، صونا لمعنويات الجيوش الوطنية من الانهيار، وحرصا على مكانة اللغة العربية ان تصبح لغة ثانوية في عقر دارها .

كانت سورية هي الرائدة في مضمار وضع المصطلحات العسكرية ، وكانت السباقة في ميدان ترجمة قسم من المصطلحات العسكرية الاجنبية الى العربية . فقد الفت جيشا وطنيا في مدة استقلالها القصير بعد الحرب العالمية الاولى ، ولكنها فقدت استقلالها وفقدت معه جيشها الوطني حين داهمها الاستعمار الفرنسي سنة 1920 .

لقد بذل المسؤولون عن الجيش السوري في تلك المدة القصيرة جهودا مثمرة حقا في وضع المصطلحات العسكرية العربية وترجمة المصطلحات العسكرية الاجنبية للجيش السوري الوليد ، فكانت تلك المصطلحات الموضوعة والمترجمة اول مصطلحات عسكرية في الجيوش العربية كلها .

واطبق الصمت الرهيب على سورية بعد احتلالها عام 1920 ، واصبحت مرتعا للمستعمر الفرنسي الذي واد جيشها الوطني ، ولكنها استعادت سيرتها الاولى عام 1943 وهو عام الاستقلال ، وبدات ببناء جيشها الوطني من جديد ، كما بدات ثانية بوضع المصطلحات العسكرية العربية وترجمة المصطلحات العسكرية الاجنبية .

وكان لديها رصيد لا باس به من المصطلحات العسكرية القديمة التي هي من ثمرات جهود ابنائها ومن المصطلحات العسكرية العربية العراقية التي طبعت في معجم المصطلحات العسكرية الحديثة عام 1932 والمعجم العسكري عام 1943 (1) .

وحرص لبنان حرص سورية على وضع المصطلحات العسكرية العربية وترجمة المصطلحات العسكرية الفرنسية ، ولكن لم تصدر معجمات عسكرية عربية (فرنسي - عربي) مطبوعة الا في 10 ايلول (سبتمبر) سنة 1959 ، حيث صدر **المعجم العسكري اللبناني** (فرنسي - عربي) ، **فكان اول معجم عسكري مطبوع من نوعه .**

- 3 -

ا) صدرت ثلاث معجمات عسكرية عربية (فرنسي - عربي) ، وهي على حسب تاريخ صدورها، المعجم العسكري اللبناني ، والمعجم العسكري السوري ، والمعجم العسكري البحري اللبناني .

ب) لقد شكلت لجنة لاعداد المعجم العسكري اللبناني من اربعة اعضاء : ثلاثة من اللغويين المدنيين (2) وضابط من الجيش اللبناني لاعداد المعجم العسكري اللبناني .

بدات هذه اللجنة عملها سنة 1945 ، وانجزته سنة 1959 ، ويضم نحو عشرة آلاف مصطلح عسكري .

مصادر هذا المعجم هي : المعجمات العسكرية الفرنسية والقوانين العسكرية الفرنسية (3)

ج) كما شكلت لجنة لوضع المعجم العسكري السوري مؤلفة من خمسة اعضاء : اثنان من علماء اللغة (4) وضابطان من الجيش السوري وضابط من الجيش المصري .

بدات هذه اللجنة عملها في 5 ماي (مايو) سنة 1959 ، وانجزته في نهاية سنة 1961 ، ويضم نحو اربعين الف مصطلح عسكري .

مصادر هذا المعجم : المعجم العسكري الكندي والمعجمات العسكرية الفرنسية والقوانين العسكرية

---

(1) انظر التفاصيل في : تاريخ المعجمات العسكرية العربية (8 - 12) .
(2) هم الشيخ عبد الله العلايلي والاستاذ بطرس البستاني والشيخ فؤاد جبش .
(3) انظر التفاصيل في : تاريخ المعجمات العسكرية العربية (15 - 16) .
(4) هما الامير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق والاستاذ عز الدين التنوخي .

الفرنسية والمعجم العسكري العراقي (1) ، والمعجم العسكري اللبناني .

د) وقد شكلت لجنة اعداد المعجم البحري اللبناني من نفس اعضاء اللجنة التى اعدت المعجم العسكري اللبناني .

وبدات هذه اللجنة عملها فى سنة 1958 ، وانجزته سنة 1963 ، ويضم نحو (000 2) مصطلح عسكري (2) .

مصدر هذا المعجم هو المعجم العسكري البحري الفرنسي .

هـ) ولقد كان وضع هذه المعجمات العسكرية الثلاثة واخراجها للناس عملا عسكريا مهما وانجازا لغويا كبيرا ، لان وضع المصطلحات العسكرية او ترجمتها امر شاق لا يقوى عليه الا الخبراء بدقائق العلوم العسكرية ، المجيدون لاحدى اللغات الاجنبية اجادة تامة ، المتضلعون فى الوقت نفسه من اللغة العربية .

ان صدور هذه المعجمات العسكرية ملأ فراغا فى المكتبة العسكرية وسد حاجة للجيوش العربية فى سورية ولبنان، ولكن فائدتها اقتصرت على النطاق القطري لهذين القطرين العربيين الشقيقين ، دون ان تجتاز حدودهما الى اقطار المغرب العربي .

ولست الوم اقطار المغرب العربي : تونس والمغرب والجزائر ، لانها لم تصدر معجمات عسكرية خاصة بجيوشها الوطنية، فى وقت هي بامس الحاجة اليها ، لان لبنان اصدر معجمه العسكري بعد ست عشرة سنة من استقلاله ، ولان سورية اصدرت معجمها العسكري بعد ثماني عشرة سنة من استقلالها، ولم تمض هذه السنون على استقلال اقطار المغرب العربي ، منذ رحل الاستعمار الفرنسي عن بلادها حتى تشكيل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية فى حزيران (يونيو) سنة 1968 .

كما ان اثر **الاستعمار الفكري الفرنسي فى اقطار المغرب العربي ، كان اعمق جذورا مما هو عليه فى لبنان وسورية .**

وقد شاركت اقطار المغرب العربي بالاصالة كما فعلت المغرب وبالنيابة كما فعلت تونس والجزائر فى تاليف لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية التى اعدت المعجم العسكري الموحد (فرنسي – عربي) واخرجته للناس ، وهذا دليل على حرصها الشديد على ان تستبدل بالمصطلحات العسكرية الفرنسية الدخيلة المصطلحات العسكرية العربية الاصيلة .

لجنة اعداد المعجم العسكري الموحد

تالفت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية من ممثل مجمع اللغة العربية فى القاهرة وممثل من كل جيش عربي وممثل من القيادة العربية .

وهذه اللجنة هي نفس اللجنة التى اعدت المعجم العسكري الموحد (انكليزي – عربي) ، والتى بدات عملها فى رحاب جامعة الدول العربية بالقاهرة يوم 30 (مايو) سنة 1968 .

وقد اختارت هذه اللجنة من بين اعضائها ثلاثة ضباط لاعداد المعجم العسكري الموحد (فرنسي – عربي) ، وحرصت على اختيارهم من ممثلي الجيوش العربية ذات الثقافة العسكرية الفرنسية ، للاستفادة من اتقانهم اللغة الفرنسية ، وللاطلاع على ما لديهم من مصطلحات عسكرية عربية ، ولمعرفة ما تحتاج اليه جيوشهم من مصطلحات عسكرية جديدة ، وللأخذ بآرائهم التى هي ثمرة تجاربهم فى الوحدات والمقرات.

وهؤلاء الاعضاء الثلاثة هم :

العقيد الركن جان نخول من لبنان

العقيد الركن يوسف اليازجي من سورية

العقيد محمد الخطابي من المغرب

وقد عملت هذه اللجنة الفرعية باشراف رئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية وبتعاون وثيق مع اعضاء هذه اللجنة كافة .

واشهد انّ اللجنة الفرعية بذلت جهودا جبارة، وواصلت عملها ليلا ونهارا دون كلل او ملل وبتعاون شديد وحرص نادر ، فاستحقت شكر العربية ، لانها **اضافت معجما عسكريا جديدا سيكون له اثر بالغ فى توحيد الجيوش العربية واشاعة الانسجام الفكري** بين رجالها باذن الله .

---

(1) انظر التفاصيل فى : تاريخ المعجمات العسكرية العربية (12 – 15)

(2) انظر التفاصيل فى : تاريخ المعجمات العسكريةالعربية (17) .

مراحل الاعداد

– 1 –

المرحلة الابتدائية

حين كانت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية تعد المعجم العسكري الموحد (انكليزي – عربي) وبعد اكمال توحيد المصطلحات العسكرية المتناقضة فى الجيوش العربية ذات الاهمية الخاصة ، وهي المصطلحات العسكرية الشائعة الحيوية التى تكون العمود الفقري للمصطلحات العسكرية العربية ، والتى تضم مصطلحات الايعازات والمصطلحات التعبوية والسوقية والتدريبية ، ومصطلحات اسماء الاسلحة والذخيرة والرتب والمناصب واسماء الوحدات والتشكيلات والمقرات والمدارس والمعاهد والكليات العسكرية .

وبعد ان بقي على اللجنة توحيد المصطلحات العسكرية الثانوية التى قد لا يختلف على توحيدها اعضاء اللجنة ، آثرت الا اضيع الوقت سدى بدون مسوغ ، فقررت تكليف ممثل لبنان فى اللجنة بمراجعة المصطلحات العسكرية العربية المعمول بها فى قسم من الجيوش العربية ذات الثقافة الفرنسية، وتعديل تلك المصطلحات طبقا لما اقرته اللجنة ، ودراسة المعجمات العسكرية العربية المطبوعة والمخطوطة المتيسرة فى لبنان وسورية ، والاعتماد على المعجم العسكري الفرنسي والمعجم العسكري الكندي ، ووضع هيكل للمعجم العسكري الموحد (فرنسي – عربي) .

واتفقت مع ممثل لبنان ان يعتكف فى داره للنهوض بهذا الواجب ، حتى يقتصد من الوقت الذى يقضيه فى الذهاب الى جامعة الدول العربية والاياب منها ، كما اتفقت معه على زيارة مقر اللجنة يوم الاثنين من كل اسبوع ، للاطلاع على سير العمل ومناقشته فيه وادخال التعديلات التى تراها اللجنة عليه ، ودراسة ما اقرته اللجنة من مصطلحات عسكرية جديدة للاخذ بها ، ولبحث ما انجزه فى اسبوع واحد من واجبه المكلف به .

واتفقت معه على جدول زمني ينجز خلاله واجبه ، بامكانه ان يسبقه ولكن ليس بامكانه ان يتاخر عنه .

وكان حرصه يتصاعد كلما اقترب الموعد المضروب ، حتى اكمل ما عهد اليه به من عمل فى الوقت المحدد له تماما .

لقد بدأ عمله فى 1 تموز (يوليو) سنة 1968 وانجزه فى اول كانون الثاني (يناير) سنة 1969 .

– 2 –

المرحلة النهائية

كان امام اللجنة الفرعية المؤلفة من ممثلي لبنان وسورية والمغرب مسودات مصطلحات عسكرية عربية مرتبة بموجب الحروف الابجدية الفرنسية. كل مصطلح عسكري عربي ازاء مصطلح عسكري فرنسي .

وكانت تلك المصطلحات مقتبسة بالدرجة الاولى من المعجم العسكري اللبناني والمعجم البحري اللبناني والمعجم العسكري السوري .

وبدأت تلك اللجنة عملها بمراجعة تلك المصطلحات ، واضافة مصطلحات جديدة مقتبسة من المعجم العسكري الموحد (انكليزي – عربي) ومعجم لاروس الفرنسي والمعجم العسكري الكندي ومصطلحات الاكاديمية العسكرية الفرنسية ومصطلحات المعجم العسكري اللبناني المخطوط والمعجم العسكري السوري المخطوط ايضا .

وقد ظهر ان ممثل لبنان اثبت المصطلحات العسكرية اللبنانية . وهذا امر طبيعي . لان كل عضو من اعضاء لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية يحرص على اقرار مصطلحات جيشه التى اعتادها ؛ ولكن اللجنة الفرعية لا تقر غير ما اقرته لجنة التوحيد الموسعة ، التى ليس لها من صلاحيتها مخالفة تلك اللجنة ؛ والا وقع تناقض بين المعجم العسكري الموحد (انكليزي – عربي) والمعجم العسكري الموحد (فرنسي – عربي) ، وهذا لا يتفق مع مبدأ توحيد المصطلحات العسكرية فى الجيوش العربية . الذى اجتمعت اللجنة الموسعة من اجله وكان هدفها الاول من اجتماعاتها .

وكانت معالم الطريق امام اللجنة الفرعية واضحة ، وكان منهجها فى سلوكه سهلا : ان تستبدل بالمصطلحات الانكليزية المصطلحات الفرنسية؛ وان تحذف ما لا مرادف له فى الفرنسية ، وتضيف المصطلحات الفرنسية التى لا وجود لها فى المصطلحات الانكليزية، وتمحو ما لا حاجة اليه فى الجيوش العربية ذات الثقافة الفرنسية .

لقد كان على لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية حشر المصطلحات البريطانية والامريكية والكندية ومصطلحات حلف الاطلسي فى المعجم العسكري الموحد (انكليزي – عربي) ، وذلك لتغطية حاجة الطلاب العسكريين العرب الذين يدرسون فى المدارس والمعاهد والكليات العسكرية البريطانية والامريكية أو يعتمدون على مصطلحات حلف الاطلسي ، وحاجة الضباط العرب الذين يترجمون الكتب والنشرات العسكرية الصادرة فى انكلترا والولايات المتحدة الامريكية وكندا وعن حلف الاطلسي .

لذلك جاء المعجم العسكري الموحد (انجليزي – عربي) ضخما بألف صفحة من القطع الكبير تضم (80.000) مصطلح عسكري .

اما المعجم العسكري الموحد (فرنسي – عربي)، فالامر مختلف بالنسبة اليه ، فهو يعنى بتغطية حاجة الجيوش العربية ذات الثقافة الفرنسية ، لذلك اقتصرت مصادره على المعجمات العسكرية الفرنسية والقوانين العسكرية الفرنسية ، فجاء بست وستين وخمسمائة صفحة من القطع الكبير ، تضم اربعين الف مصطلح عسكري .

وكان اعداد المعجم العسكري الموحد (فرنسي – عربي) اسهل بكثير من اعداد المعجم العسكري الموحد (انكليزي – عربي) ، لان لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية وحدت المصطلحات العسكرية المتناقضة فى الجيوش العربية ، فأصبحت تلك المصطلحات جاهزة ولم يبق امام اللجنة الفرعية الا ان تستبدل بالمصطلح الانجليزي المصطلح الفرنسي وتضع المصطلح العسكري العربي المتفق عليه ازاءه .

وقد كانت اللجنة الفرعية متفرغة لواجبها لا يشغلها عنه شاغل ، لان المعجم العسكري الموحد (انكليزي – عربي) قد انجز فى 30 تشرين الاول (نوفمبر) سنة 1968 ، وكان فى مرحلة المراجعة من لجنة مجمعية بدات عملها فى اوائل تشرين الثاني (اكتوبر) سنة 1968 ، وانتهت من مراجعته فى نهاية نيسان (ابريل) سنة 1969 .

وبذلك استطاعت اللجنة الفرعية انجاز المعجم العسكري الموحد (فرنسي – عربي) خلال مدة زمنية قصيرة ، بدات فى 1 كانون الثاني (يناير) سنة 1969 ، وانتهت فى نهاية حزيران (يونيو) سنة 1969 .

– 3 –

مرحلة التكامل

وهي المرحلة التي انجز فيها طبع مسودات المعجم على الآلة الكاتبة والمراجعة والتشكيل .

كانت مسودات المعجم تقدم الى الطابع على الآلة الكاتبة ، فور الانتهاء من ترتيب المصطلحات العسكرية الفرنسية على حسب الحروف الابجدية الفرنسية ، فاذا اكملت اللجنة الفرعية ترتيب الحرف A بموجب الترتيب المعجمي المعروف فى اللغات الاجنبية ، بدات بمراجعة المسودات ، ثم وازنت بين المصطلحات العسكرية العربية وما ورد فى المعجم العسكري الموحد (انكليزي – عربي) وقومت ما فيها من خطأ او انحراف ، وتأكدت من تطابقها فى المعجمين الموحدين (انكليزي – عربي ، و (فرنسي – عربي) . فاذا اكملت كل ذلك ، اعادت المراجعة النهائية وقدمت المسودات الى الطابع على الآلة الكاتبة .

وكان على الطابع ان يستنسخ بمعدل عشرين صفحة كل يوم ، فاذا قصر حوسب ، واذا احسن او استنسخ اكثر من عشرين صفحة كوفيء .

وقبيل انتهاء الدوام اليومي ، يقدم الطابع ما طبعه الى اللجنة الفرعية ، فيقرأ الاعضاء الصفحات المطبوعة بالتعاقب ، ويصححون الاخطاء المطبعية .

وهكذا يكون العمل متداخلا : اعدادا وطبعا ومراجعة فى وقت واحد .

اما واجب لجنة المصطلحات العسكرية للجيوش العربية فى هذه المدة ، فهو مراجعة ما اقرته اللجنة الفرعية وادخال التعديلات طبقا للمصطلحات العسكرية العربية التى اتفقت عليها واقرتها .

وقد استغرق ذلك ستة اشهر ، بدات فى 1 كانون الثاني (يناير سنة 1969) وانتهت فى نهاية حزيران (يونيو) سنة 1969 ، وهي نفس مدة اعداد المعجم التى ذكرناها فى : مرحلة الاعداد النهائية .

ولكن بقي على اللجنة الفرعية عمل واحد لاستكمال واجبها ، هو تشكيل المصطلحات العسكرية العربية ، وقد استغرق ذلك ثلاثة اشهر : من 1 تموز (يوليو) سنة 1969 الى نهاية ايلول (سبتمبر) سنة 1969 .

وربما يتبادر الى اذهان الذين يطلعون على تشكيل المصطلحات العسكرية العربية ، ان لجنة توحيد المصطلحات العسكرية بالغت فى تشكيل الكلمات العربية والجمل بالحركات الاعرابية (الفتحة والضمة والكسرة والسكون والتنوين) .

ان من الاهداف المهمة لاصدار المعجمات العسكرية اشاعة النطق الصحيح بالعربية نحوا وصرفا بين العسكريين . **والمعجمات العسكرية العربية المطبوعة فى الاقطار العربية التى صدرت قبل المعجم العسكري الموحد ، لم تشكل مفرداتها بالحركات او كان تشكيلها ناقصا او مجانفا الصواب من الناحية اللغوية** . وكان من نتائج اغفال التشكيل او اجرائه ناقصا او بصورة مغلوطة ، انحراف نطق الكلمات والالفاظ العسكرية عن اللغة العربية السليمة، ولا يزال قسم من العسكريين يخطئون حتى فى الالفاظ العربية الشائعة التى يكثر استعمالها فى الجيوش العربية .

يقولون : لغم (بتسكين الغين) ، وصوابها : لغم (بالتحريك) : ويقولون رتل (بالتسكين) ، وصوابها : رتل (بالتحريك) . ويقولون : مدفع (بفتح الميم) ، وصوابها : (بكسرها) . ويقولون : مدفعي ، وصوابها : مدفعي . ويقولون : ثكنة (بالتحريك) ، وصوابها : ثكنة (بضم الثاء وتسكين الكاف) ... الخ ..

تلك امثلة قليلة على انتشار الاخطاء اللغوية بين العسكريين حتى ضمن نطاق الالفاظ السهلة الشائعة . اما اخطاؤهم اللغوية فى الالفاظ الصعبة الحوشية غير الشائعة فادهى وامر . ولكن هل العسكريون وحدهم يخطئون فى اللغة ؟ ذلك امر معروف وتكراره حديث معاد .

لقد اعتبرت اللجنة نفسها بحق مسؤولة عن تقويم نطق العسكريين ومحاولة تصحيح اخطائهم اللغوية بقدر المستطاع ، لذلك حرصت على تشكيل كل كلمة وكل لفظ فى المعجم تشكيلا كاملا ، لان من جملة اهداف اللجنة تعليم العسكريين اللغة العربية الفصحى وتدريبهم على النطق العربي السليم .

ثم ان **المعجم العسكري الموحد بالرغم من صفته العسكرية العلمية ، معجم لغوي قبل كل شيء** .

ولتاريخ اللغة اذكر ان المعجم العسكري الموحد (انكليزي — عربي) و (فرنسي — عربي) **هما اول معجمين عسكريين صدرا** من المعجمات العسكرية وتشكيلهما متكامل غاية التكامل ، اما المعجمات العسكرية الاخرى فغير مشكلة او ناقصة التشكيل ، وافضل معجم عسكري من ناحية التشكيل بعد المعجم العسكري الموحد هو المعجم العسكري السوري (انكليزي — عربي) و (فرنسي — عربي) .

— 4 —
مرحلة الطبع

كانت مشاكل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية فى مراحل اعداد المعجم مشاكل علمية (1) ، فاصبحت مشاكل اللجنة فى هذه المرحلة مشاكل ادارية .

ملخص المشاكل ثلاث : المال والموظفون والمطبعة ، وهي مشاكل ادارية بعيدة كل البعد عن صميم واجب اللجنة الرئيس ، وهو واجب علمي بحت ، لا يتعدى اعداد المعجم والاشراف على طبعه واخراجه للناس خاليا من الاخطاء العلمية واللغوية والمطبعية قريبا جهد الامكان من الكمال .

لقد واجهت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية مصاعب بالغة التعقيد ومعضلات لا تعد ولا تحصى ، ولكن اللجنة استطاعت التغلب عليها، فبدأ طبع المعجم يوم 5 تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1969 ، وصدرت النسخ الاصلية ومقدارها الف نسخة يوم 1 آب (اغسطس) سنة 1970 بعد تأخر صدورها سبعة اشهر !! (2) .

وكان على المطبعة تصوير نسخة من نسخ المعجم الاصلية لطبع نسخ المعجم الاخرى بطريقة التصوير .

(1) انظر : تاريخ المعجم العسكري الموحد (انكليزي — عربي) ص (14 — 15) .

(2) السبب مزدوج : اهمال قسم من موظفي الجامعة العربية اولا ، واهمال المسؤولين فى المطبعة ثانيا ، وقد كان العقد بين جامعة الدول العربية والمطبعة ينص على انجاز الطبع خلال ثلاثة اشهر .

وكان المفروض صدور نسخ المعجم المصورة فى اوائل شهر حزيران (يوليو) سنة 1970 .

ولكنها لم تصدر الا فى 17 شباط (فبراير) سنة 1971 ، بعد تأخر ثمانية اشهر دون مسوغ (1)

تلك لمحات مما لاقته اللجنة من مشاكل ومعضلات ، والحمد لله الذى أعان اللجنة على التغلب عليها ، فصدر المعجم العسكري الموحد (فرنسي – عربي) بعد جهد جهيد وترقب طويل .

مبادىء اعداد المعجم

سار العمل فى اعداد المعجم على حسب خطة مرسومة ، لم تحد عنها اللجنة أبدا . وهذه المباديء يمكن تلخيصها :

1 – الالتزام باللغة العربية الفصحى ونبذ المصطلحات الاجنبية .

2 – تفضيل الكلمة العربية السهلة على الكلمة العربية الصعبة .

3 – الأخذ بالمصطلح العسكري الشائع فى اكثر الجيوش العربية ما دام عربيا فصيحا ، وتفضيله على المصطلح العسكري الاقل شيوعا .

4 – ايفاء المصطلح العسكري الفرنسي حقه فيما يطابقه من المعنى العربي ، واثبات المصطلح العسكري العربي ما امكن اول المعاني فى تسلسلها ازاء المصطلح العسكري الفرنسي .

5 – تحاشي التعريب قدر الامكان عدا بعض مصطلحات العلوم الفيزيائية والكيميائية وبعض مصطلحات آلات القياس .

ولم نتردد بهذا المجال فى وضع المصطلح العربي المقترح والمصطلح المعرب الشائع ، حتى نفسح المجال للزمن ليعمل عمله فى اقرار المصطلح العربي المقترح اذا كان صالحا للحياة .

6 – فضلنا استعمال « ذو » و « ذات » للدلالة على المصاحبة ، واستبعدنا « باء » المصاحبة ، فقلنا : رشاشة ذات مسند ، ولم نقل : رشاشة بمسند .

7 – جرى اشتقاق اسماء الآلات على وزن « مفعلة » فى الاعم الاغلب .

8 – تحاشينا اطلاق اسماء الاعلام على الذخيرة والاسلحة والاجهزة تجنبا للبلبلة التى يمكن ان تحدثه فى الاستعمال ، فلم نقل : رشاشة فيكرسي ورشاشة هوجكس .. الخ .. بل ثبتنا المصطلح العسكري الدال على وظيفة السلاح والذخيرة وخواصهما للدلالة عليهما .

9 – وضعنا الايعازات والاوامر العسكرية بين حاصرتين على هذا الشكل « ... »

مصادر المعجم ومراجعه

اعتمد هذا المعجم على المعجم العسكري الموحد (انكليزي – عربي) بالدرجة الاولى ، لان لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية اتفقت على مصطلحاته العربية ، فاصبحت تلك المصطلحات الاساس فى هذا المعجم .

كما اعتمد على المعجم العسكري السوري (فرنسي – عربي) والمعجم العسكري اللبناني (فرنسي – عربي) والمعجم العسكري البحري اللبناني (فرنسي – عربي) والمعجم العسكري اللبناني المخطوط (فرنسي – عربي) والمعجم العسكري الفرنسي والقوانين العسكرية الفرنسية والمعجم العسكري الكندي (فرنسي – انجليزي) ومعجم لاروس الفرنسي .

كما اعتمد على مصطلحات كلية الاركان الفرنسية .

تلك هي مصادر هذا المعجم ، اما مراجعه فهي كثيرة مسجلة فى الثبت المرنق .

لقد اعتمد على المعجم العسكري العراقي والمعجم العسكري السوري (انجليزي – عربي) ومعجم المصطلحات الفنية المصري .

كما اعتمد على المصطلحات العسكرية المترجمة فى الكليات العسكرية العربية وكليات الاركان العربية ومعاهد الدراسات العسكرية العليا فى البلاد العربية .

كما اعتمد على معجمات اللغة العربية ومنها : لسان العرب والقاموس والمخصص لابن سيده والمعجم الوسيط .

---

(1) سبب التاخير يقع على عاتق المطبعة .

كما اعتمد على المعجمات العسكرية الاجنبية .

وفى نهاية البحث ثبت مفصل بمصادر المعجم العسكري الموحد (فرنسي — عربي) ومراجعه .

الخاتمة

هذا معجم عسكري صدر لجيوش الجزائر وتونس والمغرب ولبنان وسورية بخاصة وللجيوش العربية والمثقفين العرب بعامة .

ان تعداد سكان الجزائر وتونس والمغرب ولبنان وسورية (43.794.862) (1) أي ما يقرب من نصف تعداد سكان الامة العربية .

ولعل صدور هذا المعجم اكثر اهمية من صدور المعجم العسكري الموحد (انكليزي — عربي) ، لان جيوش دول المغرب العربي اكثر حاجة الى المصطلحات العسكرية العربية من جيوش المشرق العربي . وليس سرا ان قسما من تلك التجيوش لا تزال تستعمل المصطلحات العسكرية الفرنسية حتى اليوم، لانها لا تجد المصطلحات العسكرية العربية التى تملأ الفراغ الذى يتركه نبذ المصطلحات العسكرية الفرنسية .

وكما استقر فى اذهان فريق من العلماء بان اللغة العربية لا تقوى على استيعاب المصطلحات العلمية ، استقر فى اذهان قسم من العسكريين فى المغرب العربي ، بان اللغة العربية ليست صالحة للعلوم والفنون العسكرية .

وهذا المعجم يقيم الدليل القاطع على ان لغة القرآن الكريم قادرة على استيعاب العلوم والفنون العسكرية بجدارة وسهولة ويسر .

واملي وطيد فى اصحاب الهمم من العلماء الحريصين على العربية ان يعكفوا على اصدار معجمات علمية تستوعب العلوم الاخرى ، حتى يثبتوا عمليا ان العربية لغة علم كما هي لغة ادب .

وعسى ان يكون المعجم العسكري الموحد اول الغيث .

لقد التزمت جيوش الدول العربية كافة بالمعجم العسكري الموحد (انكليزي — عربي) ، ولم يقتصر نفعه على العسكريين بل عم غيرهم ايضا .

وما كنت اتوقع بهذا المعجم غير العسكريين ، ولكن الله سبحانه وتعالى نفع به فى مجالات لم تحلم بها لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية .

فقد تسلمت اللجنة رسالة من احد اعضاء مجمع اللغة العربية فى دمشق يقول فيها : «ويسرني أن أخبركم بكل اعتزاز ان اللجنة التى كونها المجلس الاعلى للعلوم بدمشق وسماني مقررا لها لمراجعة مصطلحات البترول ، والتى اشترك فيها ممثل من الجامعة العربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع اللغة العربية فى دمشق والمجمع العلمي العراقي ، قد اعتمدت فى اقرار النصوص النهائية للمصطلحات على راي المعجم العسكري الموحد » .

ويسرني أن اخبركم بأن اللجنة انجزت المعجم العسكري الموحد (عربي — انكليزي) وهو فى مرحلة الطبع ، وسيصدر قريبا باذن الله .

كما ان اللجنة تبذل جهدها فى اعداد المعجم العسكري الموحد (عربي — فرنسي) ، وسيقدم للمطبعة قريبا .

وحينذاك تكون اللجنة قد اكملت واجبها ، فاصدرت اربعة معجمات عسكرية ، وهي التى قطعت على نفسها عهدا باصدارها .

والله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة واصيلا ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله وأصحابه اجمعين .

---

(1) سكان المغرب (16.500.000) والجزائر (12.643.000) وتونس (4.45.862) ولبنان 2.400.000) وسورية (2.294.000) بموجب آخر احصاء للنفوس فى هذه الاقطار) .

المصادر والمراجع

ـ المعجمات العسكرية العربية المطبوعة :

1) المعجم العسكري الموحد (انكليزي ـ عربي) .
2) المعجم العسكري السوري (انجليزي ـ عربي)
3) المعجم العسكري السوري (فرنسي ـ عربي)
4) معجم المصطلحات العسكرية الحديثة في العراق (انكليزي ـ عربي)
5) معجم المصطلحات العسكرية العراقي (انكليزي ـ عربي)
6) المعجم العسكري الموحد العراقي (انكليزي ـ عربي)
7) المعجم العسكري اللبناني (فرنسي ـ عربي)
8) المعجم العسكري البحري اللبناني (فرنسي ـ عربي)
9) القاموس العسكري المصري (انكليزي ـ عربي)
10) المعجم الفني المصري (انكليزي ـ عربي)

ب ـ المعجمات العسكرية العربية المخطوطة :

11) المعجم العسكري العراقي (انكليزي ـ عربي)
12) المعجم العسكري اللبناني (فرنسي ـ عربي)
13) المعجم العسكري المصري (روسي ـ عربي)
14) المعجم العسكري المصري (روسي ـ انكليزي)
15) المعجم العسكري السعودي (انكليزي ـ عربي)
16) المعجم العسكري السوداني (انكليزي ـ عربي)

ج ـ نشرات المصطلحات العسكرية العربية المطبوعة :

17) نشرة المصطلحات العسكرية للقيادة العربية الموحدة (انكليزي ـ عربي)
18) نشرات كلية الاركان العراقية (انكليزي ـ عربي)

د ـ نشرات المصطلحات العسكرية العربية المخطوطة :

19) نشرة اكاديمية ناصر للعلوم العسكرية (انكليزي ـ عربي)
20) نشرة المصطلحات الذرية اللبنانية (فرنسي ـ عربي)

هـ ـ معجمات اللغة العربية وكتب اللغة :

21) لسان العرب لابن منظور
22) القاموس المحيط ـ للفيروزآبادي
23) ترتيب القاموس المحيط ـ للطاهر احمد الزاوي
24) مختصر القاموس ـ للطاهر احمد الزاوي
25) المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية في القاهرة
26) اقرب الموارد ـ سعيد الشرتوني
27) ذيل اقرب الموارد ـ سعيد الشرتوني
28) البستان للشيخ عبد الله البستاني
29) المخصص لابن سيده

30) المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب
31) تاريخ المعجمات العسكرية العربية ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب
32) تاريخ المعجم العسكري الموحد (انكليزي ـ عربي) اللواء الركن محمود شيت خطاب

و ـ المعجمات الفنية العربية :

33) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية (1957 ـ 1968) مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
34) معجم الحيوان ـ الفريق امين المعلوف
35) المعجم الفلكي ـ الفريق امين المعلوف
36) معجم الالفاظ الزراعية ـ الامير مصطفى الشهابي
37) معجم المصطلحات الطبية للدكتور كلير فيل
نقله الى العربية الاساتذة : مرشد خاطر واحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي
38) قاموس التربية وعلم النفس ـ الدكتور فريد جبرائيل نجار
39) معجم شرف الطبي ـ الدكتور شرف شرف
40) المعجم الطبي ـ يوسف حتى
41) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي

ز ـ المعجمات العسكرية الاجنبية :

42) المعجم العسكري البريطاني
43) المعجم العسكري الكندي (فرنسي ـ انكليزي) ، (انكليزي ـ فرنسي)
44) المعجم العسكري الاميركي
45) المعجم العسكري الفرنسي
46) شرح مصطلحات البحرية الفرنسي
47) المعجم العسكري لحلف الاطلسي
48) المعجم العسكري الروسي

ح ـ الكتب العسكرية العربية :

49) كتب التدريب العسكري العراقية
50) واجبات الاركان (عراقي)
51) نشرات الاركان (سوري)
52) كتب التدريب العسكري السورية

ط ـ الكتب العسكرية الاجنبية :

53) كتب التدريب العسكري البريطاني
54) كتب التدريب العسكري الاميركية
55) كتب التدريب العسكري الفرنسية
56) كتب التدريب العسكري الروسية

ي ـ المعجمات العربية الاجنبية :

57) المورد (انكليزي ـ عربي) ـ منير البعلبكي
58) القاموس المصري (انكليزي ـ عربي) الياس انطون
59) قاموس النهضة (انكليزي ـ عربي) اسماعيل مظهر .
60) المعجم الفرنسي (فرنسي ـ عربي) بيلو J. B, Belot
61) المعجم الروسي (روسي ـ عربي)

ك ـ المعجمات الاجنبية :

62) Grand Larousse Encyclopédique.
63) Encyclopedia Britannica.
64) Cassell's New English Dictionary.
65) The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles.
66) Webster's Third International Dictionary of the English Language.
67) Webster's Seventh New Collegiate Dictionary.
68) The American College Dictionary.
69) New College Standard Dictionary.
70) Cassell's New English Dictionary.
71) Collins New English Dictionary.
72) Thorndike English Dictionary.
73) The Advanced Learner's Dictionary of Current English.

أبحاث مختلفة

- الأصالة والتجديد فى اللغة العربية

  للدكتور ناصر الدين الأسد

- تاريخهـــم من لغتهـــم

  للاستاذ عبد الحق فاضل

- اعـــداء الاسلام يحاربـــون لغتـــه

  للاستاذ احمد عبد الغفور عطار

- اسمـــاء الأعـــلام العربيـــة

  للدكتورة فيبك فالتر

- اللغة العربية والبحوث الاقتصادية

  للدكتور ابراهيم دسوقي اباظة

- رســـم نموذجـــي بخـــط الرقعـــة

  للاستاذ احمد الاخضر غزال

- حـــروف عربيـــة جديـــدة :

  1 ـ للاستاذ مصطفى النعمان

  2 ـ للاستاذ يحي بلعباس

الأصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة

الدكتور ناصر الدين الأسد
القاهرة

اقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خلال شهر اكتوبر 1971 بالقاهرة ندوة علمية لدراسة مفهوم الاصالة والتجديد ، وقد ابرز المشرفون عليها وفي طليعتهم صديقنا العلامة الدكتور ناصر الدين اسد مغزى هذا اللقاء فلاحظوا ان المراد بالأصالة – عادة – اذا وصف بها عمل ثقافي او ادبي ما – التميز والتفرد واضافة جديد قيم في مجال ذلك العمل وان للاصالة معنى آخر يرد من اصل الكلمة اللغوي ، ويدل على ان العمل الثقافي أو الأدبي يستمد بعض مقوماته من الاصول اللغوية والفنية والفكرية – او الحضارية بوجه عام – للغة والامة التي ينتمي اليهما هذا العمل ، فلكل أمة « روحها » الخاصة وطابعها المميز اللذان يشيعان في نتاجها الثقافي مهما تختلف الاشكال او المضامين على مر العصور . ومن تراث كل أمة حية يبقى دائما بعض العناصر الايجابية القادرة على الامتداد عبر العصور ، تربط بين ماضي الامة وحاضرها وتهيىء لثقافتها المعاصرة جذورا تنمو بها و « اصولا » تقوم عليها .

وواضح ان هذا المعنى ليس بعيدا عن المعنى الاول للاصالة وكلاهما يرتبط بالتميز والتفرد ، لكن المعنى الاول يدور في الغالب حول تقويم اديب او عمل ادبي وبيان وجوه تميزه وامتيازه وما اضافه او ابتكره ، على حين يقصد الاستعمال الثاني الى الكشف عن مقومات ثقافة أمة ما ، وبيان تلك العناصر النامية الممتدة مدى العصور لهذه الثقافة ومقدار مرونتها وقدرتها على مواجهة الظروف المتغيرة .

وعلى هذا يمكن ان نقول ان ندوتنا هذه تهدف الى الكشف عن تلك العناصر الباقية في الثقافة العربية التي يحس العربي من خلالها انه ينتمي الى أمة متميزة في روحها وطابعها العام ، وأن هناك من الوشائج الوجدانية والفكرية ما يربطه بتاريخ هذه الثقافة وببعض وجوه تراثها التي ما زال يجد فيها صدى لشعوره وتفكيره و « روح » حياته بوجه عام . ثم تهدف الندوة بعد هذا الى دراسة التقاء هذه الاصول بحضارة العصر الحديث وبيان ما تم من تفاعل بينهما وما خلقه هذا اللقاء من قضايا ومشكلات اثرت على الادب العربي والثقافة العربية في اشكالها ومضامينها وطريقة ادراكها للحياة واسلوبها في التعبير عنها . ومن خلال تلك الدراسة يمكن ان نتبين مواطن السلامة في هذا اللقاء ومواطن الزلل الناتج احيانا عن فهم « الاصالة » بمعنى الجمود على القديم ، واحيانا عن فهم التجديد بمعنى نبذ أصول الثقافة العربية نبذا تاما واحتضان كل جديد مهما تكن طبيعته ، بكثير من الاسراف والاندفاع .

والحق ان الاصالة – كما بين منظمو الندوة – لا تعني المحافظة ولا التمسك المطلق بكل التراث . فمن التراث ما اصبح مجرد تاريخ للامة لا يمثل الا حلقة ثابتة في مكانها من ذلك التاريخ ، ومنه ما يمثل تيارا ناميا ممتدا يعكس روح الامة ويمكن الانتفاع به في كل العصور . كما أن التجديد لا يعني التسليم المطلق بكل ما يظهر من اتجاهات جديدة في الادب والثقافة . بل لا بد أن نطرح في معرض تقويم كل جديد سؤالين ضروريين :

1 – هل نبع هذا الجديد من حاجة حقيقية لا بد للمجتمع العربي الحديث من تحققها .

2 – هل ارضت النماذج الثقافية او الادبية لهذا الجديد تلك الحاجة .

ومن خلال الجواب عن هذين السؤالين نستطيع ان نمحص الجديد لنعرف أهو استجابة حقيقية لظروف عامة فى المجتمع أم هو نزعات فرعية او تيارات ثانوية او بدعة من البدع . فالاصالة والتجديد – بالمعنى السليم لهما – ليسا متناقضين بل هما فى الحقيقة متكاملان .

ولا شك أن الندوة لن تكتفي بالرصد التاريخي لمواطن اللقاء بين الاصالة والتجديد ، بل سيكون من اهم اهدافها تقويم تلك المواطن التي تم فيها تفاعل سليم وتوازن معقول بين روح الاصالة وروح المعاصرة، والمواطن التي انحرف فيها اللقاء انحرافا عطل سير التطور او التقدم نتيجة سوء فهم لمعنى الاصالة او لمعنى المعاصرة والتجديد ، حتى يمكن من خلال ذلك الاهتداء الى اسلوب سليم فى مواجهة طبيعة العصر الذي تعيشه الامة العربية من الناحيةالثقافية والادبية.

ويزيد من ضرورة التقويم ومن ضرورة البحث عن اسلم الاساليب لهذه المواجهة ، أن الامة العربية ما زالت تعاني مشكلات اللقاء بين « الاصالة » و « التجديد » فى صورة حادة لم تخفف من حدتها كثيرا عشرات السنوات التي انقضت منذ بدات الأمة نهضتها الحديثة . فما زالت الأمة حتى الآن تعاني مخاض الحياة العصرية ، وما زال بين المثقفين والادباء خلاف واضح حول مفاهيم الاصالة والتراث والمحافظة والتقاليد والتجديد والعصرية . ويزيد الصورة حدة على حدة اننا – رغم انقضاء تلك السنين الطويلة – ما زلنا مضطرين الى ان ناخذ الكثير من الاشكال الادبية والمضامين الفكرية من أمم سبقتنا فى مضمار النهضة الحديثة ، وعلينا دائما ان نحاول التوفيق بين الجديد وبين المقومات الاصيلة فى ثقافتنا العربية .

فى مفهوم الثقافة

تتناول « الثقافة » بمعناها الواسع كثيرا من جوانب حياة الامة ، وتشمل : تقاليدها وعقائدها وتراثها وانماط سلوكها واتجاهها الفكرية وفنونها المختلفة من تشكيلية وادائية وشعبية الخ ...

ولما كان بحث كل هذه الميادين فى مؤتمر واحد سيؤدي بالضرورة الى تشعب الموضوعات وتشتت المناقشات ، وحرصا على أن تتاح الفرصة لاعضاء المؤتمر للتركيز على جوانب محددة والتعمق فى بحثها ومناقشتها ، رؤى حصر موضوع المؤتمر فى « الفنون القولية » وحدها دون غيرها من ميادين « الثقافة » على أن تكون بقية الميادين موضوعات بحث فى مؤتمرات قادمة .

وتشمل « الفنون القولية » : الشعر ، والقصة والرواية ، والمسرحية ، والمقال الادبي ، والنقد الادبي، والرحلات والسير ، واللغة من حيث هي أداة التعبير ووسيلة فى هذه الفنون القولية .

ويتوخى المؤتمر من بحثه لموضوعات الاصالة والتجديد فى الفنون القولية المختلفة أن يربط بين هذه الفنون وطبيعة الحياة العربية ، وان يضعها فى موضعها بين المقومات والميادين الاخرى للثقافة العربية ، دون الاقتصار على النظر اليها بوصفها فنا خالصا مستقلا عن التيارات الحضارية الاخرى .

فى مفهوم « المعاصرة »

اما « المعاصرة » فى عنوان هذا المؤتمر فتتسع لتشمل النهضة الادبية الحديثة منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حتى وقتنا الحاضر .

— ♦ —

وقد درس المؤتمر النقط الآتية :

1 — مفهوم الاصالة والتجديد والثقافة العربية المعاصرة (عرض لتحديد الدلالات)
2 — خصائص الثقافة العربية ومقوماتها .
3 — موقف الثقافة العربية الحديثة فى مواجهة العصر (عرض وصفي حضاري)
4 — الاصالة والتجديد فى الشعر العربي الحديث.
5 — الاصالة والتجديد فى القصة والرواية .
6 — الاصالة والتجديد فى المسرحية .
7 — الاصالة والتجديد فى المقال الادبي .
8 — الاصالة والتجديد فى النقد الادبي .
9 — الاصالة والتجديد فى الرحلات والسير (التراجم والتراجم الذاتية)
10 — محاضرات وندوات فى اللغة تتناول الموضوعات التالية :

أ – المصطلحات والتعريب .
ب – اللغة والادب فى مراحل التعليم العام .
ج – لغة الاعلام (الصحافة والاذاعة) .

تاريخهم من لغتهم
عشتار

عبد الحق فاضل

سيدة الآلهة وعظيمة الربات ـ يدعوها مؤلـف ملحمة قلقميش (Gilgamesh) (1) . على انهـا ليست الاهة جمال وحب وخصب كما يعرفها كل من عرف اسمها فقط ، وانما هي الاهة حـرب ودمـار بالاضافة الى ذلك ، فقد كانت خصائص الآلهة ووظائفهم كثيرا ما تزيد او تنقص أو تتبدل عند أبناء العالم القديم، لبعض المناسبات .

احد التماثيل الرمزية البابلية يصورها عارية ، حلوة قسمات الوجه تعبيرا عن الجمال الـذي هـي الاهته ، مفرطة امتلاء الفخذين اخصاصـا عن قـوة الأنوثة والحب الذي يولدها الذرية ، وقد امسكـت بكفيها نهديها الخيرين كانها تغدق منهما على الدنيـا الاكسير المغذي للحياة التي نبتت في رحمها .

انها الزهرة ، هذا الكوكب الدري في السماء ، المتميز بين ذلك الحشد المكتظ من النجوم بسحـره وشدة توهجه ، كانه مشعل متأجج بين شموع .

الهوها وعبدوها كما الهوا وعبدوا غيرها مـن الكواكب والنجوم ، لاعتقادهم بأن هاته الكائنات العليا المضيئة ، البعيدة ، هي مسيرة الكون ومدبرة شؤون النـاس .

والراي الذي عليه الباحثون أن الاقدميـن من مختلف الشعوب اقتبسوا عبادتها عن البابليين . منهم، بالاضافة الى الشعوب السامية التي اقتبست اسمهـا ايضا ، الاغريق الذين سموها (أفروديت) ، والرومان الذين دعوها (فينـوس) ، والفرس الذين سموها (أناهيـد) .

ومن ذيوع صيتها لدى أبناء العالم القديم وكثرة جريان ذكرها على السنتهم صار اسمها المحبوب يعني النجم بوجه عام عند بعضهم، مثل (ستاره Sitareh) عند الفـرس ، و (astron) عند الاغريـق ، و (astarum) لدى الرومان ، ومنه اشتقوا اسمـي علم التنجيم والفلك astrology و astronomy

ويبدو أن تعميم اسمها على هذا النحو اي اطلاقه على النجوم كافة هو الذي جعل كلا من هذه الامم التي اقتبست عبادتها تطلق عليها اسما آخر ، غير اسمهـا الاثلي (عشتار) .

وقد امتدت آفاق شهرتها مغربة حتى انكلتـرا حيث يدعون النجم star ، ومشرقة حتى نيبـال حيث لا يزالون يعبدونها باسم (تارا ـ Tara) ، وربما فيما وراء نيبال أيضا .

---

(1) ملحمة بابلية كتبت بالخط المسماري على الواح الطين منذ نحو 000 4 عام ، وهي أقدم ملحمة معروفة في تاريخ الفكر الانساني ، تدهشنا بروعة فنها وحبكتها ومراميها ، وكانها كتبت لجيلنا بأسلوب قديم .

وقد عبدتها الشعوب السامية جمعاء ، ولها عندهم اسماء كثيرة اخرى : اشخارا لدى البابليين ، وعشتاروث لدى الفنيقيين ، وعشار وعتتار عند الارميين ، واثيرة عند قدامى اليمانيين ، وعشيرة عند قدامى الكنعانيين ، وعستر عند قدامى الأحباش . غير أن عيثتار الاه ذكر عند اليمانيين الأقدمين ، ومثله عشتر عند السبئيين وعند أهل ماري (Mari) (1) الذين كانت الاهتهم الأنثى هي عشتار البابلية نفسها .

لكننا تجاه الراي القائل بأن اقدم اسمائها هذه هو الاسم البابلي (عشتار) قد شاع في المنطقة فلفظه كل قوم بلهجته ـ نرانا نلاحظ اولا ان اسم الالاهة (عشتار) عند الأرميين كان يطلق على الاه ذكر عند قدامى اليمانيين ، ومثله اسم الالاه (عشتر) عند اهل ماري وسبأ .

ونلاحظ ثانيا ان هناك صيغا ثانية : عثار وعثتار واثتار واثيرة .

ونلاحظ ثالثا ان اسم الالاهة الحبشية (عستر) شبيه باسم الالاه الماري والسبيء (عشتر) .

هاته الملاحظات الثلاث تعكس الآية عندنا ، وتفتح باب التأثيل الذي يقول لنا ان مبعث الكلمة ومهد الالاهة هو الجزيرة العربية ، لا العراق .. وان الأثل القديم لكل هذه الأسماء صيغة ثائية .

وبكلمة انه الثور .

كانت للثور اهمية عظمى عند الاقدمين . فاما الفرعونيون فقد عبدوه وعبدو انثاه . واما الهنود فما زالوا يعبدونها ـ البقرة . واما الآشوريون فقد اتخذوا الثور شعارا لدولتهم كرمز للقوة ، وجعلوا له في تماثيلهم راس انسان وجناحي طائر كناية عن الحكمة والتحليق ، بالاضافة الى القوة . وقد اطلقوا اسمه على عاصمتهم القديمة (آشور) وسموا انفسهم (آشوريين) .

وقد ورد اسم آشور في التوراة (اشور) بتشديد الشين وكأنه (الثور) مع اظهار نطق الهمزة وادغام اللام كما ننطق الكلمة في فصحانا . واهل الموصل يسمون بقايا الآشوريين في المنطقة آثوريين) ونخال هذا النطق الثائي ، الأثلي ، متخلفا عن احدى اللهجات الآشورية .

وكان الاغريق يسمون الدولة الآشورية Assyria و Syria ، وكانوا يطلقونْ هذا الاسم الأخير على بلاد الشام أيضا لأنها كانت جزءا من الامبراطورية الآشورية ، ثم تخصص ببلاد الشام وحدها في اللغات الأوربية ، ومها في العربية الحديثة (سورية) . كما ان الأحباش كانوا ينطقون اسم عشتارهم بالسين أيضا (عستر) ، كما تقدم .

ومن اقبال الاقدمين على اعتبار الثور رمزا للقوة بما يشبه الاجماع انهم استعاروا سلاحه شعارا لحكامهم الذين كانوا يضعون في التاج قرنين دلالة على شدة باسهم ، ومنهم الأسكندر ذو القرنين . لكن ما هو اهم واغرب ان قدامى العراقيين ـ قبل الأسكندر بعصور ـ كانوا يجعلون على جانبي تيجان آلهتهم قرونا ـ بنفس المعنى ـ على كل من جانبي التاج قرنين أو ثلاثة أو اربعة ، حسب درجاتهم ... والاربعة شارة الالاه من المرتبة العليا . فالذي فعله الحكام في شتى انحاء العالم القديم كان امتدادا لهذا العرف الرافدانيالاقدم.

صحيح ان الشومريين الذين يعتبرون اقدم من الاكديين في العراق ، قد عبدوا الزهرة باسم (نانا) لكن الأكديين (قدامى البابليين) لم يأخذوا عبادتها عنهم ، لأن عبادتها كانت شائعة لدى جميع الشعوب السامية الاخرى فضلا عن أن اسمها السامي (عشتار) متطور من اسم الثور ، كالذي المعنا اليه ، وكالذي سياتي برهانه .

يضاف الى ذلك اننا نعتقد ان الأكديين ، أو بالأحرى الساميين ، اقدم وجودا من الشومريين في الرافدانية ، لأن الهجرات من قلب الجزيرة العربية لم تبدأ بعد الشومريين بل قبلهم بعشرات القرون . وانما يسبق ذكر الشومريين ذكر غيرهم لأن الكتابة اخترعت في العراق في ابان سيطرة دولتهم فكانت من ثم أقدم الوثائق مدونة بالشومرية . فهذا لا يعني ان اسم (عشتار) الاكدي لم يكن جاريا على السنة الساميين في

---

(1) دويلة كانت على الفرات بقيت قائمة الى ان سيطر عليها حمو رابي عندما وحد دويلات الرافدانية ـ العراق ـ في دولة واحدة .

الرافدانية على عهد الشومريين وبل عهدهم بزمن قد يكون طويلا . وسنرى كذلك ان اسمها (عشيرة) قد كان قديما فى ديار الشام ايضا وانه لغويا اقدم من صيغة (عشتار) . وقد كانت الآلاهة واسمها معا اقدم فى المعربة على كل حال منهما فى سورية والعراق .

والظاهر ان الذين قالوا بأن الأصل هو العراق لم يطلقوا على كل هذه الأسماء التي تجمعت لدينا من مصادر شتى ، ولم يستدلوا بوجود الصيغ الثانية على شيء .

وكان الأعربون يطلقون اسم الثور على بعض الأماكن الجغرافية ايضا فيما يظهر ، مثل جبل (ثور) بين مكة والمدينة .

وقد دخل اسم الثور فى بعض الآريات القديمة ، ربما منذ ايام الهجرات الآرية الاولى من المعربة . من ذلك ان الثور يسمى باللاتينية (taurus) . ومما يدعو الى العجب انهم كالعرب اطلقوا اسمه هذا على جبال أيضا هي التي نسميها جبال (طوروس) فى تركية . ومن عادة المهاجرين ان يطلقوا اسماء بلدانهم وجبالهم وانهارهم .. على نظائرها فى المهجر الجديد، كما نرى فى امريكا مثلا اسماء جورجيا ويورك واوكسفورد واكثر من عشر مدن وقرى باسم بغداد ، وغيرها مثلها . فلعل بعض الأعربين هاجروا من منطقة فيها جبل باسم الثور وحلوا فى الأناضول واطلقوا اسمه على احد جبالها تذكارا لوطنهم الاول ، ثم عمم الاسم فشمل سلسلة جبال (طوروس ـ Taurus) ، واستمر أولئك المهاجرون فى اطلاق نفس الكلمة على الحيوان الثور ايضا ثم ذهبوا ، او ذهبت طائفة منهم ، الى ايطاليا فحملوا الكلمة معهم وطفقوا يطلقونها على هذا الحيوان وتلك الجبال . وزيادة فى التوكيد تقول انها تنطق فى اللاتينية بفتح التاء ما يقر بها من النطق العربي الفصيح .

وقد رأينا ان المعبود كان جنس البقر اناثا وذكورا، ومن ذلك ان البقرة كانت تدعى فى العربية (الثورة) وما زال ذلك فى المعجم ، لكن اسم (البقرة) شاع وغلب عليها فصارت (الثورة) تطلق غالبا على الهياج ، ثم اكتسبت اخيرا معناها هذا السياسي . ومن عبادة الثورة كالثور ان الفراعين الذين عبدوا الثور (آبيس)، كانت لهم الاهة بقرة اسمها (هاتور) . وقبل ان نتقدم خطوة اخرى .. هل لحظ القارىء الكريم أن اسم (هاتور) ما هو الا صيغة فرعونية لا اسم آثور (الثور)؟

يمكننا الآن ان نقول فى ثقة ان الدلائل ألتي مرت بنا ـ ومثلها التي ستمر بنا ـ تنبيء ان اسم عشتار ، مهما قدم ، فأقدم منه الصيغة الثانية النابتة فى الجزيرة العربية .

اما ان تعدد الصيغ ايضا مرجعه الجزيرة العربية فيؤيده اسم الثور نفسه .

فالآن اذا تتبعنا ثورتنا وثورنا المقدسين داخل المعربة قبل هجرتهما الى العالم الخارجي ، أي فى اللغة العربية نفسها ، نجد ان التسمية مشتقة من فعل (ثار يثور) تعبيرا عن (ثوران) الثور اي هيجانه المعروف ، الذي اتخذ منه الاسبانيون رياضة مشهورة ، وهم يسمونه (تورو ـ toro) لكننا لا ندري هل التسمية حديثة مقتبسة من العربية الاسلامية فى العهد الأندلسي العربي أم من اللاتينية التي هي الأساس لكيان الاسبانية .

فانظر الى تعدد مصادر هذا الفعل (ثار يثور) : ثورة وثورا وثؤورا وثورانا . وجمع الثور : ثيران وثيار وأثوار وثيرة وثورة (والأخيرتان زنة عنبة) . ولعل هناك صيغا اخرى كانت موجودة فى لهجات العربان الذين هاجروا منذ الوف السنين فنشأ منهم الساميون المختلفون فى ديارهم المختلفة .

ونسجل هنا ان اسمي الثورة والثور هما فى نفس الوقت مصدران لفعل ثار . نسجل ذلك لفتا للنظر الى استعداد الكلمة للتطور والتخبط ، فكما تنوع مصدر الفعل (ثار) وجمع الاسم (الثور) تنوعت صيغ الثور والثورة عند القبائل والشعوب واختلفت باختلاف اللهجات ، حتى لنراها مختلفة فى اللغة الواحدة أحيانا كما في البابلية (عشتار واشخارا) وفي الأرمية (عثار وعثتار) وفى المارية (عشتار وعشتر) .

من معنى الثوران قالت العرب (ثار التراب) اي ارتفع ، ومن ذلك نشأ (العثير) ـ زنة المنبر ـ اي التراب والعجاج . ومن ثم صار اسم (العثرة) يعني الحرب لانها تثير العثير ، وطالما قرنوا اسم النقع اي الغبار ايضا باسم الحرب حتى صار يعني الحرب نفسها احيانا فى مثل قولهم : يوم النقع ، وغداة النقع . فلا غرابة ان تغدو (العثرة) الناشئة من العثير مرادفة للحرب كذلك .

ومن معنى العجاج اي التراب المرتفع نجد (العثير) أو ما يقاربه من الصيغ بصورة (ether) في الاغريقية بمعنى الطبقة العليا من الهواء ، ثم اقتبسته العربية بصيغة (الأثير) وهو كما في اللغات الاوربية ايضا — تلك المادة المفترضة التي تملأ فراغ الكون وتسري خلالها تموجات الضوء والحرارة . لكن لا ننس ان الاقدمين كانوا يطلقون الأثير على الفلك التاسع .

كذلك رأينا اليمانيين القدامى يسمون عشتار (اثيرة) ، ولعل هذه الصيغة كانت قبل ذلك تعني الثورة اي البقرة . فالظاهر انهم من شدة تقديسهم البقرة اطلقوا اسمها المبجل على اجمل كوكب في رقعة السماء (الزهرة) .

وعلى عادة تطور صفات الآلهة وتنوعها واختلاطها في الاديان القديمة من جيل الى جيل ومن بلد الى بلد — تنوعت صفات هذه الالاهة وتعددت وظائفها وصاروا يطلقون اسمها على مختلف الالاهات والآلهة والنجوم .

والظاهر أن اسم (اثيرة) اليمانية هو أثل تسمية الالاهة الكنعانية (أشيرة) أو (عشيرة) ، وهي زوجة الالاه (ايل) عندهم . وهما — الزوج والزوجة — من الآلهة القدامى البائدين الذين تقول اسطورة كنعانية ان الآلهة الجدد ثاروا بهم واستاصلوهم . ومعنى هذا ان هذين الالاهين كانا معبودين لدى اجيال سبقت الجيل الذي انشأ اسطورة ابادة الآلهة القدامى ، فلهذا يحتمل ان تكون عشيرة هذه ، الاقدم من الآلهة الكنعانية ، اقدم مع عشتار البابلية ايضا . وان لم تكن هي اقدم فان اسمها آثل على كل حال .

ومن كون عشيرة زوجة صار (العشير) في العربية يعني الزوج والخليط والصديق ، ومؤنثه (العشيرة) : الزوجة والصاحبة والخليطة . وصارت (العشرة) — زنة الفكرة — و (المعاشرة) تعنيان الصحبة والمخالطة . ومن هذا المعنى صار (العشير) و (العشيرة) يعنيان القبيلة .

وهذه الصيغ العربية المنطوقة بالعين والشين ، والناشئة من اسم الالاهة الزوجة (عشيرة) دليل — ولو غير حاسم — على ان (أثيرة) اليمانية كانت تنطق (عشيرة) ايضا في المعربة نفسها قبل هجرتها الى ارض كنعان ، ومن اسمها الأعربي هذا استخرجوا معاني الزيجة والصحبة والقبيلة في العربية . والأغلب انهم استخرجوا مثل هذه المعاني من صيغة (أثيرة) كذلك لكنها بادت كما بادت معان كثيرة من الفاظ عزبية اخرى . الا انه بقي مع ذلك من آثار هذه المعاني لفظ (الأثير) و (الأثيرة) بمعنى الشخص المفضل المختار اي العزيز . ومن ثم صاغوا الفعل (آثرته) بمعنى فضلته واخترته ، ومنه صيغ المصدر (الايثار)، ثم نقيضه (الاثرة) اي ايثار النفس على الغير .

ويلوح ان الأعربين استعملوا (العثير) ايضا بمعنى البقرة ومنه صيغ اسم اثتر (أو اثتار) الذي بقي في المعينية .

ونجد اسم اثتر في الفارسية بصورة (اختر — Akhtar) وهو نجم ايضا او بالاحرى نجمان (اختران) ، ولعلهما نوءان (1) . ومن صيغة (اختر) هذه نشأت عندهم صيغة (باختر — bakhtar) : الغرب ، و (خاور — khawar) : الشرق — مما يرجح ان النجمين المذكورين (اختران) منيان الأنواء التي تظهر في السماء اشفاعا : يسقط ش ليلة نوء منها في المغرب فطلع قبالته نوء في المشرق . وليس في متناولنا الآن شيء من المراجع الفارسية للتثبت من ذلك .

وعلى هذا يمكننا ان نفترض أن (خواهر) وتنطق (خاهر — khalar) : الأخت بالفارسية ، مشتقة من (خاور) الذي ربما اطلق على النوء الشرقي اولا . وانما سميت الأخت (خواهر) من معنى تقابل النجمتين النواين ، كالأختين .

وفي العربية ايضا اشتقوا من تقابل النواين وصعود الشرقي منهما عندما يغوص الغربي في الأفق معنيين : النهوض والتقابل . فمن معنى النهوض قالوا (ناء ينوء) بمعنى نهض أول الأمر ثم بمعنى نهض بمشقة كمثل قولهم (ناء بحمله) . ومن ذلك قالوا (ناض ينوض) بمعنى نهض ايضا ، وقد انقرض هذا الفعل في الفصحى لكنه لا يزال موجودا في المغربية الدارجة.

(1) تحدثنا عن النجوم الانواء بعنوان « العرب أول الفلكيين ؟ » في عدد سابق من « اللسان العربي » وفي كتابنا « مغامرات لغوية » .

ومن (ناض ينوض) ظهر فعل (نهض ينهض) . ومن معنى النهوض والمقابلة قالوا (ناواه مناواة) أي ناهضه مناهضة ، الذي صار يعني عارضه وفاخره ، وعاداه . ومن معنى المقابلة قالوا (ناوحه) . ومن ثم قالوا (تناوح الجبلان) : تقابلا . ومن هذا المعنى نشأ معنى غريب هو (النوح والنياحة) حيث قالوا (استناح الرجل) : بكى حتى ابكى غيره ، وهذا ناشيء من قولهم (تناوحا) ، كأنما قصدوا انهما تقابلا في البكاء . ثم قالوا من هذا المعنى (استناح الرجل غيره) : استبكاه .

ثم ان الأعربين طوروا اسم أثتر (أو اثتار) الذي نجده في المعينية فصار ينطق على السنتهم : عثتر وعثتار وعستر وعشتر وعثتار وعشتار وعشتاروث .

ثم سرحت هذه الأسماء البقرية الأثل فانداحت على جوانب المعربة في لغات الموجات المهاجرة منها. ومما قد يؤيد ذلك ان الأحباش في افريقيا نطقوها عستر (أو عستار) بالسين وأهل ماري ، في موقع (تل حريري) الحالي على الفرات ، شمالي البوكمال ، في سورية ، نطقوها (عشتر) و (عشتار) بالشين . وليس من المستحيل لكن من المستبعد ان يكون احد الفريقين قد اقتبس الاسم من الآخر وبينهما هذه الجزيرة العربية المترامية الطرفين ، التي هي أصلح لسبك الصيغ وتوزيعها لوقوعها متوسطة بين جميع الأطراف المعنية ــ فضلا عن أن عشتر الاه عند الماريين وعستر الاهة عند الأحباش . وكلتا الصيغتين أثلها (أثتر) التي بقيت الى عهد المعينيين ولعلها بقيت بعد عهدهم في لغتهم أو لغة سواهم من الأعربين الذين لم يكتبوا أو لم تكتشف أكاتيبهم .

ويجوز طبعا ان تكون بعض هذه الصيغ قد سبكت خارج المعربة حيث تناولت بعض الشعوب السامية كلمة اعربية واحدة فنطقها كل منهم بطريقته مثل (عستر) الحبشية التي يحتمل ان يكونوا قد تسلموها من العرب بصورة (أثتر) بالثاء فنطقوها بالسين وفق لهجتهم كما نطقوا الثالوث مثلا (سيلاس) (1) لكننا لا ننسى في نفس الوقت ان ابدال الثاء سينا كان عادة اعربية لا تزال باقية في الدارجتين المصرية والسورية. ومهما يكن فان أثول هذه الصيغ السامية جمعاء ترجع الى الثاء ــ سواء منها ما صيغ داخل المعربة أم خارجها ــ وتجتمع كلها عند الثور والثورة الأعربيين . ووجود صيغة (عشتر) في لغة سبأ وصيغ عينية اخرى سيأتي ذكرها ، في العربية حتى اليوم ، دليل على ان الكثير من الصيغ العينية الاخرى قد سبكت في المعربة ايضا قبل خروجها الى الأصقاع المجاورة وخاصة اننا نفترض ان اسماء هذه الآلهة كان موجودا في لغاتهم قبل مغادرتهم المعربة .

ولم تقف تطورات الاسم ولا اطلاقه على الزهرة عند هذا الحد ، فاننا نرى من الصيغ الثانية اسم (الثريا) الذي يلوح انه كان ينطق أولا (الثويرة) تصغير الثورة ، مثل كلمة (شوي) أي قليل بالدارجات العربية ، التي أثلها (شيىء) تصغير (شيء) . والثريا هي عنقود النجوم الذي يقع ضمن المجموعة التي يطلق عليها اسم (الثور) . وهي ــ الثريا ــ تقع بالدقة في عنق هذا الثور . بل ان الفلكيين اطلقوا اسم الثور على الثريا نفسها ، منهم الفلكي الفارسي عمر الخيام حيث يقول :

« كاويست در آسمان ونامش بروين »

أي « يوجد ثور في السماء واسمه الثريا » (2) ويمكن ان تكون الترجمة : «توجد بقرة في السماءواسمها الثريا » لأن اسم الثريا (بروين) في الفارسية تسمى به النساء . وسواء اكانت ثورا أم ثورة فان وجودها في رقبة الثور يشير الى الاختلاطات اللفظية والمعنوية التي تتسم بها اللغات والديانات .

ومن اطلاق اسم الثور والثورة والأثير والعثير على مختلف النجوم نجد صيغة (العذرة) ــ زنة القدرة ــ قد اطلقت على نجمة اذا طلعت اشتد الحر على تعبير المعجم ــ المنقول عن اقوال العرب ــ والأصح ان طلوعها يصادف اوان اشتداد الحر . ومن المحتمل ان يكونوا قد ظنوها الاهة الحر ومؤججته .

(1) من ذلك اسم عاهل اثيوبيا « هيلاسيلاسي » المركب من كلمتين : هيلا (= حيل ، أي قوي » وسيلاسي . ومعنى الاسم بجملته : الثالوث القوي .

(2) تمام ترجمة هذه الرباعية التي يعبر فيها الخيام عن احتقاره الجنس البشري ، في كتابنا «ثورة الخيام» هو :

لاح ثور في السما يدعى الثريا ظاهر   واختفى تحت طباق الأرض ثورا آخر
فاذا ما نظرت واعية العقل البصير   شاهدت بين كلا الثورين سربا من حمير !

ومن العذرة فيما يظهر نشأ اسم (الشعرى) بكسر الشين وفتح الراء — وهو اسم نجمة تطلع في الجوزاء ويكون طلوعها في شدة الحر كذلك . وهذه الخلة المشتركة بين النجمتين تنبيء ان اسم الشعرى ناشيء من العذرة مبنى ومعنى ، بينما صيغة (الشعرى) تبدو اقرب الى اسم (عشيرة) وكأنها مقلوبة منه . ويجوز طبعا ان يكون الأثل كلمة ثالثة غير هذه وتلك بنتيجة التغييرات الدينية والتحويرات اللغوية .

وتوجد عند العرب شعريان : احداهما وهي المع نجوم (الكلب الأكبر) سموها (الشعرى اليمانية) لأنهما تطلع من صوب اليمن ربما بالنسبة الى الحجازيين فتكون التسمية حجازية عندئذ .. والثانية سموها (الشعرى الشآمية) وهي المع نجمة في كوكبة (الكلب الأصغر) ، والتسمية تومىء الى ان طلوعها يكون من ناحية الشام .

والشعرى اليمانية التي لعلهم عدوها الاهة القيظ، عرفها الفرعونيون باسم (سيرويوس) واعتبروها الاها للخصب والانبات لأن الموسم الذي يطلع فيه هو في مصر ابان فيضان النيل حيث يشتد الحر فعلا ، ومن ثم كان عند الاغريق والرومان رمز الحر ، كما عند العرب .

ولا ندري بالضبط من اية صيغة باقية او بائدة نشأ اسم (العزى) ، الصنم المشهور الذي عبدته قريش في جاهليتها . وعلى بعض الروايات كان أعظم أصنامها ، تزوره وتنحر له . وكان يمثل الالاهة (العزة) ، اي ان هذا اثل (العزى) فيما يظهر . وكان للعزى اكثر من معبد في الحجاز ، وكان يعبدها اكثر من قبيلة بالاضافة الى قريش . والمعبد الرئيسي في بعض الروايات كان بين مكة والطائف ، ارسل النبي خالد بن الوليد لهدمه ، فهدمه وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك !
اني رأيت الله قد اهانك !

وقد عبرت العزى خارج المعربة كذلك ، في الهلال الخصيب من قبل اللخميين في الحيرة والأرميين في العراق والشام .

والظاهر ان قريشا جلبت الصنم من الحضر — المدينة التي دمرت بعد الميلاد بنحو قرنين — لا لأن قريشا كانت تجلب منها اصنامها في العادة فقط — كما كنت قرأت منذ عهد بعيد في مطبوع ما — لكن لأن صنما للعزى وجد في اطلالها كذلك (1) .

وربما من اسم (العزى) نشأ في الفرعونية اسم (ايزيس) الالاهة المصرية المشهورة التي تناظر عشتار البابلية . واسم زوجها (اوزورين) ، وهو الذي ورد اسمه في القرآن (العزير) — زنة الزبير . واضافة السين الى هذه الأسماء الفرعونية : ايزيس وأوزوريس وسيرويوس — عادة لغوية أعربية قدمى لا تزال من بقاياها كلمات مثل العتريس (الشديد) والقدموس (القديم) والقسطاس (الميزان) (2) .

واوزوريس الذي كان عند المصريين رمز الزروع والخضرة ، مع زوجته ايزيس لـ يناظر الالاه تموز مع الالاهة عشتار عند البابليين .

ويظهر أن طلوع العزى كان يصادف موسم هطول الأمطار عند بعض الأعربيين . ولعلهم ، ان صح ذلك ، اطلقوا من هذا المعنى كلمة (المعزوزة) على الأرض التي أصابها (العز) — زنة الحس — أي المطر الشديد، كما كانوا يقولون « مطرنا بنوء الثريا » مثلا .

ولا ندري كذلك هل نشأ اسم (عطارد) من صيغة مثل عشتار او عذرة أم من معنى الطرد لانه يطرد أي يلاحق نجما أو كوكبا ما .

ولعل اسم كوكب (المشتري) متطور كذلك من (عشتر) أو نحوه .

ولعل اسم (سهيل) ثم (السها) أيضا من ذراري هذه المجموعة .

---

(1) اخبرنا المرحوم الدكتور ناجي الأصيل عندما كان مديرا عاما للآثار القديمة في العراق ان التنقيبات العراقية كشفت عند مدخل احد الهياكل في اطلال الحضر عن ثلاثة تماثيل منقوش على احدها اسم « اللات » وعلى الثاني اسم « العزى » ، والثالث غفل لا اسم عليه والمظنون انه « مناة » مصداقا للآية : « افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ».

(2) تطرقنا بشيء من التفصيل الى موضوع السين في العربية والآريات ضمن بحث « اسرار الضمائر » — في المرجعين المذكورين .

واخيرا نذكر اسم (الزهرة) الجميلة ـ وهي اساس كل هذه الفتنة ـ فيبدو لنا انه متطور من اسم امها (الثورة) العظيمة الشأن .

— × —

بعد ان تبينت لنا العلاقة اللغوية بين هذه التسميات الشتى من النجوم والآلهة والأبقار ، نعيد ادراجها حسب ترتيبها الهجائي في هذا المسرد ـ تيسيرا لالقاء نظرة عامة فاحصة عليها :

آثوري : آشوري ، بلغة الموصل . ونحسب هذا النطق الثائي متخلفا من احدى اللهجات الآثورية ، وهو الأثل على كل حال ، وأثله (الثور) .

آشور : اسم عاصمة الآشوريين القدامى ، كانت فى موضع بلدة (شرقاط) الحالية ، على دجلة ، جنوبي الموصل ، ثم صار الاسم علما على الدولة الآشورية . وقد ورد فى التوراة بصيغة (اشور) بتشديد الشين ما يقر بها من نطق أثلها (الثور).

اثتار (او اثتر) : الاهة عند المعينيين تناظر عشتار عند البابليين . وهي كما يظهر أثل عشتار ومن ثم عشتار . أما أثل (اثتار) فهو (أثار) ـ بتشديد الثاء ـ الذي نفترض انه اسم كان موجودا ومنه نشأ اسم (عثار) الأرمية .

أثيرة : الاهة عند قدامى اهل اليمن تناظر عشتار البابلية . وكانت اولا تعني البقرة فيما يبدو ، وأثلها (الثورة) .

اختر : نجم ، بالفارسية . والاغلب وروده بصيغة (اختران) وهو يشمل التثنية عندهم ، مما يدل على انهما نوعان . وأثله (اثتر) المعينية .

اسيريا ـ Assyria : اسم دولة آشور ، بالاغريقية ثم اللاتينية ، اثله : آشور أو آثور .

اشخارا ـ Ish'hara : احدى صور الالاهة عشتار عند البابليين ، واسمها متطور من اسمها .

اشيرة (او عشيرة) : زوجة الالاه (ايل) عند الكنعانيين ، وهما من الآلهة القدامى الذين ابادهم الآلهة الجدد ، ولعلها اقدم من عشتار البابلية ، أو ان اسمها على الأقل اقدم لأنه أقرب تأثيليا الى (اثيرة) بينما اسم عشتار اثله (أثتار)، وهي احدث صياغة من (اثيرة) .

اوزوريس : الاه فرعوني . اذا حذف السين الزائد من اسمه فأصبح (أوزور) يبدو كأن اثله : آشور او آثور وهو يناظر تموز حبيب عشتار عند البابليين من حيث انه رمز الخضرة ومن حيث ان أنثاه ايزيس ندبته وحاولت استنقاذه من الموت .

ايزيس : الاهة فرعونية ، وهي كالذي قلنا توا زوجة اوزوريس ، التي تناظر عشتار البابلية بالنسبة الى حبيبها تموز . لكن اسم (ايزيس) منحدر من (العزى) او من صيغة مقاربة .

تارا : الاهة الحب والجمال عند اهل نيبال حتى اليوم ، وأثل اسمها عشتار او عثار أو نحو ذلك. ولعلها معبودة بنفس الاسم أو بغيره لدى شعوب اخرى فى المنطقة .

الثريا : طائفة من النجوم فى عنق المجموعة التي تسمى (الثور) . وأثل اسمها هو (الثويرة) تصغير الثورة ، اي البقرة ، فيما يظهر .

باختر : الغرب ، بالفارسية . وأثله (اختر) ، آنفا .

ثور : جبل بالحجاز فيه الغار الذي لجأ اليه النبي مع ابي بكر يوم الهجرة النبوية الى يثرب .

الثور : معبود الفراعين باسم (آبيس) ، وأحد البروج الاثنى عشر في السماء ، مدته من 21 نسيان (أبريل) الى 20 أيار (ماي) .

الثورة : البقرة . وقد عبدها الفراعين باسم (هاتور)، ولا تزال معبودة الهندوك .

خاور : الشرق بالفارسية . ومنه نشأ اسم (خواهر) : الاخت ، لعل اثله (اختر) ، آنفا .

الزهرة : النجمة المتوهجة المعروفة التي كانت الاهة الجمال والحب والخصب لدى الأعربين وغيرهم من الشعوب القديمة شرقا وغربا . يبدو أن أثل اسمها (الثورة) .

السهـا (أو السهى) ـ كلاهما زنة الرؤى : نجم يقع في مجموعة الدب الأصفر ، يضرب به المثل في الضآلة . يبدو انه اختزال من اسم (سهيل) ، تاليـا .

سهيـل : نجم وهاج ، يطلع عند العرب في أواخـر موسم القيظ . لعل أثله (الزهرة) . فان صح ذلك فالأغلب انهم سموه (زهير) أول الأمر .

سيروس : جزيرة في بحر ايجه . لا نعرف سبب تسميتها لكن اللفظة تبدو كأنها جاءت من اسم (الشعرى) مثل اسم الاله المصري (سيريوس)، لاحقـا .

سيروس : الملك الفارسي القديم المعروف باسـم (كوروش) أيضا . ويظهر أن أثله (الشعـرى) كذلك ، مثل اسم (سيريوس) ، تاليا .

سيريوس : نجم يطلع عند المصريين بشيرا بفيضان النيل الذي يبدأ عادة في منتصف شهـر آب (اغسطس) أي بداية موسم اشتداد الحـر . وكان عندهم لذلك الاه الانبات والخصب ، وهو المسمى عند العرب (الشعرى اليمانية) . واسم (سيريوس) متطور من اسـم (الشعـرى) نفسها ، يتضح ذلك عند حذف (أوس ، يوس) من آخر الاسم فيبقى (سيرو) .

سيريـا ـ Syria : اسم أطلقه الاغريق على بلاد الشام وآشور ، وظل كذلك عند الرومـان ، ثم تخصص في اللغات الأوربية ببلاد الشام (سورية)

الشعرى : نجمة تطلع عند اشتداد الحر . ولعل أثل الاسم (العذرة) التي تطلع في شدة الحر أيضا . ويبدو اسم (عشيرة) أقرب الى (الشعرى) ويمكن أن يكون هو الأثـل . ومنهـا اسـم (سيريوس) آنفا . وكانت عند الاغريق والرومان أيضا رمز الحر .

الشهـر : الجزء من اثنى عشر جزءا من السنـة . يصح ذكره مع هذه المجموعة من الأسماء ان كان أثله (الزهرة) أو نحوها . ويؤيد ذلك أن الفنيقيين كانوا يطلقون اسم عشتاروت ـ الذي هو الزهرة في الأصل ـ على الالاهة القمر أحيانـا . وعلى هذا يكون (الشهر) قد أطلق في العربيـة على القمر أولا ثم صار يعني الفترة الزمنية بين طلوع هلالين أو بالأحرى بدرين . وما زال اسم القمر يعني الشهر في الفارسية (ماه) والتركية (آي) وفي كثير غيرهما من اللغات .

طوروس : سلسلة جبال في تركية . والتسمية من اللاتينية (Taurus) التي تعني فيها الثـور كما تعني هذه الجبال . وأثل الكلمة كما هو واضح (ثور) . وقد يكون أصل تسمية هذه الجبـال اعربيا وخاصة أن في الجزيرة العربية جبلا أو أكثر باسم (ثور) .

عثـار : اسم عشتار عند الارميين .

عثتـار : اسم عشتار عند الأرميين كذلك .

عثتـار (أو عيثتار) : الاه عند قدامى اهل اليمـن .

العـذرة : نجم يطلع حين يشتد الحر . ولعله أثل (الشعرى) لفظا ومعنى . اما أثله فربما كـان أثتر أو أثيرة أو ثورة . .

العـزى : صنم كان لقريش في الجاهلية ، وجد نظيره في أطلال الحضر . وقد عبده اللخميون والارميون كذلك . اما أثل (العزى) فلعله اسم الالاهـة (العزة) ـ زنة الغصة .

العزير : اسم ورد في القرآن تعريبا لاسم (أوزوريس) الفرعوني . وربما كان منه أيضا اسـم النبـي العبراني (عزير) على عادة العبريين في اقتباس بعض الفرعونيات وأشهرها عبادة العجل (1) .

عستار (أو عستر) : نظيرة عشتار البابلية عند قدامى الأحباش . وأثلها (عستار) وهذا من (اشتار) المعينيـة .

عشتار : الاهة الجمال والحب والخصب والحرب عند البابليين ، وأثل الاسم (عثتار) أو (أثتار) .

---

(1) كما ان اسم موسى أيضا من الفرعونية والمظنون انه أثلا : موشا (= مو : ماء + شا : شجر) : اشارة الى التقاطه رضيعا بين أشجار الماء .

عشتار : الاهة الخصب عند أهل ماري .

عشتاروث : عشتار عند الفنيقيين ، اي كوكب الزهرة ، وكانوا يرمزون بها الى الالاهة القمر احيانا . ويظهر ان (اوث) فى آخر الاسم علامة تانيث ، ما يوحي بان الذين سبكوا هذه الصيغة ، من الفنيقيين او اسلافهم ، كان لهم الاه ذكر باسم عشتار او عشتر . مثل السبئيين والماريين ، فالحقوا علامةالتأنيث باسم الالاهة الانثى، تمييزا .

عشتر : الاه عند أهل ماري .

عشتر : الاه عند قدامى السبئيين ، كانوا يقصدون به كوكب الزهرة ، وهو الابن فى الثالوث السبئي. أبوه القمر (الموقاء) وامه الشمس (ذات حميم) .

عشيرة : هي اشيرة ، آنفا .

هاتو : الاهة ثورة (بقرة) عند الفرعونيين . ويبدو أن اثل الاسم هو آثور او الثور .

— x —

أوردنا هذه الأسماء مرتبة الفباتيا ، لأننا لا نستطيع ترتيبها دينيا ولا تأثيليا بسبب تفرعها مثل اغصان الشجرة متعارضة ومتماكسة ومتواشجة ، لا متتالية مثل حلقات السلسلة . ويمكن تأثيل كل واحد منها على حدة بوجه التقريب والتخمين ، كالذي فعلنا.

هذا ولا نذكر مصدرا أخذنا عنه هذه الأسماء لأنها صادفتنا فى مصادر مختلفة أثناء مطالعاتنا العامة خلال عدد عديد من الأعوام . ولا نخالها موجودة كلها فى مصدر واحد . ولا بد ان هناك مصادر أخرى تحتوي اسماءا اخرى فى هذا الصدد قد تكون كثيرة . ولا بد ان هناك اسماءا منقرضة ايضا لا توجد فى اي مصدر . ولو أمكن الاطلاع على هذه وتلك لأمكن بسهولة تأثيل هذه الأسماء بوجه الدقة أو ما يقاربها .

واخيرا ، لو انصفنا لجعلنا الثور أو الثورة عنوانا لحديثنا هذا لانهما اصل تلك الآلهة واثل هذه التسميات . لكننا آثرنا الأجمل والأحب الى القراء فجعلنا عنواننا (عشتار) .

أعداء الإسلام يحاربون لغته

الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
« مكة »

جاء في مجلة « رابطة العالم الاسلامي » التي تصدر في مكة المكرمة (العدد العاشر 1390) ما ملخصه:

كتب الاستاذ احمد عبد الغفور عطار مقالا قيما تحت العنوان المذكور اعلاه، ينوه فيه بباكستان الشقيقة التي تولي عناية كبيرة باللغة العربية، ولقد تسنى للسيد كاتب المقال أن يزور باكستان ويلتقي بشخصيات مرموقة فوجد فيها عطفا كبيرا واهتماما بالغا بلغة الضاد. وكذلك الامر في الصين الوطنية يقول مثلا: « فالمسلمون في الصين يتمنون أن يدرسوا اللغة العربية ويتعلموها ولكنهم لا يجدون المعلمين فيكتفون بقراءة القرآن دون ان يفهموا كلمة او آية، بل يقرأ بعضهم الآيات محرفة ».

ويؤكد الاستاذ عبد الغفور عطار أن اهتمام باكستان باللغة العربية اهتمام لا حد له، غير اننا نحن العرب لم نول اهمية تذكر هذا الاهتمام فلا نكاد نعرف من جهودهم المباركة العظيمة شيئا. وبعد ذلك تحدث عن كتاب « قواعد الفقه » للعلامة الباكستاني الاستاذ محمد عميم الاحسان ثم عاد الى الدفاع عن العربية قائلا:

« لقد قام أعداؤنا اعداء الاسلام – وما زالوا يقومون – بدعايات سيئة ضد هذه اللغة الميسرة مدعين بأنها من أصعب اللغات، واخذوا يروجون هذه الدعاية بطرق شتى واساليب مختلفة حتى تأثر كثير منا وطفقوا يرددون فيما بينهم بأن اللغة العربية صعبة!!»

وكانت نتيجة هذا التأثير السيء ان اكتفى المثقفون منا في باكستان وبلاد المشرق من القرآن الكريم بالتلاوة مجردة عن فهم معاني الالفاظ والكلمات، كما اهملوا في دراساتهم تعلم هذه اللغة الميسرة.

انهم لو بذلوا جزءا يسيرا من مجهودهم العلمي في سبيل اتقان هذه اللغة الكريمة لما وقعوا في شباك الدعاية السيئة التي يروجها الاعداء.

ان اللغة العربية لغة سهلة وميسرة للفهم والاتقان، وهي بالنسبة لنا نحن الباكستانيين من اسهل لغات العالم ادراكا لكننا – مع الاسف الشديد – انجرفنا مع تيارات الدعايات المغرضة، واخذنا نسمي السهل صعبا، ونقول لليسير عسيرا.

وليس ما يشكو منه الكاتب الباكستاني الفيور على لغة القرآن مقصورا عليه، فكل الغير عليها يشكون ما يشكو منه.

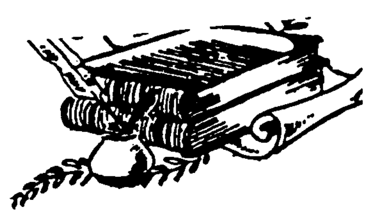
وليس الباكستانيون وحدهم انصرفوا عن العربية، بل العرب أشد منهم انصرافا، فالتهمة التي الصقها أعداء الاسلام بلغته أثرت في علماء العرب من أساتذة الجامعات والمعاهد الكبرى، وحمل علماء عرب كبار راية الاتهام وايدوا اعداء العربية في زعمهم انها شديدة الصعوبة.

وقد وضع اولئك الأعداء مخططا رهيبا للقضاء على العربية، وجعلوا عنوانه: صعوبة اللغة العربية،

ثم فصلوا التهمة تفصيلا ، وزخرفوا اباطيلهم وتهمهم المدمرة بالغيرة على اللغة العربية والناطقين بها حتى وفقوا الى ان يجعلوا علماء العرب مؤمنين بصدق ما يدعون ، ونهضوا بحمل الدعوة كما اراد اصحابها من اعداء الاسلام .

وهؤلاء الاعداء يعلمون ان اللغة العربية لغة القرآن والحديث والاسلام ، فاذا اضعفوها اضعفوا العرب والمسلمين جميعا وتم لهم ما ارادوا ، فقد اضعفوا العرب والمسلمين ، ونزعوا منهم الثقة بدينهم وثقافاتهم وحضاراتهم وشريعتهم وآدابهم وسلوكهم ولغتهم ، فاتجهوا نحو اعدائهم ووالوهم وجعلوهم مثلهم الاعلى ، وتركوا لغتهم ودينهم فهانوا وذلوا .

ومن جملة ما دعوا اليه ليقضوا على لغة العلم والكتابة ، والى تيسير النحو فى اللغة العربية الدعوة الى اتخاذ العامية والى اتخاذ الحرف اللاتيني بدل الحرف العربي المسلم ، والى هدم موازين الشعر العربي ، والى ترك الاعراب وتسكين اواخر الكلمات ، والى الثورة على علوم البلاغة الخ .



أسماء الأعلام العربية

(من القرن الجاهلي الأخير إلى العصر العباسي)

الدكتورة فيبكه فالتر
أستاذة اللغة العربية
جامعة مارتن لوثر (المانيا الديمقراطية)

اسمحوا لي أن اعرض لكم اليوم موجزا لبعض الاعلام العربية منذ القرن الاخير للعصر الجاهلي حتى أوائل العصر العباسي ، وجريا على راي الكاتب والعالم اللغوي الالماني (A.W. v. Schlegel) الذي قال : ان الاسماء هي التمثال الاقدم للغة وللآداب ولتفكير الشعب .

وقد وجدت اليوم ابحاث شاملة وعميقة للغات كثيرة عن اسمائها سواء اسماء الامكنة منها واسماء الاشخاص ، ولا تبحث الاسماء فيها من الوجه اللغوي فحسب بل ومن الوجه التاريخي والاجتماعي والاتنولوجي ايضا .

ويشتمل الادب العربي اللغوي فى القرون الوسطى على أقوال عديدة عن الاسماء من الناحية اللغوية فقط . ولقد حاول (سيبويه) فى كتابه « الكتاب » أن يحدد ماهية الاسم العام وبما يختلف عن اسم الجنس ، ويبحث سيبويه مواضيع نحوية ولغوية تتعلق بأسماء الاعلام . واستطاع اللغويون بعد سيبويه ان يحددوا بدقة اكثر ماهية اسم العلم ، وفى مؤلفاتهم فصول خاصة حول الاسماء . ويجزئني عن الاطالة ان اذكر لكم هنا أن العالم العربي (ابن دريد) قد حاول فى كتاب «الاشتقاق» فى القرن الرابع الهجري أن يشرح معاني اسماء العرب الشخصية ، ويعلل ذلك فى مقدمة كتابه « أن قوما يطعنون فى اللسان العربي وينسبون اهله الى التسمية بما لا أصل له فى لغتهم » . وهو يعني بهذا اصحاب الشعوبية ، ومع أن غايته كانت التعريض بادعاء الشعوبية وان يجد لكل اسم معناه فقد كان لا بد له من ان يعترف بعجزه عن اعطاء المعنى الدقيق لعدد كبير نسبيا من الاسماء ، لذلك فهو يذكر احيانا احتمالات مختلفة لشرح اسم واحد . وسبب ذلك فى كثير من الاحيان أن لبعض الاصول فى اللغة العربية معاني مختلفة .

ابتدأ بعض المستشرقين الاوربيين منذ أوائل هذا القرن بأبحاث عميقة لبعض مجموعات الاعلام العربية وقد انتبه الى ذلك بعضهم من قبل ومن بين هؤلاء العلماء مثلا Th. Nöldeke عن بعض مجموعات الاعلام الساميين ومنهم العرب و E. Gratze عن اعلام النساء العربية القديمة ولـ J. Hotovitz عن الاعلام فى القرآن . ولـ J. Wetzstein عن الاعلام فى جبل حوران فى منتصف القرن الماضي ولـ J.J. Hess عن اعلام البدو فى وسط الجزيرة العربية . ولـ E. Littmann بعض مقالات مثلا عن اعلام البدو فى جبل حوران وعن الاعلام المصرية فى منتصف قرننا هذا .

وبدأ المستشرق الايطالي L. Caetani كتابا عنوانه : Onomasticon ومعنى ذلك كتاب الاعلام العرب ولكن لم يكن فى وسعه أن يتم الا الجزء الاول من هذا الكتاب وهو يحتوي على العبادة ويعني ذلك من اسمهم عبد الله ، وكتب المستشرق الايطالي F. Gabrieli كتابا افتتاحيا لذلك الكتاب يجمع فيه المصادر ويعرض فيه فكرة واضحة عن نتائج المؤلفات

العربية والاوربية المهتمة بالاعلام العربية التي صدرت حتى ذلك الوقت حتى سنة 1915 م .

وبدأ بعض الادباء فى العالم العربي فى السنوات الاخيرة بلفت النظر الى الاعلام العربية . فكتب الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي مقالات متعددة عن الاعلام العربية خاصة الحديثة منها (يمكننا ان نقول انه لا توجد الى الآن دراسات واسعة مهتمة بالاعلام العربية بالنسبة للغات السامية الاخرى أو للغات الهندية الاوربية) . أما أسماء الاعلام فى القرون الاولى من الاسلام أو فى الجاهلية فقلما كانت حتى الآن موضوعا للدراسة . مع ان نظام سلاسل الانساب العربية الواسع الناشيء من المجتمع البدوي والادب العربي التاريخي والبيوغرافي المتسع يحتوي على مجموعة ضخمة من اسماء الاعلام جديرة بدراسات عميقة .

ويهمنا الآن فى هذه المقالة اسماء الاعـلام فى القرن الجاهلي الاخير وفى القرنين الاول والثاني من الاسـلام .

ولكي نحصل على نظرة اجمالية مناسبة عن اسماء الاعلام الشائعة فى ذلك الوقت نستفيـد من كتـاب الاشتقاق لابن دريد ومن فهارس الاسمـاء فى بعض مؤلفات بارزة فى القرن الثاني الى القرن الرابع الهجري، من ذلك كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد أو سيـرة النبي لابن اسحاق وفهارس الاسماء فى بعض مجموعات الأشعار كالنقائض أو المفضليات مثلا . ونجد فى هذه المؤلفات من 3000 الى 4000 اسم تقريبا ، وعندنـا الآن مرجع ممتاز وهو جمهرة الانساب لهشام ابن الكلبي الذي كان الفضل فى نشره من جديد سنـة 1967 للمستشرق الالماني W. Caskel باستطاعتنا أن نذكر ان اسماء الاعلام المذكرة تغلب فى هذا العصر الـذي نحن بصدده على اسماء الاعلام المؤنثة لان المجتمع كان مجتمع الرجال . مع انه توجد فى شجرات الانسـاب بعض الآثار لمجتمع سيطرت فيه النساء (Matriarcat) (وهو ينتج من طبيعة المجتمع العشائري البدوي المبني على القرابة الحقيقية او الوهمية انه يصعب علينا أن نفرق بين الاعلام الشخصية واعلام البطون او العشائر لان البطون يرجع اصلها الى اب واحد سواء اكان حقيقيا ام وهميا واحيانا الى أم واحدة) .

وبناء على كثرة عدد الاسماء أرى أن من المناسب ان أركز على الاسماء بدون الالقاب أو الكنى أو الانساب مع انها اجزاء لا تتجزأ عن العلم العربي الكامل ومع ان بعض الالقاب والكنى المجازة تعبر عن تفكير الشعب ومزاجه ، وعدد الالقاب والكنى المجازة الـواردة فى مصادرنا المذكورة نسبيا قليل . وظلت النسب تنسب فى القرن الاول والثاني من الاسلام الى البطن الـذي يرجع الشخص اليه سواء عند البدو او عند سكان المدن، وقد عاش سكان المدن وبينها المدن المنشاة فى صدر الاسلام حسب تبعيتهم لبطن من البطون ويظهر لنا ذلك ان هذه التبعية كانت اكبر قيمـة من تبعية المنشـا المحلي . وهذا مميز لمجتمع تغلب عليه البـداوة . وكثيرا ما كان الناس فيما بعد ينتسبـون لبطـن من البطون وايضا الى مكان من الامكنة مثلا السلمى المكي . واحيانا كان لهم زيادة على ذلك نسبة تدلنا على مذهب الشخص او حرفته او حرفة ابيه كالساعاتي مثـلا . فاذا فى وسعنا ان نقول ان العلم العربي الكامل فى ذلك الوقت عبر عن موقف الشخص فى المجتمع تعبيـرا دقيقا نسبيا ، ولا نجد القابا تكريمية فى عدد كبير من الاسماء حتى وقت العباسيين وكانت هذه الالقاب أول الأمر القابا عرشية للخلفاء بدت فيما بعد عند الاسر الحاكمة المختلفة وعند وزرائهم وموظفيهم ايضـا . وكان استعمال الكلمات (دين) و (دولة) و (ملك) فى الالقاب المركبة مميزا لذلك العصر ، ويبدو أن هذه الألقاب تتقوى وتتضخم كلما تفكك الملك وفقد قدرته ، وبعض الالقاب المضافة الى « دين » صارت فيما بعـد اسماء اعلام ولا تزال حتى الآن .

واذا أردنا الاهتمام بأسماء الاعلام فعلينا ان نأخذ اربع نقط رئيسية بعين الاعتبار وهي :

1 — شكل أسماء الاعلام .

2 — معنى أسماء الاعلام .

3 — البواعث لاختيار اسم من الاسماء لطفل .

4 — انطباع اسماء الاعلام بطبيعة الاحوال الاجتماعية.

1 — شكل الاعلام :

نستطيع ان نقول (بوجه عام) حول شكل الاعلام ما يلـي :

لا توجد فى العربية الشمالية على النقيض من اكثر اللغات السامية الاخرى اعلام بشكل جمل اسمية (فمثلا ، فى العبرية القديمة Immanuel يعني عندنا الله ويذكر لغويو العرب بعض امثلة لاعلام فى شكـل الجمل الفعلية مثلا تابط شرا أو برق نحره . جميـع الاسماء فى هذا الشكل كما يبدو القاب ولم توجـد الا فى وقت الجاهلية . وهناك اعلام اخرى على شكل جمل

ونذكر على سبيل المثال تغلب او يزيد ، ومعظم هــذه الاعلام اعلام لبطون او لشخصيات بن اساطير قديمــة ومن المحتمل أن منشأ هذه الاعلام فى جنوب جزيــرة العرب وانها كانت فى البداية تنسب الى الآلهة ، ولكن شرح ابن دريد فى كتاب الاشتقـــاق يبرهـــن على ان العرب فى شمال جزيرة العرب أيام ابن دريد نسبــوا هذه الاعلام الى الطفل او الشخص المسمى بهذا العلم ، ووجدت فى ذلك الوقت بعض اعلام اخرى بشكل جمل نشأت في جنوب جزيرة العرب ايضا -وهـــي مثـــلا معد يكرب أو شرحبيل ويقول نحاة العرب انها مركب مزجى لانهم لم يفهموا العربية الجنوبية بعد .

ومجموعة صغيرة نسبيا من الاعلام هي اضافات منسوبة الى الآلهة ومنها فى الجاهلية مثلا عبد العزى وزيد اللات . ويدل المسلمون الآلهة الوثنيــة بالله او لقب من القابه مثلا عبد الله أو عبد العزيز ولم ينبثق فى الاسلام من الكلمات الاولى التي استعملت فى هــذه الاضافات الا الكلمة عبد . (واوضح نحاة العرب بعض اسماء اخرى بمركب مزجي وهي الاسماء التـــي فى نهايتها (يه) وهي فى الحقيقة اسماء التصغير منتهية بانهاء فارسي واعني بذلك (يه) وتظهر هذه الاسماء منذ منتصف القرن الثانـــي الهجـــري فى أراضي فــارس والعراق) . وقد عرف المستشرق الالماني
Th. Nöldeke
ان الحروف الاخيرة فيها اخذت من الفارسية تظهر اول ما تظهر فى الاسماء الفارسية مثل سيبويه ومن ثم فى الاسماء العربية مثلا سعدويه وعبدويه وليثويه . معظم الاعلام العربية تتألف من كلمة واحدة وهي اسماء او صفات واسماء الفاعل او المفعول والافعل . (وكثيرا ما نجد بعض الاعلام التي تقطع من الاضافات القديمة مثلا زيد وأوس وعوف) . ومن الطبيعي ان اشكال الكلمات الشائعة تغلب على الاعلام ايضا وتوجد بعض الاعـــلام النادرة بشكل لا يتفق والقواعد مثلا محبب ومزيـــد ويسميها نحاة العرب شواذ وهو من المحتمل ان هــذه الاعلام متخذة من اللهجات . ومما يلفت الانظـــار كثرة حدوث الاشكال التي تعبر كما يقول المستشرق الفرنسي H. Fleisch فى كتـــاب Traité عن انفعـــال العواطف ومعنى ذلك انها تستخدم للتعبير عن زيـــادة المعنى الاصلي (Augmentatif) او تقليلهـــــا (Déminutif) ونذكر على سبيل المثال الاشكـــال فعيل وفعال وفعالة وفوعل وفيعل والاشكال افعـــل وفعال غالبة ايضا .

ومن المعروف ان الجنس النحوي فى العربية لا يتفق احيانا والجنس الطبيعي فيلاحظ ان كثيـــرا من اعلام البطون واعلام الرجال فى آخرها علامة الانثـــى وهي غالبا تاء مربوطة . تعبر هذه العلامة هنا عن زيادة او تقليل فى المعنى وتعبر عن المفرد فى الاعلام المشتقة فى اسماء النبات وتدل ايضا على الجماعة فى اسمـــاء البطون . وتوجد ايضا بعض الاعلام المؤنثة بدون علامة التانيث مثلا سهام ودعد وقلم . واستعملت بعـــض الاعلام للرجال وللنساء على السواء ، مثلا عبادة وغبدة وعمادة . ونجد فى الجاهلية بعض الرجال يسمون : اسماء او هند وهي اعلام تغلب على النساء وسنتحدث عنها فيما بعد .

وقد لفت نظر نحاة العرب انه من المنطـــق ان الاعلام معرفة عن ذاتها ومع ذلك هناك العديد من الاعلام فى العربية معرفة باداة التعريف . ويبدو ان معنـــى الاسماء يلعب دورا فى هذه الناحية ، ففي اسماء : الوليد او الطفيل او الاسود ، يعني ذلـــك ان اسمـــاء الجنس اصبحت اعلاما ، ومن اللازم ان يعرف المسمى باداة التعريف . ولكن هناك اعلام اخرى بمعان مشابهة وبغير اداة التعريف مثلا ابيض واحمر وابجر ، وبعض الاعلام المعرفة باداة التعريف تعبر عن فعالية حرفيـــة أو مستمرة مثلا المغيرة (يعني العسكري) والحكـــم والحارث ومن المحتمل ان هذه الاسماء كانت اول الامر القابا . ومما يلفت النظر ايضا ان الشكل فعيل للافعل المعرف بمعنى صفات جسمية ليس له اداة التعريف كما يلفت النظر اسماء كالحارث وعلى خلافه حارثه او الربيع وعلى خلافه ربيعة . وانه من المدهش ان نحاة العرب لم يلتفتوا الى ان كثرة الاسماء منونة ، وهـــذه علامة النكرة ، ومن المحتمل انهم ادركوها عنصـــرا لا معنى له . واضيف الى ذلك ادرك العفاء انه من المرجح ان الاعراب اعفى منذ زمن طويل فى الحياة اليومية . ونستنتج ذلك مثلا من رأى نحاة العرب فى امثال الاسم العلم حسان الذي لا يعرفون اهو مشتق من حس او من حسن يعني اهو متصرف او ممنوع من الصرف .

2 ــ حـــول معنـــى الاعـــلام :

معنى اكثر الاعلام العربية فى ذلك الوقت كما هو الآن مفهوم . وذلك على خلاف معظم الاعلام فى اللغات الهندية الاوربية . وصحيح ان هناك اعلاما لا تستعمل ككلمات ولكن كثرتها اشتقت من اصول اشتق منهـــا اسماء كثيرة وذلك ، كما اظن بسبب معنى هذه الاصول.

ويعني هذا ان هذه الاسماء تنتج عن حسب العرب للجناس .

وفى وسعنا ان نقسم اسماء اعلام العزب حسب معناها الى مجموعات مختلفة ومنها :

الاعلام الدينية :

معظمها اضافات والكلمة الاولى فيها فى الاسلام غالبا وفى الجاهلية احيانا الكلمة عبد وتوجد فى الجاهلية زيادة على ذلك مثلا الكلمات تيم واوس وانس ووهب وسعد وزيد ، وعند النساء امة ، ككلمات اولى ويعني كلمات تعبر عن ارتباط بين المسمى بهذا الاسم والله او الآلهة الوثنية المضاف اليها كعبد العزى او زيد اللات او تيم الله او اوس مناة الخ ... اما المضاف اليه فى هذه الاسماء فى الجاهلية فهو احيانا كما يبدو علم شخص مثلا عبد امية او عبد عمرو . ومن المرجح كما ظن المستشرق الالماني J. Wellhausen ان هذه الاسماء تدل على عبادة الاجداد . ولكننا نشك فى ان ذلك تفسير لكل هذه الاعلام . ونجد فى كثير من هذه الاعلام اسماء الآلهة الكبيرة التي كانت عبادتها شائعة فى مناطق واسعة من جزيرة العرب وهي بجانب الله : اللات والعزى ومناة . ودلت اسماء اخرى على آلهة اخرى مثلا عبد الجد او عبد ذي الشرى او عبد رضا او عبد شمس (أو عبد الملك وكان الملك الها كنعانيا بذكر ايضا فى النقوش التامودية) . وترينا الاعلام عبد الكعبة وعبد البيت وعبد الدار عبادة الكعبة ، وتشهد الاسماء عبد المسيح وعبد يسوع على النصرانية الشائعة فى جزيرة العرب قبل الاسلام .

وتغلب على الاسماء الدينية فى الاسلام عبد الله وعبيد الله وامة الله عند النساء ويوجد بجانبها عدد من الاسماء المركبة بعبد ولقب من القاب الله مثلا عبد الرحمن وعبد ربه ، وقد وجد هذان الاسمان ايام الرسول محمد . ونجد بعض الصفات من صفات الله الاخرى فى الاعلام البارزة فى القرن الاول والثاني من الاسلام ، نحو عبد الكريم وعبد المجيد وعبد الرزاق وعبد المنعم وعبد الصمد ، واننا لا نجد كل الاعلام المالوفة اليوم بهذا الشكل فى هذين القرنين .

وعدد الاعلام الدينية عند النساء صغير بالنسبة لعددها عند الرجال .

وتستعمل الكلمات الاولى الواردة فى هذه الاضافات وحدها كاعلام ومن المرجح انها اختصارات صارت اعلاما مثلا زيد واوس وعوف . ونجد مشتقات من هذه الاعلام مستعملة ايضا ، فاعلام مثل عبيد وعبيدة وزياد وزائدة واياس ووهيب والخ ..

ومن الاعلام الدينية اعلام بمعنى (هدية) وهي واردة فى اللغات السامية الاخرى غالبا ومنها فى العربية مثلا حلوان ورفيدة وزبيد وعطاء بجانب وهب واوس .

كان عدد الاسماء العربية المأخوذة من اسماء الحيوانات كبيرا نسبيا فى ذلك الوقت . وانه من الطبيعي لشعب متعلق بطبيعة حياته كشعب العرب فى ذلك الوقت ان يسموا اطفالهم بأسماء الحيوانات ولو ان البواعث لهذه التسمية مختلفة . وتغلب على هذه الاسماء الحيوانات الوحشية مثل اسماء الأسد ومنها اسد واسامة وليث ، واسماء الذئب ومنها السيد والسرحان ، وفهد وثعلب والنمر وثور ، ونجد بجانبها اسماء الحشرات كأسماء اعلام مثلا جندب وجراد وحرقوص وشبث ، ونجد بعض اسماء الطيور مثلا زحوم وصرد وسلكان ، كما نجد بعض اسماء الافعى مثلا السباب والحنش والأرقم .

وتغلب على اسماء النساء الماخوذة من اسماء الحيوانات حيوانات بصفات جميلة او ناعمة أو حليمة وعلى امثلتها اسماء الظبي مثلا خولة وخنساء وظبية ، واسماء الارنب مثلا ارنب وخرنيق ، واسماء بعض الحيوانات البيتية مثلا كبشة وبريدة وهر ، وبعض اسماء الطيور مثلا قطاة والسلكة وحميمة وهديبة . ولكن توجد ايضا بعض اسماء الحيوانات بصفات غير جميلة مثلا عقرب ودعد وضبيعة . واعتقد انها من اسماء البدو . وعدد الاعلام الماخوذة من اسماء النباتات اصغر من الاعلام المأخوذة من اسماء الحيوانات. ومن الممكن ان سبب ذلك الاخضرار القليل فى جزيرة العرب وتغلب على هذا النوع من الاعلام عند الرجال الاعلام الماخوذة من نباتات مرة او شوكية مميزة للمناخ الجاف مثلا حنظلة وسلامة وطرفة وطلحة وعلقمة . وتغلب على اسماء النساء الماخوذة من اسماء النبات اسماء الزهور او الشجرات المزهرة أو المتضوعة كلبنى او ريحانة او خزامى . ومن اللافت للانظار ان معظم الأسماء الماخوذة من اسماء النبات لها شكل المفرد يعني فى نهايتها تا مربوطة .

وهناك عدد من الاسماء لها معنى صخر او مما يشابه ذلك مثلا جرول وجلى وجندل وجندلة امهم انثى الخ ...

وعدد الاسماء المأخوذة من اسماء الكواكب او الاجسام الفلكية هو نسبيا صغير عند العرب ـ كما هو الحال عند شعوب اخرى ـ مع ان الكواكب لعبت دورا مهما فى حياة البدو لانها كانت الموجه الجغرافي لهم فى الليل. ولا نعرف اذا اشتقت اسماء كأسد او حمل او ثور او سنبلة من معناها كأسماء النجوم او صور من منطقة البروج او كأسماء الحيوانات او النبات . ولكننا على يقين ان الاسماء بدر وهلال وعطارد عند الرجال وقميرة وثريا وجوزاء عند النساء تابعة لهذه الفصيلة .

وتوجد اسماء اخرى ماخوذة من الطبيعة ومن بينها بحر وهو كما اعتقد يعطي صورة لكرامة ووسعة . وحندج وروح ورياح وجعفر وفرات وهي كما اعتقد صور الانتعاش وزرعة ومصاد ومطر ونهار ورملة وهالة عند النساء .

ونجد فى مصادرنا اعلاما ماخوذة من اشياء مختلفة ويصعب علينا احيانا البيان لماذا سمي طفل باسم من هذه الاسماء ولكننا نعرف ان هناك اسماء من هذا النوع موجودة عند شعوب اخرى ايضا . ويخبرنا المستشرق الالماني (Hess) ان هناك اسماء مشابهة ما زالت شائعة عند البدو فى شمال جزيرة العرب فى الثلث الاول من قرننا هذا وان بعض الوالدين لا يعرفون لماذا سموا اولادهم بهذه الاسماء وبينها اسماء ماخوذة من اسماء البسة مختلفة ومن الممكن انها تدل على الحماية مثلا بجاد وبرد ودثار وعباية ، وعند النساء الملاءة وبعضها ماخوذة من اسلحة مثلا سنان سهم سيف عنزة او مأخوذة من نقود كدينار ودرهم ، وقد وجد دينار فى الجاهلية ويغلب هذان الاسمان فى الاسلام على العبيد ودنانير جمع لدينار وهو اسم لجارية . ولا نجد فى ذلك الوقت اسماء من اسماء الجواهر التي كانت شائعة للعبيد فى القرون التي تلت مثل ياقوت او جوهر او لؤلؤ ولكننا نجد بعض اسماء اللآلىء كأسماء بعض النساء مثلا درة وجمانة ، وتوجد بعض اسماء اخرى مأخوذة من اشياء مختلفة خاصة من حياة البدو مثلا جرير وجلس وحنتم .

وعدد صغير نسبيا من الاسماء ماخوذة من جسم الانسان ومعظمها على وزن فعيل او فعيلة ، ومن المرجح ان اصل هذه التسمية لان صاحب الاسم كان يلفت الانظار ومن هذه الاسماء انيف ورقبة وعلباء وعند النساء ادية .

وتحدد اسماء اخرى موقف الطفل فى اسرته ومنها اول الامر تسمية بسيطة جدا وهي الوليد او الطفيل او واصل ومنها ايضا اسماء الدلال مثلا حبيب ومحبوب وحبيبة وتوجد بعض اسماء بمعنى عوض مثلا بدل وبديل وخلف وتعبر بعض الاسماء عن موقف الطفل فى المجتمع الانساني مثلا الخليل وشريك ، وقد وجد فى ذلك الوقت اسماء اعلام مأخوذة عن اسماء معان ومعظمها تمنيات للاطفال الذين سموا بها مثلا اياد (بمعنى عون او قوة) ونشه وبشر وتوبه (هو اسم اسلامي) كما هو الحال بعون أو رجاء ، ومن الاسماء للعبيد فتح ورباح ويسر ويمن ونجاح . وقسم كبير من الاعلام العربية هي صفات مختلفة ومنها صفات منسوبة الى الولادة او الظروف خلالها او زمانها او مكانها مثلا بكار وحرس او ربعي والصباح ، وصفات اخرى تخبر بمظهر المسمى وهنا تضمحل الحدود بين الاسم واللقب. ومن الممكن ان بعض هذه الاعلام كانت فى الاصل القابا طفت على الاسم الحقيقي ، وتغلب على هذا النوع من الاسماء المأخوذة من لون البشرة او الشعر او العيون مثلا ابيض واحمر والاسود وسودة اسم انثى وزريق وورد الخ ...

وتدل اعلام اخرى على صفات جسمية اخرى مثلا ابجر واحجن والاخنس واشيم وجميل الخ . وكثير من الاسماء تعبر عن صفات ذهنية او روحية او اخلاقية ومعظمها تدل على تمنيات للاطفال مثلا بسام وتميم وتامة اسم انثى وثابت وحكيم وخالد وخفاف وسعيد وسهل وسهلة اسم انثى وعفان اسم اسلامي وعلي ومسرور ومفضل والخ .. وهناك بعض الاسماء تدل على صفات قاسية ومن المرجح ان الاطفال سموا بها لتخويف الاعداء مثلا العباس واشرس وبغيض (فى الجاهلية فقط) وصعب وصعبة وظالم . واسماء النساء غير مشتقة من اسماء الرجال هي مثلا رائطة ونفيرة وبرة وفريدة وعاتكة .

عدد قليل من الاسماء تدل على اعمال مثلا الحارث وهو اسم قديم قد ظهر عند ملوك غسان واللخميين وقد شوهد فى النقوش . والى جانبه حاطب والحجاج وسياد ومجالد ومجاهد ومحارب ومسافر الخ ... وقلما نجد فى ذلك الوقت اسماء امكنة كأسماء شخصية او هذا النوع من الاسماء شائع عند الاسر الالمانية ، بل تعبر النسبة عادة عن المنشأ .ووجدت بعض بطون فى جنوب جزيرة العرب سميت باسم الناحية التي سكنت فيها مثلا بولان او حيوان وتوجد بعض اسماء من

اسماء الجبال كاسماء شخصية مثلا ابان وقطن ومسطح وقلما نجد فى الجاهلية اسماء غير عربية وسبب ذلك العزلة التي عاش سكان جزيرة العرب فيها ووجد عند بطون على حدود جزيرة العرب عدد صغير جـدا من اسماء فارسية او سريانية ونجد احيانا عند اليهود او النصارى بعض اسماء عبرانية او ارامية او سريانية ولكنها لم تكن موجودة الا عند اليهود او النصارى وقد طرق المستشرق الالماني J. Horovitz هذه الاسماء فى كتابه Koranische Untersuchungen ويعني ذلك دراسات قرآنية ، عند ما افتتح العرب باسم دينهم الجديد البلدان الحضارية المجاورة لهم قدموا لها بجانب دينهم لغتهم واسماءهم . فمن اسلم سمي باسم اسلامي عربي ، ونجد بعض الاسماء الفارسية او الاغريقية عند بعض العبيد فقط .

وهناك عدد من اسماء اصلها غير عربي مع ان شكلها عربي انتشرت ايام الاسلام فى البلدان الاسلامية كلها وما زالت شائعة الى ايامنا هذه وهي الاسماء القرآنية مثلا ابراهيم وادريس واسحاق واسماعيل الخ. وقد درس J. Horovitz هذه الاسماء فى كتابه الذي ذكرته سابقا .

3 ـ بواعث الوالدين لاختيار اسم من الاسماء لأطفالهم:

هناك بواعث مختلفة جـدا يمكن ان تكون حاسمة لاختيار اسم من الاسماء . واذا اختار ابوان المانيان اليوم اسما لطفلهم فلا يفكران فى معناه الا نادرا جدا لان معنى معظم الاسماء الالمانية ليست مفهومة بدون استعمال معجم للاسماء . والبواعث التي تدفع الابوين لاختيار الاسم بالدرجة الاولى هي الموضة او رنة الاسم او الاقتداء ببطل من ابطال الكتب او الافلام والاغاني الشعبية او التقاليد العائلية . ونستطيع ان نستنتج مما يقول ابن دريد فى كتاب الاشتقاق عن عادات العرب ويعني بذلك البدو كما اعتقد ان تسمية الاطفال ترد الى وجهات نظر ثلاث وهي :

1 ـ حماية الطفل من اعدائه فى المستقبل
ومن هذه الاسماء حسب ما يقول ابن دريد مثلا غالب وظالم وعارم والتسمية باسماء الحيوانات الوحشية وبالشجرات الخشنة او الشوكية او التسمية بالاحجار . من اكبر الظن انهم قصدوا بهذا النوع من الاسماء حماية الطفل من قوى سيئة متوهمة كالعفاريت او الجان ، من المرجح ان هذه ايضا الغاية من تسمية الرجال باسماء النساء مثل هند واسماء او جويرية او امية . على كل حال وجدت هذه العادة عند شعوب اخرى واعني بذلك عادة تسمية الاطفال بأسماء بشعة او سيئة لحمايتهم من قوى رديئة . اضمحل هذا النوع من التسمية ايام العباسيين .

2 ـ كثرة الاسماء العربية فى ذلك الوقت تعبر عن رغبات الابوين لطفلهما كما هي العادة عند شعوب كثيرة ونجد مثلا الرغبة فى ان يبقى الطفل حيا مثلا فى المشتقات من عمر مثل عمر وعمرو وعامر ومعمر الخ . والمشتقات من عيش مثلا عائشة وعائش وعياش ، ونجد الرغبة فى ان تسير حياة الطفل مثلا فى المشتقات من خلد مثل خالد وخلاد وخليد الخ . ونجد الرغبة فى سلامة الطفل مثلا فى المشتقات من سلم مثلا سالم واسلم وسليم الخ . والتنميات لسعادة الطفل فى المشتقات من سعد مثلا سعد وسعيد واسعد وسعدى وسعاد ، ونجد بعض رغبات بالنسبة لاخلاق الطفل كما ذكرناه سابقا .

3 ـ ظروف الولادة تحدد احيانا التسمية
يقول ابن دريد : ومنها (يعني ذلك مذاهب التسمية) ان الرجل كان يخرج من منزله وامراته تمخض فيسمي ابنه بأول ما يلقاه من ذلك نحو ثعلب وثعلبة والخ . ويذكر ابن دريد حديثا يؤيد ذلك . ومثل هذه العادة لا تزال الى الآن عند البدو وسكان القرى فى بعض نواحي البلدان العربية كما يقول بعض العلماء مثل Hess و Musil, Wetzstein وابراهيم السامرائي . ونذكر على سبيل المثال ان Musil يحدثنا ان امراة من بدو الرولة فى شمال جزيرة العرب سمت ابنها مطرا لانها ولدته خلال مطر شديد وتعسرت امراة اخرى عند الولادة فقالت للطفل اسمك عسير ، ويحدثنا ابراهيم السامرائي ان طفلا فى قرية من قرى جنوب العراق سمي حربا لانه ولد خلال الحرب ، ويحدثنا Hess ان بنتا عند البدو فى وسط جزيرة العرب سميت سدينا يعني سدينا بالبنات لان امها ولدت قبل ولادتها عدة بنات . واغلب الظن ان عادة التسمية هذه كانت شائعة عند البدو منذ قرون عديدة. ومن المرجح ان البدو يرون فأل الطفل فى الاحوال التي رافقت الولادة . واننا نستطيع ان نجد معنى اغلب هذه الاسماء ولكن لا يمكننا ان نعثر اليوم على الاسباب التي كانت دافعة لهذه التسمية . ومن الممكن ان الاسماء مثل طارق ومصبح ومسهر تنتمي الى هذه الفئة .

4 ـ وتوجد **اسباب اخرى** لاختيار اسم من الاسماء لطفل لا يذكرها ابن دريد ومنها التسمية حسب

مظهر الطفل مثلا عيينة أو ابجر او اشيم الخ . وهو من الممكن ان يسمي طفل باسم من تلك الاسماء بعد ولادته بوقت طويل مثلا عريج او تحوير ويمكننا التصور ان التسمية باسم من اسماء الحيوانات او باسماء الاشياء متعلقة بمظهر الطفل ، ويحدثنا مثلا Hess عن البدو فى وسط جزيرة العرب فى بداية هذا القرن ان ولدا سمي جريدي يعني جريد لانه عندما كان صغيرا واحمر ومثل جريد ولقى ولدا اسمه دبسان من دبسا يعني هراوة لان راسه يشابه الهراوة .

5 — وسبب خامس لاختيار اسم عند العرب هو الرغبة فى اظهار تضامن العائلة ونستطيع ان نستنتج من مصادرنا ان العرب فضلوا اسماء متشابهة فى المعنى او فى الصوت لاطفالهم او اختاروا مشتقات مختلفة من اصل واحد لاعضاء العائلة كما احبوا ولا يزالون يحبون المترادفات والمجانسات . مثلا سميا اسعد وسعد ابنا زرارة كما يبدو هكذا لان امها كان لها الاسم سعاد ، وكان لمعاوية بن كلاب خمسة ابناء اسمهم حسل وحسيل وضب وضباب ومضب وكل هذه الاسماء من اسماء الحرذون .

6 — وفى وسع الانسان ان يطلق على طفله **اسم رجل عظيم** حتى يكون هذا الرجل مثلا اعلى للطفل او ان يسمي طفله باسم الجد او الخال او العم حتى يحيي الاسم من جديد . ونجد امثلة لهذا النوع من التسمية فى الانساب مثلا فى الطبقات لابن سعد او فى الجمهرة لهشام ابن الكلبي مرات عديدة وفى اوائل شجرات الانساب ولكنه من المشكوك فيه ان كل هذه الامثلة واقعية واذا كان النسب ناقصا فقد كان من الطبيعي ان يكمل باسم من الاسماء الواردة فيه . وقد سارت التسمية حسب القدوات عادة عند المجتمع المتحضر فى صدر الاسلام . ونلاحظ هنا ايضا الميل للتعبير عن التضامن العائلي . وسمى مثلا طلحة بن عبيد الله جميع ابنائه باسماء الانبياء ، وسمى الزبير بن العوام ابناءه باسماء الشهداء كما فعل عبد الله بن عمر بن الخطاب . ونلاحظ تأثير القدوة التاريخية ومنه مثلا ان رجلا اسمه محمد سمى ابنه القاسم او ان رجلا اسمه عمر سمى ابنه حفص . ونلاحظ تأثير الاسر الحاكمة من رواية من كتاب الاغاني ان عبد الله بن جعفر سمى ابنه حسب رغبة معاوية بن ابي سفيان معاوية وان معاوية بن عبد الله بن جعفر هذا كان وثيق الصلة بيزيد بن معاوية سمى ابنه يزيد .

4 — كيف تنطبع الاعلام العربية بطابع الاحوال الاجتماعية فى الجاهلية وفى صدر الاسلام . ينطلق العلم العربي بشكله الخاص المتالف من الاسم والكنية والنسب والنسبة فى الاحوال الاجتماعية فى جزيرة العرب فى الجاهلية التي اتصفت فى الاغلب بالبدو والتي حددت خلالها حياة الفرد بالعائلة والبطن الذي يتبعه بولادته او عن طريق الاندماج او الولاء او بالاولاد الذين انجبهم فى حياته . واذا سئل شخص فى ذلك الوقت من انت فلم يكن يجيب باسمه عادة بل بالبطن الذي يتبعه وذلك مميز لتقدير الفرد الذاتي فى ذلك الوقت . عبر دراسة العلم العربي يمكننا ان نلقي نظرة فاحصة الى الاحوال الاجتماعية فى جزيرة العرب والى عقلية العرب فى ذلك الوقت . ويظهر عدد كبير من الاسماء تطالع الانسان لاستقرار فى عالم يبدو معاديا له ضمن اصعب الظروف المعيشية ولم تكن لاغلب الاسماء مهمة التسمية فقط بل كانت لها مهمة حماية المسمى نفسه من اعدائه خلال التحديات الكثيرة بين البطون ، ومن المرجح ان كان لها ايضا مهمة حماية الانسان من الجان او العفاريت . وينتسب كثير من الاسماء العربية الى غزواتهم وتجوالهم . وهناك اسماء قليلة فقط تعبر عن افعال مستمرة . اما التضامن بين افراد العائلة الذي لا استغناء عنه للحياة فى الصحراء فرمزت اليه الاسماء بشدة . وهناك اسماء تحتوي على تمنيات للاطفال وهي تعبر عن المثل الاعلى للبدو من قوة وشجاعة وخفة وذكاء وثبات وعزم ومرح وكرم الخ .

وتبدو الطبيعة المجاورة لهم من الحيوانات والنبات والاحجار وقلما الكواكب بل اشياء مختلفة فى الحياة اليومية مثلا اسلحة والبسة من الاهمية بمكان لتسمية اطفالهم باسمائها . وعدد الاسماء الدينية التي وصلتنا من الجاهلية قليل نسبيا . ومن المشكوك فيه ان الاسماء العديدة الماخوذة من اسماء الحيوانات تدل على الطوطمية (Totemisme) على كل حال فى القرن الاخير للجاهلية . ويناقض ذلك اننا نجد اسماء حيوانية مختلفة فى عائلة واحدة سواء فى نفس الجيل او فى اجيال متتابعة . ولم توافق الطوطمية للفرد الاحوال الاجتماعية فى جزيرة العرب قبل الاسلام .

لم يؤثر الاسلام تاثيرا مهما فى تسمية البدو ولكننا نلاحظ بوضوح اتجاهات جديدة للتسمية فى المجتمع المتحضر فى صدر الاسلام ، فقد استنكر الناس بعد ان اصبحوا مسلمين الاسماء الدينية المنسوبة الى الاوثان وايضا الاسماء البشعة المعنى . ويحدثنا الادب الاسلامي ان محمدا غير اسماء بعض اصحابه وبعض البطون مثلا انه سمى عبد الكعبة بن سمرة وعبد عمرو بن

الاصم عبد الرحمن وسمى رجلا اسمه بغيض حبيبا ورجلا آخر اسمه عاصي سماه مطيعا وسمى رجلا اسمه غراب مسلما وسمى بني خالفة بني رشدان الخ. وتخبرنا هذه الاحاديث بتغير عقلية الامة الاسلامية فى صدر الاسلام ، واستنكر الناس بعض اسماء اخرى يرون فيها صفات الله وعفوا عن تسمية اولادهم بها مثل الطيب والعزيز وكريم والجبار . ونلاحظ بوضوح الميل الى تسمية الاولاد حسب قدوات صالحة . وبحث الناس فى حياة النبي واصحابه وقاسوا حياتهم عليها واختاروا الاسماء لاولادهم وفقا لذلك . ففضلوا عند التسمية اسمى النبي محمد واحمد واسماء افراد عائلته ومن زوجاته خديجة وعائشة وبناته فاطمة وزينب وام كلثوم وزوج ابنته علي وابن عمه جعفر وعمه حمزة وحفيديه الحسن والحسين كما اختار السنيون منهم اسماء الخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان . واصبحت الاسماء الدينية الاسلامية خصوصا الاسمين للذين فضلهما محمد عند التسمية كما تحدثنا الاحاديث وهما عبد الله وعبد الرحمان شائعين جدا . وكذلك الحال فى اسماء الانبياء الواردة فى القرآن . وبرزت اسماء اسلامية خاصة اخرى مثلا المشتقات من رشد او اسماء كعون وتوبة وطاهر ومسكين والمبارك والحجاج .

بينما لا زال البدو يختارون الاسماء لاولادهم من كلمات اللغة ووجد للمجتمع الحضاري زمرة ثابتة من الاعلام التي اختار الابوان الاسم لطفلهم منها .

وانتشرت هذه الاسماء بانتشار الاسلام ولغته العربية فى كافة البلدان المفتوحة عن طريق العرب .

اما الاختلافات الاجتماعية فى تسمية العرب فيعبر عنها قول العرب الذي يذكره ابن دريد ويذكره (Hess) عن البدو وفى قرننا هذا وهو اننا نسمي ابناءنا لاعدائنا ونسمي عبيدنا لنا . ولذلك سمي العبيد بأسماء جميلة حسنة الفأل ومنها افلح ومفلح ويسار ويسر ونجاح ونجيح ورباح ونافع ورجاء وجميل ورشيق ومؤنس ، وللعبدات مثلا قلم وعرفان وتحفة وجمال .

ويعبر معظم هذه الاسماء عن بعض الامثال العليا للمجتمع الحضاري فى صدر الاسلام الذي طمح الى الرفاهية . ويبدو بأن بعض العبيد سموا حسب مظهرهم . فمثلا سمى عبد رومي ازرق وسمى عبد اغريقي صهيب وقلما بقيت لهم اسماؤهم العجمية .

اما الموالي الذين ازدراهم المسلمون العرب خصوصا وقت الامويين فطمحوا كما يبدو الى ان يحتذوا فى التسمية الفئة العليا وهي العرب .

ونضلوا غالبا كما يبدو الاسماء الاسلامية الخاصة، ووصل هذا الطموح عند بعضهم وبشكل خاص الذين استطاعوا الوصول الى مركز سياسي الى ايجاد نسب عربي كامل لهم فضلا عن اسم عربي لابيهم .

ومن الصعب علينا ان نلاحظ فى ذلك الوقت اختلافات جغرافية فى تسمية العرب ويبدو كأن التسمية فى جزيرة العرب كانت فى ذلك الوقت نسبيا موحدة مع انه يبدو وكأن بعض الاسماء الحميرية صارت شائعة فى العراق .

واننا نجد فى البلدان العربية اليوم كثيرا من الاسماء الشائعة فى صدر الاسلام وفى الجاهلية ، بعضها لا تزال مألوفة الى الآن والاخرى يسمي الناس أولادهم بها تذكارا لفصل رائع من فصول تاريخ العرب.

Dr WIEBKE
HALLE (SAALE) D.D.R. فيبك فالتر

اللغة العربية.. والبحوث الاقتصادية

الدكتور ابراهيم دسوقي أباظة

« الرّباط »

لعل من اخطر المشاكل التي تعترض الباحث العربي في ميادين العلوم الاقتصادية هي مشكلة القدرة على الاستيعاب والتعبير بالالفاظ والمصطلحات العربية.

ذلك ان علم الاقتصاد يعتبر من أسرع علوم العصر تطورا واكثرها استخداما لمصطلحات فنية متزايدة نقلت في معظمها عن العلوم الأخرى كعلم الأحياء ... وعلم الكهرباء ... وعلم الميكانيك .

وهذا التطور السريع الذي ينفرد به علم الاقتصاد دون غيره من العلوم الانسانية يعود الى التقدم التقني الكبير الذي بدأ في مطلع القرن العشرين وما اقترن به من تحولات اجتماعية وسياسية عميقة . فقد ادت هذه العوامل مجتمعة الى أن تحتل المشكلة الاقتصادية المكان الأول في سلم المشاكل التي تعالجها المجتمعات البشرية وتعقدت الظواهر الاقتصادية وتشعبت في مجالات الانتاج والنقود والبنوك ... الخ . بينما برزت قضايا التخلف والتنمية لتأخذ مكان الصدارة من قضايا العصر .

وقد ساير الفقه الاقتصادي الغربي هذا التطور فنشطت حركة الابتكار والتخصيص والاستعارة بالنسبة للمصطلحات الفنية . كما تم توحيد العمل بها بين أبناء اللغة الواحدة بل طغى اتجاه التوحيد على الناطقين بلغات مختلفة كما هو الشأن بالنسبة للاقتصاديين الفرنسيين واقرانهم الانجلوسكسون .

اما في بلاد الضاد فلم يحظ هذا التطور بعناية تذكر ، اذ ظل الاقتصاديون العرب على حالهم قانعين بالاجتهادات الشخصية .. أو مكتفين بترديد المصطلحات الأجنبية كما وردت في لغاتها الأصلية . كما ظلت المحافل اللغوية بعيدة عن التصدي لهذه القضية الحيوية .

وقد ترتب على هذا الوضع صعاب عديدة اعترضت طريق الباحث العربي في ميادين الاقتصاد ولعل أهم هذه الصعاب تتلخص فيما يلي :

1 — تعدد المصطلحات العربية التي تستعمل للدلالة على المعنى الواحد . ومرد ذلك الى غيبة المصطلحات العربية الموحدة مما يستتبع تعدد الاجتهادات الشخصية في البحث عن المصطلحات التي تؤدي المعنى المطلوب .

من ذلك مثلا اصطلاح Structure الذي يرادفه البعض في العربية باصطلاح « بنية » ويرادفه آخرون باصطلاح « هيكل » . وكذلك اصطلاح L'utilité marginale الذي يرادفه البعض باصطلاح « المنفعة الحدية » يرادفه آخرون باصطلاح « المنفعة الهامشية » .

ولا يخفى ما يؤدي اليه هذا الوضع من اضطراب وبلبلة تعود على البحث الاقتصادي بأفدح الأضرار .

2 ـ عدم دقة بعض المصطلحات العربية التي يكثر تداولها من ذلك مثلا اصطلاح L'amortissement الذي يستخدم في علم الاقتصاد للدلالة على الهبوط التدريجي في قيمة راس المال خلال مدة معينة بسبب الاستعمال اذ يرادف البعض هذا المصطلح بكلمة « الاستهلاكات » وفي هذه المرادفة خطر كبير اذ يمكن ان تختلط باصطلاح La consommation الذي يقابله بالعربية اصطلاح « الاستهلاك » .

وقد دفعت هذه الصعوبة نفرا من الاقتصاديين العرب الى اعمال الاجتهاد فاستعملوا اصطلاح « الاندثار » للدلالة على هذه الظاهرة ، بينما آثر آخرون استعمال عبارة « استهلاكات راس المال » .

وهكذا يتعرض الباحث العربي الى السقوط بالخطأ في الفهم بسبب الخلط بين المصطلحات العربية المتشابهة او بسبب عدم وضوحها .

3 ـ المصطلحات الاقتصادية التي لا يقابلها مرادف بالعربية قد يضطر الخبراء الاقتصاديون الى ذكرها بلغتها الأصلية او كتابتها بالحروف العربية من ذلك المصطلحان الآتيان : Ex-ante و Ex-poste اللذان جرى العمل على استخدامهما في الدلالة على « السابق » و « اللاحق » في مؤلفات الاقتصاديين السويديين وقد درج الاقتصاديون العرب على كتابتهما باللغة اللاتينية .

وكذلك مصطلح Dynamisme ومشتقاته فقد عمد عدد من الاقتصاديين الى نقله بأكمله وكتابته بالحروف العربية .

وطبيعي ان في هذه الاتجاهات ما يضعف القدرة على التعبير الاقتصادي الدقيق .

4 ـ استعمال مصطلح عربي واحد للدلالة على معان اقتصادية جد مختلفة . من ذلك مثلا اصطلاحا Régime و Système اللذان يرادفهما بالعربية دون ما تمييز اصطلاح « نظام » مع أن لكل منهما معنى مختلفا في الفقه الاقتصادي والاجتماعي ، فاصطلاح Système يستخدم للدلالة على « النظام » بمعناه النظري أي الذي ورد في النظرية بينما يستخدم اصطلاح Régime للدلالة على « النظام » بمعناه العملي اي المطبق فعلا في العمل .

ويؤدي عدم التمييز بين معنيين مختلفين على هذا النحو الى صعوبة الاستيعاب والتعبير بالاضافة الى تعريض الباحث الى السقوط في التعميمات البعيدة عن الدقة العلمية .

— x —

تلك بعض نماذج من القصور اللغوي الذي تعانيه العلوم الاقتصادية . ولعل المتفحص لواقعنا المتطلع الى مستقبلنا لا يخامره شك في اهمية المعارف الاقتصادية لبناء امتنا . واللغة اداة رئيسية في بسط هذه المعارف واستيعابها ، اذ عن طريقها تتحد المناهج وتتقارب المفاهيم .. وعن طريقها تكتمل الوحدة الثقافية والفكرية للأمة .

واذا كنا نحاول اليوم بعث نهضتنا الحضارية فيجب ان نضع في الحسبان ان النهضة الحضارية والنهضة الثقافية متلازمتان ، فلا يمكن تصور نهضة حضارية بغير نهضة لغوية تمهد لها وترسيها على دعائم ثابتة .

رَسْم نموذجي بخطِّ الرقعة لمشروع إصلاح الطباعة العربيّة

للأستاذ أحمد الأخضر غزال

<u>خط النسخ</u>

بسم الله الرحمان الرحيم

يتطلب الطبع بالحروف العربية بالشكل التام خمسة وسبعين وأربعمئة حرف من الحروف المحززة (أي التي حززت لتتراكب وتتداخل)، وما يزيد على ثمانمئة حرف من الحروف الغير المحززة. أما بهذه الحروف الجديدة للأستاذ أحمد الأخضر غزال وتخطيط محمد أمزال، والتي تبنتها الحكومة المغربية، فليس يحتاج الطبع إلا إلى تسعين حرفا كما هي الحال في الطباعة المعيارية (أي آلات اللينوتيب والأنترتيب وآلات الرقانة باستثناء آلة المونوتيب التي يحتوي ملمسها على 250 مفتاحا ولاكنها أغلى ثمنا) وذالك بالشكل التام، إذا اقتضت الحاجة ذالك، من ضوابط إملائية وحركات وأرقام، إلا أن علامات الوقف توضع في الملمس الإضافي.

<u>خط الرقعة</u>

بسم الله الرحمان الرحيم

يتطلب الطبع بالحروف العربية بالشكل التام خمسة وسبعين وأربعمئة حرف من الحروف المحززة (أي التي حززت لتتراكب وتتداخل)، وما يزيد على ثمانمئة حرف من الحروف الغير المحززة. أما بهذه الحروف الجديدة للأستاذ أحمد الأخضر غزال وتخطيط محمد أمزال، والتي تبنتها الحكومة المغربية فليس يحتاج الطبع إلا إلى تسعين حرفا كما هي الحال في الطباعة المعيارية (أي آلات اللينوتيب والأنترتيب وآلات الرقانة باستثناء آلة المونوتيب التي يحتوي ملمسها على 250 مفتاحا ولاكنها أغلى ثمنا)، وذالك بالشكل التام إذا اقتضت الحاجة ذالك، من ضوابط إملائية وحركات وأرقام. إلا أن علامات الوقف توضع في الملمس الإضافي.

<u>الخط الكوفي</u>

بسم الله الرحمان الرحيم

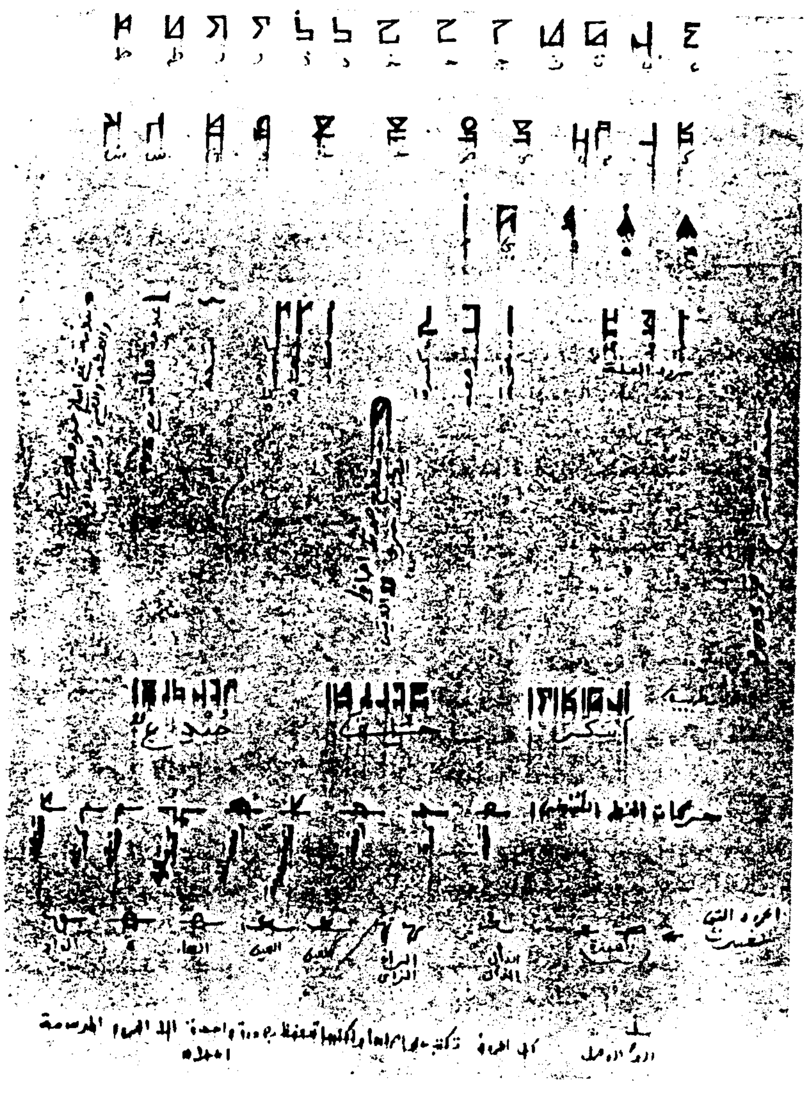
يتطلب الطبع بالحروف العربية بالشكل التام خمسة وسبعين وأربعمئة حرف من الحروف المحززة (أي التي حززت لتتراكب وتتداخل)، وما يزيد على ثمانمئة حرف من الحروف الغير المحززة. أما بهذه الحروف الجديدة للأستاذ أحمد الأخضر غزال وتخطيط محمد أمزال، والتي تبنتها الحكومة المغربية، فليس يحتاج الطبع إلا إلى تسعين حرفا كما هي الحال في الطباعة المعيارية العالمية، وذالك بالشكل التام إذا دعت إليه الحاجة.

حُرُوف عَرَبِيّة جَدِيدَة

الأستاذ مصطفى النعمان
(المغرب الأقصى)

ننشر فيما يلي صورة لحروف عربية جديـــدة ابتكرها الاستاذ مصطفى النعمان وهو مدرس للغـــة العربية فى الدار البيضاء (المغرب) وهو يـــرى أن فيها تسهيلا كثيرا اذ اختصر فيها الحركات وادخلها فى ضمن الكلمة وجعل الحروف مركبـــة من خطوط سهلة تشغل مساحة هندسية ملائمة واستغنى عـــن السكـــون ...

وهذا الابتكار الجديد يضاف الى عشرات امثاله قدمت منذ نحو خمسين سنة والجامعة العربية جادة الآن فى دراستها جميعا للاتفاق على حل نهائي .



- 2 -

الأستاذ يحــي بلعبــاس
« الرّبـاط »

الكتابة هي اداة حضارتنا بواسطتها نقيد افكارنا ونرسمها كما نستطيع ربط الاتصال بيننا وبين تاريخنا عبر الزمان والمكان ، قال الرومان فى هذا الصدد : الكلام يزول والكتابة تبقى ، وقال العرب : الكلام ريح والكتابة قيده . انها ذاكرة الانسانية جمعاء ، انها خزينة ثروات اجدادنا . .

ولا يتسم هذا العنصر بتلك الميزات فقط بل هو عامل مهم من عوامل تقدمنا ورقينا يتحتم علينا ان نوليه كل عنايتنا واهتمامنا ، فالكتابة الرومانية ما فتئت تتطور بينما الكتابة العربية لم تحرز الا على تقدم ضئيل تجمد فى شكل عقيم الى حد انها اصبحت تعتبر كتابة معتهة قاصرة عن الاداء كما اكد ذلك ائمة الآداب العربية واقطاب المستشرقين .

لقد جاء فى فقه اللغة لبلاشير ما يلي :

لا ترسم فى الكلمة العربية الا الحروف وحروف المد دون الحركات والرموز التي تشير الى التضعيف، والهمزة ، والمدة ، والسكون .

ينتج عن هذا الوضع :

1) استعصاء فى القراءة والفهم
2) استعصاء فى تقييد الصوت وتصحيح اخطاء اللهجة .
3) صعوبة تحديد دور الكلمة فى الجملة

الاصــــلاح

يبدأ الاصلاح قبل كل شيء بايجاد بناء خاص بالمطبعة بما فيه الحروف الكبيرة والصغيرة .

الا يلحظ ان الكتابة العربية تكاد تكون الوحيدة من نوعها التى لا تتوفر على حروف مستقلة . سريعة الترصيف ، انيقة المظهر ، متوحدة الحجم ؟ الا يلحظ ان رموزها متباينة الحجم ، متعددة الصور ، كبيرة الذيل .

الحــروف الجديــدة

ستتصف بالميزات المذكورة اعلاه وتجرد من النقط التى يربو عددها على سبع عشرة نقطة . وتعوض برموز صغيرة وانيقة تتناسب مع اجزاء الحروف الاخرى بحيث يصبح كل حرف قابلا لمحورين احدهما عمودي والثاني افقي يمدان من مركزه .

هذا من جهة ومن جهة اخرى توجد مشكلة تحتم معالجتها الا وهي تشابه صور بعض الحروف فى الرسم وتباينها فى اصواتها ومخارجها . اليس من المنطق ان تكون الحروف المتباينة فى اصواتها متباينة فى اشكالها ؟ ايعقل ان تكون الحروف المتباينة فى اصواتها المتشابهة فى رموزها اسرع رسوخا فى الذهن من الحروف المتباينة فى اصواتها المتشابهة فى رموزها ؟

الحركــات

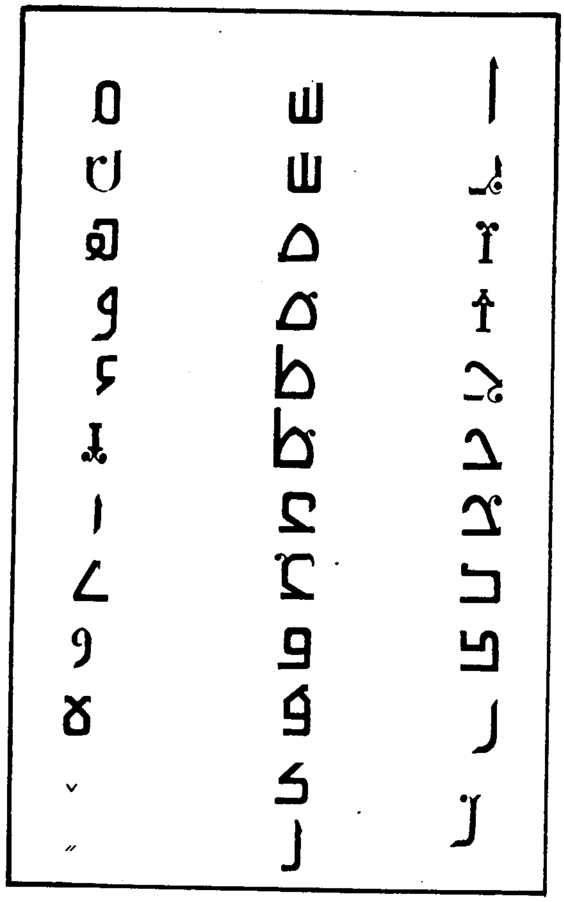
لن ترسم الحركات فوق الحرف او تحته لما يحدث عن ذلك من تعسف ومضايقة بين الاسطر . اليس بديهيا ان ما يدخر افقيا يضيع عموديا ؟ فما عسى ان تكون الطريقة التى ترمز بها الى الحركات الثلاث ؟ هل ستحتفظ بنص تعريفها ؟

1) الفتحة الف مميلة .
2) الضمة واو صغيرة .
3) الكسرة ياء مبتورة .

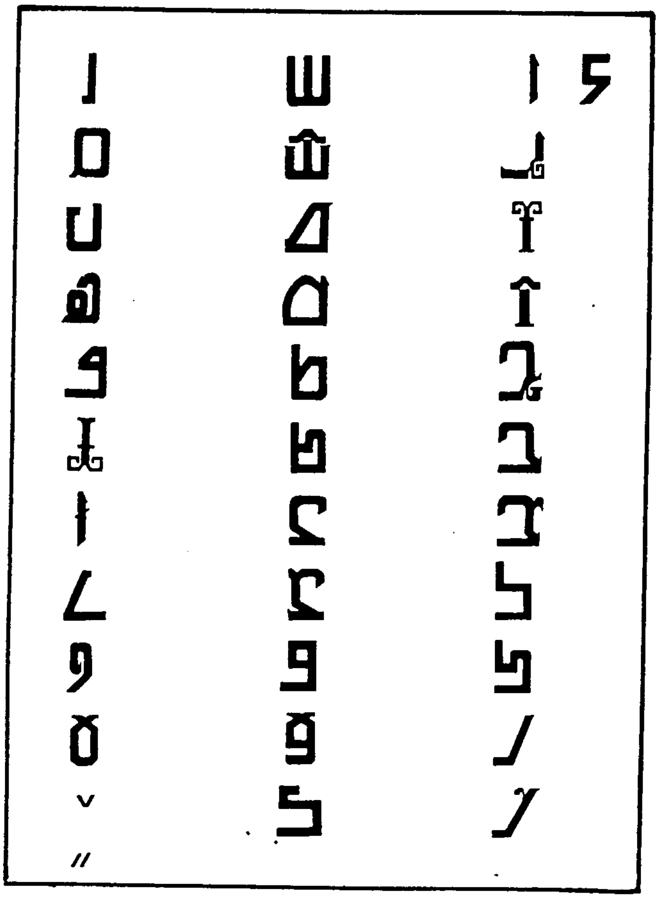
لا :

من الاليق والأجدر أن نرسم الحركات ازاء الحروف ، فنرمز الى الفتحة بألف صغيرة والى الضمة بواو عمرو والى الكسرة بالياء بصورتها الكاملة .

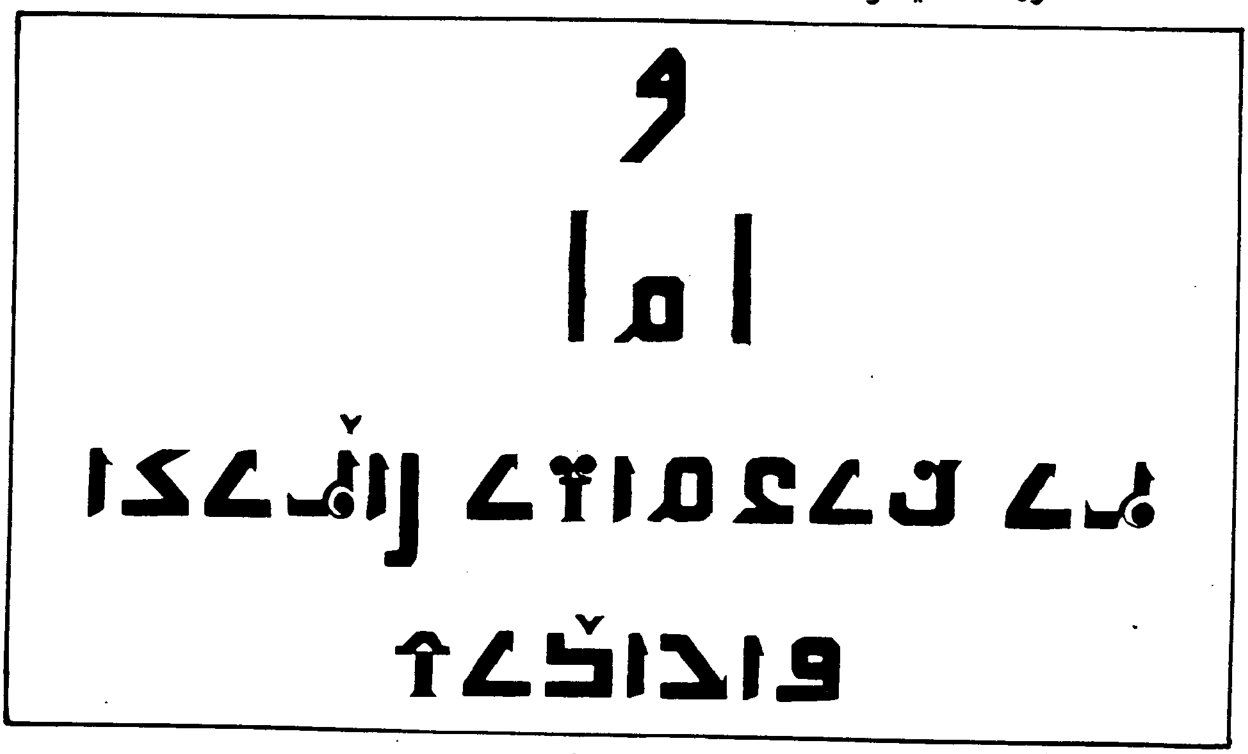
وهذا ما حاولت الوصول اليه خلال عمل طويل بذلت فيه جهدا كبيرا لمدة طويلة ، حتى توصلت الى الصور المنشورة مع هذا المقال . وأنا اعرضها على القراء لمناقشتها وأشكر جزيل الشكر المكتب الدائم لتنسيق التعريب الذي أتاح لحروفي أن تنشر على صفحات مجلته الراقية ، وانتظر الرد والمناقشات



الحروف الصغيرة



الحروف الكبيرة



واما بنعمة ربك فحدث

المعلمة العربية

التراث العربي الخالد

- الوحدة القومية من خلال اللغة والفن

للدكتور عفيف بهنسي

- الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

- اللغـــة العربيـــة

للاستاذ انور العطار

223

الوحدة القوميّة
من خلال اللغة والفن

دكتور عفيف بهنسي (ج.ع.س)

لا شك ان الفكرة ميزة الوجود الانساني ، بل هو شرط هذا الوجود كما يقول ديكارت . ولكن هذا الفكر لا يتحقق الا عن طريق التعبير ، بواسطة رموز ، واسهل هذه الرموز واقربها الى سيطرة الفكر هو اللفظ . وقد يكون هذا اللفظ حدسيا فى نشأته مرتبطا بالطبيعة والانسان ارتباطا عضويا ، وقد يكون توليديا او تركيبيا مأخوذا عن مقياس أو وفقا لقاعدة . وجميع اللغات تتكون عن السببين معا . وقد يكون سبب غالبا على سبب ، كما هو الامر فى **اللغة العربية التي تبدو حدسية مرتبطة بالمعنى ارتباطا عضويا .**

هذا الارتباط العضوي بين اللغة العربية وبين الانسان العربي يفسر جانبا هاما من مفهوم القومية العربية . فاذا كانت اللغة تعبر عن الحدوس الاولى ازاء الوجود الانساني والعالم الطبيعي ، فان انتقال هذه اللغة يعني انتقال هذه الحدوس والاحساسات الاولية . ومن هنا كان انتشار اللغة العربية انتشارا للقومية العربية ذاتها ، اى أن **اللغة العربية هي العنصر الاساسي للقومية العربية** ، واشتراك مجموعة من الشعوب بلغة واحدة كاللغة العربية ، هو اشتراك قومى ، يقوم على وحدة الحدوس الاولى ازاء مفهوم الانسان والطبيعة ، وبمعنى آخر ، يقوم على الوحدة العضوية بين اللغة المشتركة وبين فكر موحد ، تقوم اللغة بدورها بتحديد اطاره القومي والانساني . واننا لنرى ذلك واضحا لدى الامم التي انتشرت فيها اللغة العربية بعد الاسلام ، فلقد اندمجت هذه الامم بالفكر العربي ، وبالقومية العربية اندماجا كاملا أو جزئيا ، بحسب انتشار اللغة العربية ذاتها .

واذا كان اللفظ صيغة لحدس تبلور فى كلمة ذات اشتقاقات حسب الجنس والوظيفة والعدد ، فان الكتابة صيغة مطابقة لما تنقله حاسة النظر وهو الرسم اولا ، ثم هي الهيروغليف واخيرا هي مجموعة الحروف المحورة عن الرسوم او المتطورة عن اصل بدائي . وسواء اكانت الكتابة رسما او كانت رمزا بدائيا ، فانها ايضا تصدر عن الحدس الاولى لأشكال الاشياء والأفكار بحسب تصورها ، ولكن هذا سيقودنا الى القول ، ان منشأ اللغة والفن واحد ، إي أن **اللغة هي فن وان الفن هو لغة .**

بين اللغة العربية والفن العربي

يرى كروتشه (1) ان فلسفة اللغة وفلسفة الفن واحدة ذلك لان كلا من الفن واللغة موضوعه التعبير ، والتعبير الانساني واحد وان اختلفت وسائله . فجميعنا شعراء ما دام الفن حدسا ، والحدس تعبيرا والتعبير لغة ، واللغة بمعناها الواسع شعرا . **فالشعر هو اللغة الاصلية للجنس البشري** . والواقع ان كلمة الشعر

---

(1) كروتشه ــ علم الجمال . ترجمة نزيه الحكيم .

بحسب اصلها اليوناني تعني الابداع بصورة عامة ، وان جميع الفنون من عمارة وتصوير ونحت وموسيقى هي شعر كما يرى هيدغر(1)،الذي يضيف قائلا: «ان الشعر لغة ، لانهما كلاهما يسعيان الى التجلي والانتشار او الى العلانية ولان اللغة هي المظهر الأسهل لخروج الانسان الى عالم العلانية ورفضه لكل امتزاج بالوجود المختلط المختفي . فان الفن بهذا المعنى ، هو صورة من صور اللغة » . فالمعاني هي الأساس وهي تخرج الى عالم العلانية عن طريق الرمز اللفظي او التصويري ، عن طريق اللغة او الفن . وبمعنى آخر **انافكارنا ومعاني الاشياء لا تتجلى فقط عن طريق اللغة ، بل عن طرق اخرى اهمها الفن** ، لان ثمة اشياء وافكارا لا يمكن التعبير عنها باللغة بل عن طريق الفن ، فاللوحة أو اللحن لا ينقلان الينا الشكل التقني وحسب ، بل الدلالات المشخصة أو المجردة لأفكار واشياء مشخصة او مجردة .

ومما لا شك فيه ان اللغة تعبر عن اكثر الاشياء تشخيصا وتحديدا ، اما الفن فانه يعبر عن اكثر الأشياء تعميما واطلاقا ، ولهذا فان اللغة تبقى مستقلة عن مضمونها . أما الفن فانه يمتزج بمضمونه . اي ان الفن قد يكون اكثر وضوحا فى نقل الشخصية القومية لان اللغة تبقى قاصرة عن التعبير الدقيق عن الفكر والوجدان القومي . اما الفن فانه قادر ان يشخص مباشرة هذا الفكر وهذا الوجدان عن طريق رموزه التي تقرأ بواسطة الفكر والوجدان .

هذه الصفة التاريخية والحضارية للغة والفن تجعلهما ابرز العناصر المقومة للوجود القومي . **فاذا تساءلنا عن ابعاد القومية العربية ، فان الفن واللغة سيشاركان بدقة فى تحديد هذه الابعاد .** فحيثما انتشرت اللغة العربية وحيثما انتشر الفن العربي واصبح تقليدا وارثا ، تمتد القومية العربية .

ودلائل اللغة والفن فى تحديد السمة القومية ، اقوى واثبت من الدلائل السياسية . فالوحدة اللغوية والفنية هي طابع قومي ثابت فى وجدان الامة وشخصيتها ، ولا يمكن للتغييرات السياسية أن تؤثر على هذه الوحدة . بل ان هذه الوحدة هي الاساس الذي تقوم عليه الوحدات السياسية .

وحدة اللغة العربية عبر الزمان

بقى ان نتساءل هل وحدة اللغة العربية والفن العربي وهي المعبرة عن وحدة الشخصية العربية صحيحة عبر التاريخ ؟ وما هي عوامل تفكيك هذه الوحدة ؟

ما زالت اللغة العربية اقوى مظاهر السمات العربية وأقوى رابط يربط المحيط بالخليج ويوحد افكار العرب وآمالهم ونضالهم ، وهي متينة غنية ذات تراث عريق لا ينضب . وعلى الرغم من محاولات التتريك فى العهد العثماني ، وعلى الرغم من الظروف السياسية الصعبة التي مرت بها الارض العربية فى عهود الانتداب والاستعمار ، ومحاولة فرنسة الفكر واللسان فى المغرب العربي ، ورغم التخلف الفكري والاجتماعي الذي اصاب الامة العربية ، نرى ان **اللغة العربية بقيت صامدة يدعمها القرآن الكريم ، والتراث الادبي العربي** وجهود المجامع ودور المجلات والمدارس العربية والحركات القومية التي اعطت اللغة اهمية اولى ليقظة الوجود العربي . وهكذا نرى اللغة العربية اليوم تعيش فى ظروف مواتية وقد ابلت من اكثر امراضها التي توارثتها عبر تقلبات التاريخ . وانها **فى طريقها الآن للقضاء على اللهجات المحلية الركيكة ، وان ارتفاع مستوى الثقافة وانتشار وسائل الاعلام كالمذياع والتلفاز ، سيكون له اثر كبير فى تصفية اللهجات العامية التي تختزن الفكر العامي البدائي وتؤثر بذلك على حركة التقدم الحضاري والقومي .**

وحدة الفن العربي

اما وحدة الفن العربي ، فانها ماثلة باعتراف جميع المؤرخين ، وهي وحدة داخلية تكمن فى شخصية الفن العربي ، ووحدة جغرافية . ونحن نستطيع أن نتميز هذه الوحدة الداخلية فى اي عمل فني سواء أكان اناء او سيفا او رداء مطرزا او فسقية او مئذنة ، ولنسمع مايقوله جورج مارسيه عن هذه الوحدة (2) .

« لنتخيل تجربة : لديك ساعة فراغ ، ولتزجية الوقت او لمجرد التسلي باستعراض صور جميلة امام عينيك ، تقوم بتصفح مجموعة صور لآثار ترجع الى

(1) Heidegger : « Chemins qui mènent nulle part », Gallimard, 1962.

(2) جورج مارسيه : الفن الاسلامي ــ ترجمه د. عفيف بهنسي ــ دمشق 1968 ــ المقدمة

مختلف الفنون . وتتتالى التماثيل الاغريقية بعد اللوحات الجدارية المثونة على المقابر المصرية والستر المطروزة اليابانية بعد النقوش النافرة فى المعابد الهندوسية .

وفيما انت تقلب هذه الأوراق يقع بصرك بصورة متتابعة على لوحة جصية منحوتة فى احدى قاعات الحمراء . ثم على صفحة من قرآن كريم مزين من مصر، وتقع عيناك اخيرا على زخرفة منقوشة على فسقية نحاسية فارسية ، وحتى لو لم يكن بمقدورك بعد ذلك ان تقرر البلد الذي أبدع فيه كل من هذه الاعمال ، فانك لا تميل ولو لبرهة وجيزة الى نسبة اي منها الى فن غريب عن البلاد الاسلامية » .

اما الوحدة الجغرافية فهي تتمثل فى وحدة الطراز على اختلاف الاقاليم والمناطق ، وعلى اختلاف السلطة الحكومية . ولكن هذا لم يمنع من ظهور فروق ابداعية ضمن نطاق هذه الوحدة تجعل الفن الأموي فى سورية وفى الأندلس مختلفا عن الفن الفاطمي فى مصر او العباسي فى بغداد . ان هذه الفروق دليل حيوية وتطور الفن العربي تطورا ابداعيا منسجما مع الظروف العقائدية والجغرافية التي ينشأ فيها ، ولكنه يبقى محافظا على وحدته الداخلية والقومية .

عوامل تفكك وحدة اللغة والفن

نعوذ بعد الاطمئنان على وحدة اللغة والفن العربيين الى الاجابة عن الشق الثاني من السؤال وهو ما هي عوامل تفكك هذه الوحدة ، اي وحدة اللغة العربية والفن العربي ؟

امام جميع الجهود القومية التي تبذل لتحقيق وحدة سياسية تقوم على الايمان بوحدة الوجود العربي تظهر نزعات شعوبية او انفصالية او امية ، تنادي باسم الاصلاح او الثورة ، بتسليم مفاتيح اللغة والفن لاول ظافر فى معركة الابداع ، او لاقوى لغة تفرض نفسها فى عالم المبادلات العقائدية والثقافية ، او لأسهل لهجة تفيد فى تقوية الاستقلال الاقليمي ولقد تجرأت بعض الدعوات الى تفضيل العامية على الفصحى أو تفضيل الحرف اللاتيني على العربي ، او الى استيراد الأساليب الفنية الحديثة .

ان جميع العوامل التي تؤدي الى اضعاف وحدة اللغة والفن او القضاء عليها ، هي دعوة الى تصفية شكل البنية العضوية للقومية العربية . والبديل الصحيح لهذه الدعوات هو تعزيز اللغة العربية واستصدار المعاجم الدقيقة لمختلف النشاطات الفكرية الحديثة ، وتوحيد المصطلحات المستحدثة ، وتسهيل الكتابة المطبعية وتعميم دراسة الخط العربي الجميل. واعادة النظر فى اسرار الفن العربي والعمل على تطويره ضمن نطاق وحدة شخصية واصالتها .
ان هذه الاعمال هي من صلب العمل الوحدوي الذي يسعى لتحقيق اهداف راسخة ، فأية وحدة سياسية لا تقوم الا على وحدة فكرية وتعبيرية متينة .

إسهام في الفن العربي:

الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

سبق للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ان نشر دراسة ضافية باللغة الفرنسية عن الفن المغربي منذ عشر سنوات (1961) تحت اشراف جامعة محمد الخامس بالرباط وتقديم رئيسها آنذاك فضيلة الاستاذ الكبير محمد الفاسي وزير الدولة المكلف بالثقافة والتعليم الاصلي سابقا ومما جاء في هذا التقديم : «ما اكثر المصنفات حول الفنون في البلاد الاسلامية وخاصة في المغرب ، ولكن توجد من بينها دراسات قيمة سواء من حيث التقنية ام التطور التاريخي الا ان معظم هاته المؤلفات ليست في متناول الجمهور لانها تظل مغمورة في بيئة الاخصائيين .

فكتاب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذي نقدمه اليوم يسد اذن هذا الفراغ ، والاستاذ بنعبد الله لا يزعم لكتابه القيم مقام المصنفات الكلاسيكية الكبرى مثل ما انتجته قرائح الاساتذة مارسي وريكار ، وطيراس . ومع ذلك فان كتاب الفن المغربي يقدم مساهمة هامة في دراسة الفن القومي منذ اصوله .

ان منطقية المدارك ، وكذلك مدى ودقة المستندات تجعل من هذا الكتاب في آن واحد موجزا مركزا وكتابا للامتاع والمؤانسة .

فالباحث المحنك يستمد من خلال آلاف الجزئيات الغميسة والبدائي يلمس في ثناياه أروع اداة للتوجيه والتكوين ، في حين يجد فيه كل القراء على اختلاف اتجاهاتهم ومستوياتهم ديوانا حافلا بالايحاءات والتصويرات الكفيلة بفتح آفاق جديدة انطلاقا من الاحداث التاريخية المحصة .

فهاكم مثلا نظرة متبصرة دراكة للفن البربري ، فقد استخلص السيد عبد العزيز بنعبد الله من النصوص كما استمد من ملاحظاته الخاصة ارتكازا على ما كتب امثال ريكار وطيراس هاته الفكرة الشخصية التي هي اصيلة بقدر ما هي حقيقية ، وهي ان المنزع الفني البربري لا يخلو من مظهر عربي بدوي ثم نرى المؤلف يلفت نظر القارىء الى نوع من التزاوج غني بالصور المجسمة والايعازات الكشافة : « ان الفن البربري يرتبط حقا على ما يلوح بهندسة الواحات التي اشاعتها مصر الفرعونية القديمة ان لم تكن قد خلقتها » .

وهنالك فصل يشير اهتمام المغاربة بكيفية خاصة ، وهو الذى افرده الاستاذ عبد العزيز للعصر الموحدي حيث يؤكد بحق ان الاستاذين طيراس ومارسي يريان فى المساجد الموحدية اروع ما ابدعه الاسلام ، وهكذا لم يترك المؤلف مجالا للصدفة والاتفاق كما انه لم يهمل اي ميدان يتصل بالموضوع حيث انكب على دراسة جميع المظاهر الفنية والحضارة المغربية كهندسة المساجد والمعاهد والمعاقل والحصون والمؤسسات العمومية والزخارف والرسوم ، والتطورات ملقيا اضواء كاشفة عن كل عصر من خلال كل الملابسات التاريخية .

وهنالك مئات الامثال الدقيقة التى تتبلور فيها هاته الفكرة الاساسية وهي ان اوربا مدينة للعرب لا للاغريقيين بالمعطيات الاولى لصناعتها الحديثة .

فالاندلسي عباس بن فرناس هو اول من فكر فى صنع اداة للطيران جربها بنفسه كما ابتدع طريقة جديدة لصنع الزجاج من الحجر ، فانبثقت آنذاك صناعة رائعة ويشير الاستاذ ايضا الى ما وقع الكشف عنه فى مكتبة الاسكوريال مما يؤيد ان العرب هم اول من استعمل الورق المصنوع من القطن ، وهو عبارة عن مخطوط يرجع تاريخه للقرن الحادي عشر الميلادي .

وقد اوضح المؤلف انه اذا كانت الصناعة الكيماوية فى القرن الثامن عشر الميلادي قد قلبت الاوضاع بالنسبة للانتاج الحديث فما ذلك الا بفضل الكشوف العربية لبعض الاجسام التى جهلها الاغريقيون كالبوطاس ونترات الفضة والكحول والحامض الكبريتي .. الخ .

واترك للقاريء لذة الكشف عن كنوز هذا الكتاب الذى تمتاز نصوصه بقيمة سامية والذى تزيده روعة ، تلك المجموعة الشيقة من الصور والرسوم التى يتحلى بها ، والتى ستساعد البحاثين كما ستساعد الطلبة ومختلف القراء على تذوق متعة عارمة وتركيز نظراتهم على قاعدة موضوعية رصينة .

فالاستاذ عبد العزيز بنعبد الله يقدم اذن كتابا قيما للجمهور وخاصة هواة الفنون الجميلة الذين سيفتح لهم هذا المصنف القيم مجالات طريفة للتكوين والاستعلام .

وقد عرف المؤلف بنصاعة اسلوبه وعرضه ، وبرقة ذوقه ، كيف ينير الطريق بروعة وفعالية .

وهاكم نص هذا البحث الذى ينشر اليوم باللغة العربية كاملا لاول مرة :

من خواص الفن الاسلامي انه مزيج من الفن الشرقي والفن الخاص بالاقطار التى اعتنقت الاسلام مثال ذلك ان التنميق الهندسي كان موجودا قبل الفتح الاسلامي فى الفنين القبطي والبربري وقد اقتبس الفن الاسلامي من الفرس القباب المزخرفة والاقواس الرخوة والمقربصة .

لا يكاد يوجد فى المغرب سوى الدور ذات السطوح ، ففى الاطلس نجد ما يسمى بتغرمت اي الدار المحصنة وهي دار مربعة تقوم فى اركانها ابراج وفى سورها مدخل يتصل بغرفة تحاذيها ثلاث غرف اخرى فى باقي الواجهات الداخلية . وفى زاوية من زوايا هذه الغرف درج تؤدي الى الطابق الاول الذى هو صورة طبق الاصل للطابق السفلي حيث الخدم والماشية اما الحصون الركنية فانها تستعمل كذلك كمخازن للمؤن .

ويوجد ايضا عند البربر ما يسمى بالمخازن المحصنة اي ايفرم وهي عبارة عن اجنحة منفصلة تنفتح فى ساحة داخلية وتقوم البناية كلها على

شاهق نقطة استراتيجية لذلك تستخدم كمستودع للمؤن وكقلعة يلجأ اليها الناس عند الخطر . وهناك نوع من المستودعات يسمى « اجدير » وهو عبارة عن هري عام يتخذ شكل دار مربعة لها باب خارجية واحدة تؤدي الى ساحة مركزية تنفتح منها اربع او خمس طبقات من الغرف فى اطرافها ابراج وتحتوي فى الغالب على مسجد وهري عام وغرف للحراس ودار الندوة للاعيان وفى وسطها صهريج لحفظ الماء للحاجة .

والاغالبة هم اول من ادخل الفن الشرقي الى افريقية ايام الفاطميين وقد وضعوا اسس الفن الجديد فى القيروان حيث جددوا مسجد عقبة بن نافع على نمط مساجد دمشق والقاهرة ثم جاء الخوارج فأقاموا فى تاهرت وسجلماسة مآثر عفى عليها الزمان ثم اتخذ الفن مظاهر جديدة ايام بني زيري فى اشير وقلعة بني حماد وبجاية حيث يتبلور التأثير الشرقي فى مزيج من الهندسة البربرية العربية وفى القرن الثاني الهجري بنى المولى ادريس مدينة فاس التى يقول عنها كزيل بأنها آية فى الاقتباس من الفن الشرقي .

ولكن عندما جاء المرابطون لم يجدوا فى متناولهم سوى نتف من بقايا الفن البربري ، ولم تكن لهم صلة مباشرة بالشرق وفنونه التى لم يلمسوها الا عن طريق الاندلس فاتسمت الهندسة المعمارية بميسم جديد ثم اتجه الموحدون فى هذا الاسلوب الاسباني المغربي ، ولعل أول بوتقة انصهرت فيها مع الايام مظاهر الفن المعماري الشرقي المغربي هي مدينة فاس التى اقامها المولى ادريس عام 192 هـ (1) بالموضع المعروف بجراوة وقد احاط عدوة الاندلس بسور فتح فى جوانبه عدة ابواب وجهز المدينة بجامع للخطبة وهو جامع الاشياخ ثم بنيت عدوة القرويين عام 193 بدار القيطون بسورها ومسجدها (مسجد الشرفاء) .

وقد اتجه المرابطون خاصة نحو هندسة المساجد التى لم يعد يخلو منها ربض ولا زقاق لاسيما فى فاس كما اهتموا ببناء القلاع على غرار الحصون الاصلية مع الاقتباس فى آن واحد من الاندلس . واول ما تجلى هذا الاقتباس فى فاس حيث استقدم يوسف بن تاشفين من قرطبة جملة من صناع طوروا مساجد المدينة وسقاياتها وحماماتها وخاناتها كما استقدم علي بن يوسف المهندسين الاندلسيين لبناء قنطرة تانسيفت .

ثم جاء الموحدون فاستطاعوا بفضل ما ابدعوه من روائع تبوؤ المقام السامي فى تاريخ الفن الاسلامي لاسيما فى عهد يوسف الذى عاش فى اشبيلية حيث زينها بأروع البنايات والمؤسسات العمومية ثم جاء ولده يعقوب المنصور فكان ابدع بناء فى تاريخ المغرب الفني وقد تجلت هذه البدائع خاصة فى اشبيلية والرباط ومراكش ومناراتها خيرالدا وحسان والكتبية) واصبحت مراكش بناياتها وقصورها وحدائقها اشبه ببغداد فى الشرق كما اشبهت مدينة فاس دمشق فى روائها الفني وطبيعتها الخلابة وقد ظل للصناع المجلوبين من الاندلس اليد الطولى فى عهد الموحدين الذين نشروا الفن الاندلسي فى جميع ربوع افريقية حيث تجدد الاتصال بين الفن المغربي والفنين المصري والعراقي السائدين فى بجاية ومهدية وتونس الخضراء .

وقد خلف بنو مرين الموحدين فى الربوع الافريقية فكان للفن المريني ميسم خاص اذا قورن بالفن عند بني عبد الواد فى تلمسان والحفصيين فى تونس فى حين واصل بنو نصر فى غرناطة تقاليد الفن الاندلسي .

غير ان الطابع العام لم يتغير وكذلك الاتجاه الفني الذى انصرف عنه بنو الاحمر الى زخرفة القصور فى حين تجلى عند المرينيين فى اقامة المدن المحصنة والمساجد والمدارس .

وقد استعادت فاس دورها كعاصمة غير ان ابا يوسف المنصور اقام مدينة فاس الجديدة او مدينة البيضاء بقصرها الملكي ومساكن الضباط ومعسكرات الجند والمرتزقة واحيط فاس البالي بأسوار جديدة.

ويتجلى نشاط المرينيين المعماري فى شعورهم بالحاجة الى اقامة المدن الجديدة على ان ابا يوسف صنع المارستانات وبنى المدارس بفاس ومراكش والزوايا فى الفلوات ، ولم يفته فى كل ذلك

(1) راجع الطبعة المطولة لمظاهر الحضارة وكذلك كتابنا تاريخ الفن المغربي للتعرف الى مختلف الروايات حول تاريخ بناء مدينة فاس .

الزخرف الفني الرائق الذى يطبع المؤسسات الجديدة .

وقد لاحظ ابن مرزوق فى مسنده « ان انشاء المدارس كان فى المغرب غير معروف حتى انشئت مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس (مدرسة الصفارين) عام 760 ثم مدرسة العطارين ومدرسة المدينة البيضاء ثم مدرسة الصهريج ثم مدرسة الوادي ثم مدرسة مصباح .. ثم انشأ ابو الحسن فى كل بلد من بلاد المغرب الاقصى وبلاد المغرب الاوسط مدرسة » فقامت عند ذاك مدارس لايواء الطلبة فى تازة ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وانفا وازمور وآسفي واغمات ومراكش والقصر الكبير والعباد (تلمسان) والجزائر وقد اقام بنو مرين كذلك « من آسفي الى جزائر بني مزغانة واول افريقية محارس ومناظر اذا ظهرت النيران فى اعلاها تتصل المراسلات بينها فى الليلة الواحدة او فى بعض ليلة » .

ولعل اروع مثال يبرز البراعة التى بلغها المهندسون والصناع هو ذلك القصر الذى بناه ابو الحسن فى ظرف اسبوع، وقد اشتمل على اربع قباب مختلفة ودويرتين تتصلان منقوشتي الجدر بالصناعات المختلفة .

ولكن ما هي ميزات الفن المريني ؟ ان الجامع الكبير فى تازة وكذلك مسجد ابي يعقوب المريني فى وجدة يحتفظان احيانا بتلك الفخامة التى يتسم بها الفن الموحدي ولكنهما يضيفان رقة الاشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والمقربصات والزليجات ويلاحظ فى المدرسة العنانية بفاس تشابه واضح فى الهندسة والترخيم مع مدارس الشرق .

وهذه المدرسة هي مدرسة ومسجد فى آن واحد مجهزة بمنارة ومنبر للجمعة ومنجانة ذات ثلاث عشرة من الطسوس « شعار كل ساعة فيها ان تسقط صنجة فى طاس وتتفتح طاقات »

ومن خواص الفن المريني النقش على الخشب والجبس والادهان البديعة والشماسيات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات بالزليج .

اما فى عهد السعديين الذى بدا الفن المعماري يتحجر فيه نسبيا فانه يمتاز (بقصر البديع) الذى وصفه الافراني بانه يفوق بغداد روعة وجمالا ورغم هذا التحجر لا يمكن ان يعتبر هذا الفن سوى امتداد للفن المغربي الاندلسي مع مميزات جديدة حيث ان المنصور الذهبي استقدم الصناع والمهندسين من مختلف البلاد وحتى من اوربا وقد هدم المولى اسماعيل قصر البديع الذى انتشرت نتف من انقاضه فى مختلف المدن .

ومن المآثر السعدية الباقية بعض مساجد مراكش (المواسين والقصبة وباب دكالة) وقبور السعديين الرائعة وجناحان فى جامع القرويين .

وقد كفل العلويون امتداد هذه التقاليد الفنية فجهز مولاي رشيد مدينة فاس بالحصون على غرار بني مرين واقام مدرسة الشراطين ولكن المولى اسماعيل الذى نشر أول الامر الحصون والقلاع الجديدة فى جميع انحاء المغرب انصرف بكليته بعد ذلك الى بناء قصر الرياض بمكناس وتنميق حدائقه على نسق قصر فرساي حيث كان ينافس لويز الرابع عشر ملك فرنسا وقد استعان المولى اسماعيل بالخمسة والعشرين الف اسير مسيحي على انجاز مشاريعه الضخمة التى وافاه الاجل دون اتمامها فاكمل المولى عبد الله أسوار القصبة وباب منصور العنج .

وقد اراد المولى اسماعيل ان تكون مدينة الرياض شبيهة بفرساي والبديع ولكن تمتاز بشوارعها الواسعة واحيائها المسورة .

واستمرت اقامة القصور على النسق التقليدي كدار المخزن قرب انقاض قصر البديع بمراكش وكقصر الباهية وكالقصور الخاصة التى تنتشر هنا وهناك فى حواضر المغرب .

اما هندسة المساجد فقد كانت مزيجا من هندسة الدول السالفة .

الفن المغربي قبل التاريخ

لقد اضطر الانسان في عصور ما قبل التاريخ الى الالتجاء للكهوف المنحوتة فى صخور الجبال وما زلنا نشاهد الى الآن فى منحدرات الاطلس بعض المغاور العتيقة المتهدمة وقد كانت هذه المآوي الطبيعية

مركز حياة نشيطة كما تشهد بذلك بقايا الادوات الغريبة وعظام الانسان والحيوان اللذين عاشا في هذه الكهوف والذين القت تلك المكتشفات اضواء على أساليب عيشهما .

لقد اختار الانسان الاول ـ كفالة لامنه وطمانينته ـ هذه المخابع السامقة في قمم الجبال فرارا من الضواري المفترسة وتوجد الى الآن في هضاب تادلا كهوف تحتوي على غرف منحوتة في الحجر الصلد ينفذ اليها النور من خلال كوات واسعة غير ان الاواني والآلات التى عثر عليها تختلف اشد الاختلاف عن الاثاث البربري الحالي ولكن تنم عن شعور فني يزداد وضوحا في الصور المنقوشة على الصخور ومن ابرز هذه الرسوم (كبش زناكة Le bélier de Zenaga) المكتشف فى فكيك والذى يعطينا صورة عن الفن المغربي قبل التاريخ فى مرحلته الطبيعية (اي تصوير المناظر الطبيعية) التى عقبتها مراحل ادت الى ما نشاهده اليوم من نقوش حيوانية فى الهندسة المعمارية البربرية وتوجد ثلاثة آلاف وخمسمائة صورة منحوتة على الصخر فى الاطلس الكبير ومما يساعد على تحديد تاريخ نحتها وجود صور لحراب ورماح ـ من النوع المعروف في عصر البرونز الثاني بأوربا ـ كاسبانيا والبرتغال وبريطانيا وايرلندا وايكوسيا وهي قريبة الشبه بأسلحة جنوب شرق اسبانيا وبذلك يمكن ضبط تاريخها بالنصف الثاني من الالف الثانية، وتوجد منها نحو الثلاثين في جبل اوكايميدن وياكور . ومن بين الصور الانسانية التى عثر عليها المكتشفة فى الاطلس الكبير توجد اربع تلفت النظر احداها مسلحة بخنجر وتحمل اربعة اسورة على الاقل علاوة على نحو 14 الى 17 من السمات البارزة الواضحة منها اربع حول العنق واربع على الصدر والشخص الثاني بقبعته وحذائه وهراوة فى اليد اليمنى وخنجرين فى العضد الايسر اما الرجل الثالث فسماته غامضة ويظهر ان عصى ماثلة الاثر فوق راسه وما زالت معالم الرجل الرابع بارزة منها ذكره وحربته وخنجر فوق راسه ويلاحظ ان الشخصين الاول والثالث يوجدان فى اوكايمدن والآخرين فى ياكور (عزيب نكيس وفيف كاكين) ويتاكد ان اثنين منهم من المحاربين .

ولكن منذ هذا العصر بدا البرابرة يتجمعون فى قرى فى شكل خيام واخصاص شاهد منها الرومانيون بافريقيا الشمالية وقد عثر بالمغرب على عدة ادوات تؤكد هذه النظرية ففى احد مناجم الدار البيضاء وقع الكشف عن حصيات ذات بريق تناوبي قديمة العهد وعثر منذ عام 1941 على حصيات شبيهة بهذه فى منجم سيدي عبد الرحمان قرب انفا . وترجع الى نفس العهد التاريخي المخلفات الحجرية الموجودة في سوق الاربعاء وعرباوة وغابة المعمورة (نوع احمر اللون) واحواز الرباط (مجموعة من الحصيات المنجورة) قرب دوار الدوم .

ومهما يكن تنوع مناطق هذه المناجم فانها تعتبر اقدم صناعة معروفة بالمغرب وان وجود آلات مختصة بين هذه المصنوعات ليبشر بامكان الكشف عن بقايا مصنوعات أعرق فى القدم .

وعثر كذلك على مناجم فى نجود مدينة سلا استخلصت منها صخور ضخمة (متران الى ثلاثة امتار) ويوجد نفس النوع فى شالة ومطار الرباط مع تنوع أكثر فى اطوال القطع واختلاف المواد الاولية

اما فى العصور التاريخية فان البرابرة اقاموا لحفظ ثرواتهم نوعا من « القصور » او الحصون اسندوا حراستها لرجال مسلحين واحيانا ابراجا على قمم الجبال لايداع العتاد والمال والمؤن .

وكانوا يلبسون اول الامر مخيطات بسيطة تستر العورة ثم جلود الحيوان تقية من البرد القارس ثم الجبة الصوفية ثم اكسية اشبه بالبرانس مع تزيين رؤوسهم احيانا باكاليل من الريش .

والسلاح كان يصنع من الحجارة فى العهد الحجري الذى امتد طويلا فى انقارة الافريقية حيث لم يعرف الناس منذ العصور الاولى معادن الحديد والبرونز والنحاس ـ ثم استعمل البربر الحراب فالاقواس فالخناجر وكانت درقات الدفاع تصنع من جلد الفيلة وهذه الاسلحة وكذلك الآلات الاخرى كانت تنقش اولا بالاظافر ثم بأسنة حجرية ثم اسنة متخذة من اطراف العظام المحددة وتطور صنع الاسنة الى نوع أشبه بأسنان المناشير .

وكان البرابرة بالاضافة الى ما يصنعونه من انواع المجوهرات يرسمون على الحجارة صورا تمثل حياتهم اليومية ويتحلون نساء ورجالا بالاسورة والعقود وينفرد الذكور بالاقراط والنساء بالخلاخل وكانت الاواني كلها خزفية والمراة فنانة تتولى نقش مختلف الاوعية كما تتكفل بنسج الزرابي . وكان الموتى يدفنون فى مغاور طبيعية ثم صاروا يوضعون

في كهوف مربعة او مستطيلة تنحت في الجبال وتحشر فيها جثث متعددة بعد ثنيها وكسر عظامها ولكن منذ القرن الثالث الميلادي صار بعض المغاربة يحرقون موتاهم كاليونانيين والقرطاجنيين كما تعودوا صبغ الموتى وايداع الحلي والاثاث مع مالكها في مرقده الاخير وتعتبر ناحية تافيلالت من بين النواحي الفنية بالمقابر التي يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام فقد عثر عام 1938 على ما سمي بمقبرة ارفود الواقعة على الضفة اليسرى لوادي زيز حيث وقع العثور على نحو 1200 حجرة لتبليط الاضرحة وقد تم الكشف في اثنتين منها عن عظام بشرية ما زال من السهل التعرف على هويتها .

وكان الفن البربري يستمد من الاشكال الهندسية - زيادة على بعض الرسوم الطبيعية - ولكن قلما كان يستعمل الاقواس والحنايا وانما هما خطوط وتعاريج .

واروع ما في هذا الفن حيويته واصالته مما ساعده على الصمود في وجه تأثيرات الرومان والاسبان واقل ما يمكن ان نستخلصه من هذا هو ان وفرة الاثاث والاسلحة لدى المغاربة منذ عصور ما قبل التاريخ تنم عن تدفق حياة اجتماعية لا بأس بها.

— * —

اما في العصور التالية فقد اسس الفينيقيون مدينة قرطاج بافريقيا اواخر القرن التاسع قبل الميلاد وفي منتصف القرن الخامس اجتاز هانون بدوافع تجارية اعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) على ظهر ستين مركبا واقام على ظواهر سواحل المغرب سبعة مراكز احدها في مصب الساقية الحمراء ولعل هذه الاقامة القرطاجنية العابرة تركت آثارها اذا اعتبرنا بعض المظاهر المشتركة في الحضارتين البونيقية والمغربية فالطابع القرطاجني ما زال يسم صناعة المعادن والجلد والخزف المذهب والاصباغ والنسج والآلات الفلاحية والبحرية ويرى المؤرخ كوتيي ان الثياب البونيقية كانت شرقية بقميصها الطويل ذي الاكمام العريضة وطربوشها وكساء السفر الذي يشبه الكندورة (الفوقية الفاسية) بل وحتى البرنس الحالي (2) والاعراف القرطاجنية نفسها كانت شرقية فمن ذلك تعدد الزوجات وانواع الحلي النسوي وشكلية الاجداث والشواهد وحركة السجود وتحظير اكل الخنزير «والخمسة» (اوانيد) ... الخ وقد تساءل المؤرخ كزيل هل استمرار معالم الحضارة البونيقية بالمغرب هو الذي ساعد على انتشار اللغة العربية القريبة من البونيقية بين البربر مؤكدا ان مدينة قرطاج قد هيأتهم من بعيد الى تقبل القرآن ككتاب مقدس وكدستور .

وقد خلفت قرطاجنة هذه حاضرة روما التي بسطت سيطرتها على افريقيا الشمالية طوال 7 قرون (من القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن الخامس بعد ازدياد المسيح) .

وقد كان اقليم النفوذ الروماني في موريطانيا الطنجية (ابتداء من عام 42) يشكل قطعة صغيرة تمر حدودها جنوبي الرباط من المحيط الاطلنطيقي الى ملتقى وادي ابي رقراق وعكراش اما في شرق المغرب فان الآثار الباقية تحمل على الظن بأن هذه الحدود امتدت الى الاطلس الاوسط جنوبي مكناس وفاس وبذلك تكون منطقة الاحتلال الرومانية عبارة عن مثلث بين سبتة والرباط وفاس تندرج فيه طنجة كعاصمة بعد قصر فرعون (وليلي) .

والغالب ان طنجة كانت اعظم مدينة في الجزء المغربي المحتل من طرف الرومان وما زالت المدينة تحتفظ - كشاهد على الاستيطان الروماني - بانقاض كنيسة لم يبق منها سوى تصميمها اما الآثار الاخرى المحفوظة فانها لا تعدو بعض الكتابات والنقود والمنتجات الفنية مع تمثال امراة .

وقصر فرعون(3) عبارةعن مدينة مستطيلة الشكل ولكن غير منتظمة المساحة (يتراوح طولها وعرضها بين 700 متر الى ما بين 300 و 500 متر) تتدرج بناياتها في سفح جبل زرهون حيث ضريح المولى ادريس الاول ونظرا لانعدام وثائق تكشف عن وضع هذه المدينة التاريخية فان مصلحة الآثار القديمة التابعة لوزارة التعليم العالي تعمل على تجديد هذه المدينة التي هي اعظم حاضرة رومانية في الاقليم الداخلي بفضل الحفريات التي كشفت عن قوس كاراكالا (4) او قوس النصر وعن

---

(2) تاريخ افريقيا الشمالية ص 92

3) نشرنا بحثا مطولا عنه في العدد الثاني من مجلة « اللسان العربي »

(4) امبراطور روماني نجل سبتيم سيفير Septime Sévère ولد في ليون عام 188 م وتولى الملك بين 211 و 217 م .

أزقة ودور ومعاصر للزيتون وقد وقع العثور على الساحة المركزية للمدينة بكنيستها وازيحت الانقاض عن بدائع فنية رائعة منها كنب من البرونز (وهي قطعة مقتبسة عن الاصل اليوناني المنحوت في القرن الخامس قبل الميلاد) وراس مصنوع من المرمر ونقوش بديعة تمثل صورا حيوانية وانسانية في قالب فسيفساء وكانت الساحة الداخلية المحاطة بالاروقة هي القلب النابض للحياة العمومية في المدينة ويقوم في جانبها الغربي حي لا شك انه امتداد لدسكرة أهلية كما توجد شرقي قوس النصر شبكة واسعة من الدور الثرية بقاعات استقبالها الواسعة وبساحاتها المحاطة بالغرف على النمط المغربي وقد عثر على بقايا قنوات كانت تحمل المياه من زرهون الى سقايات المدينة وحماماتها أو الاحواض المنبثقة داخل المنازل اما الزخرف داخل البيوت فان نقوشه تشكل احيانا دوائر ناتئة رائعة او نحوتا مفرغة علاوة على الرسوم الزهرية في الحجارة والتسطيرات الهندسية ذات الطابع البربري ورؤوس الاساطين البسيطة والمزخرفة بصورة نورية عريضة الاوراق جميلة التقاسيم وتماثيل ودمى واثاث من البرونز تشكل مجموعة فنية ثرية نادرة المثال وتوجد انقاض مدينة باناسة Banassa الرومانية على الضفة الجنوبية لنهر سبو وهي تحتوي ايضا على ساحة مركزية ودور كبرى جميلة ومستحمات تتجلى روعة مبانيها الاصلية في قطع البرونز الفنية التي عثر عليها، اما تموسيدة Thamusida الواقعة كذلك على نهر سبو على بعد ستة عشر كلم . من القنيطرة فان بقاياها المعمارية أقل روعة وجمالا من بناسة، وقد تم الكشف في شالة عن قسم من الساحة المركزية Forum التي تنتهي غربا بقوس نصر وبقلعة رومانية وعمارتين جنوبا وشمالا كما كشف في الجنوب الشرقي للساحة عن آثار دور رومانية وعن مقبرة في المكان الذي يقوم عليه مقر السفارة الفرنسية الآن ولم يعثر على حمامات ولا على اشياء فنية باستثناء كتابات جميلة تلقي بعض الضوء على الحياة الرومانية في هذه المدينة العتيقة الا ان الحفريات الاخيرة ازاحت التراب عن ثلاثة من التماثيل ما زالت تحت الدرس ، ومن المدن الاثرية الهامة ليكسوس الواقعة على مسافة اربعة كلم. شمالي العرائش وعلى الضفة اليمنى لنهر لوكوس وهي فينيقية الاصل (القرن السادس قبل الميلاد) احتلها الرومان واقاموا بالقرب منها ضريح هرقل وهي معروفة عند المؤرخين بمدينة الشمس او تشمس التي يقال بأن حدائق هسبيريدس ذات الفواكه الذهبية موجودة بها على خلاف ما يراه آخرون من وجودها في الجزر الخالدات وهي الجزر «السعيدة» السبع التي اكتشفها الاسبان في القرن الخامس عشر ، ويرى علماء الآثار ان هذه المدينة تحتوي على كنوز فنية لا تقدر لذلك يولي المسئولون من الاثريين هذه الحاضرة الازلية عناية خاصة الآن وقد عثر على البناء الفينيقي في الطبقة السفلى على عمق بضعة امتار وفوقه البناء الروماني على طبقتين اعلاها المدينة الامبراطورية ثم طبقة أخيرة يظهر انها راجعة لصدر الاسلام نظرا للعثور فيها على قطع خزفية عربية ملونة ومنقوشة بحروف كوفية علاوة على بقايا مسجد بمحرابه وفنائه ، اما النماذج الاثرية القديمة فهي أوان من الفخار تطور صنعها فدهنت أيام الفينيقيين باللون الاحمر وكذلك قناديل منوعة كما عثر على بقايا دور بونيقية مبنية من الحجارة تحتوي على غرف مستطيلة كالغرف المغربية الحالية وارضها مبلطة بالفسيفساء المرمري وهذه المدينة التي تنقسم الى عدة احياء كل حي بسوره الخاص تعتبر (هي ومدينة شالة) المدينتين الوحيدتين الواقعتين في مركز بحري هام وكانت مستودعاتها الغنية تستعمل لحفظ الحبوب والزيوت .

وقد عثر على مدن ازلية اخرى مكان سبتة والقصر الكبير (اوبيدوم نوفوم) وتمودة (على بعد ست كيلومترات ونصف من تطوان) واصيلا وفريدي (على مسافة كيلومترين اثنين من عرباوة) وتريمولي (في المكان الذي كانت تقوم البصرة في القرن الرابع الهجري) .

وقد لاحظ تيسو (5) ان مدينة القصر الكبير مبنية في معظمها بأدوات ازلية العهد وتوجد على احدى قواعد منارة الجامع الكبير كتابة اكتشفت منذ عام 1871 م وهي تشهد بوجود ضريح في ذلك المكان .

(5) كتاب الجغرافية المقارنة لموريطانيا الطنجية ص 162 .

وقد ظلت اهم هذه المدن قائمة الذات في القرن الخامس الميلادي بعد انسحاب الرومان وكان بعضها يمثل في القرن الرابع ابرز حواضر المغرب الاسلامي (6) .

مغطيات الفن العربي اليوناني

ان صنع الاشياء العادية واقامة بعض المؤسسات البسيطة كان الشغل الشاغل لسكان المغرب قبل التاريخ ، فقد احتد ذكاء هؤلاء ، وتطورت قواهم الفكرية ، وتفتحت مخيلاتهم بفضل الاحتكاك الموصول بالضروريات اليومية ومقتضيات الحياة المتجددة. فالفكر الذي تفتقه الحاجة يسعى في الخلق والابداع فيبتكر الهيآت والاشكال في غير تناسق باديء ذي بدء ، ثم يندرج في تطور بطيء يحدوه الى تقوية التساوق وتعزيز الانسجام . وتعمل الغريزة في آن واحد عملها البناء ، فتضفي على العمليات الذهنية مظهرا من الروعة والرواء ، بقدر ما تنمو وتتبلور في ذهن الانسان حاسة الجمال . وقد تولد عن تلك العوامل الاجتماعية والفكرية نزوع الى التنسيق وميل الى فن الزخرف والتنسيق . وقد عثر المنقبون منذ قديم على آثار فنية خالدة في المغاور والكهوف التي يرجع عهدها الى ما قبل التاريخ .

وتوجد في المغرب مصلحتان اثنتان : تهتم احداهما بحفريات العصور القديمة ، والاخرى

(6) تاريخ لمغرب ــ طيراس ج 1 ص 61 ــ البيان المغرب ج 1 ص 133 و 330 .
سبق للمؤلف ان نظم قصيدة اشار فيها الى هذه المدن الرومانية بعنوان « نوفوم » او القصر الكبير » جاء فيها :

« نوفوم » (ا) ثانية الحواضر ارفلي	في العزبين توائم الاقمار
اختارك الرومان حاضرة الهنا	نزاحة عن لكس وقفار
مهد الحضارة جنة الدنيا التي	عرفت ب «هسبريد» (ب) في الامصار
جرت ذيول الفخر في خيلائها	نفذت « وليلي » ــ طمرة الاغمار
بذت عواصم «تنجس» و «تمودة»	وتموسيدا (ج) انعم بها من دار
ما ان بدا قصر العوارف في الدجى	الا بدا فيض من الانوار
او اينعت وضح النهار كرائم	الا سما ومض من الاسرار
يا بلدة اكرم بها من بلدة	يا موطن الاطهار والاخيار
اليمن نبع فيضه واليسر ثـ	ـت عينه والسيل خير نضار
الخير انت شعاره والنبل انـ	ـت دثاره والبيت خير مزار
العقد انت نظامه والفضل انـ	ـت جماعه والجود خير منار
فيك الأجنة راضعات للتقى	فيك الجنان لواقح الأزهار

(ا) نوفوم Oppidum novum اي الحاضرة الجديدة التي بنيت بعد ليكس Lixus (بنيت هذه عام 1101 قبل الميلاد) وهي ثاني مدينة بنيت في المغرب في المكان الذي تقوم عليه الآن مدينة القصر الكبير وهي موطن الافذاذ من العلماء ورجال الفكر ومعركة «وادي المخازن» التي اندحر فيها البرتغال

(ب) Hespérides هي جزر اسطورية في ساحل الاطلنطيك كالجزر الخالدات او جزء من ساحل المغرب الاقصى قرب ليكس وهي حدائق عدنية فيها تفاح الخلود حسب الاساطير .

(ج) تنجس هي Tingis او طنجة الحالية وتقع تمودا Tamuda قرب تطوان وتاموسيدا Thamussida قرب مهدية بمصب نهر سبو (قرب القنيطرة الحالية) .

بالحفريات الاسلامية وقد سارت الاولى خطوات واسعة فى الكشف عن مخلفات الفينيقيين وآثار الرومان بالمغرب، واسفر نشاطها المستمر منذ عقود من السنين عن تحقيقات لكثير من المعطيات التاريخية، كما كشفت ابحاثها القناع عن بعض مظاهر الحضارة المغربية منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي . ونضرب مثلا لذلك بالكهوف الثلاثة المكتشفة فى مغارات اشقار قرب طنجة . فقد لاحظ شارل تيسو منذ عام 1875 ان هذه الكهوف يرجع عهدها الى ما قبل التاريخ وانها كانت راس معبر للبحارين الاوائل الذين اجتازوا مضيق جبل طارق . وقد شرع المغرب فى دراسة هذه الحفريات منذ عام 1906 بواسطة البعثة العلمية الفرنسية . فعنى طول سواحل المحيط الاطلنطي ترتفع نجود صفرى من دقيق الاحجار الرملية توغل الماء فى تضاريسها فحفر سراديب مختلفة تمتد احيانا مسافة ثلاثين مترا فى باطن الارض . والذى يضفي اهمية خاصة على هذه الكهوف هو ما عثر عليه فى حناياها من ادوات واوان مصنوعة من الجير والخزف او منحوتة فى الحجارات الكبرى .

ففى طبقات كل كهف من الكهوف الثلاثة وقع الكشف لحد الآن عن ادوات تشهد بوجود صناعة رقيقة فى هذا الاقليم منذ اعرق العصور ففى ثنايا الطبقة الاولى مثلا من الكهف الاول احصيت 420 قطعة كمابلغ عددها 772 فى الطبقة الثانية بلغت نسبة الاواني فى مجموعها 129 .

وفى الكهف الثاني 228 قطعة و 1.303 فى الطبقتين توجد بينها آنية . اما فى الكهف الثالث فعدد القطع 301 منها 39 آنية . وتحتوي هذه القطع عن محكات ومثاقب من انواع مختلفة لثقب الاوراق والحديد والخشب مثل البريمة وادوات اخرى ذات شكل هندسي وقصع منحوتة واخرى مسلسة ، ووجدت آلة غريبة هي عبارة عن محك من نوع خاص .

وقد عثر الباحثون جنوبي اشقار على مغارة اطلقوا عليها مغارة الاصنام ، ووجدوا فيها مجموعة ثمينة من الادوات المنحوتة من العظام فى شكل مبازق ومثاقب وملاعق واانابيب ويوجد فى هذه المغارة جانب اطلق عليه اسم عربي هو المغارة العالية .

واذا لم يكن قد عثر بين هذه القطع على بقايا حلي ، فقد لوحظت فصوص من جير أحمر منقوشة فى بعض الأواني ، كما وقع الكشف عن بقايا أوان خزفية بيضية الشكل او مسطحة الاسفل وهذه الوفرة والتنوع مما اتسمت به الصناعة فى اشقار منذ فجر التاريخ .

— * —

وقد لاحظ البحاثة الاسباني طراديل خلال حفرياته ان الخزف المكتشف يدل على شيئين اثنين ، هما : اقدمية استعمال الخزف بالمغرب من جهة ، وعلاقة المغرب باسبانيا منذ فجر التاريخ . لان الاواني الخزفية الموجودة بأشقار تشبه ما وجد فى الكهوف الاسبانية الواقعة على سواحل البحر الابيض المتوسط وكان الشكل الكروي هو الغالب في هذه القطع ، ولم يدخل الشكل البيضوي الا فيما بعد كما أن الصناع كانوا يوغلون فى طبخ الخزف وكذلك فى نقوشه . وقد بلغ عدد بقايا الاواني الخزفية خمسة آلاف غير منقوشة ، ولم توجد اية واحدة كاملة الهندام وبعضها عبارة عن قدر ومراجل حمراء منقوشة بالاظفار . ويتسم الخزف المصنوع فى اشقار بخصائص تميزه تمييزا كبيرا عن مصنوعات باقي اقاليم افريقيا الشمالية ، ووجدت نماذج منه فى مغارة الاصنام .

ولوحظ بين القطع المكتشفة فى الكهف الاول نحو المائة من القطع الرومانية ، مما يؤكد لنا ان ناحية اشقار كانت مطروقة من طرف الرومان وتوجد على بعد كيلومتر واحد جنوبي هذا المكان أوان خزفية من عهد الامبراطور الروماني اوجست من عائلة (سيفير) وقد عثر داخل مقبرة محادية لاحدى الصخور على قطعة من الزجاج وقطعتين من الخزف (ونفاتل) اي دبابيس من نحاس . ويرجع تاريخ هذه القطع الى القرن الاول قبل ميلاد المسيح .

وهكذا تدلنا الحفريات فى كهوف اشقار على ان هذا الاقليم عرف جميع انواع الادوات والآلات والاواني منذ العصر النيوليتي Néolithique الى عصر المعادن . وقل ما توجد هذه القطع فى المناجم المغربية الاخرى . اما نوع الخزف الشبيه بخزف الاسبان فالظاهر انه لم يصل الى سواحل الاطلنطي . والخزف الاحمر المكيف فى اشقار ينبيء بعهد الاواني الحمراء اللون التى نقلها الفينيقيون الى مدينة اللكوس (قرب العرائش) ومدينة الصويرة القديمة . وكل مكتشفات اشقار تؤكد لنا ان عناصر

واردة من العدوة الاخرى لمضيق جبل طارق قد استقرت فى هذه الناحية بفنونها وصنائعها كما جاءت منذ ثلاثين سنة بأدلة قاطعة على وجود علائق اقتصادية وثقافية عبر مضيق جبل طارق منذ العصر النيولوتي.

وانعدام المعادن فى هذه المغارات يؤكد من جهة اخرى ما زعمه الجيولوجيون من ان المغرب لم يعرف عصر البرونز .

ويظهر الفن فى عدة اشكال ويتجلى فى منشآت مختلفة فمن ادوات الطبخ الى الرموس والابنية والهياكل التى دخلتها مجموعة من القواعد فى الزخرف والزينة وفى ذلك دلالة على ما كان دائما للفن المعماري من الارتباط الوثيق بفن النحت والتصوير وصناعة الخزف والفنون الصناعية الاخرى .

الفن البربري وعناصره

وقد تأثر البرابرة منذ الفي عام بمدنيات مختلفة، استمدوا عناصرها من القرطاجنيين والرومان والوندال والبزانطيين ثم العرب ، الذين استمر احتكاكهم بالبربر ما ينيف عن الف عام . وبذلك استطاعوا ان يطبعوا بطابعهم انخاص عدة مظاهر من الحياة الريفية المغربية .

واذا كان الفن البربري هو – كما قال ريكار – فنا بدويا قديما ينفصل تماما عن الفن الحضري الاسلامي الاصيل فان المزيج الفني البربري لا يخلو من مقومات عربية بدوية . فالحياة التى يحياها البربر وليدة ملابسات محلية كثيرة : من جملتها عوامل الطقس والمقتضيات الجغرافية الاقليمية . ومعلوم ان انتجاع الكلأ يفرض حياة تنقلية تتلاءم مع الخيام التى تعتبر نواة للدسكرة (المدشر). ولكن بمجرد ما تسمح الظروف الطبيعية فى ناحية معينة بالحياة القارة، فان السكن الثابت يخلف السكن المتنقل كما تقوم القرية مكان الدوار بما تحتوي عليه من حصون ومخازن ومستودعات مشتركة (اغرم او اكادير) . وهكذا يتطور المظهر المعماري للسكنى ، من الشكل العتيق الذى كانت عليه فيما قبل التاريخ – وهو شكل فى منتهى البساطة – الى شكل دهليز او دار ذات سطح وهذا التسطيح هو النموذج التقليدي للسكن المغربي بالرغم عن تنوع التصميمات المستوحاة من اللوازم المحلية .

ومن الامثلة الحية تيغرمت الاطلس المتوسط ، التى هي عبارة عن قلعة مربعة ذات حصون تحتوي كل زاوية من زواياها الاربع على برج متصل بغرفة فيها درج توصل الى الطابق الارضي . اما الحصون القائمة بالاركان فانها تستغل كاهراء ومخازن للحبوب والساحة قد غطي جزء منها فقط فى حين ان الطابق الثاني خال من البيوت . اما الاغرم فهو شبيه بالتغرم الا انه يفوقه من حيث عدد المخازن المواجهة للبناء. على ان كلا منهما قد بني على مرتفع من الارض ليأتي بالفائدة المرجوة منه كمخزن للقرية ومركز للتجمعات فى حالة هجوم وقد كانت قلاع كبار قواد الاطلس تقوم بنفس الدور . غير انها اشتملت بالاضافة الى ذلك على سكنى للرئيس يتناسق فيها الفن المعماري الحضري بالصور والتنسيقات الفنية الريفية (رسوم هندسية عجيبة الشكل واعمدة مزخرفة ونقش وترصيع) .

اما هندسة البناء البربرية فقد لاحظ طيراس انها تظهر من حيث قوالبها الفنية متصلة بهندسة بناء واحات مصر الفرعونية ، وتختلف الفنون البربرية عن الفنون الاسلامية المتقالمة بالمغرب العربي بكونها فنونا عائلية ، وفى اغلب الاحيان نسوية الا أن هذه النظرية (الفرعونية) تتنافى مع ما يلاحظ من تجانس ومظاهر وحدة بين التصميمات المعمارية فى اليمن والمغرب لاسيما وان شعبا شتى من البرابرة قحطانيون حسب روايات راجحة .

الاثر الاغريقي الروماني

وقد تأثر المغرب لاسيما فى عصور ما قبل الاسلام بالاسلوب الاغريقي الروماني وما يمتاز به من اقواس واعمدة وحمامات وقناطر وقنوات ومخازن للماء وسقايات ، وظل ذلك بارزا فى مختلف أطواره ومراحله التاريخية ولقد كانت الدار الرومانية نفسها حتى فى اقاليم المغرب ، كثيرة الشبه بالدار الاغريقية حيث تشتمل كما نرى الى الآن على بناء مربع متصل بالهواء الطلق تحيط به اروقة وله ممر طويل يصله بالشارع . اما الحجرات فهي تقع فى الجهات الاربع للبناء .

ومن حيث هندسة البناء الدينية يظهر ان الفن المسيحي لم يترك اثرا يذكر فى البلاد حيث ان المغرب نقل عن المشرق طريقته فى الزخرفة التى تزدان بها مساجده ومختلف مؤسساته الدينية . وهي الطريقة الاسلامية التى أثارت اعجاب مهندسي الكنائس الرومانية فى فرنسا ، وظهرت آثارها فيما شيدوه بها من معابد خلال القرون الوسطى .

نعم يقال ان ذلك الاشعاع الفني الاسلامي لم تتعد آثاره نطاق الجزئيات (ريكار) ولكن كم يكون فن القرون الوسطى المسيحي جافا وباردا كما يقول الاستاذ ريكار نفسه — لو انه خلا من هذه الجزئيات ومن روعة الوانها وجمال خطوطها .

ولكن ماذا بقي بالمغرب من هذا الفن القديم ؟

ان الحفريات التى انجزها علماء الآثار بموريطانيا الطنجية ، اذا كانت لحد الآن لم تلق الا بعض الانوار على حياة المغرب القديم العقلية والدينية ، فانها على العكس من ذلك تفيدنا بفوائد جمة حول حياته الفنية ففى قصر فرعون (وليلي) مثلا نشاهد قوس نصر من الحجارة فى اسلوب بديع بالرغم عن جفاف وتعقد معظم تشكيلاته. ومثل ذلك يقال عن أسواق وساحات « بناسة » وشالة التى شيدت من الحجر المنجور المتجانس فى اتقان غريب ، ونفس الاسلوب يلمس بوجه عام فى مختلف الاسس والعتبات والمساكن الرومانية . اما قلب الجدران فهو من الحجر غير المنحوت ومن الآجر والطابية . ولقد كانت الدور فى معظمها متعددةالطبقات، وكانت مغطاة بأغمية (سطوح) من تراب وكلس ، واحيانا بالقرميد ، وكانت الارض مرصعة بالحجارة الا فى الحجرات حيث كانت مبلطة بالكلس والتراب او بالفسيفساء المزدوج الالوان من صنع الفنانين المحليين .

ويلاحظ فيمابعد العصر الروماني — حتى أيامنا هذه — ان أسلوب هندسة البناء لم يتغير كثيرا . وانما من التطور الطبيعي بصفة جوهرية تفاصيل الزخرف حيث استعيض بالرسم الهندسي مثلا والصور الزهرية عن اشكال الحيوانات او نحت الصور البشرية على النقود. ولكن اصالة الفن الروماني بالمغرب بقيت بارزة بوجه خاص فى فن نحت تماثيل المرمر والبرونز . وبعد الفتح العربي استمر التأثير الروماني قويا فى الجهاز المادي للحضارة من ازياء وحلى وبنايات وجامعات وحمامات .

فهذا النموذج الروماني الاصيل قد تسربت اليه عناصر جديدة فى شكل تضاريس وزخارف عربية تستمد هندامها من العوائد والاعراف الجوهرية . ولكن الاسس تبقى من خلال ذلك ثابتة الدعائم . وهكذا نرى ان فنون هندسة البناء وصناعة الاواني فى المغرب تتبلور اشكالها ولا تزداد بعد الف سنة الا دقة ورواء بفضل احتكاكها بحضارة المدن . كما نرى معجم البربر الفني قد اضيفت اليه ثروة من اسماء المصنوعات الجديدة التى قد تكون احيانا فى منتهى الجودة والاتقان . مثل الصناديق الخشبية المنقوشة او المصبوغة وادوات زينة الابواب والاقفال والخناجر ، والاغماد ، واوعية البارود ، ومقابض البندقيات والمسدسات المفضضة المرصعة بالعاج والحلي المتنوع مثل الخواتم والاخراص والعقود والتيجان والاسورة والخلاخل .

ويجتهد الجوهري فى نقش المعادن النفيسة مبتكرا تحفا تدل على ملكة فنية قوية .

وفى المراكز الريفية الصغيرة نفسها تجد الخزفي يبدع فى صناعة الاواني الخزفية والصحون والمجامير وتشكيلها بأشكال هندسية رائعة .

اما صناعة الجلد فتحترفها هيئة خاصة تتفرع حسب الاختصاص الى عدة شعب كلها تتبارى فى ابراز ما لها من الذوق الفني الرفيع سواء فى ذلك صانع الاحذية الصغيرة وصانع المحفظات والخرجة والتخوت والطنافس او المفضض والمذهب ، او النقاش الذى يرصع المنتجات الجلدية بالخيوط الفضية والذهبية أو بالحرير او العصائب الجلدية الرقيقة المختلفة الالوان .

وهكذا نرى المغرب عبارة عن بوتقة انصهر فيها الفن البربري والفن الاغريقي الروماني وازدادت على مر الايام ثراء بفضل ما اضافه اليها فن الشرق العربي .

الفن بعد الفتح الإسلامي

اول مملكة عربية تركزت فى المغرب هي مملكة نكور الواقعة بالريف على شاطىء البحر الابيض المتوسط وذلك فى عصر الوليد الاموي بامارة صالح ابن منصور الحميري (6) .

وقد غزا الاسلام منذ العقود الاولى للفتح قلوب صنهاجة وغمارة فاتجهت الجهود الى بناء رباط فى عهد الامير سعيد بن صالح يحتوي على مسجد بمرافقه يستوحي تصميمه الهندسي من جامع الاسكندرية وكان الاسلوب المعماري بسيطا تبعا للفن الشرقي الاسلامي الذى كان لا يزال اذ ذاك فى فجر انبثاقه فجامع عمرو بن العاص (عامل مصر) مثلا خال من كل زخرفة وتنميق كالقربصة والنقشين الخشبي والمرمري وسائر العناصر المعمارية الدقيقة التى امتاز بها الفن العربي فى العصور التالية .

ومن هذا الطراز مسجد اغمات غيلانة الذى اسس عام 85 هجرية والذى يظهر انه اول مسجد بناه المسلمون بالمغرب بعد ان حولت المعابد التى بناها المشركون الى مساجد وجعلت المنابر فى مساجد الجماعات (7) وبدات افريقيا تتطور روحيا وفنيا على نسق الشرق الاسلامي .

وقد لاحظ الكاتب الفرنسي جورج مارسي وهو من كبار مؤرخي الفن الاسلامي — ان بلاد البربر امست منذ القرن السابع الميلادي عبارة عن مرحلة فى الطريق الكبرى التى تصل الهند بجبل البرانس باسبانيا والتى يطرقها علاوة على رسل الخلفاء وسفرائهم ثلة من الحجاج والطلبة والفنانين والتجار (8) فلا يسعنا والحالة هذه ان نستهين بآثار عهد الاسلام المستديمة والمنبعثة بواسطة هذه المسالك ومن ابرز مظاهر هذا الاشعاع الفني انبثاق مساجد وجوامع تتسم بطابع عربي اصيل وتوجد خاصة بافريقية العناصر الاولية للفن الاسلامي فمدينة القيروان هي اول حاضرة اسسها العرب بعد فتح عقبة بن نافع الفهري وقد برزت فى القرن الثاني الهجري اهمية هذه المدينة التى اصبحت عاصمة المغرب الاسلامي فى عهد عبيد الله بن الحبحاب (باني الجامع ودار الصناعة بتونس عام 116 هـ والذى استعمل على طنجة العامل عمر بن عبد الله المرادي وتم ذلك فى اواخر عهد الامويين واوائل العصر العباسي حيث بدأ الاسلام يتغلغل فى الفيافي الافريقية وقد احتفظ المغرب مع ذلك بسمة خاصة نظرا لكون العباسيين لم يملكوا ما وراء الزاب (من بلاد المغرب وتلمسان وانظارها فوليها محمد بن سليمان الحسني وفاس وانظارها كان فيها شيعة ثم آل ملكها الى ادريس) ولم تستمر الوحدة السياسية بين المغرب والامويين سوى عقود من السنين عندما ولى هشام بن عبد المالك عبيد الله بن الحبحاب مصر وافريقيا والاندلس فكان له من العرائش الى طنجة الى سوس الاقصى الى الاندلس وما بين ذلك (9) .

وفى نفس الوقت الذى تأسست دولة الاغالبة وبني رستم فى كل من افريقية والمغرب الاوسط تركز الادارسة بالمغرب الاقصى حيث التفتت حولهم القبائل الكبرى التى تولدت عنها دول خلال العصور التالية (مثل صنهاجة ، والمصامدة ، وزناتة ، ومكناسة الخ) .

---

(6) صالح بن منصور الحميري افتتح اقليم نكور زمن الوليد بن عبد الملك ونزل تمسمان وعلى يديه اسلم بربرها من صنهاجة وغمارة ، وسعيد بن ادريس هو الذى بنى مدينة نكور (المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب للبكري الجزائر 1911 م ص — 91 — 92 .

(7) المغرب لابن عذارى ج 1 ص 37

(8) مقدمة كتاب الفن الاسلامي .

(9) البيان المغرب فى اخبار المغرب لابن عذارى المراكشي — بيروت عام 1950 ج 1 ص 37 ويذكر ابن بابا مؤرخ السودان انه عندما غادر عقبة بن نافع بلاد لمطة كان بعاصمة غانة اثنا عشر مسجدا (الاسلام فى افريقيا الغربية بقلم دو شاطو ليي — باريس 1899 ص 52) .

ويمكن ان تعتبر مدينة فاس اول مركز عربي تفنق فى البلاد المغربية واصبح بعد ذلك ـ حسب كوتبي ـ مظهر اعجاز فى ميدان التكيف بالطابع الشرقي . ذلك ان الفن اتخذ مناهج جديدة منذ العصر الاموي فى كل من الشرق الادنى والمغرب العربي بفضل مرونة حساسية العرب ومداركهم الابداعية. فهناك عوامل حدت العرب فى الاندلس والمغرب وكذلك بمصر الى الاستيحاء فى زخارفهم من معطيات الهندسة وهذه العوامل هي اهمالهم للاشكال والصور المستمدة من الطبيعة وتعمقهم فى دراسة الرياضيات وسعة مواهبهم واذواقهم .

وقد تبلور هذا الاتجاه مع مرور الاعصار وتهذبت اطرافه ورقت حواشيه وتنمقت معالمه .

فظهور العباسيين بالشرق قد حدا فلول الامويين الى تأسيس مماكة اتخذوا لها قرطبة حاضرة ما لبثت ان اصبحت مهدا لمدنية جديدة ترعرعت مجاليها الخصبة طوال قرنين ونصف قرن مسفرة عن فترة زاهرة فى تاريخ الفن الاسلامي .

فبالرغم عن احتكاك القبائل العربية المستقرة بالاندلس واستفحال حركة التمرد بانضمام البرابرة وتدخل المسيحيين لم يتوقف ازدهار الفنون وقد نتج عن حركة الربضيين الثورية التى شبت فى ربض قرطبة بعد تأسيس فاس ـ هجرة عائلات اندلسية فى مختلف الطبقات الى خارج الاندلس وقد استفادت حاضرة المغرب الادريسية من الافواج القرطبية التى توافدت للاستيطان بها (10) فكان لهؤلاء اثرهم فى توجيه الحركة الفكرية والمآثر الفنية الا ان الاستقرار السياسي الذى استتب فى عهد الناصر والحكم الثاني قد فتح المجال فى وجه الادباء والشعراء والفنانين فاقيمت دعائم نهضة فنية جديدة تجلت معالمها الرائعة فى البنايات التى تنافست العناصر المختلفة من سكان الاندلس فى وضع اسسها مما ادى الى تأصيل نواة وصفت فيما بعد بالفن الاندلسي المغربي .

فهذه المعطيات الاولية للفن الاندلسي التى تجمعت فى روائع قرطبة كالجامع الكبير والقصر ومدينتي الزهراء والزاهرة قد انضافت اليها عناصر فنية مقتبسة من مدارس طليطلة واشبيلية (11) وغرناطة حيث توجد مثلا فى قصر الحمراء قوالب بسيطة من الجبس ما زالت تغالب الحدثان الى الآن (12) .

وفى هذا المزيج الفني برز العنصر الشرقي فى الآثار الشامية والفارسية والبزنطية فكما سبق للوليد الاموي ان استعان بأمبراطور الاستانة لاستقدام فنانين فى الفسيفساء من اجل ترخيم جوامع دمشق والمدينة والقدس فكذلك اتجه الحكم نحو الامبراطور الروماني للحصول على خبراء فى هذا الجانب من الفن البزنطي (13) وقد اكتسب العمال الاندلسيون مهارة فى الابتكار تجاوزوا بها معلميهم (14) .

وقد كانت لروح التبادل التى سادت بين الشرق والغرب بعد قيام الدولة الاموية فى الاندلس ـ اثرها العميق فى طبع ابسط المعالم فى الحضارة المغربية الاندلسية. اذ لا يعزب عن الاذهان ان زرياب وهو من ابرع مغني الشرق قد هاجر الى قرطبة فاصبح ـ كما يلاحظ دوزي ـ مشرع اسبانيا العربية حيث حقق ثورة جذرية فى الازياء فقد كان الاندلسيون يطيلون شعرهم مفصولا على جباههم ويستعملون الاواني الذهبية والفضية واخونة الكتان فى حين

(10) يقال بأن ثمانية آلاف عائلة قرطبية وردت على فاس فوجدت ثلاثمائة عائلة قيروانية قد سبقتها الى عدوة القيروان وهذا الرقم الذى اعطاه دوزي فى تاريخ مسلمي الاندلس (ط 1932 ج 1 ص 301) يعارض ما أكده طيراس فى تاريخه وهو ثمانمائة عائلة ويظهر ان هذا هو الصواب لان البون بين عدد افراد الطائفتين القيروانية والاندلسية لم يكن شاسعا الى هذا الحد .

(11) كانت اشبيلية تعتبر مركزا للعلم والحضارة الرومانية فى عهد القوط وهي اهم مدينة اسبانية (تاريخ مسلمي الاندلس ج 2 ص 39) .

(12) حضارة العرب (كوستاف لوبون) الطبعة الفرنسية ص 300 .

(13) كتاب الفن الاسلامي لمارسي ج 1 ص 224 .

(14) البيان المغرب طبعة بيروت 1950 ج 2 ص 354 .

اصبح الناس يقلدون زريابا فى قطع الشعر مستديرا والاكل فى آواني الزجاج وعلى أخونة من الجلد (15) كل هذا أضفى على الحضارة الاندلسية طابعا خاصا من الروعة والرواء وازدهرت فى عهد عبد الرحمن الناصر جميع مرافق المدنية من فلاحة وصناعة وتجارة وفنون وعلوم (16) مماساعد حضارة اسبانيا المسلمة على احتلال المكانة الاولى بالنسبة لدول الغرب (17) ويشهد كثير من مؤرخي الفكر بأوربا ان القرن العاشر الميلادي وهو عصر النهضة الناصرية — يعتبر من أبهى وازهر عصور اسبانيا العربية سواء فى الفنون أم المؤسسات العامية (18) والناصر الاموي هذا هو الذى وسع جامع القرويين بعد بنائه بقرن مضفيا بصورة رسمية على مدينة فاس اول طابع فني اندلسي وقد ازدهرت هذه الحاضرة الى ان اصبحت بعد ذلك بقليل منافسة لدار السلام بغداد الرشيدية (19) .

وقد كان لفاس أثرها القوي حتى فى افريقيا وبذلك أمسى مهد علماء الاسلام بافريقيا تابعا لمدرسة برابرة الغرب الاسلامي (20) ويرجع فضل هذه النهضة الى المولى ادريس الثاني الذى أمد حاضرة العلم بأولى مؤسساتها فالفن بالمغرب وفى غيره من الدول الاسلامية هو من متبنيات الامراء والملوك الذين يحمون الادب والفنون الجميلة ويشجعون الكتاب والفنانين متحملين بذلك تكاليف مادية باهظة ففي الاندلس مثلا بلغت مصاريف بناء القصور وزخرفتها فى عهد الملوك الامويين الاول ثلث الميزانية العامة للدولة (21) . فقد كان المهندسون المعماريون والنحاتون والرسامون يشتغلون ترضية لحاجيات الامير ونوازعه السياسية ونقعا لغلته الدينية وتلبية لاتجاهاته الزخرفية وعندما كانت الاضطرابات تستتب وتحتدم كان الفن يتوقف وينتكس لان أزدهاره منوط بثورة الدولة وشخصية الامير .

كل ذلك جعل تطور الفنون معلقا على الظروف والملابسات التاريخية ومدى ثراء البلاد فى الحقل المادي وقد استمرت هذه التقاليد الفنية بالمغرب خلال العصور التالية وحتى عقب انحلال المملكة الادريسية فى القرن الثالث الهجري ظل كبار الامراء يؤسسون من الشمال الى الجنوب حواضر صغرى تنافس حاضرة فاس فى اقتباس مظاهر الحضارة الاسلامية ونشر معالمها الرائعة .

فقد كانت مدينة البصرة (22) مثلا فى ذلك العصر مركزا نشيطا لانتاج الكتان وفى عهد بني عامر وبني زيري (القرن الرابع) تسربت عناصر جديدة من حضارة الاندلس وفنونها الى المغرب حيث تغلغلت فى جبل الاطلس فبلغت ناحية فازاز على يد قرطبيين من مهاجري الربض وكان جنوب المغرب آنذاك زاهرا بالمدن الآهلة كنفيس مدينة الحدائق واغمات عاصمة الادارسة فى الجنوب وايغلي وبتاروانت وتامدلت وماسة وواحات نول

(15) تاريخ دوزي — الطبعة الجديدة التى اصدرها ليفي بروفنصال عام 1932 ج 1 ص 312 .

(16) ابن حوقل — طبعة كوج 2 ص 77

(17) طيراس — تاريخ المغرب ج 1 ص 230 .

(18) تاريخ الطب العربي — لوكلير عام 1876 ج 2 ص 351

(19) كوستاف لوبون — حضارة العرب ص 263 (الطبعة الفرنسية)

(20) الفن الاسلامي — جورج مارسي ج 2 ص 469.

(21) نفح الطيب ج 1 ص 179 .

(22) تعرف ببصرة الكتان وبالحمراء لانها حمراء التراب وكان سورها مبنيا بالحجارة والطوب ولها عشرة ابواب وللجامع سبع بلاطات ولها حمامات .. ونساؤها مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب أجمل منهن .. واسست فى الوقت الذى أسست فيه ازيلا او قريبا منه (البيان المغرب ج 1 ص 133 — 134) وهادم البصرة هو ابو الفتوح صاحب افريقية من قبل العزيز بالله عام 368 هـ وكانت فى البصرة عمارة عظيمة بالاندلس والبربر (ص 330) .

لمطة وايفني (23) ويظهر ان الحياة الحضرية كان لا بأس بازدهارها آنذاك نظرا لوفرة الحواضر التى اندرس معظمها وقد ترك لنا كل من البكري والادريسي اسماء مجموعة من المدن اندثرت الآن معالمها وهي مجهولة فى الخرائط وقد هدم البرغواطي يونس بن الياس وحده 387 مدينة (24) .

المرابطون والفن

ان احتكاك العناصر السلالية فى الاندلس قد احتدت وعجل ذلك بسقوط الخلافة الاموية مما ادى الى قيام نحو العشرين من ملوك الطوائف ابرزهم المعتمد بن عباد امير اشبيلية الذى اتسم بلاطه بروعة خلابة وكان مجمعا للعلماء والادباء ورجال الفن غير ان خطر الزحف الاسباني بدأ يلوح فى الافق فى الوقت الذي احرزه على المسيحية رأى من الواجب لا استئصالا الخطب وادلهم وامست ممالك الغرب الاسلامي عرضة للغزو الداهم فاستنجد مسلمو الاندلس بزعيم الدولة المرابطية يوسف بن تاشفين وقد لبى هذا الامير الصحراوي نداء الواجب بصفته منافحا عن الدين والحنيفية السمحة فاجتاز الى الاندلس وبعد النصر الذى احرزه على المسيحية رأى من الواجب استئصالا للخلاف المستديم بين الامراء المتنازعين على الملك ــ العمل على توحيد الاندلس تحت راية الاسلام واستعادة مجده بتنحية بعض قادته امثال عبد الله بن بلقين وابن عباد الذى نقل الى اغمات حيث قضى بقية حياته وهذه المدينة التى كانت فى البداية قاعدة ملك المرابطين والتى كان يدبغ بها جلود تفوق جودة عملها جلود الدنيا (المعجم) ما لبثت ان تقاعست امام الحاضرة الجديدة (مراكش) (25) .

ومنذ ذلك العصر اصبحت الاندلس مقاطعة مرابطية عرف فيها الفن خلال جيلين مظهرا جديدا من الروعة والازدهار .

وقد لاحظ جورج مارسي (26) ان المرابطين الذين ورثوا ملك الامويين وحكموا العدوتين كانوا صلة وصل بين اسبانيا والبربر حيث نما التبادل بين شقي مملكتهم واذا كانت اسبانيا اذ ذاك قد خضعت سياسيا للمغرب فان المغرب كان اقليما فنيا اندلسيا حيث استقدم يوسف صناعا قرطبيين لبناء مؤسسات بفاس (27) بينما استفاد ابنه علي من مواهب مهندسي العدوة ولاقامة قنطرة تنسيفت فى مدخل حاضرة مراكش وبفضل هؤلاء الغزاة الصحراويين فرض الفن الاندلسي روائعه على المغرب وقد رأى المؤرخ دوزي فى الغزو المرابطي

---

(23) البرابرة والمخازن ــ روبير مونطاني ص 59 .
ومن هذه المدن مجكسة ودنيل (قرب سبتة) وصدينة وتيقيساس وكرت وماسنة وسداك وحجر النسر ومدينة الزيتون ولكاي وتافرجنيت وترنانة وجراوة (المسالك والممالك للبكري) وليكسيس وصفروى وتاكرارت (مكناسة) وتاورة وكرانطة وتشمش (قرب طنجة) وباب اقلام (قرب البصرة) وهنين (نزهة المشتاق فى احتراق الآفاق للشريف الادريسي) .

(24) المسالك للبكري ص 136 .
وتهمنا هذه الحواضر وتلك المؤسسات من عدة وجوه لان الفن فى كل قطر مظهر لامجاده وصورة حية لروائعه فما اثر من الآثار العمرانية الا ويمكن ان تنطوي زخارفه ونقوشه على اسرار من شأنها ان تلقي يوما ما ضوءا جديدا على المجالات التى ظلت غامضة فى تاريخ البلاد فالدراسات الاثرية تكون احيانا اضمن وسيلة للتحري والتصحيح وهي عنصر جوهري فى كل حضارة .

(25) كانت تسمى مروكش وقد استعملت هذه اللفظة دون غيرها ايام المرابطين وانتقلت الى الاسبانية هكذا (مذكرات الامير عبد الله آخر ملوك بني زيري ــ نشره ليفي برفنصال 1955 ج 1 ص 125) .

(26) الفن الاسلامي ج ا ص 301 .

(27) زهرة الآس طبعة الجزائر سنة 1922 ج ا ص 78 ــ الجذوة)

للاندلس مشار ثورة عارمة فأكد ان الوحشية قامت آنذاك مقام الحضارة والتطير مقام التعقل وطفى التعصب على التسامح (28) غير ان المؤرخ الاسباني قد تراجع عن هذه النظرية ولاحظ مارسي ان المرابطين حققوا فترة انتقالية مشرفة بين ملوك الطوائف والموحدين. (29) واكد المؤرخ الفرنسي هنري طيراس (30) انه اذا نظرنا الى المرابطين من خلال عماهم الافريقي فانهم يتجلون كدولة خدمت الحضارة الاندلسية واحسنت اليها ، ثم حمل على دوزي الذى زعم ان المرابطين استأصلوا اجود ما فى حضارة الاندلس بدعوى الدفاع عن حوزة الاسلام فى العدوة هذا ولم يجد المستشرقون الاسبان عناء فى الدلالة على ما اضفاه المرابطون من روعة وبهاء على المدنية الاسبانية وقد اندرست او تغيرت اعلام مؤسسات ملوك الطوائف بالاندلس او المرابطين بالمغرب فقصر ابن عباد فى اشبيلية قد ادخلت عليه تغييرات عميقة من طرف ملك قشتالة بيير لوكورويل (1350 — 1360) بحيث فقد كثيرا من عناصره العربية وردهة السفراء هي التى تذكرنا وحدها بالفن الاسباني المغربي فى القرن الخامس بينما مرافق القصر الاخرى مستوحاة من النهضة الاسبانية (31).

وقد اشار صاحب الاستبصار الى مآثر مرابطية لم يبق لها اثر وهي « دار الامة » التى اسسها ابن تاشفين بمراكش « ودار الحجر » التى اقامها ولده علي ودمرها عبد المومن لبناء جامع الكتبية مكانها ويرجع الى هذا العصر كذلك القصر القديم فى تكرارت (تلمسان المرابطية)

اما الحمامات فانها على صورة المستحمات الرومانية التى ما زالت منها بقايا فى شالة وتتجلى اهمية هذه البنايات فى وفرتها بالمراكز الكبرى وحتى الصغرى منها فمدينة البصرة التى هدمها ابو الفتوح صاحب افريقيا من قبل العزيز بالله عام 368 هـ يوجد بها حمامان اثنان وقد احتوت جراوة التى اسسها ابو العيش عيسى بن ادريس عام 257 هـ على خمسة حمامات الى جانب القصبة المانعة والجامع ذي البلاطات الخمسة (32) اما قرطبة فقد ضمت اسوارها ثلاثمائة حمام تتخلل ثلاثة آلاف مسجد و 28 ربضا منها الزاهرة والزهرة (113.000 دار) ووجد بفاس ايام الناصر الموحدي 93 حماما بينما لم يكن بها سوى العشرين قبل ذلك ويظهر ان القاهرة اشتملت فى القرن السابع على 80 حماما (33) بينما كان فى الفسطاط فى نفس الوقت الف حمام ، اما فى بغداد فقد تحدث ابن جبير عن الفين وابن الخطيب البغدادي عن ستين الفا .

ولا أعرف كتابا افرد فى تاريخ او وصف حمامات المغرب بينما الفت فى حمامات دمشق كتب مثل «عدة الملمات فى تعداد الحمامات» ليوسف بن عبد الهادي (من رجال القرن التاسع واوائل العاشر) .

أما من الوجهة المعمارية فالظاهر ان انماط البناء تبلورت فى الشرق والغرب منذ القرن الثامن الميلادي كما لاحظ ذلك مارسي ففى الاسلوب الاندلسي توجد قاعة ثانية هي قاعة الاستحمام الحقيقية مجهزة بجفان من مرمر وانابيب مركوزة فى عرض الجدران يجري فيها الماء المسخن فى مرجل نحاسي من العيار الكبير وتنبعث من هذه الانابيب حرارة مرتفعة ، اما فى حمامات المغرب فالبرمة (وهي قدر كبرى من حجر) تقع فى الردهة الثالثة التى هي مصب الحرارة وهي موازية لقاعة ثانية اقل حرارة وتليها غرفة ثالثة دافئة وبذلك يتطور المغتسل بنوع من التدرج يطابق المقتضيات الصحية اما الساحة الخارجية وهي عبارة عن وسط الدار الداخلي فتعلوها قبة ثمانية وتتوسط بساطها المبلط بالزليجي فسقية من مرمر او فسيفساء وبجوانبها غرف للراحة والاستجمام .

(28) ابحاث حول تاريخ فرنسا السياسي والادبي — ص 27 — الطبعة الثانية ج 1 ص 343 .
(29) كتاب الفن الاسلامي ج 1 ص 297 الى 301 .
(30) تاريخ المغرب ج 1 ص 259 .
(31) كتاب الفن ج 1 ص 338 .
(32) البيان المغرب ج 1 ص 133 .
(33) راجع القرطاس ج 1 ص 10 حيث تحدث المؤلف عن مدرسة واجاج ابن زلو ويظهر ان هذه اول مدرسة من هذا النوع فى البادية المغربية .

وقد اقام المرابطون عددا كبيرا من المؤسسات الدينية فى المغرب الاوسط (جوامع جزائر بني مزغنة وندرومة وتلمسان (34) وكذلك فى المغرب (مدرسة الصابرين بفاس وجامع ابن تاشفين بمراكش (35) وتدل الحفريات الاثرية الاخيرة على ان فى الامكان تحديد موقع هذا المسجد العتيق فى وسط المدينة وقد كشفت مصلحة الفنون الجميلة والآثار الاسلامية التابعة لادارة التعليم العالي عن قبة مرابطية هي قبة البردعيين قرب جامع ابن يوسف .

اما فى فاس فان جامع القرويين المؤسس عام 245 هـ قد وسعت جنباته فى عهد المرابطين على الشكل الذى ما زال عليه الى الآن كما يتجلى ذلك من الوصف الوارد فى القرطاس وزهرة الآس وقد بني جامع القرويين طبقا لتصميم اصيل فصحونه موازية للقبلة على غرار مسجد الشرفاء الذى بناه المولى ادريس بفاس وكذلك جامع ابن طولون بالقاهرة وجامعي بعلبك ودمشق .

اما التصميمات المعمارية العسكرية فقد استمد الصنهاجيون جل اساليبها من بقايا العناصر البيزنطية والرومانية والقرطاجنية فمنذ القرون الاولى للفتح الاسلامي بالمغرب العربي والمدن تحاط بأسوار وكذلك الامر فى كثير من الحواضر العربية بالشرق والمواد الاساسية للبناء كانت تتشكل فى القرن الثالث الهجري فن الآجر والجبص والطوب والطوابي فسور جراوة (36) مثلا بني بالطوب عام 257 هـ وكذلك رقادة بافريقيا عام 294 والبصرة المهدمة عام 368 هـ هذا بينما استعمل البناءون الجص والمرمر والآجر فى جامع القرويين لدى تجديد بنائه عام 252 هـ على يد الاندلسي محمد بن حمدون (37) وكانت كذلك لمدينة داول قرب مدينة اصيلا اسوار امر بهدمها اواخر القرن الرابع محمد بن قاسم من قبل المستنصر بالله الاموي (38) .

وقد تزايد عدد الابراج والاسوار المحيطة بالمدن والحواضر خلال القرن الرابع على اثر انحلال السلطة المركزية بقيادة ملوك الطوائف بالاندلس وزناتة والادارسة والبرغواطيين بالمغرب الى حد انعدم معه تقريبا وجود مدن شاغرة خالية من الاسوار بل كانت توجد قلاع محصنة داخل بعض المدن فكانت مثلا فى مدينة البيرة (39) بالاندلس مراكز يتخذ فيها الرجل بازاء داره مسجدا وحماما فرارا من جاره وقد بنى المرابطون قلاعا للتحصن من هجمات خصومهم والتوفر فى عقر الاطلس على مأو دفاعية عند الاقتضاء ويظهر ان يوسف ابن تاشفين رغب اول الامر فى ابراز قوته العسكرية بالاستغناء عن الاسوار فمدينة مراكش مثلا لم تجهر بالاسوار الا فى أيام علي بن يوسف بايعاز من الفيلسوف الفقيه ابن رشد وقد ذهب ابن تاشفين ابعد من ذلك عندما دمر أسوار مدينتي صدينة ثم فاس عام 462 هـ (40) عنى ان الامير المرابطي شعر بالحاجة الملحة الى بناء حصن فى قلب مراكش لحماية أمواله وعتاده وقد أسفرت الحفريات التى قامت بها مصلحة الآثار الاسلامية فى المكان الذى بني فيه جامع الكتبية الاول عن جانبين اثنين لهذا الحصن المرابطي وهنالك قلاع اخرى يرجع عهدها الى العصر المرابطي مثل قلعة بني تودة بفاس هذا ولم يحس المرابطون الصحراويون بادىء ذي بدء بالحاجة الى تزويد المغرب بمؤسسات حضرية ذات مصلحة عامة فمشكلة المياه مثلا رغم اهميتها

(34) هذان الجامعان الاخيران هما نهاية فى البساطة الخلابة وهما خاليان من كل كتابة تنم عن مؤسسهما غير ان تأسيسهما يرجع فى الغالب الى ابن تاشفين (الهندسة المعمارية الاسلامية فى المغرب مارسي ص 191) .

(35) ورد فى معجم ياقوت (ج 6 ص 384) ان عدد الحمامات 180

(36) تقع جراوة حسب الادريسي قرب مليلية على مسافة ستة اميال من البحر (مختصر النزهة ص 54)

(37) وبنى أسواره ابن الاشعث عام 146 هـ ـ البيان لابن عذارى ج 1 ص 85 .

(38) البيان ج 2 ص 366 .

(39) التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري فى غرناطة للامير عبد الله ابن بلقين ـ نشره ليفي بروفنصال عام 1955 هـ .

(40) القرطاس ج 2 ص 41 ـ 42 وقد لاحظ ابن ابي زرع ايضا ان اسوار فاس حطمت من جديد فى عهد عبد المومن ثم جدد بناءها حفيده المنصور (ص 137)

قد حاولوا حلها بالوسائل التى كان يستعملها رجال الصحراء ولا يزالون ، فمن ذلك الخطارات التى مدت فى باطن الارض لتجهيز مراكش بالماء وهذه الانابيب الواسعة شبيهة بالفكارات الصحراوية غير ان الاساليب الاندلسية الجديدة حدت علي بن يوسف الى الاستعانة بالفنيين الاندلسيين لتجديد طريقة جلب الماء فقد حفرت آبار نقلت مياهها بأسلوب ميكانيكي عجيب الى حدائق المسرة (المنارة) .

وهكذا فان المرابطين الذين قاموا بدور الوسيط بين اسبانيا وافريقيا التجأوا فى آن واحد كما يلاحظ مارسي الى الفنيين الصحراويين والمهندسين الاندلسيين وقد بنيت قنطرة على نهر تنسيفت بمدخل مدينة مراكش بفضل جهود مهندسين استقدمهم الامير من العدوة وقد جرفت المياه هذه القنطرة خلال فيضان فأعيد بناؤها فى عهد الامير الثاني .

وقد اكد المؤرخ الفرنسي طيراس (41) لدى حديثه عن الفن المرابطي ان علي بن تاشفين فاق والده بكثير فى المؤسسات المعمارية مع ان يوسف نفسه كان من كبار البناة والمؤسسين وقد اندثرت أعلام جميع ما إقامه من قصور ومساجد فى مراكش باستثناء قبة البردعيين (قرب جامع بن يوسف) ومسجد تلمسان (عدا منارته) ومعظم اروقة جامع القرويين الزاخر بروائع الفن الاندلسي المقتبس طبق الاصل من الفن الاندلسي بما كان ينطوي عليه فى القرن الخامس الهجري من رقة ورشاقة وروعة زخرف ومع ذلك فان اسهام المرابطين فى الفن كان مهما لا يخلو من تجديد فالفنان لا يمكن ان يستسيغ ويقتبس الا ما تمكن تقريبا من الكشف عنه (42) ولنا على ذلك دليل قوي فى النفوذ الشامخ الذى بسطه المرابطون فى الاندلس وافريقيا وذلك فى العمل البناء الذى جققوه فى هذا الجزء من المغرب الاسلامي وقد لاحظ كودار (43) عن حق ان اقامة المرابطين لصروح اكبر امبراطورية اسست فى العالم حيث امتدت من الاندلس الى جزر الباليار الى نهر النيل النيجري لتنم لدى الفاتح المرابطي عن تفتح مدارك قوية .

تَطَوُّر الفنّ في عَهْد الموَحّدِين

بعد انهيار الدولة المرابطية اعتلى اريكة العرش زعيم المصامدة الموحدين المهدي بن تومرت المنحدر من الاطلس الكبير ثم خلفه عبد المومن بن علي الذي وصفه بعض المؤرخين الاجانب بأنه اعظم شخصية بدون منازع طوال القرون الوسطى البربرية اذ هو قائد حربي نظامي حقق للمرة الاولى فى تاريخ افريقيا الشمالية اعجوبة باستلام ازمة الحكم فى مجموع الاقطار الممتدة من المحيط الاطلنطيقي الى طرابلس الغرب ، وقد اعترف المؤرخ كزيل ايضا بأن الموحدين بسطوا نفوذهم على مجموع بلاد البربر (44) .

وهكذا فان الموحدين الذين ركزوا للمرة الاولى وحدة الاسلام السياسية من حدود قشتالة الى ليبيا قد ساهموا فى تأصيل نوع من التوحيد بين عناصر الفن الاسلامي فى المغرب (45) .

وقد استمر نفوذ الموحدين أزيد من قرن ، كان لهم فى غضونه اعمق الاثر فى عدوة الاندلس المترامية الاطراف ، فانتصار يعقوب المنصور فى الاندلس قد اضفى على الفن طابعا خاصا وحقق بتساوق مع مدرسة القيروان التجانس الفني بين الشرق والغرب ذلك ان المغرب تمكن عن طريق افريقيا من الاتصال بعالم

---

(41) تاريخ المغرب ج / ص 252

(42) مقدمة كتاب الفن الاسلامي لمارسي .

(43) فى كتابه وصف وتاريخ المغرب ج ص 314

(44) التاريخ القديم لافريقيا الشمالية ج 6 ص 281 ولكن المؤرخ اشار دون نقد الى هذا الراي فى كتابه (مؤسسات واعراف البربر فى المغرب ص 28) .

(45) مارسي — الفن الاسلامي ص 305 .

جديد متأثر بالعناصر الفنية المصرية والعراقية ولكن هزيمة العقاب ضعضعت بعد ذلك بخمسة عشر عاما اركان الدولة الموحدية التي زحزحها المرينيون عن ملك المغرب بما كالوها من ضربات متوالية ، هذا وقد احتل الموحدون فى تاريخ الفن الاسلامي مكانة مرموقة تفوق ما كان للمرابطين فى هذا الحقل ، وذلك بالرغم عن معارضة المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية لبعض مظاهر هذا الفن كالموسيقى والسماع و لزخارف والنقوش ، غير ان البلاط الموحدي ما لبث ان تلألأت فى ربوعه مجالي الفن ايام عبد المومن الذي اضفى رواء على مساجلات الشعراء كما أقام العمارات الرائعة وازداد الفن روعة فى عصر ولده يوسف الذي زخر بلاطه بالاطباء والفلاسفة امثال ابن رشد وابن طفيل وابن زهر وابي مروان القرطبي (46) .

وكان ابن يوسف هذا يقطن فى اشبيلية التي زخرف معمارها بأبهى واروع مما زين به حاضرة مراكش ، اما ولده يعقوب المنصور فان بدائعه الفنية تشهد بأنه اروع بناء فى العصر الموحدي (47) مثال ذلك المؤسسات المقامة فى اشبيلية والرباط ومراكش

وبفضل الموحدين تجلى القرن السادس لبعض علماء الآثار كعصر بلغ فيه الفن الاوج فى الشرق الغربي من العالم الاسلامي (48) ، وقد شرع عبد المومن فى آن واحد فى بناء مسجد تازة والمدينة نفسها وكذلك مسجد تينمل معهد الدولة الموحدية الذي لم تبق منه سوى معالمه ، اما فى مراكش فان كتبيته الاولى هدمت وقد تمكنت مصلحة الآثار الاسلامية والفنون الجميلة من الرسم الاول لهذا المسجد ثم بنى اولاده الكتبية الحالية محاذية للاولى ومتوجهة بدقة نحو القبلة ، غير ان جانبا من هذه البنايات لم يتم الا فى عهد يعقوب المنصور .

وتبدو الهندسة المعمارية الموحدية فى اجلى واجل معالمها فى مساجد مراكش وحسان (بالرباط) (ومرصد الخالدة باشبيلية) .

ففي منارة الكتبية توجد طبقات متوالية من الغرف المقوسة السقف تصل بينها درج مركزية لا مرقاة لها ، ويلاحظ وجود نفس التصميم فى كل من الخالدة وحسان ، فالجدر مطلية بجص اصفر اكلس اي ضارب الى اللون الرمادي ، وما زال هذا التبليط جاريا به العمل فى مراكش الآن ، وتنعكس على صفحته تموجات وضاءة تنسل الى داخل المنارة من النوافذ المفتوحة فى عرض الحائط وتؤدي الدرج آخر المطاف الى الجزء العلوي من المئذنة المطل على المدينة وتستمد النقوش تسطيراتها من اشكال الزهر والسعف الجامعة بين القوة والرقة (50) ، اما فى الطبقة الارضية فان القبة مخروطة الشكل تبعا للاسلوب الاسلامي الاسباني بينما تحتوي القاعة السادسة والاخيرة على اغنى قبة ثمانية الهندام ذات اضلاع ومقربصات تتكون منها مجموعة هندسية رائعة ولكن لا يلاحظ فى مجموعة اجزاء المنارة اي عنصر جديد يمس الاسلوب أو الهندام العام الشائعين فى المغرب اللهم الا اذا استثنينا ضخامة برج المئذنة وقمتها والتناسق الاسيل فى الزخرف والتنسيق ، وقد اكد كل من طيراس وباسي ان الكتبية اجمل معبد اقامته الخلافة الاسلامية فى المغرب ، وانه يعادل فى جدة اساوبه روائع الجامع الكبير بقرطبة والانطباعة التى ترتسم فى نفس الزائر لهذا المسجد هي الروعة والتأثير البليغ ذلك ان مساجد الموحدين اكمل واروع المساجد الاسلامية، فهى عبارة عن خميلة من الاساطين تتجلى فى غضرنها جلالة الصحون والاروقة الممتدة بين الاعمدة والحنايا وصفاء الاقواس فى رسومها المتناهية والجناس الاخاذ بين الصحن المركزي والصحون الجانبية بأقواسها المقربصة وقببها البديعة وسقوفها الخشبية السامقة تتلألأ فى منتهى الصحن الذي تخيم عليه اشعة خافتة - وضاءة المحراب الناعمة وفصوص العاج المعسفرة فى تضاريس المنبر ولمعان الفسيفساء بحيث تنبثق من هذه المجموعة المعمارية الخلابة عظمة تجمع بين الوداعة والنعومة، فجامع قرطبة رغم سعته لا يتسم بنفس الطابع من التجانس والتناسق ومع ذلك

(46) القرطاس ج 2 ص 176 .
(47) مارسي - الفن الاسلامي ج 1 ص 303 .
(48) الهندسة المعمارية الاسلامية فى الغرب ص 200 .
(49) يوسف هو الذي شرع عام 567 هـ فى بناء المسجد الاعظم باشبيلية (القرطاس) لابن ابي زرع - طبعة سلا ، ج 2 ص 186 .
(50) مجلة هسبريس التي تصدرها كلية الآداب بالرباط ، المجلد السادس عام 1926 ، ص 107 .

فان عددا كبيرا من رؤوس الاساطين فى الكتبية هو اصل اندلسي ، فالاعمدة الاربعة التي تساند قوس المحراب من مخلفات الفن الاموي (وتوجد ايضا فى المسجد الموحدي بقصبة مراكش اعمدة اموية من الصعب وجودها ملتئمة فى قرطبة نفسها ، فجامع الكتبية يشكل متحفا حيا للاعمدة الموحدية التي ينيف عددها على الاربعمائة والتي ما زالت تحتفظ باصالتها المتجلية فى عبقرية الفنان الاندلسي الموحدي ومهارة يد الصناع ، وقد اكتسى فى بناء رؤوس الاعمدة غلالة من الخصب الذى لا ينضب معينه لم يسبق له نظير فى الغرب الاسلامي ، ولن يسمح الزمان بمثله (51) .

اما منبر الكتبية فقد تحدث عنه ابن مرزوق فى مسنده (52) فاشار الى ما اكده أهل الفن من جودة واتقان ترصيع منبري جامع قرطبة ومسجد الكتبية فى حين ان المشارقة لا علم لهم بفن النقش على الخشب برقة واناقة ، ويرجع تاريخ صنع هذا المنبر الى عبد المومن بن علي (53) .

ويرى كل من طيراس وباسي (54) ان هذا المنبر هو أجمل منبر فى الغرب الاسلامي بل أبهى وأروع منبر فى العالم الاسلامي اجمع وما زال قائم الذات الى عصرنا هذا فى الكتبية ، الا ان بعض اجزائه تميل الى التداعي وقد تعرض ميليي فى كتابه عن الموحدين (ص 128) الى المنارات الثلاث ، فذكر ان قيمتها لا ترتكز على ضخامتها وتوازنها فحسب بل ايضا على فخامة هندامها ونسبها الوافية بمقتضيات الاناقة مع بساطة فى الزخرف والنقش واصالة فى الذوق الذى يحدق بها ويحويها دون مساس بوحدة هذه المجموعة التي تسري فى معالمها آثار السلطان المؤسس لها محي الملة والدين وحامي التقاليد ، بل مدعم الاسلام فى ربوع المغرب ، وفى ايام الموحدين اصبح العمل جاريا باقامة الاسوار لحماية المراكز الكبرى ، ونحن لا نساند ما زعمه الاستاذ جورج مارسي (55) من ان الموحدين اختاروا منهجا مغايرا لاسلوب سلفهم فى هذا النوع من البناء والتعمير فاذا كان بنو عبد المومن قد هدموا اسوار بعض كبريات الحواضر المغربية كفاس وسبتة وسلا (56) فان هذا الامر لا يعدو ـ فى نظري ـ مجرد وسيلة حربية استغلها المرابطون انفسهم ـ كما رأينا ـ بهدم اسوار صدينة ثم فاس على ان هذه الاسوار أعيد بناؤها بمجرد قضاء الدولة الجديدة على أعشاش المقاومة التى لجأ اليها خصومها ، وقد اضطر عبد المومن نفسه الى تجديد بناء ما هدم ، فالاستاذ جورج مارسي الذي اغفل هذا العنصر الهام فى الستراتيجية الحربية عند المرابطين ، وكذلك الموحدين يظن ان هؤلاء رجعوا الى اسلوب سلفهم .

وقد بنى الموحدون مدينتين اثنتين هما تازة (ايام عبد المومن الذي حصن تينمل ثم جبل طارق عام 555 هـ) والرباط على يد المنصور الذى اهتم خاصة بالقلاع والحصون ، والمنصور الموحدي أساء اختيار موقع مدينة الرباط حسب بعض المؤرخين الذين يزعمون انه ندم على ذلك ، الا ان هذا الزعم لم يتأكد ، وقد عقب مارسي على ذلك ملاحظا ان بناء رباط الفتح بما فيه من باب الرواح وباب القصبة الرائعة يعتبر انتاجا قيما نادر المثال لا مجال للشك فى جدواه وقد سبق لابن تاشفين ان اقام أول رباط للجهاد فى هذا الموقع وقد تجاوز طول أسوار مدينة المنصور خمسة كيلومترات ، وعدد ابراجها 74 ، واندرست اعلام ما كان يسمى بقصر عبد المومن فى الحروب التي نشبت بين الموحدين وبني مرين (57) .

وقد أمست هندسة القلاع فى آخر عهد الموحدين عملا مندرجا فى تقاليد ملوك المغرب والاندلس فى العصور التالية .

---

(51) طيراس وباسي (هسبريس مجلد 6 عام 1926 ، ص 107 .
(52) مقتطفات نشرها ليفي‌بروفنصال فى مجلة هسبريس عام 1925 ، ص 65 .
(53) الحلل ، طبعة تونس ص 109 .
(54) هسبريس مجلد 6 عام 1926 ، ص 169 .
(55) الهندسة المعمارية الاسلامية ص 220 .
(56) الاستقصا للناصري طبعة القاهرة ج 2 ص 11 . وزهرة الآس ص 78 .
(57) بنيت اسوار بادس والحسيمة ومليلية عام 601 وعلى يد يعيش عامل الناصر الموحدي (الذخيرة السنية ص 39) .

وقد اقتبس بنو عبد المومن من الاساليب الاندلسية لا سيما بناء السواقي وجلب المياه ، فقد اسست قنوات نقلت مياه عين غبولة الى سلا ورباط الفتح (58) حيث وضعت انابيب ثانوية لايصال الماء الى الجامع الكبير والزاوية التجانية بعد ذلك، ومناعة تبليط هذه القناة لا تقل عن قوة الاسوار الموحدية بالرباط (59) وهنالك قنوات اخرى ترجع لهذا العصر في مراكش وفاس وباقي مدن المغرب .

وقد اكد ميلبي (60) ان ابا يعقوب الموحدي بنى القناطر ومعابر المياه مبرهنا بذلك عن اهتمام نادر بالصالح العام ،وقد اسس ولده المنصور منارات وقناطر (61) وحفر مطافي واقام الملاجيء في الفلوات من سوس الاقصى الى سويقة ابن مذكود في حدود طرابلس .

ولم يعثر على اي اثر للمدارس او المرستانات التي اشار اليها صاحب القرطاس والمعجب ، ويظهر ان المستشفى الذي بناه يوسف بمراكش في القسم المنبسط من المدينة كان يتسم بطابع عصري وقد وصفه المراكشي (62) بقوله :

(وبنى بمراكش بمارستان ما اظن ان في الدنيا مثله وذلك انه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد وأمر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فاتقنوا فيه النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر ان يغرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشمومات والمأكولات، واجرى فيها مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك في وسطه احداها رخام ابيض ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ... واجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجه عما جلب اليه من الادوية ، واقام فيه الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال ، واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء ، فاذا نقه المريض فان كان فقيرا امر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يشتغل ، وان كان غنيا دفع له ماله وتركته ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح او يموت . وقد وصف ميلبي هذا المارستان بانه يخلف وراءه مصحات اوربا المسيحية وتخجل منه حتى اليوم (اي عام 1926) مستشفيات باريس (63) وقد ترعرعت المارستانات في العصور التالية لاسيما في عهد المرينيين (64) وقد عرف فن الزخرفة الاندلسي المغربي — نظرا لزهد وتقشف عبد المومن وخلفائه — نوعا من البساطة (65) حدت فناني الاندلس الى الاجتهاد لضمان خطوط الزخارف وفحواها وبذلك قويت حاسة الاتقان وسما الكيف والقيمة لاسيما مع توفر الوسائل وكفالة الذرائع المادية التي لم يسبق للفن الاندلسي ان عرف نظيرا لها منذ ازدهار مملكة قرطبة فقامت المؤسسات الضخمة وقد عجلت المجموعات الفنية الموحدية بمراكش واشبيلية والرباط بانبثاق الاساليب الكلاسيكية للفن الاسباني المغربي بحيث لن يتاتى بعد ذلك للفنان الاندلسي ان يتصور او يحقق عملا يمتاز بمثل هذه السعة والفخامة ، وقد تبلورت في هذا العصر في مجموع انحاء المملكة حضارة يانعة مؤتلقة المعالم انعكست اشعتها الخلابة على الحياة المدنية وحتى في بعض مظاهر حياة البادية فلجتمعت فن الهندسة المعمارية رغبة في ضمان جودة

---

(58) راجع التاريخ الصغير للرباط للاستاذ كايي .

(59) القرطاس — طبعة سلا ، ص 146 ، وكتابا حول القنطرة الموحدية لنقل الماء بالرباط — هنري باسي — المجلة الافريقية .

(60) كتاب الموحدين ص 129 .

(61) منها قنطرة من معديات بنيت على وادي الرومان اى نهر ابي رقراق بين الرباط وسلا (الاستبصار) وقنطرة من الواح وحجارة يعبر الناس عليها حين يجزر النهر فاذا مد عبروا في القنوات (المراكشي في المعجب ص 222) وقد بنى الاندلسيون السلويون ايام السعديين قنطرة على النهر تجاه منارة حسان (التاريخ الصغير للرباط ص 113) (بقلم كايي) .

(62) المعجب — طبعة سلا عام 1357 — موافق 1938 ، ص 177 .

(63) الموحدون ص 129 .

(64) راجع «الذخيرة السنية» ص 100 وتاريخ الطب والاطباء للمؤلف .

(65) تاريخ المغرب طيراس ص 368 .

الكيف مع حاسة العظمة واستعملت أساليب آلية مقتبسة من علم الحيل لانجاز التصميمات الهندسية(66) وقد لاحظ الاستاذ اندري جوليان ان الحضارة الاندلسية اتسمت اذذاك بطابع رائع صادف ازدهار النظام الذي حققه الموحدون ، وبذلك اخذ كل واحد حظه من الاشعاع الحضاري وامتد ذلك طوال القرون التالية حيث تغلغلت مدنية حق كثمرة للمبادىء وثقافة فكرية اخاذة فى اعماق الجبال المغربية (67) وقد اكد الاستاذ روبير مونطاني هذه الانطباعة عند ما وصف المعالم التى تشهد بمدى اسهام الانتصارات الموحدية فى نشر الحضارة بالنواحي الاطلنتية التي لم يسبق للعناصر الاجنبية ان تسربت الى حواجزها المنيعة (68) .

وقد استنتج الاستاذ ميليي ان ملوك بني عبد المومن لم يكونوا مجردين عن أحقية اعتلاء الارائك التي خلفهم فيها فى الصعيد العالمي ملوك غربيون أمثال فريدريك الثاني ، وسان لوي فرديناد (69) .

قصبة الاوداية

ولنضرب مثالاً حيا بقصبة الاوداية برباط الفتح فهذه القصبة الموحدية محاطة بسور سواء على طول نهر ابي رقراق ام تجاه البحر ونحو السهل البري ولم يعد هنالك من جهة الوادي سوى قطعة جدار قرب ما يسمى بصقالة طولها نيف وثلاثون مترا ، وارتفاعها نحو ثمانية امتار وبجانبها ما يدعى بمستودع مولاي اليزيد (اى العلوي نجل السلطان محمد بن عبد الله) والكل مقام فوق الصخر بحجر غير منحوت ، وهنالك بقايا اسوار اكثر اهمية تقع بين مقهى الاوداية والبناية الدائرية المسماة المدورة التي تغمرها مياه الوادي عند المد ، اما من ناحية البحر والبر فان السور الممتد ما زال قائما ، ويبلغ معدل عرض هذه الاسوار مترين اثنين ونصف متر بينما يصل على مقربة من برج سوق الغزل الى ازيد من ثلاثة امتار قد طلي ظاهرها بدهن سميك ، وكان الحرس مبثوثا فوق نهج سوي قد مد على هذه الاسوار بذهب ويجيء لخفر الجوانب المشرفة على المدينة والبحر فى معزل عن الانظار بفضل حاجز منيع قد فتحت فيه ثغرات تنفذ منها البندقيات . وليست كل هذه الاجزاء من صنع الموحدين لان بعضها قد تجدد بناؤه منذ نحو القرنين بفضل ما أولاه الملوك العلويون من عناية فائقة لهذه التحصينات، اما الابراج التى تعلو الاسوار فبعضها ما زال ماثلا للعيان فى روعته المهولة مصوبا ثغراته نحو المحيط او تجاه المدينة .

ويظهر فى خصوص مادة البناء فى سور قصبة الرباط انها وسط بين النهج المعماري المرابطي وبين المعطيات الموحدية التي يرز فيها مزيج من الملاط المقوى بالرمل والماء ، فالاسوار التي يرجع تاريخها الى عهد يوسف بن تاشفين وخلفائه قد بنيت ـ كالقسم المشرف على سوق الغزل ـ من الحجارة غير المنحوتة والآجر او من الحجارتين المبسوطة وغير المنحوتة ، وقد استخدم الموحدون غالبا الحجارة وحدها دون تحميل انفسهم عناء نحتها كما هو الحال فى ابراج موحدية اخرى غلب عليها الطابع القرطبي ، وقد تاثروا هنا ببدائية سلفهم اللمتونيين ، ومع ذلك فان القصبة لم تكن تخلو من روعة وجلال .

— ◆ —

وينفذ الزائر الى قصبة الاوداية من ثلاثة ابواب اكبرها الباب الاثري المؤدى الى سوق الغزل ، والثاني هو الباب الواقع بين الباب الاول وبين البرج ، ويظهر انه حديث العهد يرجع تاريخه الى العصر العلوي، بينما يقوم الباب الثالث العتيق قبالة الجهة الشمالية

---

(66) ذلك ما حكاه صاحب زهرة الآس ص 69 من ان خصة من المرمر الابيض وزنها 143 قنطارا نقلها ابو الحسن من المرية الى العرائش ثم الى فاس على ظهر عربات خشبية .

(67) المغرب المجهول ـ موليبراس ج2م 28 . Mouliéras

(68) البرابرة والمخزن ص 77 .

(69) الموحدون ص 159 .

الشرقية للمتحف . اما الباب الكبير فانه فى منتهى الروعة يبلغ طوله 60ر38 م وعرضه 16 م ، ويتراوح علوه بين 12 و 13 م ، وتحتوي طبقته الارضية على ثلاث قاعات متداخلة وعلى طبقة اولى تحوي خمسة ممرات فوقها سطح يطل على مجموع القصبة ، وتبلغ مساحة القاعة الاولى نيفا وسبعة امتار فى مثلها تعلوها قبة سامقة مع حنايا جانبية تليها قاعة ثانية فى نفس الاحجام مقببة ومحـــلاة بمناجـــد Pendentifs شبيهة بالجواهر المنظومة . أما الغرفة الثالثة فانها أعرض ويزدان الوجه الباطني للباب بعضادات او أعمدة مربعة تحمل مساند ناتئة تعرف اليوم بطاولات الجدار Consoles ولاتزال بقايا التبليط الذى كان يغطي أرض القاعات ، ويذكرنا تصميم باب القصبة بأحجامه واشكاله المنعرجة بتخطيطات أبواب السور الموحـدي لرباط الفتح الا ان ترتيب الغرف يختلف فيهما ، وقد لا يبدو جليا العامل الداعي الى تحلية غرف ذات هدف يتسم ظاهرها بطابع عسكري الا أن هنالك عناصر تدل على أن السمة العسكرية لم تكن هي البارزة فى هذا التصميم لان ضخامة مصراعي الباب مثلا لم تكن لتعين على الصمود أمام ضربات الاكباش (وهي آلات حربية تتألف من عمود خشبي او من حديد تدك بها الاسوار والابواب) كما أن الممرات العلوية لم تكن تشكل غرفــا حصينة للدفاع ولا توجد اية فائدة عسكرية فى وفرة القاعـــات .

وهكذا يمكن القول — مع كايبي — بأن باب قصبة الاودايا ليست فى مجموعها جهازا قويـــا للحمايــــة والاستحصان بل هي لا تعدو كونها مدخلا عاديا لقصر من القصور تحيط به أسوار زيادة فى الدعم ويرابط الجند فى احدى القاعات بينما يتخـــذ الخليفـــة من الغرفتين الاخريين قاعتين لاستقبال رعاياه اثناء مقامه على ضفاف ابي رقراق (70) .

ويلاحظ أن انعدام الملاط المقـــوى Béton قد يثير الدهشة بالنسبة للعصر الموحـــدي الـــذي امتازت فيه الهندسة العسكرية بالاستعاضـــة عـــن الحجارة بهذا الملاط لا سيما وان الابواب الاخـــرى لمدينة الرباط تغايرها تماما من حيث مادة البناء .

وقد قيل من جهة اخرى بأن وفرة القباب فى افريقيا الشمالية ترجع لقلة الاخشاب الفنية الرقيقة وقد فند كايبي هذا الراي خاصة باعتبـــار عصـــر الموحدين ويظهر أن اللجوء الى القبـــاب يهـــدف الى تفادي هلهلة الاقواس المعروشة المستطيلة . وقـــد اظهر النحاتون براعة فى نقش بابي القصبة وهو نحت ثري منوع فى صلب الحجر على مستويـــات عديـــدة تتخلله خطوط هندسية تحدد مختلف الاقسام وتحيط كتابات الخط الكوفي بالمشتبكات (Entrelacs) وبأفاريز الزخرف السعفي Frise de palmettes الا انها غير واضحة ويعلو الجميع افريز من الحنايـــا المرضومة (أي المسدودة) وتقضي التقاليد بأن يكون الوجه الباطني للابواب أقل تنسيقا من الوجه الخارجي الا أن باب قصبة الاوداية تشذ عن هذه القاعدة فتبرز فيها كل العناصر الفنية التقليدية من خطوط هندسية وحنايا منفتحة وافاريز واشرطة كتابية وأقواس مفصصة (Arcs lobés) (أى ذات قويسات طبقـــا للفـــن الاندلسي المغربي) واقواس حدوية Outrepassés (أي شبيهة بحـدوة الفـرس او نعلـه) وتتجلـى التخطيطات الكوفية فى أروع مظاهرهـــا وهي اجمـل انواع الخطوط وأوفقها للنقوش المعمارية ولذلك كانت تشكل احد المجالي البارزة فى الفن الاندلسي ، امـــا الرسوم النورية أو الزهريـــة فانهـــا تشغـــل ايضـــا فى هذه النقوش حيزا واسعا كما يوجد رسم فى شكل حية قائمة على ذنبها انطلاقا من الاقواس المفصصة فى الوجهين معا ويتوافر هذا النوع من الرسم فى الابواب الموحدية الكبـــرى كباب كنـــاوة (مراكـــش) وباب الرواح (الرباط) وستحلى بها أبواب شالة فى العهد المريني ، والملاحظ ايضا أن الرسوم السعفيـــــة (اى التي تتخذ اشكال سعف النخل) تعتبر من العناصـــر الكلاسيكية فى الترخيمات الموحدية وهي موجودة فى جميع الابواب المومنية الا انها ابرز واوسع فى بـــاب القصبة خاصة فى الوجه الخارجي للبـــاب وهي من المقتبسات الراجعة الى الفن القوطي قبل الاسلام .

وبالرغم عن ثراء النقوش من حيـث الاشكـــال والتقاسيم فانها تظل واضحة المظهر خفيفة المـــس دون اي غلو ولا تشعيب بخلاف ما سيمتاز به الفن فى عهد بني مرين من تكثف ووفرة . وهنالك تناسب بين الترخيم فى مختلف أجزاء الهيكل العام يتسم بالقوة والرشاقة معا بحيث لم يتخلف الموحدون فى ذلك عن تقاليد الفن الاسلامي شرقا وغربا .

— ◆ —

(70) تاريخ مدينة الرباط ، ص 100 .

ومسجد القصبة اقدم جامع فى مدينة رباط الفتح وهو يقوم فى قمة القصبة وينحرف محرابه نحو الشمال على نظرية الموحدين فى فهم الحديث الشريف « ما بين المشرق والمغرب قبلة » (71) وقد طبق بنو عبد المومن فكرتهم هذه فيه لانه ثالث مسجد موحدي بعد جامعي تازا والكتبية ، وقد ظل الى أوائل القرن العشرين مهبط الملوك يؤدون فيه صلاة الجمعة كلما امتد مقامهم بالرباط وهو من بناء عبد المومن بن علي (72) وقد ادخلت عليه تعديلات خاصة فى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (73) الذي جدد بناءه على يد أحد الاعلاج المسلمانيين (74) احمد الانجليزي ويحتوي المسجد على سبعة صحون مع صحن حرد (اى بعضه اطول من بعض وغير متساو فى الطول) تحيط به ابهاء فى جهاته الاربع وتنبري المنارة على بضعة امتار جنوبي شرق جدار القبلة بجانب ملحقات مختلفة على طول هذا الجدار كمسجد الجنائز ومقصورة الامام والكتاب القرآني (او مسيد وهو تحريف مسجد) والمراحيض وتكاد مساحة الجامع تكون مربعة الشكل (25 م فى 6ر25 م) ويغلب استعمال الحجر غير المنحوت مع حنايا واساطين من الآجر وتغطي « البرشلة » صحون الصلاه مزدوجة الانحدار فى شكل ما يسمى فى الشرق بجبهة الجملون عدا سقف مسطح فوق الصحن الاخيروالابهاء، وقد تجدد التسطيح أواخر القرن الماضي حيث كانت مياه المطر تنصب فى ميازيب الى صهاريج او مصانع تحت الصحون عطلت الآن واصبحت المياه تجري على طول الجدار الخارجي ، وللجامع اربعة ابواب تعلوها اقواس مكسورة حدوية الشكل وتسندها عضادات ويمتاز بابان أثنان كلاهما بساريتين يتصل تاجاهما بواسطة طنف ، وكانت الصومعة معزولة عن المسجد ولكنها اصبحت منذ عام 1940 موصولة بالممر المكشوف المحاذي لجدار القبلة ، واذا لاحظنا ان جوامع الموحدين تتسم بالتناسق فى أجزائها فاننا نستغرب نفقدان هذا الانسجام فى جامع القصبة الذى يظهر ان التعديلات المدخلة عليه قد غيرت معالمه تغييرا عميقا ولم يجد المهندسون مجالا واسعا لحفظ هذا التوازن الفني نظرا لتكاثف الابنية حول المسجد، وليس هنالك ما يؤكد أن المنارة من بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله كما يظن كاييي .

اما السور الموحدي الذي أسسه يعقوب المنصور بالرباط فقد تم بناؤه ـ على ما يلوح ـ حوالي عام 593 هـ ـ 1197 م وهو يمتد على طول 5263 مترا غربي وجنوبي المدينة التي تحميها من الجهتين الشمالية والشرقية قصبة الاوداية ونهر ابي رقراق والمحيط الاطلنطيقي ، وتبلغ المساحة الداخلية المحاطة بالاسوار 418 هكتار ينفذ الناس اليها من اربعة ابواب هي غربا باب العلو وباب الرواح واخرى داخل الثكنة العسكرية المحاذية للقصر الملكي ، وجنوبا باب زعير المؤدية الى شالة .

وما زال السور ـ رغم مرور نحو من ثمانية قرون على تأسيسه ـ قوي الدعائم عدا قمته التي تفتتت عناصرها وهو مبني من الملاط المقوى Béton الذي يحوي الثلث من الكلس بينما لا تتعدى نسبة الجير عادة السدس او الثمن ، ومعلوم أن الملاط الموحدي هو اقوى الملاطات اذ يشتمل فى بعض المواضع على آجر مدكوك فى شكل « طابية » وعلى حصيات صغيرة قد لف بعضها ببعض فأصبحت كالحجارة فى صلابتها لا ينال منها المعدل الا قليلا ، وقد غالبت اسافل السور جوارف المطر ؛ اما عرض السور فيبلغ احيانا مترين اثنين ونصف متر قد عبدت فوقها طريق مشرفة للحراسة يدعمها حاجز منيع يقل ارتفاعه عن المتر الواحد فى حين يصل علو السور الى ازيد من عشرة امتار ، ويمكن ان نلاحظ اليوم وجود اربعة وسبعين برجا سبعة منها تمتد من برج الصراط فى الطرف الغربي الى باب العلو وتسعة الى باب الحد وخمسة وعشرون الى باب الرواح وسبعة على طول ثكنة الحرس الملكي واربعة وعشرون الى الجهة المارة من باب زعير والمطلة على أبي رقراق قرب ما كان يسمى بالمنزه (وهو مقر السفارة الفرنسية الآن) ،

---

(71) نظرية لا تتفق وموقع المغرب من الوجهة الجغرافية لانها خاصة بالمدينة المنورة ولذلك قابلها الكثير من علماء المغرب بأن القبلة بالنسبة الينا هي ما بين الشمال والجنوب .

(72) محمد بوجندار فى كتابه حول تاريخ القصبة (مخطوط المكتبة العامة بالرباط عدد 1047) .

(73) تاريخ محمد الضعيف (مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط عدد 660) .

(74) هكذا يسمي صاحب العقد الفريد (ج 3 ص 296) وابن سعيد (ص 137) الحديثي العهد بالاسلام ويسميهم ابن حجر بالاسلمين (الدرر الكامنة ج 1 ص 315) .

وقد يطول احيانا الحيز الواقع بين برجين ربما لانهيار بعضها خلال هذا الفاصل ، وقد ظلت مدينة رباط الفتح فى حدودها الموحدية غير آهلة طوال عدة قرون وكانت حدودها الجنوبية الشرقية هيالسور الاندلسي الممتد من سيدي مخلوف الى باب الحد (مارا بباب البيوبية وباب شالة وباب التبن) ويقول الاستاذ كايي (ص 131) بأن الرباط كان يعرف فى هذه الفترة بسلا الحديثة والذي يظهر ان هذا الاسم قد اطلق على سلا منذ عهد الشريف الادريسي (75) اى قبل بناء رباط الفتح وربما كان ذلك فى نظرنا – للتمييز بينها وبين شالة الرومانية لحملها نفس الاسم تقريبا .

وقد ذكرنا ان ابواب السور الموحدي خمسة بادراج الباب الواقعة داخل ثكنة الحرس الملكي وهي تحمل الاسماء الآتية : باب العلو وباب الحد وباب الرواح وباب زعير .

وباب العلو هو اقرب الى المحيط وهو يبعد عن البحر بمسافة 544 م ويشكل هيكلا ضخما طوله 19ر2م وعمقه 92ر20 م وعلوه 85ر10 م كما يشتمل على غرفتين متوازيتين احداهما مكشوفة وتعلو الكل ابراج ناتئة مع وجود حجارة منحوتة جميلة فى الزوايا وقلب الواجهتين الشرقية والغربية وتوجد قاعة صغيرة مربعة داخل الغرفة الاولى كانت مستودعا للسلاح وتؤدي الغرفة الثانية الى السطح الذي يغطي مجموع البناية تحيط بها حواجز غير منحوتة يبلغ ارتفاعها 26ر2 م غربا واقل من متر من جهة المدينة وقد فتحت فيها ثغرات ثمان ويتصل السطح بالطريق المعلقة فوق عرض السور وينزل درج فى الغرفة المكشوفة الى بطن الارض ليؤدي الى ممر مستطيل لعله كان مخبأ لجند الخفر .

وقد نقشت على الجدران كتابات فى صلب الحجارة المنحوتة مع صور سيف وخناجر بعضها معقوف الطرف وصورة قوس يحمل سهما مصوبا نحو الاعلى فى روعة خلابة . اما باب الحد فهو لا يختلف كثيرا عن الباب السابق ويقع على بعد 505 امتار منه، وقد تجدد بناؤه عام 229 (76) فى عهد السلطان مولاي سليمان .

وتمتاز هذا الباب بثلاث غرف متوازية احداها مكشوفة كما تمتاز بوجود ثلاثة اقواس تدعمها روافد متينة Arcs doubleaux تحمل عقد القبة قد انغمست عضاداتها شمالا داخل الجدار ، وقد وصف الاستاذ كايي (ص 137) هذه الميزة بأنها استثنائية فى الهندسة المعمارية المغربية نظرا لانعدام مثل هذه الاقواس فى مآثر اخرى ، واشار الى احتمال نسبتها الى احد الاعلاج او الاسرى الاوربيين ، وتتفتح باب الرواح (77) اليوم امام شارع النصر (الذي هو أعظم شارع فى العاصمة تقام فيه المهرجانات والاستعراضات الرسمية) على مسافة 1021 م جنوبي باب الحد وهي اعظم أبواب السور الموحدي واكثرها تنميقا ، يبلغ عرضها 28 م وعمقها 93ر26 م وارتفاعها 12 م وتحتوي على اربع قاعات احداها مكشوفة كلها مربعة الشكل (65ر5 م فى مثلها) وعلى ممرين (مساحتهما 20ر4 م فى 20ر2 م) وتعلو القاعة الاولى قبة ذات اضلاع مشعة (على الطراز القوطي) (78) عقودها الركنية من الآجر ، لها ستة عشر اخدودا تتجمع فى قبيبة ذات ثمانية فصوص (اى قويسات او أقواس صفرى) ونعثر على هذا النموذج من القباب فى عدة غرف بمنارتي الكتبية وحسان الا ان قبة باب الرواح اضخم وان كانت اقل جمالا ورواء فى حين تمتاز بسمة خاصة، وهي ان قاعدة كل عقد ركني تدعمها سويرية متوجة ومحلاة بما يسمي بالاقنثا او شوكة اليهودي وهي نبتة اتخذت أوراقها مثالا للزينة فى الابنية القديمة واختص بها تقريبا الطراز الكورنثي اليوناني وتصطبغ هذه المجموعة الرائعة بالرشاقة والخفة ضمن الهيكل الضخم المتشكل فى الحنايا والاقواس ، ولا شك ان بعض القاعات كانت مخازن او مخابيء لاستخدام الحرس العسكري ، وقد جدد السلطان سيدي محمد ابن عبد الله العلوي كثيرا من المظاهر الاثرية فى هذا الباب (79) بل اضاف عناصر طريفة كقوس الانفتاح المكسورة والمشرعة Surhaussé (وهذه هي

(75) نزهة المشتاق ، طبعة 1957 ، (ص 48) .
(76) اكد الضعيف ذلك فى تاريخ الرباط ص 506 .
(77) ترجم كايي باب الرواح بباب الريح Porte du vent وهو واهم فى ذلك لان الرواح معناه الروحة اي الذهاب صباحا .
(78) الزخرف المشع أصله اغريقي يمتاز بتشكيلات زخرفية كثيرة ووردات متفتحة متعددة الفصوص .
(79) تاريخ الضعيف ص 165 (مخطوط المكتبة العامة) .

عبارة عن حنية او عقد قبة يعلو سهمها او مفتاحها الى نصف مستوى الانفتاح) ، ويحيط شريط من الخط الكوفي باللوحة المركزية المأطورة للباب في وضوح وروعة وتجانس بين المجموع والجزئيات (وهو شبيه بمثليه في باب القصبة وباب كناوة بمراكش) وتقل الرسوم الزهرية في النقوش حيث لا تعدو بعض الاشكال السعفية كما تقل التنميقات في الوجه الباطني للباب طبقا للتقاليد المعمارية المتبعة التي تأبى الا أن تحلي الجدران بكتابات منحوتة على الحجر وصور سيوف دقيقة وقاذوف (أي آلة لرمي السهام الى مسافات بعيدة كالتي توجد في باب العلو) وحسام قصير ذي‌نصل معقوف .

اما الباب الكائنة داخل القصر الملكي فهي تقع على بعد 880 م جنوبي « باب الرواح » وعلى مسافة 465 م شمالي برج الزاوية وهي تبلغ 21ر21 م عرضا و 80ر22 م عمقا وتشتمل على ثلاث قاعات مثل باب الحد مع وجود تعديلات ترجع لا محالة الى العهد العلوي ولا تختلف في مجموعها غربا في الابواب الموحدية .

وتتفتح باب زعير — كما يدل عليه اسمها — على الطريق المؤدية الى الاقليم الذي تشغله الآن قبيلةزعير وتصل احجامها الى 24ر18 م عمقا و 71ر9 م علوا و 59ر12 م عرضا ، وهي شبيهة في تخطيطها بباب العلو مع انتظام اقل ولا تزيد قاعاتها على اثنتين متوازيتين .

وقد مد عبد المومن بن علي انابيب الى رباطه بمصب ابي رقراق لنقل ماء عين غبولة الى القصبة ، ولا شك ان هذه المجاري كانت جديرة بروعة الفن المعماري الموحدي الا ان الحفريات التي تمت لحد الآن سواء داخل المدينة او خارجها لم تسفر عن كشف اي عنصر هام من هذه القنوات ، ويظهر ان اندراس معظم هذه المعالم راجع لكون الملوك العلويين قد اقاموا قنطرة معلقة لنقل مياه غبولة فوق القنطرة الموحدية مما لم يترك اثرا لهذه ومع ذلك فقد لاحظ الاستاذ هنري باسي (80) وجود بعض الآثار الشاهدة بقيام جسر بني عبد المومن على مقربة من شمالي شالة على طول الشارع الحامل لهذا الاسم الى منعرج كائن قبالة الجامع الاعظم يؤدي الى قصبة الاوداية ، وتبلغ هذه القناة العتيقة 3ر1 م من العلو — بادراج عقد قوسها — و 59ر0 متر عرضا وهي مبنية من الملاط المقوى الذي لا تنال منه المعاول لصلابته ، الا ان الاستاذ كايي (81) ابرز الخلاف الملحوظ بين وصف المؤرخ باسي ووصف الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الافريقي (82) الذي تحدث عن قناة من الحجر المنحوت مقامة على حنية بنفس الصناعة الفنية المعروفة آنذاك في ايطاليا وخاصة في روما ، فهل ينطبق هذا الوصف الرائع على قطعة من الجسر تهدمت وامحت معالمها ؟ من الصعب التأكد من ذلك لا سيما والنصوص التاريخية او الحفريات لم تسفر عما يشير اليه، فالمشكل اذن ما زال قائما ، الا ان العنصر الهام الذي ينبغي ان يوخذ في نظرنا بعين الاعتبار هو جودة الملاط المقوى وصلابته وهما من سمات الفن الموحدي بالاضافة الى ضخامة القناة وكثافة حجم الملاط ووضع الحنايا والاقواس الذي يساعدها على الصمود امام ضغوط المياه مهما كانت قوتها ، ومع ذلك فقد لحقت اضرار جسيمة بالقناة خلال الحروب الطاحنة التي استمرت بين الموحدين وبني مرين بعد وقعة العقاب حتى جدد السلطان المريني أبو يوسف ما تهدم وانهار خلال هذه الفترة العصيبة من تاريخ الرباط .

ومن هذا الوصف الموجز يتضح أن أبواب السور الموحدي بالرباط لها ميزات مشتركة تتجلى في وجود منعرجات ونواتىء ضخمة وسلسلة من القاعات المتوازية احداها مكشوفة يحتوي داخل كل منها على غرف صغيرة لسكنى الحرس أو خزن الاسلحة وهي تشكل مع ذلك مراكز دفاعية هامة تعززها الانعراجات المختلفة غير الموجودة في الحصون الاندلسية التي اقتبس منها الموحدون وكذلك في‌باب القصبة الخالية من كل‌منعرج او مركز مكشوف ومهما يكن فان الارتسامات البارزة التي تنطبع في قلب الزائر لهذه المجموعات المتكاملة هي الشعور بالفخامة والقوة والابداع ، فهي

(80) في كتابه « قنطرة موحدية بالرباط » Un aqueduc almohade à Rabat الذي نشره في المجلة الافريقية Revue africaine 1923 ، ص 523 .

(81) تاريخ الرباط ، ص 150 .

(82) في كتابه « وصف افريقيا » Description de l'Afrique, éd. Schefer, Paris, 1896, T2, p. 22

تشكل مع منارات الكتبية وحسان وجامع اشبيلية روائع خالدة فى الفن الاندلسي المغربي ، والملاحظ ان التأثير الاندلسي يغلب فى هذه الهندسة المعمارية على المعطيات المحلية ونحس فى كل ذلك برغبة المؤسس الموحدي يعقوب المنصور الصادقة فى منافسة المآثر المعمارية فى الاندلس والمغرب .

المرينيُّون والفنّ الأندلسيّ المغربي

فى عام 610 هـ (83) انبثقت من الصحراء قبيلة بني مرين التي قامت بحملة واسعة فى كثير من الاقاليم المغربية التي كانت تحت الحكم الموحدي وكانت حدود المغرب قبيل ذلك بعقود من السنين تمتد من السوس الاقصى (84) الى طرابلس ، الا ان الحفصيين (وهم من سلالة الشيخ عمر الهنتاتي صاحب ابن تومرت) الذين كانوا يحكمون افريقية باسم الموحدين اقتطعوا لانفسهم مملكة منفصلة عن المغرب، وفى عام 625 هـ(85) أسس محمد بن يوسف بن هود باسم العباسيين امارة بالاندلس ما لبث ان استولى عليها بعد اربع سنوات الامير محمد بن يوسف بن الاحمر (86) الذي انصاع لامير تونس ، وبذلك توالت الضربات على المملكة الموحدية فآل امرها الى الانهيار على اثر احتلال المرينيين لمدينة فاس عام 645 هـ (87) .

وقد ازدهرت مظاهر الحضارة والعمران فى عهد بني مرين الذين اصبحوا اقوى ملوك افريقيا الشمالية (88) اذ بالرغم عن محتدهم الصحراوي فان هؤلاء الرجال استطاعوا بفضل اتصالهم المزدوج ببني نصر ورثة الحضارة الاندلسية وبالموحدين ـ التكيف والانسياق فى مجرى الحضارة تبعا للمقتضيات المدنية مع استمداد من معطيات الفكر الاسلامي والمجالي الطريفة فى التجديد ، وقد تبلور اتجاههم فى اقامة المدارس المحصنة والمساجد وقباب الاضرحة والفنادق المزخرفة والمدارس الفخمة التي اضفت على المغرب المريني طابعا خاصا من الروعة والبهاء فالى جانب المدينة البيضاء او فاس الجديدة المؤسسة فى ربض العاصمة الادريسية اقيمت مدينة للجهاد بالجزيرة الخضراء (89) علاوة على المارستانات والمآوي والملاجىء ، كما رصدت اوقاف متنوعة ضمن ريعها سير المؤسسات الجديدة واسعاف الطلبة .

وقد لاحظ الاستاذ الفريدبيل عن حق انه خلافا لتقاليد الشرق كان الملوك فى طليعة من تبنى تأسيس المعاهد ، فى حين تكفل بذلك الوزراء فى المشرق (90)

وعلى هذا الغرار سار الملوك المرينيون كسلفهم الموحدين طابعين بميسم خاص نشاطهم المعماري الرائع، وقد اكد جورج مارسي أن هذا النشاط الذى هو من صنيع الامراء يبرز ثراء الاسرة المالكة بحيث تكون عصور الانهيار السياسي فترة جمود فى الميدان المعماري فبعد المآثر الماجدة التي يرجع الفضل فيها الى عهد المنصور ظل المغرب يتأرجح طوال قرن فى بحبوحة من الركود لم يعرف خلالها عمارات بارزة (91) .

وقد اتسمت هذه الحركة المعمارية بطابع ديني فى كثير من الاحايين حيث اقام المرينيون مجموعة

(83) الذخيرة السنية ص 24 .
(84) القرطاس ج 2 ص 174 .
(85) البيان المعرب ج 4 ص 270 .
(86) البيان ج 4 ص 302 .
(87) الاستقصا ج 2 ص 7 . الذخيرة ص 99 .
(88) راجع تاريخ افريقيا الشمالية لـ André Julien
(89) الذخيرة ص 100 .
(90) الجريدة الأسيوية ـ الكتابات العربية بفاس عام 1917 و 1918 ج 10 ص 152 .
(91) كتاب الفن ج 2 ص 476 .

رائعة من المساجد فى تازة ووجدة (92) وتلمسان (93) وقد تم ذلك خاصة فى عهد ابي الحسن بفاس والمنصورة (قرب سبتة) وطنجة وسلا ومكناس ومراكش ، كما اقيمت معابد حول اضرحة الملوك مثل مقابر المرينيين فى شالة (بالقرب من رباط المجاهدين) حدا الملوك منذ عهد ابن يوسف الى عهد ابى الحسن الى اختيار هذا الجدث الطاهر) ، وقد اضفى ابو الحسن على هذه الاضرحة السلطانية مسحة من الروعــة والجــلال بتسويرها وزخرفتها واقامة مسجد ثان حولها ، وكان هذا الامير اذ ذاك فى طليعة زعماء الاسلام بالمغرب حيث توحدت افريقيا الشمالية لاول مرة منذ عبد المومــن الموحدي تحت راية امير واحد من قابس الى المحيط الاطلنطيقي . وبلغت الدولة المرينية اوج عظمتها كما بلغت حضارتها قمة روعتها وامسى ابو الحسن ــ كما يقول اندري جوليان ــ اقوى ملك فى الغــرب خلال القرن الرابع عشر (94) .

وقد قام الصوفية فى عهد ابي يوســف بــدور اساسي فى المجتمع المغربي (95) وهم الذيــــن أثاروا تلك الموجة الروحية التي انبثقت عنها زوايا ما لبثت ان ترعرعت وتبلورت تأثيراتها الاجتماعية والسياسية فى عهد الشرفاء من سعديين وعلويين حيث ان بعض ملوكهم لم يعتلوا اريكة العرش الا بفضل تأييد الحركة الصوفية الفتية التي زادها نفوذا تكتلها ضد الاجنبي الذي سيطر على كثير من المراكز الساحلية ومحــا الاسلام والعروبة من ربوعها ، وكثيرا ما كانت الزوايا ولا تزال خلوة للعبادة ومربطا للزهادة ومركزا للعلــم ويدل على ذلك مدى الاشعاع الثقافي والفكري الملحوظ فى زاوية الدلاء بالاطلس والزاوية الناصرية فى درعــة وبالصحراء حيث قامتا بنشر العلوم والمعارف وتركيز المثالية الاسلامية والسلفية السمحة فى قلب الفيافي والجبــال .

اما فى عهد المرينيين فقداسست زاوية شالة (96) التى تعبد فيها الشاعر الوزير ابن الخطيب السلماني والتي اضافها ابو الحسن الى جناح الاضرحة بهــذه المدينة الاثرية وهي بساحتها الداخلية وصهريجهــا واروقتها وغرفها اشبه بمعهد تتجلى فيه نفس المعالم الزخرفية المدرسية كالترخيــم والنقــش والزليــج والفسيفساء والتبليط المرمري ، وقد بنى ابو عنــــان زاوية النساك بسلا التي ما زالت ببابها المنحوتة من الحجر البديع قائمة الى الآن مع بقايا غرفها الثلاث حيث كان يقطن شيخ الزاوية وطابقها الاول وصحن يتوسطه صهريج ويحيط به احد عشر مرحاضا للوضوء وتعتبر المدارس المرينيــة مســاكــن للطلبــة ومركــزا لدراستهم انتي كانت تتابع فى المســاجد القريبة منها واحيانا كانت المدرسة نفسها تحتوي على مسجــد صغير بمحرابه ومنارته .

وقد رسم التصميم العام لهذه المدرسة المغربية منذ القرن الخامس الهجري فهنالك صحن تقــوم فى جوانبه الثلاثة سلسلة من البيــوت ، وفى الجانــب الرابع قاعة للعبادة ، وتقوم فى الطابق الاول فى بعض الاحايين مجموعات اربع من الغرف تشرف على الصحن الداخلــي

ويمكن ان نعتبر توافر المــدارس والمعاهد فى عهد المرينيين بمثابة رد فعل ضد الحركة الدينيــة الموحدية وذلك باقرار برنامج يهدف الى نشــر آراء جمهرة اهل السنة الذين نصب بنوا مرين انفسهــم للدفاع عنهم ، وكان المرينيون متضامنين فى ذلك مع جميع طبقات الصوفية التي ساندتهم فى دعم هــذه السلفيــة .

---

(92) ابو يعقوب هو الذي بنى مسجد وجدة عام 696 هـ حسب القرطاس ، وقد لاحظ مؤلف الذخيــرة السنية (ص 150) ان ابا يوسف هدم وجدة عــام 670 هـ .

(93) راجع مقتطفات المسند لابن مرزوق فى هسبريس ج 5 ص 32 عام 1925 حيث لاحظ ابن مرزوق ان الرحالين مجمعون على اعتبار هذا المسجد كجامع هو الاول من نوعه ، وقد اسس ابو الحسن مسجدا آخر فى مدينة هنين التي اندرست معالمها منذ قــرون .

(94) تاريخ افريقيا الشمالية 1931 هـ ص 446 .

(95) صحب ابو يوسف معه فى حركة الجهاد بالاندلس عام 674 هـ طائفة كبرى من صوفية المغــرب ، (الذخيــرة ، ص 174) .

(96) توجد لفظة الزاوية مكتوبة على الرخامــة المرمرية وعلى خزف عثر عليه عام 1930 خلال الحفريات (الهندسة المعمارية الاسلامية ص 283) .

وقد اسست اول مدرسة مرينية عام 670 هـ بامر من ابي يوسف (97) وهي تحتوي على مسجد ومنارة وهي المؤسسة الوحيدة التى يرجع تاسيسها الى هذا القرن .

وفى القرن التالي اقيمت مجموعة من المدارس منها مدرسة فاس الجديد عام 720 هـ (وهي تضم ايضا مسجدا وصومعة ومدرسة العطارين ثم مدرسة الصهريج الكبرى) ومدرسة السباعيين (الصغرى) وكانتا متصلتين ثم اخيرا المدرسة المصباحية (98) هذه المدارس الثلاث الاخيرة بنيت بأمر من ابا الحسن الذى زود بالمدارس كبريات مدن المغربين الاقصى والاوسط (تازة ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وانفا وازمور وآسفي واغمات ومراكش والقصر الكبير والعباد بتلمسان وعاصمة الجزائر) . اما ولده ابو عنان فانه اسس المدرستين الحاملتين لاسمه بفاس ومكناس .

ويلاحظ ان هذه المدارس كانت تشتمل اول الامر على منارة وتتجلى كمسجد علاوة على ميسمها كمأوى للطلبة. وكان تصميمها مزدوج المعالم عبارة فى آن واحد عن مسجد مدرسي (كالقرويين) وعن جناح للسكنى ثم تبلورت فى التصميم بعد ذلك مظاهر المدرسة فالغيت الصومعة (مثل مدرسة الصهريج) ثم تقلصت مساحة المسجد الذى اصبح لا يعدو قاعة كبرى للصلاة دون زخرفة خاصة وحتى المحراب صار يقاوم رمزيا فى شكل قوس اصم محاط باسطوانتين دقيقتين .

وقد استمر هذا الاتجاه فاسقط المحراب تماما بعد بضع سنوات من المدرسة المصباحية الا ان مدرسة العطارين وهي آخر مدرسة بناها أبو سعيد تحتوي على محراب ولعل ذلك راجع لضرورة تبرير مزيد الزخرفة والنقش (99) بمظهر ديني خاص ، كما ان مدرسة سلا احتفظت بمسجدها ومحرابها نظرا لصبغتها الاستثنائية كمركز صوفي لا يحتوي على اى غرفة لسكنى الطلبة ، ومدرسة ابي عنان فى مكناس تمثل مرحلة انتقالية بين نوعين من المدارس يرجع عهدهما لابى الحسن وولده ابى عنان (مسجد مربع واروقة فى الجوانب الثلاثة من الصحن) اما المدرسة العنانية بفاس فهي تتسم بهيكلها الضخم وروعتها الاخاذة لجامع مزود بمنار ومنبر لخطبة الجمعة .

اما دور السكنى المرينية فان المغرب لم يحتفظ حتى بمعالمها فيما يلوح اللهم الا فى تلمسان حيث تساعد كتابة عثر عليها فى راس اسطوانة على ان البناية اسست عام 745هـ بامر من ابى الحسن ، كما انبثقت الحفريات عام 1885 عن قصر صغير بالقرب من ضريح ابي مدين الغوث بالعباد ويحتوي هذا القصر الذى كان السلطان ينزل به فيما يظهر على ثلاث مجموعات من البنايات .

وقد وصف لنا ابن مرزوق فى مسنده كيف بنى ابو الحسن قصرا فى ظرف اسبوع وضمنه جميع ما تتسم به القصور الصغرى من روعة وجمال ، فقد امر ابو الحسن بجمع ارباب الصناعات من البنائين والنجارين والجباصين والزليجيين والرخاميين والقنويين والدهانين والحدادين والصفارين فأحضروا بين يديه فقال لهم اريد دارا تشتمل على اربع قبب مختلفة ودريرتين تتصلان بها منقوشة الجدرات بالصناعات المختلفة بالجبص والزليج والنقش فى الارز المحكم النجارة والصناعات المشتركة ونقش ساحة الدار وفرشها زليجا ورخاما بما فيها من طيافير الرخام والسواري والنجارة فى السقف مختلفة باختلاف القبب بالصناعات المعروفة عندهم المشتركة (100) المدهونة الابواب بالصناعات المؤلفة والخزائن والخوخ جميعها والحلية فى جميع ذلك من النحاس المموه بالذهب والحديد ورسم لهم قدر ساحتها في كاغد ووقع الوفاق لجميعهم على ذلك قطعيا واوضح لهم عملها فلما تم هذا قال لهم انى اريدها فى مثل هذا اليوم ... فما انقضى الاجل

(97) راجع المسند لابن مرزوق (مقتطفات ليفي بروفنصال – هسبريس ج 5 ص 35 عام 1925) .
(98) نص ابن مرزوق على انها من بناء ابى سعيد فى حين ان الكتائب الموجودة بها تدل على ان مؤسسها هو ابو الحسن (راجع الاستقصا ج 2 ص 87 وكتابات فاس لالفريد بل ص 229) .
(99) هذه المدرسة هي ابهى واروع مدرسة من حيث الزخرف حتى في نظر الفنانين الاجانب (الهندسة المعمارية الاسلامية فى المغرب ص 288) .
(100) الصناعات المشتركة هي عبارة عن صناعة التوريق والتسطير التي تزدوج فيها الزخارف ذات اشكال مزهرية بنقوش هندسية .

وتم الامل وجاء اليوم المعلوم الا وهو يتمشى فيها وانا بين يديه على الوجه المشروع والغرض الموصوف وهذه غاية فى الضخامة والاقتدار وعنوان على ما وراءه (101)

وقد ارتفعت اثمان المباني اواسط عهد المرينيين بسبب تهافت الايستقراطيين على الزخرفة احتـذاء بالبلاط وقد اشار ابن خلدون الى ان الدور كانت تباع بفاس بألف دينار ذهبي .

اما الفنادق التي كان بها التجار الاجانـب فان شكلها المعماري يشبه شكل دور السكنى لانها تحتوي على ساحة تحذف بها غرف ومستودعات بل ومخازن لعرض المبيعات ، ومن هذا النمط ايضا القيساريات التي تغير اسلوبها الهندسي فى العقود الاخيرة حيث اصبحت عبارة عن اروقة مستطيلة تقوم بجانبها دكاكين وأهـراء (102) .

ولنضرب مثلا للفن المريني الرائع ببعض المآثر التى ما زالت قائمة برباط الفتح ومنهـا « الجامـع الكبير » الواقع قرب باب شالة الذي تحده فى الجنوب الشرقي مقبرة تمتـد الى السور الاندلسي وقد كتب على احدى ابوابه تاريـخ 1299 هـ (1882 م) وهو تاريخ تجديد البناء فى عهد الحسن الاول ، كمـا ان لوحة التحبيس المرينية وهي صفيحـة مربعـة من الرخام مغروزة فى احدى الاساطين المحيطة بمكـان العنزة هي نفسها التي كانت على ضريح السلطان ابى الحسن بشالة ، ونقلت الى المسجد فى عهـد مولاي اليزيد العلوي الا انها لا تشير الى الجامع الكبير ، كما بوجود المارستان العزيزي قبالتـه ، وبكـون احدى ادخلها على المسجد جلالة الملك المقدس المرحـوم محمد الخامس ، وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ بناء هذا المسجد فاكد مؤرخ سلا محمد بن علي الدكالي انه من مؤسسات الاندلسيين الذين وردوا على المغرب فى عهد السعديين اي فى القرن الحادي عشر مستندا الى ما استنتجه من كتاب « وصف افريقيا » للحسن الوزان من عدم وجود اى أثر لبناء بالرباط فى عصره اى فى القرن العاشر الا ان مؤرخ الرباط محمد بوجندار (103) يرجح ان المسجد من مآثر المرينيين ويعلـل ذلـك بوجود المارستان العزيزي قبالته ، وبكون احـدى الابواب قد رممت فى عهد السلطان المريني ابى الربيع وهي وجهة نظر سديدة وان كانت التعديلات اللاحقة قد غيرت معالم الاصل ويبلغ عرض المسجد على طول جدار القبلة 5ر47 م ويزيد عمقه بمتر واحد على عرضه بادراج مقصورة الامام الا ان شكله الهندسي غير مربع نظرا لعدم تساوي اضلاعه اما مساحته البالغة نحو 1 800 م . م فانها تجعل منه اعظم مسجد بالرباط بعد «جامع السنة» وهو يحتوي على سبعة صحون موازية للقبلة وعشرة عمودية ، اما الساحـة فشكلها مربـع منحرف عرضه اكبر من طوله تحيط به ثلاثـة ابهـاء اقيمت فى احدها مقصورة للنساء وبالجانب الشمالي الغربي المنارة ، وللمسجد ستة ابواب وعلى طول جدار القبلة عدة مرافق تتصل بفرع للمكتبة العامة بالرباط - يفصل اليوم المسجد عن المقبرة - وهذه المرافق هي مستودع المنبر ومقصورة الامام وجامع الجنائز ، اما الافواس فانها ذات اشكال واحجام مختلفة الا ان الحنايا التى يستند اليها الرواق امام المحراب تلفت الانظار بميزاتها الخاصة اذ هي عبارة عن حنايا مفصصة قد نحتت فيها قويسات تصل الى ثلاثة عشر متشابهة عدا قويس الانطلاق وقويس الانفتاح ، اما الاقـواس الاخرى فمعظمها حنايا مكسورة وحدوية (على شكل حدوة الفرس اي نعله) او مشرعة (اي ان سهمها اكبر

---

(101) نخب من المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا ابي الحسن للخطيب ابن مرزوق (هسبريـس ج 5 - مجلد اول عام 1925 ، ص 39) .

(102) تحدث ماس لاطري فى كتابه (معاهدات السلام والتجارة) عن الفندق بالمغرب فوصفه بانـه حارة حرة يقطنها القنصل الاجنبي مع مواطنيه وترجع اليه مهمة السهر والحراسة عليها وكانت ايضـا بمثابة حي له قوام بلدي يقبض فيه القنصل على الجهاز الشرطي والجمارك السلطانية هي التـي تتحمل المصاريف العامة فى البنـاء واصلاح المساكن والكنائس والدكاكين ، وكان المسكن محترما وقانون الارث الاجنبي مطبقا (بمقتضى المعاهدة المبرمة بين المغرب وبيزة عام 1358 البند الرابع الفقرة الرابعة عشرة) وقد اكد لاطري ان الاقطار الاخرى لم تتسامح الى هذا الحد مع الحارات المسيحية المقامة وسط المدن الاهلية بحيث كان المسيحيون يرضخون خارج المغرب الى تدابير تنطوي على اهانة وعدم ثقة (راجـع كتابـي بالفرنسية حول التيارات الكبرى لحضارة المغـرب ص 33) .

(103) الاغتباط ص 114 (مخطوط المكتبة العامة بالرباط (عدد 1287) .

من نصف الانفتاح) كما ان معظم السطوح ذات انحدار مزدوج في شكل برشلات او جملونيات دون ترميد ولا تنميق ، أما المحراب فان قوس انفتاحه حدوي الشكل كنعل الفرس الحديدي متقارب المركزين غير بارز الكسر يستند الى عضادتين عاليتين ، وقد ازدوج بقوس آخر خارج عن المركز في جوف قد نحتت نقوش رائعة في جبسه اللامع وعلته قبة متمثنة ينفذ اليها النور من ثغرة مثمناتها مع المجموع .

اما الصومعة فانها مربعة الشكل تبلغ أضلاعها 10ر5 م وقد زيد في ارتفاعها عام 1939 فبلغت من العلو 15ر33 م بينما لم تكن تصل من قبل الى اكثر من 27 م ، وتحتوي الصومعة على ست غرف مربعة الواحدة فوق الاخرى تغطيها اقبية متصالبة الروافد تؤدي احداها الى مخدع الموقت الواقع فوق المصرية (اي العلية وهي من مصطلحات المغرب الاقصى)(104) وينفذ الضوء الى دورات الدرج من ثغرات واسعة مقوسة وملتوية في انحناء مستقيم ويتسم المجموع بطابع البساطة الذى يزيده روعة. اما ملحقات الجامع الكبير فانها لا تمتاز بأهمية خاصة فالى جانب ممر ضيق يؤدي الى جامع الجنائز على طول جدار القبلة توجد مقصورة الامام وهي تضم غرفتين تتصل احداهما بمستودع المنبر .

واذا استثنينا النحت على الحجر في خصوص الأبواب فان النقش على الجبس يتوافر في المحراب وفي الوجه الداخلي للباب الكبرى وفوق الحنايا المفصصة امام المحراب مع رسوم زهرية متكاثفة تحيط بها خطوط هندسية وانضاد متراكبة من الوردات بين الاقواس دون أصباغ مع ضآلة النقوش الخشبية ، وتبرز في مواضع اخرى سعفيات «موردة» او كتابات بالخط النسخي ، أما المنبر فهو من صنع علوي عادي برسومه الخشبية المنحوتة على لوحات « مأطورة » : تلك صورة عن الجامع الكبير كما هو الآن والبابان الشارعتان الى زنقة باب شالة قد أضيفتا كمنفذ خاص الى رواق النساء وكذلك الباب المؤدية الى زاوية سيدي التلمساني والفسقيتان الفوارتان في البهو الجديد شمالي غربي الصحن . ومن الزوائد الطريفة في المسجد نقوش المحراب ورواق الجنائز وترخيمات بعض الحنايا مما حفظ للجامع هيكله العام دون كبير تعديل ، ويظهر ان الجامع لم يكن فيه أكثر من خمسة صحون طولية مركزية بدل عشرة بجانب الصحون السبعة الموجودة الآن ، وكانت المساكن تحيط به من جهتين وهذا التخطيط متناسق الاجزاء بالنسبة للتصميم الحالي الذى يخلو نوعا ما من التوازن والانتظام اضف الى ذلك ما كانت تمتاز به الحنايا المفصصة والمكسورة والحدوية من تنوع ويذكرنا الهندام المعماري في الجامع الكبير بالمساجد المرينية في تلمسان وخاصة في مدينة « العباد » حيث مدفن أبي مدين الغوث فعدد الصحون الطولية واحد فيهما مع ثمانية صحون موازية للقبلة هناك بدل سبعة بالرباط ومن مظاهر العتاقة في الجامع الكبير ضخامة الاقواس المفصصة امام المحراب وهي من خواص المساجد المرابطية والموحدية بكيفية عامة مع وجودها احيانا في عهد المرينيين كما هو الحال في جامع فاس الجديد . ولم يعد المهندس المعماري يستعمل هذا النوع من الترخيمات في العصر العلوي وحتى بالنسبة لنقوش الحنايا يمكن التنظير بين المشبكات الهندسية في الجامع الكبير ومثيلاتها في منبر المدرسة العنانية بفاس وباب العنانية ايضا بمكناس ومع ذلك فان جامع الرباط لا يوحي في مجموعه بنفس الارتسامة التي يشعر بها الزائر لمدارس فاس ومساجد تلمسان المرينية التي تمتاز بعدة ظواهر جزئية كبعض الاشكال الصنوبرية (على شكل ثمرة الصنوبر) او الزهيرات (أي زخارف نورية الشكل) تلك معالم تشهد بأن الجامع الكبير يرجع تاريخه الى العهد المريني وذلك بالاضافة الى بعض النصوص التاريخية التى تعزز هذه النظرية لا سيما وان مؤرخي العلويين مثل الضعيف والزياني والناصري لم يدمجوا هذا المسجد في لائحة المساجد العلوية وربما كانت المجموعة المركبة من المسجد والسقاية والمارستان العزيزي هي نفس ذلك الثالوث الملحوظ في جميع المساجد مع اعتبار ان هذا المارستان كان مدرسة كما يدل عليه شكله ، وهنا يجب ان نتساءل ــ كما فعل الاستاذ كايي (ص 199)ــ عن تاريخ التعديلات والاضافات الطارئة على الجامع الكبير ويمكن ان نقارن بين هذه وبين المظاهر المعمارية في جامع مولاي سليمان بالرباط ، وقد اسسه السلطان العلوي سليمان بن محمد بن عبد الله ، فالمنارتان متساويتان في الاضلاع والترتيبات

(104) لا شك ان هذه التسمية ترجع لكون مصر هي التي عرفت في العالم الاسلامي بكثرة طبقات دورها ، وقد ذكر المقريزي في خططه ج 1 ص 334 و341 ان مساكن الفسطاط كانت من سبع طبقات .

الداخلية وانسق الفني واحد في السطوح والحزات الجدرانية التي تنصب منها مياه المطر بدل الميازيب وذلك علاوة على تشابه بعض الابواب ويدعم هذا الشبه الواضح ما اشار اليه محمد الضعيف من ان السلطان مولاي سليمان وجه من طنجة احد اعوانه لمخاطبة المعلم الحسن السوداني فيما يجب انجازه من أعمال في جامع الرباط (105) وهكذا يمكن التأكيد بأن الزيادات العلوية في هذا الجامع يرجع الفضل فيها الى الملك الصالح المولى سليمان الذي قام بهذه البادرة المثلى فوسع المسجد وجدد سطوحه .

وقد اقيمت الآن مكتبة مكان السقاية المرينية التي اسفرت الحفريات منذ نحو ربع قرن وجود كتابات تأسيسية في واجهتها وكانت طبقات من الكلس تغطيها منذ اجيال وقد امكن الكشف فيها عن اسم مؤسسها السلطان ابى فارس عبد العزيز بن علي بن عثمان المريني وبذلك يرجع تاريخ بنائها الى القرن الثامن الهجري ، ويبلغ طولها 26ر10 م وعلوها 62ر4 م وعمقها 75ر2 م ، وقد بنيت من الملاط المقوى المغطي بطلاء مع واجهة من الحجر المنحوت المتناسق الترتيب وثلاث حنايا مكسورة واربع اسطوانات تحمل اثنتان منهما هذه الاقواس الرائعة بواسطة تيجان مقربصة وتتراكب فقراتها الحجرية المستديرة في سبع او ثماني طبقات ويزدان الحوض بثلاث حنايا جدارية مشرعة كما تتحلى جبهة البناية بزخارف حول افريز منحوت يدعمه طنف وتتسلسل في شريطه المستطيل (34ر9 م طولا و 10ر1 م علوا) سبع عشرة طاقة معماة ورسوم تذكرنا بباب القصبة وقويسات منحرفة ومشبكات وتعرجات من الأقنثا Acanthe ذات الطابع الكورنتي الاغريقي) وخطوط دائرية قد نقشت فيها وردات تتفرع عنها أربع تويجات في تناسب يخلب الالباب ببساطته ولمعانه واتساق اجزائه الى جانب القوة والرشاقة .

ويقع المارستان العزيزي قبالة الجامع ويظهر انه من بناء السلطان المريني ابى فارس وانه كان مدرسة في الاول ثم احيل الى مارستان فنظارة احباس وهو بسيط في تصميمه تحيط بساحته من ثلاث جهات غرف مستطيلة وابهاء قد رفعت على سوار من حجر تعلوها تيجان محلاة بانعراجات « مؤقنثة » واقواس نصف دائرية ، اما الباب فانها حدوية الشكل قد قامت بجانبيها سويريتان تتصلان بطنف تحمله مساند بارزة وهذا الرسم لا يختلف كثيرا عن تصميمات المدارس المرينية ينقصه المسجد الصفير الذي يقام عادة في المدرسة الا ان تغييرات حديثة قد اضفت على هذا المارستان طابعا علويا بعيد الشبه بالسقاية المرينية المجاورة .

اما الحمام المعروف بالحمام الجديد والكائن بالحي المعروف بتحت الحمام فانه من مآثر أبي عنان المريني كما تشهد بذلك لوحة التحبيس الموجودة الآن بصحن الجامع الكبير والتى تحمل تاريخ 755 هـ وتشير الى ان ريع هذا « الحمام الجديد » ينفق على ضريح السلطان المقدس ابى الحسن المريني وعلى اطعام الفقراء المرابطين بشالة ، ويعتبر هذا الحمام اقدم حمام عرفته رباط الفتح، وتبلغ مساحته 85ر20م طولا في 75ر9 م عرضا ، كما يزدان بروائع معمارية من تيجان هرمية مقلوبة واقواس مكسورة وحذوية وقبة ذات ثماني رفارف Pans قد حملت على عقود ركنية في شكل نصف اقبية متصالبة الروافد ، وفي كل رفرف ثغرة ينفذ منها النور الى الغرفة ، وقد اصبح هذا التصميم عاديا في حمامات الرباط بما فيه من قاعة الاستراحة المتفتحة على الغرفة الباردة التي تفصلها عن القاعة الساخنة اخرى وسطى دافئة تتخلل الكل مخادع منعزلة للاستحمام الفردي وتسود القاعة الاخيرة حرارة تستمد بخارها من حوض ساخن، وقد سرت هذه الحرارة في مجموع الارض المبلطة بالرخام والقائمة على سويريات قصيرة مركبة فوق قويسات من الآجر ، ويشبه هذا الحمام في شكله حمام شالة الذي يرجع لنفس التاريخ وكذلك حمامات مرينية اخرى كحمام المخفية بفاس وحمام وجدة المقابل للجامع الكبير ، وتتسم الحمامات الاندلسية بنفس الطابع مما يعد مظهرا جديدا لوحدة الفن الاندلسي المغربي على ان هذا الترتيب لا يختلف عن التقسيمات الملحوظة في الحمامات الرومانية التي كانت تتوافر بوليلي وباناسا وثموسيدا واوبيدوم نوفوم وباقي المراكز العتيقة .

— ◆ —

وقد توافرت الحمامات ولكن على وتيرة وئيدة نظرا لكثرة ما اقيم منها في العصور السالفة حيث

---

(105) تاريخ الرباط للضعيف ص 531 .

كانت بفاس وحدها 293 وقد كتب بعض المؤرخين ابحاثا حول الحمامات المغربية منها حمامات وجدة وشالة والمخفية بفاس (كتاب الهندسة الاسلامية ص 315) والرباط (تاريخ الرباط لكايي) وقد بنى ابو عنان المريني هذا الحمام الاخير الذى ما زال معروفا الى الآن بحمام العلو مع توقيف ريعه لفائدة المسجد .

وهذه الحمامات لا تختلف عن المستحمات الموحدية الا بغرف فردية للتخلية وباضافة معالم جديدة فى الزينة من فسيفساء وزليجى بالبديع ونقوش على الخشب ونحت على الجبس .

اما المؤسسات العسكرية فانها عديدة منها باب المريسة بسلا (وهي دار صناعة وباب بحري فى هذه المدينة) واسوار فاس الجديد وشالة والمنصورة (قرب تلمسان) .

وقد قام المرينيون بعدة اعمال تعميرية ذات صبغة عمومية مثل بناء المارستانات والملاجىء ودور الوضوء والسقايات وقناطر نقل الماء ، وقد سبق للمهندسين الاختصاصيين أن زودوا بعض الحواضر كالعاصمة الادريسية بالقنوات التي تنقل مياه وادي فاس الى مختلف الاحياء ثم حول الامير يعقوب المريني ماء عين عمير الى المدينة الجديدة التى اسسها بأرباض فاس وهي مدينة البيضاء او فاس الجديد ، وقد اقيمت مؤسسات من هذا القبيل فى العباد وشالة ، والرباط (106) وكان هؤلاء المهندسون اما اندلسيين واما صحراويين مثل الاختصاصي الذى استقدمه الامير من سجلماسة لبناء الخصة المرمرية بالقرويين .

— ◆ —

تلك هي المظاهر الجوهرية التي يمكن ان نستخلص منها صورة عن الفن المريني الذى بدات تتبلور فيه مجالي الازدواج بين الطابعين الاندلسي والمغربي فى شكل جديد سمي بالفن الاسباني الموريسكي Art hispano-mauresque

وبالرغم عن التأثيرات الاندلسية التي وسمت هذا الفن فانه أصطبغ بسمة خاصة اذ عوضا عما كان يذكي المهندس الاندلسي من رغبة فى تحقيق التوازن بين القوى فى المعالم المعمارية هدف المهندس المغربي الى ضمان متانة الهيكل بالاضافة الى ما كان يشعر به من حاجة الى مزيد من الزخرفة والتنميق وهذا هو الطابع العام الذي يتسم به مجموع الفن الاسلامي من تسطيرات ناتئة ومقربصات وتلوينات علاوة على روعة الهندام ورغما عما يتسم به هذا الفن المعماري الذى بلغ فى العصر المريني أوج عنفوانه من أيغال فى التوريق والتسطير والنقش مع قلة توازن بين الاجزاء وعدم جودة المواد فان المجموع ظل – كما يصفه المؤرخ اندري جوليان – واضح المعالم متوازي النسب تتجانس نقوشه تجانسا رائعا ضمن الحيز الذى يملاه وهذا بالاضافة الى ما انطوت عليه الالوان من دقة وجناس كاملين (107) وقد اشيع الفن المريني شرقا وغربا بثروته التى لا تضاهى وروعته الطريفة الاصيلة فكان فنا اندلسيا مغربيا تتناسق عناصره فى العدوتين .

وهذا التناسق الفني يرجع الفضل فيه الى نشاط المهندس الاندلسي الذي كان تاثيره ملحوظا فى مجموع المآثر المعمارية (108) .

وكان للفنانين والمنتجين المغاربة صيت رائع وحظوة لا باس بها حتى فى الشرق غير ان درجة النضج الذي بلغها هذا الفن كانت تنطوي على عناصر انهياره فقد استنفد كثيرا من قواه منذ عهد ابي الحسن وحال قيام الفتن دون تحقيق اعمال عمرانية كبرى بعد ذلك .

وقد حلل الاستاذ طيراس مظاهر المدنية المغربية فى عهد المرينيين (109) فابرز الصبغة الاندلسية والحضرية فى هذه المدنية التي بدات اساليبها

(106) منها السقاية المرينية قبالة الجامع الاعظم بالرباط

(107) تاريخ افريقيا الشمالية ص 456 .

(108) كان ذلك منذ المرابطين وقد لاحظ الناصري نقلا عن صاحب الجذوة ان المهندس الاشبيلي محمد ابن علي هو الذي رسم تصميم دار الصناعة البحرية بسلا واستعمل الاساليب المعروفة بالاندلس (الاستقصا ج 2 ص 11) كما ان نقل مياه وادي فاس لتزويد قصر يوسف بن يعقوب كان على يد مهندس اشبيلي اختصاصي فى علم الحيل هو محمد بن الحاج .

(109) تاريخ المغرب ج 2 ص 76 وما يليها .

ومناهجها تتحجر منذ نهاية القرن الثالث عشر الميلادي فالحضارة لم يعد لها وجود الا فى الحواضر وخاصة بفاس لان مدينة مراكش التي فقدت مركزها كعاصمة صارت تنحدر فى طريق الافول محتفظة ببقايا التقاليد الموحدية .

واذا كان الفن قد استطاع الصمود فى نهاية العهد المريني فما ذلك الا بفضل العناصر الاندلسية التي هاجرت الى المغرب . بحيث اصبح المغاربة منذ عهد الوطاسيين عالة فى كثير من الفنون والحرف على الاندلس (110) ومع ذلك فان الفن المغربي الذي نشطت مقوماته العمرانية ظل محتفظا بجودته النادرة رغما عن انعدام الفخامة فى مجاليه ذلك ان وفرة الزخرفة وثراءها وروعتها انتظمت فى اطار من الوضوح والدقة لا غبار عليه وكان المجهود الفني الذى بذله المرينيون تقلص — كما يقول طيراس — فى الوقت الذى انبهرت قوتهم العسكرية .

كيف تبلور الفن في العصور الأخيرة ؟

1) العصر السّعدي

اتخذ تدخل السعديين صورة ثورية ضد عجز الوطاسيين عن ايقاف الحملة المسيحية وهبوب الاسبان لغزو المغرب بعد سقوط المعاقل العربية فى الاندلس وقد تم احتلال سبتة عام 818 هـ فثارت ثائرة الامة المغربية وطاف دعاة الجهاد فى القبائل يحدون الناس الى مقاومة المغير وقد تركزت هذه الحركة التحريرية حول مراكز اقليمية للتجمع وهي الزوايا واستغل الشرفاء السعديون الموقف فتزعموا هذه الفورة الشعبية ونصبوا انفسهم قوادا للثورة التى لم تنتظم الا بعد ان تمكن البرتغاليون من غزو كبريات المدن الساحلية التى احاطوها باسوار عتيدة وجهزوها بحصون وابراج واقاموا فيها كنائس ومستودعات للماء (مطافيء) .

وقد عرف السعديون كيف يوجهون هذا الحماس الشعبي الرائع الذى كان يعززه العلماء والصوفية فاخرجوا العدو من اكادير وآسفي وازمور واصيلا والقصر الصغير وكللت سلسلة الانتصارات هذه بهزيمة شنعاء مني بها البرتغاليون فى معركة وادي المخازن التى فقدت البرتغال بعدها استقلالها السياسي طوال اثنتين وستين سنة واندرج المغرب بفضل انتصاره الفذ فى صف الدول العظمى تخطب وده بلاطات اوروبا وتسعى فى الحظوة بمعونته وتأييده (111) وقد اثرت الدولة بما دره عليها احتلال السودان وافتكاك الاسرى البرتغاليين فاتجهت نحو بناء مؤسسات معمارية كقصر البديع الذى وصفه اليفرني (112) ملاحظا ان السبب الذى حمل المنصور على انفاق جلائل الاموال ونفائس الذخائر لبناء البديع هو الحصول على مأثرة وشفوف على المرابطين والموحدين ومن بعدهم وقد استغرق العمل فيه المدة المتراوحة بين سنة 986 هـ و 1002 هـ ، وجلب السلطان الصناع الافرنج يجتمع كل يوم من ارباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم حتى كان ببابه سوق عظيم كما جلب له الرخام من ايطاليا فكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن وكان هذا القصر عبارة عن دار مربعة الشكل فى كل جهة منها قبة رائقة الهيئة تحتف بها مصانع من قباب وقصور ودور .. وفيها من الرخام المجزع والمرمر الابيض والاسود ما يحير الفكر وكل رخامة طلي راسها بالذهب الذائب ومِوه بالنضار الصافي وفرشت ارضه بالرخام العجيب النحت الصافى البشرة وجعل فى اضعاف ذلك الزليج المتنوع التلوين وتجسم فى سقوفه الذهب وطليت الجدران به مع بديع النقش ورائق الرقم بخالص الجبس وكان به أشعار مرموقة فى الاستار وابيات منقوشة فى الجهات على الخشب

(110) كردار ج 2 ص 461 .
(111) تاريخ المغرب — طيراس ج 2 ص 189
(112) مناهل الصفا (نقل الناصري فى الاستقصا ج 3 ص 65)

والزليج والجبس وقد هدم المولى اسماعيل هذا القصر عام 1119 هـ « ولم يبق بلد ـ كما يقول اليفرني ـ من بلاد المغرب الا دخله شيء من انقاض البديع » .

ومن المؤسسات الدينية السعدية مسجد باب دكالة الذى بنته مسعودة المزكيتية والدة المنصور ويتناسق فى هذا المسجد الاساوب المريني (الصحن المربع) مع بعض معالم الفن الموحدي.مثل هندام القباب وبعد ذلك بخمس سنوات اسس جامع المواسين بمرافقه من قاعة الضوء والحمام والمدرسة والكتاب (أي المسيد) والسقاية ومورد الماء المخصص للحيوانات وتنم هذه المظاهر الجزئية عن استمرار تقاليد العصور السالفة فى الحقل المعماري .

اما فى جامع القرويين بفاس فان السعديين بنوا قبتين فى الصحن تتوسط كلتيهما خصة مرمرية شبيهة بما يوجد فى ساحة الاسود بالاندلس .

وقد اسهم السعديون فى بناء مدارس صغرى مضافة الى المساجد او الزوايا حيث توجد مثلا فى مراكش عاصمة السعديين أعظم مدرسة بالمغرب (113) يرجع فضل تجديد بنائها الى الامير مولاي عبد الله وهي مدرسة ابن يوسف التى تستمد اسمها من الجامع المجاور لها وقد بناها ابو الحسن المريني (114) وكان اهم مأوى لطلبة جامعة ابن يوسف حيث تحتوي على نحو المائة غرفة الا ان مصلحة الآثار تباشر الآن ترميمها لاحالتها الى مؤسسة أثرية حفاظا على روائعها الفنية وقد خصصت وزارة التربية الوطنية اعتمادات لاصلاح مثيلاتها من المدارس الاثرية المرينية بفاس .

اما قبور السعديين فانها اقيمت على غرار اضرحة المرينيين بساحة ـ قرب مسجد القصبة بمراكش لدفن امراء الاسرة المالكة .

ويلاحظ بخصوص المؤسسات العسكرية ان الانقلاب الذى طرأ على الاساليب الحربية تحت تأثير حركة النهضة الاوربية وانبثاق عهد الآلة وغزو المسيحيين للتراب المغربي كل ذلك حدا الدولة المغربية الى تعديل مناهج وطرق التعمير فالاسوار المحيطة بالمدن الكبرى تعزز بأبراج مجهزة بعتاد جديد لمقاومة المدفعية ومن جملة هذه المعاقل المجردة « باستيون » (أي حصن) تازة الذي بناه المنصور استجابة للحواجز العسكرية القاضية بتزويد ممر تازة الواصل بين الشرق والغرب ـ بالاجهزة الدفاعية المناسبة وهذا الحصن عبارة عن مؤسسة ضخمة مربعة الشكل يبلغ طول اضلاعها ستة وعشرين مترا وتطل منها على المدينة ثلاث عشرة غرفة للرماية كما تحتوي على مستودعات للعتاد وقد اقام المنصور كذلك بفاس (115) برجين آخرين يشرفان على المدينة وما زال البرج الجنوبي على حالته بينما ادخلت تعديلات على البرج الشمالي خلال القرون الاخيرة وتجدر الاشارة هنا الى ان السعديين اضافوا اجهزة قوية جديدة الى المعاقل والحصون البرتغالية فى المدن المحررة (اسفي وأزمور والجديدة) كما بنوا فى طول البلاد وعرضها قناطر ـ ذات طابقين استراتيجي ونفعي ـ ومعابر لنقل المياه وسقايات عمومية على غرار سلفهم .

وقد لاحظ طيراس (116) انه بالرغم عن الجهود التى بذلها كبار الامراء السعديين فانهم لم يسهموا فى انبعاث الحضارة الاسلامية بالمغرب « ذلك ان المدنية والفن كانا متجهين نحو الماضي فلم تستطع بعض التأثيرات الاجنبية تعديل الاصول القديمة ولا تركيز بذور اختلاق جديد » فالفن المغربي اذن هو حسب طيراس « فن خال من كل غض تكتنفه رواسب الماضي» غير ان صلات عابرة وغير مباشرة بالفنون الاسلامية الشرقية تحققت من جديد بفضل ما كان للسعديين من علاقة بالاتراك ولعل بعض هذه الآثار تتجلى فى فن الطرز والنسيج والتجليد والتذهيب وكذلك فى بعض أزياء الرجال لاسيما منها العسكرية نظرا لتأثر امراء سعديين مثل عبد المالك الذى عاش فى تركيا ببعض مجالي الحياة فى هذه البلاد .

---

(113) الهندسة المعمارية الاسلامية ص 392 .
(114) الاستقصا نقلا عن نزهة اليفرني ج 2 ص 56 .
(115) يظهر ان مدينة فاس اعيد بناؤها ايام السعديين ففى عام 1033 هـ انهارت معظم البنايات فقضي على الباقي لاعادة بناء الكل (نشر المثاني للقادري ص 149) .
(116) تاريخ المغرب ج 2 ص 234 .

ومهما يكن فان الفن المغربي الذى استنفد قواه أصبح يرزح تحت عناصر قوية فى النقش والزخرفة والتنميق فقدت بساطتها من جهة ولكنها ازدادت فخفخة ورواء من جهة اخرى (117) .

2) العصر العلوي

العلويون شرفاء حسنيون انحدروا الى المغرب من الجزيرة العربية وأول من دخل منهم الى تافيلالت مولاي حسن بن قاسم اواخر المائة السابعة وقد قام محمد بن الشريف فى سجلماسة عام 1045 هـ فبايعه الناس نظرا لزهادته وتقواه وواصل كفاحه ضد بعض الاقاليم المستقلة وعندما استتب الامر للعلويين فى عهد مولاي الرشيد بدا هذا الامير يهتم بتجديد معالم الفن المريني والسعدي بتعزيز الاجهزة العسكرية ومتابعة بناء المعاهد والمدارس والمساجد وقد استطاع اقامة بعض المؤسسات رغم قصر امد امارته الملآى بالحروب ومن ذلك بناؤه عام 1075 هـ بالآجر والجير فى نهر سبو وعلى بعد اربعة كيلومترات من فاس لقنطرة طولها مائة وخمسون مترا مرفوعة على اعمدة تتخللها ثمانية اقواس (ثلاثة منها انما بناها سيدي محمد بن عبد الله - الناصري - ج 4 ص 121) ثم تقوية أسوار فاس البالي كما شرع عام 1081 هـ فى بناء مدرسة الشراطين بدار الباشا عزوز ولا تخلو هندسة ونقوش هذه المدرسة من جمال الا أن معالمها بعيدة عما يتسم به الفن المريني من صفاء (118) .

واقوى أمير واعظم بناء فى الاسرة العلوية هو مولاي اسماعيل (119) الذى وجه عناية خاصة الى مكناس الا ان مقتضيات التهدئة اضطرته خلال عقدين من السنين الى الجولة فى اقصى الاقاليم التى جهزها بقلاع يبلغ عددها ستا وسبعين فى المغرب وشمال الاطلس (120) .

وفى مكناس التى اختارها مولاي اسماعيل عاصمة اقام قصورا فخمة داخل القصبة نفسها منها مدينة الرياض التى لم يبق منها سوى باب الخميس وقد سبق للموحدين ان جددوا بناء مكناسة المسماة بتكرارت (اي المحلة) ثم بنى المرينيون قصبتها علاوة على ما شيدوه بها من مساجد ومدارس وزوايا وربط وعندما اراد المولى اسماعيل بناء الرياض هدم ما يلي القصبة من الدور وبنى سورا على الجانب الغربي وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة وزاده فى القصبة القديمة ولم يبق امامه الا الفضاء فجعل ذلك كله فى قصبة وبنى سور المدينة وأفردها عن القصبة جالبا الصناع لذلك من جميع حواضر المغرب وقبائله وكان قد سبق له أن اسس قصر النصر أيام اخيه مولاي رشيد (121) وقد وصف الناصري قصور مكناسة ومساجدها ومدارسها بانها « فوق المعهود بحيث تعجز عنه الدول » كما ذكر الزياني أنه شاهد فى آثار الدول اعظم من آثار هذا الامير (122) ولا يخفى ما فى ذلك من ايغال بالرغم عما تنم عنه بعض الآثار الباقية من روعة الاصل (123).

---

(117) تاريخ المغرب ، كواساك دو شافر وبيير ، الفصل الخاص بالسعديين .

(118) تاريخ افريقيا الشمالية لاندري جوليان ص490 وقد استعيض بهذه المدرسة عن مدرسة اللبادين وهي تحتوي على عدة غرف ذات نوافذ .

(119) الهندسة المعمارية الاسلامية فى الغرب - جورج مارسي ص 383 وقد وهم مارسي فذكر ان مولاي اسماعيل هو ولد مولاي رشيد .

(120) راجع كتابي حول مظاهر الحضارة بالعربية والتيارات الكبرى لحضارة المغرب بالفرنسية (ص 90) .

(121) الاستقصا ج 4 ص 3 .

(122) الاستقصا ج 4 ص 48 - 49 .

(123) فى عام 1145 هـ امر السلطان مولاي عبد الله بهدم مدينة الرياض (الزياني - الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب) ترجمة هوداس ص 71

وتقوم الى الآن وسط بقايا هذه القصور الدار البيضاء التى بناها السلطان مولاي عبد الله والتى رممت واحيلت الى اكاديمية عسكرية وتوجد امام هذه الدار ساحة فسيحة كانت تجري فيها تدريبات الجيش واستعراضاته وكان السلطان يجلس مع حاشيته اثناء حفلات الاستعراض او استقبال القواد والولاة داخل رواق جميل (124) مرتفع ومتفتح فى احدى زوايا هذا القصر .

وفى مراكش اقيمت دار المخزن بساحتها المغروسة المعروفة بعرصة النيل ومنازهها وقبتها الكبرى المدعوة الستينية ومساكنها واروقتها العديدة ومسجدها مع مختلف ملحقاتها المحادية لقصر البديع .

والباهية دار الوزير باحماد من اجمل واروع قصور عاصمة الجنوب .

ومن المساجد التى يرجع تاريخها الى العهد العلوي مسجد لالة عودة الواقع داخل القصر الملكي بمكناس وقد فتحت بالقرب من المحراب باب تتصل بممر مستطيل يؤدي الى القصر الملكي ومن هذه الخوخة كان السلطان يدخل بعد اداء فروضه الى الستينية التى تقطنها الآن اسرة مولاي عبد الرحمن ابن زيدان مؤرخ الدولة العلوية ونقيبها سابقا وتقوم بجوار هذا المسجد مدرسة ومراحيض جددت الاوقاف معالمها بعهد الاستقلال .

وتدين العاصمة الاسماعيلية للمولى محمد بن عبد الله بأعظم جوامعها وهو جامع الروى الذي اكد مارسي أن مظاهر روعته وجماله تتجلى فى تناسب صحونه وبساحته وبتصميمه الذى عولجت فيه العناصر التقليدية بروح اجنبية عن الفن الاسلامي وبانعدام اي ممشى وبتناسق اجزاء الصحن الخارجي الذى لا يحيط به اي رواق ثم وضعية الابواب وتوزيعها الخاص المنافيين للمعهود فى خوخ المساجد المغربية مما يدل فى نظر المؤرخ الفرنسي على استعانة السلطان بمهندس اوربي لتخطيط هذه البناية .

وفى فاس الجديد يوجد المسجد الذى بناه مولاي عبد الله نجل المولى اسماعيل اما مسجد باب الكيسة (باب عجيسة من ابواب فاس البالي) فهو حديث العهد وقد ادخلت عليه اصلاحات فى السنوات الاخيرة .

وتشتمل جميع هذه المساجد العلوية على صحون – قليلة العدد – تخترق المسجد على نسق ما عوهد فى فاس منذ ازيد من احد عشر قرنا باستثناء الفترة المرينية . اما فى الرباط فان جامع السنة الواقع خارج مشور تواركة من بناء سيدي محمد ابن عبد الله الذى اوصل الناصري الى نحو السبعين عدد منجزاته المعمارية ما بين منشأ ومجدد فى كثير من مدن المغرب علاوة على الصقائل والابراج والحمامات والاسواق والاضرحة والمدن (انفا وفضالة والمنصورية والصويرة (125) .

وقد تجدد جامع السنة أواخر القرن الماضي ثم فى السنين الاخيرة وكان يحتوي على ساحة تحتل المقام الاول – مع ساحة صحن الجامع الاكبر بسلا – بين مساجد المغرب وتقوم فى جانبها الموازي للقبلة ست عشرة غرفة كان يسكنها الطلبة الافريقيون ويشبه هذا المسجد فى معالمه المعمارية الخاصة مسجد لالة عودة بمكناس وقد تجدد بناؤه فأصبح اروع المساجد وأبهاها فى المغرب .

اما فى الهندسة العسكرية فان العلويين ساروا على غرار سلفهم السعديين فالمولى اسماعيل اعظم من اقام القلاع والحصون وتنقسم القصبات التى أسسها الى ثلاثة أنواع تبعا للمراد منها حسب المؤرخ طيراس (126) فهنالك نقط محصنة حول القبائل المتمردة وسلسلة من القلاع فى تادلة واعلى الملوية لصد قبائل الاطلس ثم سلسلة ثالثة من القلاع اسست على طول الطرق الكبرى الممتدة بين تازة وتارودانت وقد توفرت كل حامية على جمهرة من

(124) جورج مارسي – الهندسة المعمارية ص 397 .
(125) الاستقصا ج 4 ص 121 .
(126) تاريخ المغرب ج 2 ص 358

الفرسان تتراوح افرادها بين اربعمائة وثلاثة آلاف رجل (127) .

ومن جملة القلاع المهمة التي ما زالت قائمة الى الآن قلعة ادخسان في الشعاب الشمالية للاطلس واكوراي (وهي التى احتفظت اكثر من غيرها بهندامها الاصلي) التى تراقب الاطلس الاوسط وقلاع تادلا وحميدوش (على مسافة ثلاثين كم من آسفي) وبو الاعوان (على بعد 60 كلم من ازمور) ومديونة (على مسافة 20 كم من الدار البيضاء).

وكانت كل قصبة مسورة ومجهزة بأبراج مربعة الشكل او مستطيلة فى احد جوانبها وتتضمن مسكن القائد والمسجد ومستودع المؤن والغالب ان القلعة لم يكن لها اكثر من سور واحد عدا قلعتي حميدوش وتادلة اللتين كانت لهما حظيرة مزدوجة .

وقد جهزت المدن كذلك بالصقائل والحصون (128) وانتشرت القلاع على ساحل المحيط الاطلنطيقي بفضالة (المحمدية الآن) والبيضاء والعرائش وطنجة والصويرة وبالاخص الرباط حيث تشرف اعظم واروع قصبة (قصبة الأوداية) على مصب ابي رقراق وتوجد بهذه المدينة ابراج ثلاثة اخرى هي برج الصراط وبرج صقالة (من بناء المهندس احمد الانجليزي فى سنتي 1755 و 1776 م) فى عهد سيدي محمد بن عبد الله وبرج الدار الحديث العهد (عام 1824 م) (129)

ومن بين العمارات الاستراتيجية العلوية القنطرة فوق نهر سبو على مسافة اربعة كيلومترات من فاس (وهي من بناء مولاي الرشيد) وقنطرة أم الربيع (بنيت ايام مولاي اسماعيل) والتى لا يقل طولها عن طول القنطرة الرشيدية مع عشرة اقواس من الحجر .

اما الدار المغربية فانها احتفظت بتصميمها وهندامها المعماري اللذين اصبحا المظهر التقليدي منذ نهاية العهد المريني اي منذ نحو من خمسة قرون فالباحة الداخلية التى تتصل بالخارج عن طريق ممر منعرج - يتناسب مع لوازم الحجاب العرفية - محاطة باروقة مسقفة مستطينة تتفتح فيها غرف ذات أبواب ضخمة تعلوها شماسات مفرغة وتقوم على جانبها نافذتان متوازيتان وفى احد جوانب « وسط الدار » يوجد بهو منمق الجدران كباقي اجزاء المنزل علاوة على سقاية تواجه البهو احيانا او فسقية فوارة .

ويرى المؤرخ جورج مارسي ان الدور المغربية تتسم بمياسم ثلاثة او ترجع الى ثلاث مدارس :

1) مدرسة الرباط وسلا ومدن الساحل

2) مدرسة مكناس وفاس

3) مدرسة مراكش ومدن او قرى الجنوب

فالتصميمات واحدة فى هذه المدارس وانما يختلف الهيكل العام ومعالم الزينة تبعا لهذه الاقاليم فالاسلوب الموحدي يغلب وجوده فى المدن ذات الطابع الاندلسي حيث تحيط مثلا الحنايا الحجرية بساحة الدار الوسطى (130) وهذه الطريقة الهندسية مقتبسة من الاندلس .

---

(127) ذكر الزياني فى الترجمان (ترجمة هوداس ص 35) ان عدد فرسان كل قاعة كان يبلغ مائة على راسهم قائد مسؤول عما يقع في اقليمه من احداث وكان فى قلعة باب الخميس حامية تتركب من خمسمائة فارس من شراكة كلفوا بالسهر على الامن فى الطريق الواقعة بين السايس والمهدومة (وادي المهدومة من فروع سبو)

(128) كان عدد المدن فى العهد العلوي مائتين وخمسين مدينة لا تحتوي اصغرها على اقل من ثلاثين الفا من السكان وكان بفاس ستة عشر مائة الف نسمة (اسماعيل الاكبر امبراطور المغرب - دوفونطان ماكسانج ص 14) هذا بينما كان عدد كبريات الحواضر فى الاندلس يبلغ العشرين حسب ابن سعيد والمدن الوسطى ثلاثمائة مع عدد ضخم لا يحصى من المراكز الصغرى من بينها اثنا عشر الفا على ضفتي الوادي الكبير وحده (نفح الطيب ج 1 ص 106) .

(129) تويريخ الرباط لكابي ص 30 .

(130) هذا الاسلوب يغلب حتى بفاس التى يسود دورها الطابع المريني وتلاحظ كذلك تأثيرات اوربية فى هذه المدن اذ لا ننسى مثلا ان السويد والدانمارك كانتا تمدان السلطان سيدي محمد بن عبد الله بمهندسين وصناع فى فن البناء (كودار ج 2 ص 564)

وفى بعض المدن كفاس حيث تسيطر التقاليد المرينية تحتوي الدار على طبقتين او طبقات تتوفر فيها مظاهر الزخرفة بينما يتبسط هذا الاسلوب فى مدن الشمال الاخرى كوازان وتازة (باستثناء تطوان الاندلسية الهندام)

وسواء فى الجنوب ام فى الشمال فان الطوب والآجر يتعارضان مع الاحجار غير المنحوتة والكلسة فى الرباط وسلا ويتجلى ذلك فى نصاعة البياض فى هذين المدينتين بالنسبة لمراكش الحمراء غير ان معظم الدور الكبرى كانت تحتوي على روض يشغل جناحا خاصا باروقته وغرفه وظلت بعض المدن متمسكة بهذه التقاليد الرومانية او الاندلسية ففى تطوان مثلا يملك الاثرياء مصطافات « وجنانات » لقضاء حقبة من فصلي الصيف او الربيع ولم تكن اثمان العقارات مرتفعة بالبادية فالهكتار الواحد من الحدائق المفروسة كان يساوي آخر القرن الماضي بطنجة مائتي فرنك بينما كانت قيمة الفدادين (من 7 و 8 هكتارات) لا تزيد على مائة فرنك اما فى الداخل فكان فى وسع المرء ان يصبح ملاكا بمائتي او ثلاثمائة فرنك (131) . وقد تجلى ذوق الملوك فى غراسات بعض الضيع كالمنارة بمراكش ولالة مينة بفاس وجمرية بمكناس واكدال بالرباط .

ويعيش المغرب الآن عالة على روائع الماضي فكبريات المدن فقدت كثيرا من مظاهرها الفنية الكلاسيكية ومدينة فاس التى كانت تنافس حاضرة بغداد قد تهدم الكثير من آثارها وقد وصف كامبو هذه المعالم عام 1886 م فلاحظ فى نغمة المتشائم ان الحالة المادية بالمغرب لا تزال على ما كانت عليه فى القرن الثالث عشر الميلادي مع انحلال فى عناصرها اذ كل شيء بال عتيق منخور فى معظمه لانعدام اي اصلاح (133) الا ان مصلحة الآثار تبذل الآن جهودا لترميم المآثر التاريخية التى يهددها الحدثان مع محاولة الاحتفاظ بالاساليب الكلاسيكية فى الفن المغربي بالاضافة الى حركة التجديد التى تساير التطور العالمي وقد لخص الاستاذ طيراس مجالي الفن الاندلسي المغربي فى العهد العلوي بعد مرور اربعة قرون على سقوط غرناطة فلاحظ ان الاشكال والرسوم المعمارية تحجرت لاسيما فى المساجد الكبرى والقصور حيث تطبعها الآن « وحدة قوية » اما فى الدور والاضرحة والمساجد الصغرى فالملحوظ هو وجود اتجاهات اخرى لا يتردد طيراس فى اعتبارها « مدارس حقيقية » ويلوح لي أن الامر لا يعدو نوعا من التحجر المحلي بحيث تبلورت بعض الاساليب الكلاسيكية الغالبة فى هذا الاقليم او ذاك بنوع من التبادل بين الجهات المختلفة لم ينصهر على اثره الفن فى بوتقة واحدة فقد استمرت التقاليد المرينية بفاس (وكذلك فى مكناس رغم الفترة الانتقالية العابرة ايام مولاي اسماعيل) وهكذا فالمسحة بل الشكلية الموحدية (الحجر بدل الآجر مثلا) المسيطرة بالرباط مدينة المنصور وبمراكش عاصمة بني عبد المومن لا تسمح لنا بالحديث عن مدارس معمارية مختلفة فضلا عن وجود انفصام بين الاتجاهات الفنية التى ترجع فى نظري الى عوامل اجتماعية تاريخية هي نفسها مستديمة التقلب ولعل هذا هو الذى يفسر لنا مظهر التجانس بين اجزاء الهيكل المعماري العام فى حواضر المغرب فالدور الانيقة لا يختلف كثيرا بعضها عن بعض من حيث الشكل واسلوب الزخرفة ذلك ان وفرة الجزئيات والزخارف المرينية من جهة وبساطة نقوش المآثر الموحدية مع صفائها وفخامتها من جهة اخرى لم يعد لهما حيز اقليمي خاص لاسيما فى العصور الاخيرة حيث تحقق بين الحواضر الكبرى (كفاس والرباط ومراكش) تداخل عميق اسفر عن وجهات متساوقة وحيوية فياضة هي فى نظري سر هذا الطابع العام الموسوم بالوحدة ولكن هذه البوتقة لا تلبث ان تصبح وعاء لانصهار العناصر المختلفة فى فن جديد تتسق فيه معطيات العصور وتنبثق عن مزيج كلاسيكي وعصري

فهل من مصلحة هذه المعالم ان تتحد ؟ ام ان سر جاذبيتها كامن فى اختلاف معالمها ؟ ام ان استمرار أصالتها لابد ان يرتكز على نوع من الامتزاج ؟

الواقع أن الهندسة والاساليب المهنية البربرية العتيقة التى يظهر انها تحجرت فى البادية والجبال يجب ان تنتعش بمعطيات الفن فى الحواضر ولكن دون مساس باصالتها ويجب ان ينبثق كل تجديد عن حاسة عريقة بالجمال وشعور تلقائي بدافع التكيف

(131) كودار ج 1 ص 190) .

(132) حضارة العرب ــ كوستاف لوبون ص 263 (الطبعة الفرنسية)

(133) كتاب «مملكة تنهار او المغرب الحديث» ص19 .

لا تذوب معه الخواص الجهوية التى هي اسس كل اصالة .

ولنضرب مثلا بروعة المآثر العلوية فى حاضرة المغرب السياسية : رباط الفتح ، فقد دشن المولى اسماعيل الانطلاقة المعمارية الرائعة باقامة مدينة الرياض بمكناس التى بلغ طول اسوارها اربعين كيلومترا واحتوت على قصور فخمة ومخازن واهراء واسطبلات ومساجد وقد شبهها البعض بمدينة فرساي الفرنسية من حيث الضخامة والروعة .

ويظهر ان اهتمام كل من مولاي رشيد ومولاي اسماعيل انصب خاصة فى الفترة العسكرية الاولى على قصبة الاوداية التى لم تكن لتخفى عليهما قيمتها الاستراتيجية فقد وسع المولى الرشيد هذه القلعة باقامة السور المحيط بحديقة متحف الاوداية على طول مساحة سوق الفزل كما ادخل تعديلات على البرج الشرقي للقصبة وبنى قصرا جديدا سمي بعد بالقشلة (اي الثكنة العسكرية) وهو السجن الحالي يصله بالقصبة جدار كبير (134) حسب مويت Mouette الذى لاحظ ان هذا الجدار الذى كان يدعمه برجان اثنان قد اقيم على حنايا بينما اوضح القنصل الفرنسي شينيي (135) Chénier ان هذا الجدار كان عبارة عن طريق مغطاة ويظهر ان الوضع الذى شاهده القنصل الفرنسي راجع الى تعديلات لاحقة طرات على هذا الممر .

اما السلطان مولاي اسماعيل فان اهتمامه ببناء القلاع والحصون فى طول المغرب وعرضه قد حداه الى مزيد من العناية بقصبة الاوداية لاسيما وان استمرار القرصنة جعل من هذه مركزا بحريا من أهم المراكز الاستراتيجية ومعلوم ان هذا السلطان تنازل عن الحقوق الملكية فى نهر ابي رقراق واوقف ارباع صيد الشابل على مساجد العدوتين كما رمم جوانب من سور القصبة وجدد – حسب مويت – بناء بعض الابراج المطلة على الوادي ، واقام البناية التى تضم الآن المتحف والتى قيل عنها انها كانت مدرسة .

وقد ترك لنا رحالون غربيون تواردوا على المغرب فى القرون الاخيرة صورا وخرائط وتصميمات عدلنا عن الاستناد اليها لتناقضها مقتصرين على بعض النصوص التاريخية القائلة مثلا بأن المراكب المسيحية كانت تلقي مرساتها تجاه القلعة التي كانت ترابط بها فى العهد الرشيدي حامية مؤلفة من ثلاثمائة جندي اضيف اليهم العبيد ايام المولى اسماعيل الذى اكتفى بهم فى آخر الامر وكانت القصبة آنذاك تصوب فوهات مدافعها الى رباط الاندلسيين كما توجه بطارياتها تجاه البحر لصد غارات المراكب الاوربية على ان القصبة نفسها كانت تخضع لمراقبة قصر مولاي رشيد الجديد المشرف عليها ، وكانت باب من خشب تقفل المدخل الاساسي للقصبة التى توافرت فى جنباتها المساكن والاصطبلات والمخازن حول القصر الموحدي المقابل للجامع العتيق بسراديبه المشحونة بالعتاد بمنأى من قنابل العدو فكانت القصبة كناية عن حاضرة صغيرة ينعقد تحت جدرانها سوق النخاسة للاسرى .

وعند انبثاق عهد السلطان محمد بن عبد الله دعت الحاجة الى تنظيم الادارة وتعزيز الثغور وتجديد الاسطول وتشجيع القرصنة والتجارة فاسهمت حاضرة الرباط بحظ وافر فى هذه البادرات وكان السلطان يتوفر – حسب شينيي (136) – على ستين مهراسا ومائتين من المدافع معظمها فى الرباط والصويرة وهو عدد ضخم بالنسبة للعصر ، وقد قام السلطان بدعم القصبة من جديد وترميم ما تهدم منها وبناء برج كبير يسمى صقالة على يد احد الاعلاج الانجليز معززا ببطاريات تحرس الساحل على طول المسبح وبرج الصراط والغي الممر المغطى بين القصبة والقصر الجديد ، كما هدم القصر الموحدي الذى احتفظ الى ذلك العهد بجميع مقومات الراحة وكان السلطان قد اسس خزينة (بيت المال) لاداء اجور الجند فى

---

(134) مذكرات الأسر (ص 19)
Relation de la captivité de sieur Mouette dans les Royaumes de Fès et de Maroc, Paris 1683 p. 19.

(135)
Recherches historiques sur les Maures et Histoire de l'Empire du Maroc, 3 vol. Paris, 1787 (T. 3, p. 27-359).

(136) نفس المصدر ج 3 ص 237 .

جميع مراسي المحيط الاطلنطيكي ، وكانت خزينة الرباط قائمة فى غرف باب القصبة ويظهر ان الباب الثانية للقصبة اسست فى هذه الفترة لان الخطر اصبح محصورا فى جهة البحر حيث ازدهرت القرصنة ضد اساطيل العدو .

وقد عمل السلطان سيدي محمد على اقامة صرح مدينة جديدة فى اكدال بالمشور الحالي واسس دار المخزن وجامع السنة وجامع اهل فاس وهو اول عمل معماري عرفته الرباط منذ يعقوب المنصور الا ان الحاضرة العلوية تجاوزت آنذاك السور الاندلسي واستحالت الى حضرة سلطانية وقد اكد الناصري فى الاستقصا ان اكدال ازدان آنذاك بستة مساجد علاوة على جامعي السنة واهل فاس الا ان المدينة ما لبثت ان فقدت من قيمتها فى عهد مولاي اليزيد ، وقد عمل السلطان المولى سليمان على توسيع معالم المدينة ببناء قصر القبيبات « دار البحر » (الذى يوجد فيه الآن المستشفى العسكري) وجامع مولاي سليمان (بين البويبة والسويقة) وجامع الجزارين (بشارع القناصل) وجامع القبة (بحمام العلو) وجدد باب شالة فى السور الاندلسي وكذلك باب الحد بينما اهمل القصبة كل الاهمال ومع ذلك فقد اصبحت الرباط مثل فاس ومكناس حضرة من حضرات السلطنة لاسيما فى ايام المولى عبد الرحمن الذى اصبح قناصلة الدول يقدمون له بالرباط أوراق اعتمادهم الا ان هذا السلطان لم يضف الى المدينة مآثر جديدة اذا استثنينا جامع سيدي فاتح وبعض الابراج والدور الجميلة وسط جنان وحدائق غناء زرعت خارج السور ، وقد اصبح الملوك العلويون المتأخرون وخاصة سيدي محمد بن عبد الرحمن والحسن الاول يواصلون المقام بالرباط، وقام السلطان محمد الرابع بتغيير وجه جانب من الحاضرة بما احدثه من بنايات اهمها القصر الجديد فى اكدال على انقاض القديم وهو القصر الملكي الحالي مع سور المشور المحيط بتواركة (اي ساحة البلاط السلطاني) علاوة على تجديد معالم جامعي السنة واهل فاس وايصال قنوات عين غبولة الى دار المخزن على قناطر معلقة لم تعد مستعملة منذ عقود من السنين وبذلك احيى محمد الرابع الحضرة السلطانية التى اسسها خلفه الكريم محمد الثالث ، وقد صادفت بيعة الحسن الاول تأجج أطماع الاوربيين ودسائسهم بالاضافة الى مخلفات ورواسب حربي ايسلي وتطوان فاتجه الملك الشجاع الذي كان عرشه على صهوة جواده الى تعزيز الامن والنظام ودعم الثغور مع العمل على ترميم ما لحقه الخلل من مؤسسات الرباط وخاصة الجامع الكبير وقصري اكدال والقبيبات ولم يكد يبزغ فجر القرن العشرين حتى اصبحت الرباط مدينة حضرية ببورجوازيتها الثرية وتقاليدها التي اضفى عليها جوار القصر الملكي طابعا من الروعة والمهابة بالاضافة الى ما تستلزمه جودة المناخ من رغد وازدهار حدبا الجالية الاوربية الى الاستيطان على ضفاف ابي رقراق وخلق نوع جديد من التبادل الفكري والحضاري الذي تبلور مع الزمان فى اروع مظاهره حتى قال بعض المؤرخين الاجانب ان الرباط امست « مفتاح المغرب » (137)

اما السور الرشيدي فانه يحاديه حديقة الاوداية وساحة سوق الغزل على طول 131،6 م وقد اسسه بأمر من مولاي الرشيد قائد العدوتين احمد الريفي ضمن مجموع مسدس الزوايا والاضلاع يضم المتحف والحديقة وتخترقه اربعة ابواب معززة ببرجين من الطابية ومن مميزات هذه الابراج الرشيدية التى خالف فيها شكلية التحصينات الاندلسية المغربية ان ما يسمى بالسجف او البدنة (وهو جدار الحصن القائم بين برجين) بارز بالنسبة للسور ظاهرا وباطنا اي سواء من جهة الساحة أم الحديقة وقد نقشت على جانب من البرج خمسة رسوم تمثل المراكب بصواريها واشرعتها ومجاذيفها الاثني عشر فى كلتا الجهتين وهذه النقوش اشبه بالرسوم المنحوتة على أبواب السور الموحدي بالرباط او فى شالة ومهدية وباب المريسة (بسلا) وحصن تازا ومكناس وزرهون .

ويقع المتحف فى الجهة الغربية من الحديقة ، وقد اسس فى عهد مولاي اسماعيل (كما تشهد بذلك الكتابة المنقوشة على الخشب فى ساحة المتحف (138) وتزدان خزانته بنسخة من القرآن

---

(137) Archives du Protectorat - Consulat général de France à Tanger (« Dépêche », 1887)

(138) يقول مؤرخ سلا محمد بن محمد بن علي الدكالي ان نجل السلطان مولاي احمد الذهبي سكن فى المتحف عندما كان ينوب عن والده فى العدوتين .

كان قد حلى تجليدها بتمويهات الذهب الخليفة الموحدي عمر المرتضى عندما كان واليا على القصبة قبل اعتلائه العرش ويحتوي المتحف على ساحة مركزية على غرار ساحات الدور الكبرى وغرف مستطيلة تمتد على الجوانب الاربعة مع مخادع صغرى وبرج فى الركن الجنوبي من خمس طبقات وثلاث ملحقات وهي مسجد وحمام (139) وقاعات صغرى وتسند الابهاء الاربعة خمس حنايا باقواسها المكسورة والحدوية وقد اطلق اسم مدرسة على هذا المتحف فى آخر عهد الحسن الاول الا ان تصميمها لا ينطوي على بيوت للطلبة اذا اعتبرنا ان المدرسة كانت منذ العصور الاولى عبارة عن حي جامعي مصغر اللهم الا اذا كان ملوكنا الامجاد قد استغلوا قرب هذه البناية من المرسى لاحالتها الى معهد للملاحة (140) بعد ان كانت مجرد دار ملكية للسكنى محاطة بحديقة ومسجد وحمام .

وكان السور العلوي الخارجي ينطلق من شاطىء المحيط الاطلنطيقي فى نقطة تبعد بالف وستمائة متر فى الطرف الشمالي للسور الموحدي وينقسم هذا السور الى شقين يبلغ طول احدهما 200 3 م ويصل الى اكدال بعد مايقطع شارع تمارة وشارع النصر الى باب مراكش التى ما زالت قائمة الى الآن بالقرب من السكك الحديدية (خلف حديقة التجارب) اما الشق الثاني فانه يتصل مباشرة بالسور الموحدي ويبلغ طوله الفا ومائة متر ، وقد فتحت فى السور اربعة ابواب (باب القبيبات فى جهة البحر (او باب الدار أيضا) وباب تمارة فى الشارع الذى يحمل هذا الاسم او باب تامسنا ، وباب مراكش (او باب الجديد او باب المجاز او باب المدير البراني) وباب المصلى (لقربها من المصلى الحالي) وهكذا يمكن القول بأن السور العلوي بلغ طوله أربعة كيلومترات وثلاثمائة متر وكانت المساحة التي تفصل المحيط عن الصور الموحدي اربعمائة وأحدا وعشرين هكتارا بينما كان مجموع المساحة - بادراج المدينة العتيقة - يزيد على ثمانمائة واربعين هكتارا اي الضعف ولا نعرف بالضبط تاريخ بناء هذا السور نظرا لسكوت المصادر المغربية ككتب الزياني والضعيف والناصري عن ذلك عدا مؤرخ سلا الفقيه ابن علي الدكالي الذى ذكر ان بانيه هو السلطان محمد الرابع (141) وقد هدم هذا السور ابان الحماية لتسهيل عمارة المدينة الاوربية ويظهر ان هذا السور لم يكن يحتوي على طريق معلقة ولا على ثغرات للرماية .

وهنالك بنايات اقامها الملوك العلويون الامجاد فى السور الموحدي مثل برج لالة قضية قرب باب البحر التى كانت الفنك (المراكب) تنقل اليها الناس من سلا الى الرباط عندما كان ماء النهر يبلغ فى مده هذا الجدار العلوي الا ان ارصفة جديدة اسست منذ نصف قرن فصارت تحجز مياه الوادي وقد اقيمت عليها مخازن الديوانة واماكن لارساء السفن الصغرى ومستودعات ملاحية مختلفة .

المشور : ويشكل المشور (اي ساحة القصر الملكي) مربعا تبلغ مساحته تسعة واربعين هكتارا وهو يحتوي الآن بالاضافة الى القصر الملكي المذكور على ضريح الحسن الاول الذي يضم جدث السلطان سيدي محمد بن عبد الله قدس الله روحه وجثمان جلالة الملك المرحوم محمد بن يوسف (الذى نقل الآن الى حسان)، كما يضم جامع اهل فاس والمجلس الاعلى للقضاء (الذي كان معهدا تلقى فيه جلالة الحسن الثاني نصره الله دروسه فى السلكين الابتدائي والثانوي قبل الالتحاق بالعالي) ووزارة الدفاع ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وملعب الفروسية والمطبعة الملكية ومساكن الحرس الملكي التى احيلت الى دور عصرية بعد ان كانت عبارة عن « نوايل » او اخصاص قصديرية واصبح المشور فى هندامه الجديد بحدائقه الغناء وفواراته النافورية واضوائه اللماعة وارصفته المبلطة صورة حية للمجهود الذى بذله العرش المغربي بعد الاستقلال فى مجالات التخطيط والعمران .

---

(139) الحق بالمتحف عام 1941 .

(140) اشارت الى ذلك مصادر اجنبية وخاصة كتاب «الرباط وناحيته» الذى نشرته البعثة العلمية الفرنسية فى اربعة مجلدات عام 1918 بباريس (ج 1 ص 151) .

(141) يلاحظ كايبي فى تاريخ الرباط ان ذلك غلط لان سيدي محمد بن عبد الرحمن هذا لم يعتل العرش الا عام 1859 م فى حين ان Beaumier نائب قنصل فرنسا بالرباط تحدث منذ عام 1856 عما سماه بالسور الثاني للرباط ولعل كايبي واهم فى ذلك على ما يلوح لنا لانه ربما كان المقصود بالسور الثاني هو سور الاندلسيين وهو اقرب الى الاحتمال .

وينطبق سور المشور غربا وجنوبا على السور الموحدي بينما اضيفت لاستكمال تربيعه الجانبان الشمالي والشرقي وقد بنيت البابان الاساسيتان فى العهد المحمدي وصارتا تحملان اسم « باب السفراء » و « باب القيادة العليا » وتدل الكتابات المنقوشة عليهما أن احداهما من بناء السلطان مولاي عبد الرحمن (عام 1283) والاخرى من بناء ولده محمد الرابع مما يدل على أن السور يرجع عهده الى هذا التاريخ . ويبلغ طوله 1373 م كما تزدان ابوابه بحنايا مشرعة رائعة بنواتئها الخفيفة وعقودها الركنية ومصاريعها الخشبية الثقيلة وتحصيناتها .

اما التجديدات والترميمات التى قام بها الملوك العلويون بالنسبة للسور الاندلسي فانها مستوحاة من تطور الحاجيات ولوازم الحضارة فمن ذلك باب تسمى « تقويسة الراعي » (كانت بجانب المجزرة التى يحمل اليها الرعاة الغنم والبقر) التى تحمل كتابات يرجع صنعها الى السلطان محمد بن عبد الله عام 1193 بينما توجد باب اخرى متصلة بشارع الجزاء تعرف بتقويسة الطرافة (اي باب الاسكافيين او مصلحي الاحذية) وتدل الكتابات المنقوشة عليها انها جددت فى عهد السلطان مولاي عبد العزيز عام 1315 هـ أما باب شالة المؤدية الى الجامع الكبير (تسمى ايضا باب سيدي علي بورحى وهو الولي المدفون بإزائها) فقد جددها المولى سليمان فى 16 جمادى الثانية عام 1228 (كما فى النقش) (142).

وكانت مدينة الرباط تضم بين جنباتها ازيد من خمسين مسجدا وزاوية فى اوائل هذا القرن ، وقد اسس معظمها فى العهد العلوي اهمها جامع السنة وجامع أهل فاس وجامع أهل سوس وجامع أهل مراكش وكلها من بناء السلطان الامجد محمد بن عبد الله علاوة على ستة مساجد أخرى تهدمت مع ما تهدم فى اكدال (143) وسنستعرض على التوالي المظاهر المعمارية فى ثلاثة من هذه المساجد هي جامع السنة وجامع اهل فاس وجامع ملين .

اما جامع السنة فقد اقيم بالجامع الغربي والطرف الشمالي الخارجي لمشور تواركة قرب ليسي مولاي يوسف الحالي وقد اكد الضعيف ان بناءه تم فى جمادى 1199 هـ (مارس 1785 م) على يد الملك الهمام محمد بن عبد الله الذي انفق عليه اموالا طائلة ، ويظهر انه ظل منذ تأسيسه نحوا من عشرين سنة خاليا لبعده عن المدينة وقلة السكان حوله مما حدا السلطان مولاي سليمان الى نقل اخشاب سطوحه لتسقيف جامع علي ابن يوسف الذى انمحت آثاره الآن بمراكش (144) وكان بجانب المدرسة التى تحمل نفس الاسم ، وقد قام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بتجديد بناء جامع السنة الذى اصبحت الصلوات الخمس تقام فيه بانتظام مع خطب الجمعة وذلك بعد ما بادر الى زيادة تعمير حي تواركة بعبيد البخاري واهل سوس ثم اقامة دار المخزن والمشور السعيد ولم تزد الترميمات الجديدة على دعم صحون الصلاة بروافد خارجية دون تعديل التخطيط الاصلي للجامع مع اضافة جناح وباب جديدين خلف المقصورة وربما ايضا دار للوضوء قرب الصومعة ومخدع مستطيل وراء المحراب يرجع تاريخه الى عهد السلطان مولاي عبد العزيز (1325 — 1907) . واول ما يبده الزائر لجامع السنة مساحته الشاسعة وتناسق أجزائه وبساطته ، واذا اعتبرنا تخطيطه الاصلي فان المساحة تكون عبارة عن مربع كامل (70ر74 م فى 50ر74 م) أي 5565 متر مربع ، وهذا الجامع من اكبر مساجد المغرب ولا يفوقه فى الضخامة عدا جامع حسان (523 25 متر مربع) وجامع القرويين (300 6 متر مربع) بينما تزيد مساحته على مساحات جامع القصبة بمراكش (512 5 متر مربع) وجامع الروى بمكناس (حوالي 930 4 متر مربع) وجامع الاندلس بفاس (نحو 760 4 متر مربع) والجامع الكبير بتازا (3000 متر مربع) والجامع الكبير بالرباط (نحو 2000 متر مربع) واذا كان شكله المربع عاديا بالنسبة للمساجد الصغرى فانه نادر اذا نظرنا الى الجوامع والمساجد الكبرى .

وكان للجامع ثلاثة صحون معترضة مفصولة بعضها عن بعض بخمس عشرة حنية فى الاتجاه الشمالي

(142) ويؤكد الضعيف هذا التاريخ (مخطوط المكتبة العامة بالرباط ص 499)
(143) كما ورد فى الاستقصا وفى البستان لابيالقاسم الزياني (ص 173 من مخطوط مكتبة ابن زيدان) وفى تاريخ الرباط للضعيف .
(144) كاييي — تاريخ الرباط ص 458

الشرقي والجنوب الغربي كما هو الشان فى جميع مساجد العهد العلوي وخاصة فى جامع الروى ولالة عودة (مكناس) وجامع مولاي سليمان (الرباط) وجامع الرصيف (فاس) وهو اتجاه مقتبس من الهندسة المعمارية التى عرفت منذ القرون الاولى فى كل من جامع القرويين وجامع الاندلس بفاس ولعل الاتجاه الملحوظ فى عهد العلويين يعكس الخلاف القائم بين الفقهاء حول مفهوم الحديث الشريف « ما بين المشرق والمغرب قبلة » والذى قرر العلماء المتاخرون انه خاص بموقع المدينة المنورة خلافا لما ارتآه الظاهرية فى عهد الموحدين وان المفهوم الصحيح لهذا الاتجاه بالنسبة للمغرب هو « ما بين الشمال والجنوب ».

اما ساحة الجامع فان شكلها حرد (أي بعضها اطول من بعض وغير متساوية فى الطول) وهي اوسع من الصحن وتحتوي فى طول الجدار الشمالي الغربي على سلسلة غرف (كان الطلبة يسكنون بها) ورواق مربع (استخدم كزاوية تجانية داخل الجامع) تقابله الصومعة فى الطرف الآخر اللاصق لدار الوضوء ، وكان المصلون ينفذون الى الجامع من خمسة ابواب (ثلاث منها فى واجهة المسجد) علاوة على الباب السادس المضاف وراء المحراب .

وقد بنيت معظم جدران الجامع من الملاط المقوى القليل الكلس والمخلوط بشظايا القرميد والآجر اما هياكل الابواب فانها من الحجر المنحوت المغطى بطبقة كثيفة من الجير بينما بنيت الاساطين الداخلية المربعة بالآجر وكذلك الحنايا والاقواس ويتجلى المحراب فى شكل هرم ذي خمسة رفارف او ذيول وتغطى سقوف جملونية من البرشلة ذات منحدرات اربعة صحون المسجد الواسعة التى يبلغ طولها واحدا وسبعين مترا وعرضها سبعة امتار وتعتمد اربطة الجملون (وهي خشبات تصل كل واحدة منها طرفي الجملون ، وتباعد بينهما) فى اطرافها على مساند ناتئة مغروزة فى الجدران وتزدوج هذه الاربطة فوق الاقواس الا ان المجموع يخلو من طابع الرشاقة الذى عمل السلطان محمد الرابع على اضفائه على الجامع عندما اضاف الى الصحن اروقة جديدة وابهاء باساطينها الضخمة الاربع عشرة التى تصلها حنايا مكسورة ومتفتحة من الحجر المنحوت تقابلها فى الصحون الداخلية أقواس مكسورة حدوية (أي على شكل نعل الفرس) واسعة ذات مركزين يبلغ علوها ازيد من خمسة امتار وانفتاحها ثلاثة امتار ونصف متر اي تسعة اضعاف البعد الذى يفصل المركزين وتقضي التقاليد المعمارية فى المغرب بأن تكون هذه الاقواس مأطورة ضمن مربع مستطيل ومشرع (اي يرتفع عقد قبته فوق القوس التام او النصف الدائري) وارتفاع هذه الحنايا هو الذى يضفي نوعا من الرشاقة على البناية التى تتسم بسبب امتداد الصحون (7ر71 مترا) بشيء غير قليل من الضخامة والجلال يزيدها بساطة وروعة خلو قبة المحراب المثمنة الشكل من العقود الركنية ومن المقربصات اللهم الا تلك القولبة الخلابة التى تمتاز بها العضادات التقليدية الجامعة بين الزينة المقعرة والخيوط المشبكة ولا ينفذ النور الى الصحون الا من خلال الحنايا المتفتحة على الساحة الخارجية المنتظمة الهندام التي كانت مساحتها تبلغ 72 مترا عرضا فى 7ر42 م عمقا قبل التوسيعات الملحقة آخر القرن الماضي والتى جعلت منها باحة مربعة (72 م فى 77ر73 م) وتتوسط ساحة الجامع فسقية من الرخام الابيض تحملها دعامة مرمرية ضمن مربع من الزليج العصري تغور من جانبها مياه غبولة وتقوم بين الصومعة والرواق المربع (الزاوية التجانية) على طول الجدار الشمالي الغربي اربع بنايات تحيط بابواب الواجهة وتبلغ كل واحدة منها 75ر4 م عمقا و 12 الى 14 م عرضا وتحتوي كل بناية على اربع غرف كانت مأوى للطلبة الذين انزلهم السلطان محمد بن عبد الله (145) بالجامع وامدهم على ممر الايام بالمئونة اللازمة تعميرا للجامع وتشجيعا لحملة العلم .

اما الصومعة فقد ظلت فى شكلها الاصيل ومكانها الاول الى ان نقلت بأمر من صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله الى الركن المقابل حيث كان رواق التجانيين وذلك لتكون فى سمت شارع محمد الخامس ، وكان علو المنارة يبلغ 25ر24 م اي ستة اضعاف القاعدة المربعة التى لا تتجاوز اضلاعها ستة امتار اما الصاري الواقع تحت الجامور فان قسمه المربع يبلغ كل ضلع منه 75ر3 م وعلوه 41ر6 م ، وقد فتحت نافذة فى كل ضلع ويحتوي الجامور على ثلاث كور من الخزف الاخضر المبرنش .

---

(145) تاريخ الرباط للضعيف (مخطوط المكتبة العامة بالرباط ص 444)

وكانت الزخرفة بسيطة فالسواري مجردة من التيجان كما أن الاقواس عارية من كل نقش ولا يوجد الخشب المنحوت الا فى الباب الشارع من جدار القبلة وهي باب ذات حنية مكسورة ومشرعة مفصصة الزينة على غرار القويسات المطرزة فى اطراف الثوب وهذه المفصصات مرسومة فى شكل ثلاثة اشرطة دقيقة متداخلة وتحتوي الالواح الماطورة على صور نباتية ملتفة محلاة بالافنان والورق ضمن طيقان زخرفية مقوسة نافذة تتوسطها زهرة رائعة المنظر فى الوانها الزاهية من ابيض واخضر واحمر فى خلفية زرقاء تبرز المجموع فى حلة قشيبة يتكاثف سعفها وبراعمها وانوارها وكؤوسها وتخاريمها وهذه الالوان الرائقة والرسوم المتشابكة مظهر من التراث الاندلسي المغربي الذى تزاوج على مر العصور مع معطيات الفن الشرقي وخاصة السوري والمصري بفسيفسائه الزهرية وانتظام اجزائه ووضاءة جنباته ، ويمتاز المحراب الى جانب ذلك بالنحوت على الجبس وتراكب الاقواس والكتابات الكوفية والحنايا المقفلة وقبة قد رسمت عليها نجمة ذات تفاريع تتوسطها قبيبة منجمة وهي زخرفة حديثة من معطيات فن القرن العشرين، تزيدها روعة ما تمتاز به من قولبة هندسية رقيقة وانتظام فى التخطيط وجلال فى الهيكل .

وقد قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ بأمر من جلالة الحسن الثاني ايده الله ـ بتجديد هيكل جامع السنة فنقلت عام (1969) منارته من الطرف الشمالي الى الطرف الجنوبي للمسجد ، وكان ذلك عنوانا ناصعا على امتداد روعة الفن المغربي الاندلسي بطابعه الخاص الذى اندرست معالمه فى الوطن العربي كما تجددت سقوف الصحون والبلاطات وازدانت مختلف الاروقة بنقوش خلابة وبرزت براعة الصانع المغربي فى النحت على النحاس الاصفر اللماع الذى لبست به ابواب الواجهة بشكل لم يسبق له نظير فى تاريخ الفن بالمغرب فكانت هذه المظاهر وكثير من اشباهها فى اجزاء هذا التجديد صورا حية لعمق المكاسب الاندلسية والشرقية الاسلامية فى حضارتنا الحديثة التى تضم الى رواء الجمال العصري جلال الفن التقليدي ، وقد اصبحت الصومعة الجديدة شامخة فى هيكلها الضخم يراها الناظر وقد أطلت فى سمت هندسي محكم على أكبر شارع فى العاصمة هو شارع محمد الخامس رمز النهضة المغربية الحديثة ورائد الفكر الحضاري والاسلامي الجديد فى المغرب العربي .

وجامع اهل فاس هو جامع المشور الذى اكد الضعيف انه من مآثر السلطان الامجد المولى محمد ابن عبد الله. الا ان بعده عن المدينة جعله كجامع السنة قليل الرواد خالي الوفاض الى ان جاء السلطان الاكرم محمد الثالث (محمد بن عبد الرحمن) فجدد بناءه وموه سقوفه بالذهب والبرقشة ثم توالت التعديلات عليه وخاصة فى عهد جلالة المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه الذى افرغ فيه اروع مجالي الفن المعماري الجديد نقشا ونحتا وتبليطا وقربصة وتزليجا . ولا يزال جامع الخطبة الملكية السامية يقصده الشعب من كل فج للتملي بطلعة ملك المغرب الهمام الحسن الثاني نصره الله .

ويقع جامع ملين قرب الحديقة التي عرفت فى عهد الحماية بحديقة المنظر المثلث Triangle de vue ولا نكاد نعرف شيئا يذكر عن هذا المسجد الذى ينسب بناؤه الى أحد أفراد عائلة أندلسية هي عائلة ملين فى أوائل العهد العلوي وان كان من الصعب التسليم بذلك بسبب سكوت المصادر التاريخية والرحالين العرب والاجانب الذين وصفوا الحدائق والجنان فى المساحات الشاسعة الخالية بين السورين الاندلسي والموحدي دون الاشارة الى هذا المسجد الذى قد تهدمت اليوم معالمه من سقوف وحنايا واساطين عدا منارته التى ما زالت قائمة الى الآن والتى يبلغ علوها ستة عشر مترا (اي ثلاثة أضعاف ونصف عرضها) ولا يزال الهيكل الاصلي واضحا فى مساحة المسجد المربعة (23ر45 م فى 23ر66 م) وبلاطيه المعترضين واقواسه الكبرى السبعة المسندة بسوار ضخمة مربعة القاعدة علاوة على ثلاثة اقواس تصل البلاط بالصحن الخارجي والمحراب المثمن الشكل البارز فى نتوء رباعي مستطيل خلف جدار القبلة والصحن اكبر بقليل من بلاطات الصلاة (209 متر مربع بدل 203 متر مربع) وله شكل حرد (أي بعضه اطول من بعض) وينفذ اليه المصلون من باب واحد قبالة المحراب فى الطرف الآخر والشيء الذى يمتاز به هذا المسجد بالاضافة الى بساطته هو اعتراض بلاطية على غرار المساجد العلوية وجامعي القرويين والاندلس . ولا اثر لاي نقش ولا ترخيم عدا فى المحراب المحلي بقولبة من الجبس وبقبة مفصصة القويسات مثل باب الرواح ، وجامع حسان مع تناسق وانتظام فى الصوص ورقة فى الابعاد والاحجام وتوافر الآجر والحجر غير المنحوت ومع ذلك فان التخطيط المعماري يترك فى

النفس ارتسامة خاصة هي الشعور بالانسجام وشيء من الرشاقة وتناسب الزخارف رغم بساطتها والظاهرة البارزة التى تؤكد عدم نسبة هذا البناء للمهدين المريني او السعدي هو انعدام اي اثر لتقاليد هذين العصرين ، والشبه الملحوظ فى خصوص تصميمه وهيكله وتشكيله بينه وبين المساجد التى اقامها السلطان محمد الثالث كجامع السنة الذى يقول كايبي (146) أنه صورة مصغرة منه ولعله من المساجد الستة التى اشار اليها أبو القاسم الزياني عندما عدد مآثر العرش العلوي فى اواخر القرن الثاني عشر الهجري وهو من أبرز عصور الازدهار العلوية .

ويقع جامع مولاي سليمان فى حي السويقة على مسافة اربعمائة متر من الجامع الكبير وهو يحمل اسم السلطان الذى اسسه حسب راي مؤرخي الدولة العلوية ، وان كان البعض يسميه جامع السوق والبعض الآخر جامع السويقة وتاريخ هذا البناء هو 1226 هـ (1812 م) على ان الزياني يؤكد ان مسجدا آخر كان قائما بنفس المكان قبل المولى سليمان الذى لم يزد على كونه قام بتجديده وتوسيعه . **تلك نماذج من الفن المعماري فى العهد العلوي تبرز المجهود الذى بذله الاشراف لبلورة الفن وضمان وجود هذا التراث الاندلسي المغربي الحي .**

الفنّ البربري والزّخرفة المعمارية

يتسم الفن البربري أحيانا بنوع من السذاجة وهو يختلف كل الاختلاف عن الفن الحضري الذى يطغى فيه الطابع الاسلامي على اللون اليوناني الروماني .

ان الخيمة المتنقلة هي نواة « الدوار » تساعد على حركة انتجاع الكلأ فى الاقاليم القاحلة فى حين يستقر غير الرحالين فى دسكرة تتشكل فى مجموعة من الدور وهنالك نوع ثالث من المساكن خاص بنصف الرحالين الذين ينتقلون عن مرابطهم الاصلية مرتين فى السنة صيفا وشتاء وهذه الفئة تتأرجح بين الاخبية واخصاص القصب او الطوب والدور واذا كانت الوحدة سائدة من طرابلس الى سوس فى خصوص معالم الزخرفة واساليب النقش فان الشكلية المعمارية تختلف بين هذا الاقليم وذاك فالى جانب الدار المقوسة المنحوتة فى بعض الصخور الاطلسية على غرار كهوف ما قبل التاريخ ــ توجد الدار المتسمة بالطابع المغربي الاصيل فى جميع انحاء البلاد سواء منها الصحراء أم الاطلس أم السهول والبطاح .

فالايغرم او التغرمت هو المستودع المحصن فى الاطلس والمجمع القروي والملجأ الجماعي عند الخطر وتفوق هذه الايغرم من حيث الهندام المعماري وضخامة الهيكل قصور قواد الاطلس المكونة من دار القائد ومساكن الحاشية والمستودعات والاصطبلات والباحات الواسعة والحدائق المحاطة بسور تعلوه ابراج محصنة فهذه القلاع الافريقية .. تشرف من قمتها الاستراتيجية السامقة على الدسكرة المجاورة متحدية هجمات المعتدين كما تتقارب مع الحواضر فى مواد واساليب البناء فالطوب قد يستعمل بدل الحجارة المنحوتة ولكن الاحجار العادية والآجر منتشرة وتمتاز الاخشاب فى الاعمدة والابواب وكذلك الحدائق بنقوش وترصيعات جميلة بينما تزدان البيوت بأثاث يتناسق داخل هذا الاطار المعماري الرائع الذى تتحدد معالمه باطراد نحو الرقة ويحتوي الاثاث على صناديق منقوشة وملاعق واعمدة مرصعة للخناجر واوعية للبارود ومقابض للبنادق أو المسدسات واوان منمقة وركب منحوتة للفرسان وتتجلى فى هذه البدائع عبقرية حق الا انها لا تعادل روعة الزخرفة ودقتها فى كبريات الحواضر ويشتغل السوسيون والاسرائيليون خاصة فى صهر المجوهرات الكريمة او المصوغات الذهبية والفضية المطعمة بالحجارة الثمينة كالخواتم ذات الصفوف والمعالق المذهبة والعقود والاسورة والاقراط والتيجان والخلاخل الخ ..

أما صناعة الخزف فى البادية فتكاد تنفرد بها النساء لاسيما فى الريف والتسول (ناحية تازة)

(146) تاريخ الرباط ص 481 .

وتختص الصحراء (درعة) فى نقش الخوابي كما يتفنن الاطلسيون فى رسم الصور المختلفة على الاواني المنزلية وتتبلور فى النسج رسوم وتسطيرات رائعة من ذلك الامحال والاسديات المستعملة فى الاخبية والمصنوعة بسداة خشبية مبسوطة على الارض تتسم بالبساطة ولكن لا تخلو من رواء لان النقوش تتحقق بمجرد تداخل اللحمة فى السداة وتتلون بادراج خيوط خاصة حسب انعراجات هندسية مدققة وهذا النوع من النسيج يكثر عند الرحل الذين يتخذون الاخبية مساكن لهم اما القبائل القارة فان مناولها تتركب من ركيزتين واسطوانتين فاللحمة المعالجة باليد تغطي السداة فترسم النقوش طبقا للحركة الصادرة عنها واذا تغير لون اللحمة دوريا تكونت سلسلة من الخطوط المتوازية ثم اذا طفت بعض الخيوط على سطح النسيج لتظهر فى نقط محدودة تشكلت رسوم وصور فاذا ما اصاعدت خيوط اخرى مستقلة عن السداة او اللحمة فى اتجاه منحرف او عمودي ارتسمت نقوش هندسية رائعة تتجلى فى الخمر والبرانس والاردية والاكسية والمخدات والوسادات وتختص فى صنع هذه البدائع نواحي درعة (147) والريف وجبالة والاطلس والسوس وبزو بينما تمتاز الشاون ووزان فى صنع الخرقة والحايك المشهورين بالرقة وجودة النسيج .

اما الزربية فهي تطيفة تقوم لدى الاثرياء مقام الحصير كبساط للجلوس فى الدور والمساجد وتنسج انواع مختلفة من الزرابي فى زمور (ناحية الرباط) والرباط وزيان وكلاوة (بالاطلس الكبير) وغيرها وتمتاز بعضها برسوم رائعة الى جانب الجودة والمتانة .

وتعالج الجلود من طرف فنانين يصنعون الخرجة واجهزة الافراس والقرب والاحذية والمثابن (اكياس نسوية) والوسائد المرصعة بخيوط الحرير او بمصنوعات مشبكة بالفضة والذهب.

ويمكن ان نلاحظ مع الاستاذ ريكار أن العنصر الذى يثير الانتباه فى الرسوم البربرية هو طابعها الهندسي القار لان الاقتباس من صور الطبيعة من شواذ هذا الفن مثال ذلك الدمى المصنوعة من الخشب فى قبيلة بني مطير وتختلف الرسوم الى ما لا نهاية له : من المربعات المتداخلة البسيطة الى تروس صغرى (تحمل شعار الشرف) الى رقع اللعب الى خطوط متشابكة واشكال سداسية الزوايا والاضلاع لنقش الحنايا والسقوف .

وفى النواحي التى ينعدم فيها الحجر يباشر البناء بالطابية (تراب مبلل فى اوعية مستطيلة) التي تعتبر نوعا من الاسمنت المقوى وقد استعملت هذه المادة فى المدن الاسلامية الاولى بالمغرب مثل البصرة ونكور (148)، والطوب المصنوع من التراب المجفف اقل مناعة اما الآجر فانه تراب مطبوخ فى الفرن وكذلك الاحجار والقرميد المستعملة فى تبليط الارض وتسقيف السطوح غير ان الحجر والمرمر المستخرجين من المناجم المحلية (عكراش بناحية الرباط وابن احمد بناحية الدار البيضاء ومراكش) هما العنصران العاديان فى التعمير وقد جلب المغرب الرخام من ايطاليا ايام السعديين فى مقابل السكر وزنا لوزن ولكن المغرب رجع منذ عهد المنصور الذهبي الى اساليبه القديم فى صنع الرخام وقد استغلت اشجار الارز المتوافرة فى الاطلس والريف لصنع الاخشاب التى هي من المواد الاساسية فى البناء

(147) كان يوجد بدرعة نوع من الحجارة تحك بين الايدي فتنحل وتصير اشبه بالكتان وكانوا يصنعون منها الحبال والارسان والمقاود ومن خواصها عدم الاحتراق وقد جلب احد التجار لفرديناند ملك كاليسيا باسبانيا منديلا صنع من هذه المادة اهداه اليه زاعما انه من مخلفات احد تلاميذ المسيح (وصف افريقيا الشمالية ترجمة دوسلان ص 336 وكذلك كتاب الاستبصار وهو مخطوط مجهول المؤلف وذكر ابن سعيد انه راى فى سجلماسة صكا لاحدهم على آخر مبلغه اربعون الف دينار وقد سبق انذكر ذلك ابن حوقل (المسالك ج 70) وفى معجم ياقوت ان لنسائهم يدا صناعا فى غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الازر تفوق الذى بمصر يبلغ ثمن الازار 35 دينارا واكثر كالرفيع ما يكون القصب الذى بمصر ويعملون منه غفارات .

(148) مدينة نكور هي المزمة حسب البكري (المسالك ص 99) او الحسيمة حسب (ميشوبيلير ـ المحاضرات ص 192) والخلاف بسيط لان بينهما بضعة اميال بحيث يمكن القول بانهما كانتا تكونان جانبي المدينة .

وتمتاز الهندسة المعمارية المغربية خاصة بأعمدتها واقواسها وحناياها التى بلغت نقوشها وتسطيراتها درجة متناهية فى الجاذبية والرواء وقد اجتازت هذه النحوت مراحل شتى تبدأ بالاسطوانة المرمرية الموحدية البسيطة وتنتهي بالعمود المريني الرقيق الذى يخلب اللب بفسيفسائه وتعاريجه وقد استقدم الموحدون من قرطبة رؤوس اساطين رائعة كللوا بها اساطين جامع الكتبية بمراكش ومسجد تينمل فكان لذلك اثره فى تكييف هذا الجانب من الفن اذ عوضا عما فى جامع حسان بالرباط من الانضاد الحجرية المتراكبة والمجللة بتاج ساذج ـ اصبحنا نشاهد مجموعة متناسقة مستديرة الساق ذات رؤوس مكعبة الرسوم مورقة الاضلاع او حلزونية الشكل زهرية التعاريج .

وقد تبلور فى العهد المريني طراز رؤوس الاعمدة فاتخذت هذه الرؤوس الاتجاهات العامة التى طبعت مجموع مظاهر الفن الاسلامي ومن هذه المنازع الجديدة تسطيح النقوش الناتئة واستواؤها وكذلك الاستعاضة بالصفوح او المصاريع الماطورة الخفيفة التغوير عن الصور البارزة .

وقد عرف القوس نفس التطور فمن اقواس نصف دائرية بسيطة الى حنايا متقطعة الى عقود تجاوزت النطاق الدائري وتعلو احيانا آجر الاقواس اسكفة محمولة على دعامتي الباب باسناد تتفنن فىنقشها يد الصناع وتضفي القباب بنتوئها وتعقيداتها واجزائها المتساوقة طابعا من الاصالة على هذا الهيكل المعماري السني .

وهكذا استخدم النقاش منذ العهدين المرابطي والموحدي الحجارة والمرمر والطين المطبوخ فازدانت منارة جامع القصبة الموحدية (مراكش) بقطع نقشية ذات طابع بيزنطي اقتبسها الامويون لاول مرة فى الاندلس واخذها عنهم الموحدون فالقوس المستدير الكامل وكذلك الحنايا المفلوقة او المفصصة (على غرار ورق الاشجار) اصبحت العنصر الكلاسيكي فى بناء الصحون (على نسق صحون جامع قرطبة) مع ما تنطوي عليه هذه من مقرنصات وتعاريج فى رؤوس الاساطين كما فى تمسمان وتينمل والكتبية بمراكش وكانت الكتابات المنقوشة لا تزال بدائية فى هذا العصر غير ان التسطيرات الهندسية والزهرية كانت قد قطعت شوطا لا بأس به .

وقد ازدهر فى القرن الخامس خاصة فن النقش على الخشب على ان نفس الفنانين كانوا ينحتون على المرمر والعاج وتمتاز منابر الجمعة فى القرويين والكتبية وجامع القصبة بدقة فى النقوش تفوق قيمتها روعة التنميق وهذا النقش الخشبي الرائع يحيل ارز الاطلس الى سقوف واطناف (كرنيزا) ومن (كيام) بديعة الا ان هذه العناصر النقشية اتخذت ايام المرينيين سمات طريفة حيث أمست الاحجار المنحوتة والجبس المنقوش او المفرغ الزينة الغالبة فى الجدران أو اجزاء القباب اما الالوان فان وفرتها من خصائص هذا العصر وان كان المرابطون قد تفننوا هم ايضا فى تلوينات القبة التى فوق محراب القرويين كما اسفرت عن ذلك الحفريات منذ بضع سنوات وكأن مادة التلوين الشفافة تستمد انعكاساتها من حرباء فتختلف الوانها باختلاف اتجاه النور المنعكس عليها اما الترصيعات الخزفية فقد تساوقت مع المعطيات الجديدة فى الهندسة المعمارية وهي تقوم ازاء الافاريز والرسوم الوردية الشكل المحدقة بالمنارات والاشرطة الكتابية واطر الابواب ـ بتزيين الجدارات والاعمدة وحتى بلاطات الاروقة والغرف (149) .

وقد خف فى هذا العصر استعمال رؤوس الاساطين واستعيض عن الاقواس المفصصة المستخدمة فى المنارات بأقواس على شكل هلال مقربص وتوافرت النقوش لاسيما فى الافاريز الكتابية المنقوشة على الجبس .

ومنذ القرن الثامن أصبح نفس الاسكفات ومناظد الارز يتناسق فى الهيكل المعماري العام مع النقش على المعدن المتجلى فى نحت ابواب البرونز فى بعض المدارس المرينية اما الخزف فانه منقوش بآلة حديدية على شاكلة النحت الشرقي الاندلسي لاواني «البديع» ذي الانعكاسات المعدنية ومعلوم ان فسيفساء البديع ظهر فى القرن الحادي عشر الميلادي (150) بقلعة بني حماد ثم اتخذ اشكالا مختلفة من دوائر سوداء منعزلة وسط آجر وردي (مرصد الخالدة باشبيلية) الى افريز واسع من الحجر الثمين الاخضر (جامع

---

(149) (فى الاسلام) ص 143

(150) « ريكار » فى كتابه « من اجل فهم الفن الاسلامي » ص 155 .

الكتبية) فى عهد الموحدين ثم فى النهاية ازدهار صفائح الرخام المختلفة الاصباغ والتلوينات (الزليجي) وقد اصبحت بعض قطع الفسيفساء ايام بني مرين عبارة عن اجزاء متماسكة مسلسلة باللون الاسود (فى الغالب) تثبت عليها الرسوم بالمنقش وقد انتشر هذا الاسلوب بالمغرب خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر فى زوايا الحنايا والاقواس وافاريز الابواب على ان المغرب احتفظ منذ السعديين بأساليب النقش الاخرى لاسيما النحت على المرمر فعلاوة على الرخام الذى جلبه المنصور من ايطاليا استغلت مناجم انوكال التى تشبه احجارها الرخام وكذلك مناجم امينتالة وكانت مناجم كيك التى هي اقرب لمراكش لا تقل قيمة عن هذه المناجم الا ان قلة الماء الضروري لتقطيع الحجر كان معدوما بهذه الجهة وطريقة استخلاص هذا الرخام بسيطة حيث تضرم النار كما يقع فى الهند فوق اخاديد تحفر فى الصخر ثم يصب فوقها الماء الذى تشق برودته هذا الصخر (152) وتظهر مهارة الجباسين المغاربة خلال العصور الحديثة فى نحت مزيج الكلس والرخام المستعمل فى الترخيمات المعمارية كما تتجلى عبقرية النجارين فى بري وتقليم المواشير الخشبية التي تتكون منها قطع المقربصات وتتفنن يد الزليجي الصناع فى اقتطاع دقاق الزليجي وتنوينها لتبليط الاديم والجدر والفسقيات والكوى غير النافذة وسيقان الاعمدة الدائرية (153) فاذا نقدت النحوت الكتابية من رقتها والرسوم الهندسية من ثروتها فان الصور الزهرية اصبحت تقتبس من ينابيع جديدة هي عبارة عن مجموعة من النباتات الفارسية تزدان سعوفها وزهيراتها بالقرنفل والسوسن غير ان الخزف الفسيفسائي الذى ما زال يصنع بالمغرب ولكن على وتيرة وئيدة — لم يحتفظ بذلك البريق المعدني الذى كان له فى الماضي ونافسه الزليجي الاندلسي المجلوب الى شمال المغرب (تطوان)

ومهما يكن فان هذا الفن لم يستعد ازدهاره القديم بل فقد كثيرا من عناصر طلاوته وقعارته .

من مظاهر الهندسة المعمارية في المساجد والمعاهد

عند ما تولى يحيى بن محمد بن ادريس ملك المغرب عام 234 هـ كثر الواردون على فاس (154) فكان ممن قدم من القيروان محمد بن عبد الله الفهري الذي استقر مع ذويه فى عدوة القرويين وخلف بعد موته بنتين هما : « فاطمة أم البنين ومريم » وتحصل لهما بالميراث مال كثير طيب ورغبتا أن تصرفاه فى وجوه البر فعلمتا ان الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير فى كل عدوة من فاس لضيق الجامعين

---

(151) نفح الطيب فى ثنايا الكتاب .

(152) مجلة هسبريس عام 1956 عدد 43 ص 101 – 115

(153) فن الاسلام ص 185 .

(154) اسست القرويين بعد بناء فاس بثلاثة ارباع قرن وقد اختلف فى تاريخ بناء فاس ، وافرد ليفي بروفنصال بحثا فى الموضوع اقتبس فيه من مؤرخين كأبي بكر الرازي المتوفى عام 344 هـ والذي يقول بأن باني فاس ادريس الاول الذي جاء الى المغرب عام 172 هـ ومات عام 174 هـ وبنيت المدينة فى نظره خلال هذه الفترة ، ولاحظ ابن سعيد ان ادريس الاول لم يؤسس سوى عدوة الاندلس ونقل ابن الابار عن ابي الحسن النوفلي ان ادريس الثاني بنى عدوة القرويين عام 187 هـ ويوجد فى مكتبة باريس درهم سك بفاس عام 189 هـ اي قبل التاريخ العادي لبناء فاس بعامين، كما يوجد درهم فى متحف كاركوف بروسيا سك بفاس عام 185 هـ وهو التاريخ الذي يعطيه الحسن بن محمد الوزان لبناء فاس .

القديمين (155) بالناس فشرعت فاطمة في بناء جامع عدوة القرويين ومريم في بناء جامع الاندلس (156) .

وقد وقع الشروع في بناء جامع القرويين في رمضان 245 هـ ونصبت قبلته على غرار قبلة جامع الشرفاء الذي اسسه المولى ادريس ، وكان يحتوي أول الامر على اربعة بلاطات ابتداء من القبلة ، ولكل بلاط اثنا عشر قوسا من الشرق الى الغرب ، واقيم المحراب مكان الثريا الكبرى ، كما جعل في مؤخرة صحن صغير وصومعة واحتفظ بهذا الهندام المعماري الى ان كثرت العمارات واتصل البناء في ارباض المدينة من سائر الجهات وجرى امر زناتة بأرض المغرب سنة 307 هـ فأزيلت الخطبة من جامع الشرفاء لصغره واقيمت بجامع القرويين لاتساعه ... وصنع له منبر من خشب الصنوبر .

وعندما دعت زناتة لعبد الرحمن الناصر ملك ...لس وبايعه أهل فاس قام العامل احمد ابن ابي بكر الزناتي بتوسيع المسجد منفقا عليه « من اخماس غنائم الروم » فزاد اربعة بلاطات من الغرب وخمسة من الشرق وثلاثة من الجوف (اي الشمال) في موضع الصحن الذي كان فيه بلاط واحد بعد ان هدم الصومعة لتطاول اشرافها على الدور المجاورة واصبح مصعدها يضم مائة درجة ودرجة وغشي بابها لمواجهة للقبلة بصفائح النحاس الاصفر وتم ذلك كله عام 345هـ حسبما في التربيعة المنقوشة بها من جهة الصحن وجعل في اعلاها قبة صغيرة ووضع في دورانها تفافيح مموهة بالذهب في زج من حديد وركب في الزج سيف الامام ادريس مؤسس المدينة وبنيت تحت القبة المذكورة قبة أكبر منها لجلوس المؤذنين لاشاعة الاذان في أوقاته ، وكان فيها بيت الراعي منهم لاوقات الليل وانصداع الفجر وبندائهم يقتدي باقي المؤذنين بصوامع المدينة ، وتوجد بمواضع من المنارة بلاطة رخام وسط كل منها قائم يستدل بصدود ظله على خطوط بطول ازمان النهار ومرور ساعته ، وفي عطفات ادراجها سرج زاهرة الضياء يمر عليها الليل ، وفي عهد يوسف المريني (685 هـ) نصب بدن من الفخار بالقبة العليا فيه الماء وجعل على وجه الماء مجرى من نحاس فيه خطوط وثقاب يخرج منها الماء بقدر معلوم الى أن يصل الخطوط فيعلم بذلك أوقات الليل والنهار ، وقد صنعت في غرفة مطلة على الصحن منجانة على يد المعدل محمد الصنهاجي عام 714 هـ وهي عبارة عن مجن من خشب الارز جعل في ركن الغرفة عن يسار المستقبل ووضع في داخله بدنان كبيران من فخار احدهما اعلى من الآخر يحتوي على ماء وبالاسفل انبوب من نحاس يهبط منه الماء في البدن الاسفل بقدر معلوم ، وجعل في طرف الجنح (الآلة) مغطس (جفنة) وكذلك في جانبي التغطيسة رسمت فيها الساعات ودقائقها واوقات الليل والنهار وجعل الموقت المسطرة معلقة في (158) ... خارجا من الجنح يجري في حفر التغطيسة طالعا وهابطا ، وجعل على وجه الماء الذي يجتمع في البدن الاسفل جسيما مجوفا من نحاس على هيئة الاطرفة (اي الجوانب الداخلية) معلقا في الطرف الداخلي على العلو فاذا طلع الجسم بطلوع الماء الذي يجتمع في البدن الاسفل طلع طرف (157) الخارج من التغطيسة وطلعت بطلوعه المسطرة — وفي ايام أبي عنان (749 هـ) جعل خارج الجنح دائرة عليها شبكة الاسطرلاب تدور رسومه ومتى طلعت المسطرة عرف بها الوقت ، كما اقيمت هناك رمليات لاختيار الوقت مع اسطرلابات اخرى ، ومنذ هذا العهد جعلت صارية ينشر فيها العلم ايذانا بأوقات الصلاة النهارية ومنار لاوقات الليل وقد صنع أبو عنان (عام 758 هـ) « مجانة بطيسان وطسوس من نحاس » مقابلة لباب المدرسة التي أسسها بفاس « وجعل شعار كل ساعة ان تسقط صنجة في طاس وتنفتح طاق » .

وقد بنى المظفر بن المنصور بن ابي عامر المنبر عام 388 هـ من « عود الابنوس والعناب وغيرهما » فخطب عليه الى ايام علي بن يوسف بن تاشفين حيث صنع عام 538 هـ منبرا جديدا « من عود الصندل والابنوس والنارنج والعناب وعظم العاج » مع غشائين من جلد وكتان ، وذلك على يد نجار كان اماما في اللغة والشعر (158) ، وكلف صنعه نحو 3800 دينار فضي.

(155) لاحظ ابن ابي زرع ان عدد مساجد فاس انتهى ايام المنصور والناصر الموحديين الى 782 مسجدا علاوة على 122 ما بين سقايات ودور الوضوء و 73 حماما (الانيس المطرب ج 1 ص 64).
(156) زهرة الآس في بناء مدينة فاس لعلي الجزنائي طبعة 1340 ، ص 34 .
(157) نفس المصدر .
(158) زهرة الآس ص 42 .

وقد زيدت بجامع القرويين في مختلف العصور بناءات جديدة منها الباب الاكبر بسماط الموثقين (العدول) عام 505 هـ وبخارجه قبة الجص المقربصة (عام 617 هـ) وباب الشماعين (عام 518 هـ (159) مع قبتين احداهما بالداخل من الجص والاخرى من الارز بالخارج (160) .

وفي عهد علي بن يوسف اشتريت دور كان اكثرها في ملك اليهود وزيدت في المسجد عشرة بلاطات من الصحن الى القبلة (161) والقبة بأعلى المحراب « بالجص المقربص الفاخر الصنعة » ورقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد واصناف الاصبغة (162) وركب في الشماسات التي بجوانب القبلة اشكال متقنة من انواع الزجاج والوانه « ثم غشيت ابواب الجامع » بصفائح النحاس الاصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن ، (كل ذلك عام 533 هـ) ، وقد لاحظ ابن ابي زرع ان هذا الفن كان يبهت الناظرين ، فلما دخل عبد المومن بن علي عام 540 هـ خاف الفقهاء والاشياخ ان ينتقد ذلك النقش والزخرف لان الموحدين قاموا بالتقشف والتقال فغطى البناءون النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض (163) .

وقد علق جورج مارسي على هذا الحدث فزعم انه قصة ملفقة لتبرير البياض والفراغ الملحوظين في قبة المحراب (164) الا ان الحفريات التى قامت بها مصلحة الفنون الجميلة منذ عام 1952 اكدت حكاية المؤرخ العربي ، فقد كشف عن نقوش رائعة غير انها لا تحتوي على اي توريق ذهبي ، وقد لوحظ ان اصناف الاصبغة المشار اليها من طرف صاحب القرطاس هي الازرق والاحمر والمغرة الصفراء ، وما زالت الالوان متماسكة وفي رائق غضاضتها ، ويظهر ان مزيج الاصباغ كان يحتوي على مح البيض الذهبي اللون وان الدهان كان كامدا للتخفيف من بريق اشعة النور المنعكس من النوافذ .

وقد جهز الجامع بمستودع توضع فيه اموال الجامع وامانات الناس ، وكان محصنا بخشب الارز وبخمس منافيس بصفائح من حديد مقلوبة « وبنيت دار الوضوء بخمسة عشر بيتا مع طاق في سقف كل بيت للانارة وانبوبة نحاسية ينصب منها الماء » في نفير محفور من حجر ، وفي سمكها قبة من جبس مقربصة مرقشة بأنواع الاصبغة وجعل بوسطها بيلة من الحجر الاحمر مع ثقوب من نحاس مموه بالذهب والبيلة والخصة كلاهما من عمل رجل سجلماسي صنعهما له رجل آخر « من اهل المعرفة بالبناء والهندسة » اما العنزة فقد اقيمت عام 688 هـ «وفيها غرابة الصنعة ونفاسة الخشب واتقان الالصاق ودقة الخرط والنقش ما يقضي بالعجب » (165) وصنعت سقاية منمقة « بالجص والحجر المنجور وانواع الصبغة » كما جعلت على المحراب عام 712 هـ مقصورة من خشب الارز الغيت بعد ذلك ، اما الخزانة فقد اسسها ابو عنان المريني عام 750 هـ وجهزها بالكتب المنوعة وعين قيما لضبطها ومناولة مصنفاتها .

وللجامع 18 بابا و 300 سارية ـ عشر منها من حجر ملون وثلاث تقع تحت الثريا الكبرى تبصر منها جميع ابواب الجامع ـ و 21 بلاطا و 130 ثرية

---

(159) يذكر صاحب القرطاس ان كتابات التأسيس مؤرخة بعام 528 (ج 1 ص 85) ، ووهم صاحب الجذوة فأعطى تاريخا محرفا هو 710 هـ .

(160) احرقت القبة الخشبية عام 571 فصنعها الموحدون من الجبص عام 600 هـ من بيت المال ، في حين صنع المرابطون بابي السماط والشماعين مع القبتين من مال الاحباس .

(161) يوجد بجامع القرويين 19 بلاطا موازيا للقبلة وقد لاحظ جورج مارسي ان هذا الاسلوب يرجع عهده الى صدر الاسلام ونجده في مصر (جامع عمرو وجامع ابن طولون) وظل هو الغالب في مساجد فاس (فن الاسلام ص 95) .

(162) الانيس المطرب ج 1 ص 87 .

(163) الانيس ج 1 ص 88 .

(164) كتاب الفن الاسلامي طبعة 1926 ج 1 ص 302 وقد اكد مارسي هذا الزعم في الكتاب الذي صنفه عام 1954 وهو « الهندسة المعمارية الاسلامية في الغرب » ص 188 الا ان الاستاذ طيراس ايد مقالة ابن ابي زرع .

(165) زهرة الآس ص 65 .

من النحاس مختلفة الالوان والصناعات والاشــــال والهيـــآت .

اما جامع الاندلس فقد وقع الشروع في بنائـــه كذلك عام 245 هـ وكان فيه ستة بلاطات وصحن صغير وزاد فيه عامل الناصر الاموي الصومعة عام 345هـ (166) ونقلت اليه الخطبة من جامع الاشياخ قبيـــل ذلـــك (321 هـ) وبعد نحو من ثلاثة قرون عام (600 هـ) امر الناصر الموحدي ببناء الباب الكبير الذي فيـــه درج بأسفلها شباك من خشب الارز فيه ثلاثة ابواب ، في الاوسط بيلة من الحجر الاصفر ينفجر بها الماء من وادي مصمودة . وبأعلى الباب قبتان احداهما من جص مقربص الداخل ، والثانية من خشب الارز .

كما امر الناصر ببناء سقاية ومدخل لمصلـــى النساء ومصرية لائمة الجامع ودار للوضوء بخصتهـــا تحاكي التي بجامع القرويين وعدد بلاطاته بعد سنـــة 695 هـ خمسة عشر من الشرق الى الغرب وثلاثـــة عشر من القبلة الى الجوف وتسعة ابـــواب و 134 ساريـــة .

وكانت فاس في هذا العصر كما وصفها المراكشي « حاضرة المغرب وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة ... رحل من هذه وهذه مـــن كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل اكثرهم مدينة فاس ، فهي اليوم على غاية الحضارة واهلها في غاية الكيس ونهايـــة الظـــرف ، ولغتهم افصح اللغات في ذلك الاقليم ، وما زلت اسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب » (167) .

وقد لاحظ كوستاف لوبون ان مدينة فاس كانت تزاحم بغداد في القرن العاشر الميلادي فكان بها نصف مليون نسمة و 800 مسجد وخزانة حافلة بالمخطوطات اليونانية واللاتينية (168) وقد زعم استاذ ايطالي هو لويجي روسو انه اشترى من فاس مخطوطا نادراً من عشاريات تيتليف (169) حول التاريخ الروماني .

وقد وصف كابريال شارم مدينة فاس بأنها أول مدينة مقدسة بعد مكة وانها كانت مركز القوة العربية في عنفوان ازدهارها والعاصمة الفكرية والروحيـــة للغرب الاسلامي بفضل معاهدها الخالدة ومساجدهـــا الماجدة (170) ، وذكر مارسي (171) ان افريقيـــة نفسها وهي الوطن العتيق لعلماء الاسلام اصبحـــت تتلمذ لبرابرة الغرب .

وشبه علي باي العباسي هذه المدينة بأثينة لوفرة علمائها ومعاهدها (172) .

ولاحظ ليفي بروفنصال انها لم تكن اقل مكانـــة من عواصم الاسلام الاخرى (173) ، نعـــم في هـــذه المدينة تبلورت الحضارة العربية التي تفتقت بالمغرب فتلالأت اشعتها على اوربا (174) ، وقد احتفظت فاس على ممر العصور باشعاعها فهي ما زالت دار العلـــم وجامع القرويين ما زال اول مدرسة في الدنيا (175).

وذكر مارمول انه كان بفاس 200 مدرسة ، ونقل الكانوني في « شهيرات نساء المغرب » عن مؤرخ اوربي خصص كتابا لفن الاسنان بالمغرب لا حظ فيه ان مدينة فاس كان بها في القرن الرابع الهجـــري « مدرســـة

---

(166) حسبما في عتبة بابها ــ زهرة الآس ص 81 .
(167) المعجب في تلخيص اخبار المغرب سلا عام 1357 ص 221 .
(168) حضارة العرب ــ الطبعة الفرنسية ص 263 وقد ذكر دلفان (ص 81) ان هذه الخزانة كانت تحتوي على 30 000 مجلد ، كما ذكر كودار (وصف تاريخ المغرب ج 2 ص 376) ان يعقـــوب المرينـــي استرجع من المسيحيين عددا من المصنفات العربية واهداها الى القرويين ، ولاحظ ميلي (كتـــاب الموحدين ص 101) ان يعقوب الموحدي كانت له خزانة تضاهي مكتبة الخليفة الاموي الحكم الثاني وقد اهداها كذلك الى القرويين ، وفي عهد المولى زيدان السعدي اختلس قنصل فرنسي اربعة آلاف مخطوط عربي وباعها لاسبانيا فكانت من نواة الاسكوريال .
(169) ولد هذا المؤرخ الروماني عام 59 قبل الميلاد.
(170) كتاب سفارة بالمغرب (ص 255) .
(171) كتاب الفن الاسلامي ج 2 ص 465 .
(172) سفريات علي باي العباسي الى افريقيا وآسيا ــ باريس عام 1884 ج 1 ص 137 .
(173) مجلة هسبريس ــ عام 1952 ص 3 .
(174) كتاب سفارة المغرب ص 228 .
(175) دلفان في كتابه « فاس وجامعتها » (ص 2 1)

للطب » وقد احيلت المدرسة المرينية بدار المخزن فى فاس الجديد حوالي عام 1844 م الى مدرسة للمهندسين نظم فيها السلطان دراسة العلوم الحديثة (176) .

وقد اكد مولاي عبد الرحمن بن زيدان (177) ان خريجي « مدرسة البوليتكنيك » (الفنون) التي اسسها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بفاس الجديد تابعوا دراستهم فى معاهد انجلترا (مثل الصدر الاعظم الجباص) وايطاليا (مثل محمد بناني العلمي) .

وكان بجامع القرويين اواخر القرن الماضي 700 طالب ونحو الاربعين استاذا وظل العدد جامدا الى ما قبيل الاستقلال حيث اصبح ينيف على 6 آلاف، وكان هؤلاء الطلبة يسكنون بالمدارس ويتمتعون بنظام الخبزة الذي عوض الآن بمنح دراسية ومطاعم مدرسية وداخلية منظمة فى الشراردة .

جامع حسان

ان هذا الجامع من مآثر الموحدين الخالدة التي حققت وحدة الفن الشرقي والفن الاندلسي المغربي ، فهو رمز لفخامة الدولة الموحدية ومشاعرها فى السمو والعظمة وذوقها فى التناسق الجامع بين الفخفخة والبساطة وهو مجهود رائع اذا اعتبرنا انبثاقه من اسرة « موحدة » كانت تعمل على دعم الاسلام فى صفائه الاصيل – وحنيفيته السمحة وعظمته الساذجة.

ويقع جامع حسان شمالي شرق مدينة الرباط على علو نحو 30 مترا فوق البحر وهو المسجد الثاني الذي بناه الموحدون بالرباط بعد مسجد القصبة العتيق وبانيه هو يعقوب المنصور الذى اتمه عام 592 هـ ويظهر ان بناءه لم يتم ومنارته اقرب عهدا من منارة الكتبية ومنارة جامع اشبيلية المعروف بالخالدة ، وهي مربعة كمنارة جامع دمشق ، يبلغ عرضها ربع طولها حسب التقليد المعماري ، وهذا العلو وهو 64 مترا – يجعل من منارة حسان اعظم منارة فى الغرب بل حتى فى الشرق (178) ، اما الجامع فانه مربع المساحة تقريبا هندسي التقسيم لتساوق سواريه الفاصلة بين صحونه الواسعة ، ومحرابه مربع الشكل على خلاف المحاريب المغربية ، وهو منحرف بعض الشيء عن القبلة مثل جامع القرويين (179) .

رسالة الأوقاف المغاربية

لقد تذرع المغاربة منذ انبثاق فجر الاسلام بهذه البلاد – بشتى الوسائل لتركيز الفكرة الاسلامية وتحقيق ازدهار المسلمين فى آن واحد بواسطة (رباع) توقف على المؤسسات الدينية والاجتماعية ،

(176) الجريدة الاسيوية عام 1917 – كتابات عربيةبفاس – الفريد بيل ج 10 ص 152 وكانت توجد بالجديدة فى نفس الوقت مدرسة مركزية للمدفعية (كتاب امبراطورية تنهار ص 16) وقد اجري تدريب لاثني عشر طالبا مغربيا فى المدرسة العسكرية بمونبليي عام 1885 وانهوا دراستهم عام 1888 (هسبريس ج 41 عام 1954 ص 136 وقد وجه مولاي الحسن طلبة الى انجلترا وايطاليا واسبانيا والمانيا (المغرب الحديث ايركمان ص 114) وحتى الى امريكا (كتاب سفارة بالمغرب ص 238) .

(177) الاتحاف ج 3 ص 367 .

(178) لاحظ ابن بشكوال ان منارة قرطبة احسن منارات الاسلام .

(179) وقد فند ابن سعيد ذلك ملاحظا ان منارة الكتبية ومنارة اشبيلية الموحديتين اضخم من منارة قرطبة (نفح الطيب المقري ج 1 ص 267) ومساجد الريف شمالي الغرب عارية من المنارات وانما تمتاز عن باقي الدور بعلم أبيض (المغرب المجهول – موليراس – باريس عام 1895 ج 1 ص 144).

وقد ساهم الملوك والشعب في هذه الحملة الدينية الاسعافية التي كانت تتخذ مختلف المظاهر لتحقيق غاياتها واذا راجعنا دفاتر الاحصاء الحبسية لاحظنا ان الاوقاف تتوفر في جميع انحاء القطر على احسن الاراضي والعقارات حتى على السوائم الحية في الجبل علاوة على الفراسات الثرية ، وقد وقع تفويت جانب كبير من الاراضي الخصبة الشاسعة والاملاك المختلفة في ابان الحماية ولا تزال صكوك تحبيسها موجودة الى الآن .

وقد تبلور الاتجاه الحبسي على الخصوص منذ عهد المرينيين حيث اقام ابو يوسف المارستانات للغرباء والمجانين واجرى عليها النفقات وخصص لها الاطباء وبنى المدارس ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والعلم واجرى لهم المرتبات في كل شهر وبنى الزوايا في الفلوات واوقف لها الاوقاف الكثيرة لاطعام عابري السبيل وذوي الحاجات (الذخيرة السنية ص 100)، وسار الملوك بعد ذلك على منوال حثيث في هذه الطريق الجديدة حتى انشأ ابو الحسن (في كل بلد من بلاد المغرب الاقصى وبلاد المغرب الاوسط (الجزائر) مدرسة فقامت مؤسساته الاجتماعية في تازا ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وانفا (الدار البيضاء الحالية) وازمور وآسفي واغمات ومراكش والقصر الكبير وتلمسان وعاصمة الجزائر (المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق ص 35 مجلة هسبريس عام 1925) ولم تكن اية مدينة من المدن لتخلو من عائلات خصصت قسطا من املاكها للاسعاف الاجتماعي وهي الاوقاف المعينة على الخبز مثلا الذى كان يوزع اسبوعيا او يوميا حسب أهمية الارباع ، هذا علاوة على الاوقاف الخاصة بالمساجد والمرستانات ومعاهد التعليم التي كان يتعيش منها عدد كبير من المستخدمين زيادة على رواتب العلماء والطلبة .

واذا اعتبرنا ان مدينة مغربية كانت تتوفر في كل حي من احيائها على عدة مساجد بأوقافها لمسنا ضخامة الثروة الجسيمة في المغرب ، ويكفي ان نعلم ان في فاس وحدها احصى في زمن المنصور ومحمد الناصر الموحدين (785 مسجدا و 42 دارا للوضوء و 80 سقاية عمومية و 43 حماما) (زهرة الآس ص 33) وكلها حبسية .

وكانت في المغرب اوقاف من نوع خاص (180) كالتي تصرف على الزوجين الفقيرين بايوائهما مجانا في منزل مؤثث ابان الزفاف وكالتي تنفق في تجهيز العروس المعوزة ، واوقاف الاواني المكسرة ، وتعهد وتغذية الحيوانات والطيور (كدية البراطيل بفاس) وذلك بالاضافة الى تأسيس الاسوار والقناطر والقنوات والسهر عليها ، والشبه هنا ملحوظ بين المغرب والشام حيث توجد نفس الانواع من الاوقاف (181).

وقد اكد الجزنائي في زهرة الآس (ص 75) (182) ان ما يظهر من انحراف قد يقرب من الصواب على راى

180) وكانت هنالك احباس من نوع خاص في كل من المغرب والاندلس فقد ذكر صاحب نشر المثاني ان من احباس جامع الاندلس قراءة التفسير بالفخر الرازي (ج 1 ص 20) وان كراسي العلم في التفسير وقراءة صحيح مسلم وابن الحاجب وصغرى السنوسي والرسالة ونظم ابن زكري لها احباس (ج 1 ص 38) ومن احباس فاس استيفاء ابن حجر على الصحيح في التدريس (نيل الابتهاج ص 169) وكان بعض العلماء لا يأكلون من مال الاحباس مثل سيدي عبد القادر الفاسي (السلوة ج 1 ص 310) .

181) ذكر صاحب جذوة الاقتباس ان كثيرا من اقاف المساجد ادخلها أهل فاس في منافعهم وحسبوها من اموالهم ايام ابن تاشفين فرفعت القضية الى القاضي عبد الحق بن معيشة الغرناطي فتوجه الطلب على النظراء والوكلاء في ذلك ومحاسبتهم فأبرزت المحاسبة 000 80 80 دينار (ص 42) . وقد ذكر ميشوبيلير في المستندات المغربية(عام 1907 ص 192) ان الاحباس احتفظت بادارتها المستقلة الى عهد مولاي عبد الرحمن الذي قرر ضمها الى دوائر المخزن والغي النظار الخصوصيين للمساجد والاضرحة وعوضهم في كل مدينة بناظرين يعينهما السلطان .

182) لاحظ بعض فقهاء فاس على الامير ابي يوسف بن عبد الحق المريني ما في بعض مساجد فاس من انحراف فجمعهم الامير وذكروا ان جامع القرويين نصبت قبلته على سمت القبلة التي نصبها المولى ادريس وقد صلى اليه جماعات من العلماء والصلحاء والقضاة وامراء العدل فما غيروا ذلك ، وذكر ابن القاضي في الجذوة ان مساجد فاس كانت قبل اليوم 785 واما اليوم (عصر المنصور السعدي) فلا تحصى كثرة وعدد حماماتها قبل اليوم 93 ، واما اليوم فلا عدد لها (ص 8 2) .

من يرى ان المطلوب من قبلة سائر الآفاق انما هو الجهة لمكة والجهة حاصلة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة .

ولعل الموحدين تشبثوا بظاهر هذا الحديث الذى يماثله الحديث الآخر الذي رواه البخاري فى عدم استقبال القبلة فى قضاء الحاجة حيث قال صلى الله عليه وسلم : « شرقوا أو غربوا » اى بالنسبة للمدينة المنورة ، وقد وهم الاستاذ طيراس فى كتابه « سمت المحراب فى المساجد » حيث اول هذا الانحراف تاويلات مختلفة ضاربا صفحا عن تمسك الموحدين بظاهر الحديث .

مِنْ رَوائعِ الفَنِّ الأندلسِيّ

لعل الفن الاندلسي المغربي من أعرق الفنون التي خلفتها العصور الوسطى ، فمنذ القرن الثاني الهجري وقف عبد الرحمن الداخل مؤسس جامع قرطبة مشدوها معجبا امام مآثر الرومان الرائعة التي لقيها حيثما مر بالبلاد الاسبانية فحاول ان يثبت فى هذا المسجد ما راءه فى الفن الجديد الذي ما لبث ان تطعم بالعناصر الطريفة المقتبسة من اليونان او عن طريق العلماء والفنانين البيزنطيين ، وهذا الفن الذي نشأ عام 786 م — كما يقول طيراس — ما زال يعيش ضمن الحرف والمهن فى كبريات الحواضر المغربية فهو فن منبثق من حضارة واحدة ولد فى اسبانيا وترعرع فى الحواضر الافريقية فهو اذن وليد المدنية الاندلسية بقدر ما هو منبعث من معطيات الاسلام .. ولا يمكن أن نعطي فى هذه العجالة نظرة شاملة على مجموع المآثر الاندلسية فلذلك سنقتصر حديثنا على بعض المظاهر البارزة للفن الاندلسي الاسلامي لجامع قرطبة واشباهه .

لقد أصدر الامير الاموي عبد الرحمن الاول امره بالشروع فى بناء جامع قرطبة عام 170 هـ غير ان المنية عاجلته بعد سنتين فاستانف ولده هشام المشروع الضخم الذي لم يتم على شاكلته الحالية الا بعد قرنين ونصف قرن ، ولكن المعالم الاولى التي خطها الامير عبد الرحمن ظلت سائدة فى التوسيعات المتوالية بحيث يمكن القول بأن فنا جديدا انبثق فى الغرب منذ عام 170 هـ (اى 786 ميلادية) مستمدا تنميقاته ومواده المرمرية وسواريه من بقايا الرومان ، ولكن رسومه مقتبسة من جامع دمشق وجامع بغداد والمسجد الاقصى .

ويشكل هذا المسجد الآن مربعا (طوله 180 مترا وعرضه 130 مترا) ثلثاه أروقة للصلاة والثلث الباقي صحن وهو محاط بسور مسنن مدعم الجوانب فتحت فى اضلاعه ابواب رائعة اغلق اليوم معظمها لوقوعها فى اجنحة هذا المعبد الكبير الذى اصبح كنيسة ، وقد اسس الجامع على حافة الطريق المؤدية الى قنطرة (183) الوادي الكبير قبالة القصر الملكي بحيث لم تتسع مساحته تدريجيا الا نحو الجنوب والشرق .

وكان هذا المسجد كنيسة اول الامر فحذا الامير حذو الخليفة عمر بن الخطاب فى الاقتسام وجرى فى قرطبة ما جرى بالنسبة لكنيسة القديس جان بدمشق حيث اقتطع المسلمون نصف الكنيسة وتركوا الباقي للمسيحيين الا ان رحاب الجامع الجديد ضاقت بعد ان اصبحت قرطبة عاصمة الخلافة الاموية فى الغرب الاسلامي فقرر عبد الرحمن الاول بعد نصف قرن اقتناء النصف الباقي وتأسيس مسجد كامل فوق المجموع ، فاقتطع من غنائم ناربونة 80 او مائة الف مثقال لهذه الغاية ثم زاد نجله هشام الاول سقائف للنساء وحوضا للوضوء ومنارة ويظهر ان البناء توقف فى عهد الحكم الاول واستؤنف عام218 أيامعبد الرحمن الثاني باقامة تسعة بلاطات جديدة مدعمة بثمانين سارية فى ظرف 15 عاما ، ومن سنة 234 هـ الى منتصف القرن الرابع تم نقش وترخيم طرر المسجد وبناء المقصورة ومستودع الأموال وتجديد الحوض ... والسقائف

(183) قنطرة قرطبة احدى اعاجيب الدنيا بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن الغافقي وطولها 800 باع وعرضها 20 باعا وارتفاعها 60 ذراعا وعدد حناياها 18 وعدد ابراجها 19 (نفح الطيب — المجلد الاول — القسم الاول طبعةليد عام 1855 ص 314) .

واقيم ساباط ـ بين القصر والجامع ـ اما عبد الرحمن الناصر فقد اهتم بالمنشآت العسكرية والمدنية اكثر مما اعتنى بالمؤسسات الدينية ومع ذلك فقد صرف على الجامع نحو ربع ما انفقه على قصر الزهراء (المغرب ج 2 ص 344) فهدم منارة هشام الاول واقام مكانها صومعة جميلة .

وقد كان للحكم الثاني اهتمام خاص بالجامع حتى اشرف بنفسه على رسم تصميم التوسيع بحضور فقهاء ومهندسين وبنى بلاطات ومحرابا جديدا (184) واقام قببا فى البلاط المركزي والبلاطين الجانبيين قبالة المحراب مع تطريزها بالمرمر المنحوت والفسيفساء وهو الذي جلب الفسيفساء عام 354 من مملكة الروم اقتداء بالوليد فى بناء مسجد دمشق حيث اوفد رسلا الى امبراطور بيزنطة فرجع الوفد بالصانع ومعه من الفسيفساء 320 قنطارا هدية فرتب جملة من المماليك لتعلم الصناعة فابدعوا واربوا على الصانع الذي صدر راجعا عند الاستغناء عنه .

وفى عام 356 هـ اجرى الخليفة الى سقايات الجامع ماء عذبا من عين بجبل قرطبة « خرق له الارض واجراه فى قناة من حجر متقنة البناء محكمة الهندسة اودع جوفها انابيب الرصاص » .

وقد هدم منبر الجامع عام 1572 م ولكن الجامع احتفظ منذ تسعة قرون بروائه وثرائه ووميض نقوشه ومناعة هيكله .

اما مدينة الزهراء فقد ابتدىء بنيانها ايام الناصر فى اوائل سنة 325 وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنجور ستة آلاف سوى التبليط فى الاسس وجلب اليها الرخام من قرطاجنة الافريقية ومن تونس وكان فيها من السواري 4313 جلبت بعضها من افريقية وعددها 1013 واهدى اليه ملك الروم 150 والباقي من رخام الاندلس .

وقد نحت فى مدينة الزهراء حوض عليه اثنا عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر النفيس وبلغ عدد الدور داخل الزهراء اربعمائة دار بينما كانت عدة الدور داخل قرطبة 000 113 دار و 000 3 (185) مسجد و 28 ربضا منها مدينتا الزهراء والزاهرة .

وقد جلب الناصر رخام الزهراء الابيض من المرية والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية والحوض المنقوش من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل وبنى فيها قصر الخلافة وسمكه من الذهب والرخام الغليظ وفى وسطه اليتيمة المهداة من اليون ملك القسطنطينية (186) وقراميد هذا القصر من الذهب والفضة وفى وسط هذا المجلس صهريج مملوء بالزئبق وفى كل جانب منه ابواب انعقدت على حنايا من العاج والابنوس المرصع بالذهب اصناف الجواهر قامت على سوار من الرخام الملون والبلور الصافي . وكان الامير يامر بتحريك الزئبق فيلمع لمعان البرق من النور ويخيل للناظر ان المجلس قد طار ما دام الزئبق يتحرك وقد قارن المقري الزهراء بالقصر الذي شاده ملك طليطلة المامون بن ذي النون بها حيث صنع فى وسطه بحيرة وفى وسطها قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بتدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج فى غلالة من ماء قد سكب خلف الزجاج لا يفتر عن الحركة ، منظر عجيب (187) .

وقد لاحظ طيراس (188) ان اساليب النقش فى مدينة الزهراء مقتبسة من اليونان والبزنطيين فى حين

(184) نقل المقري عن صاحب المغرب عن ابن شكوال ان الحكم المستنصر استحضر العلماء للمشورة فى تحريف قبلة جامع قرطبة الى نحو المشرق حسبما فعله والده الناصر فى قبلة جامع « الزهراء » فقال له الفقيه ابو ابراهيم انه قد صلى الى هذه القبلة خيار هذه الامة فأخذ الخليفة برايه (النفح ج 1 ص 369) .

(185) ذكر المقري ان دور قرطبة وارباضها بلغت ايام ابن ابي عامر 13077 دارا للرعية و 60300 دار للاكابر و 80455 حانوتا (نفح الطيب ج 1 ص 356) .

(186) المغرب ج 2 ص 345 .

(187) نفح الطيب ج 1 ص 327 .

(188) كتاب الفن الاسباني المغربي ـ باريس 1932 ، ص 96 .

ان محراب قرطبة (189) شبيه بباب خزانة مسجد سيدي عقبة ، ومعلوم انه في الوقت الذي وسع فيه الحكم الجامع الاموي كانت قد مرت أزيد من مائة وعشرين سنة على اقامة مسجد القيروان الذي كان يعتبر اذذاك اوسع واجمل مسجد في الغرب الاسلامي ويلاحظ كذلك التأثير العراقي العباسي في مؤسسات قرطبة كالقسي المفلوقة او المفصصة على غرار ورق الاشجار وكذلك في نقش السقوف الهندسي والقباب المنمقة في شكل عروق واضلاع .

اما الرسوم الزهرية فالظاهر انها من ابتكار الاندلسيين (190) وتتجلى التقاليد الاسبانية الصرف في رؤوس الاعمدة المرمرية التي توجد بقاياها خارج قرطبة في الكتبية بمراكش وفي مسجد اشبيلية والمتاحف وقد نحت الرخامون القرطبيون عددا من اجمل هذه العمد في العصور الوسطى .

وتظهر المجالي الثانوية للفن الاموي في القلاع والاسوار (مدينة الزهراء وطليطلة)) ومعلوم ان خلفاء بني امية كانوا من كبار بناة الحصون في الشق الغربي للعالم الاسلامي ولعل مبانيهم العسكرية تفوق في ضخامتها ما اسسوه من مساجد وقصور .

وفي عام 368 امر المنصور ببناء « الزهراء » بطرف البلد على نهر قرطبة فتمت في عامين فاتخذ فيها الدواوين والاهراء واقام خلالها المنازل وجليلات القصور والاسواق واتصلت ارباضها بأرباض قرطبة (191) ، وقد استمر الطابع الاموي العام في ايام حجابة المنصور حيث زاد ابن ابي عامر بشرقي الجامع بلاطا امتد طولها من اول المسجد الى آخره وقصد في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة (المغرب لابن عذارى ج 2 ص 429) وبلغ عدد السواري 1417 وعدد الثريات 280 وعدد خدام الجامع 159 شخصا وعدد القومة 300 .

وتتسم النقوش العامرية بالطابع النباتي غير ان الرموز الحيوانية اتخذت مكانة جلى في فن النحوت المرمرية وتوجد جفنتان من المرمر احداهما بمتحف مدريد والاخرى بمدرسة ابن يوسف بمراكش تحمل اسم عبد الملك نجل المنصور ، ومن جملة صور الحيوانات المنقوشة في هذا المرمر النسور والعقبان والظباء والاسود والفهود والطيور ، وهذا يدل على ان الاستمداد من الطبيعة لم يكن خاصا بالنقوش الخزفية او العاجية وقد خلف لنا العهد الاموي بالاندلس مجموعة من التحف العاجية تعتبر من اجمل ما يوجد في العالم (192) وما زالت تغزوت شمالي المغرب تصنع الى الآن نماذج رائعة من هذه العلب والصناديق والاغشية العاجية ولعل الفن الاموي يستمد هذه البدائع من الفنين العباسي والفاطمي ، ويمكن القول بانه اذا كان الاثر البيزنطي جليا في مدينة الزهراء واذا كان التأثير العباسي قد بدا يظهر في الصنائع ايام الحكم الثاني فانه استقى نقوشه الخزفية وصوره العاجية وقسما من نقوشه الهندسية من العراق ولكنه اضفى عليها طابعه الخاص .

وهكذا فخلال ثلاثة قرون (من القرن الثاني الى القرن الرابع الهجري) ظل الفن الاندلسي موصولا بالاسرة الاموية المالكة وبعاصمة قرطبة ثم انتشر في باقي ربوع الاندلس وحدود قشتالة فاستعملت الاساليب المعمارية والنقوش القرطبية في مساجد كبريات المدن وقصورها وقلاعها وبعد سقوط الخلافة الاموية والحجابة العامرية تمزقت وحدة الاندلس ونشات مصانع في مدن لم يكن لها سابق نشاط فني وغرست البلاطات الاقليمية في عهد ملوك الطوائف جذور الفن الاندلسي في المدن الصغرى حيث عاش طوال قرون ثم ما لبث الغزو المرابطي الاندلسي ان فتح باب افريقيا الشمالية في وجه الفن الاندلسي الذي سادت معالمه في المدن المغربية ، انه لم يبق الآن اي مظهر لمؤسسات ملوك الطوائف باستثناء القصور الجعفرية التي اقامها بنو هود في سرقسطة (193) والتي تدل على مدى المجهود الذي بذله النقاشون في هذا العصر (تزايد النقوش الزهرية في شكل دقيق وظهور القسي المتقطعة واتساع الاشكال الهندسية).

وقد عرف المرابطون كيف يقتبسون من الفن الاندلسي وينقلون الى المغرب بدائع هذا الفن ويعتبر محراب تلمسان وروائع القرويين اجمل ما اهداه

(189) ص 110 .
(190) ص 141 .
(191) النفح ج 1 ص 380 .
(192) طيراس — الفن الاسباني المغربي ص 173 .
(193) طيراس ص 197 (في عهد ابي جعفر المقتدر ، ص 202) .

المرابطون الى الافارقة ، واذا كان المرابطون قد شجعوا انتشار الفنون الاندلسية دون مساس بروحها فان الموحدين تمكنوا من اضفاء طابع خاص على مجموعها ولعل ذلك راجع لكون ملك المرابطين لم يدم طويلا وان دولتهم استؤصلت في عنفوانها ، ومع ذلك فقد مهدوا الطريق للموحدين وفتحوا مدن افريقيا على مصاريعها في وجه الفن الاندلسي على ان ظهور الدولة الموحدية غير الظروف التي عاش فيها الفن الاندلسي فاتسع نطاق هذا الفن وانفسح مجاله مع تبلور وسائله واتساق مظاهر كماله ، واذا كان عبد المومن قد اتجه خاصة الى اقامة مؤسسات بالمغرب (تازة ومراكش) فان الاندلس احتلت المكانة الاولى في عهد ابي يعقوب الذي جدد اسوار اشبيلية واقام قصبة انخسفت ازاءها انوار قصور بني عباد ، وبنى اكبر مسجد في الاندلس (194) ضاهى به جامع قرطبة وكتبية مراكش الذي بناها والده ، كما نافس بقصور القصبة (مراكش) مدينة الزهراء نفسها .

ثم جاء المنصور فاتم جامع اشبيلية ومنارته العجيبة Geralda ومعماريات القصبة بمراكش ، وبنى رباط الفتح (قرب قصبة الوداية التي هي من مخلفات جده) وشرع في بناء جامع حسان ثم واصل ولده الناصر نشاط الاسرة المعماري فأسس اسوارا جديدة بفاس ووسع جامع الاندلس ولكن هزيمة الموحدين بالاندلس فتحت ابواب اسبانيا في وجه الصليب على ان الهندسة المعمارية العسكرية الموحدية لم تتطور في العدوتين الا في ميدان النقش حيث استعيض عن الحجر المنجور وعن الرخام بمزيج من الملاط (الطين الذى تطلى به الجدر (195) والرمل والماء وهو الاسلوب الاقتصادي السريع في البناء مما اثر تاثيرا سيئا في مناعة الحصون وفي قيمتها الاستراتيجية غير ان استمرار الخطر المسيحي في الاندلس حدا الموحدين انفسهم الى نوع من العناية بالهندسة العسكرية وواصل بنو نصر جهودهم في تجديد الاساليب العتيقة بالاستمداد من الاجهزة المسيحية .

ويمكن القول ان الطابع العام في المعماريات الموحدية هو الفخامة والاصالة مع مهارة المهندسين في فن التشكيلات والتصويرات ولذلك اتسم الفن الاندلسي المغربي باعظم واروع مما اتسمت به الفنون الاخرى مثل قربصة جامع اشبيلية الذى يحتوي كجامع الكتبية على تسعة عشر بلاطا مع بلاط اوسط وخمس قباب وجدر من الآجر حسب التقاليد الموحدية ولكنه احتفظ ببعض المظاهر الاموية الملحوظة في جامع قرطبة كالابراج التى تسند الجدر ويبلغ عمق جامع اشبيلية ضعف عمق الكتبية (110 على 150 مترا بدل 60 على 90 مترا) .

اما القباب التي لم تكن معروفة في التقاليد الاموية والتي تشبه مقربصات العراق وفارس فانها تبتعد كثيرا عن المقرنصات المصرية ومع ذلك فان المقرنصات الموحدية تمتاز بتوريقات اموية المحتد وفي خصوص الكتابات نلاحظ انه لا تكاد توجد في الاسلام مؤسسات اقل كتابة من البناءات الموحدية اللهم الا خارج المساجد كبعض الابواب الكبرى حيث تبرز حروف كوفية رائعة هذا بينما تسود التسطيرات الزهرية والتوريقات الجريدية والسعفية على غرار اليونان والرومان والبزنطيين ، وقد عرف الفن الاندلسي نوعا من الجدة في النشاط بفضل السلام والامن الناتجين عن سيطرة الموحدين على جنوب اسبانيا .

اما ما يخص الفن الشرقي فاننا نلاحظ تقارب الاساليب المغربية الاندلسية مع المناهج الفاطمية سواء في المظاهر الهندسية ام النقوش (بالرغم عن استعمال الآجر في المغرب والحجر والعقود والقباب المحدودبة في مصر) وقد تباعدت طرائق التزيين المصرية السورية عن الاتجاهات المراقية لتقترب من المنازع المغربية ، ففي الكتبية ومسجد الحكم الفاطمي بالقاهرة مثلا توجد حجرية واقواس مسندة بأعمدة من الآجر ونقوش على الجبس وتوريقات زهرية ، وقد استطاع الفن الاندلسي في عهد الموحدين الاستمداد من مصر عن طريق بني زيري ولكن غزو الاعراب الهلاليين قلص من هذا التبادل الفني بين الشرق والغرب الاسلامي ايام الايوبيين والمماليك بحيث ظل الفن الاندلسي منعزلا يتطور بسرعة خارقة في اطار مقفل تبلورت اشكاله ومعالمه فلم يضف اليه المرينيون ولا الغرناطيون اكتشافات جديدة وانما هي تلوينات طريفة في اطار عتيق زادتها جمودا حركة الغزو

---

(194) طيراس ص 280 .

(195) قوي استعمال الآجر في المساجد والقصور باستثناء جامع حسان حيث تكثر السواري الحجرية وكذلك في تلمسان ايام بني مرين .

المسيحي للاندلس ، وقد قويت فى هذا العصر بعض الاتجاهات مثل الاكتفاء بالآجر والملاط المرمل فى البناء وبنحت وصبغ الخشب والجبس، فالزليج اصبح يغطي اسفل الجدر ويكلل المنارات وتضاءل استخدام الحجر والمرمر وتقترب هذه النقوش الجبسية والخشبية المرينية النصرية من الاساليب الفارسية المعاصرة .

وقد تأثر الاسبان المسيحيون الذين عاشوا بين ظهراني المسلمين بالاندلس بالفن العربي الذي ظهرت بعض معالمه فى بناء الكنائس (ابهاء اشبه بمحاريب – قسي – قباب مورقة) كما احتفظ المدجلون (196) بصنائعهم وأساليبهم الفنية ولكن الدولة لم تستخدمهم الا فى المؤسسات المتواضعة بينما استعمل الاسبان الواردون من الشمال فى بناء القصور والمعابد الضخمة عملة من الشمال أو من فرنسا ثم من الفلاندر والمانيا وبذلك اصبح البعض يرى ان الفن المسيحي فى اسبانيا فن أجنبي مستورد من الخارج ، ويلاحظ وجود عنصرين فى فن المدجنين هما الفن الاندلسي القديم والفن المجلوب ، ففي طليطلة يتسم الفن المقتبس بالطابع الاموي بينما يصطبغ فن المدجنين فى اراغون – وهو ابرز انواع هذا الفن – بالطابع الموحدي لا سيما فى نقوش المنارات (الآجر والفسيفساء) وحتى العناصر المستوردة تتقارب من الفن الموحدي فى النحت والتزيين (ابواب جميلة ذات تسطيرات مضلعة كالتي سيصنعها المرينيون فى القرون التالية) وتوريقات زهرية كالمنابر الموحدية بمراكش او منبر البوعنانية بفاس .

وبعد سقوط طليطلة وقرطبة وبلنسية واشبيلية اصبحت غرناطة حاضرة لاعظم مملكة اسلامية في اسبانيا والتفت حول بلاط محمد بن الاحمر ابرز عناصر المعرفة والثروة والفن والصناعة (غراسات بلنسية ومصانع مرسية للاواني المذهبة والاسلحة والمرصعات) ولا توجد الآن فى غرناطة اية مؤسسة مهمة أقدم من قصر الحمراء باستثناء حماماتها التي يرجع عهدها الى العصر العربي الاول فبعد ما احتل امير قشتالة اشبيلية شرع ابن الاحمر فى بناء قلعة الحمراء ، وقد تحدث الادريسي عن الحرف الصناعية (فى الجزء المقتبس من النزهة (طبعة ليدن ص 208) فلاحظ ان مدينة المرية مثلا كان بها 800 طراز يعمل بها الحلل والديباج والستور المكللة والخمر وصنوف الحرير وصنوف آلات للنحاس والحديد ليس فى بلاد الاندلس احضر من اهلها نقدا ولا اوسع أحوالا فيها 970 فندقا وفى شاطبة (ص 192) تصنع ثياب بيض من أبدع الثياب عتاقة ورقة حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد فى الرقة والبياض ، وقد واصل محمد الثاني بناء الحصون والقصور وأسس ولده عبد الله جامعا فخما رائق الهندام مزدانا بالفسيفساء المنمقة ومسندا بأعمدة رائعة برؤوسها وقواعدها المفضضة ثم اكتملت بهجة الحمراء ايام الغني بالله لا سيما فى ساحة الاسود وردهة السفراء (197) .

وفى عهد اخيه ابى الحجاج انتظمت آخر النقوش والنحوت ونافس الاثرياء بدائع الحمراء بقصورهم الفاخرة وبمناهم المنتشرة فى سهول غرناطة (والمنية عبارة عن فيلا بدوية Villa de campagne) وما زالت قيسارية المدينة الى الآن شبيهة بقيساريات فاس .

وتعتبر ساحة الاسود وردهات الاختين وبني سراج من أروع ما حفظه الحدثان فى الحمراء وتقوم وسط الساحة فسقية تتفتح فى دائرتها اثنا عشر اسدا هي اهم واكمل انموذج للنقش العربي فى الاندلس وحتى فى الشرق وكتابات الحمراء الشعرية والنثرية من اوفر ما ازدان به الفن المعماري ايام بني الاحمر (198)

وبالقرب من الحمراء تنبثق جنة العريف Generalif التي هي إبدع مصطاف يتصوره الفكر بمائها الزلال وورودها الوافرة وعطورها الزكية .

تلك نظرة خاطفة على خواص الفن الاندلسي مقارنة مع معطيات الفن المغربي الذى ازدوج بها فى مختلف العصور ليشكل مزيجا رائعا يعتبر من دعائم التراث الاندلسي .

---

(196) وقيل المدجنون وهم المسلمون فى حكم الافرنج عند المغاربة (عن ابن فضل الله العمري – المكتبة الصقلية ص 150) .

(197) ردهة السفراء فى اشبيلية لا تحاذي الحمراء فى روعتها فحسب بل انها من اجمل ما خلفه الفن الموريسكي .

(198) الهندسة المعمارية عند العرب والمغاربة – جيرول دوفرانجي طبعة 1841 ص 153 (راجع فى قسمه الاخير نماذج رائعة من الكتابات المعمارية مع صور خلابة تمثل بدائع النقش فى قصور غرناطة فى الوانها الحقيقية .

الفنون الصناعية

هذا وان اوربا مدينة للعرب لا لليونانيين بالمعطيات الاولية لصناعتها الحديثة ففي الاقطار الاسلامية مثل مصر وسوريا والعراق والاندلس والمغرب كان للتقنية العربية خلال العصور الوسطى ـ وهي عصور العرب الذهبية ـ اثر عميق في خلق وبلورة المناهج العلمية المنبثقة عن التجربة .

ففيما يخص صناعة الزليجي مثلا اكد المؤرخ كوهنيل (199) ان فسيفساء مدينة الزهراء من نوعين احدهما شرقي من سامرا (اي سر من رأى) يرجع تاريخه الى القرن الثاني الهجري والنصف الآخر من رائق صناعة الخزف المحلية المنجز في القرن الثالث عشر والذى استمرت صناعته في قلعة بني حماد وقد بحث كوهنيل في اشبيلية عن اصل زليجي « البديع » الاسباني واوضح أن خزف مالقا المشهور ببريقه المعدني اللماع كان له طوال قرنين (من القرن الثاني عشر الى الخامس عشر الميلادي) صيت واسع تجاوز حدود الاندلس وظلت مالقا خلال مدة طويلة المركز الاندلسي الوحيد لصناعة هذا الصنف الرائع من الخزف ولكن الشريف الادريسي اكد ان هذه الصناعة عرفت في عصره (اي القرن السادس الهجري) في قلعة ايوب اما في بلنسية فان الاخزاف ذات البريق المعدني لم تعرف الا في القرن الرابع عشر الميلادي احتذاء بالنماذج المالقية وقد اتسعت شبكة التجارة الخزفية فامتدت الى الشرق وبقي الطابع الاندلسي الاسلامي مسيطرا حتى في العصور التالية بعد استرجاع الاسبان للفردوس المفقود ـ على المصنوعات الخزفية التي ظلت الى عصور متأخرة تحمل اشارات واسماء عربية .

وعندما كشف عباس ابن فرناس الاندلسي وهو أول طيار عربي استخدم آلة لامتطاء الاثير ـ طريقة جديدة لصنع الزجاج من معدن الحجر تكونت آنذاك مجموعة من الصناعات سبقت البندقية الى كثير من الكشوف وغمرت العالم بأصناف المنجزات من اقداح وعلب وانابيب وأوان كيماوية مختلفة وكانت المصانع العربية تنفخ الزجاج وتفرغه في قوالب منوعة وتنحته على غرار المصانع الحديثة وتأسست في العالم الاسلامي في ذلك العصر مصانع من هذا الطراز وقد وجد في مدينة فاس في ايام الناصر والمنتصر الموحديين اثنا عشر مصنعا للزجاج وامسى صناع حاب اخصائيين في افراغ الاواني الزجاجية بينما اشتهرت هذه المدينة العربية كمركز عالمي لانتاج الزجاج .

وقد عرفت دمشق بفن الترصيعات والتذهيبات كما اشتهرت مصر بصفاء مصنوعاتها الزجاجية وقد اصبح العرب ينتجون نوعا من زجاج النوافذ والمصابيح وصنفا أشبه بالبلور الرقيق الذى كان يصنع في بروسيا وتشيكوسلوفاكيا قبل الحرب العالمية الاخيرة وكانت قصور العواصم العربية في العصور الوسطى تتلألأ باشعاعات هذا البلور الزجاجي الخلاب وبانعكاساته الضوئية الاخاذة وكانت صناعة الخزف تحتوي على أروع المنتجات التى تزدان بها القصور معماريا واجتماعيا .

والعرب هم الذين « خلقوا » ـ كما يقول كوتيي ـ (200) الورق الذى عوض جريد النخل وسعفها وورق الغزل وما عرفه المصريون والاشوريون من أدوات الكتابة وقد عثر المؤرخ الاسباني في مكتبة الاسكوريال باسبانيا على ورق عربي مصنوع من القطن يرجع تاريخه الى عام 1009 ميلادية وهو اقدم من الورق الذى عثر عليه لحد الآن في المكتبات الاوربية .

وكان بفاس وحدها اربعمائة من الارحى تصنع الورق الا ان ورق سبتة كان مشهورا بجودته وكذلك ورق شاطبة (الورق الشطبي) التى كانت تزود أوربا الغربية كما كانت مصانع بغداد تمون ـ حسب

---

(199) كتاب صدر عام 1925 في ليبزيغ ج 2 ص 12 .
(200) عادات واعراف المسلمين ص 250
(201) حضارة العرب ـ كوستاف لوبون ـ الطبعة الفرنسية م 519 .

كوتيي ــ أوربا الشرقية منذ أواخر القرن التاسع الميلادي .

ومصر هي التى ادخلت الى أوربا ــ حسب كرونار ــ مطبعة الحروف المتحركة .

اما فى فن التوريقات والتسطيرات الخشبية والترصيعات العاجية فان دمشق ظلت ذائعة الصيت ازيد من الف عام وكانت منتجاتها محط تهافت رواد الفن فى العالم وما زالت ترصيعات دمشق مشهورة الى الآن بروعتها وجمالها (Damasquinage)

وقلة الفحم فى الاقطار الاسلامية قد عاق تقدم صناعة الحديد الثقيلة فترة طويلة الا ان ذلك لم يحل دون تطوير هذه الصناعة بفضل صلب (الفولاذ) سمرقند ودمشق ورصاص مصر الفاطمية ومستغلات النحاس والفضة فى العالم العربي . وكانت الموصل تصنع ادق موازين العالم كما كانت دمشق تقوم فى العصور الوسطى فى خصوص صناعة المنجانات المنوعة بالدور الذى تقوم به سويسرا اليوم فى صناعة الساعات الدقيقة وقد اهدى هارون الرشيد الى الامبراطور شارلمان ساعة اعجبت اوربا بدقتها وآليتها وقد لاحظ سيديو ان أبا الوفا هو الذي كشف دقاق الساعة قبل العالم الايطالي غليلي ــ وقد اكد المؤرخ كوتيي أيضا ان الصناعة الكيماوية هي من جملة الكشوف العربية ، وقد كانت تنتج أصنافا مختلفة من المواد الصيدلية ، وقد صنف ابن البيطار كتابا حلل فيه مركبات الفين من العقاقير ما زال عدد كثير منها معمولا به فى التركيبات الصيدلية . واذا كانت الصناعة الكيماوية فى القرن الثامن عشر الميلادي قد استطاعت ان تحدث انقلابا فى الانتاج الحديث فلم يكن ذلك الا بفضل كشف العرب لبعض المركبات التى جهلها الاغريقيون كالبوطاس ونترات الفضة والكحول وحامض الكبريت ، وحامض النترات وملح الامونياك (النوشادر) ومركبات الزئبق (ومنها نقله من المائعية الى الغازية والعكس) .

وهنالك عدد كبير من المصطلحات الكيماوية عربية الاصل مثل الاكسير والالقالي Alcali (من القلى) كما اكتشف العرب بعض الطرق والاساليب الجوهرية فى الصناعة الكيماوية كالتصفية والتصعيد والبلورة والتحليل والتخثير وسبك الذهب والفضة وذلك لاستخلاص او تنسيق بعض التركيبات ، وقد اكد مؤلف (فيزاج دو لسلام) (وجوه الاسلام) ان التقدم الذي حققه المسلمون فى الكيمياء الصناعية تشهد به تلك المهارة القصوى التى برهن عنها الصناع العرب فى فن الصباغة واعداد الجلود وسفاية الفولاذ الخ ..

والعرب هم الذين كشفوا كذلك اصباغا وتلوينات لم يتمكن توالي القرون من المساس بفضاضتها وذلك فى صباغة القطن والحرير والصوف وتلوين الخزف الرقيق والزجاج ، ومعلوم ان اوربا مدينة للفيلسوف الرازي بمعرفة اسلوب الحامض الكبريتي كما ان الاندلسي جابر بن حيان يعتبر حتى عند الغربيين ابا لعلم الكيمياء . وكانت مصر تنتج فى العصور الوسطى اجود انواع الصابون وكانت مصانع الصابون موفورة فى الاندلس والمغرب والعراق حيث كان الصناع يستعملون سودا الاشنان المعروفة بخواصها الكيماوية التطهيرية فى تركيب الصابون . وفى مصانع النسيج بمصر كانت تنتج انسجة الكتان المطعمة بخيوط الذهب والفضة ، وكذلك اقنعة حربائية تتلون انعكاساتها الضوئية تبعا لساعات النهار ، وكذلك اصناف الوشي المخطط المستعمل فى التاثيث والاقمصة الفاخرة المحلاة بالذهب ، وقد اشار صاحب الاستبصار الى وجود نسيج مصنوع من الميكا فى المغرب فى القرن السادس الهجري اما صناعة الحرير فقد ازدهرت ازدهارا خاصا لاسيما بعد ما ادخل العرب دودة القز الى الاندلس فى القرن الثاني الهجري . وكانت أنسجة الحرير تتحلى بفسيفساء من التوريقات والتسطيرات بعض نماذجها مستعملة فى المصانع الاوربية . وقد بلغت هذه الصناعة الحريرية اوجها فى المصانع السورية وما زالت ارق منتجات الحرير تحمل اسماء عربية مثل المصلين (من الموصل) والدمشقي والاطلسي الخ.. وقد استوردت فرنسا بعد الحروب الصليبية من المنسوجات الشرقية كميات هائلة وأولى الدول الاوربية التى استفادت من التقنية الصناعية العربية هي أيطاليا التى نشرت ذلك فى ربوع اوربا . وقد عثر فى مخطوط عربي يرجع تاريخه الى القرن السادس الهجري على أساليب البارود للمدافع ، هذا بينما عرفت أوربا المدافع لاول مرة فى حصار الجزيرة الخضراء من طرف الانجليز عام 1342 م ، وكان الانجليز يعملون آنذاك فى الجيش الاسباني وعرفت هاته المعركة بمعركة « كريسى » وقد ذكر جورج ريفوار أن من الكشوف العربية ذات الفائدة

الصناعية البارود وورق القطن والكتـــان والخــرق الرثة وقد نسب كشف صناعة البارود مدة طويلـــة الى علماء غربيين مثـل روجـي باكـون وشوارتـز وغيرهما الا ان الابحاث التي قام بها كل من الاستـاذين رينو وفافي ساعدت على التأكد من كون العرب هم الذين كشفوا الاسلحة النارية بعـدما تمكنـوا مـن استخدام القوة القاذفة الناتجة عن البارود وقد عثـر فى بعض الوثائق والمستندات الراجعة الى العصور الوسطى حسب كوتيي على تحليل لوسيلـة صنـع الثلج – ومعلوم ان الشام كانت تمد العراق – حسب القلقشندي (صبح الاعشى الجزء 14) – بالثلج فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفـي ، وكـانت الهجـن والسفن تتوالى بين البلدين مثقلة بهاته المادة فى ايام الحر ، ولم تعرف أوربا صنع الثلج الا فى القـرن السادس عشر الميلادي . وقد عرف علـم الحيـل (الميكانيـك) ازدهـارا خاصـا وتحتـوي المكتبـة التيمورية بالقاهرة على عدد من المخطوطات تعالج هذا الفن وتشيـر الى رسـوم لبعـض الادوات والآلات والدواليـب والمنجانـات المصنوعـة فـى العصـور الوسطى ، وقد تأثرت أوربـا بالاساليـب الآليـة العربية كما تعطينا فكرة عن ذلـك الآلات الدقيقـة التى استعملهـا المسلمـون فى ابحاثهـم ومـا زالت بعض مصنفات ابي القاسم الزهراوي حافلة برسوم الآلات التى استعملها فى الطب الجراحي .



اللغة العربية

الأستاذ الشاعر أنور العطار (دمشق)

أيالغتي أنت سر العظم   ولولاك كان البيان العدم
ويا لغتي أنت ترب الخلود   وخدن البقاء ورمز القدم
لسان الكتاب ، وفصل الخطاب   ولب اللباب ، وروح الحكم
وريحانة رويت بالعلا   وزنبقة نديت بالكرم
تبارك من صاغها للغناء   ورصعها باللآلي التوم
ووشحها بعقود النظيم   وفجرها بعيون الكلم
تميس المعاني بها كالغصون   اذا حفلت بثمار القلم
وتنساب ألفاظها كاللحون   فيا رب لفظ جرى كالنغم
توشى بها السحر سحر البيان   وطاب القريض بها وانتظم
وناجى بها الحب احلامه   وطاف بأركانها واستلم
وشبت بها الحرب تطوي الحياة   وترمي بأبنائها في الرجم
وتنشئها السلم بعد الزوال   كأنك تشهد بعث الرمم
اذا ما استقرت فسجع الحمام   وشدو الينابيع خلف الاجم
واما استثيرت فدك الجبال   ومحو الرجال وصب الحمم
ترى الارض مذ آذنت بالصدام   كأن قضاء عليها جثم

اصونك ما عشت صون النفيس واعلي مكانك بين الامم
وارعاك رعية اهل الوفاء وحفظ اللغات كحفظ الحرم
وادفع عنك اذاة العداة وانجيك من زيغ اهل النقم
فكم افسدوا نشرك المستطاب وكم شوهوا شعرك المنسجم
فمن حاقد يتقرى العيوب ومن كائد يتحرى التهم
فذياك فى الطرف منه عمى وذلك فى السمع منه صمم
وظلك تأوي اليه الحياة وما ظلك السمح الا حرم
بك الله وثق حبل الاخاء وحبل الاخوة لا ينصرم
ولولا اياديك عم الشقاق وحل بنا داؤه المخترم
فقد يجتوى العيش بعد الوئام ولا تشتهى الحرب بعد السلم
ولا ينفع الود ود القريب اذا الصد قطع منا الرحم

— ◆ —

هي الكلم الطيب المنتقى هي النغم الساحر المنتشم
وما همت دهري الا بها وما عرف الحب من لم يهم
وهل انا الا فتاها المشوق وهل هي الا هواي العمم
ولا اتكلم الا بها وان كنت ادرى لغات العجم
حلال لعيني فيها السهاد وبرح السقام ولذع الألم
فما العربية الا الحمى وما العربية الا الذمم
بها انزل الله قرآنه بها عصم الله من قد عصم
بها اسعد البدو والحاضرون واهل القصور واهل الخيم
وكان لبنيانها دعمة تجل على راسخات الدعم
وكان لروضتها ديمة تزيد على هاميات الديم
وكان لفينانها نعمة تنيف على سابغات النعم
به بلغ العرب اوج الكمال وبالمصطفى افردوا بالشمم
اذا حكموا لم يجر حكمهم وما عرف الجور شرع حكم
رعوا امم الارض لم يأتلوا وكانوا قديما رعاة الغنم

— ◆ —

فيا لغتي انت عطر الخلود وناسمه الصرف اما نسم
ويا لغتي انت لحن الوجود ومفتتح القول والمختتم

تحقيقات

- اسبقية اللغة العربية الفصحى على العامية

  للدكتور خليل سمعان

- نقـــد الكتـــب

  للدكتور ممدوح حقـــي

- حول نسبة كتاب الحجة

  للدكتور عبد العال سالم مكرم

- متخيـــر الالفـــاظ

  للاستاذ سليمان هادي الطعمة

- عبد الحق فاضل فى مغامراته اللغوية

  للاستاذ ذنون ايـــوب

- حول المغامرات اللغوية

  للاستاذ عبد الحق فاضل

- المقـــولات العشـــر - مخطوط نادر للشيخ محمد الحسني الدليدي

  للدكتور ممدوح حقـــي

أسبقية العربية الفصحى على العامية

تحقيق وترجمة الدكتور خليل سمعان
أستاذ فى جامعة ولاية نيويورك
(بنغمتن)

نشر فيما يلي نبذة فى ابطال راي القائلين بترك اللغة العربية الصحيحة واستبدال اللغة العامية بها فى الكتب والكتابة لأمين فكري بك احد اعضاء الوفد العلمي المصري بمؤتمر السويد والنرويج ورئيس النيابة العامة بمحكمة مصر الابتدائية الاهلية سابقا وتجدون النص الانجليزي فى مكان آخر :

ذهب بعض الناظرين فى اللغات الشرقية ، من رجال اوروبا ، الى ان اللغة العربية المستعملة للتخاطب اليوم ، فى البلاد التي يتكلم فيها باللسان العربي ، قد صارت فى غاية البعد عن اللغة العربية الفصيحة الاصلية ، حتى صح ان تعد كل منهما لغة مستقلة عن الاخرى ، بحيث لو فرض ان اتى الى جهة يتكلم اهلها باللغة المستعملة الآن ، كمصر وسوريا ، من لا يعرف الا اللغة الفصحى ، لم يمكن ان يفهموا منه ، او يفهم منهم ، الا بعد طول المعاشرة والمخالطة .

قالوا : وغاية ما يمكن لقائل ان يقول ، فى النسبة بين اللغة العامية المستعملة بين العرب وبين اللغة العربية الفصيحة ، هو ان اللغة العربية الفصيحة اصل لهذه اللغة العامية، وان هذه فرع تلك، كما يقال ان اللغة اللاتينية أصل للغة التليانية ، وان هذه فرع تلك . ثم راى اهل هذا المذهب ان اللغة العامية وافية بحاجات فى التفاهم ، ولهم ان يستعملوها فى جميع أنواع المعاني ، عالية ودانية ، علمية ، وادبية ، وصناعية ، وشرعية ، وسياسية ، وبالجملة فى كل ما يراد من معنى له مكان منضروريات الانسان ، او حاجياته ، او كمالاته ، ولهم ان يستعملوها كتابة ، وتاليفا ، كما يستعملونها نطقا اما اللغة فهى من البعد عنهم بحيث لا تصلح للتفاهم بينهم فى ضرب من ضروب المعاني ، اللهم الا اذا انفقوا فى تعلمها ازمانا طوالا ، وبذلوا فى دراستها ما استطاعوا من جهد وقوة .

وبنوا على ذلك ان اختصاص العلوم ، والاداب وفنون الصنائع ، واصول الشرائع ، ونحو ذلك ، باللغة الفصيحة مما يقضى على اهل اللغة العربية بالحرمان من التقدم فى معارفهم وآدابهم بجميع أنواعها.

وقد قال بعض مشاهير السياسة ، فى الكلام على مصر ، ما نصه : « واخال ان امل التقدم ضعيف ما دامت العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية ، لغة القرآن ، كما فى الوقت الحاضر ، بدل ان تتعلم اللغة العربية المستعملة ، لان نسبة اللغة المصرية الى لغة القرآن كنسبة الايطالياني الى اللاتيني والاغريقي الحديث الى الاغريقي القديم . وعربية الفلاح لغة قائمة بنفسها ، وقواعدها خاصة بها . واذا لم تؤخذ هذه الاحتياطات الواجبة

للحصول على النتائج الفعلية من المدارس المتعددة التهذيبية ، لاستمر الجيل الجديد كسابقه ، غير صالح لخدمة وطنه ، سواء كان فى القيادة العسكرية ، او فى الصنائع ، او فى الخدم العامة ، وتظل عبارة « مصر للمصريين » ، كما كانت ، اسما بلا مسمى » انتهى كلامه . وبالجملة قد قالوا ان الامة العربية ، اذا بقيت علومها وآدابها مختزنة فى العبارات الفصيحة ، كانت كأنها فى لغة اخرى غير العربية . ولا يصل آحاد الامة الى حاجة من ذلك الا بعد ان يصرف الجزء الاهم من عمره فى تحصيل اللغة . فلو ان العلوم نقلت الى اللغة العامية ، وهي لغة الاب والام وجميع الخلطاء ، يتعلمها الصبي كما يتعلم المشي والاكل والشرب ، لكان عنده من فضل الزمن ما يصرفه فى تحصيل تلك العلوم وهو فى اوائل الصبا ، وكان الزمن الذي يستغرقه فى تعلم اللغة الفصيحة محفوظا للتوسع فى العلوم والآداب ، وبذلك يسهل تعميم الفنون اللازمة لحاجات الامة وبثها فى نفس جميع آحادها بدون استثناء . فان اغفلت هذه الوسيلة لم يوجد سبيل لتعميم الفنون ، ولا لتحسين التربية العامة . وهكذا لج هذا الوهم بأربابه حتى كاد يلتحق بالآراء المعتد بها .

اما نحن فنخالفهم ونذهب غير مذهبهم لوجوه :

الاول ، ان ما يجدونه من الصعوبة فى اختصاص اللغة الفصيحة بالعلوم والفنون ، واستئثارها بالكتابة ، سيجدونه فى نقل العلوم الى اللغة العامية ، بل يجدون فى الثانى ما هو اشد من الاول .

فان اللغة العامية تختلف باختلاف الاقطار والبلاد ، بما لا ينقص عن الاختلاف بين العامي والفصيح ، بل ربما زاد . فان جميع ما قالوه فى صاحب اللغة الفصيحة اذا ورد الى بلد من بلاد العرب التي يتكلم فيها باللغة العامية ، وحاله مع اهل ذلك البلد ، يكون بعينه ، او اكثر ، فى مصرى ذهب الى بلاد المغرب الاقصى او الجزائر او سورية ، وهكذا من يجيء من تلك الجهات الى مصر ، اذا كان لم يدخل المكاتب ، ولم يسبق له مخالطة اهل البلاد التي جاءها .

فانا لا نشك فى انك اذا قلت لمصرى عامى (كيف حالك) باللغة الفصحى ، من غير لحن ، تجده يفهم من هذه العبارة ما اردت ، بخلاف ما اذا قال له المغربى (اشنك) او (آشنتايا) . وكذلك فهم المغربي العامي ، اذا قلت له (كيف حالك) ، اسهل من فهمه لقول العامي المصري (ازيك) . وهكذا يفهم المصري قول العربي الفصيح (ما هو) بخلاف قول المغربي (آشنوا) او (شيهو) ، او قول السوري (شكلوا) . وكذلك يفهم المغربي والسوري من قولك (ما هو) اكثر من قول المصري (ايه هوا) أو (هوا ايه) . وكذلك قولك للمصرى (هذا الوقت) اسهل عليه فهما من قول المغربي (توا) أو (دروق) أو (دروك) ، او قول النابلسي (هالقيت)، وقول البيروتي (هلا) ، بتفخيم اللام ، والطرابلسي (هلا) بترقيقها . وقولك (عمامه) اسهل عليه من قول المغربى (كشطه) ، او الشامي (لفه) ، فانه لا يفهم اللغة الا بمعنى الثوب الذي يلف فيه الطفل الصغير هو رضيع غير منفصل عليه . وقولك (النعل) او (النعال) اسهل من قول المغربي (الصباط) ، و (كثير) اسهل من قوله (ياسر) او (بالزاف) ، (والعطفه) اسهل من (الزنقة) ، و (سفينه) اسهل من (شقف) او (شقوف) ، و (رواق) اسهل من (برطال) . وقولك (امضاء) اسهل من قوله (خنفوسه) ، وقولك (امضيت الكتاب) اسهل من (خنفست الكتاب) و (الكتاب مخنفس) . وقولك (هل عندك ساعه) اسهل من قول المغربى

(ثماش منقاله) (1) ، وقولك (كم الساعة) اسهل عليه من قول المغربي (قداش التعديل) . و (حمص) اسهل عليه من قول الشامي (اضامة) ، وهكذا مما يطول ايراده ولا ينحصر تعداده .

وليس مرادنا هنا الترجيح بين لغة من اللغات العامية وغيرها ، بأن نقول ان المصرية اسهل او ارجح من السورية او المغربية مثلا ، او احداهما اسهل او ارجح من المصرية : بل اردنا ان نبين ان اللغة الفصيحة ، بعد ان يجتنب منها (فى تعليم الفنون والصنائع) الغريب وغير المالوف استعماله ، هى بالنسبة لكل واحد من ذوي اللغات العامية المختلفة اسهل واقرب تناولا من اللغة الخاصة بغيره ممن لم يخالطه . واللفظ العربي الفصيح ، بالنسبة للعامي المصري ، اقرب من العامية المغربية والسورية ، وبالنسبة للعامي المغربي اقرب من العامية المصرية والسورية ، وبالنسبة للسوري اقرب من العامية المصرية والمغربية ، لما يطرق آذان الجميع من سماع الفاظ القرآن ، والحديث ، والمواعظ ، وغير ذلك مما يعم الجميع كما سياتى .

وقد اتفق لي من نحو سنتين ، انني جلت فى بعض بلاد الشام ، مع سيدي الوالد ، فلقينا كثير من فضلاء نبلائها ، ونجباء أدبائها ، منهم الفاضل الشهير ، الشيخ عبد المجيد افندي الخاني، الخالدي، النقشبندى فكنا نفهم منهم ويفهمون منا بالسهولة ، بخلافنا فى التكلم مع العامة ، السوقة ، فكثيرا ما كانوا لا سيما اذا اسرعوا فى التكلم يستغلق بيننا وبينهم الكلام ، وينسد الباب دون فهم المرام ، حتى يترجم لنا الاستاذ الخالدي ، المشار اليه ، وكان يلازمنا ايام مقامنا بدمشق ، فى كل آن ومكان ، فقد جمع بيننا وبينه من اللغة الصحيحة ما لم تجمعه اللغة العامية بيننا وبين العامي البحت ، وما ذاك الا لان لغتنا العامية المصرية غير لغتهم العامية الشامية .

واتفق فى سفرنا هذا ، الى هذه البلاد ، اني دخلت ايام مكثنا بمدينة باريس ، عاصمة بلاد فرنسا ، الى احد محال التجارة بها وهو المعروف بمخزن اللوفر ، مع السيد الوالد المشار اليه ، ورفيقتنا بهذا الحفل النبيل ، من مصر فلقينا هنالك ، بحكم الاتفاق من غير قصد ، رجل من باعة البضاعة بذلك ، سبق له اقامة (2) مدة مديدة فى بلاد الجزائر ، حتى اعتاد التكلم باللغة العامية المتداولة بها كأهلها ، فلما توسم فى زي ملابسنا اننا من اهل اللغة العربية ، وتحقق ذلك بالسؤال منا ، وهو انما يعرف من اللغة العامية المغربية ما عرفه ببلاد الجزائر ، اخذ يتكلم معنا بتلك اللغة مع طلاقة وذلاقة لسان . غير أن كثيرا من كلامه كان يستعجم علينا فما يفهمه منا الا رفيقتنا الشيخ حمزة ، وكذا كلامنا بالنسبة للرجل حتى يفهمه الشيخ المومى اليه . وذلك لان الشيخ اقام سنين من عمره فى بلاد المغرب وتونس ، فكان يترجم بيننا وبين الرجل الى ان جاءت النوبة الى شراء ما يختص بى ، ورايت التفاهم بيني وبين الرجل لا يتيسر الا بواسطة ترجمة الشيخ . فوجدت الاقرب تناولا والاقل زمنا، ان يكلمنى بلغته الفرنساوية، ورجوته فى ذلك ، فأجاب ، وسهل تعاطي الكلام بيني وبينه ، فكانت اللغة الفرنساوية الاصيلة بالنسبة له،

1) قوله (منقاله) ـ هذه القاف تقرأ عندهم كالقاف فى نطق صعيد مصر وكالجيم فى نطق اهل القاهرة اى غير معطشة . وانظر ما يكتب به مثل هذه القاف اذا اريد نقل الكتابة الى اللغة العامية ـ أتكتب بالقاف وهي لا ينطق بها كالقاف المعروفة فى قراءة القرآن فيلزم تمييزها عنها ؟ ام تكتب بالجيم فيلزم تمييزها عن الجيم الحقيقية ؟ والا كيف يتميز مثل قولنا (قده) اذا كتبت بالجيم من قولنا (جده) ؟ ومثل هذا كثير جدا .

2) هكذا فى النص .

الطارئة بالنسبة لي ، أقرب لي تناولا من اللغة المغربية العامية ، لمكان التباعد بينها وبين العامية المصرية . وكذا كان الحال مع من لقيناه غير هذا الرجل ، من أهل المغرب ، من الحديثي العهد بالاقامة فى بلادنا ، لاسيما ان كان من أهل المغرب الاقصى . فان اللغة العربية المغربية تكاد ان تكون بالنسبة لنا رطانة أجنبية ، اللهم الا ان تكلم باللغة الصحيحة ، فان فهمها حتى بالنسبة الى العامى منا أقرب من تلك بكثير .

وأخبرني السيد الوالد ، ابقاه الله ، انه لما سافر الى البلاد الحجازية ، لاداء فريضة الحج ، كان فهمه لكلام اهلها ، بل اعراب باديتها ، اقرب واسهل مما مر بكثير جدا ، لقربه الى اللغة الفصيحة . وقد تستغرب الكلمة فى استعمال احدهم فيرجع اليها من يستغربها فى كتب اللغة ، كالقاموس، فتوجد نصا ، مثل لفظ « الضلع » بمعنى (جانب الجبل) . قال : وقد سألت عاميا من اعراب البادية هناك عن معنى « الضلع » فقال : « الضلع ضلع الجبل » واشار اليه؛ «وضلع الانسان» ، واشار الى ضلع نفسه . فلما وافقت لغتهم العامية صحيح اللغة العربيةفى البعض، وقربت منه فى البعض، سهل فهم ما وافق المستعمل فى لسان العامة ، ووجود غير المستعمل فيه بكتب اللغة .

بخلاف ما اذا لم يفهم المصري مثلا قول الشامي فى عاميته الشامية ، (قالشين) ، او (قمباز) ، أو (منتان) ، أو لم يفهم الشامي قول المصري ، فى عاميته المصرية ، (شراب) ، أو (قفطان) ، او (عنتري) ، بمعنى الثلاثة المتقدمة على ترتيبها ، او لم يفهم كلاهما من المغربي ، قوله فى عاميته المغربية ، (سبنيه) ، بمعنى منديل و (سقلي) ، اذا كان مشغولا بالفضة ، و (جامير) ، بمعنى قميص (وهو بجيم كالجيم التركية والفارسية ينطق بها بين الجيم والشين العربيتين ، كما عرفته من نطق بعضهم) ، أو لم يعرف المغربي ما سبق من كلام كل من الشامي والمصري . فأين يجد الواحد منهم بغيته اذا جاء الى احد هؤلاء كتاب فى غير لغته العامية ، فيه شيء من ذلك ، وربما لم يكن فى بلدته ، او بلدة قريبة منها ، احد من اهل تلك اللغة ، ولا معرفة بها عنده ، ولا فى شيء من كتب اللغة يجد قصده ؟

فماذا كنت مثلا فى قرية من قرى مصر ، من غير مراكزها المختلطة بها اصناف الامم ، مشتغلا بزراعة أو غيرها ، واتانى كتاب من احد اصحابي فى الشام ، أو فى الغرب ، (1) على لغته ، وفيه ما لا اعرف ، فماذا اصنع ؟ ااهمله بالكلية ، وربما كان فى حاجة ضرورية مهمة ، ام اسافر الى موضع اجد فيه من يفهمنى ذلك ولو كنت فى اقصى الصعيد ، ام أبعث به الى عارف اللغتين ، يترجمه كما تترجم اللغات الاجنبية ؟ فقد اصبح كل منا ، اذا تركنا اللغة الصحيحة الجامعة بالكلية (لا قدر الله) ، اجنبيا عن الآخر من ذوى لغته وبنى جلدته ، بعد ان كان بيننا جامعة اللغة . هذا ، ومما قدمناه من اختلاف اللغة ؛ انه قد يوجد فى احدى اللغات العامية ما يخاله من ليس يعرفه شتما أو عيبا ، مما يستحيى منه ، بالنظر الى لغته ، وقد وقع من ذلك ، لكثير من الناس ، ما لا يحصى . فما ظنك بمصري نزل بالشام ، فى دار وتعهدت له شامية او شامي بعمل الاكل ، فقال المصري ماذا آكل ؟ فقيل له : (كبه) — والكبة فى العامية المصرية مما يستعمل فى فظيع الدعاء على الغير ، اذ هو فيها الخراج الطاعوني ، والعياذ بالله تعالى . وفى امثالهم العامية : (سنة الكبة يدلع لمخط) ، يضرب لمن يعجب بنفسه وهو حقير ، لدى عدم وجود من يعتد به ، كقول القائل « خلت البقاع من الرخاخ ففرزنت فيها البيادق » .

1) يقصد « المغرب » .

والكبة ، فى عامية سورية ، طعام معروف لدى أهلها، من اطيب ما يستلذ عندهم . واذا قال المصري للمغربي: (بص) ، فهي عند المصري بمعنى (انظر) ، وعند المغربي من المعاني المستهجنة للغايـــة .

وكثيرا ما توجد فى عامية بعض الجهات الفاظ تعد عند غير أهل الجهة سخفا وفحشا ، بل من أفحش السخف ، وهي عند اهلها معرونة مالوفـــة ، ليست فى شيء من ذلك ، لا تستحي منها العذراء فى خدرها .

وقد اتفق لي من ذلك يوم دخلنا القـــــدس فى السياحة الشامية ، ان سالت امراة صادفنتها فى الطريق عن موضع هناك ، وهو الفندق الذي نزلناه ، وكنت قد اشتبه على الطريق اليه . فارادت ان تقول ما معناه (ها هو هنالك) . فاشارت الى موضع الفندق، وقالت كلمتين ارادت بهما ذلك المعنى ، يقضي بسببها الوهم ممن لم يالف تلك اللغة ، اول وهلة ، ان المراة من فواحش الفواجر المتهتكات . فعجبت مـــن جهرها بذلك الكلام ، على قارعة الطريق ، بمسمـــع غيرها من فتيات من النساء . وكنت رايتها متقدمـــة فى السن ، وذلك مما حملني على اختصاصها بالمخاطبة والسؤال ، خيفة ما قد يلحق الغريب من الظنة. فتاملتها ثانيا ، لما استغربت ذلك منها ، فاذا هـــي كما رايت اولا ، مسنة عليها سمت وقار وسمة كمال، وهي فى ابعد حال مما كان قد ذهب اليه الوهم وسوء الفهم . فلما تكرر سماع ذلك من بعض الفتيات ؛ بعد هذه المرة ، لم اجد سبيلا لسوء الظـــن ولا أريد ان اصرح بأمثال ذلك ، وفى هذا كفاية لمن شاء ، ومن اراد ذلك فربما وقع له ، اذا تجاذب الكلام مع من لم يسبق له وفادة على مصر ، وجرت المناسبة الى ما هو من هذا القبيل . وكل ما ذكرناه هو بالنسبـــة للحال الحاضرة اليوم . اما لو نقلنا الكلام الى ما قبل عشرين سنة ، مثلا ، لنقيس عليه ما بعد مثل هذه المدة ، لكان الامر اكبر ، لما تراه فى العامية من التبدل والتغير بتغير الاعصار وعدم الثبات والاستقرار.

فلو فرضنا الكلام فى سوري مثلا جاء الى مصر ، أو مصري ذهب الى سورية ، قبل نحو تلك المـــدة ، لوجدنا المصري لا يفهم من السوري ولا كلمـــة واحدة . فان المصري لو سمع من امراة سورية ، أو رجل سوري ، من ذوي السن ، ممن لم يدخل المكاتب، هذه العبارة ، وهي : (سلكت الحئيم آل لي ال اينا) ، لم يفهم ماذا يريد منها ، والمراد (سالت الحكيم قال لي كل كينا) . بل لو سمع شاب مصري شابـــا سوريا ، من اهل بيروت ، يقول اليوم (وعأت علـــى اجرى) ، لم يفهم ماذا يريد ، ومراده (وقعت على رجلي) . وكذلك لو قال السوري للمصري : (انظرني هلا وبجي) ، لم يفهم منه انه يقول (انتظرني حـــالا اجي) . ولو اراد احد احصاء ذلك ، يلزمه ان يكتب سفرا كبيرا ، هو قاموس اللغتين السورية قبل عشرين سنة مع بعض السورية اليوم والمصريـــــة اليوم . فمن اراد نقل العلوم والآداب من اللغة الفصحى الى اللغة العامية ، لزمه أن يحول (1) بين السوريين والمصريين والبغداديين والتونسيين والمراكشيـــين وغيرهم ممن يتكلم باللسان العربي ، ويجعل لكل فئة منهم لغة خاصة بهم فى معارفهم وعلومهـــم وآدابهم . ويصبح المصري ؛ اذا كتب كتابا ، لا يفهمه السوري . والسوري ، اذا كتب كتابا ، لا يفهمـــه المصري . وهكذا سائر الاقوام العربية ، فيفتقد العرب ما عساه يكون بينهم من التعاون على العلـــم والادب ، ويصيرون الى حال من الفرقة اشنع مما هم فيه اليوم . بل من دقق النظر فى أحوال البلاد العربية ، يجد أن البلاد المصرية نفسها ، يختلف بعضها عـــن بعض ، بما لا يقل عن الاختلاف بين العامة وأهــــل

1) الاصـــح « يميـــز »

النصيحة الصحيحة . فان أهل الصعيد الاعلى يستعملون من الالفاظ وضروب التعبير ما لا يفهمه اهل البحيرة ، بل لاهل مديرية الشرقية ، مثلا ، من الالفاظ ما لا يفهمه أهل مديرية الدقهلية الملاصقة لها ، الا من تكرر سماعه لها ، بل لاهل المديرية الواحدة ، فى بعض البلاد ، الفاظ تخالف ما هو مستعمل فى معناها بالبعض الآخر ، وللعربان كذلك . وهكذا نجد فى سائر البلاد العربية ، فى ما نعلم ، ولا نطيل فى ايراد الامثلة والشواهد على ذلك فوق ما مر . فمن اراد نقل العلم الى اللغة العامية لزمه ان يفرق بين اهل الاقاليم فى معارفهم وآدابهم وباعد (1) بين افكارهم . وانقلبت الامة بسعيه الى امم مختلفة ، لا يفهم الافراد من احداها ما يقول الافراد من الاخرى ، وهم اهل شريعة واحدة ، وفى سلطان حاكم واحد ، وكل واحد منهم فى حاجة الى معونة الآخر فى اقل الضروريات واجلها . فان قال اهل ذلك المذهب : اننا نضع كتابا يحتوي على جميع اللغات العامية ، فى الاقطار العربية ، او يحتوي جميع الالفاظ المصرية ، مثلا ، مرتبة على الحروف والابواب ، ويعين فيه لغة كل ناحية من النواحي ، وتفسر بمفاهيم لغات سائر النواحي ، فاذا عثر احد من اهل الغربية ، مثلا ، على لفظ فى كتاب لاحد من اهل جهة اخرى ، راجع ذلك الكتاب حتى يفهم مراده .

قلنا : لو تسنى ذلك لنا بالفرض ، لم يكن ذلك باسهل من مراجعة الكتب اللغوية التي بايدينا اليوم ، على انا اذا اقتصرنا فى كتبنا الصناعية والفنية، التي يحتاج اليها عامة الناس ، على الموافق للاستعمال الحالي ، والقريب اليه من العربي الصحيح ، وتركنا القريب والبعيد عن المستعمل ، لسهل الامر جدا : كأن نستعمل فى تلك المؤلفات بدل لفظ (اللجين)، مثلا ، لفظ « الفضة » بمعناه ، فان الثاني ، مع كونه لفظا صحيحا فصيحا ، فى هذا المعنى ، هو كما تراه قريب من اللفظ العامي المستعمل ، لا فرق بينهما الا كسر الفاء فى الصحيح ، وفتحها فى العامي ، فلهذا يفهمه العامي وغيره بخلاف الاول ، ولذا ندعه ونستعمل الثاني ، وكذا نستعمل بدل لفظ (العسجد) مثلا ، لفظ « الذهب » ، لقرب الثاني من اللفظ العامي، لا يفرق بينهما الا بالذال منقوطة فى الصحيح . والدال غير منقوطة فى العامي ؛ فلهذا لا يتعسر فهمه. وهكذا، ومن هذا القبيل . ما قصدناه على سبيل التمثيل من استعمال كلمتي « المنقوطة » « وغير المنقوطة » ؛ فى هذه العبارة ؛ بدل لفظتي « المعجمة » « والمهملة » الغالبتين فى المؤلفات ، ولم نراع هذه الطريقة فى كل ما كتبناه هنا ، لاننا نكتب للخواص لا للعوام . فاذا اعتنينا برعاية ما ذكرناه ؛ اعنى الاقتصار فى المؤلفات التي يحتاج اليها عامة الناس . كما ذكر ، لا خاصتهم ، على مألوف الاستعمال . لم يبق من حاجة غالبا الى مراجعة الكتب اللغوية . الا بالنسبة لمن نصب نفسه للتبحر فى معرفة مفردات اللغة وعلومها ؛ من العلماء والادباء ، ومن يريد اللحاق بهم . والترقي فى درجات البلاغة الى درجاتهم ، وما ذاك بمتعين على عامة الناس ، ولا تدعو اليه ضرورة بالنسبة اليهم ومن اراده ، ممن تسمو به نفسه عن تلك الطبقة ؛ للتوسل به الى علوم التفسير ونحوها واجادة صناعة النظم والنثر وما يتعلق بها ، وجد الكتب التي يحتاج اليها فى ذلك حاضرة ، والطريق مسلوكة، والطريقة سهلة ، والمرام على طرف التمام(2) بخلاف ما لو تركنا الطريقة العربية فى النطق والمكاتبة

1) الاصح « وما بعد »

2) الأصح « التمام » ـ ر.البكري : فصل المقال (خرطوم 1958) ، 276 ؛ العسكري : جمهرة الامثال ، 2 ، 257 ؛ الزمخشري : مستقصى ، 2 ، 387 رقم 1422 ؛ الثعالبي : ثمات القلوب ، 1326 ، 373 ؛2؛ النويري : نهاية ، 3 ، 55 .... ادين المستشرق الدكتور انطون شبيتالر ، جامعة مونيخ ، بفضل كبير لتلطفه بمساعدتي على حل هذه العقدة الفلولوجية وتوجيهي الى المصادر المشار اليها اعلاه .

والتاليف كليا ، وهجرناها مليا ، فان ذلك تندثر به تلك الكتب وتتناسى ، ويضمحل امرها ويتلاشى ، وبتداول الزمن ، يصبح الوصول الى ذلك المراد أصعب من خرط القتاد . على ان العمل فى جمع متفرق اللغات العامية ، وتمييزها ، مما يصعب نجاحه كل الصعوبة. فان واضع مثل ذلك الكتاب الجامع ، لا يصل الى الغرض منه ، حتى يخالط اهل كل اقليم بل كل ناحية ، ويسمع كلامهم فى جميع المقاصد والاغراض، ليتسنى له بذلك الاحاطة بجميع الالفاظ . وهذا يستغرق من الزمن والنفقة ، ما لو صرف بعضه فى حمل الناس على التكلم بالفصيح ، لاتى بالغرض المطلوب ، على اتم وجه واكمله .

هذا كله اذا قصرنا النظر على مفردات اللغة العامية ، وما يوجد بينها من الاختلاف الفاحش .

فان نظرنا الى هيئات التراكيب ، التي تختلف ايضا باختلاف الاقطار والنواحي ، لاحتجنا الى فن نحو خاص بكل قطر ، او بكل ناحية ، ولكان على العربي منا ان يتعلم كل نحو وضع لكل لغة ، حتى يتمكن من فهم ما يكتب فى اللغة العامية ، من اي بلد من بلاد العرب ، وهذا يكلفنا من المشقات اضعاف ما يكلفنا تعلم نحو اللغة العربية الفصيحة . ونحتاج ايضا الى وضع علم لرسم كلمات هذه اللغة العامية ؛ لتكون كتابة كل جهة جارية على اصول مضبوطة ، وطريقة واحدة ، والا صار كل واحد من افراد الناس ، يكتب بهوى نفسه ، على حسب ما يعن له ، من غير قاعدة مقررة ، ولا قانون ضابط . فمثل (اللى) ، فى العامية ، بمعنى (الذي) فى الصحيحة : هل تكتب بلام واحدة ، مثل ما يكتب (على) فى اللغة الصحيحة ، بلام واحدة مشددة، جريا على قاعدة الادغام المرعية عند اربابها فى النطق والرسم ، أم تكتب « اللي » بلامين ، بناء على ان تلك القاعدة خاصة باللغة العربية الصحيحة لا غيرها ، كما تكتب (تللي) من اللغة التركية ، بمعنى « ذي شعر » بلامين ، و (اللي) ايضا ، بمعنى « خمسين » ، بلامين كذلك ، لعدم رعاية الادغام عندهم ، واختصاصه باللغة العربية الاصلية الصحيحة؟ ومثل (قل لي المحرفة من قال لي) ، هل تكتب بلام واحدة مشددة ، ام تكتب بلامين متصلين ، او منفصلين ؟ وعلى كل هل تكتب بألف بين القاف واللام ، على الاصل ، للتفرقة بينها وبين (قل لي) المركبة من فعل امر وجار ومجرور ؟ أم هل تترك الالف من الرسم، لسقوطها فى النطق ؟ وعلى كل تكتب (1) بالهمزة بدل القاف ، (ال لي) او (آل لي) (الي) ؟ او غير ذلك . ثم على كل هل تكتب بالهمزة فى اولها ، بدل القاف ، لان النطق بها كذلك فى العامية ، فى بعض البلاد ، مثل القاهرة ، او بالقاف الحقيقية ، لان النطق بها كذلك ، فى بلاد آخر كرشيد ؟ او تكتب بالجيم ، رعايةلحال النطق بها فىبعض (2) آخر كالصعيد لان اهله ينطقون بها بما يشبه جيما غير معطشة ، كالجيم العامية المعتادة فى القاهرة ؟ او تكتب بالقاف ، ويُرمز لها بما يميزها عن القاف الحقيقية ، او بالجيم مرموزا لها بما يميزها عن المعطشة ؟ او يوضع لها حرف جديد ؟ وبالجملة يلزم وضع علم للرسم فى هذه اللغة العامية ، اذا نقلنا اليها الكتابة والفنون، لتتحد الكتابة فيها، والا انتشر فى كتابتها الخلاف، وعمل كل برايه وعلى حسب ما يراه الصواب . ويتسع الاختلاف كثيرا فى رسم الكلمة الواحدة فى بلدين ، مثلا، بل فى بلد واحد، بحسب اختلاف الانظار فيما هو الصواب فى الرسم ، وهلم جرا ، الى سائر ما يلزمنا استحداثه من الفنون ، لنقل التآليف والكتابة الى اللغة العامية . وبعد هذا كله نرجع ونقول ان الزمن الذي

---

1) الاصح « اتكتب »

2) الأصح « بعض بلاد الصعيد »

يكفينا لتعلم الفنون والقواعد لهذه اللغة العامية ، من نحو ورسم وغيرهما ، يكفينا لتعلم لغتنا العربية الصحيحة ، ونربح وحدة اللغة ، وعدم حرماننا من الانتفاع بمؤلفات اسلافنا فوق الف سنة ، مع الاقتصار على الضروري من تلك القواعد اللغوية ، بقدر ما يلزم لعامة الناس ، لا خاصتهم ؛ كما مر .

فان قال أحد من اهل هذا المذهب : لا يلزم وضع قواعد لهذه اللغة العامية ، لانها معروفة عند العامة والخاصة باستعمالها وتداولها فى التكلم فيما بين اهلها . قلنا : لو كان الامر كذلك ، لما اضطرت كل امة من الامم المتمدنة الى وضع قواعد لضبط لغتها التي يتكلم بها كبيرهم وصغيرهم وفاضلهم ومفضولهم مثل معرفة عامينا للغتنا العامية فى الاقل ، ومع ذلك احتاجوا لوضع القواعد فيها ، حسما لما ينشأ عن عدم وجود القواعد من الخلل والمفاسد ؛ وقد بينا بعضه .

فان قالوا : ان الطريق الذي سلكه المتقدمون فى الاحاطة باللغة العربية الفصيحة ، وحصر موادها ؛ وضبط قواعد النطق بها ، نسلكه فيما نريد من ذلك للغة العامية . قلنا : كانت اللغة العربية وصلت الى حد الكمال ، واستقرت على حالة رسخت فى الاذهان ، وثبتت فى القرائح، واختلط اهلها من جميع اطراف البلاد العربية ، حتى عرف كل منهم مجرى التخاطب عند الآخرين : فكان البدوي من اهل اليمن يخاطب الحضري من أهل الشام والعراق فلا يرتاب واحد منهما فى لفظ مما ينطق به الآخر ، الا ان يكون لفظ طرأ من لغة اجنبية ، فعربه التوليد وهو مما لا يلتفت اليه فى لغة واسعة ، ثم انقرضت الطبقة التي كان يعتد بلغتها ، ويستشهد بكلامها ، فى اثبات مفردات اللغة وعلومها .

واستقرت لغة القوم على ما كانت عليه الى ذلك العهد ، لا تقبل تغييرا ولا تبديلا . ولهذا سهل على واضعي قوانينها وحفاظ موادها ، أن يحيطوا بأطرافها ، ويأتوا على كل جوانبها . وافادها الشرع الشريف تأييدا وتأييدا ، وامدها امدا مديدا ، بخلاف حال العربية العامية المستعملة اليوم ، فهي عرضة للتغيير والتبدل . فحال العربية فى هذا الزمان ، مخالف لحالها فى تلك الازمان كما ان حال أهلها الآن ، يختلف عن حال الاسلاف كمال الاختلاف .

الوجه الثاني : ان اللغة العامية لم تبلغ مبلغ لغة ثابتة فى موادها ، ولا فى هيئات تراكيبها ، حتى يعول عليها ، وتوضع فيا العلوم والاداب ، وانما هي تحريف لغة اخرى . ولهذا نرى التبديل والتغيير فيها ، كما ذكرنا ، لا ينقطع . وما ذكروه من المثال غير صحيح ؛ ولن يصح : فان اللغة التليانية ، او الاغريقية الحديثة ، لغة استقرت ، وثبتت ، وصارت ملكة فى الناطقين بها ، لا ينحرفون عنها ؛ كلهم متفقوا الكلمة فيها ، غير متوفرة عندهم اسباب التغير ، كما عندنا ؛ ولهذا بعثهم الباعث الطبيعي على اعتبارها مدار التخاطب ، فى جميع المقاصد . وليست الحال عندنا كذلك . والفرق بيننا وبينهم ظاهر واضح ، لا نحتاج فى بيانه الى الاسهاب والاطناب ، فى هذا الباب ، وانما نلم به بعض الالمام وندع ما وراء ذلك الى تدبر من ينعم النظر فى مجاري الاحوال الطبيعية ، وترتب المسببات على الاسباب فنقول :

كانت أمة العرب ، قبل الاسلام منحصرة فى بلادها ، غير منتشرة فى آفاق الارض (نريد انتشار الجماهير المجمهرة ، والالوف المؤلفة ، للغلبة والاستيلاء والفتوح ، لا انتشار الافراد والجماعات القليلة ، للتجارة ونحوها من الاسباب ، فان الثاني لا ينشأ عنه اثر ذو بال ، واهمية ؛ بخلاف الاول) . ثم ظهر فيها الدين المبين الاسلامي ، وكثر وانتشر ، وقوى اهله ، وسارت الدعوة اليه ، على يد القائمين به ، الناصرين له ، الناشرين

كلمته ، الى من جاورهم ومن قاربهم ، ومن بعدهم ، وغيرهم ، وتوالت على أيديهم الفتوح ، حتى انتشروا فى مشارق الارض ومغاربها ، مؤيدين بالظفر ، ظافرين بالنصر ، واسلم معهم من اهل البلاد التي احتلوها من اسلم، فصار منهم وانقاد من لم يسلم، فدخل فى ذمتهم ، واقام فى كل صقع ناس منهم ، للقيام بالامر ، وتقرير احكام الشرع ، وتعليم اصول الدين وفروعه ، وحفظ البلاد التي دخلت فى يدهم من الخروج عن كلمتهم ، واختلطوا مع اهل تلك البلاد ، على حكم الضرورة ، فى المعاشرة والمحاورة ، وسائر ما تستتبعه المساكنة والمجاورة ، وامور المعاملة ، والتصق اهل تلك البلاد بهم ، واختلطوا معهم ، وتعلموا من لغتهم وعادتهم ، وسرى من كل فريق منهم اشياء الى الآخر بحكم المخالطة، وتوالي الايام والاعوام عليها . وانتقل ذلك الى الابناء بعد الاباء ، والاحفاد بعد الاجداد ، الى ان صار اهل تلك البلاد التي دخلوها واستولوا عليها ، مزيجا مركبا ، صدق فيه ما قيل « نبط استعربوا (1) وعرب استنبطوا » ، وان يقال « عجم استعربوا وعرب استعجموا » . وثبتت اللغة العربية فى البلاد التي كانت تمكنت فيها تلك اللغة فضل تمكن ، كمصر ، مع ما طرا عليها من التحريف والتغيير ، وازداد بطنا بعد بطن ، وقرنا بعد قرن ، لا سيما بعد ان تقلصت ظلال دولة العرب، وخلفهم على البلاد غيرهم من امم مختلفة ، واجناس من الناس متباينة تداولتها ، واستولت عليها . كما انها دخلها ايضا ولا يزال يدخلها اخلاط من الامم ، للتوطن والاقامة ، كثير منهم موافق لاهل البلاد ، فى اصل اللغة ، ومطلق التحريف ، مخالف لهم فى كيفيته ، فيأخذون مما عند الاهلين ، ويأخذ الاهلون مما عندهم . وهكذا صار وقوع التغيير بهذه الاسباب طريقة غير متغيرة ، عرفها من عرفها ، ولا ينكرها الا من جهل أمرها .

فما ذكروه من المثال غير منطبق على الحال ، كما قلنا ، لامور كثيرة ، منها انك ترى الايطاليانيين ، مثلا، اذا دخل عندهم رجل من امة اخرى ، للاقامة بينهم فلغته غير لغتهم ، فهو اذا خاطبهم او كاتبهم ، فاما ان يخاطبهم ويكاتبهم بلغته ، وهو نادر مع من يعرفها ، او بلغتهم المباينة للغته ، فلا يحصل من التداخل فى الحالين بقدر ما عندنا . اما نحن فاذا دخل عندنا السوري ، او المغربي ، مثلا ، فاصل لغتنا ولغته واحد ، ولكنه عنده تحريف ، وعندنا تحريف آخر ، فيقع التداخل والتبادل ، الى غير ذلك مما تقدمناه ، كما يعلم بالتأمل وصحة النظر . فظهر ان المثال غير واقع موقعه ، والقياس غير مصادف محله ، ولا يقاس المثل الاعلى المثل ، ولا يصح القياس الا عند عدم الفارق (والفرق مثل الصبح ظاهر). ثم ان من تتبع احوال اللغة العامية المستعملة عندنا وجد انها كما تختلف باختلاف الازمنة ، تختلف ايضا باختلاف الاشخاص والامكنة ، فانك تراها ترتقي الى القرب من موافقة اللغة الفصحى عند أهل العلم ، وعند البعض ممن يخالطون العلماء ، وفى البلاد التي تنتشر فيها الجرائد . وكما انك ترى هذه اللغة عند هؤلاء ترتقي الى هذه الدرجة ، تراها تسفل وتنحط عن الفصيح ، عند من لا يعرفون سواها ، ولا حركة للسان الجرائد فيما بينهم . وتتغير هيئات المواد ، وصيغها ، وهيئات تراكيبها ، بحسب اختلاف الاشخاص ومراتبهم فى المعرفة ، بلا تكلف لذلك ، ولا قصد اليه . وتجد لفظا له هيئة ثابتة عند العامة ، بحيث لو غيرت تلك الهيئة لعد لحنا عندهم وغلطا ،

---

1) النبط بفتحتين والنبيط قوم ينزلون بالبطائح (آ) والعجم خلاف العرب .
(آ) « البطائح » فى النسخة الاصلية .

بل اللسان فيها مطلق عن كل قيد ، يذهب في الالفاظ حيث يشاء الناطق . فلو اردنا تقريرها ونقل العلوم اليها لعسر علينا تعيين هيئة خاصة في المواد والتراكيب . وكان حمل الناس على التزام تلك الهيئة اشد عسرا . ولكونها تعد تحريفا لا لغة وليس لها هيئة ثابتة ، ولا سلطة لنا على لسان العامة ، ما دام التحريف له عادة ، نقول اننا مهما حرصنا على هذه العادة ، التي سميناها لغة ، لا نأمن ان نراها بعد قرن واحد قد صارت الى ما لا نتصوره الآن . ويأتي اهل القرن الثاني ويقولون فيما وضعنا اليوم مثل ما نقول في اللغة الفصيحة . وهكذا يستمر التغيير والتبديل في اللغة العامية: فاما ان يتبعه التغيير والتبديل في الكتب والكتابة ، كل زمان ، قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، تبعا لتغير نطق اللسان ، كما يريدون ان يكون الآن ، حتى ما يفهم جيل من الناس لسان من قبلهم من الاجيال ، ولا يفهم لسانهم من ياتي بعدهم ، ويصير كل جيل منهم امة قائمة بنفسها ، منفردة بذاتها ، وحدها عمن قبلها ، ومن بعدها ، وهذا الامر ، فضلا عما يتبعه من طول العمل فيه ، وكثرته ، وتكرره ، والعناء في تقريره ، عصرا فعصرا ، لا يخفى ما فيه .

واما ان لا يتبع ما يحدث من التغيير والتبديل في النطق تغيير وتبديل في الكتب والكتابة ، بل تبقى الكتب والكتابة ثابتة على ما يتقرر اول مرة، لو حصل، مهما تغير التكلم ، وتبدل ، وحينئذ نرجع الى ما نحن فيه ، من ان الكتب تكون على لغة ، والنطق على غيرها ، ويضيع التعب سدى والعمل عقيما عن الفائدة ، بل يزيد على ذلك ، انا نكون بهذا العمل ، قد استحدثنا لغة زائدة ، فيزيد الطين بلة ، وتكون المؤلفات القديمة ، المؤلفة في اكثر من الف سنة في آفاق العالم ، واقطار الدنيا ، مبنية على لغة مهجورة حينئذ ، وهي العربية الصحيحة ، وتكون الكتب التي تستحدث الان على لغة غيرها ، وهي العامية المستعملة الان ، التي ستهجر بعد ، ويكون التكلم على لغة اخرى ، وهي التي تحدث للنطق بعد جيل ، مثلا ، فان تبع تغيير الكتب تغيير النطق والتكلم ، على الوجه الاول ، تكون لغة رابعة ، فان تغير بعد ذلك ايضا ، تستجد لغة خامسة ، وهكذا تتسلسل اللغات الى ما يتناهى لو حصل ذلك . (لا حصل) .

فان قيل : ان اللغة العامية الحالية انما كانت عرضة للتغير والتبدل لعدم تقييدها بالكتابة وتركها هملا ، تتبع كل ريح بخلاف ما لو قيدت بالكتابة ، ودونت فيها الكتب ، وجرى عليها العلم والتعلم ، واستمر الحال جاريا على تلك الحال ، فانها بذلك ترسخ وتثبت ، ولا يعتريها التغير .

قلنا : هيهات . فان اللغة الصحيحة ايضا كانت مقيدة بالكتابة ، مدونة فيها الكتب ، جاريا عليها التعلم والتعليم ، مؤيدة فوق ذلك بانها لسان الشرع والديانة ثم انقلبت الى لغة اخرى ، على ما يقولون . فلم لا يجوز على غيرها ، وهو دونها ، ما جاز عليها ، وهي بهذه المثابة ؟

فان قالوا : يلزم بعد تقرير هذه اللغة العامية ، وتقييدها بما ذكر ، ان نمنع العلوم ، بالحكم والالزام ، عن التغير والتبديل في الكلام، ونلزمهم الاستمرار على الحالة التي تتقرر الان ، وعدم العدول عنها ، حتى ترسخ وتثبت ، وتصير لغة مستقرة وعادة مستمرة .

قلنا : ان الوصول الى تلك الغاية (لو امكن الحصول عليه) ، انما يكون على ذلك بصنع المتصنع، لا بحكم الطبيعة . ولا شك ان حصول الشيء بالصنع لا يكون كحصوله بالطبع . ثم هذا المنع والالزام انما يمكن ، لو امكن ، ويتم ، لو تم ، في الاجيال الطويلة ، وبالنسبة للاهالي خاصة ، وفي المجامع والمواقع الرسمية خاصة ، وفي المكاتبات والمخاطبات التي تقصد بها الحكومة خاصة ، والا

فكيف ، ومن اين يتأتى التحكم على الناس بالمنع والالزام ، فى شيء من الكلام ، فى المحاورة والمحادثة ، بين افرادهم ، ومع اهلهم ، وأولادهم ، وعائلاتهم ، وقرابتهم ، وصحابتهم ، وسائر ذوي تعلقاتهم ، وفى خلواتهم ، وجلواتهم ، ومزارعهم ، ومصانعهم ، ومحال حرفهم وصنائعهم [1] ، حتى تصير القاعدة عامة ، والفائدة تامة ؟ هذا ضرب من المحال ، وامر انما يتصور فى الوهم والخيال ، لا يخرج من القوة الى الفعل ، ومن القول الى العمل .

والغرض الذي يقصدونه فى تسهيل العلوم ، لا يزال مفقودا فى جميع الاحوال . فان لسان العامي ليس تحت سلطة الواضع ، ولا سبيل لتقويمه الا التربية والتثقيف . فان كان الواضع نفسه ساعيا فى ترويج التحريف ، واللسان مندفع اليه ، فلا ممسك له عنه ، ولا تكون لغة النطق هي لغة الكتابة ، ويعود الاشكال بعينيه . فلا بد لتسهيل التحصيل وتعميم التعليم من صرف النظر الى شيء آخر .

الوجه الثالث ، ان اللغة العامية جملة مواد اختزلت من اللغة الفصيحة ، واضيف اليها بعض الفاظ اجنبية ، من لغات الاقوام الذين دخلوا فى اللغة، ولم يستطيعوا اللحاق بأهلها . وانما حفظ منها ما اشتدت اليه حاجة المتكلمين بها ، للتفاهم فى الاغراض المعاشية الظاهرة . اما العلوم والآداب ، فلم يكن لهذه اللغة حظ منها . فلو اردنا نقل العلوم اليها ، لكنا فى حاجة شديدة الى استعارة المواد من اللغة الفصيحة ، وصوغها فى تراكيب تناسبها ، حتى تتم الفائدة . فان لم نفعل ، احتجنا الى وضع لغة جديدة للعلوم والآداب ، نضمها الى اللغة العامية الموجودة ، ونسمي المجموع لغة عربية عامية ، تحاكي لغتي الايطاليين والاغريقيين الحديثتين . وانا نجد بعض الكتب التي ترجمت ، أو الفت ، فى سوريا ، وفى مصر، بعبارة تقرب من العامية ، لعجز المترجمين لها عن استعمال الفصيح فى المفردات والتراكيب ، قد صار بمنزلة الموجود فى لغة اجنبية ، ولا يجد المطالع سبيلا الى فهمه الا بالاستفهام من مترجمه ، أو مؤلفه. فاللغة العامية لغة قاصرة ، ولا سعة فيها للعلوم، ولا للشرائع ، ولا للآداب ، ولا للسياسة ، فكيف يمكن الاستغناء بها عن اللغة الفصيحة ؟

ولو أردنا الاطالة فى ابطال هذا الرأي ، وايضاح الفساد فى مقدماته ، لاتينا بتفصيل يحويه سفر طويل ، وغرضنا الآن عجالة تثبت رأينا ، فان دعا داع للتفصيل ، واستيفاء الادلة ، والاكثار من الامثلة ، رجونا ان نفي بالغرض من ذلك .

والذي نراه : انَ اللغة العامية ، خصوصا فى مصر وسورية وجزيرة العرب والعراق وتونس وطرابلس الغرب ، لم تبعد عن الفصيح بما تصير به لغة مستقلة . فان المواد هي المواد الاصلية بعينها ، الا ما زاد عليها ، وهو قليل لا يلتفت اليه ، فى تكوين لغة . وهيئات التراكيب ترجع الى الهيئات المعروفة فى تركيب الكلام العربي . غير انه قد عرض على المفردات تحريف وتغيير ، بنقص أو زيادة ، لم يخف بها أصل اللفظ بحيث لو جرد اللفظ من الزيادة ، أو كمل من النقص ، او صحح من التحريف، لم يستبهم معناه على العامي . فان العامي الذي يضع (اللي) مكان (الذي والتي) فيقول : (اللي يفعل الخير ينال ثوابه)) ، لو قيل له بدل هذه العبارة (الذي يفعل الخير ينال ثوابه) ، لفهمه كما يفهم لفظ العامي. ولا يزال الكثير منالعامة يضع «الذي» مكان « اللي » ، فيستعمل عاميته مع الفصيح كأنه مخير فيهما ، كاللفظين المترادفين ، ولفظ « هنا » بكسر الهاء ، لا تختلف عن « هنا » ، بضمها ، الا بالحركة ، ولا ينقلب معناها عند العامي ، لو نطقت صحيحة . وهذا هو الشأن فى جميع الالفاظ المفردة . وعلى نحوه يكون الخطأ فى التراكيب : فان الذي يفهم

1) فى الاصل « صنائعهم »

(الرجل جه) يفهم (جاء الرجل) ، والذي يفهم (ما عليهش) يفهم (ما عليه شيء) والذي يفهم (ايه ده) أو (شوهادا) ، من مصري أو سوري ، يفهم (ما هذا) و (اي شيء هذا) ، وما شابه ذلك من الاستعمال الفصيح . وقد تقدم شيء من هذا ، فى مقارنة اللغات العامية : فالتحريف وفساد التركيب لم يذهب بالعامة عن فهم الصحيح بالمرة ، بل هم يفهمون منه ما اتفق مع الفاظهم فى المادة ، وانما يعمى عليهم فهم الغريب .

واما قول ارباب ذلك المذهب : « لو فرض ان اتي الى جهة يتكلم اهلها باللغة العامية المستعملة الآن من لا يعرف الا اللغة الفصيحة لم يمكن ان يفهموا منه أو يفهم منهم الخ (1) فمما يخالف العيان والمشاهدة : فطالما شوهد كثير ممن يأتون الى مصر يتكلمون بالعربية الصحيحة، مثل بعض الجراكسة الذين لم يتعلموا من العربية الا الفصحى ، وليس لهم كتابة الا بها ، وبعض المغاربة من اهل فلاتة وغيرهم ، فيتكلمون باللغة العربية الصحيحة ، فيقضون مآربهم . ومن أعضاء هذا المؤتمر الحبر ، العلامة ، الشيخ محمد محمود الشنقيطي : سمعناه يتكلم فى مصر باللغة الصحيحة فيفهم غيره ويفهم من غيره . وجاء من اهل سقطو الشيخ عثمان ابن جم ، ولم يتكلم الا بها ، وكان يفهم ويفهم ، حتى اعتاد بعض العامة على التكلم معه باللغة الصحيحة ، من كثرة المخالطة ، وامثال هذا كثير . وكان العلماء لا يتكلمون الا باللغة الفصيحة ، ولم يكن بينهم وبين العامة ترجمان . واما ما يحكى عن بعض العلماء ، من انه كان يسكن فى بعض الاماكن المعروفة فى مصر بالوكايل ، فقال للبواب ذات ليلة ، يأمره بفتح الباب : (« فتحا بواب » ، مصدر مؤكد لعامله المحذوف الخ) ، فلم يفهم منه البواب ، وظنه يشتمه ، وشكاه فى صبيحة الليلة الى شيخ الجامع ، زمن العلامة الشيخ التويسني ، فما دهي الا من التشدق فى الكلام ، ولو اقتصر على ان قال : (افتح) لفهمه البواب بالسهولة ، ووافق العامي ولفظ القرآن ، وفهمه كل من سمعه من العامة ، بلا أدنى صعوبة .

وكيف لا يكون ما نقول ، وجميعهم يحفظون شيئا من القرآن الكريم ، يتلونه فى صلواتهم ، والغالب منهم يضم الى ذلك شيئا من الادعية ، والاوراد وشيئا من الحديث ، يستشهد به ، ثم هم فى كل يوم جمعة يسمعون الخطبة باللغة الفصيحة ، وما من سامع منهم الا تظهر عليه علامة الفهم ، بما يظهر على وجهه ، وفى حركات بدنه ، ثم هم يسمعون الوعاظ فى المساجد ، والكثير منهم يحضرون فى دروس العلم ، فهم وان لم يحسنوا النطق فى كلامهم جملة ، فهم يفهمون ، اللهم الا ما كان من الغريب أو معقد التركيب .

وفساد النطق ليس من الملكات التي يلحق محوها بالمستحيلات ، كما يزعمون ، بل ازالته أيسر من جعل اللغة العامية مستقلة ، يتفاهم بها فى العلوم والآداب ، وتوضع لها القواعد ، وتؤسس لها القوانين وما على طالب ذلك الا تعميم التعليم ، والزام المتعلم بتقويم لسانه عند النطق ، وتصحيح عبارته عند الكتابة ، من مبدأ التعليم الى نهايته . فان المواد لا اختلاف فيها ، الا بنوع من التحريف ، كما قلنا . وهيئات التاليف لا فساد فيها ، الا بنوع من سوء الترتيب . فاصلاح ذلك لا يزيد على اصلاح لغة الطفل اذ ينطق بها ، وهو فى سن السنتين، أو الثلاث ، محرفة ، سيئة التاليف ، ثم لا يزال يصلحها له المصلحون ، حتى يكون كاحدهم ، وهو فى الخامسة ، أو السادسة من عمره ، واما ما يرونه من صعوبة المسالك الى

1) ر : السطر 5 – 10 .

تحصيل العربية الصحيحة ، وتعسر نيلها فى الازمان الطويلة ، فذلك لا نراه الا من اعوجاج طرق التعليم ، وفساد مذاهب بعض المعلمين فيه ، لا من بعد اللغة نفسها عن يد المتناول .

فالذي نراه لتسهيل العلوم على العامة ، ان نصلح لغتهم بالتقويم ، على النحو الذي قلناه ، ثم تكتب الكتب فى الآداب العامة والفنون الابتدائية التي يجب تعميمها ونشرها بين افراد الامة كافة ، باللغة الفصيحة ، على شريطة ان لا يخرج الكاتب عن المفردات المستعملة فى لغة العامة ، فيجمع فى تلك الكتب بين موافقة الاستعمال والصحة : فاذا اراد ان يقول (مغلق) ، مثلا ، فلا يقول (مرتج) لانها بعيدة عن الاستعمال العامي ، وقد مر شيء من ذلك ، ولا يقول ايضا (مقفول) ، من اقفل ، بل يقول منه (مقفل) ، ولا (مغلوق) ايضا ، فانها رديئة متروكة والفصيح (مغلق) . فاذا كان المعنى لا لفظ له فيما يقول العامة ، فياتي بلفظ عربي ، ثم يفسره بما يوضح معناه ، ان لم يكن معروفا ، وما دخل فى اللغة العامية من الالفاظ الاجنبية يمكن طرحه منها ، واستبداله بافضل منه من اللغة العربية . والاحسن ، والاقرب للاعتماد والاعتداد ، أن يكون هذا بمعرفة جمعية علمية تتألف من مشاهير الافاضل ، كما ذكره سيدي الاستاذ الوالد فى آخر كتابه الذي الفه فى المقارنة بين الوارد فى نصوص الشرع والوارد فى الهيئة . فانه اذا كان اختيار اللفظ بمعرفة من يوثق بهم ، ويعتد بحسن اختيارهم ، توبل بالقبول ، وتناوله الاستعمال . ومتى استعمل عند بعض القوم سار فى البقية ، وتمكن فى لغة الكافة ، كما نراه فى لفظ (اللجنة) و (المؤتمر) ، مثلا ، فانهما قبل عشرين سنة ، لم يكونا معروفين فى معناهما ، الا عند البعض من أهل العلم خاصة ، وقد صارا ، من بعد استعمال صاحب الجوائب لهما ، واتباع أصحاب الجرائد له على ذلك ، من الالفاظ العامية التي لا يخفى مفهومها على أحد . هذا فى المفردات ، اما هيئات التراكيب ، فتكون على اقرب ما يمكن من تآليف العامة ، على شرط الصحة والفصاحة . ثم بعد ذلك، ينظر فى اللغة الفصيحة ، ويجلب منها ما يحتاج اليه فى التعبير عن المعاني التي لا لفظ لها على السنة العامة فى أنواع الفنون والآداب ، لمن يبتغي الارتقاء فيها الى اقصى غاياتها ، فتكون سعة لغة الشخص على قدر سعة علومه ومعارفه . اما البلغاء والفصحاء، واهل الطبقة العليا ، فى الكلام ، فلهم فى خطاب بعضهم بعضا ما لا يكون لغيرهم ، ولا يجب على أحدهم ان يجتنب من الالفاظ وصور التراكيب الا ما ينكر عند علماء المعاني والبيان ، واهل الذوق من حفظة اللسان . بل ربما حسن لاهل تلك الطبقة فى البليغ من النظم والنثر ، والترفع عما لا تلجىء اليه الحاجة من الالفاظ المبتذلة العامية السوقية ، وان كانت صحيحة ، حيث لا يقصدون مخاطبة العامة حتى عيب على بعض البلغاء استعمال بعض الالفاظ المبتذلة . اما فى مخاطبة العامي ، فيجمل بهم ان ينزلوا الى الطبقة التي يفهمونه بها ، فانهم يمكنهم أن ينزلوا إليه وهو لا يمكنه أن يصعد اليهم ، وبهذا تمتاز طبقة العامة عن طبقة الفصحاء البلغاء ، مع اتحاد اللغة وسهولة الفهم على أهل كل طبقة فيما يلائم حالها .

فمن كانت له همة تسوقه الى اصلاح فى علوم العرب ولغتهم ، رجونا له النجاح ، اذا انعم النظر فى الطريقة التي ذكرناها ، وتكميلها ، وتعديل طريقة التعليم وتسهيلها ، حتى تكون اقرب الطرق للتوصل الى المقصود ، من نشر العلوم وتعميمها ، مع بقاء الوحدة فى اللسان ، وانتفاع المصري بكتاب السوري ، والسوري بكتاب المصري ، وكليهما بكتاب المغربي ، وهلم جرا ، واستفادة كل عربي مما يكتب الآخر ، فى اي قطر ، لان المواد على هذا لا تختلف عما هو موجود فى كتب اللغة المحفوظة عند

جميع أهل اللسان ، فما استبهم من الالفاظ سهل مراجعة المعجمات لفهم معناه .

ومن طرق التعديل والتسهيل والاصلاح ، التي اشرنا اليها ، الاقتصار للمتعلم على اللازم الضروري دون سواه ، فى غير الفن الذي هو بصدد ان يتخذه صناعة له ، وحرفة خاصة يستعين بها على معيشته ، وانتفاعه من وطنه ، وانتفاع وطنه منه ؛ مع كمال الاعتناء بمزيد تمكينه فى ذلك اللازم ، بزيادة التمرين على الاستعمال ، وتطبيق العلم على العمل ، ثم مساعدة التمتل (1) بالنظر والمشاهدة فيما يستدعيه ذلك ، مثل الطبيعة والكيمياء . وليقس ما لم يقل ، فقليل يتقنه المتعلم ويتمكن فيه حتى يصير ملكة راسخة ، خير جدا من كثير يحفظه عن ظهر قلبه، من غير ان يعرف له معنى، ويعيده على وجه ما سمعه كما يقول الببغاء . واللازم الضروري من علم العربية ، لكل ذي حرفة سواه ، ليس بكثير يعطل عن غيره لغاية ان يختار من اجل ذلك ترك العربية الصحيحة بالكلية ، بل هو ربما لا يزيد عن قواعد اللغة العامية ، لو اريد ان يجعل لها علوم وقواعد ، كما يراه من يذهب ذلك المذهب ، اذا اتى الامر عن بابه وسهل سبيله ، وازيل وعره . وما أوهم العسر ، وهول الامر ، الا ما قد يكون من ركوب التعاسيف فى التعليم ، وعدم الاعتناء برعاية ما تتأكد رعايته ، من معاملة كل صنف من المتعلمين بما يليق به ويناسبه ، بالنظر الى ما هو معدله . فاذا اعتنى بذلك ، سهل الامر ، ولم يبق بنا ادنى حاجة لترك لغتنا الجامعة لاشتاتنا ، الموروثة عن أسلافنا .

ثم فى هذه الطريقة التي اخترناها ما يحفظ على العرب آدابهم وعلومهم التي أودعتها كتب الاقدمين . فان العامي متى تقوم لسانه ، كما يقوم لسان الصبي ، على ما قلنا ، وكتبت له الكتب القيمة بالعبارة السهلة ، واستنار عقله بما أودعته من الآداب والافكار الصحيحة ، رايته على مقربة من اللغة الفصيحة ، لا يبعد عنه تناول ما فيها، فلا يحرم من تاريخ أمته ولا من اصول شريعته ، ولا الآداب المودعة فى السنة النبوية ، ولا من الفوائد الجمة المطوية فى الاخبار العربية . كل هذا يكون قريبا من العرب جميعا ، اذا سلك بهم تلك الطريق القويمة ، ولا يحتاجون فى علم ذلك الى العناء الشديد فى نقل جميع علومهم ، المودعة فى كتب لغتهم ، الى تلك اللغة الاخرى ، التي ظنها من ظن ، لغة جديدة ، لا سبيل لانتشار العلم الا باعتبارها كذلك .

وآخر الكلام ان اللغة العربية الفصيحة هي سبيل تقدم العرب فى جميع احوالهم . فان وجدت الناصر ، وانبعث الى العمل من وجهه ، اشرقت على العرب انوار العرفان من مطالع لغتهم الشريفة ، واضاء عليهم من سناها ما أضاء على امم العالم اجمعين ، عدة قرون ، لم يخف علم حالها على الناظر فيها .

والله أعلم

تم بقلم كاتبه محمد ريحان فى 12 صفر الخير 1307 هجرية ! (2)

---

1) « التمتل » بمعنى « ملازمة المكان » لا تفي بالغرض المعني هنا وربما كان قصد الكتاب « التعقل » .
2) الموافق 9 اكتوبر ، تشرين الاول ، 1889 م .

نقد الكتب

الدكتور ممدوح حقي

امامي الآن بريد ضخم جدا ، لم استطع ان اقرأ منه اكثر من ثلاثين كتابا ، معظمها من منتجات مطابع الكويت . يبدو ان هذا البلد الصغير بمساحته القليل بعدد سكانه كريم جدا بانتاجه الفكري ، وباقي بعده مما وصل الينا العراق والنجف منه بصورة خاصة فللسيد عبد الرحيم محمد علي وحده خمسة كتب هي: «شيخ الباحثين ، الرهيمة ، شوقي وامارة الشعر ، رباب الكاظمي ، الكاظمي في ذكراه الثلاثين» . ولسواه اكثر من كتاب كذلك ، فواجب مجلتنا ان تشير الى كل كتاب نقدا او تقريظا ، اشارة ما ولو حاولت ان تعطي كلا منها حقه وافيا لضاق بها المجال وبنا . ولذلك نجتزىء بالتعريف بها مع شيء من العرض ونترك النقد الموسع الى فرصة اخرى ونتناول في كل عدد ما نستطيع لئلا نقصر بحقها جميعا. ونحن نقرأ كل مؤلف نتلقاه بدقة وانعام نظر وتقدير ولا نهمل شيئا منها ولا نقول كما قال الشاعر :

تكاثرت الظباء على خراش

فما يدري خراش ما يصيد

بل لكل منها مقامه ودقته والتفاتتنا الخاصة اليه ... ولنعرض هذه الحصيلة فيما يلي : ولنبدأ بكتب السيد عبد الرحيم محمد علي ثم نقفي عليها بسائرها :

1 – **شيخ الباحثين** آغا بزرك الطهراني في 88 صفحة من القطع الكبير يتحدث فيه عن الشيخ آغا بزرك حديث التلميذ المحب عن استاذه ، وزينه ببعض الصور، علمنا منه ان السيد بزرك طهراني الاصل نجفي السكن عاش ما يقرب من سبعين عاما قضاها كلها في البحث والدرس ، وتوفي في النجف اواخر عام 1289 هـ (فبراير 1970 م) . كان شيعي المذهب واكثر مؤلفاته المطبوع منها والمخطوط يتعلق بالشيعة ، ويبدو ان لاكثرها قيمة علمية تاريخية لم نطلع عليها لنحكم بما نراه .

2 – **الرهيمة** : عين المؤلف معلما في الرهيمة (قرية في اواسط العراق) فانشأ عنها هذا الكتاب ، وصفها فيه وصفا دقيقا جدا ذكر موقعها وتربتها وفلاحتها وطرقها وجوها وتاريخها وحالها الصحية والاجتماعية والتاريخية بحيث يشعر القارىء انه قد عاش فيها هو نفسه ورآها بعينيه وشاهد نباتها وحيوانها وتحسس جوها وشارك سكانها العابهم وحبذا لو ذكر الى جانب اسماء النبات والحيوان اسماءها العلمية لكان عمله اتم واكمل اما الالعاب فقد سرد اسماءها بالعامية العراقية ولم يصفها وصفا دقيقا . وعلى هذا فلا يستطيع ان يفهمها الا العراقيون وحدهم بل عراق الوسط وحسب .

3 – **شوقي : وامارة الشعر** : خمسون صفحة من القطع المتوسط . نقد المؤلف فكرة امارة الشعر نقدا عنيفا وحمل على شوقي ومشايعيه وادعى بان هذا اللقب بدعة في تاريخ الادب العربي وانه من مبتكرات العصر واتخذ ذلك وسيلة للحملة على الشعر الحديث الذي يسمونه ظلما وعدوانا الشعر الحر وما هو الا كالطبل الفارغ قعقعة ولا جمال وبالجملة فبحثه موضوعي كثير الاتزان ، ايده باقوال كثير من الادباء في نفي فكرة الامارة عن شوقي وعن سواه .

والذي نعرفه من قصة الامارة انها اتت مرادفة للقب شاعر الامير وشوقي نفسه يقول :

شاعر الامير ومـا
بالقليـل ذا اللقـب

الا ان السيد طاهر الطناحي ذكر في كتاب « شوقي وحافظ » صفحة (33) قصة أخرى للامارة نرويها فيما يلي :

لقب امير الشعراء : وكما حدثت جفوة بين شوقي ومحمد فريد بسبب الخديوي ، وقعت ذات مرة جفوة عابرة أخرى بينه وبين الشيخ علي يوسف لهذا السبب ، وقد اراد الشيخ علي يوسف ان يكيد لشوقي كيدا صحافيا ، وكان شوقي يلقب في ذلك الحين بشاعر الامير ويدل بهذا اللقب . فما كان من الشيخ علي يوسف الا ان كتب مقالا ادبيا في جريدة المؤيد لقب فيه حافظ إبراهيم بشاعر النيل . وطبيعي ان النيل يشمل مصر والسودان ويشمل الامير وغير الامير من اهالي الوادي ، فكأن شوقي قد اصبح من رعية حافظ ابراهيم بعد هذا اللقب الجديد ، فغضب شوقي لذلك وغضب اصدقاؤه من الصحافيين السوريين والمصريين واذا باللواء وجريدة الأهرام والجريدة تصدر في اليوم الثاني ملقبة شوقي بأمير الشعراء وقد اشتهر شوقي من ذلك الوقت بلقب امير الشعراء ، وقبل أن يبايع بالامارة بنحو عشرين عاما .

وايا ما كان الامر فان الامارة قد الصقت باسم شوقي الصاقا قويا جدا والتاريخ الطويل وحده هو الكفيل باثباتها له أو نفيها عنه .

4 ـ **رباب الكاظمي** : 126 صفحة من القطع المتوسط منه 48 صفحة دراسة عن الشاعرة والباقي نماذج من شعرها . والسيدة رباب هي الابنة الوحيدة لشاعر العرب الكبير المرحوم عبد المحسن الكاظمي المتوفى عام 1935 ، ولدت عام 1917 فهي الآن في الرابعة والخمسين من عمرها المديد ان شاء الله ، وانجبت من زوجها الاستاذ الكبير السيد حكمة الجادرجي ولدا وبنتا عنيت بتربيتهما تربية ناجحة جدا واكملت دراستها بعد زواجها فحصلت على الدكتوراه في (طب الاسنان) من باريز ومارست عملها طبيبة في مستشفيات فرنسا والعراق والولايات المتحدة اذ كانت رفيقة زوجها في أسفاره موظفا دبلوماسيا كبيرا في تلك الديار . والملاحظ ان الكتاب لا يعدو كونه دراسة سردية لا تحليل فيها ، ومع هذا فان القارىء يخرج منها . وقد فهم شيئا كثيرا عن حياة الشاعرة في حضن والدها ـ وكانت وحيدته ـ وفي كنف زوجها وفي مضمار الحياة الاجتماعية والادب والشعر .

5 ـ **الكاظمي في ذكراه الثلاثين** : قرابة 200 صفحة من القطع المتوسط فيه سرد متصل حول حياة الشاعر وعلاقاته برجال عصره ومجتمعه واسفاره ورسو مركبه في مصر سنين طويلة حتى توفاه الله تعالى واختاره الى جواره عام 1935 .

نحن نعرف ان الكاظمي شاعر الارتجال العجيب في هذا العصر ، وقد نفى عنه هذه الصفة كثير ممن لم يتصلوا به لكن المؤلف اثبت ذلك له بحيث لم يترك مجالا بعده لناقد . وكنت استغرب مثلهم طول نفسه في الارتجال حتى رايت بنفسي بين شعراء اليمن من يرتجل 20 الى 40 بيتا في موقف خطابي لم يكن مستعدا له من قبل ، ورايت من شعراء النجف من يستطيع نحو ذلك ، فلم استبعد بعد هذا قوة الارتجال على المرحوم الكاظمي على قوة في السبك حتى ليخيل اليك انه قد اعده اعدادا طويلا من قبل وان كان دون المستوى الشعري الذي نستهدفه ونرمي اليه . وعلى اي حال فانه لم يكن اقل من اقرانه المشهورين في عصره امثال البارودي وشوقي وحافظ والرصافي ... الخ .

ولقد اثبت المؤلف أمرين كان محبو الاستاذ الكاظمي لا يعرفون الحقيقة فيهما وهما :

أ ـ ان الكاظمي قد اتصل فعلا بجمال الدين الافغاني وصاحب من بعده تلميذه الشيخ محمد عبده .

ب ـ وانه لم يكف بصره مطلقا كما ورد في كثير من كتب الادب وكل ما ذكر كذب وادعاء .

اما ما عناه الاستاذ الكاظمي من مر العيش وقسوته فلا يختلف فيه احد . لكن اباءه وشممه كان اقوى من فقره فتغلب عليه بالصبر والترفع والمروءة ...

6 ـ **مجتمعك هذا** : تأليف عبد الصمد تركي نحو 140 صفحة من القطع الصغير ، تناول فيه المجتمع المرائي الكذاب بالنقد الموضوعي ودعا الى بناء مجتمع جديد على اسس قوية من الصدق والاخلاق والفضيلة وهي بجماعها اسس الدين الحنيف . ما أشد حاجتنا الى مثل هذا النقد البناء في عصر فشت فيه الرذيلة والهيبة والتخنث .

7 ـ **الزواج في الكويت** : تأليف عبد الله غلام حسين وعزة سعيد اسماعيل نحو 184 صفحة من القطع فوق المتوسط . تناول فيه المؤلفان المجتمع الكويتي بدراسة تحليلية دقيقة جدا وقاما باحصاء

علمي واثبتا النتائج للعمر الذي يفضله الفرد للـزواج والفرق المناسب بين العمرين للزوج وقرينته وحـق اختيار الزوجة وقيمة المهر وتأثيث المنزل وجنسية الزوجة ودرجة تعلمها ونوع عملها والأزمة التي تعانيها الفتيات الكويتيات فى زواج الشبان بأجنبيات ومشـاكل الطلاق وتعدد الزوجات .... الخ .

وهي دراسة جدية جديدة على الباحثين فى هذا الموضوع من العرب حبذا لو قام بمثلها علماء فى كـل قطر عربي واثبتت النتائج فى كتاب واحد بعد مقارنتها وبحثها وتحليلها . المجتمع يعاني ازمة زواج حقيقيـة وقد كتب فى موضوعها كثير من الادباء غير ان اكثر ما كتب سطحي لا قيمة له ـ وهذا الكتاب نور جديد يلقي على درب البحث فى هذه المشكلة .

8 ـ **دليل المتحف الكويتي** : كتيب فى 100 صفحة من القطع الصغير مصور تصويرا جيدا ومتحف الكويت لا يزال صغيرا نأمل له اطراد النمو فى المستقبل القريـب .

9 ـ **المراة الكويتية فى الماضي والحاضر** : هو اول كتاب يسجل تاريخ المراة وحاضرها ليبني عليـه مستقبلها الموفق ان شاء الله ، وقد نشرته اللجنـة العليا ليوم المراة الكويتية . وفى الكويـت جمعيـة نسائية ذات نشاط محسوس تسمى جمعية النهضـة النسائية ، ومن تتبع تاريخ الكويت ورای كيف تقدمت المراة الكويتية وبأي خطى فساح جرت لاخذه العجب لهذا التقدم الممتاز الذى أحرزته والفضل فى ذلك لا يعود للمراة وحدها بمقدار ما يعود للحكومة التي وقفت الى جانبها موقف المشجع الحاني عليهـا حنـو الاب الشفيق على ولده .

10 ـ **دليل المحتار فى علم البحـار** : تاليـف المرحوم عيسى القطامي ، نشره ولـده السيـد عبد الوهاب ، يقع فى نحو 250 صفحة من القطع فـوق المتوسط ، مصور مليء بالاحصاءات يتحـدث عـن السياحة فى البحر (بخاصة المحيط الهندي والخليج العربي) وعن خطوط الطول والعرض والبوصلة للسير نهارا وليلا فى بحار لا يرى فيها الا الماء والسماء ، ومما يذكر ان المؤلف المرحوم القطامي لم يتعلم فى مدرسة تعليما نظاميا لكنه كان عصاميا عبقريا علم نفسه بنفسه ومارس الملاحة بشغف وحب وانتباه حتى اصبح من البحارة المشهورين ودخل التاريخ مع إبن ماجد وأمثاله من كبار ملاحي القرن الخامس عشر .

ان الامة العربية مليئة بالعبقريات الدفينة فمتى يتاح لها النشر ؟ ! ولو لم يتطوع السيد عبد الوهـاب لنشر كتاب والده لجهلنا وجهل معنا التاريخ هـذا العصامي الفذ والبحار النادر عيسى القطامي . فالـى روحه العظيمة الرحمة والى ولده الشكر الجزيل .

11 ـ **التنمية الاقتصادية فى الكويت** : تاليف صلاح الدين الصباغ يقع فى 240 صفحة من القطـع فوق المتوسط . وهو عبارة عن مجمـوع تقريريـن قدمتهما بعثتا التنمية اللتان نظمهمـا البنك الدولـي للانشاء والتعمير بطلب من حكومة الكويت . وقد علمنا من هذا الكتاب ان :

ا ـ الكويت تحوي 20 ٪ من احتياطي النفط فى العالـم .

ب ـ وانها رابع دولة فى انتاج النفط ، تاتـي بعد فنزويـلا ،

ج ـ وان عدد سكان الكويت نحـو 350 الف نسمة ، نصفهم غرباء عنها واجانب بعضهم مقيم اقامة دائمة وبعضهم طارىء .

د ـ وان مساحة منطقة الكويت تعادل مساحة نيوجرسي او ويلز فى امريكا .

هـ ـ وان الدخل الفردي اعلى من اي دخـل فى العالـم .

و ـ وان الادخار يعادل 45 ٪ فقط .

ز ـ وان 70 ٪ من اليد العاملة مرتبط بالخدمات والوظائـف .

ح ـ وان أقل من 20 ٪ يمارس الزراعة والصناعة والحرف ، ونحن نترك للقارىء الكريم ان يقوم بنفسه بما يشاء من مقارنات بعد هذه الاحصاءات الناطقـة بأفصح لسان .

12 ـ **اقتصاديات الكويـت** : تاليف محمود الغربلي يقع فى 192 صفحة من القطع فوق المتوسط تحدث فيه عن موقع الكويت الجغرافي وعن التطـور التاريخي والسكان والتجارة الخارجية والقطاع الصناعي والقطاع الزراعي . وكان بحثه علميا مبنيا على دراسة دقيقة واحصائيات منسقة ، ونحن نرى أن هذا الكتاب يكمل الكتاب المتقدم ويهم دارسي المنطقة ديموغرافيا واقتصاديا ، فمتى يهتم مثقفونا بدرس أمثال هذه الكتب القيمة ويفضلونها على القصص التافهة ؟ .

13 ــ **الالعاب الشعبية الكويتية** : تاليف سيف مرزوق الشملال يقع فى 400 صفحة من القطع فوق المتوسط ذكر فيه الالعاب الشعبية المعروفة منسقة مرتبة على حروف المعجم ومع ذلك فلم يبلغ فيه اكثر من حرف (ذ) ومعنى هذا ان الكتاب سيكون معجما كبيرا ممتازا لهذا الفن من الفلكلور الشعبي وقد شرح الالعاب بالصور الناطقة مما يساعد على الوصول بسرعة الى تصور الالعاب . والمهتمون بالشؤون الفولكلورية فى البلاد العربية قلة من الادباء والعلماء تعرف منهم فى سوريا المحامي السيد عبد القادر عياش والمجلة الفولكلورية فى مصر نامل لهم مع الزمن ان يرتفعوا الى المستوى العلمي الصحيح للبحث . ونحن نقدرهم لانهم اول من ابتدا تفتح هذا الباب ولا يمكن ان يصل الباحث الى نهاية الشوط فى وثبة . ونقدرهم كذلك تقديرا عظيما لاقبالهم على بحث جديد واهتمامهم بتسجيل ما اندثر او كاد من عاداتنا وتقاليدنا واكثرها نبيل جيد ممتاز .

14 ــ **الكويت والمستقبل** : تاليف محمد يوسف عيسى يقع فى 160 صفحة من القطع الصغير تحدث فيه عن الكويت حتى نهاية عام 1961 وعن الآمال المبنية عليها كدولة صغيرة غنية لنفسها وللعرب ، وزجر عبد الكريم قاسم بعنف اذ كان قد تهجم على الكويت وحاول غزوها وضمها الى العراق طمعا فى نفطها ولؤلؤها وموقعها الاستراتيجي . اما عبد الكريم قاسم وقصة الغزو فقد اصبحت فى ذمة التاريخ . واما ما عقد على الكويت من آمال فقد تحقق اكثرها ــ وها هي ذي دولة الكويت تعرض خدماتها ومعوناتها المالية على جميع الدول العربية شرط استخدامها فى مرافق اقتصادية تحيي البلاد وتنعشها لا في سبيل تأييد حزب او حكومة وهي مؤمنة بأن الاشخاص والاحزاب زائلون وان الامة العربية بجميع شعوبها فوق الارض العربية هي الحية الخالدة الباقية .

15 ــ **صفحات من تاريخ الكويت** : تاليف يوسف بن عيسى القناعي . وهذه هي الطبعة الرابعة وتقع فى 92 صفحة من القطع الصغير الا ان البحث على قصرة مرصوص مركز موجز ايجازا حسنا ، ولا يقف عند حد التاريخ وحده بل يتجاوزه الى الحديث عن العادات والتقاليد والالعاب والمعتقدات الخرافية... وما شاكل ذلك مما يرتبط مع التسلسل الماضي فى البحث تسلسلا منطقيا لا بد منه .

16 ــ **النظام الاجتماعي فى الاسلام** : تاليف ابراهيم محمد ليلى محارب يقع فى 150 صفحة من القطع الصغير تحدث فيه عن الصور الاجتماعية العامة فى الجاهلية وفى الاسلام وذكر ما جاء به الدين الحنيف من تنظيم فى الاسرة وفى المجتمع وفى تحرير النفس والفكر والمسؤولية العامة والسلام ... الخ . وهو على شدة ايجازه حسن فى جملته .

17 ــ **عبد العزيز الرشيد** : تاليف البدوي الملثم (عمان) يقع فى 70 صفحة من القطع الصغير قدم البحث فى رواد الاصلاح فى الكويت ثم تحدث عن عبد العزيز الرشيد مؤرخا وشاعرا . ومن عرف تاريخ هذا الرجل الرائد قدر عمل المؤلف كثيرا وهو جدير باكثر مما كتب عنه . واذا كان المثل الصادق يقول : « من خلف لم يمت » فنحن نقول :

ان عبد العزيز الرشيد لم يمت فهو حي خالد بمؤلفاته وبآثاره وبشعره وأخيرا بولده البار السفير السيد يعقوب الرشيد الذي ورث عن والده رأيه وأخلاقه وشعره وهمته فى الاصلاح .. وللبدوي الملثم نحو عشرين كتابا صغيرا مطبوعا وبعض المخطوطات التي تنتظر النور ، وهو اديب منتج نشيط جيد الاسلوب حسن العرض مخلص لفنه اديبا وبحاثة ومؤرخا .

18 ــ **الكويت : باللغة الانجليزية** : تاليف راجي الملاح يقع فى 240 صفحة من القطع المتوسط يبحث فى اقتصاديات الكويت بحثا علميا مبنيا على احصاءات ومقارنات قدم له السيد أوجن بلاك بمقدمة تشعر بتقديره المؤلف والكتاب معا . ونحن نعتقد ان فى الكتابة عن البلاد العربية باللغات الاجنبية خدمة كبيرة جدا لها فى الأوساط العالمية . وسواء اترجم هذا الكتاب وامثاله الى اللغة العربية ام لم يترجم فقد ادى واجبه فى العالم الخارجي وكان هذا من اول اهدافه . ولقد لاحظت على اسلوبه الدقة والبساطة وحسن العرض والبعد عن التكلف والتزمت والتعقيد مما يسهل على القارىء الاجنبي الاطلاع عليه ويجتذبه اليه اجتذابا مع ان ابحاثه محض علمية واحصائية .

19 ــ **من الامثال العامية** : تاليف خالد سعود الزيد يقع فى 270 صفحة من القطع فوق المتوسط سرد فيه الامثال العامية الكويتية وقارن اكثرها بأمثال من الفصحى رجع فى اكثرها على ما راينا الى الميداني وهو اوسع كتاب فى الامثال . وكانت مقارنته جيدة جدا تشير الى ما فيه من ذوق ادبي رهيف وكذلك استشهاده بالشعر ، وموضوع الكتاب كما ترى ناحية من النواحي الفولكلورية التائهة ضمها المؤلف بعناية وسجلها باحكام ، تلو قام سواه فى البلاد العربية بعمل مماثل لسهل بعد ذلك التاليف تأليفا كاملا فى هذا

الموضوع . هكذا تبتديء العلوم بالتجميع والتركيز ثم ينشأ عليها البحث القيم .

20 ـ **انشودة انجـولا** : تأليف بييتر فايس ترجمة يسرى خميس وهو مسرحية من اشهر المسرحيات العالمية التسجيلية يقع فى 120 صفحة من القطع الصغير يتصور فيها موقف الشعب البرتغالي التعس من ديكتاتورية سالازار .

21 ـ **تواضعت فظفرت** : تأليف اوليفركولد سميث ترجمة علي زكريا الانصاري تقع فى 200 صفحة من القطع الصغير . وهي مسرحية كوميدية طريفة تكاد تكون عرضا موضوعيا لحادث .

ولا بد من القول بأن هذه الرواية وانشودة انجولا من منشورات وزارة الارشاد والأنباء فى الكويت وهذه الوزارة تقوم بنشر كثير من الكتب القيمة والابحاث الدقيقة وتنقل خير ما فى الادب الغربي الى العربية من اى لغة كانت وهو عمل مشكور جدا .

22 ـ **الترقيص عند العرب** : تأليف سعيد الديوه جي (الموصل) فى نحو 100 صفحة من القطع فوق المتوسط . نشرته وزارة الاعلام العراقية فى سلسلة الفنون الشعبية .

كتاب حافل على صغره بكل جليل ودقيق فى فن الترقيص عند العرب منذ اقدم الأزمنة العربية . وخصص الجزء الاخير منه بفن الترقيص فى الموصل وهو فى راينا كثير الشبه بفن الترقيص فى كل المنطقة الشمالية من العراق وسوريا تقريبا . يتحدث فيه عن ترقيص الآباء والأمهات أولادهم وبناتهم والشعر الذي يروى فى مثل هذه المناسبات وينعطف فيذكر بعض ما يخص ولادة الذكور وولادة البنات ورجع الفعل فى الاسرة بسبب ذلك وما يقال فى هذه المناسبة والكتاب فى جملته تصوير فولكلوري جيد واضح يستحق مؤلفه كل تقدير .

23 ـ **حصاد التجربة** : تأليف الوجيه السياسي اليمني ابراهيم بن علي الوزير ، كتيب فى نحو ثمانين صفحة من القطع الصغير ، ولكنه يحوي من الافكار والنقد والتوجيه الصريح ما لا يحويه كتاب ضخم وكانه نداء امة وصرخة شعب ندت على أسلات قلم من الكتاب حباه الله تعالى ايمانا صادقا ورايا صائبا وتوجيها صحيحا .

24 ـ **الملاحة فى الخليج العربي** : تأليف عيسى احمد النشمي كتاب من القطع فوق المتوسط ينوف على مئتي صفحة ، افتتحه بذكرياته فى بدء عمله فى البحار فاذا هو كاتب قصة من الطراز الممتاز ثم قطع هذا الفصل قطعا يشعرك بأنه حذف شيئا كثيرا جدا ومال الى شرح السفر فى البحار فشرح ما يتعلق بالسفن والمراكب وقوانين السفر والملاحة وارشاد السفن وموانيء الكويت وتاريخها وقضى ذلك كله بخرائط مفصلة وحسابات ازياج دقيقة تذكرنا بأسد البحر الملاح احمد بن ماجد صاحب الاراجيز فى وصف البحر والسفر فيه وازياجه ونجومه وقيادة السفن ... الخ .

بل لقد اناف مؤلف كتابنا هذا عليه بما حباه التقدم العصري من ثقافة ملاحيه لم تكن موجودة زمن ابن ماجد المتوفى أوائل القرن العاشر الهجري .

والمؤلف اشتغل فى البحر نحو ثلاثين عاما ، وكان اول مرشد عربي للسفن فى الخليج واول من تولى قيادة السفن وهو شاب حدث واول من يحمل نحو 50 شهادة تقدير من ربابنة بواخر تولى ارشاد سفنهم الى ميناء الشويخ .

واذا كان ابن ماجد قد ارشد فاسكودوغاما فسير اسطوله من ملندة على الساحل الافريقي الى كالكوتا فى الهند ففتح للبرتغال باب الاستعمار فى الشرق على مصراعيه وهو لا يدري . فعيسى النشمي يرشد السفن الى موطنه لتدخل موانئه وتخرج منها فتفرغ بضاعتها المستوردة وتحمل بضاعتنا المصدرة وتنتعش التجارة والاقتصاد القومي ولا تفوته الرقابة عليها كما لا تفوت اي عربي فى هذا المعنى ، فكل عربي لقوميته خفير .

25 ـ **الصـوت الخافـت** : تأليف سليمان الشطي كتاب فى 125 صفحة من القطع المتوسط وهو مجموعة قصص نفيسة يدل على اصالة فى هذا الفن وارتباط شبه التزامي بمجتمعه وان لم يكن يقصده ، زينة ببعض الصور تخيلها مؤيدة لمعانيه وقدم الكتاب بعرض لتاريخ القصة فى الكويت واهداه الى روح أمه التي من حياتها علمته معنى الحب وفى رحلتها التي لا رجعة منها علمته معنى الصبر . وقد أجاد عرضا واسلوبا وموضوعا وهو احد البذور الطيبة فى الادب القصصي بالكويت .

26 ـ **جمعية تاريخ المغرب** : الكتاب فى نحو 200 صفحة من القطع المتوسط نصفه باللغة العربية والنصف الآخر باللغة الفرنسية ، شارك فى اصداره المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط . ومع هذا

تتواضع الجمعية فتسميه (نشرة) . وهو العدد الثاني لعام 1969 ساهم فيه علماء مغاربة واجانب نجاء مرجعا ممتازا لما فيه من بحوث قيمة تناولت اصول حركة فتيان فى المغرب والحملات التنقيبية فى شيشاوه والجامع فى الدراهم الادريسية والاهرام والفنون البلاستيكية ، ومستقبل اللغة العربية بالمغرب الاقصى ، وبيبلوغرافية موجزة عن تاريخ افريقيا والاندلس وغير ذلك من بحوث قيمة جديرة بالمطالعة والحفظ والرجوع اليها عند الاقتضاء العلمي فى بحث مثيلاتها .

27 _ **الملتقطات** : كتاب كبير ، هو خمسة اجزاء فى مجلد واحد انافت صفحاته على الأربع مائة فى الحكم والفقه والادب والطرائف جمعها الشيخ يوسف بن عيسى القناعي اثناء مطالعاته في الكتب العربية قديمها وحديثها وفى المجلات العلمية والادبية ، وقد علق عليها احيانا تعليقا فيه ذوق وايمان ، ان هذه الملتقطات لتغني عن اسفار عديدة كما أغنى فى القرن الثالث كتاب الأغاني الصاحب بن عباد عن حمل ثلاثين جملا من الكتب .

28 _ مع جلالة الحسن الثاني فى نواديبو بموريطانيا: تأليف مؤرخ المملكة المغربية السيد عبد الوهاب بنمصور يقع فى 180 صفحة من القطع المتوسط صور فيه المؤلف الرحلة تصويرا ممتعا جدا حتى لتكاد تشعر بانك من رفاق الرحلة نفسها فى الطيارة والمطار والاحاديث فى الذهاب وفى الاياب . وقدمه بكلمة عن الاستعمار والمستعمرين والصراع الذي قام بيننا وبينهم منذ وطئت اقدامهم هذه البلاد ، استغرقت بضع عشرات من الصفحات ، وهي مقدمة علمية دقيقة جدا على شدة ايجازها ، يزينها هذا الاسلوب السمح الذي امتاز به المؤرخ الفاضل فأصبح بحق صاحب اللقب الثابت « مؤرخ المملكة » .

واذا كان الناس يقدمون لاضيافهم الحواذر والحوامض فى مطلع الطعام ليشحذوا شهيتهم للاكل فنحن نختم طعامنا الفكري الذي قدمناه للقراء ناقدين بالحلوى . ولذلك جعلنا هذا الكتاب مسك الختام والحلوى بعد الطعام .

حول نسبة كتاب الحجة في القراءات السبع لابن خالويه

الدكتور عبدالعال سالم مكرم

قسم اللغة العربيــــة
جامعة الكويت

تفضل الاستاذ الكريم محمد العابد الفاســـي ، الاستاذ بجامعة القرويين بالمغرب بنشر بحث قيم فى مجلة « اللسان العربي » ، المجلد الثامن ، الجزء الاول ص 521 ، ينقد فيه توثيقي لكتاب الحجة ، ونسبتــه الى ابن خالويه ، وقد نشر بحثي فى المجلة نفسها ، والجزء نفسه ص 502 .

وقد اسعدني هذا النقد ، لان الحقيقـــة بنـــت البحث كما يقولون . وقد اقتصر نقده على الفصل الذي كتبته ، واثبتت فيه نسبة الكتاب الى ابن خالويه .

واني لا اضيق ذرعا بالنقد البنـــاء ، فاحتكـــاك الافكار بعضها ببعض ينمي العلم ، ويطور المعرفـــة ، ويبعث في الفكر الحركة والحياة .

وكنت اود ان ابارك هذه الأدلة التي اوردها الناقد الفاضل لنفي نسبة الحجة الى ابن خالويه ، واضـــع يدي فى يده مسلما له بكل ما قال ، ولكن الحقيقـــة التي دفعته الى ان يكتب هذا النقد هي الحقيقة نفسها التي دفعتني الى ان انقد هذا النقد ، لانه قائم على ادلة لم تقتنع بها نفسي ، وانا طالب معرفة ، فاذا اقتنعت آمنت وسلمت ، واذا لم اقتنع لا الوذ بالصمـــت ، او بالصبر فان الساكت عن الحق شيطان اخرس .

علي اذن ان ابين السبب فى عدم اقتناعي مـــن غير ان اسمح للحظوظ النفسية ان تتدخل فى هـــذه المناقشة ، لان الحقيقة العلمية اكبر مني ، ومن اخي الاستاذ العابد .

وقبل مناقشة ادلة سيادته احب ان اشير هنا الى ان بعض المعاصرين الذين شكوا فى نسبة هـــذا الكتاب الى ابن خالويه فريق من اصدقائي ناقشونـــي مشافهة فى هذه النسبة ، وكل ادلتهم تنحصر فى ان كتب الطبقات لم تشر الى ذلك ، ولم يقدم لنـــا هؤلاء الزملاء دراسة مفصلة منشورة فى نفي هذه النسبة ، وليست هناك دراسة لابن خالويه ، ولكتابه الحجـــة تضمها المكتبة العربية فى الشرق او فى الغرب غير الدراسة التي قمت بها ، وغير هذا التعليق الذي تفضل به الأخ الاستاذ العابد على هذه الدراسة .

واما الادلة التي ذكرها الاستاذ العابد ليناقض بها ادلتي ، فاني انقدها على الوجه التالي :

1) ذكرت ان تلمذة ابن خالويه لابن مجاهـــد فرضت عليه أن يحيا فى الدراسات القرآنية ، ويتمكن منها ، ويلم بالقراءات ، ويدافع عنها ، وانه الف الحجة فى القراءات السبع لينافس به كتاب الحجة الذي الفه ابو علي الفارسي ، وان عدم ذكر الحجة لابن خالويه فى كتب الطبقات يرجع الى ان الكتاب فى القـــراءات ، فاستغنوا بذكرها عن كلمة الحجة .

ولكن هذا الدليل لم يقنع الاستاذ العابـــد « لان كونه من تلامذة ابن مجاهد وكونه برع فى الدراسات

القرآنية ، والف فيها كتبا لا يكفي ذلك دليلا على اثبات نسبة كتاب الحجة له ، واما كونه ليس بدعا أن يؤلف في الموضوع كما فعل معاصروه أبو علي وغيره فصحيح، ولكن المسألة مسألة اثبات لا مسألة احتمال وتخمين ... » .

اقول :

ان تلمذة ابن خالويه لابن مجاهد ، وبراعة ابن خالويه في الدراسات القرآنية حيث الف كتبا في هذا المجال نصت عليها كتب الطبقات ككتاب : اعراب ثلاثين سورة ، والبديع في القراءات ، ومختصر شواذ القراءات ، وكتاب مجدول في القراءات الفه لعضد الدولة ، اقول : ان هذا كله يشير الى ان كتاب الحجة موضوع القضية نسبته الى ابن خالويه صحيحة .

وقد قلت في بحثي المنشور في مجلة « اللسان العربي» بصدد عدم ذكر هذه التسمية في كتب الطبقات: ان شهرة كتاب الحجة للفارسي غطت على شهرة الحجة لابن خالويه حيث اشتغل الناس به قراءة ، وتلخيصا كما فعل أبو محمد مكي بن أبي طالب في كتابه : المنتخب في اختصار كتاب الحجة للفارسي وغيره .

ومن الجلي أن أصحاب كتب الطبقات وابن خالويه نفسه أشاروا الى ان له كتابا في القراءات ، فأين ذهب هذا الكتاب ؟ لا يمكن أن يكون كتاب القراءات المصور بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم 52 قراءات ، لان منهج ابن خالويه فيه يقوم على الاستطراد والاطناب، اذ يتحدث عن تفسير الآيات واسباب نزولها ، ويحشد قصصا عديدة في مناسبات مختلفة ، وليست القراءات فيها ، والاحتجاج بها الا جزءا يسيرا من هذا المنهج ، فكتابه في حقيقة أمره كتاب تفسير لا قراءات ، شأنه شأن كتب التفسير التي تتعرض لهذه الأغراض جميعا، وقد نسخ هذا الكتاب المصور سنة 600 هـ بخطوط مختلفة آخرها خط صديق بن عرين محمد بن الحسين (1) .

على اننا نجد كتاب الحجة موضوع الحديث نسخ بخط واحد سنة 496 هـ وهو موقوف على القراءات وحدها ، والاحتجاج لها .

ان الذي يطمئن اليه القلب ، ويرتضيه العقل ان كتاب القراءات المنسوب الى ابن خالويه في كتب الطبقات هو كتاب الحجة نفسه ، لانه لا يعقل أن يكرر ابن خالويه ما كتبه أستاذه ابن مجاهد في القراءات ، لأن ابن مجاهد كل عمله في القراءات انه انتخب من القراءات العديدة هذه القراءات السبع وليس فيه الاحتجاج النحوي أو اللغوي لهذه القراءات ، على حين يطالعنا كتاب الحجة لابن خالويه بالتوجيه لكل قراءة ، والاحتجاج لها في مجال النحو واللغة وكذلك فعل ابو علي الفارسي في حجته ، اعتمد على هذه القراءات السبع التي جمعها استاذه ابن مجاهد ، واحتج لها في ميدان النحو واللغة .

يقول الفارسي في مقدمته : « فان هذا كتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب ابي بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد » (2) ، فأبو علي الفارسي كما يبدو في مقدمته، لم يرد ان يكون كتابه نسخة مكررة من كتاب استاذه ابن مجاهد ، بل كان عمله التوجيه والاحتجاج ، اذا كان الامر كذلك فهل يعقل في باب المنطق أن يأتي معاصر لابي علي كانت بينهما منافسات علمية خطيرة اشرت اليها في بحثي المنشور في مجلة « اللسان العربي » – ليؤلف في القراءات وتكون مهمته تكرار كتاب أستاذه ؟

ان العصر الذي ضم هؤلاء الأعلام كان عصر احتجاج للقراءات التي ثبتت عن ابن مجاهد ، ولم يكن الأمر مقصورا على ابي علي الفارسي فقد شاركه في ذلك محمد بن الحسن الأنصاري المتوفى 351 حيث الف كتاب السبعة بعللها الكبير ، وكتاب السبعة الأوسط ، وكتاب السبعة الأصغر (3) والف كذلك ابو محمد الحسن بن مقسم المتوفى 362 هـ كتاب السبعة بعللها : الكبير ، والأوسط ، والأصغر (4) .

ايصح أن يقال اذن : ان ابن خالويه اللغوي الكبير كان عاجزا عن متابعة هذه الحركة القرآنية في عصره، وهو من خيرة اعلامه ، ومن اشهر تلاميذ ابن مجاهد ؟.

---

(1) فهرس مخطوطات الجامعة العربية 12 ، وفهرس المخطوطات ، الجزء الاول : 1 س \ 276 .
(2) مقدمة الحجة لابي علي الفارسي 1 – دار الكتاب العربي .
(3) الفهرست لابن النديم – 32 – 33 .
(4) المرجع نفسه والصفحة ..

الوقع ان العقل لا يسلم بذلك ، فان الظـروف المحيطة بهذا اللون من الدراسات تلح على ابن خالويه ان يؤلف فى القراءات ، ويوجهها ، ويحتج لها كما فعل معاصروه واكبر الظن ان الكتاب كان عنوانه الحجة فى القراءات السبع فعند النسخ سقطت كلمة الحجـة ، وهو امر يحدث كثيرا على يد النساخ ، أو اختصـر عنوانه فاصبح : القراءات ، واختصار العناوين ليس بدعا فى مؤلفاتنا . وقد أشار الى ذلك محققو كتاب الحجة للفارسي حيث ذكروا أن كتاب الحجة يرد « فى الكتب التي تذكره بأسماء مختلفة منها : الحجـة ، والحجة فى علل القراءات السبع ، والحجة فى شرح القراءات السبع (5) .

الا يدل ذلك على أن أبا علي لم يضع هذه الأسماء العديدة لكتابه ، وانما وضع اسما واحدا فقط ، فجاء الرواة ، أو الناسخون ، فغيروا وبدلوا مما جعل اسم هذا الكتاب يتخذ صورا متعددة .

على أن ابن خالويه كان فى مقدمته صريحا ، فقد ذكر ان الكتاب فى الاحتجاج وقد قلت : ان أنسـب تسمية لهذا الكتاب هي الحجة ، فكلمة الحجة تطالعك فى كل سطر من سطور هذا الكتاب .

— ◆ —

2) ذكرت ان كتب الطبقات ليست حجة قاطعة نرجع اليها فى نفي نسبة الكتاب الى ابن خالويه حيث لم تشر اليه ، ذلك لأن هذه الكتب نفسها اغفلت ذكر كتب لابن خالويه ، منها : كتاب أسماء الله الحسنـى الذي أشار اليه ابن خالويه نفسه فى كتابه : اعـراب ثلاثين سورة حيث قال : « وقد صنفتها فى كتـاب مفرد ، واشتقاق كل اسم منها ومعناه (6) .

وقد علق الأستاذ الناقد على هذا القول بقوله : « هذا كلام من نمط سابقه فان كتاب الحجة جدير بأن يذكر فى أول قائمة كتب ابن خالويه لو صحت النسبة وحيث لم يذكر فى كتب الطبقات ، ولا ذكر فى باقي كتب ابن خالويه ، فهذا دليل على عدم صحة نسبتـه اليه ، لأن كتب الطبقات لم تذكره ، ولأن ابن خالويه لم يشر اليه فى تضاعيف كتبه » .

اقول لأخي الناقد :

لا احب أن أكرر ما قلت فى شأن كتب الطبقات فليس أصحابها فى عصمة من النسيان وليست هـذه الكتب فى مأمن من الخطأ ، ولا ادل على ذلك من هـذا التراث الضخم الذي حوته فهارس مكتباتنا فى الشرق والغرب ولا تجد للكثير منه ذكرا فى كتب الطبقـات المعروفـة .

الم اقل فى بحثي لانتاج ابن خالويه العلمي : انني استطعت ان انسب الى ابن خالويه كتبا لم تضمها كتب الطبقات ، وعددت من هذه الكتب عشرة كتب اذكر منها كتاب الريح ، وكتاب أسماء الله الحسنى ، وكتـاب الهاذور ، وشرح ديوان أبي فـراس الحمدانـي .. اتسقط هذه الكتب لأنها لا توجد فى البغية ، أو فى انباه الرواة ، أو فى معجم الأدباء .... الخ ؟ لو فعلنـا ذلك لأجهزنا على تراثنا بأيدينا من حيث لا نشعـر ولا أسلم أيضا للناقد الفاضل بأن ابن خالويه لم يشر اليه فى تضاعيف كتبه ، لأن ابن خالويه قد أشار اليـه ، أشار اليه فى كتابه « اعراب ثلاثين سـورة » عنـد تعرضه للقراءات فى قوله تعالى : « انعمت عليهم » قال : « اجمع العلماء على كسر الهاء فى التثنيـة اذا قلت : عليهما ، قال الله عز وجل : « يخافون انعم الله عليهما » (7) الا يعقوب الحضرمي فانه ضم الهاء فى التثنية كما ضمها فى الجمع ، وقد ذكرت علة ذلك فى كتاب « القراءات » (8) وهذا التعليـل تجـده فى الحجة (9) . واما عدم ذكره باسم الحجة فقد بينـت السر فى ذلك ، وان هذه التسمية جاءت متأخرة عن عصر ابن خالويه .

ان ابن خالويه حينما يقول : ذكرت علة ذلك فى كتاب « القراءات » أليست هذه اشارة واضحة الى ان المعنى بذلك هو كتاب الحجة ؟ وما مدلول قولـه : « علة ذلك » أليست العلة هي التوجيه النحـوي أو اللغوي ، وما التوجيه النحوي أو اللغوي الا الاحتجاج ،

(5) انظر مقدمة الحجة للفارسي — 4 .
(6) اعراب ثلاثين سورة — 14 .
(7) المـائـدة — 23 .
(8) اعـراب ثلاثيـن سـورة — 32 .
(9) الحجة فى القراءات السبع : تحقيق : عبد العال سالم مكرم — طبع دار الشروق — بيروت .

وما الاحتجاج الا ذكر الحجة ، والحجة تتكرر فى كل قراءة يعرضها الذي يعنيني ياسيدي والا واخيرا هو المضمون لا الشكل ، والجوهر لا العرض ، والمعنى لا اللفظ ، وهذا كله يشير الى ان كتاب القراءات الذي اشار اليه ابن خالويه هو فى الاحتجاج ، وبذلك لا نسلم للناقد الفاضل قوله : انه لم يشر اليه فى تضاعيف كتبه .

— ◆ —

3) وحينما ذكرت أن التسمية بالحجة قد تكون من عمل المتأخرين ، وحتى كتاب الحجة للفارسي لم يقدمه أبو علي لعضد الدولة باسم الحجة .

يقول الأستاذ العابد معلقا : « اننا نؤكد أن النسخ العتيقة التي توجد من كتاب الحجة لأبي علي الفارسي مكتوب بظهر أول ورقة من أجزائه بخط عريق فى القدم من نسخة كان يتملكها الحافظ الحجة ابو الحسن علي بن محمد الشاري ما صورته : الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الأمصار ... الخ . فمن اين الجزم بأن أبا علي الفارسي لم يسم كتابه بالحجة ؟

اقول :

اخي ، ان الذي دفعني الى هذا القول هو ان عنوان الكتاب على الغلاف ليس هو الفيصل فى القضية كما فهمت سيادتك .. فقد درج المؤلفون أن يذكروا فى مقدمة كتبهم أسماء هذه الكتب أو موضوعاتها ، ويقوم الناسخون بوضع هذه التسمية على الغلاف ان كانت مذكورة فى المقدمة ، او وضع اسم ينطبق على موضوع الكتاب ان لم يكن اسمه مذكورا بنصه ، على ان الغالب فى مؤلفات القدامى انهم يذكرون موضوعات كتبهم فى مقدماتهم ، ولا يشيرون الى اسمائها ، فعل ذلك أبو علي الفارسي حينما ذكر فى مقدمة كتابه الحجة ما نصه : فان هذا كتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم فى كتاب ابي بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (10) ولم يشر الى هذه التسمية وانما فهمت التسمية من موضوع الكتاب ، ولذلك اختلف الرواة فيها كما بينت آنفا .

وفعل ذلك ابن خالويه حينما ذكر فى مقدمته ما نصه : « وانا بعون الله ذاكر فى كتابي هذا ما احتج به اهل صناعة النحو لهم فى معاني اختلافهم » (11) فكلمة « احتج » تجدها فى مقدمة ابن خالويه على حين تفتقدها فى مقدمة الفارسي .

وفعل ذلك ايضا الفارسي فى كتابه « الاغفال » حيث يقول فى مقدمته بصدد المسائل التي اغفلها الزجاج ما نصه : « ذكرناها لما اقتضت عندنا من الايضاح للاغفال الواقع فيها » وكتب على غلاف النسخة المخطوطة « الاغفال لأبي علي الفارسي (12) .

وكذلك فعل ابو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي فى مقدمة كتابه « تفسير مشكل اعراب القرآن » حيث يقول : « فقصدت فى هذا الكتاب الى تفسير مشكل الاعراب ، وذكر علله ، وصعبه ، ونادره ، ليكون خفيف المحمل » (13) .. الخ . ولم يشر الى أن هذا الكتاب اسمه « تفسير مشكل اعراب القرآن » وانما ذكر الموضوع ، ولا يخفى على الراوية أو الناسخ لب هذا الموضوع ، فاستنتج الاسم منه ونسب اليه .

ولا أبالغ اذا قلت : ان كتاب سيبويه أشهر كتاب انتشر فى الآفاق لم يسمه سيبويه بهذا الاسم ، وانما جاءت التسمية من الرواة أو الدارسين أو الناسخين ، يقول استاذنا المحقق الكبير الأستاذ عبد السلام هارون فى مقدمته القيمة لتحقيق كتاب سيبويه ما نصه : « وقد عرف كتاب سيبويه من قديم الدهر الى يومنا هذا باسم الكتاب أو كتاب سيبويه ، ومن المقطوع تاريخيا أن سيبويه لم يسمه باسم معين » (14) .

وفى العصور المتأخرة نجد المؤلفين ينصون على تسمية كتبهم فى مقدماتها وبذلك يكون عنوان الغلاف وفق عنوان أسم الكتاب المشار اليه فى المقدمة فهذا ابن هشام فى مقدمة كتابه المغنى يشير الى اسم كتابه فيقول : « سميته بمغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » ، والسيوطي فى مقدمة كتابه الهمع يقول : « فتخيرت

(10) مقدمة الحجة للفارسي — 3 .
(11) الحجة لابن خالويه — 38 — طبع دار الشروق — بيروت .
(12) الاغفال لأبي علي الفارسي مخطوط رقم 649 تفسير — دار الكتب المصرية .
(13) شكل اعراب القرآن مخطوط رقم 232 ، تفسير — دار الكتب .
(14) مقدمة المحقق 1 — 23 — طبع دار القلم .

لهم هذه العجالة الكاملة بحل مبانيه ، وتوضيح معانيه الى ان يقول : مسماة بهمع الهوامع فى شرح جمع الجوامع » .

ولعل فى هذا الدليل الشافي فى أن عنوان الكتاب قد لا يكون فى بعض الأحيان من وضع المؤلف، او من تسمية المؤلف .

— ◆ —

4) وقد ذكرت ان من الادلة على ان الحجة لابن خالويه دليل التنافس العلمي فى هذا العصر ، ولكن هذا الدليل لم يرق فى نظر الناقد فكتب يقول : « وانا لا أدري ما وقع هذا الدليل . والتنافس العلمي ولو بلغ ما بلغ لا ينتج مثل هذا الفرض المشكوك فيه من أصله ، وقد وقع التنافس فى كثير من الفنون فى عصره ، ولم يؤلف ابن خالويه فى جميع تلك العلوم المتنافس فيها » .

اقول :

لعل الناقد الفاضل يذكر أن أهم ما كان يشغل ذهن ابن خالويه هو العلوم القرآنية ، واذا نافس فانه ينافس فى مجالها ، أما ما عدا ذلك من الوان المعرفة كالطب والفلك ، والمنطق والفلسفة ، والحساب والهندسة ، فهذه علوم لا تدخل فى حساب المنافسة .

وقد اشرت الى منافسته للفارسي وابن جني ، وغيرهما كما سبق بيانه فى مجال الدراسات القرآنية .

— ◆ —

5) وقد قلت :

ان من اوضح ادلة التوثيق لهذا الكتاب ، ونسبته لابن خالويه تشابه اسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الأخرى ، وهذا التشابه محصور فى الايجاز والاختصار ، وموضوعات اخرى ذكرتها فى بحثي ، واستدللت عليها بنصوص لا تقبل الجدل ، ولا تحتمل الشك .

ولكن الأخ الناقد لم يعجبه هذا التدليل فقال : « ان الأسلوب والمنهج الذي كان سائدا فى عصر ابن خالويه لم يكن خاصا به بل كان عاما لدى الشخصيات التي تتلمذ لابن مجاهد ، وابو علي الفارسي فى كتابه لم يكن يتبع غير طريقة الايجاز ولو نسبيا » .

اقول :

لقد جعلني الناقد الفاضل اشك فى انه قرأ أو اطلع على كتاب الحجة للفارسي الذي طبع منه الجزء الاول بتحقيق أستاذنا النجدى ورفاقه ، وقد أشار سيادته فى نقده الى هذا الجزء المطبوع .

من قال : ان ابا علي الفارسي فى كتابه الحجة كان طابعه الايجاز ولو نسبيا ؟ ان هذا قول لا تطمئن اليه النفس واليك الدليل :

ان الجزء الاول المطبوع من حجة الفارسي يحتوي على 331 صفحة من القطع الكبير ، ابتداء بفاتحة الكتاب ، وانتهاء بقوله تعالى : « على كل شيء قدير » آية 20 من سورة البقرة . اي ان هذا الجزء الضخم كله توجيه لقراءات الفاتحة ، ولعشرين آية من سورة البقرة ، فهل هذا ايجاز يا سيدي ؟

ان الأساتذة المحققين احسوا ان نشر كتاب الحجة للفارسي قد يصل الى اربعين جزءا على غرار الجزء الاول مما يتطلب وقتا طويلا ، وعمرا مديدا ، ومنذ ثلاث سنوات لم ير النور من كتاب الحجة للفارسي غير هذا الجزء الاول ، مما دفعني دفعا قويا الى اخراج كتاب الحجة لابن خالويه ، لانه يقدم للقارىء خلاصة موجزة للاحتجاج النحوي واللغوي للقراءات السبع فى أسلوب ممتع ، وفى عرض يشرق على القارىء بهاؤه ويستولي على نفسه جماله ، وقد جعل الاختصار رائده ليحقق الهدف الأكبر من تاليفه ، وهو انتفاع الناس به، او كما يقول فى مقدمته :

« قاصدا قصد الابانة فى اقتصار من غير اطالة ولا اكثار ، جامعا ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقرب على مريده ، وليسهل على مستفيده » (15) ، ومن حسن الحظ ان كتاب الحجة لابن خالويه أصدرته ونشرته دار الشروق ببيروت فى أوائل اغسطس سنة 1971 ، وهو الآن يشق طريقه الى عقول القراء ، لانه الكتاب الوحيد فى المكتبة العربية الآن الذي يمكن للقارىء الرجوع اليه عند توجيه قراءة فى مجال النحو واللغة من القراءات السبع .

---

(15) مقدمة ابن خالويه ـ 38 .

والى اخي الفاضل الاستاذ العابد أقدم دليـلا ملموسا من كلام ابن جنى تلميذ الفارسي حول هـذا الكتاب ، وراي ابن جنى الذي امتص ثقافة استـاذه الفارسي فى هذا المجال راي لا يتسرب اليه الشك او الضعف لانه شهادة على النفس كما النفس ، ولان ابن جنى من الفارسي بمثابة الروح من الجسد . يقول ابن جنى فى المحتسب : (فان أبا علي رحمه الله عمـل كتاب الحجة فى القراءات فتجاوز فيه قدر حاجـة القراء ، الى ما يجفو عنه كثير من العلماء » (16) .

ويقول فى موضع آخر : « وقد كان شيخنا ابـو علي عمل كتاب الحجة فى قراءة السبعة فأغمضه واطاله حتى منع كثيرا ممن يدعى العربية فضلا عن القراء ، واجفاهم عنه (17) .

الا يدل هذا على أن أبا علي الفارسـي لم يكـن رائده الايجاز والاختصار كما يقول الناقد . بـل كان رائده التطويل الممل ، والاستطراد المخل ، والأسلوب المعقد كما أشار الى ذلك تلميذه ابن جنى .

وليقتنع الناقد الفاضل بما أقول فاليـه هـذا المثال من كتاب حجة الفارسي :

قال أبو علي فى قوله تعالى : « مالك يوم الدين » « اختلفوا فى اثبات الألف واسقاطها من قولـه » . « ملك يوم الدين » ثم يبين قراءة عاصم ، وقراءة غيره وبعد ذلك ينقل عن أبي بكر محمد السري نصا يستدل فيه على أن « ملك » يجمع (مالكا) أي ملك ذلك اليوم بما فيه ، ومالك انما يكون للشيء وحده .

ولا يكتفي بهذا ، بل ينقل حكايـة عن عاصـم الجحدري ، وبعد ذلك ينقل رواية لثعلب يحتج فيها لقراءة الكسائي « ملك الناس » ويستطرد الى قول أبي عبيد فى تفسير معنى « ملك يوم الدين » ويبين أن المالك والملك يجمعهما معنى واحد ويرجعان الى اصل وهو الربط والشدة ، ويستدل على ذلـك بالشعـر العربي ويستطرد مرة أخرى الى تفسير معنى الاملاك ، وهو ربط الرجل بالمراة ويعود من حيث بدأ الى قراءة « ملك » ، وقراءة « مالك » وسرعان ما يترك توجيه القراءة الى موضوع آخر ليس منها فيقول : قال أبو الحسن الأخفش يقال : ملك بين الملك : الميم مضمومة، وتقول : مالك بين الملك والملك بفتح الميم وكسرها.

ولا يكتفي بهذا بل ينقل عن أبي عثمان فيقول : وقال ابو عثمان : شهدنا املاك فلان وملكه ، ولا يقال : ملاكه، وينتقل الى الحديث عن املاك المراة وهو العقد عليها ، وقد ذكره فيما قبل ثم عاد اليه .

ومن غير وحدة او ترابط يرجع بعد ذلـك الى قراءة « ملك » أو « مالك » فاذا فرغ من هذا اتجه الى الحديث عن اضافة مالك الى يوم الدين والاضافة باب من أبواب النحو ، اخذ أبو علي يشق الحديث عنها الى منتصف ص 36 ، اى ان الحديث عن مالك يوم الدين تناول 36 صفحة من القطع الكبير . فهل هذا ايجاز او اختصـار ؟

انظر الى ما كتبه ابن خالويه فى «مالك يوم الدين» قال ما نصه : « يقرأ باثبات الألف وطرحها ، فالحجة لمن اثبتها أن الملك داخل تحت المالك والدليل لـه قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك » (18) والحجة لمن طرحها أن الملك أخص من المالك وامدح ، لانـه قد يكون المالك غير ملك ، ولا يكون الملك الا مالكا (19)

وقد بلغت صفحات حجة ابن خالويه بعد طبعه 318 صفحة من القطع الكبير خلاف المقدمة والفهارس مع انه تناول توجيه القراءات السبع فى القرآن الكريم كله مبتدئا بفاتحة الكتاب ، ومنتهيا بسورة الناس .

— ◆ —

6) ومن ادلتي فى ان كتاب الحجة تصح نسبته الى ابن خالويه أن الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه فى كتابه كانوا اسبق منه زمنا مما يدل على أن الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه . ولكن هذا الدليـل من الادلة الواهية فى نظر الناقد الفاضل حيث يقـول : « هذا من الاستدلالات الواهية ، ومتى كان النقل عن أعلام سابقين فى الزمان دليلا على تثبيت نسبة الكتاب لشخص معين » .

(16) انظر : مقدمة المحتسب لابن جنى ـ طبـع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .
(17) مقدمة المحتسب المرجع السابق .
(18) آل عمـران ـ 26 .
(19) الحجة لابن خالويه ـ 38 .

احب ان اذكر الاستاذ الناقد بما ذكره استاذنا المحقق عبد السلام هارون حيث قال ما نصه فى كتابه المبتكر « تحقيق النصوص ونشرها » : « وتعد الاعتبارات التاريخية من اقوى المقاييس فى تصحيح نسبة الكتاب او تزييفها ، فالكتاب الذي تحشد فيه اخبار تاريخية تالية لعصر مؤلفه الذي نسب اليه جدير بأن يسقط من حساب ذلك المؤلف . ومن امثلة ذلك كتاب نسب الى الجاحظ وعنوانه « كتاب تنبيه الملوك والمكايد » ومنه صورة مودعة بدار الكتب المصرية برقم 2345 ادب . وهذا الكتاب زيف لا ريب فى ذلك ، فانك تجد من ابوابه باب « نكت من مكايد كافور الاخشيدي » و « مكيدة توزون بالمتقى لله »، وكافور الاخشيدي كان يحيا بين سنتي 292 ، 357 ، والمتقى لله كان يحيا بين سنتي 297 و 357 ، فهذا كله تاريخ بعد وفاة الجاحظ بعشرات من السنين (20) ومن الأمثلة على ذلك ايضا ما ذكرته فى كتابي «القرآن الكريم واثره فى الدراسات النحوية » ان كتاب اعراب القرآن للزجاج المخطوط بدار الكتب المصرية رقم 528 تفسير ليس للزجاج بأدلة ذكرتها ، منها : ورود عبارة فى هذا الكتاب وقفت عندها طويلا وهي قوله فى باب التقديم والتأخير : « وقد تصالح الأستاذ والفلام على ان الظرف يعمل فيه الوهم ورائحة الفعل » وذهبت ابحث من الأستاذ ؟ ومن الفلام ؟ لانه اذا تم التعرف عليهما او على احد منهما ، وتبين انهما عاشا فى عصر متأخر عن عصر الزجاج امكن ان يكون ذلك دليلا يؤكد ان كتاب اعراب القرآن هذا ليس للزجاج .

اقول : بعد بحث طويل وجدت فى تاريخ الادب العربي « لبروكلمان » ما نصه :

« وكان اوفى تلاميذ ثعلب له ، واقربهم اليه ابو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز الوراق الباوردي ، ومن ثم سمي غلام ثعلب ، وتوفي غلام ثعلب ببغداد سنة 345 هـ » (21) على ان الزجاج المنسوب اليه هذا الكتاب توفى عام 311 هـ (22) ولعل فى هذا القدر الكافي لاقناع الأخ الناقد .

— ◆ —

7) واما الدليل السابع من ادلة النقد ، فانه ينصب على قولي : « ومن الادلة تقارب بعض النصوص فى مؤلفات ابن خالويه الأخرى مع بعض نصوص الحجة ، وقلت : انني لا ابالغ فى أن هناك نصوصا بأساليبها وكلماتها فى هذه المؤلفات هي بعينها فى كتاب الحجة » .

ولكن الناقد لا يقتنع بهذا ايضا فيقول : « ان هذه المشابهة أو المقارنة بين النصوص لا تفيد شيئا فى الواقع ، ومجرد القاء الباحث نظرة فى كتاب الحجة لأبي علي الفارسي المعترف به من الجميع مع مراجعة ما قاله النحويون ، والقراء والمفسرون والمعاصرون ، للفارسي ولابن خالويه يجد أن جميع تلك النصوص متشابهة ومتقاربة فى المعنى حتى وفى اللفظ فى بعض الأحيان ، ومع ذلك التشابه والتقارب لا يمكن أن نستدل بذلك على اثبات نسبة كتاب معين لشخص معين بمجرد التشابه والتقارب » .

اقــــول :

كنت أود من الزميل الفاضل ان يذكر لي ، ولو نصا واحدا من هذا التشابه والتقارب المعنوي أو اللفظي كما ذكر .

يا سيدي .. لقد علمتنا كتب التراث امانة النقل فاذا رجع مفسر من المفسرين أو النحويين أو القراء الى حجة ابى علي مثلا ، فانه لا ينقل نصوصا متقاربة المعنى أو متشابهة اللفظ الا بعد أن يذكر قوله : (وقال الفارسي فى الحجة) اما ان يعتدي على المعاني ، ويكسوها الفاظا من عنده فهذه سرقة لا تليق بعالم يعتد بقوله . ومن وقع فيها شهر به ، وسخر منه ، والروايات على ذلك عديدة . والمعاني يا سيدي مطروحة فى الطريق ، وانما هي نتيجة كد الذهن ، واعمال الفكر ، وبذل الطاقة والاطلاع الواسع والالهام المبدع . كيف تتقارب المعاني ، ولكل مفسر منهجه وطريقته ولكل كتاب من كتب القراءات فى الاحتجاج وغيره اسلوبها الخاص وطريقتها الخاصة ؟ نعم ان النقول قد تعددت فى كتب التراث ، ولكنها نقول لها مصادر معروفة ، واشخاص معروفون صدرت عنهم ، ونقلت منهم ، ولا يصح التصرف فيها بالتغيير أو

(20) تحقيق النصوص ونشرها ـ 43 طبعة ثانية (الحلبي) .
(21) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 2 ـ 218 ، والقرآن الكريم واثره فى الدراسات النحوية ـ 275 .
(22) = البقية 1 ـ 413 .

التبديل . وما عدا ذلك نفردية في الطريقة ، وفي المنهج وفي الاسلوب ، والا كان تكرارا أو سطوا وكلاهما لا يليق بأولى العلم والمعرفة ، هذا في مجال المعاني فما بالك في مجال تشابه اللفظ . اظن ان توافق الخواطر قد يحدث في جملة أو كلمة اما ان يحدث في نص تتعدد سطوره فذلك امر لا يقبله المنطق . وقد ذكرت يا سيدي تشابه اسلوب ابن خالويه في كتاب الحجة بأساليبه في كتبه الأخرى ، لأن المؤلف واحد ، والعقل واحد ، والاسلوب واحد ، وطريقة التفكير واحدة . وقد بينت أن في الحجة من كتاب «اعراب ثلاثين سورة» نصوصا بألفاظها ومعانيها، وأن في الحجة من كتاب « الريح » نصوصا بألفاظها ومعانيها ، وقد سجلت ذلك في بحثي المنشور في مجلة «اللسان العربي» نفس العدد الذي ذكر فيه نقد الأستاذ الفاضل . الا يكفي هذا دليلا واضحا على ان الحجة لابن خالويه لا لغيره .

— ◆ —

8) والناقد الفاضل لم يعترف بقدم النسخ ، « لأن الناسخ مجهول أمره ، ولأن الخط ليس من الخطوط المتداولة في القرن الخامس الهجري ، يعرف هذا بالبداهة من له خبرة بالخطوط ، وتطوراتها، والمقابلة المذكورة لا تفيد أي شيء ولأن كاتبها مجهول»

اقول :

ان هذا الدليل لا نسلم للسيد الفاضل بصحته ، لأن كثيرا من الكتب المخطوطة لم تظفر بذكر اسم ناسخها ، وجهل الناسخ لا يقلل من قيمتها ، لان الدراسة التي تقوم حولها ، وتحليل مناهجها وطريقة تأليفها ، والتمرس بأسلوب مؤلفها ، والخبرة بالعصر الذي نسخت فيه كل ذلك يزيل الغموض عنها ، كما فعلت ذلك في دراستي لكتاب الحجة .

على أن كتاب الحجة للفارسي لم تظفر النسخة الأصل التي اعتمد عليها المحققون باسم الناسخ ، فهل جهل الناسخ ينفي ان كتاب الحجة للفارسي . أليس من التناقض أن أثبت أن كتاب الحجة منسوب للفارسي مع جهل الناسخ ، وانفى نسبة كتاب الحجة لابن خالويه لأن الناسخ مجهول ؟

اما جهل ناسخ الحجة للفارسي فاليك الدليل :

قال المحققون : « اعتمدنا في تحقيق كتاب الحجة على نسختين كتبت اولاهما سنة 390 هـ بخط النسخ الواضح ، وضبطت كلماتها بالشكل ضبطا كاملا وهي في مكتبة بلدية الاسكندرية برقم 3570 ع ، وفي دار الكتب المصرية صورة منها برقم 462 قراءات وفي خزانة مجمع اللغة العربية مصورة منها كذلك ، وقد جعل المحققون هذه النسخة هي الأصل لأنها الأقدم في النسخ ، ولم يشيروا الى اسم الناسخ لانه غير موجود » .

من هذا ، يتبين ان ظاهرة كتابة اسم الناسخ قد تتخلف في كثير من الكتب المخطوطة وليس الجهل بالناسخ ينقص من قدر المخطوط ، ويقلل من قيمته ، والا لما اعترفنا بكتاب الحجة للفارسي ، وهو لا يتطرق اليه الشك .

مع ان هذه النسخة كما يقول المحققون كتبت بخطوط مختلفة فقد ذكروا ما نصه :

« ويلاحظ ان خط الصفحتين الأولى والثانية مخالف لخط سائر الصفحات في كل من الجزء الأول ، والثاني ، والسابع ، وخط الصفحات الأولى والثانية والأخيرة مخالف لخط سائر صفحات الجزء الثالث ، وخط الصفحتين الأوليين والصفحتين الأخيرتين مخالف لخط سائر صفحات الجزء الرابع ، وخط الصفحة الأخيرة مخالف لخط سائر صفحات الجزء السادس » (23) .

وكتاب الحجة لابن خالويه كتب بخط واحد ، لم يتخلف في صفحة واحدة من صفحات هذا الكتاب .

واحب ان اطمئن الأخ الفاضل الى ان هذا الخط الذي كتبت به نسخة الحجة من الخطوط المتداولة في القرن الخامس ، وقد رجعت الى استاذنا المحقق عبد السلام هارون ، وعرضت عليه صفحات مصورة من هذه النسخة ، فأقر بما لا يدع مجالا للشك انها من خطوط القرن الخامس الهجري . وكذلك اقر هذا الزميل المحقق الأستاذ عبد الستار فراج رئيس قسم التراث بوزارة الثقافة بالكويت .

---

(23) = مقدمة الحجة للمحققين — 33 .

ومما يجدر ذكره أن الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رغب فى أن يقوم طالب من طلاب الدراسات العليا لتحقيق نسخة الحجة لابن خالويه للحصول على الدكتوراه تحت اشرافه وفعلا بدأ الطالب يستعد لتسجيل هذا الموضوع فى كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، ولما علم الدكتور الفاضل إني قمت بتحقيقه ، وفرغت منه ، عدل عنه ، اكتفاء بتحقيقي ولا انسى ان اذكر للناقد أن خبراء الخطوط بدار الكتب المصرية عرضوا هذا الكتاب فى معرض الخطوط العربية القديمة على انه واحد من الكتب التي تبين معالم الخطوط فى القرن الخامس الهجري .

ولعلي بهذا اكون قد بينت للناقد الفاضل وجهة نظري فى أدلته مؤيدة بالدليل بعيدة عن هوى النفس ، او عن داء التعصب للرأي .

بقيت ملاحظات اخرى عامة ، احب ان اوجه نظر الناقد الفاضل اليها :

(1) تناقض الناقد مع نفسه : فعنوان تعقيبه حمل العبارة التالية :

(نسبة الحجة الى ابن خالويه لا تصح) ثم ذكر بعد ذلك فى السطور الاخيرة من تعقيبه انه (لا يمكن أن ننفيه عنه نفيا قاطعا) .

ومن حقي أن اسأل الناقد : هل يجوز فى مجال البحث العلمي أن تنفي ثم تنفي هذا النفي ولو بدرجة ما ؟ لأن نفي النفي ، اثبات ، كان الأجدر أن يكون عنوان نقدك : (نسبة الحجة الى ابن خالويه فيها نظر) او ليست مؤكدة ، او يتطرق اليها الشك ، اما ان تنفي هذه النسبة بلا النافية ، ثم تعود بعد ذلك لتنفي ما نفيت ، هذا امر لا يتلاءم مع منهج البحث .

(2) اثبت الناقد فى السطور الأخيرة من نقده: « ان الذي تميل اليه النفس هو أن كتاب الحجة هذا هو احد المختصرات التي اختصر بها كتاب الحجة الأصلي لابي علي الفارسي لعالم مجهول » .

اقـــول :

ان الناقد الفاضل نقد نفسه بهذا القول ، الم يقل بعد ذلك بسطور « والذي يجعلنا نميل الى نفي هذه النسبة هو ان جميع المصادر التي ترجمت لابن خالويه لم تذكر فى قائمة كتبه تاليفه الحجة ، ولم يعرج أصحاب المعاجم والفهارس وطبقات القراء عليه » هذا القول ذاته موجه اليك يا سيدي ، فاذا كان حجة ابن خالويه مختصرا لحجة الفارسي فلم لم تشر اليه المعاجم والفهارس وطبقات القراء مع شدة اعتناء العلماء بحجة الفارسي فقد ذكروا ان مكي ابن ابي طالب المتوفى 437 هـ اختصره فى كتاب سماه : منتخب الحجة فى القراءات ، واختصره ايضا ابو طاهر اسماعيل بن خلف الاندلسي المتوفى 455 هـ ، ومحمد بن شريح الرعيني المتوفى 476 هـ (24) .

ولم يشر أحد الى أن عالما مجهولا لخص حجة الفارسي ، وبذلك يكون الناقد وقع فيما نقد به غيره .

والحقيقة أن حجة ابن خالويه تبعد كل البعد ان تكون تلخيصا أو اختصارا لحجة الفارسي ، وذلك لأمرين :

أ ـ ان مقدمة حجة ابن خالويه تختلف فى منهجها عن مقدمة الحجة للفارسي ، فابن خالويه يقول فى مقدمته : « وبعد ، فاني قد تدبرت قراءة الأئمة السبعة من اهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل ، واتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرايت كلا منهم قد ذهب فى اعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع . وقصد من القياس وجها لا يندفع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية ، الى ان يقول : وانا بعون الله ذاكر فى كتابي هذا ما احتج به اهل صناعة النحو لهم فى معاني اختلافهم وتارك ذكر اجتماعهم وائتلافهم الى أن يقول : وقاصد قصد الابانة فى اقتصار من غير اطالة ولا اكثار ، الى أن يقول : جامعا ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقرب على مريده ، وليسهل على مستفيده » (25) .

والفارسي يقول فى مقدمته : « فان هذا كتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم فى كتاب ابي بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المترجم بمعرفة قراءات أهل الامصار والحجاز ، والعراق ، والشام بعد أن نقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه ، واخذناه عنه ، وقد كان أبو بكر محمد بن السري شرع فى تفسير صدر من ذلك فى

(24) البقية : 297 ـ 195 ، وكشف الظنون 2 ـ 244 .
(25) الحجـــة 37 ـ 38 .

كتاب كان ابتداء باملائه وارتفع منه تبييض ما فى سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم ، وانا اسند اليه ما فسر من ذلك فى كتابي هذا والى الله ارغب فى تيسير ما قصدته » (26) وبمقارنة المقدمتين نتبين فى وضوح وجلاء ان المنهجين مختلفان ، ولا يليق بعالم مختصر ان يتطاول هذا التطاول ، ويكتب هذه المقدمة بهذا المنهج الذي رسمه ، وكتابه تلخيص لكتاب معروف ، وما الدافع الى عدم الاشارة الى هذا التلخيص .

ب — ولو كانت حجة ابن خالويه تلخيصا لحجة الفارسي لراينا تشابها فى اللفظ وتقاربا فى المعنى ، واتحادا فى الفكرة مع ان الكتابين مختلفان لفظا ومعنى ، وفكرة ومنهجا ، وان اتحد موضوعهما ،

(3) اود ان اقول لاخي الفاضل ان كتب المعاجم والفهارس لا يعتمد عليها كل الاعتماد ، لأن بعضا منها نسب كتبا الى غير اصحابها ، وفهارس المخطوطات فى دور الكتب العربية تحتاج الى نظر ، لتفهرس من جديد ، فكثير من المخطوطات قالوا عنها : انها مجهولة النسبة ، وكثير من المخطوطات نسبت الى غير أصحابها ولا ادل على ذلك من هذا التصحيح الذي قمت به لبعض المخطوطات : وهذه أمثلة منها :

1) اعراب القرآن لمؤلف مجهول ..

جاء فى فهارس المخطوطات المصورة لمعهد احياء المخطوطات العربية بالجامعة العربية ما نصه : «اعراب القرآن لمؤلف مجهول . الجزء الثاني من نسخة كتبت فى القرن التاسع ، يبتدىء من أول سورة الأنعام ، وينتهي بآخر سورة الاسراء (27) . وبعد بحث طويل استطعت ان اثبت ان هذا الجزء ليس لمؤلف مجهول ، وانما هو لمؤلف معلوم ، وهو السمين الحلبي ، حيث قارنت نصوصه بنصوص النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 321 — تفسير — فوجدت النصوص متحدة متماثلة . نفس النصوص ، ونفس الأسلوب ، ونفس الألفاظ (28) .

2) معاني القرآن للزجاج ..

تضم دار الكتب المصرية نسختين مخطوطتين من هذا الكتاب .

— نسخة رقم 111 — تفسير ، وقد وثقتها برجوعي الى كتاب « الاغفال » لابي علي الفارسي لأنه ضم كثيرا من نصوص معاني القرآن للزجاج ثم علق عليها مصلحا ما اخطأ فيه الزجاج ، فرايت أن نسبة هذه النسخة الى الزجاج صحيحة ، لأن النصوص التي اوردها الفارسي فى الاغفال هي نفس النصوص التي اوردها الزجاج فى المعاني .

— نسخة رقم 636 — تفسير ، وبعد تمحيص استطعت ان اثبت هذه النسخة ليست للزجاج ، والزجاج منها بريء (29) .

3) اعراب القرآن للزجاج رقم 528 — تفسير — دار الكتب المصرية ليست للزجاج كما بينت سابقا فى هذا البحث .

4) البرهان فى علوم القرآن للحوفي : نسخة رقم 20503 بدار الكتب المصرية . وقد صورت منها النسخة رقم 20784 ب والنسخة رقم 20785 ب .

ومع مجهود التصوير المكرر لهذه النسخة ، فانها ليست للحوفي ، بل هي نسخة من اعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (30) .

— ◆ —

وبتوفيق الله لم يسبقني احد الى هذه التصحيحات أو التحقيقات ، ولا فخر فى ذلك ، فان ما يبذل حول الدراسات القرآنية قليل بالنسبة لما يجب ان يكون وقد القت هذه التحقيقات على هذه المخطوطات ضوءا كاشفا يحملنا على أن نعيد النظر فى

---

(26) = مقدمة حجة الفارسي — 4 .
(27) 1 — 20 .
(28) = القرآن الكريم واثره فى الدراسات النحوية : عبد العال سالم مكرم — 253 .
(29) انظر الأدلة فى ذلك المرجع السابق — 252 .
(30) انظر الادلة فى ذلك المرجع السابق — 284 .

هذه المخطوطات لتقويمها من جديد حتى لا تختلط القيم وتضطرب الأمور .

— ◆ —

وبعد ، فاني أقدم شكري العميق للأخ الفاضـــل الأستاذ العابد ، على هذا النقد البريء الذي تفضل به مشكـــورا .

اشكره لانه اتاح لي فرصة طيبة لبيان وجهـــة نظري في نسبة كتاب الحجة الى صاحبه واشكره لانه اثار القراء نحو هذا الكتاب ليطلعوا على ما فيه بأنفسهم ، والقارىء شريك الناقد والباحث فى ان يكون له راي والفكر ليس وقفا على أحد .

ومن حسن الحظ فان الكتاب قد تم طبعـــه فى دار الشروق ببيروت ، وقد راى النـــور بنشـــره ، واسعده الحظ فى أن يبعث من جديد بعـــد احـــدى وعشرين والف سنة ..

والله أسأل ان يجنبنا الخطأ ، وان يهدينا سواء السبيـــل .



متخير الألفاظ

الاستاذ سليمان هادي الطعمة
العراق — كربلاء

من الذخائر الرائعة التي اتحفنا بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط هذه الايام (متخير الالفاظ) تصنيف الامام اللغوي احمد بن فارس المتوفى سنة 395 هـ ، وقد حققه وقدم له وعلق عليه الاستاذ هلال ناجي وهو كتاب تراثي نفيس واثر قيم من آثار العرب التي سيكون لها دور مهم في اثراء اللغة العربية ووضعها بين لغات الامم الحية .

وقد وجدت نفسي وانا اتصفح هذا الكنز اللغوي الثري ، انني متصل ومتعلق بالمصنف ، منكب عليه دون شعور بالكلل والملل ، حتى انهيته .. انه من الفخر والاعتزاز ان يقوم بهذا العبء الثقيل من هو جدير به ، يشعر في نفسه ان عليه دينا وجب قضاؤه، عارفا انه سيواجه الصعاب ، وعالما انه تحملها بصبر واناة ، لانه قصد بروح العالم خدمة لغة الضاد .

ان تحقيق التراث يتطلب سعة في الافق وثقافة عميقة وخبرة ودراية شاملتين مع معرفة بمصادر البحث وحسن الاضطلاع بها .

والاستاذ هلال ناجي اضافة الى كونه شاعرا مبدعا وناقدا حصينا ومسرحيا موفقا وكاتب سيرة متفوقا فهو محقق بارع ، وقد جاء تحقيقه لـ (متخير الالفاظ) دالا على قدرته الفذة وجمال أسلوبه وسعة اطلاعه وعلمه الغزير بدقائق اللغة واحاطته العجيبة بمصادر البحث .

وانا اذ اشير الى بعض ميزات هذا المعجم الفريد من خلال قراءتي المتعمقة له لا ازعم ان هذه الميزات وحدها هي كل ما في الكتاب من ميزات جديرة بالتقدير، ذلك ان هذا المعجم اثار ضجة في الاوساط العلمية والمجمعية على مستوى الوطن العربي ومع ذلك اجمل رايي في النقط التالية :

1 — اعتاد كثير من المحققين العرب تحقيق ونشر كتب سبق ان نشرها المستشرقون بحجة او بأخرى مثل العثور على مخطوطة جديدة او نفاد الطبعة الاولى او اضافة بعض التعليقات وما الى ذلك فهم في الاغلب عيال على اعمال المستشرقين . الا ان ميزة الاستاذ هلال الرئيسية في تحقيق التراث هي انه ينشر من المخطوطات ما لم ينشر قبلا ، هكذا فعل في (جيش التوشيح) و (تحفة الالباب) و (شرح ابن الوحيد على رائعة ابن البواب) و (العمدة) وبذلك كان رائدا فيما ينشر وتلك ميزته — كمتخير الالفاظ — الاولى فيما اعتقد .

2 — وميزة رئيسية لهذا الكتاب بالذات انه اول معجم عربي قديم ينشره عراقي في القرن العشرين ، ذلك ان العراقيين القدماء من اجدادنا الذين وضعوا اجود معاجم المعاني كابن السكيت في معجمه الالفاظ والهمذاني في معجمه الالفاظ الكتابية وقدامة ابن جعفر في جواهر الالفاظ لم يخلفهم للاسف جيل من الاحفاد يقوم مقامهم او على الاقل يحقق وينشر معاجمهم نشرا علميا صحيحا . ومن

هنا تبرز اهمية (متخير الالفاظ) اذ انه اول معجم للمعاني يحققه وينشره عراقي فى القرن العشرين ، نأمل ان يثير الدوافع الطيبة فى نفوس ذوي القدرة ، فيهتدوا الى اعمال مشابهة .

3 ــ ان فوز (متخير الالفاظ) بأكبر جائزة لغوية على مستوى الوطن العربي-وهي الجائزة التي منحت له من قبل (المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي) ومقره (الرباط) تحمل اكثر من دلالة.

ا ــ من دلالاتها انها اعتراف علمي ضخم بهذا المجهود اللغوي القيم وهو اعتراف صادر عن جهة لغوية لها اعتبارها الضخم ومكانتها الكبيرة ، ويكفي لتقدير ذلك ان نعرف انها الجهة التي تصدر عنها مجلة (اللسان العربي) اكبر مجلة لغوية فى الوطن العربي .

ب ــ ان فوز عراقي بهذه الجائزة هو قبل كل شيء تكريم للعراق فى شخص احد ابنائه البارزين الذين كانوا وجها مشرقا له فى نتاجه العلمي والادبي .

4 ــ ان نظرة فاحصة لفهرس المصادر والمراجع التي رجع اليها الاستاذ هلال فى تحقيقه هذا والتي بلغت (377) مرجعا ، يقع بعضها فى عشرات المجلدات يكشف عن الجهد الكبير الذي بذله المحقق فى عمله العلمي .

ان هذه المصادر والمراجع المذكورة فى الحواشي هي بحد ذاتها مكتبة ضخمة من مكاتب التراث يحتاج اليها المختصون قبل غيرهم . ولله صبر المحقق كيف استطاع الرجوع الى هذه المئات من المراجع فى تحقيقه القيم .

5 ــ ان ظهور مخطوطتي (متخير الالفاظ) فى مكتبة خاصة عراقية ــ هي مكتبة اسرة المحقق العريقة علما وادبا ــ دليل على ان العراق على عكس ما يراه بعضهم ما زال رغم كل غارات التتار وغيرهم من المستعمرين مصدرا ثرا وكنزا دفينا من كنوز التراث لا تفنى نفائسه على مر الأجيال ، وتلك مأثرة للعراق قبل غيره .

وبعد : ففي رايي ان وجود هذا المعجم فى مكتبة كل اديب او متأدب ، امر ضروري اذ انه مساعد معين لكل الشعراء والادباء والمتأدبين .

واغتنم الفرصة لأحيي المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الرباط على حسن اختياره والجهد المشكور الذي بذله فى اخراج هذا المعجم الفريد .

عبد الحق فاضل في مغامراته اللغوية

الأستاذ ذنون أيوب
(بغداد)

عبد الحق فاضل ، الموصلي بالولادة ، هو اكبر انجال الاستاذ فاضل الصيدلي ، شاعر الموصل الشهير في بلده بشعره السلس البليغ ؛ ذي المضمون الانتقادي اللاذع ، للشؤون الاجتماعية المتاخرة ، والاخلاق المتردية ، وله في الوطنية والسياسة في اوائل قرننا ؛ صولات وجولات . وقد تتلمذ على الصيدلي كثير من ادباء الموصل ، في اللغة والادب والشعر .

خدم عبد الحق في وزارة الخارجية ؛ بعد انتهاء دراسته في الحقوق ؛ رهيأت له هذه الخدمة مجال التنقل بين البلاد العربية وايران وتركيا ، وغير ذلك من البلاد ، وكان آخر ما تبوأ من مناصب سفارة العراق في الصين .

لقد وهب عبد الحق ذكاء فطريا تجلى في ملكة الحفظ ؛ وسرعة الفهم ؛ والاحساس المرهف في ادراك المتشابه والمختلف ؛ عند المقارنة . وكان لطبيعته الانعزالية المتنسكة اثر كبير في كثرة قراءاته ، وسعة اطلاعه وغزارة ثقافته ؛ في حقلي العلوم والآداب ؛ يبدو ذلك واضحا في جل آثاره وتآليفه .

درس عبد الحق الفارسية ؛ خلال خدمته في ايران واخرج كتابه الاشهر « ثورة الخيام » خالف فيه كل من كتب عن الخيام ؛ واتى بنظرية علمية تطورية جديدة في دراسة حياة هذا الشاعر الخمري الفلكي ؛ اثبت فيها مروره بأدوار متتابعة متسلسلة ، مما لا مجال للبحث فيه هنا ؛ وترجم رباعياته المشهورة نظما .

وكتب عبد الحق عدة اقاصيص وقصص ، لا تعد ذروة انتاجه على جودتها وحسن تدبيجها . وله شعر بديع لا ادري لماذا لا يحب ان ينشره مع روعته في المبنى والمعنى . وقد علمت بأنه ينوي ترجمة ملحمة كلكامش شعرا ، وانه لابن بجدتها .

يمتاز عبد الحق فاضل بأسلوبه البليغ المبسط، ذي المنطق الواضح الرصين . وهو حين يعرض على القاريء اعوص النظريات يقدمها له على مائدة مزوقة منسقة ، حافلة بالتوابل والمشهيات ، فيقبل عليها وهو مستأنس . وحججه القوية تشيع خلالها النكتة والامثلة الواضحة المقنعة ، فيستغرق القاريء في القراءة مسرورا حتى يجد نفسه مقتنعا ، وواصلا الى ما يقوده اليه الكاتب من اهداف قد تكون بعيدة جدا عن المألوف ، دون جهد او عناء .

وكتابه « مغامرات لغوية » آخر انتاجه ، ويقع في 370 صفحة ، من منشورات دار العلم للملايين . وما اقدمه الآن من هذا الكتاب عرضا ونقدا لا يغني عن مطالعته ، اذ ما ذلك الا قطرات من جدول عذب رقراق .

تعرض المؤلف للكثير من الكلمات العريقة في القدم ، فأحالها الى اصل واحد . فقد اثبت ان الآرامية والعربية والعبرية كلمة واحدة ، فالباء والميم قريبتا المخرج . واتى بشواهد مقنعة تدل على ان العرب ومن جاورهم من الامم ، كثيرا ما يستبدلون العين الفا والباء ميما . « فلو سددت انفك وقلت ماما لخرجت من فيك بابا » . والاعاجم ينطقون كلمة عربي (اربي) حتى اليوم . فكلمتا عربي وارمي واحدة « كانتا رتقا ففتقهما تطور الحدثان » . واسم بكة ومكة وارد في القرآن . اما كلمتا العبرية والعربية فقد كان دليله على أصلهما الواحد أوضح

واجلى . واليك من براهينه : يقول العرب : عبر تعبيرا وعرب تعريبا ، قاصدين نفس المعنى ، اي الافصاح والابانة .

وقد ذهب الى ان اسم سوريا مشتق من كلمة (اسيريان Assyrian) كما سمى اليونان القدماء الآثوريين . ولا غرابة فقد كانت سوريا مما دخل فى نطاق الامبراطورية الآثورية امدا طويلا .

وفوجئت عندما قال عبد الحق : ان الفنيقيين انما هم (بني كنعان) اسما وقوما . فالرومان القدامى سموا القرطاجيين ، وهم فنيقيون اقاموا مستعمرة لهم فيما يسمى تونس الآن : بونيكوس . والتحريف متأت من نقل لفظة من لغة الى اخرى . والثابت ان ما يسمى كارتاكو عندهم (قرطاجة عندنا) هي نفس ما اطلقه الفنيقيون على مستعمرتهم الحديثة وهو (قريات حديشات) ، والبعد بين كلمتي (قريات حديشات) و (كارتاكو) اكثر من البعد بين كلمتي (بني كنعان) و (بونيكوس) ، وما هم الا الفنيقيون . هذا الاسم الذى اقتبسه العرب من اليونان والرومان مع التحريف المناسب ، دون أن يدركوا أن الكلمة اصلها عربي وما هي الا (بني كنعان) فرع من العرب القدامى سكن لبنان . وتوج براهينه هذه بما عثر عليه فى البرازيل ، وهو لوحة قديمة ، يرجع تاريخها الى عام 125 ق م ، مكونة من ثمانية اسطر اولها (هنا نحن بني كنعان من فريم حقرة حصل . اوش حر حصل هك) . وترجمته بعربيتنا وكتابتنا : « هنا نحن بني كنعان من فرايم حملنا الحقارة . اليس حراما ان نحصل هكذا ؟ »

لقد كان اجدادنا، واعمامنا ، بنو كنعان، مخترعو الحروف الابجدية وأرقام الحساب ومراتبه، اول من جاب البحار ووضع فنون الملاحة. وقد حان ان يرجع الفضل الى ذويه بعد ان « حقره حصل » . اليس كذلك يا اخي عبد الحق ؟ ثم لماذا نستبعد ان يكون القرطاجيون قد هاجروا من بعض مستعمراتهم فى اسبانيا مثلا ، هربا من مطاردة الرومان التى لا رحمة فيها ، فركبوا البحر مخاطرين ، ووصل بعضهم الى الامريكتين ؟ لقد ذهب عبد الحق الى مثل هذا الراي محترزا ، ولو كتب كتابه الآن لاعلن رايه دون توجس ، وذلك لان (ثور هايردال Thor Heyerdal) الاثري النرويجي ، اثبت امكان سفر الاقدمين بين القارتين الافريقية والامريكية بقارب شراعي مصنوع من حزم البردى القير ، عملا لا نظريا .

ومما لا جدال فيه ان موطن الامة العربية الاول هو الجزيرة العربية ، وان موجات هجرة وتنقل من هذه الجزيرة الى ما يجاورها، قد حدثت فى حقب التاريخ مرارا عديدة ؛ فكل الحضارات المجاورة للجزيرة العربية هي من اصل حضارتها . بل وان الاديان التى تعتنقها كل اوربا ومعظم آسيا وافريقيا نشأت فيها ، وعلى تخومها . لكن عبد الحق ذهب الى ما هو اكثر من ذلك ، فقد اكتشف بعد ان غاص فى اعماق القواميس، واجرى حفريات قاموسية. ان الكثير من الفاظ اللغة اليونانية واللاتينية والفارسية ، يرجع الى اصول عربية . وان الاصل العربي اقدمها جميعا . فمن المعلوم ان اول الكلام عند الانسان هو تقليد الصوت كما يسمع ؛ كالخرير من صوت الجدول ، والفرار من صوت اجنحة الطائر ، ومن الاخيرة تطورت كلمة فلاي وفلايت fly و flight — بالانكليزية .

والقلم هو (كلموس calamus) باللاتينية. وهي تقف وحدها فى اللاتينية . اما فى العربية فلها عشيرة كبيرة : قلم ، كلم ، جلم ، جنح جلف .. وكلها من معنى (قصب ، أي قطع) ؛ والقلم يتخذ من القصب . وكلمة (سيما sema) اليونانية اصلها عربي وهو السمة والسيماء . و muthos واصلها العربي المثلة والمثلة ، وكلها تعني الخرافة . والهستوريا اللاتينية اصلها العربي الاسطورة . ومنها نشأت (استار) او عشتار . وهو يقترح هنا ان نسمي علم الفلك astronomy بالعشترة ؛ فيكون المعنى صحيحا لفظا واصلا ؛ وتكون بضاعتنا قد ردت الينا . واليك امثلة اخرى من اللاتينية مما ذكر المؤلف solid : صلد ؛ ululo : ولول . capesso : قبض . وذكر من الانكليزية : that ذاك ، cut قط ، earth : ارض ؛ wine الوين (العنب الاسود بالعربية) .

واللغة العربية المتحضرة نفسها ترجع فى اغلبها الى اسماء تمت بالنسب الى حياة البداوة وما يلابسها وهي لا تتعدى الابل وقليلا من الدواب والاغنام والخيام وبعض الاسلحة التى لا تتجاوز الرمح والسيف والقوس . فالعقل وكل ما اشتق منه من عديد الكلمات وساميها ، من عقال الناقة . والكتابة من الكتاف وهو القيد ، والاثبات من ثبات الدابة ،

والشكل من الشكال وهو رباط الدابة ايضا ، ومثله الوثاق ، وكذلك العنوان من العنان ، والحنكة من حناك الفرس أي لجامها ، والحكمة على جلال قدرها وما اشتق منها هي من الحكمة وهو جزء من لجام الفرس الذى يحيط بالحنك . وكذا العقدة والسبب .. الى غير ذلك مما يصعب على المتضلع من اللغة ان يجاريه فيه .

وكل ما مر لا يعتبر الا مغامرات بسيطة ، حتى يدخل فى مغامرته الكبرى حين يذهب الى ان اللغة العربية هي ام اللغات السامية والهنداوربية وما يتفرع منها من الهندية والفارسية واللاتينية ، وان كل ما اشتق من الكلمات : من اصل عربي أي من جزيرة العرب التى كانت فى العصر الجليدي جنات عدن تجري من تحتها الانهار ، وعند انكشاف هذا الدور جفت فاستحالت الى صحراء وهجرها سكانها فى حقب ما قبل التاريخ ، وانتشروا فى الارض شرقا وغربا وشمالا . وهنا تصبح المغامرة خطيرة جدا .

ان علماء اصول الانسان لا يعلمون بالضبط أين نشأ جد الانسان الاول ، ولكن احدث ما عثروا عليه واقدمه عمرا من آثار هذا المخلوق كان فى جنوب افريقيا ، فرجحوا ان التطور بدأ هناك .

ان الجيولوجيين يقدرون ان اربعة دهور جليدية قد مرت علىالارض خلال المليون سنة الاخيرة، عمر رابعها واقصرها هو الاخير الذى تقارب مدته مائة الف سنة ، اي ما يقارب عمر الانسان بشكله الحالي . وينقسم هذا الى ستة عصور ثلجية ومدة آخرها الذى نحن فيه 15.000 سنة .

ان الجزيرة العربية ، ومعها الصحراء الكبرى ، وكل حوض البحر الابيض المتوسط ، الذى كان ارضا تتخللها بحيرات كبيرة ، كان واحة خصبة عمرها الانسان فى العصر الحجري وما قبله . وما كان لاسم العرب وجود حينذاك . وان ترسبات اللغات فى هذا الدور بقيت فى لغة البربر والطوارق كما بقيت فى العربية ، الامر الذى لم يتطرق اليه الاستاذ عبد الحق .

ولا يستبعد ان تكون لغ لغ لغ (لغو الطفل) اصل اللغو واللغة او logy عند اللاتين واليونان ، كما ذهب اليه الاستاذ ، ولكن هذه اللغلغة قد يرجع تاريخها الى نصف مليون سنة . فأين كانت العربية يومذاك ؟ ولماذا ذهب ايضا الى ان الصوت : صو صو صو ــ صوت افراخ الدجاج ؟ اليس ثمة ما هو اقدم من ذلك وهو صفير البلبل ووصوصة العصافير ؟ ان الدجاج قد دخل فى حياة الانسان مستأنسا ، بعد وجود العصافير والبلابل وغيرها فى الغاب ، بعشرات الالوف من السنين .

انني اتفق معه أن اصل اللغات السامية والهنداوربية والحامية ايضا واحد ، ولكن لا فى جزيرة العرب كما ذهب اليه ، بل فى حوض البحر المتوسط كله . حدثت موجات من المد والجزر ، والهجرات بسبب العصور الثلجية الستة ، التى صاحبت حياة الانسان ، فتزاوجت اللغات ثم افترقت ثم اندمجت، ثم ابتعدت مرات عديدة ، ولعل الصحراء العربية حفظت بعض الاصول ولكن ما شأن الصحراء الكبري؟ فلماذا تكون العربية هي الأم وليست الأخت وبنت العم ، أو ما اشبه ذلك ؟ ولماذا لا يبحث عن هذه المتحجرات اللغوية فى لغة الطوارق والبربر ؟ .

وآخر ما اتحفنا به الاستاذ وضعه لكلمتي الترسيس والتأثيل ، كلمتين اقترحهما عنوانا لعلمين، يكاد عبد الحق ان يكون مبتكرهما وواضع اصولهما . فالترسيس هو علم ارجاع الكلمات الى رسها ، اي الى بدايتها ، او الى الاصل الصوتي الذى نشأت عنه بمحاكاته . أما التأثيل فهي تقابل كلمة ethimology الاوربية اي علم اصول الكلمات ، أو البحث عن كلمة اخرى اتت منها الكلمة ، حتى يتوصل الى المرجع الذى جاءت عنه ، من لغة اخرى غالبا . ان فقهاء اللغة العربية لم يطلعوا على اللغات الاخرى مثل اطلاعنا ، ولم يتح لهم وضع القواعد حسب الاصول العلمية فى البحث والمقارنة . واني لآمل ان يكون الاستاذ عبد الحق فى سبيل وضع معاجم وابحاث عامة فى هذين العلمين ، فيسبق بذلك كل مفكري العرب ، ولربما الغرب ، فى هذا المضمار .

ان فى اسلوب تفكير الاستاذ عبد الحق فاضل وسعة اطلاعه فى اللغة العربية وغيرها من اللغات ، ما يرشحه لعضوية مهمة فى مجامع اللغة العربية، فان فى استطاعته، كما رايت من كتابه، ان يفيد العرب فى تبسيط القواعد ، وغربلة الكلمات والاصطلاحات، خصوصا ونحن فى عصر تقهقر العامية أمام الفصحى، نتيجة انتشار التعليم وازالة الامية .

حــول :

المغامرات اللغوية

الأستاذ عبد الحق فاضل

(المغرب الاقصى)

اشكر قبل كل شيء للاستاذ ذنون أيوب ثناءه على شخصي قبل ان يتطرق الى نقد كتابي «مغامرات لغوية» . وعلمي بانه ضنين بالثناء على احد دون اقتناع كاد يجعلني أصدق باني مستأهل للكلمات الاخوية الطيبة التى قالها عني .

وكان بودي أن اتحدث فى جوابي هذا عن مكانة ذنون ايوب أديبا وقصاصا ، وعن مساهمته المأثورة بقصصه ومقالاته فى مكافحة الفساد والتردي الاجتماعي والسياسي منذ أواخر الثلاثينيات مما لا يزال يتردد صداه فى نفوس الذين زامنوا ذلك العهد . لكنني خشيت اذا أنا تبسطت فى ذلك ان يقول القارىء انهما يتمادحان بالمقايضة فلا مناص لنا اذن من السكوت على ثنائه والاجابة على نقده وحده . وحسبنا هذا التنويه اليسير .

ونقده يتناول بعض امور فرعية لو اقتصر عليها لآثرت السكوت عنها ايضا . لكنه تناول كذلك الامر الاساسي الجوهري فى الكتاب وهو نظريتي القائلة بأن العربية هي أم اللغات الآرية بالاضافة الى الحامية والسامية . وهي نظرية توصلت اليها بمقارنة بعض الحقائق من تاريخية وجغرافية ولغوية . وساكتفي هنا باستعراض الحقائق اللغوية ، اما الباقي فقد أوضحته فى الكتاب المذكور ولا أرى حاجة الى الاعادة فيه .

واود قبل الخوض فى الموضوع ان اسجل تقديري للروح العلمية التى حدت بالاستاذ الناقد الى انكار نظريتي هذه ولو أن ذلك ضد اللغة العربية التى هو مكبر لشأنها محب لها ولاهلها الذين هم قومه واهله .

وواقع الامر اني انا الآخر لم اقل ان العربية أم اللغات الآرية والحامية والسامية وان الشعب العربي ابو الآريين والحاميين والساميين وان الجزيرة العربية وطنهم الاول جميعا ــ بدافع من مباهاة قومية او عصبية من اي نوع ، فقد كنت اتوهم اول الامر ان العربية التى تبدو كأنها حديثة عهد بالتحضر والتثقف كانت عالة على اللغات المتحضرة القديمة من اغريقية ولاتينية وسنسكريتية وفارسية، وان وجود الالفاظ المشتركة بين العربية وهاته اللغات لم يكن يعني الا ان العربية اقتبستها واغتنت بها . لكنني بعد البحث والمقارنة اكتشفت فى العربية اصول الكثير من الفاظ اللغات الآرية كما اكتشفت ان الالفاظ العربية يمكن ارجاعها بوجه عام الى اصولها الصوتية الاولى ، فى العربية نفسها ــ مما هداني الى وضع علم « الترسيس » اللغوي ، الذى المع اليه ناقدنا المفضال . ولا اتحرج من القول أن البحث لو كان اظهر لي أن ام تلك اللغات جميعا هي السنغالية او الانكليزية او اليابانية لما ترددت فى اعلان ذلك بنفس الحماس الذى اعلنت فيه امومة العربية .

واهل النظريات الجديدة متحمسون دائما لنظرياتهم .. لكن نرجو ملاحظة الفرق الشاسع بين التحمس والتعصب .

قال الاستاذ ذنون اني اكاد اكون مبتكر العلمين اللغويين : التأثيل والترسيس . والحق أني مكتشف أحدهما فقط . فأما التأثيل فعلم لغوي معروف عند الاوربيين واسمه بالانكليزية etymolog وقد ترجمه بعض اللغويين العرب « علم أصول الالفاظ » . لكني وجدت هذا الاسم طويلا فاقترحت تسميته علم « التأثيل » باعتبار ان الاثلة في المعجم تعني الاصل ، فانا مسؤول عن تسميته العربية وحسب . ووظيفة هذا العلم هي اعادة الفاظ اللغة الى أصل سابق لها ، فالالفاظ الانكليزية مثلا يبحثون عن اثل كل واحدة منها فيجدونه في بعض اللغات الحديثة كالفرنسية والسويدية وغيرهما ، او في احدى اللغات القديمة وهي على الاغلب السكسونية او الكلتية او اللاتينية أو الاغريقية او السنسكريتية . وهم يقفون عند هذا الحد لانهم لا يعرفون الاثول التي جاءت منها الفاظ هذه اللغات .

واما العلم اللغوي الذي انا مسؤول عن وضعه وتسميته معا فهو علم « الترسيس » الذي يعود باللفظة التي رسها الاول أي بدايتها الصوتية التي نطق بها اول انسان نطق بها تقليدا لاحد الاصوات المسموعة ، مثل محاكاة صوت انريح (هوووو) ، وصوت الفروج (صي صي صي) ، وصوت الصفير (صف) ، وهكذا .. وعلى ذلك تناولنا بعض الالفاظ الانكليزية التي بحثوا عن أصولها فوجدوها ترجع الى الفاظ بعض تلك اللغات ووقفوا عندها . فهذا قصارى ما يستطيعه علم التأثيل (etymology) .

لكن علم الترسيس لا يقف عند حد حتى يصل الى الصوت الاول المحكي . وعلى هذا مضينا في البحث عن اثول تلك الالفاظ الكلتية واللاتينية والاغريقية .. فوجدنا في العربية اثولها وارساسها.

فمثلا كلمة aquarium (حوض المائيات ، بالانكليزية) اعدناه الى صوت هبوب الريح (هوووو)، و top (قمة) وجدناها ترجع الى الكلمة الكنعانية طاو (كرة) وهذه من (طوى) وهذه من قول ابن الغابة (طو) تعبيرا عن صوت انكسار غصن او عصا دون انفصال احد الطرفين عن الآخر ، و calcium (كلس) رسسناها من صوت القطع (قط) .. وهكذا .

وقد اقترحنا على الانكليزية والفرنسية تسمية علم الترسيس (radixation) باعتبار ان radix تعني سنخ الشيء ولاسيما اللفظة اللغوية، وهي من اللاتينية بمعناها ومبناها . لكن بلغنا ان المستشرق الفرنسي الكبير جاك بيرك ، الاستاذ بالسوربون ، اخذ يسمي الترسيس بالفرنسية (racinisme) ، اي من نفس مادة (الرس) العربية ، ومعناها : التجذير .

اما قول الاستاذ ذنون أن لفلفة الطفل (لغ لغ لغ) قد يرجع تاريخها الى نصف مليون سنة ، فان الراي الذى يكاد يتفق عليه الباحثون ان الانسان ظهر على هذه الارض – كانسان بشكله الحاضر – قبل نحو مئة الف سنة ، كما ذكر هو ايضا . والظاهر ان الانسان لم يتوصل الى التخاطب بلغة الالفاظ الا بعد ذلك بعهد طويل . ومن المستبعد ان يكون قد اخترع اللغة قبل ان يصبح انسانا ببضعة الوف من القرون ، ولاسيما ان بعض قبائل البشر لم تتوصل الى اللغة بمعناها الصحيح الى أنيوم ، او الى مطالع هذا القرن على الاقل ، حيث كان بعضها يتفاهم بالاشارات ، وبعضها بأصوات أشبه بأصوات الحيوانات ، مما لا يمكن تسميته لغة .

وهنا يتساءل الاستاذ ذنون : « فأين كانت العربية يومذاك » ؟

ان الشعب الذى انشأ هذه اللغة منذ بدايتها الصوتية الساذجة هو نفس الشعب الذى صنع المعلقات بعد عشرات القرون على كل حال ، ولو ان تسميته (عربيا) حديثة العهد . ولا بأس علينا ان نسميه عربيا من باب الاختصار بدلا من تسميته العلمية الدقيقة (الساكن الاقدم لشبه الجزيرة التى تسمى الآن جزيرة العرب) .

ولا بأس علينا كذلك ان نسمي لغته (العربية) ولو انها كانت يومئذ في طفولتها الاولى ولم تكن قد سميت بالعربية بعد . وقد جرى العلماء على هذا الغرار في تسمية المواقع الاثرية القديمة بأسمائها الحاضرة ، فهم يسمون عصر (فجر السلالات) في العراق مثلا باسم الموقع المتواضع الحديث الذى اكتشفوا فيه آثاره والذى يدعوه العامة « جمدة نصر » . وكذلك انسان (جاوة) وانسان (نياندرتال) وغيرهما قد سموا بالاسماء التى تطلق الآن على تلك المواقع ولو لم تكن تلك الاسماء قد ظهرت في تلك التواريخ القديمة السحيقة . على اننا كثيرا ما اطلقنا

اسم (الاعربين) على قدامى العرب و (المعربة) على الجزيرة العربية اختصارا .

وقلنا فى كتابنا « مغامرات لغوية » ان العرب صاغوا فعل (صأي الفرخ) من صوت الفروج (صي صي صي) ، ثم اشتقوا صاء وصاح وصات ... الخ ، وان بعض المشتقات العربية انتقلت الى اللغات الاوربية . ويرى الاستاذ ذنون أن ذلك الصوت لم يكن تقليدا لصوت فرخ الدجاجة بل لصوت البلبل والعصافير ، لان « الدجاج قد دخل فى حياة الانسان مستأنسا بعد وجود العصافير والبلابل وغيرها فى الغاب بعشرات الالوف من السنين » .

وجوابنا على هذا هو ان الانسان الاعرب الذى اخترع لغته بمحاكاة الاصوات المسموعة منذ عهد بعيد لا يمكننا تحديده ، لم يتوقف فى أي عهد من العهود عن خلق الفاظ جديدة كلما سمع اصواتا جديدة . وظهور الدجاج حديثا فى حياته لم يمنع اذنه الموسيقية المرهفة العجيبة من استخدام اصواتها مادة خامة لصنع الفاظ مستحدثة. واذا كان ثمة مجال للشك فى حداثة قولهم (صأي الفرخ) فلا سبيل الى اي شك فى حداثة قولهم (صج) اي : ضرب حديدا على حديد فصوتا . فهذه الكلمة الصوتية الرسية من مخاوقات العهد الحديدي، ويجوز فقط ان نعتبرها اقدم من ذلك اذا قلنا انهم صاغوها فى العهد النحاسيّ ثم انتقل المعنى من النحاس الى الحديد . لكنها لا يمكن بوجه من الوجوه أن تكون اقدم من ذلك ، لانه ما من مادة غير معدنية يمكن اذا ضربت بمثلها ان تحدث صوت (صج) . ومن ثم فهي احدث من العهد الحجري قطعا .

ومثل ذلك يمكن ان يقال فى فعل (قط) الذى قلدوا به صوت قطع عصا مثلا بضربة فأس . فلا يمكن صنع اداة من الحجر لها هذا المضاء وهذه القوة التى تقطع بضربة واحدة وتحدث صوت (قط) .

وانما قلنا ان (صي صي صي) هو صوت الفروج لانه لا يشبه صوت فرخ اي طائر آخر نعرفه. ومن شدة شبه (صي صي صي) بصوت فرخ الدجاجة ان بعض عرب الشرق الاوسط ما زالوا يسمون الفروج فى دارجاتهم (صوصي) .

وثمة برهان اقطع من هذا ينبيء ان حداثة عهد الدجاج بمعايشة الانسان لم تمنع الاعربين من استخدام صوته فى تكوين لغتهم واستكمالها ، هو انهم اصطنعوا كلمة اخرى من صوت نفس فروجنا العتيد . ذلك ان بعضهم ترجموا صوته الى (جو جو جو) عدا اولئك الذين قلنا انهم ترجموه الى (صي صي صي) . ويدلنا الاستقراء الترسيسي ان هؤلاء سموا فرخ الدجاجة اول الامر (جوجو) ، ثم (جوجة). وقد انتقلت هذه الصيغة الاخيرة (جوجة) الى الفارسية بنفس لفظها ومعناها . ثم همز العرب اسم الجوجو فنطقوه (الجؤجؤ) مثل صنيعهم فى نطق البؤبؤ واللؤلؤ . ثم انهم اطلقوا الجؤجؤ على الدجاجة بعد ان كانوا اطلقوه على فرخها ، ومثل ذلك يطلق المصريون بالدارجة اليوم اسم (الفرخة) على الدجاجة و (الفراخ) على الدجاج . ثم اطلق الاعربون اسم (الجؤجؤ) على مقدم السفينة اي صدرها لمشابهته صدر الدجاجة . ثم انهم عادوا فاطلقوا الجؤجؤ على صدر الدجاجة ايضا بعد ان كانوا يطلقونه على الدجاجة كلها – من باب تسمية الجزء بالكل .

ودليلنا على ان الدجاجة كانت تسمى جوجة هو ان السوريين وبعض العراقيين ما زالوا يسمونها (جاجة) وجمعها (جاج) ! لكن بعض قدامى العرب حرفوا الكلمة فصدروها بالدال فصارت دجاجة . وهذه الصيغة التى كانت تعد عند ظهورها محرفة ومولدة هي التى انحدرت الينا فى الفصحى . اعني اننا اذا اعتبرنا الاقدم الاعرق هو الافصح فان (جاجة) اقدم وافصح من (دجاجة) . وترسيسها على كل حال هكذا : الدجاجة – الجاجة – الجوجة – الجؤجؤ – الجوجو – جوجوجو .

ولم يكتف الاعربون باستيلاد صوت الفروج هذين التوامين – وربما كان يوجد غيرهما مما لا يحضرنا الآن – بل انهم استولدوا صوت امه ايضا – الدجاجة . فمن قولها (نق نق نق) وهي تلقط طعامها قالوا (نقت الدجاجة) اي صوتت . ومن التقاطها الطعام اثناء نقيقها ظهر فعل : نقر . ومنه نقد بمعنى واحد ، فالمنقاد هو المنقار .. وما زالوا فى الموصل يسمون القلم الحديد الذى يستعمله الحجار فى ثقب المرمر او نقشه (المنقار) ، ويسمون الحجار الذى يعمل فى تسوية الرخام وتشكيله لاغراض البناء (النقار) . وقديما ظهرت من النقار صيغة (النجار) التى تخصصت بنقار الخشب .

كذلك ظهرت من نقيق الدجاجة صيغ مثل : نقب (ومنها ثقب) ونقش ونقح ونقخ ونقت ونقث ونقى ... ومن فعل (نقب) نشأت صيغ : نخب ونخر ونخرب وخرب وخروب ...

ومعلوم انهم استعملوا فعل (نقد) لفحص الدرهم الفضة لانهم كانوا ينقرونه على قطعة معدن ليتبينوا من رنينه صحته من زيفه . ثم انتقل المعنى من عالم الصيرفة الى عالم الفن والثقافة ، حتى صارت الكلمة تطلق على بحث قيم مثل (نقد) الاستاذ ذنون لكتابنا (المنقود) .

حداثة ظهور الدجاج فى حياة الانسان وحداثة ظهور المعادن لم تقف حائلا اذن دون الاستمرار فى التوليد اللغوي عند الاعربين .

ومن صاي الفرخ ونقيق الدجاجة وصج المعدن وقطع العصا ، نستفيد شيئا ، هو ان ملابسات الالفاظ اللغوية تدلنا أحيانا على تاريخ ظهورها ولو بوجه التقريب ، او تدلنا على الحد الاقصى او الادنى لذلك التاريخ ، وقد نوهنا بذلك عند كلامنا على (صج) و (قط) فى كتابنا .

وتأتي الآن الى النقطة الرئيسية فى نقد الاستاذ ذنون ايوب . وهي القول بأن لغات قاع البحر المتوسط وما يحيط به قد بقيت ترسباتها فى لغات البربر والطوارق ، والعرب ، وان العربية منقولة من ذلك المكان ، فهذا تأويل مقبول لوجود الشبه بين عدد كبير من اللغات – اي مجموعة اللغات الآرية والحامية والسامية – تأويل مقبول الى ما قبل ظهور علم الترسيس . ولو كانت اللغة العربية قد انقرضت لكان من العسير ان نجد تأويلا معقولا آخر له هذه الوجاهة . لكن العجيب أن العلماء المحدثين من شرقيين وغربيين مع انهم اشادوا ما شاؤوا بثراء هذه العربية ودهشوا له لم يخطر لهم ان يستثمروا هذا الاندهاش وذاك الثراء فى حل المشاكل اللغوية العالمية . ان اللغة العربية تخبرهم بأوضح منطق كيف نشأ الكثير من الفاظ هذه اللغات واحدة واحدة . وبالرغم من ضياع عدة كبيرة من مفردات العربية لم يزل فيها ما يكفي للاقناع العلمي . ان اكتشاف علم الترسيس انما يعني اكتشاف (وجود) اللغة العربية .. مثل اكتشاف نجمة سينمائية . انها كانت موجودة من قبل ومعجبا بجمالها بين المعارف لكنها لم تكن قد اوقفت امام المصورة لتعرض من بعد بجمالها ومواهبها على الدنيا .

ان استقراء العربية ولو فى النطاق المحدود الذى استعرضنا فيه بعض الالفاظ فى « علم الترسيس » يوضح بصورة لا تقبل ترددا ان هذه اللغة قد نشأت فى موطنها وعلى السنة اهلها ، ولا يمكن ان تكون قد استجلبت مع جذورها من موطن آخر . لكن الانتقال الذي حصل فعلا هو انتقال ثمارها الى مواطن اخرى .

فبعد ان اكتشفنا المنجم الواقعي الغني لا يجوز لنا ان نتركه لنبحث عن موطن المعدن النفيس فى ارض اخرى مجهولة ، قد غمرها البحر ، وهي بعد مشكوك فى امر وجودها اصلا ، ولا علم لنا على كل حال بأي شيء واقعي يقيني عنها .

هذا بالاضافة الى أن تشابه هذه اللغات الواقعة على شطئان البحر المتوسط لا يقتصر على هذه المنطقة بل يمتد الى الافغان ، والى الهند ، بل الى اقاصي الصين ، وقد رسمنا – فى كتابنا المنقود – الضمائر الصينية من الضمائر العربية البدائية الاولى .

اننا نتفق مع الاستاذ ذنون على ان لغة قاع المتوسط ربما كانت قد خلفت آثارا فى لغات الاقطار المجاورة لها ، واحرى بذلك ان يكون فى الاقطار الواقعة على سواحل هذا البحر . لكننا لا نجد فى السواحل الاوربية لغة تحتوي على كل الاصول والفروع . اما الشمال الافريقي فلغاته البربرية محدودة نسبيا لعزلتها فى الجبال ، ولم اجد لها معجما يساعد على درسها ، وهي على العموم لغات قبلية يختلف بعضها عن بعض ، وهي الكتلة الكبرى من اللغات الحامية . لكنها كالآريات لا تعتبر غزيرة المادة اذا هي قيست بالعربية .

ولما كانت الضمائر نواة اللغة واقدر الفاظها على البقاء ومقاومة عوامل التغير والفناء ، فقد درسنا ضمائر بعض القبائل البربرية فوجدناها ترجع عند تحليلها الى أثول الضمائر العربية القدمى . وهي – الضمائر البربرية – ليست ابعد عن الام العربية من الضمائر البابلية مثلا . اما فى العربية فقد كنا درسنا – فى كتابنا المذكور – تطور تلك الضمائر العربية ابتداء من الاصوات الطبيعية الاولى الى أن صارت لها معانيها اللغوية الدالة على مختلف الاشخاص : أنا ، نحن ، انت ، أنتم ، هو ، هي ..

ولو كانت الالفاظ التى نستطيع ان نعيدها الى ارساسها قليلة فى العربية لامكن القول باحتمال

انتقالها من مكان آخر ، لكن معظم الالفاظ العربية ، وكثيرا من الالفاظ الآرية ، يمكن اعادتها الى ارساسها البدئية فى العربية نفسها . وهي مزية لا تملكها اية لغة سواها .

ان الحقيقة الواقعية التى يحسن ايرادها هنا من واقع التاريخ هي ان الهجرة تضيع على رهط المهاجرين بعض خصائص لغتهم الاولى ولاسيما جذورها الصوتية البدئية . نرى ذلك واضحا فى اللغات السامية اي اللغات القديمة فى الهلال الخصيب : البابلية ، الآشورية ، الكنعانية ، الآرمية .. فبالرغم من قرب اهل هاته اللغات من الجزيرة العربية ، بل اقامتهم على تخوم بادية الشام التى هي امتداد للدهناء ، وبالرغم من عدم انقطاع الصلة بينهم وبين العرب الرحل الذين كانوا — وما زالوا — يتنقلون على تخوم تلك الصحراء ، وبالرغم من انضمام ارهاط عربية مهاجرة بين حين وآخر الى المهاجرين السابقين الذين استوطنوا مناطق الهلال الخصيب — بالرغم من كل هذه العوامل التى تساعد على احتفاظ المهاجرين باللغة الام وتجديد الصلة بها — لا نجد بين هاته اللغات السامية اية واحدة قد استطاعت التمسك بكل مقومات العربية واثول الفاظها ، بله ارساسها . فلهذا ليس فى مقدورنا ان نسمي اية واحدة منها باكثر من انها جزء محرف من اللغة العربية . ولا تستطيع اية واحدة منها ان تنهض بمعشار ما تنهض به العربية من مهمة الترسيس . بل انها هي التى تبحث عن اثولها وارساسها فى العربية .

هذا الواقع التاريخي الملموس يمنعنا من القول ان اللغة العربية نشأت فى غير موطنها ، وان هذه الدوحة الهائلة قد نقلت بكل جذورها العميقة المتشابكة البعيدة الغور وبكل فروعها الكثيرة المديدة الذاهبة فى كل اتجاه — من قاع البحر المتوسط ، كل تلك المسافة ، الى قلب الجزيرة العربية .

ان اللفظة الرسية — البدئية — كثيرا ما تتطور فى خط متعرج طويل تتحكم فى رسمه البيئة ومصادفات الظروف . ومن النادر وربما من المحال ان تتطور فى نفس الخط المتعرج الطويل فى بيئة اخرى . كالماء تصبه فى مكان من الارض فيتخذ مجرى لا يشبه مجرى ماء تصبه فى مكان آخر ، فما على الخريطة الارضية نهران متشابهان تماما . ومن هنا كان اختلاف اللغات . لان الالفاظ الرسية ، اي المقلدة لاحد الاصوات ، كثيرا ما تكون متشابهة عند مختلف الامم . اي ان الانسان العربي ليس وحده الذى يحكي صوت هبوب الريح بقوله (هوووو) ، وانما هذا شان كل البشر . ثم يأخذ التطور مجراه الخاص فى كل لغة على اسلوب يختلف عن سواه .

وفى اللغة العربية وحدها تطورت (هوووو) الى (ريف) على هذا النسق : هوووو — الهو — الهواء — الهباء — الهباب — الاباب — آب — آل — رال — راف ، ريف ... كالذي اوضحناه فى كتابنا . ثم اذا بنا نجد هذه الكلمة الاخيرة — الريف — فى اللاتينية بصورة (ripa) بنفس معنى الريف اي الساحل ، ثم بصيغة اقرب الى العربية هي (rive) بالفرنسية بمعنى الشاطىء .

فلا يمكن ان تكون كلمة (ريف) قد نشأت من صوت هبوب الريح فى لغة غير العربية بنفس خط السير هذا المديد المتعرج المعقد ، الذى سلكته فى العربية . وكذلك القول فى كلمات اخرى استعرضناها فى كتابنا المذكور وارجعناها الى ارساسها العربية .

المعروف أن اللغات البدائية هي التى يقرب الشبه بين الفاظها والاصوات الطبيعية التى نشأت منها . أما اللغات الراقية فقد ذهبت أصولها وبقيت الكلمات الحضارية الراقية التى تولدت منها . ولاسيما ان الامم المتحضرة قد تنقلت منذ اقدم العصور من مكان الى مكان واختلطت لغاتها بغيرها . لكن العربية وحدها تقدم لنا أرقى الكلمات الحضارية والثقافية مع الحلقات المتسلسلة التى تقودنا الى البدايات الاولى . وسبب ذلك هو الظروف الفريدة التى تلابس الجزيرة العربية ، فقد بقي وسطها الرملي المجدب محافظا على حياة البداوة والبدائية على حين راحت اطرافها المتحضرة تصنع من تلك الخامة اللغوية مفردات حضارية باذخة ، واذا بهذه العربية تغدو لغة الراعي والفيلسوف فى وقت واحد. وقد اوردنا فى كتابنا المذكور نماذج كثيرة من الالفاظ الحضرية التى تكونت من الفاظ حيوانية ، والالفاظ الثقافية التى اصلها اربطة البهائم من ثبات وعنان وعقال ، مما تصدى للذكر بعضه الاستاذ الناقد .

وطبيعة الصحراء الفقيرة الشحيحة تدفع سكانها الى الخروج منها لكنها لا تغري احدا بالدخول فيها . فهي أشبه بالمضغة الكابسة ، تمج

ولا تمص . وما اكثر الظروف التى طردت فيها سكانها الى مختلف الانحاء كلما زاد عديدهم عن طاقة مراعيهم ، او شحت ارضهم ولو لم يزد سكانها ، او احتربوا فاجلى بعضهم بعضا عن ديارهم .

وعدم دخول الاجانب الى هذه الصحراء يعني بقاء لغة العرب للعرب ، ويعني ان تطورها قد جرى على السنتهم وحدهم دون ان تخالطها لغات أخرى . وخروجهم من جزيرتهم الى الانحاء يعني توزيع لغتهم على جيرانهم وجيران جيرانهم وسكان كل ارض قريبة او بعيدة يحلونها . ومن ثم كانت الالفاظ الدخيلة فى العربية الجاهلية قليلة ، فأكثر الدخيل من مقتبسات عهد التحضر الاسلامي .

وحقيقة اخرى . يقرر العلماء ان اللغة البشرية تكونت من اصول خمسة بوجه العموم ، نجدها كلها صريحة واضحة فى العربية ، على حين ان اية لغة حية اخرى لا توجد فيها الا بعض هذه الاصول ، ان وجدت . والواقع انهم انما توصلوا الى هذه الاصول الخمسة من استقراء عدد غير قليل من اللغات البدائية التى لا تزال تحتفظ بجذورها الصوتية لعدم ارتقائها وابتعادها عن صورة ولادتها . وهذه الاصول الخمسة هي :

1 ــ محاكاة اصوات الطبيعة . ونذكر كمثال على ذلك صوت الهواء الذى مر بنا حديثه ، والذي انجب الفاظا كثيرة اخرى لم يتسع لها المجال هنا مما ذكرناه فى كتابنا ، وكلمات كثيرة اخرى لم يتسع لها المجال فى ذلك الكتاب ايضا . وكمثل آخر جديد نذكر صوت الماء : شلشل ، ومنه ترشرش الماء ، ثم رش ورشاش ، ثم رذ ورذاذ ، ثم ذر وذري ومذراة .. وذرة ..

2 ــ تقليد اصوات الحيوانات ، ومن ذلك صوت الفروج الذى مر بنا حديثه ، وصوت الدجاجة امه . ونذكر كذلك من الحيوانات التى سميت بأصواتها : البلبل ، والقرة (الضفدع) ، والقاق (الوز العراقي) ، والوقوق (المسمى طائر الكوكو) ، والغاق (الغراب) ، واللقلق ، والجدجد ، والصرصر ، والجحش (من صوت شحيجه) .. وما الى ذلك مما لا يوجد كله فى اية لغة اخرى .

3 ــ تقليد الاصوات المصطنعة ، اي الاصوات التى يحدثها الانسان فى بعض اعماله مثل صوت القطع (قط) الذى تحدثنا عنه بشيء من التفصيل فى العدد الثامن من « اللسان العربي » بعنوان « قط وبناتها » وقلنا انه تكونت منه الوف الالفاظ العربية ، وتسرب بعضها الى اللغات الاجنبية . ومثل ذلك فعل (صج) الذى تحدثنا عنه فى « المغامرات » ضمن علم الترسيس ، وفى عدد سابق من « اللسان العربي » . نضيف الى ذلك هنا : دق وطق وقلقل وبقبق ...

4 ــ تقليد الانسان لنفسه ، فى الاصوات الطبيعية التى تصدر عنه تلقائيا فى مختلف حالاته ، مثل : قهقه ، قاء ، أن ، عطس (ائلها أطس) وهي فى الفرنسية tosse (سعال) ...

5 ــ تقليد اصوات الطفل ، مثل : لغ لغ ، بابا ، تاتا ، دادا ، ماما ... وقد تحدثنا عنها فى « المغامرات » فلا حاجة الى الاعادة .

فهذه لغة عصامية كونت نفسها بنفسها دون اعتماد على سواها .

لكن كل هذا وكل الدلائل الاستقرائية الاخرى التى تنبيء أن هذه اللغة قد نشأت فى موطنها ولم تستورد من صقع آخر ، لا تخبرنا من أين جاء اسلاف العرب الاوائل وسكنوا تلك الجزيرة فى عهدها المخصاب . وذلك أمر لم ابحث عنه ولا اهمني امره فى بحوثي لانه خارج عن الموضوع اللغوي ، ولان كل ما يقول فيه العلماء رجم بغيوب، واستنتاجات يذهب كل من الباحثين مذهبه فيها ، لفقدان الادلة العلمية القاطعة او شبه القاطعة . لكن الواضح أن اولئك الاعربين الاولين قد وجدوا فى المعربة قبل تكون اللغة ، لانهم لو كانوا قد جاؤوا من مكان آخر ناطقين لتغيرت لغتهم بتغير البيئة ولضاعت اصولها الرسية ، على نحو ما أصاب اللغات السامية وهي اقرب اللغات الى العربية نسبا وموطنا واكثرها بها شبها . هذا ان لم يكونوا قد تطوروا ودخلوا المرحلة البشرية فى معربتهم نفسها ــ على راي بعض العلماء .

وحقيقة اخرى . ان الضمائر من اقدم العناصر التى تتكون منها اللغة ، ان لم تكن اقدمها طرا . وقد استعرضنا فى « المغامرات » فى فصل « اسرار الضمائر » كيف تكونت الضمائر واسماء الاشارة فى العربية والآريات من العناصر الثلاثة الاولية (آ ، نا ، تا) منذ نطق بها الآدمي الاقدم ، ورأينا تطورها فى تلك الطرق المتسلسلة والمتشابكة خطوة خطوة . ونجد فى العربية مختلف الاستعمالات

والمعاني التى ظهـرت فيها تلـك الضمائـر . اما فى الساميات والحاميات والآريات فلا توجد الا بعـض تلك الضمائر تؤدي معانيها الحاضرة ، ولا يمكن فى اية لغة منها تتبع المعاني السابقة للضمائر ولا لصور المباني التى انتهت اليها . فكلمة (اتـا atta) تعني أنت بالبابلية ، و (ايـا ــ ea) تعنـي هي باللاتينية ، و (نوبي ــ noi) : نحن بالايطالية ، و (تـو ــ tu) : انت بالفرنسيـة ، و (هـي ــ he) هو بالانكليزية .. وهكذا . كيف تكونت هذه الضمائر؟ جواب ذلك عند علـم الترسيـس الذى يقـول انها تكونت فى العربية . هذا عدا اسماء الاشارة وحروف الجر وغيرها من الادوات والرواسن (التى تسبـق الكلمة فى اللغات الآرية) والكواسـع (التـى تتلـو الكلمة فيها) .

وبالاضافة الى ان الضمائـر من أول ما يتكـون من مفردات اللغة اثبت الاستقراء انها آخرها ذوبانا وزوالا . فاذا تسلطت امة على اخـرى واكتسحـت لغتهـا فان الفـاظ اللغة المقهورة تزول بالتدريـج ، وتكون الضمائر دائما آخـر ما يزول منها ، وقد لا تزول أبدا . فوجود الضمائر اعربية فى ايـة لغـة دليل لا يمكن اغفاله على ان اصحابهـا كانت لغتهـم الاولى هي العربية .

ومهما يكن ..

حتى لو افترضنا أن من المحتمـل تخمينـا ان تكون اللغة العربية مستوردة من الخارج ، فما الذى يدعونا الى الاخذ بالاحتمال التخميني الظني ، وترك الواقع الناطق الواضح ؟

واخرى تحبونهـا ..

هي ان ظهور السكنيات الزراعية قبـل نحـو عشرة آلاف عام فى وقت واحد تقريبـا فى العراق وفلسطين له دلالته الخطيرة . ولعل تفسيـر هـذه الدلالة الخطيرة هو أن حياة الاستقرار الزراعي كانت قد بدات قبل ذلك فى المعربة ثم هاجرت طائفة من العرب شمالا فاستأنفوا حياتهـم الزراعيـة حيـث استقر بعضهم فى العراق وبعضهـم فى سوريـة . وربما ستكتشف آثار سكنية من ذلـك العهـد فى مناطق اخرى من الشرق الاوسط ، أو غيره .

والمعلومات الفلكية ، الموغلة فى القـدم ، التى نقلها المهاجـر الاعـرب الى ارض الرافديـن ووادي النيل ــ مما تطرقنا اليه فى فصل آخر ــ تدل على انه كانت للانسان الاعرب ثقافته الكونية ، المسجلة فى لغته ، التى لا يمكن ان تكون لغة رعاة وحسب .

فهل بدأ التحضر البشري فى المعربة ؟ .

المقولات العشر

تأليف
العلامة الشيخ
محمد الحسني البليدي

صححه وقدم له
الدكتور
ممدوح حقي

مخطوط نادر بخط المؤلف نفسه
شرحه عدد من علماء عصره

باسم الله الرحمان الرحيم

منذ انتصب الانسان على قدميه ، وأطلق يديه تعملان فى جلب المنفعة له ودفع الضر والأذى عنه ، تخلص من حيوانيته — اذ كان يسعى فيها على أربع — وتفاهم مع بنى فصيلته الجديدة بالصوت وبالاشارة ، واستطاع أن يورث حصيلة تجاربه أبناءه وأحفاده بما ركب من ألفاظ .. ومنذ سجل الانسان لغته بالحروف ، درجت به الحضارة على دولابها تجمع نتائج التجربة الى مثيلاتها وتولد منهما فكرة جديدة وابتكارا جديدا ، وتستنتج فائدة جديدة تضيفها الى نتائج سواها من التجاريب ، تركم بعضها فوق بعض ، تغنى بها وتتسارع راكضة وتتواثب حتى طفرت عن الارض وحاتت فى الجو كالطير ، ثم اندفعت الى القمر والافلاك حزمة من نور وسرا من الاسرار ، لا ندرى مدى ما يتفجر عنه الفكر الخلاق من وراء ذلك .

تخوف الانسان من غده المبهم فطفق يختزن ما يجابه به الجوع والبرد والخوف المتوقع . ويجمع الشىء الى شبيهه ، ويضم الحيوان المستألف الخادم الى قرينه ، ويحتفظ به الى حين حاجته . فان افتقد منه شيئا عرفه بصفاته . وان أبق منه حيوان فأدركه ضمه الى رفاقه ... واحتاج فى احصاء ملكيته الى العد ، فأخذ يقيس المعدود على أصابع كفه ، فاذا زاد قاسه على أصابع الكفين معا . فاذا كثر ناظره الى ما فى قدميه من أصابع كذلك . فاذا فاض عنها عجز عن تعداده ووصفه بالكثرة وجعلها كثرة قليلة وكثرة كثيرة ثم ما زال يتقدم على الدهور حتى قدر على تجريد العدد من المعدود، فانطلق فى آفاق فكر جديدة ، جمع فيها الاعداد وطرحها وضربها وقسمها ثم ارتفع

من فوقها الى الجبر ، فجرد العدد من معناه المحدود ومضى فوق الحساب، فحلق فوق السحاب .

وكما استطاع الانسان تجريد العدد من المعدود ، أمكنه كذلك تجريد المعنى من الحرف ، والفكرة من الكلمة ، فتخيل وتوهم وتفلسف ما شاء له الخيال والوهم والفلسفة . لكن من يدرى كم من قرون أتت على الانسان وهو يجاهد المجهول ويصارع المبهم حتى استطاع الاستعلاء على المادة بالمعنى ، والتحويم فوق شاطىء التجريد المغمض وحفافى الفكرة الصائبة، فتخيل الفراغ المطلق ، وحصر الزمان بقانون رياضى مجرد ، ورسم المكان بغير مكين ... ؟ !

كم من دهور توالت على البشر حتى استطاعوا الانطلاق من المحسوس الى المجرد . واذا نظرنا اليوم الى العلوم الرياضية ــ وهى آلة الآلات ، كما يقول باكون Bacon (1) فرأيناها محض عقلية ، رنونا الى الدهور الطويلة المديدة التى خلفها الانسان وراءه ، وهو يتنقل بها تدريجيا فى أطوار التجريب الحسى ، الى حيث وصلت اليوم من سمو ، بقلوب ملؤها التعجب والتقديس ، للعقل البشرى المتطور فى اتجاه مستمر مستقيم ، كلما انبثق علم جديد أضافه الى أضمامة العلوم الاخرى ، واختزله بالاسلوب الرياضى ، يربط الأشباه بالأشباه ويقرن الامثال بالامثال ، ليعلو عن قاع التفرد الى آفاق التعميم والكليات ...

من هنا أخذت العلوم اتجاهها السليم ، وكان أريسطو Aristote أول من تنبه الى ظاهرة التعميم فسجلها بقوله : « **لا علم الا فى الكليات** » ومنذ يومذاك ، والفلاسفة على اطلاقهم ، والعلماء على اختلاف مشاربهم ، يضمون أفراد النوع المتنافرة فى قانون واحد ، يغلوها جميعا ويسود ، فيسهلون بحثها ومقارنتها بسواها ، والرجوع الى قواعدها العامة بيسر وبساطة .

---

1 ــ **فرنسيس باكون** (1561 ــ 1626) فيلسوف انكليزي رحب التفكير ، ولد فى لندن . كان من أوائل مبتكري الطرق التجريبية فى العلوم بكتابه المشهور Instauratio magna . ووضع للتحريات العلمية اسس استقلالها بعيدا عن مبادىء السلطة الضاغطة للاساليب المدرسية الاتباعية السائدة فى عصره ، كما وضع تصنيفا جديدا للعلوم ، ونظرية جديدة للاستنباط فى كتابه Novum organum

واذا كانت **آفة العلم التعميم الفج** ، فان النضج اللاحق يعد له على أى حال ، وما دامت البشرية فى تقدم متصل الحلقات ، متساوق الخطوات ، فلا خوف من التعميم المبدئى ، اذ هو خطوة فى المجهول ، تكشف عن الخطأ فتصلحه ، والنقص فترمه ، وتتكشف هى نفسها أمام الحقيقة فتتعدل .

ولقد درس أريسطو مظاهر المعرفة التى توصل اليها عصره ، فوجدها تقوم على عشرة أسس ، منها ينطلق الفكر المستقيم فى اتجاهه نحو التعميم ، وعليها يبنى . فجمعها وشرحها شرحا مبدئيا وسماها المقولات ، وهى :

1 ــ الجوهر ، 2 ــ الكم ، 3 ــ الكيف ، 4 الاضافة ، 5 ــ الأين ، 6 ــ المتى ، 7 ــ الوضع ، 8 ــ الملك ، 9 ــ الفعل ، 10 ــ الانفعال ،

وما زال الفلاسفة منذ ذلك اليوم ، لا يملون شرحها وعرضها فى كساء جديد . وتعلق بها الفلاسفة المسلمون ــ وبخاصة بعد القرن الخامس ــ تعلقا شديدا ، وجعلوها **أصلا من أصول المنطق الصورى** ، لا غنى عنه . وتوصل المتأخرون منهم فى شرحها الى مستوى عال جدا من الفهم ، على قدر ما تسمح به مستويات المعرفة العلمية التى حصلوا عليها . وفى رأينا أن الشرح المنسوب للبليدى خيرها وأدقها بلا نزاع .

وأريسطو هذا ، فيلسوف اليونان القدماء ، وزعيم العقل الفلسفى حتى أواخر القرون الوسطى . ولد فى مدينة ستاجير Stagire بمكدونيا Macédoine عام 384 ق م وتوفى فى شالسيس Chalcis بأوبى Eubée عام 322 ق م . وكان صديقا للاسكندر الاكبر (2) وأستاذه . خلد فى تاريخ الفكر الانسانى بعقله الجبار ومؤلفاته الرائعة كأنما سبق عصره بقرون . كان فيلسوفا نسيج وحده ، يصر على أن الطبيعة بجماعها تتجه اتجاها نضاليا مستمرا لترتفع من عالم المادة الى عالم الفكرة ، ومن التشتت والتنافر الى التقارب والانسجام والتوحد . وأيد رأيه هذا ، اذ جمع أصولا

الاسكندر الاكبر (356 ــ 323 ق م) هو ابن فيليب ملك مكدونيا . وامه أوليمبياس المشهورة بجمالها وذكائها .

اخضع لحكمه بلاد اليونان وآسيا الصغرى والهلال الخصيب وبابل وبلاد الفرس وشمالي الهند ومصر ... كل ذلك بسرعة خاطفة مذهلة ، اشتهر على صغر سنه بعبقريته الحربية وتخطيط المعارك والاستراتيجية العسكرية وقدرته الادارية . حتى لقد حاول الغاء فكرة « غالب ومغلوب » ومازج بين الشعوب التى حكمها ليستخلص منها شعبا واحدا ، وزوج فى يوم واحد ، وتحت تأثير هذه الفكرة ، عشرات الالوف من جنده وضباطه بنساء من الشعوب التي خضعت له .

ومن المدن التى اطلق اسمه عليها : الاسكندرية فى مصر ، والاسكندرونة فى سوريا ، والاسكندرية فى بيمونتي بايطاليا ، والكسندروبوليس فى اليونان .

عشرة للفكر ، ادعى بأنها مجموع الأجناس الكبرى التى تنتظم تحتها الأمور المتشابهة ، وسماها المقولات ــ كما تقدم ــ .

وسيطرت فلسفة أريسطو على العقل البشرى سيطرة تامة ، خصوصا ابان القرون الوسطى ، لم ينج من سيطرته الفكرية أحد من الفلاسفة الا ديكارت (3) Descartes (1596 — 1650 ب م) وكان قد تأثر به فى مطلع حياته العلمية تأثرا بالغا ، ثم استقل عنه واستن لنفسه فلسفة جديدة مبنية على الشك الحذر البناء . وجاء بعده كانت (4) Kant (1724 — 1804 ب م) فعدل فى مقولاته بعض التعديل ، وزاد عليها مقولتين أخريين هما :

1 ــ النفى ، 2 ــ الاثبات .

واختلف المناطقة المسلمون فى بعض هذه المقولات ، فقبلها بعضهم كما وضعها أريسطو واستبدل بعضهم الاضافة والانفعال بالعرض والنسبة .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان لهذه المقولات أهمية خاصة لديهم . وبخاصة منها : الجوهر والعرض ، لصلتهما الوثيقة بمباحث التوحيد . انظر الى النموذج التالى ، فانه مثال من طرائق البحث فى هاتين المقولتين الى عهد قريب جدا (5) .

---

3 — **ديكارت** (1596 — 1650) فيلسوف رياضي فيزيائي فرنسي . ولد فى لاهاي بهولندة ، وتجول فى أوربا سائحا . ثم عاد الى هولاندة فاتخذها مقره . ابتكر الهندسة التحليلية ، ووضع أسس ما وراء الطبيعة (الميتافيزيك) الحديثة . وقعد اساليب جديدة للمنطق قائمة على الشك البناء ، واثبت وجود الله تعالى من خلال اثبات وجوده كانسان مفكر ، بالحدس والاستقراء ، ووضع جملته المشهورة : « انا افكر ، اذن انا موجود Je pense donc je suis » وتوفي فى استكهلم بعد ان ترك اثرا اي اثر فى العقلية المعاصرة والتطور الفكري والمنطق .

4 — **عمانويل كانت** (1724 — 1804) فيلسوف الماني ولد فى كونيكسبرغ وفيها توفي . من مؤلفاته المشهورة : نقد العقل المحض . نقد العقل العملي . نقد المحاكمة واسس الميتافيزيك للتقاليد ... وبالجملة فقد كان نقادا مثاليا . وهو يعتقد بان الاشياء التى ندركها فى شكل حادثات قائمة فى الزمان و فى المكان . وهي ليست اكثر من محسوسات ، ولما كانت الاشياء قائمة بذاتها بقطع النظر عن علاقتها الزمانية والمكانية ، فهي اذن غير مدركة ... والقوانين الاخلاقية تفترض الحرية والخلود ووجود الله معا .... الخ .

5 — جزء 1 ص 132 من الطبعة الثانية ، من كتاب « المواقف » للامير عبد القادر الجزائري . شرح وتعليق وتحقيق الدكتور ممدوح حقي . والجزائري ثائر القرن التاسع عشر المسلم على الاستعمار الصليبي . ولد فى مسكرة (الجزائر) عام 1808 . حارب الافرنسيين منذ عام 1830 حتى 1847 حتى نفدت جميع قواه فاستسلم لاعدائه فأسروه وحبسوا عليه فى امبواز بفرنسا . ثم اطلقوا سراحه فانتقل الى مدينة بروسة بتركيا ثم الى دمشق حيث توفي فيها عام 1883 . ونقلت رفاته الى الجزائر عام 1965 بموكب مهيب . كان عالما صوفيا وسياسيا وعسكريا .. (انظر تفصيلا عنه فى مقدمة ديوانه الطبعة الثالثة شرح وتحقيق الدكتور حقي) .

— تقول للطبيعي : العلوية ، غير العرش والكرسي والاطلس ، وتلك من أي شيء هي مركبة ؟ !

— فيقول لك : من العناصر الاربعة وهي : التراب والماء والهواء والنار

— فتقول له : والعناصر الاربعة ، من أي شيء هي مركبة ؟ !

— فيقول لك : التراب مركب من البرودة واليبوسة . والماء مركب من البرودة والرطوبة . والهواء مركب من الحرارة والرطوبة . والنار مركبة من الحرارة واليبوسة

— فتقول له : وهذه الطبائع الأربع : جواهر أم أعراض ؟ !

— فيقول لك : هي أعراض !

فكانت الجواهر والاجسام كلها مركبة في الأعراض ، تجري عليها أحكام الأعراض ولابد ؟ !

× ☼ ×

وكما نفضت الكيمياء عنها سحر السيمياء ، فألغت فكرة هذه العناصر الأربعة ، وبرهنت على أنها ليست هي العناصر الآصلية البسيطة للمادة ، فأرجعت الماء — مثلا — الى عنصريه البسيطين : الأوكسجين والهيدروجين، وفككت الهواء فاذا هو آزوت وأوكسجين وغازات أخرى ، وفردت التراب الى أكثر من مئة عنصر أصيل ، بل قد فجرت الذرة .. كذلك **انتفضت الفلسفة فحطمت طوق المنطق الصوري ، فتولد منها : علم النفس ، والمنطق ، والاخلاق ، وما وراء الطبيعة (الميتا فيزيك) ، وعلم الجمال و ... الخ . واتسع المنطق حتى شمل بحوثا جديدة كل الجدة : كالحدس والاستقراء والاستنتاج والتحليل والتركيب وطرائق العلوم وتصنيفها والبرهان والمشاهدة ... الخ** وأصبحت دراسة المقولات جزءا يسيرا جدا منه لا أهمية له الا في التعميم والتخصيص ، وانقطع البحث فيها على أنها أساس لابد منه في المنطق ، بل ان المنطق الصوري كله ، أصبح جزءا يسيرا من المنطق العام .. وفي كل يوم يمدنا العقل البشري الخلاق ببحث جديد . فتبارك الله مبدع هذا العقل .

واذا تراجع البحث اليوم في المقولات ، وأصبح في المقام الثاني ، فياطالما أدى من خدمات كبيرة جدا في تطور العقل الفلسفي ، خلال عشرين قرنا على الاقل ، وما زالت أهميته في نظر بعض المثقفين قائمة حتى اليوم، **فحينما يجول البحث في الكم المتصل والكل المنفصل مثلا ، ويناقش حدود**

اللانهاية بين زمنين متلاحقين ، كالحاضر المتوضع بين الماضى والمستقبل ، هل هو جزء من أحدهما ؟ أو من كليهما ؟ أو هو جزء مستقل عنهما معا ؟ ! وما هى حدوده بينهما ، وما هو امتداده ؟ وما هو مقدار اتصاله بهما ؟ ! " وحينما يعالج مفهوم العدد الرياضى ومفهومه الوجودى الحسى ٠ وفكرة الزمان الميكانيكى المتجانس وفكرة الزمان الشعورى ، والنقطة الهندسية والخط الهندسى وتركيبه من نقطتين أو من ثلاث نقط ، أو تقسيمه الى أجزائه النقطية " والفراغ المحدد والفراغ المجرد " وما شاكل ذلك من بحوث عقلية مجردة ، أى خيال عبقرى يرفع البحث فيها الى منطقة التجريد ؟ ! فدراسة المقولات ما زالت بحثا له أهميته فى المنطق الصورى، وأغلب الظن أنها ستبقى زمنا طويلا جدا ، مع كل ما تعرضت له من نقد ، وما تتعرض له اليوم من تحوير وتجديد .

وكلمة « **مقولة** » اشتقت من مصدر القول حتما ، وهى ترجمة لكلمة **كاتيجوريا** Katigoria اليونانية ، ولا يعرف بالضبط أول من وضع هذا الاصطلاح فى العربية ولا تجد له فى معاجمنا وجودا ، وقد دخلت فى جميع اللغات بلفظها تقريبا Catégorie Category حتى فى كتب الفلاسفة المسلمين ، ومعناها فى الاصل « العلاقة » ونحن نستعملها فى معناها الاصطلاحى ، ونفرق بينها وبين **البديهيات** Axiomes **والموضوعات** Postulats ولعل كلمة « **كليات** » أقرب الى أصل المعنى اليونانى الذى وضعه أريسطو منذ نحو ثلاثة وعشرين قرنا ، من كلمة « مقولات » الشائعة .

والمخطوط الذى نوهنا به ، بخط البليدى نفسه ، وهو شرح للمقولات كما وضعها أريسطو ، ولعله خير نموذج لأساليب التأليف أواخر القرون الوسطى . وسترى فى صورة الصفحتين الأولى والأخيرة ، المرفقتين بهذا التقديم، أن حظ المؤلف ليس من السوء بحيث يصعب حله، غير أن العقبة المرة التى تأكدتنا ونحن ننقله للطبع والنشر ، هو فى هذه الحواشى المتعاظلة المتراكبة الذاهبة الى يمين وشمال ، المتداخلة فى أصل النص والخارجة منه بغير استئذان ، وأكثرها مرسومة بخط ردىء ناصل الحبر أحيانا ، مطموسة الحروف أحيانا أخرى ، وأغلب الظن أن الكتاب لاقى عنتا طويلا وهو يقاوم الزمن والرطوبة والعفن والتراب . ويبدو لى أن التحشية قد وضعت بأكثر من قلم ، وتعاورت الكتاب أيد كثيرة قبل أن يصل الينا ، لاختلاف الخطوط فيه وتباين النفس .

ولقد عرفنا المؤلف بنفسه وهو يقدم الكتاب ، اذ عين أصله ومهاجره وبلده ومنشأه ومذهبه فى سطر واحد واستراح! قال : « **انه محمد الحسنى الاندلسيّ البليديّ أصلا ، المصري منشأ ، المالكيّ مذهبا** » .

وهو من رجال القرن الثاني عشر الهجرى ، وكان عالما فاضلا موقرا ، أشار اليه شارح تاج العروس (6) ، وهو يتحدث عن قدوم الزبيدى الى مصر ، تدل على مكانته السامية وكعبه العالى فى مجموعة علماء القاهرة ، قال : « ثم ورد الزبيدى الى مصر ، فى تاسع صفر سنة سبع وستين ومئة وألف . وسكن بخان الصاغة . وأول من عاشره وأخذ عنه : السيد على المقدسى الحنفى ، من علماء مصر . وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوى والجوهرى والحفنى **والبليدى** والصعيدى والمدابغى ... وغيرهم » ... فانظر كيف جعله فى جملة أشياخ الزبيدى ، وناهيك بالزبيدى من عالم ، لو لم يكن له الا مؤلفه الضخم « تاج العروس » لكفاه وسيلة الى الخلود ... وأنعم النظر فى الفقرة التالية ، من مقدمة تاج العروس (7) ، لتعرف قيمة الزبيدى فى القاهرة نفسها قال : « ودعاه كثير من الأعيان الى بيوتهم ، وعملوا من أجله ولائم فاخرة . فيذهب اليهم مع خواص الطلبة والمقرىء والمستملي وكاتب الأسماء .. فيقرأ لهم شيئا من الأجزاء الحديثية كثلاثيات البخارى أو الدارمى ، أو بعض المسلسلات ... بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأحبابه وأولاده ، وبناته ونساؤه من خلف الستارة ، وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة . ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين ، حتى النساء والصبيان ، واليوم والتاريخ ... ويكتب الشيخ تحت ذلك : « صحيح ذلك » . وهذه كانت طريقة المحدثين فى الزمن السابق ! » . فاذا كانت تلك هى قيمة الزبيدى ، والزبيدى نفسه يقف على دروس البليدى ، فأى معلم يكون ؟ ! وسواء أكان وقوف الزبيدى تلطفا وتأدبا ، أو بغية كسب فائدة علمية ، فانه يشير الى ما كان يتمتع به البليدى من احترام الخاصة والكافة ، وتقدير كبار رجال عصره وعلمائهم .

وتجد فى جملة الشروح ، تعليقات للباجورى ، والباجورى شيخ الازهر ، ولد سنة 1198 هـ فى بلدة باجور بمصر ، وتولى مشيخة الازهر وعمره 38 سنة واستقامت مشيخته أربعين عاما ، وتوفى عن 78 سنة من عمر ملىء بخدمة العلم . وحواشيه مشهورة جدا : على مختصر السنوسى وعلى السلم فى المنطق ، وعلى السمرقندية والترصيف والعمريطى فى البيان والصرف والنحو ، وعلى الجوهرة فى التوحيد ، وعلى الشنشورى فى

6 — ص : ط ي طبعة الكويت
7 — ص : ط ي طبعة الكويت

الفرائض ، وعلى ضوء المصباح فى أحكام النكاح ، وعلى ابن قاسم الغزى فى فقه الشافعى ، وعلى البردة وسواها ... الخ . مثل هذا العالم العظيم يحشى على البليدى فى المقولات ، تحشيات تفسير وشرح ، فلا شك أنه كان يدرسها فى الأزهر. فأى قيمة سامية لهذه المقولات فى القرون المتأخرة؟!

ويكشف المؤلف عن نفسيته من خلال كلامه ، وهو لا يشعر . فيبدو عصبى المزاج عنيفا فى مهاجمة الفلاسفة والمنحرفين حين يقول : « قبحهم الله ، أبعدهم الله ، وهذا منهم ضلال مبين ... » . ولا يرى الرد على النظّام بغير الصفع والضرب ! .. فهل لنا أن نتساءل : متى كان السباب والشتائم والصفع والضرب من وسائل البحث العلمى ، أو النقاش الفكرى ؟ !

وفى أسلوبه بعض التعقيد ، هو من مستلزمات عصره ، ومن طبيعة البحث كقوله : « **أما المقولات وهو المقصد الأول ، أو العقول وهو المقصد الثانى أو « لا » و « لا » وهو الخاتمة))** !

والبليدى جزائرى ، ينتسب الى « البليدة » مدينة فى الجزائر ، وأسرته من مهاجرى الاندلس . نشأ فى مصر وتعلم فى الازهر ، وبقى على مذهبه المالكى فى جو كله شافعية . والمغرب الكبير كله على المذهب المالكى، منذ نقله اليه أسد بن الفرات تلميذ الامام مالك (رضى الله عنه) فتأكيده على انتسابه الى الأندلس ، وانتمائه الى المذهب المالكى ، دليل على حنينه الى أصله ومذهبه وموطنه ، ووفائه لها جميعا بالرغم من وجوده فى مصر ، وما زال الأندلسيون الذين أخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا ، يحنون اليها، وينتسبون الى هذا الموطن الجميل ، ويورثون أبناءهم الحنين اليه كذلك ، حتى اليوم . وظاهرة التمسك بالمذهب والتشيع له ، مع أنه فرع فى الدين لا أصل ، انتقلت فى المسلمين عبر القرون ، منذ تأسست المذاهب ، وعاشت حتى مطلع هذا القرن . ولقد بلغ بهم الأمر أن كانوا يسجلون انتقال أحدهم من مذهب الى مذهب ويعدونه أمرا عظيما جديرا بالتسجيل والتاريخ . وكثيرا ما لاقى المتنقلون بسبب ذلك عنتا وأذى كما لاقى السمعانى مثلا صاحب كتاب « الأنساب » .

× ❋ ×

وبعد ، فاذا كنت قد أطلت فى تقديم الكتاب ، فلى عذرى فى تعاظل أصل البحث وتعقده حاولت القاء النور بين يديه اضاءة لبعض جوانبه المغمضة ، مساعدة للقارىء المعاصر وتسهيلا عليه ؟ فاذا بلغت غايتى ووفقت ، فالحمد لله تعالى على معونته .

ممدوح حقى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اما بعد حمد الله فيقول احوج العباد لمواهب المعيد محمد الحسني الاندلسي البليدي اصلا المصري منشا المالكي مذهبا اتاح الله له ولاخوانه نيل السعادة ... لنا وكهم بالحسنى وزيادة اليك يا من ... نيل على السعادات يمن اتمام المقولات تضرعا اليك بزين عبادك وطراز عصبة انبيائك ذي الاصالة المنتقى لمحو الجهالات ان تصلي وتسلم عليه وعلى اله واصحابه وانصاره واعوانه الراقين في بحبوحة الشرف باتباعهم اعلا الدرجات واد تنفع الطلاب ما اشير اليه بقولي وينحصر المقصود من نيل السعادات في مقدمة ومقصدين وخاتمة انك على ما تشا قدير وبالاجابة جدير وجه الحصر المذكور فيها اما ان يكون تابعا واما ان يكون متبوعا والاول اما ان يكون تاسيسا للمقولات وهو المقدمة او لا وهو الخاتمة والثاني كذلك اما ان يكون بيانا للمقولات العشر وهو المقصد الاول او للمعقول العشرة وهو المقصد الثاني وان شئت قلت المذكور اما تاسيس اولا الاول المقدمة والثاني اما المقولات وهو المقصد الاول او العقول وهو المقصد الثاني او لا ولا وهو الخاتمة

المقدمة وفيها ثلاث مسائل

اعلم ان من المقولات لاهل الحكمة بحث المقولات لما انها عندهم من الموجودات وذكرها في المنطق من جهة انتفاعها على التحديدات في الجملة وذلك بان تاخذ عدة امور من اشخاص المحدود ان كان المحدود ... او من اشخاص انواعه

فان الزمن عندهم مقارنة مجهول لمعلوم فيكون من مقولة
الاضافة واما غيرهم فانهم مختلفون قايل بانه نفس الفلك
وقايل بانه المعدل اعني منطقة الفلك التي في وسطه وعليهما
فهو من مقولة الجوهر وقايل بانه حركة الفلك وقايل بانه
حركة المعدل وعليهما فهو من مقولة الاين على ما يظهر
وقايل بانه عرض سيال مقدر بالحركة وعليه فهو من مقولة كذا يظهر
الكم ويجري عليه ما ذكر اولا وانظر تلك الاقوال في المعلى وحواشيه
ومنها ان النقطة نهاية الخط والوحدة نهاية الواصل
مطلقا فيكون اعم والنقطة اخص لكن في كمال سعد العقايد في شرح
النسفية ان قولهم في النقطة نهاية الخط قضية مهملة
لا كلية فلا يفيد تكون نهاية لغير الخط كما في الجسم المخروطي
والحركة وهل هما نوع بسيط وعليه فليسا من المقولات
فيما يظهر ويرد في ذلك الدرس في حواشي التهذيب نظرا
لانحصار الموجودات عندهم في العشر او من مقولات الكيف
او من الامور الاعتبارية وهو الصحيح كما في المطالع لانها
لو كانت وجودية لاتصفت بالوحدة وهكذا ويلزم التسلسل
في الامور الوجودية وهو باطل بخلافه في الامور الاعتبارية
ونعم كما هو القول الصحيح فصحيح كالوجوب والامكان والبقا
ومن ثم عدها اهل الكلام كالعلامة السنوسي من الصفات
السلبية خلافا للقاضي والامام انها نفسية والقول
بعض انها من المعاني قال في الطوالع الوحدة كون
الشي بحيث لا ينقسم الى امور مشتركة في الماهية اي

تقديم المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد (2) حمدا لله (3) ، فيقول أحوج العباد ، وأخفض العبيد (4) ، محمد الحسنى (5) الاندلسى (6) ، البليدى (7) أصلا ، المصرى منشأ ، المالكى مذهبا ، أتاح (8) الله له ولاخوانه (9) نيل السعادة (10) ، وختم لنا (11) ولهم بالحسنى وزيادة (12) .

اليك يدى (13) ، يا من هدانا (14) لنيل السعادات (15) ، فى اتمام المقولات (16) . ضارعا اليك (17) : بزَيْن عبادك (18) ، وطِراز عصبة أنبيائك (19) ، ذي الأَثالة (20) المنتقى (21) لخمود الجهالات ، أن تصلى عليه وتسلم ، وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأعوانه ، الراتعين فى بحبوحة الشرف باتباعهم أعلى الدرجات ، وأن تنفع الطلب بما أشير اليه بقولى .

وينحصر المقصود من نيل السعادات ، فى : مقدمة ، ومقصدين ، وخاتمه ، انك على ما تشاء قدير ، وبالاجابة جدير .

وجه الحصر المذكور فيها : اما أن يكون تابعا ، واما أن يكون متبوعا .

والاول ، اما أن يكون تأسيسا للمقولات ، وهو المقدمة . أو لا وهى الخاتمة .

والثانى كذلك ، اما أن يكون بيانا للمقولات العشر ، وهو المقصد الاول . أو للعقول العشرة ، وهو المقصد الثانى .

وان شئت قلت : المذكور ، اما تأسيس ، أو لا . الاول : المقدمة . والثانى ، اما المقولات ، وهو المقصد الاول . أو العقول ، وهو المقصد الثانى . أو لا و لا ، وهو الخاتمة .

بـ اسم الله

1 — اعلم ان البسملة اشتملت على خمسة أمور : الباء والاسم واللفظ الشريف والرحمن والرحيم. فالباء من حيث لفظها من مقولة الكيف ، وهكذا الباقي من الامور الخمسة. واما من حيث المعنى ، فينظر . فبالنظر للباء ، فمعناها الاستعانة . والاستعانة ، نسبة . وهي لا تكون الا بين مستعان به ، ومستعان عليه ، فبالنظر لهذا ، فهي من مقولة الاضافة . اما اذا نظرنا للاعانة ، من اعانة الله للعبد ، فتكون ـ حينئذ ـ من مقولة الفعل . والاول ، هو الاقرب ، واما بالنظر لمسماه (الاسم واللفظ الشريف) فهما الذات ، والذات ، ليست بعرض . فهما ليسا من مقولة الكيف ، قطعا . واما كونهما من مقولة الجوهر ، فوقع خلاف . فعندنا ـ معاشر أهل السنة ـ ليسا من مقولة الجوهر ، لان الله سبحانه وتعالى متنزه عن الجوهرية . واما عند الحكماء ، فوقع خلاف ، فان عرفوا الجوهر : بأنه ما قامت به الاعراض ، فلا يكون من مقولة الجوهر . واما ان عرفوه : بأنه ما قام بنفسه ، فهو من مقولة الجوهر . ولكن لا يجوز اطلاقه ، لما فيه من الايهام .

واما بالنظر للرحمن والرحيم ، فان أطلقناهما على الله ، فيجري فيهما الخلاف المتقدم ، فان مدلولي الاسم واللفظ الشريف . واما ان اطلقناهما على غير الله ، فهما من مقولة الجوهر .

2 — لا يخفى أن «اما» نائبة عن «مهما» . اذ الاصل : «مهما يكن من شيء» بعد حمد الله ، فيقول : الخ .. فحذفت «مهما» و «يكن» وعوض عنهما «أما» .

3 — « بعد حمد الله » استشكلت هذه العبارة . بأنه لم يتقدم حمد ، فكيف يقول : « بعد حمد الله » ؟ واجيب : بأن الجواب الاول ، بالحمد مطلقا . ولا شك ان الثاني ، بالبسملة . فمعنى قوله « بعد حمد الله » أي بعد الاتكال على اسم الله . والجواب الثالث ، ان معنى قوله « بعد حمد الله » أي بعد ثنائي وذكري اللفظة . ونظير هذا قولهم : تكلم . اي بهذه اللفظة .

4 — قوله « واخفض العبيد » اتى هنا بالعبيد ، وسابقا بالعباد ، لمجرد التفنن والعطف للمغايرة .

5 — قوله : « محمد الحسني » نسبة للحسن ابن سيدنا علي كرم الله وجهه .

6 — الاندلسي ، نسبة للاندلس وهو بالمغرب

7 — البليدي أصلا ، نسبة للبليدة وهي قرية من قرى الجزائر بالمغرب ، وقوله الظاهر فيه ، أنه راجع للذي قبله .

8 — قوله : أتاح بالتاء ، والحال معناه يسر وسهل .

9 — قوله : ولاخوانه ، يصح فيه كسر الهمزة وضمها ، وهو جمع . والمراد به ، اخ المعرفة .

10 — قوله : نيل السعادة ، اي اخذ ، وتحوز السعادة .. وهو معمول لاتاح .

11 — قوله : وختم لنا ، فيه التفات من الغيبة للمتكلم ، لانه اتى أولا بالاسم الظاهر والضمير ، والاسم الظاهر من قبيل الغيبة .

12 — قوله : بالحسنى وزيادة ، المراد بالحسنى الجنة . والمراد بالزيادة ، النظر الى وجهه الكريم .

13 — قوله : اليك يدي ، اليك خبر مقدم ويدي مبتدأ مؤخر . والتقدير يدي ممدودة اليك . ويصح جعل اليد متعلق بفعل محذوف ، والتقدير : أمد اليك يدي . ويدي هذا ، يقرأ بالافراد ولا يقرأ مثنى ، لانه لو قرىء مثنى ، لقيل يداي ، والاضافة للجنس فتعم .

14 — قوله : يا من هدانا ، المراد بالهداية الدلالة .

15 — قوله : لنيل على السعادات ، أي لاخذ وتحصيل السعادات العلية . فهو من اضافة الصفة للموصوف . والسعادات جمع سعادة . وهي عند الاشاعرة الموت على الايمان . واما عند الماتريدية ، فنفس الايمان .

16 — قوله : في اتمام القولات ، متعلق بالسعادات . وفي سببية . اي سبب اتمام الكلام على المحمولات .

17 — قوله : ضارعا ، من التضرع ، وهو التذلل . والمراد به هنا : التوسل . فمعنى ضارعا ، متوسلا ، وهو حال من الياء ، في يدي .

18 — قوله : بزين ، اي اشرف عبادك . وهو ضد الشين . ويصح ان يراد بزين ، مزين . لان النبي (صلى الله عليه وسلم) مزين العباد .

19 — قولــه : وطراز عصبة انبيائك ، تطلق العصبة على الجماعة ، وعلى ما يعصب به الراس ، والمراد بها هنا : الاول . والطراز ، لا يكون الا فى ثـوب ، ففـى الكـلام استعارة بالكناية . وكيفية جريانها ان تقول : شبه العصبة بثوب مطرز ، تشبيها مضمرا فى النفـس . وطوى ذكر المشبـه به ورمـز له بشيء من لوازمـه ، وهو الطراز على قبيل الاستعارة بالكناية . واثبات الطراز ، تخييل .

20 — قوله : ذي الاقالة ، بضم الهمزة وفتحها . وهو المجد والشرف .

21 — قولـه : المنتقـى ، أي المختـار ، لخمـود ، اي اطفاء الجهالة . والاطفاء لا يكون الا لنار ، ففى الكلام ، استعارة بالكناية . حيث شبه الجهالة بنـار ، تشبيهـا مضمرا فى النفس، وطوى ذكر المشبـه به ، ورمـز له بشيء من لوازمـه ، وهو الاطفــاء على قبيل الاستعارة .

المقدّمة

وفيها ثلاث مسائل :

اعلم ، أن من (1) المقولات لأهل الحكمة (2) بحث المقولات ، لما أنها عندهم من الموجودات (3) وذكرها فى الميزان ، من جهة انتفائها ، على التحديدات فى الجملة . وذلك ، بأن تأخذ عدة أمور (4) ، من أشخاص المحدود ، بأن كان المحدود نوعا (5) ، أو من أشخاص أنواعه ، ان كان جنسا . وتعلم (6) : أنها باعتبار كونها هذا المحدود (7) ، من أى مقولة من المقولات . ولا تنظر الى غير ذلك من الاعتبارات . ثم تطلب جميع محمولاتها ، المقومة (8) لها ، بذلك الاعتبار ، من تلك المقولة ، لقاعدة (9) أن الجزء المحمول ، يجب أن يكون من مقولة الماهية . وحينئذ (10) ، يحصل تمام المحمولات المشتركة والمختصة ، وهو الجنس (11) والفصل ، مثلا : تحديد الانسان المنوع فتآخذ من أشخاصه (12) روميا وتركيا وهنديا ... وتعلم : أنها باعتبار كونها انسانا ، من مقولة الجوهر ، ولا تنظر الى غير ذلك الاعتبار ، لأنه المطلوب . فان الشىء (13) ، قد يكون من مقولتين أو أكثر . باعتبارين أو أكثر . كزيد ، باعتبار الانسانية ، مقولة الجوهر . وباعتبار الاخوة ، من مقولة المضاف ، ثم تعلم (14) ان المقومات لتلك الاشخاص ، باعتبار كونها انسانا ، المحمولة عليها ، التى من تلك المقولة، جسم حساس متحرك بالارادة ، ناطق ، وغير الناطق (15) ، مشترك ، فهو الجنس ، والناطق مختص ، فهو الفصل ، واذا آثرنا تحديد الحيوان

الجنس ، أخذنا (16) ماشيا وطائرا وزاحفا ... فتعلم : أنها باعتبار كونها حيوانا ، من مقولة الجوهر . وتعلم : أن المقومات المحمولة ، جسم نام (17) ... الخ وقلت فى الجملة ، للاشارة الى أن هذا الطريق ، لابد معه من حصول التمييز بين الذاتيات والعرضيات . لأن المحمولات (18) ، المأخوذة من المقومات ، بعضها ذاتى – كما تقدم – وبعضها عرضى ككاتب وضاحك . والا ، فلا (19) يكون مسعفا (20) فى التحديدات . ولا شك ، أن هذا التمييز ، عسر . حتى ان الشيخ (21) معترف : بأنه الموجب لصعوبة التحديدات ، خلافا لقول الشيخ أبى البركات : « تحديد الاشياء فى غاية السهولة » انتهى ...

أقول : وكأنه مبنى على أن الذاتى ، يعرف بالاسبقية . والعرضى ، بضده . كما لا يخفى عليك (22) بالناطق والضاحك . وحاصله ، أن المحدود اذا عرف أنه من أى المقولات ، عرف جنسه العالى ، فينزل منه الى السافل، ويطلب فصله من تلك المقولة ، وهو الحد (23)

---

1 — اي من جملة الاقوال .

2 — الحكمة ، اي العلم المزين . (اهل الحكمة هم الفلاسفة لما ان كلمة فلسفة اليونانية مركبة من كلمتين هما : فيلو (اي محب) سوفوس (الحكمة) فالمعنى اذن هو : حب الحكمة . والفيلسوف محب الحكمة) .

3 — اي ذهنا وخارجا .
قوله : لما انها عندهم ، الحاصل انها موجودة ذهنا ، باتفاق منا ومنهم . واما خارجا ، فوقع خلاف ، ولكن محل الخلاف ، فى غير الجوهر والكم والكيف ، فعندنا موجودة ذهنا ، لا خارجا ، واما عندهم ، فموجودة ذهنا وخارجا . اما الجوهر والكيف ، فهما موجودان ذهنا وخارجا ، عندنا وعندهم ، وعزي لبعض المحققين زيادة الكم .

4 — قوله : عدة امور ، هذا قيد . ولا يصح ان تاخذ واحدا من اشخاص المحدود ، لان الواحد منه، زيادة تشخيص ، على ماهية المحدود .

5 — قوله : نوعا ، النوع ، هو صفة كالشفة للانسان . وذكره لنكتة لطيفة ، وهي ان غرضه بيان قوله سابقا : وبان تأخذ عدة أمور .. الخ فلما ذكر هناك ، ناسبت ان يذكر هذا النوع . انتهى .

6 — قوله : وتعلم ، هذا معطوف على قوله سابقا : « بان تاخذ » فهو بالنصب . انتهى تقرير شيخنا الباجوري .

7 — قوله : هذا المحدود . المراد بالمحدود ، النوع ، ان كان نوعا . والجنس ، ان كان جنسا . انتهى تقرير .

8 — قوله : المقومة لها ، اي المحققة لها بذلك الاعتبار . اي باعتبار كونها : هذا المحدود . من تلك المقولة ، متعلق بتطلب . انتهى باجورى .

9 — قولـه لقاعدة : علة لمحذوف . اي ولا تكون تلك المحمولات من غير تلـك المقولـة لقاعـدة ح ... الخ. واضافة قاعدة الى الجملة التى بعدها ، للبيان . اي قاعدة ان الجزء .. الخ . انتهى باجوري

10 — قولـه : وحينئذ . اي وحينئذ ، طلبت جميع محمولاتهـا ، يحصـل تمـام .. الخ.. والمراد بالتمام ، التتميم . اي تتميم جميع المحمولات . انتهى .

11 — قوله : وهو الجنس ، .: الخ . الضمير ، راجع للتمـام . والجنـس ، راجـع للمشترك . والفصل ، راجع للمختصة . فهو لف ونشر مرتب . انتهى .

12 — قولـه : فتأخذ من اشخاصه ، المـراد بالاشخـاص ، الاصنـاف . لان الرومـي والتركـي .. الخ . اصناف لا اشخاص . انتهى شيخنا باجوري .

13 — قولـه : فان الشيء قد يكون .. الخ . علة لما افهمه الكلام من تعـدد الاعتبـارات انتهى باجوري .

14 — قولـه : ثم تعنـم ... الخ . هذا كالتوضيح لما تقدم . وهو قوله : ثم تطلب جميع المحمولات .. الخ . انتهى .

15 — قوله : وغير الناطق ، هذا كلام مستانـف . والمراد بغيـر الناطـق ، الجسـم ، والحساس والمتحرك بالارادة . وهذا ـ فى الحقيقـة ـ تفصيـل لقولـه سابقا : « المحمولات المشتركة والمختصة » انتهى تقرير .

16 — قولـه : اخذنا ماشيا وطائرا ... الخ . اي التى هي اصناف لانواع الجنس . انتهـى .

17 — قولـه : جسم نام ... الخ . اي حسـاس متحرك بالارادة فقط . ولا يكون الناطق، لانه بصدد تعريف الجنس . انتهي .

18 — قولـه : « لان المحمولات المأخوذة من المقومات » هكذا فى بعض النسخ وفي بعضها : « من المقولات » ، فعلى الاول : تكون العبارة فيها قلب . اي المقومات المأخوذة من المحمولات . وعلى الثاني ، لا قلب . انتهى باجوري .

19 — قولـه : والا فلا يكون ، هذا ارتبط بقوله : « لا بد معه من حصول التمييـز والا بأن لا يحصل تمييز : فانه يكون ... الخ .

20 — قولـه : مسعفا : اي معينا فى التحديدات

21 — قولـه : حتى ان الشيخ ، هذا تفريع على قوله : « ولا شـك ان هـذا التمييـز عسر ». والمراد بالشيخ : ابن سينا (*) . لانه هو المراد عند الاطلاق . فى علـم الحكمة . انتهى باجوري

22 — قوله : كما لا يخفى عليك .. الخ اي اذا استحضرت الانسان ، خطر بذهنك اولا ناطق ، ثم ضاحك .. انتهى باجوري

23 — قولـه : وهو الحد : اي مجموع الجنس السافل والفصل ... الخ .

(*) ابن سينـا يسميه الاوروبيون Avicenne هو شيخ الفلاسفة الاطباء من المسلمين ولد قرب بخارى عام 980 وتوفي عام 1037 من اشهـر كتبـه : القانون » فى الطب والفلسفة . بقي يدرس فى كليات الطـب بأوروبـا ، وبصورة خاصة فى ليون ومونبليه بفرنسا حتى القرن الثامن عشر . وما زالوا يعدونه من اعظم نوابغ الشرق الاسلامي .

المقصد الأوّل

بحث المقولات العشر : (1)

وهو مقولة : الجوهر ، والكم (2) ، والكيف (3) ، والاضافة (4) ، والاين (5) ، والمتى ، والوضع (6) ، والملك (7) ، والفعل ، والانفعال ، المشار اليها بقوله على هذا الترتيب :

زيد الطويل الازرق ابن مالك   فى بيته بالامس كان متكى
بيده غصن لواه فالتوى   فهذه عشر مقولات سوا

ويقول الآخر وهو :

قمر غزير الحسن ألطف مصره   لوقام يكشف غمتى لما انثنى

فالقمر للجوهر . والغزير للكم . والحسن للكيف . وألطف للاضافة . ومصره للاين ، وأضافة اشارة : الى أن الاين ، الحصول فى مصر ، لا نفس المصر . وقام للوضع . ويكشف للفعل . وغمتى للملك . ولما « بتشديد الميم » للمتى . وانثنى (8) للانفعال . وانما خصوا هذا باسم المقولات ، عند الاطلاق . اذ كان كل كلى ، مقولا على ما تحته (9) ، نظرا لكونها أجناسا عالية ، أوسع مقولية وصدقا (10) ، من غيرها المندرج تحتها .

---

1 — قوله : بحث المقولات، ... الخ . اي المحمولات ، اي الموجودات العشرة . اي الكون احتوى على هذه العشرة . واعلم ان الجوهر والكم والكيف ، موجودة ذهنا وحارجا باتفاق . واما السبعة الباقية ، فعند اهل السنة ، موجودة ذهنا . وعند المعتزلة موجودة خارجا . « انتهى . امير » .

2 — سمي : كما ، لكونه يسأل عنه بكم ؟

3 — سمي كيفا ، لكونه يسأل عنه بكيف ؟

4 — الاضافة ، نسبة يتوقف تعقلها على تعقل سببية اخرى ، متوقفة عليها . كالابوة فانها متوقفة على البنوة . والبنوة كذلك .

5 — هو اسم للحصول فى الأين . أي المكان .

6 — الوضع : هو اسم للهيئة الحاصلة من نسبة بعض الاجزاء الى بعض ، ومن نسبتها الى أمر خارجي .

7 — الملك ، هو اسم للهيئة الحاصلة من احاطة شيء بشيء كلا أو بعضا .

8 — قوله : انثنى للانفعال ، اي اذا كان بتأثير مؤثر . اي فعل فاعل « انتهى امير ».

9 — قوله : على ما تحته .. الخ ، هذا يقتضي ان مقـولات ، من بـاب معـدودات ، واشتهرت مقولة ايضا .. وكان التأنيث ، باعتبار انها لا تخرج عن صفة او ذات . تأمـل . انتهى أمير .

10 — المراد بالصدق ، الحمل والاخبار فالعطف للتفسير « انتهى » .

مقولة الجوهر

لا يمكن حده ، لما سيأتى (2) . بل نرسمه : بأنه الغنى عن المحل . أو القابل للعرض ، أو المتحيز . وهو ما أخذت ذاته قدرا من الفراغ ، كـان مستقرا (3) أم لا . جسما أم لا (4) . وحينئذ (5) ، فالمتحيز ، أعـم مـن المستقر ، كدائرة مرشوقة برمح . فان رأس حربتها ، الملاقى له ، مستقر متحيز . وما عداه منها ، متحيز فقط .

ومن الجسم : فما تركب من جوهرين فردين مثلا ، جسم متحيز . وما لا ، متحيز فقط .

ومن المتمكن (6) ، لاختصاصه بالمتحيز : الممتد دون غيره ، كالجوهر الفرد . فكل مستقر ، جوهر متحيز . ولا عكس . وكل جسم ، جوهر متحيز ولا عكس . وكل متمكن ، جوهر متحيز ، ولا عكس . والحيز (7) ، هـو الفراغ . وهو موهوم عند المتكلمين (8) .

فائـدة للجواهر أحكـام منهـا :

أنها قابلة للبقاء (9) زمانين مثلا ، الى الفناء (10) . خلافا للنظام (11) ـ والرد عليه بالصفع والضرب ـ فان مالت (12) نفسه للانكار ، قيل له : ذهب الفاعل والمفعول . فلا معنى للانكار .

وأنهـا لا تتداخـل (13) . خلافا لـه .

وأنها تحدث بجملتها ، عن عدم سابق. وتنعدم كذلك خلافا للفلاسفة(14) والطبائعيين ، والسمنية .

وأنها يصح انعدام بعضها ، خلافا للمعتزلة (15) ، فى أن الجوهر ، لا ينعدم الا جملة .

وأنها متماثلة فى الصفات النفسية ، كما ذكره الامام (16) : من التحيز ، والقيام بالنفس ، وقبول الاعراض ، والجرمية .. وان تباينت (17) بصفات المعانى : كالماء ، والنار ، خلافا له .

وأنها لا تثبت فى العدم ، خلافا للنظام ، وكثير من المعتزلة فى قولهم : انها كالاعراض (18) ، ثابتة فى العدم ، ولذلك ، كان المعدوم — عندنا — ليس بشىء ، وعندهم — قبحهم الله — شىء ، أعنى بذلك المعنى والا ، فأهل اللغة ، قائلون : بشىبيه المعدوم ، لكن لا بذلك المعنى (19) ، فافهم . انتهى .

---

1 — قوله : مقولة الجوهر : قدمها لشرفها . واخر الباقي ، لانها اعراض . « انتهى شيخنا امير » .

2 — قوله : لما سيأتي ، اي اول الامور بعد المقولات ، والتتمة . اي ان هذه المقولات ، اجناس عالية ، فلا جنس لها تحد به .

3 — قوله : مستقرا . ام لا .. الخ فبين المتحيز وكل من الجسم والمتمكن والمستقر ، عموم وخصوص مطلق . لان المتحيز اعم من كل من الثلاثة .

4 — قوله جسما ، كأن تركب من جوهرين فردين . وقوله : ام لا ، كأن كان جوهرا فردا . « انتهى امير » .

5 — قوله : وحينئذ ، اي حينئذ عممنا فى التحيز .

6 — قوله : ومن المتمكن ، ذكره وان كاشفني عنه لما قبله نظرا لتغايرها فى اللفظة .

7 — قوله : والحيز ، انما ذكره لكون المتحيز يستلزمه .

8 — قوله : عند المتكلمين ، واما عند غيرهم فهو موجود ، لكنه من المجردات ، اي عن المادة .

9 — قوله قابلة للبقاء : وكذلك الاعراض على التحقيق .

10 — قوله : الى الفناء . متعلق بمحذوف اي وتستمر الى الفناء .

11 — قوله : خلافا للنظام ، أي فى قوله انها غير قابلة لزمانين . وهو من المعتزلة . « انتهى امير » .

12 — قوله : فان مالت نفسه للانكار ، اي كأن قال لاي شيء تضربوني فنقول له : ذهب الفاعل والمفعول ، فلا معنى لانكارك .

13 — قوله : وانها لا تتداخل ، اي بحيث ان الجسم لا يدخل فى آخر ، مع عدم فهو الآخر ، بل كونه بحاله .

14 — قوله : خلافا للفلاسفة ، اي قولهم ان بعض العالم قديم وبعضه حديث عن عدم سابق .

15 — قوله : خلافا للمعتزلة ، المراد بعضهم .

16 — الامام : المراد به الفخر الرازي . « انتهى امير »

17 — قوله ، وان تباينت بصفات ... الخ . لعل معناه ، ان الجوهر فى نفسه واحد مع مثله . والمعاني أطوار لا توجب التباين . والا فلا يقول به عاقل . تأمل .

18 — قولـه : كالاعراض ، أي عندهم . وقوله ثابتة فى العـدم ، أي قبـل الظهـور . يقولون : كانت خفية ثم ظهرت . ونظيره ، الماهيات ، عندهم .

19 — قولـه : لا بذلك المعنى .. الخ . بل بمعنى ما يصح ان يذكر ، ويحكم عليه بأمر ما، كقبوله الوجود . « انتهى امير » .

مقولة الكم

وهو عندهم (1) ، عرض (2) يقبل القسمة لذاته (3) . فالقيد الاول (4) ، لاخراج النقطة (5) والوحدة (6) . والثانى (7) ، لاخراج ما عدا الكم . فانه وان قبلها ، فبواسطة الكم ، لا لذاته ، كالبياض .

ثم اما متصل ، بأن يكون بين أجزائه حد مشترك ، كما فى معالـــج (8) الامام الفخر الرازى ، أى تتلاقى (9) عنده وتتصل باعتباره (10) ، كما فى شرحها (11) للشيخ الفهرى ، تلميذ المقترح ، كالنقطة بين النقطتين فى الخط. وكالحال بين الماضى والمستقبل ، فى الزمن .

واما منفصل ، بأن لا يكون بينها حد مشترك كالعدد . فان الاربعة مثلا اذا قسمت بين اثنين واثنين ، وكذا الثلاثة ، اذا قسمت بين واحد ونصـــف وواحد ونصف ، بخلاف الخط من ثلاث نقط . فانه ينقسم الى اثنين بينهما واحدة ، لا تنقسم . كما لا يخفى على العارف بالنقطة ، وكذلك الزمن ، فانه ينقسم الى ماض ومستقبل ، وبينهما الحال . وقد حصل بين ما ذكر (12) اتصال ، باعتبار ما ذكر (13) ، والخط المركب من أربع نقط ، مشتمل على الثلاث نقط . فيأتى فيه ما ذكر . وهل الحال (14) ، أجزاء من طرفى الماضى والمستقبل ؟ — وعليه السعد — أو زايد عليهما ، قسم مستقل ؟ خلاف عند الحكماء ، كما فى القشيرى على المطول، أو هو جزء لا ينقسم، نهاية الماضى وبداية المستقبل ؟ وهو ما لبعض .

والمتصل : اما أن يكون قار الذات (15) أى مجتمع الاجزاء فى الوجود. وهو المقدار . خط ، ان قبل القسمة (16) فى جهة فقط . والا ، فسطح ، ان تبلها فى جهتين . والا فجسم . تعليمى ، ان قبلها فى ثلاث .

فهذه الثلاثة ، امتدادات عارضة ، للجسم الطبيعى ؟ فالشكل المربع مثلا (17) : ذاته — أى جوهره — جسم طبيعى ، معروض لتلك الامتدادات، التى هي مجرد الطول والعرض والعمق . ونفس الطول والعرض والعمق ، هو الجسم التعليمى ، نسبة للتعليم ، لانهم (18) كانوا يعلمونه صغارهم .

فالجسم الطبيعى ، جوهر معروض مركب من جوهرين فردين (19) أو ثلاثة ، أو أربعة . أو ثمانية ، أو ستة عشر أو أربعة وعشرين ، أو ستة وثلاثين ، أو ثمانية واربعين ... وهو — أى هذا الخلاف — لفظى ، على ما للفهرى(20) أو معنوى، على ما للسعد. وللجسم التعليمى عارضى(21) عرض فقف (22) على الفرق بين الجسم الطبيعى والجسم التعليمى .

وقول التلخيص (23) : الجسم الطويل العريض العميق ، يحتاج الى فراغ يشغله ، يعين به الجسم الطبيعى ، كما هو ظاهره (24) . والا ، فالتعليمى(25) لا يحتاج الى فراغوانما يحتاج الى محليقوم به لكونه عرضا. لكن يشكل عليه ، كما فى الشهاب (لعله الشهاب بن قاسم على المطول : ان الاحتياج الى الفراغ ، ليس خاصا بالجسم الطويل ... الخ بل الجوهر الفرد كذلك ، مما يحتاج الى الفراغ ، خصوصا والمعتزلة — أصحاب هذا التقسيم (26) — يعترفون بالجوهر الفرد ، ويخالفون الحكماء ، فلا وجه للتخصيص والجواب — كما فيه — : أنه أراد الاحتياج الى فراغ ممتد . ولا يخفى أنه من خصائص الجسم الطبيعى الطول ؟.. الخ . فان الجوهر الفرد ، لكونه عاريا عن تلك الامتدادات ، ليس له حيز ممتد ، والطول ، هو البعد المفروض أولا . والعرض ، وهو المفروض ثانيا . ولا يفسر الطول بأبعد الامتدادات ، لانتقاضه بالاشكال المتساوية الابعاد .

واعلم (27) : أن تقسيم الجسم (28) بما ذكر، اصطلاح (29) المعتزلة مع اعترافهم (30) بثبوت الجوهر الفرد . وأما الفلاسفة ، ففسروه (31)

بالهيولى (32) والصورة . لان الموجود عندهم (33) : اما أن يكون محلا ، أو حالا فيه ، أو مجموع الحال والمحل ، أو لا (34) .

فالمحل ، هو الهيولى (بتشديد الياء وتخفيفها) اذا تغير (35) ، وتقوم (36) بما حل فيه ؟ كالنطفة اذا حلت فيها صورة بشرية ، فانها لا تبقى نطفة بل حقيقة أخرى . وكالبيضة (37) ، فانها اذا حلت فيها صورة الفرخ ، لا تبقى بيضة ، بل ماهية أخرى . وكخشب السرير ، والشريط ، والمسمار . فان المجموع ، بحلول صورة السرير ، ينتقل الى ما هية أخرى، وهى السرير ، والا ، يتغير بما حل فيه ، فهو الموضوع (38) . كالثوب ، فانه لا يتغير بالسواد مثلا .

والحال ، هو الصورة . ان غير ما حل فيه ، كما تقدم ، من صورتى البشرية والفرخية وهيئة السرير ... والا يغير ، فهو العرض . ومجموع الحال والمحل . أعنى الهيولى والصورة فقط ، هو الجسم . وغيرها ، ان كان له تصرف (39) وتدبير (40) فى البدن فالنفس (41) والا ، فالعقل السماوى ، على زعمهم .

فالجوهر (42) — عندهم — خمسة : هيولى ، وصورة ، وجسم ، ونفس ، وعقل .

والعرض (43) واحد . والفرق بينه وبين الصورة ، تقدم ، كالفرق بين الهيولى والموضوع .

وانكروا (44) الجوهر الفرد . ونحن نقول : (45) النقطة موجودة ، باعترافهم . فاما أن تكون الجوهر الفرد — كما عندنا — وهو المطلوب . واما أن تكون عرضا قائما به ، فيلزم أن يكون جوهرا غير منقسم . والا لانقسمت ، وهو المطلوب .

وفى ظنى ، عند شرح المواقف : أن القوم ، لا يطلقون على الجوهر الفرد ، نقطة . فتأمل .

وقالوا : بالجواهر المجردة عن المادة ، كالنفس والعقل .. وفيه ما فيه (46) ، وجعلوا الصورة ، من مقولة الجوهر . وهى — عندنا — من العرض . فالجوهر — عندهم — أعم منه عندنا (47) . والعرض كذلك . لكن من وجه . فالبياض عندنا وعندهم ، عرض . والصورة ، عرض ، عندنا . جوهر ، عندهم . والامور الاضافية . وهى ما عدا الكيف والكم والاين ، على ما فى الكبرى ، الذى هو خلاف (48) الظاهر ، كما فى المنجورى أعراض عندهم . لكونها موجودة . لا عندنا ، لكونها ليست كذلك .

وأما المتكلمون، ففسروه(49): بما تركب من جوهرين، أو جواهر متناهية، لا تنقسم أصلا ، يعجز الوهم عن تمييز طرف منها عن طرف . كما للامام ابن عرفة . وهو مذهب الجمهور . وقيل : لا تنقسم فعلا . وان قبلتها فرضا. وقيل : غير ذلك . وهل يسمى كل واحد من تلك الاجزاء جسما ؟ نظرا(50) لثبوتها الجسمية المفهومة من الجسم للمجموع ؟ فتكون أجساما أولا . فتكون جسما واحدا ، قولان . وأما أهل اللغة ، ففسروه : بجماعة البدن والاعضاء من الناس ، وسائر الانواع العظيمة الخلق .

والحاصل ، فى الجسم تفسيرات أربعة (51) .

فأما أن لا يكون قار الذات ، واما أن يكون . وهو الزمن . والفرق بين الحال وبين الآن — عندهم — أنه يقبل القسمة . بخلاف الآن (52) ، فان نسبته اليه ، كنسبة النقطة للخط ؟ فحاصله: أن الكم المتصل: أمران: المقدار والزمن (53) . والمنفصل ، واحد . وهو العدد . « انتهى » .

وها هنا (54) أمور ، منها :

ان الاجسام مرئية ، خلافا للفلاسفة (55) كما فى المحصل (56) لنا أن نرى الجسم فى التحيز (57) والعرض لا يتحيز (58) .

ومنها : أنها لا تنفك عن العرض ، وعليه الاكثر (59) ، خلافا للاقل .

ومنها : أن العرض (60) ، صحة انقسامه ، انما هى باعتبار المحـل ، كما هو معلوم (61) ؟ فتقييدهم القبول بالذاتية (62)، مشكل. والتفصى (63) عنه ، بأن معين كون القبول ذاتيا ، أنه لا يحتاج الى أمر زائد على المحل، بخلاف الكيف ، كالبياض . فان قبوله القسمة ، باعتبار أمرين : المحل والكم، ألا ترى أن الجوهر الفرد الابيض لا ينقسم (64) وما ذاك ، الا لفقد الكم ، المتوقف على اجتماع جوهرين ، مثلا . وحاصله : أن المنقسم حقيقـة فى الكم ، موصوفه . وهو الجسم الطبيعى ، من غير توقف (65) على شىء . وهو تابع له فى ذلك . ولو كان (66) شرطا ، بخلاف الكيف ، فان انقسام محله ، موقوف على أن يكون ذا امتداد . فالمعنى : قبول الكم القسمة ، تبعا لمحله ، ذاتى لا يحتاج الى أمر آخر . بخلاف غيره من الاعراض ، فانـه يحتاج فى قبولها ، تبعا لمحله ، الى أمر آخر ، هو الكم . فافهم . . ولا يخفى أن الكلام (67) مع الاصحاب . وأما غيره ، فظاهره العكس . وأن القسمة فى الكم ، ذاتية . وفى الموصوف وباقى الاعراض ، تبعية ، ومرادهـم (68) كما قال السعد ــ أحد قسميها ، الذى هو الوهمية . بأن يفـرض (69) فى المقسوم شىء ، لا الآخر ، الذى هو جعله هويتين بالفعل(70) قال البوسى: المتكلمون ، لا يجوزون انقسام العرض فى نفسه ، فضلا عن انقسام المحل بانقسامه . ويمنعون (71) كون الكميات أعراضا موجودة ، قائمة بالمحل . فتأمـــل .

ومنها ما ذكر ، من كون الزمن من مقولة الكم ، وان (72) كان جاريا على اللسان (73) ، لا يجرى على مذهب الاصحاب ، فان الزمن ــ عندهـم ــ مقارنة (74) مجهول لمعلوم . فيكون من مقولة الاضافة . وأما غيرهـــم ، فمختلفون : قائل بأنه نفس الفلك (75) . وقائل بأنه المعدل ، أعنى منطقة الفلك ، التى فى وسطه . وعليها ، فهو من مقولة الجوهر ، وقائل بأنه حركة

الفلك ، وقائل بأنه حركة المعدل (76) ، وعليهما فهو من مقولة الاين ، على ما يظهر . وقائل بأنه عرض سيال (77) ، مقرر بالحركة . وعليه ، فهو من مقولة الكم . ويجرى عليه ما ذكر أولا . كذا يظهر ، وانظر تلك الاقوال فى المحلى وحواشيه .

ومنها ، أن النقطة ، نهاية الخط . والوحدة (78) ، نهاية الواحد (79) ، مطلقا . فتكون أعم . والنقطة أخص ولكن (80) فى كمال سعد العقائد النسفية (81) ، ان قولهم فى النقطة : نهاية الخط ، قضية مهملة (82) لا كلية . والا ، فقد تكون نهاية لغير الخط ، كما فى الجسم المخروطى (83) . وهل هما — أى النقطة والوحدة — نوع بسيط ؟ وعليه ، فليسا من المقولات (84) — فيما يظهر — وتردد فى ذلك يس، فى حواشى التهذيب (85) نظرا لانحصار الموجودات — عندهم — فى العشر . أو من مقولات الكيف ؟ أو من الامور الاعتبارية (86) ؟ وهو الصحيح كما فى المطالع . لانها لو كانت وحودية ، لاتصفت بالوحدة . وهكذا يلزم التسلسل فى الامور الوحودية ، وهو باطل . بخلافه فى الامور الاعتبارية — كما هو القول الصحيح (87) — فصحيح . كالوجوب (88) والامكان (89) والبقاء (90) . ومن ثم ، عدها أهل الكلام ، كالعلامة السنوسى ، من الصفات السلبية ، خلافا للقاضى والامام (91) : انها نفسية . ولقول بعض : انها من المعانى، قال فى الطوالع ، الوحدة ، كون الشىء ، بحيث لا ينقسم الى أمور مشتركة فى الماهية . أى سواء انقسم الى أمور غير مشتركة فى الماهية ، أو لم ينقسم (92) (كواجب الوجود عندنا وعندهم) . قال امام الحرمين : الواحد (93) الشىء الذى لا ينقسم . يعنى : أصلا . فهو أخص من الطوالع، الذى هو تفسير الفلاسفة ، والكثرة ، انقسامه الى أمور متساوية فى الماهية . وهذا ، كالتحكيم ، كما فى البوسى ، ناقلا عن شرح القاصد (94). ان ذلك التفسير ، منقوص طردا وعكسا (95) ، بالمجتمع من الامور المختلفة . فتأمل .

وهي ــ أعني الوحدة ــ اما حقيقة أو اضافية . وهي الانقسام الى أمور متشاركة في الماهية كالانسان المنقسم الى أعضاء .

والاضافية اما وحدة بالشخص بالاتصال أو الاجتماع وبالارتباط والتركيب (96) .

وأما وحدة بالذات أو بالجنس أو بالنوع أو بالفصل .

واما وحدة بالعرض اما بالمحمول أو بالموضوع .

فالواحد بالشخص ، أمران . وبالذات ، ثلاثة . وبالعرض ، اثنان .

فالاول، وهو المنقسم الى أمور متشابهة في الاسم والحد ، كالمقدار (97) والجسم البسيط . أعني المنفطر (98) الواحد .

والثاني ، وهو بالضد ، كالجسم المركب . نحو زيد (99) ، المنقسم الى يد ورجل ورأس ...

والثالث (100) نحو الانسان والفرس ، واحد بالحيوانية ، وان كانت واحدا بالاجتماع .

والرابع (101) كزيد وعمرو ، واحد بالانسانية (102) كذلك .

والخامس (103) زيد وعمرو واحد بالناطقية (104) .

والسادس ، كالثلج والقطن ، واحد في البياض المحمول .

والسابع كالكاتب والضاحك (105) ، واحد في الانسان الموضوع (106)

ولابد من كثرة للواحد أيضا . فالانسان والفرس ، معروض لجهة واحدة ، هي الحيوانية ولجهة كثرة ، خصوص الافراد النوعية للانسان والفرس . فتأمل . وزيد وعمرو ، واحد بجهة النوعية ، منفرد بجهة الشخصية فهو ــ أي الواحد ــ معروضهما . وقد نقول : جعل المقدار (107) مثلا واحدا ، مع انقسامه الى أمور متساوية ، مشكل (108) . فاذا أريد

أنها ليست متساوية فى ماهية المنقسم ، أعنى المقدار مثلا ، وان كانت متساوية فى نفسها ، أشكل مجموع نقط عسل مثلا . فانه كثرة ، مع كون أجزائه ليست متساوية ، فى ماهية المنقسم ، أعنى المجموع .

---

1 — قوله ، وهو عندهم ، اي عند الحكماء . والاضافة : قيد احترز بها عن غيرهم . فانه عند أهل السنة ، امر اعتباري ، لا وجود له ، الا فى الذهن .

2 — قوله : عرض ، خرج عنه الجوهر ، فلا يدخل من أول الامر .

3 — قوله : لذاته ، انه لا يحتاج الى امر زائد على المحل ؛ بخلاف الكيف ، فانه يحتاج الى امر زائد على المحل ، وهو الكم . وبما ذكر ، يفرق بين الكيف والكم . والحاصل : أن الكيف والكم ، لا ينقسم الا تبعا للمحل ، فكل منها يحتاج للمحل. ولكن الكم لا يحتاج الى امر زائد عليه ، والكيف ، يحتاج الى امر زائد عليه . وهو الكم . وهذا هو الفرق بينهما ، كما سيأتي ، فى هذه الرسالة . وهذا بالنظر لكلام الحكماء . فالذاتية حقيقية . « انتهى . شيخنا باجوري » .

4 — اي قوله : لا يقبل القسمة . « انتهى امير » .

5 — هي نهاية الخط ، فهي عرض لا يقبل القسمة .

6 — قوله : والوحدة ، وهي كون الشيء واحدا لا تعدد فيه ، أو نهاية الشيء . وعلى هذا ، ما الفرق بينها وبين النقطة ؟و يجاب بأن النقطة نهاية الخط، وهو أخص من الوحدة .

7 — قوله : والثاني ، اي وهو قوله لذاته . « انتهى أمير » .

8 — قوله : كما فى معالج الامام : اي اسم كتاب له . « انتهى امير » .

9 — قوله : تتلاقى : هذا تفسير لقوله « مشترك » .

10 — قوله : وتتصل باعتباره ، اي بملاحظته . وهو عطف على قوله تتلاقى . . . الخ .

11 — قوله : كما فى شرحها للشيخ : ما ذكره لا يشمل كم الخط من نقطتين فانه متصل ، مع انه لا يشترك بين جزئية ، لما ان كلا منهما ، لا ينقسم . فالاولى تفسير المتصل ، بانه عقيم الذات . والمنفصل تعدد . « انتهى امير » ..

12 — قوله ، بين ما ذكر ، وهو الماضي والمستقبل ، بالنسبة للزمن ، والنقطتين بالنسبة للخط .

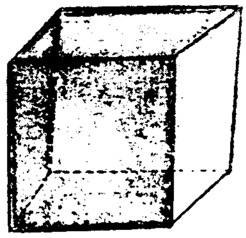
13 — قوله : باعتبار ما ذكر ، وهو الحال ، والنقطة ، على التوزيع المتقدم . « انتهى تقرير » .

14 — قوله ، وهل الحال ، الحاصل انه جرى خلاف في الحال ، فقيل : بسيط . وقيل : مركب ، وعلى كونه مركب ، فهل هو قسم مستقل ام لا ؟

15 — قوله : قار الذات ، اي مجتمع الاجزاء ، وسيأتي مقابله : وهو ان يكون غير قار ؛ عند قوله : فيما سيأتي . وهي أمور .. « انتهى تقرير » .

16 — قوله : خط ان قبل القسمة ، الحاصل بانه اذا اتى بجوهرين فردين قام بهما عرض ، يقال له : خط . واذا اتى بأربعة جواهر ، قام بهما عرض ، يقال له : سطح . واذا اتي بثمانية جواهر ، قام بهما عرض ، يقال له جسم تعليمي . واعلم : أن نهاية الخط ، بالنقطة ، ونهاية السطح ، بالخط ، ونهاية الجسم التعليمي ، بالسطح .

17 — قولـه ، فالشكل ، هذا تفريع على قوله سابقا : « فهذه الثلاثة امتدادات ... الخ وقوله : المربع ، اي المربع من اربعة ابعاد ورسمه هكذا :



18 — قولـه : لانهم ، هذه علة للنسبة .

19 — قولـه : مركب من جوهرين ، الحاصل : ان هذا ، شروع من الشيخ في اقـوال ثانية . لكن على القول الاول والثاني والثالث ، فليس الجسم الطبيعي معروضـا للجسم التعليمي ، وانما هو على القول الاول ، معـروض للخـط . وعلى الثانـي والثالث ، فهو معروض للسطح . « انتهى تقرير » .

20 — قولـه : على ما للفهري ، اي فانه يقول : معنى قولهم الجسم الطبيعي مركب من جوهرين ، انه مركب من جوهرين مثلا او ثلاثة او اربعة مثلا وهـو بعيـد جـدا . « انتهى تقرير » .

21 — قولـه : عارضي ، عرض هكذا . في بعض النسـخ عرض عارضـي وفي بعضهـا فعلي . الاول يكون قوله عارض . راجعا لقوله سابقا « معروض » ويكون قوله عرض ، راجع (كذا) لقوله سابقا : انه جوهر ، فهو لف ونشر مشوش ، وما على البعض الثاني ، يكون الاول راجع (كذا) للاول ، والثاني للثاني . فهو لف ونشر مرتب (انتهى تقرير) .

22 — قولـه فقف على الفرق ، وحاصل الفـرق : ان الجسم الطبيعي ، ما تركـب من جوهرين ، واما الجسم التعليمي ، الامتدادات العارضة القائمة كالطول والعرض والعمق (انتهى تقرير)

23 — قولـه : وقول التلخيص ، الحاصـل : ان التلخيـص قـال : الجسـم الطويـل العريض .. الخ . يحتاج الى فراغ يشغله . فما مراده بالجسم ؟ ان اراد الجسم التعليمي ، لا يحتاج الى فراغ ، وانما يحتاج الى ذات . فأجاب الشارح عند ذلك بقوله : يعين به ... الخ

24 — قولـه : ظاهره ، اي حيث قال : الطويل العريض العميق .. الخ (انتهى تقرير)

25 — قولـه : والا ، فالتعليمي ، والا نقول : ان المراد به : الطبيعـي . بل المراد بـه التعليمي . فلا يصح . لان التعليمي .. الخ .

26 — قولـه : اصحاب هذا التقسيم ، اي تقسيم المقدار لخط وسطح وجسم تعليمي .. الـخ .

27 — قولـه : واعلم ، هذه الكلمة يؤتى بها لشدة الاعتناء بما بعدها . ولا شك أن ما بعدها ، عسر الفهم ، لا يفهمه الا من له ادنى المام بعلم الحكمة (انتهى تقرير).

28 — قولـه: الجسم ، ال ، في الجنس للعهد ، وقوله : بما ذكر ، اي من كون الجسم الطبيعي ، هو الطويل العريض العميق .. « انتهى » .

29 — قولـه : اصطلاح ، فالحاصل : ان المعتزلة ، اتفقوا على ان الجسم الطبيعي هو الطويل العريض .. الخ . وعلى هذا ، يكـون دائمـا وابـدا ، معروضا للجسم التعليمـي .

30 — قولـه : اعترافهم ، لعل المراد ، اكثرهم . فقد تقدم ان بعضهم ينكره (انتهى تقرير)

31 — قولـه : ففسروه : اي الجسم

32 — قولـه : الهيولة ، وعلى هذا تكون الصورة جوهرا . « انتهى تقرير » .

33 — قولـه : عندهم ، اي الفلاسفة .

34 — قولـه : او لا ، اي لا حال ولا محل ولا حال فيه . « انتهى امير » .

35 — قولـه : تغير ، اي كان التغير ، ليشمل اول صورة . « انتهى امير » .

36 — قولــه : تقــوم ، هذا معطوف على قوله ، تغير ، وهو عطف مسبب على سبب ، او لازم على ملزوم . « انتهى تقرير » .

37 — قولــه : وكالبيضة ، فان قيل : كرر المثال : قلت : للتوضيح ، او لنكتة لطيفة ، وان كانت ضعيفة . وهي انه لا فرق ان يكون ناطقا او غير ناطق او جمادا ـ « انتهــى » .

38 — قولــه : فهو الموضوع ، المراد بالموضوع : شيء ذو وضع اي ذو تحيز وليس المراد به ما قابل المحمول ، لان هذا : انما هو عند المناطقة . وهو لا يخرج عن الجسم. فهو عينه . وانما الخلاف بينهما اعتباري . فمن حيث ان الثوب مثـلا تركب من مادة وهي الكتان . وصورة ، وهي كونه ثوبا : جسم . فلذا ، يذكره فى التفريع الآتي وهو قوله : فالجوهر ... الخ « انتهى » .

39 — قولــه : تصرف ، اي كالذهاب والمجيء مثلا .

40 — قولــه : وتدبير ، اي كالاكل والشرب مثلا .

41 — قولــه : فالنفس ، وهي عندهم جوهر مجرد ، اي لا مادة له . «انتهى امير » .

42 — قولــه : فالجوهر ، هذا تفريــع على ما تقــدم ، مــن عنــد قولــه : واعلــم الى مـــا هنـــا . .

43 — قولــه : والعرض واحد ، لعلة اراد الجنس ، والا ، فاقسامه تسعة (انتهى امير)

44 — قولــه : وانكروا ، هذا معطوف على قوله سابقا : ففسروه . ودليلهم على انكاره انه لو فرض خط من ثلاثة جواهر فردة ، فلا يخلو اما ان يكون الوسط مانعا من تلاقي الطرفين ، اولا . لا سبيــل الى الثاني بل والى الاول . لانه لو لم يكن مانعا من تلاقي الطرفين ، لكان الوسط داخلا فى احد الطرفين ، فيحصل بين الاجــزاء تداخل ، وهو محال ، اذا كان من غير نمو . ويلزم عدم الوسط ، والفرض ثبوته . وحينئذ يثبت كونه مانعا من تلاقيهما . فلا يلاقي الوسط احد الطرفين غير مـا يلاقي به الآخر . وحينئــذ ينقسم الوسط . وقد فرضنــاه غير منقسم . فهذا خلف . وقد يقال : هذا انما يوجب ان الوسط : له نهايتان . والنهايــة ، امــر اعتباري . وحينئذ لا يلزم من ذلك انقسامه . على هذا ، الرد ليس قويا فدليلهم قـــوي . « انتهى » .

45 — قولــه : ونحن نقول ، هذا دليل الزامي والدليل الذى يرد عليهم ان التفاوت بين الجبل والحجر الصغير اما ان يكون التفاوت بينهما بجزء منقسم او لا فلا يخلو ان يقولوا بالثاني او الاول . فلو قالوا بالثاني لزمهم ثبوت الجوهر والعــرض ان هم انكروه . ولو قالوا بالاول فلابد ان ينتهي الى ما لا ينقسم وهو المطلوب .

46 — قولــه : وفيه ما فيه ، وهو عدم دليلهم على ذلك . « انتهى تقرير » .

47 — قولــه : فالجوهر عندهم .. الخ . اي فكل جوهر عندنا جوهر عندهم ولا عكس فبينهم العموم والخصوص المطلق . « انتهى تقرير » .

48 — قولــه : خلاف الظاهر ، اي لان الاين هو الحصــول فهو من الامــور الاضافيــة « انتهى تقرير » .

49 — قولــه : ففسروه ، فعلى هذا يكون تارة معروضا للجسم التعليمي وتارة يكون معروضا لغيره . « انتهى تقرير » .

50 — قولــه : نظرا ، هذه علة للتسمية واذا كانت توهم ان التسمية مجازية . « انتهى تقــرير » .

51 — قولــه : تفسيرات اربعة ، التفسير الاول للمعتزلة والثــاني للفلاسفــة والثــالث للمتكلمين والرابع للغويين . « انتهى » .

52 — قولــه : بخلاف الآن ، فانه اسم للجزء من الزمن الذى لا يتجزأ . ولما كان هذا الجزء يلاحظ غالبا فى الحال ، التى نقول انما فيهــا ، نحت له اسم من ضميــر المتكلم فقيل آن . وفى الاشارة والنظائر : اصل آن اوان ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا ثم حذفت احــدى الالفيــن الساكنتيــن « انتهى امير » .

53 — قولــه : المقدار ، وهو قار . والزمن ، اي وهو ليس بقار . « انتهى امير » .

54 — قولــه : وها هنا امور ، ها هنا خبر مقدم . امور ، مبتدأ مؤخــر . وقولــه : منهما ، اشارة الى ان المؤلف لم يذكرها كلها . وانما ذكر بعضها « انتهى تقرير ».

55 — قولــه : خلافا للفلاسفة فانهم يقولون : ان الاجسام ، ليست مرئيــة . والمرئــي انما هو العرض . « انتهى تقرير » .

56 — قولـه : المحصل ، بصيغة اسم المفعول . هو اسم كتاب للامام الفخـر الـرازي « انتهى امير » .
57 — قولـه : في التحيز ، على تقدير مضاف اي في حالة التحيز . يعني والمرئي في حالة التحيّز انما هو الجسم ، وهذا الدليل ليس بقوي ، لان لهم ان يدعوا ويقولوا : المرئي في حالة التحيز ، انما هو العرض . والجسم محجوب بالعرض .
58 — قولـه : والعرض لا يتحيز ،اي فلا يرى .
59 — قولـه : وعليه الاكثر . الحاصل ان العلماء ، اختلفوا . فأكثر العلماء يقول : ان الاجسام لا تنفك عن العرض . وعليه ، فالماء له لون البياض . وانما هو لشفافيته لا يحجب لون انائه . وكذلك بعض العلماء يقول : ان بعض الجسم ينفك ، وبعضه لا ينفك . وعلى هذا ، فلا يستدل على حـدوث العالـم بملازمتـه للاعـراض . « انتهى تقرير » .
60 — قولـه : ان العرض المراد بالعرض : ما يشمل الكيف والكم .
61 — قولـه : كما هو معلوم ، فان قيل : يلزم عليه تشبيه الشيء بنفسه ، وهذا ممنوع. ويجاب : بأن المشبه والمشبه به اختلفا ، بالاعتبار . فمن حيث ان المشبه صادر من المؤلف ، مخالف للمشبه به ، من حيث انه معلوم من القواعد . « انتهى تقرير ».
62 — قوله : فتقييدهم ، اي في قولهم فيما تقدم : الكم عرض ، يقبل القسمة لذاته .
63 — قولـه : والتفصي ، بالتاء والفاء (كذا) والصاد والياء . المراد به التخلص من الاشــكال .
64 — على تقدير مضاف الى ان بياض الجوهر .. الخ . بدليل ما تقدم الكلام فيه وهو العرض.
65 — قولـه : من غير توقف ، هذا مشكل ، كيف يقول من غير توقف على شيء ؟ مع انه متوقف على الكم ؟ الا ان يقال : ان الكم ، ثابت من أول الامر . «انتهى تقرير».
66 — قولـه : وهو تابع له ، اي والجسم التعليمي تابع له . اي الجســم الطبيعـي ، وقوله : في ذلك ، اي القسمة . وقوله : ولو كان شرطا ، اي ولو كان الجسم الطبيعي شرطا في تحقيق الجسم التعليمي . « انتهى تقرير » .
67 — قوله : ولا يخفى ، اي ولا يخفى عليك أن تبعية انقسام الجسم التعليمي للطبيعي ، انما هو عند الاصحاب اي اهل السنة ، بخلاف يرهم . « انتهى تقرير » .
68 — قولـه : ومرادهم : عائد على الاصحاب وان كان يوهم عوده على ما قبله « انتهى تقريــر» .
69 — قولـه : بأن يفرض ، هذا تصوير للوهمية فالوهمية معنى ، الفرضية. اي باعتبار الوهم، وحينئذ فنرجع للوهمية والا فبينهما فرق . وحاصله كما ذكره الشنواني ، في حاشيته على عبد السلام : ان له هو حكم العقل ، الـذى لا يتوقـف علـى غيره ، بخلاف حكم الواهمة ، فانه يتوقف على ادراك المحكوم عليه ، وهو أساس الفرض ، الذى هو التقدير الناشيء من العقل .
70 — قولـه : هويتين : تثنية هوية . وهي الذات والحقيقة . والذى ضبطته من افواه المشايخ : انه بضم الهاء والواو . ورأيته في بعض الهوامش بضم الهـاء وكســر الــــواو .
71 — قولـه : ويمنعون فيقولون انها أمور اعتبارية . « انتهى تقرير » .
72 — الواو حالية . اي والحال .
73 — قولـه اللسان ، اي اللغة .
74 — قولـه : مقارنة ، كما اذا قلت ، آتيك طلوع الشمس . فالاتيان مجهول ، والطلوع معلوم ، فالزمن مقارنة الاتيان للطلوع . « انتهى تقرير »
75 — قولـه : نفس الفلك : المراد بالفلك ، العرش . ولكن هذا مشكل ، لانهم لايمنعون انقسام الزمن الى درجة والى ساعة ، فيلزم على قولهم بأن الزمن نفس الفلك ، انقسام الفلك الى درجة والى ساعة ، وهذا لا يعقله عاقـل . فلعل صاحب هذا القول يرجع الى الحركة « انتهى » .
76 — قولـه : المعدل ، المراد بالمعدل : شيء في وسط الفلـك ، يستـوي عنده الليل والنهــــار .
77 — قولـه : سيال ، اي يوجد شيئا بعد شيء .

78 — قولـه : والوحدة ، المأخوذة مما سيأتي ان الوحدة صفة الواحد فكأنه جرى عليه المشاكلة . وعلى كل ، فالصواب حسنه الواحدة . .

79 — قولـه : نهاية الواحد ، اي نهاية الشيء الواحد ، اعتـرض بأن واجب الوجـود متصف بالوحدة وهو منزه عن النهاية . فتفسير المؤلف الوحدة بالنهاية مشكل . ولعله نظر لمشاكلة تعريف النقطة بالنهاية .

80 — لكن ، استدراك على كون الواحدة أعم . ورايت فى بعض الهوامش : انه استدراك على قوله : والنقطة اخص . وهو الاقرب بدليل ما بعده والمآل واحد . « انتهى » .

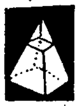
81 — قولـه : سعد العقائد ، اي شارحها . والكمال هو ابن ابي شريف ، محشي شرح السعـد عليـهـا .

82 — قولـه ، قضية مهمله ، اي فى قوة الجزئية القائلة : قد تكون النقطة نهاية الخط وقد لا تكون نهاية الخط كالمركز . فظهر منه : ان نهاية احـد سطحـي المخـروط المستدير وهو السطح المبتديء من القاعدة المنتهي الى نقطة هي نقطة بلا خط ، كمركز الدائرة .

83 — قولـه : المخروطي ، نسبة للمخروط . وهو شكل يحيط به سطحـان احدهمـا قاعدته . والآخر مبتديء منه ويضيق الى ان ينتهي بنقطة هي راسه . فان كان

 السطحان مستديرين سمـي صنوبريـا ومستديـرا وصورتـه هكـذا

والا سمي مضلعا لتالك الخطوط المستقيمة الخارجة عن قاعدته من المركز المنتهية

الى ذلك الخط متساوية . وصورتها هكذا  والنقطة التى فـى وسـط

تلك الدائرة يقال لها مركز  انتهى . وسمى فى عصرنا الهرم (حقي)

84 — قولـه : فليسـا من المقولات ، اي لانهما لو كانتا من المقولات لكانتا جنسين . والجنس لا بد وان يكون له فصل يميـزه ، فجـاء التركيب ، مع « اي » الفرض بساطتهما « انتهى تقرير » .

85 — قولـه : التهذيب ، اي الذى هو متن السعد .

86 — قولـه : أو من الامور ، اي فليست من الاعراض .

87 — قولـه : كما هو القول الصحيح ، التمييز يحتمل رجوعه لكون النقطة والوحـدة امرا اعتباريا . ويحتمل رجوعه للامور الاعتبارية « انتهى تقرير » .

88 — قولـه : كالوجوب ، اي فانه واجب . ومقتضى الحكم عليه بالوجوب فى قولنا انه واجب ان يكون له وجوب . وهكذا فيتسلسل ولا ضرر فيه . لانه أمر اعتباري اي ليس ثمة الا ذات متصفة بالوجوب .

89 — قولـه : والامكان ، ان اريد به الامكان الذاتي ، فاتصاف الممكن به واجب . اذ لو كان جائزا ، لكان اتصاف موصوفـه بالوجـوب أو الاستحالة ، وهو محـال . وحينئذ ، فنرجع للوجوب الاول . وان اريد به الامكان الوقوعي ، المفسر بحصول الممكن بعد عدم ، واتصافه به ممكن ، صح انه مقال للوجـوب الاول . ويتعيـن حمل الوجوب عليه ، دفعا للتكرار . « انتهى تقرير » .

90 — قوله :والبقاء ، فيه أن البقاء صفة سلبية . والجواب ان السلب والاعتبار واحد. « انتهى تقرير » .

91 — القاضي : عياض . والامام : الرازي .

92 — قولـه : ولم ينقسم ، اي كالجوهر الفرد « انتهى امير » .

93 — قولـه : الواحد الشيء ، يلزم من تعريف الواحد بالشيء ، الذى لا ينقسم . . . تعريف الوحدة بكونها : كون الشيء . . « انتهى تقرير » .

94 — قولـه : القاصد ، اسم كتاب لسعد الدين التفتازاني . « انتهى امير » .

95 — قولـه : طردا ، راجع لتعريف الوحدة . قوله : وعكسا : راجع لتعريف الكثرة . فهو لف ونشر مرتب . . « انتهى تقرير » .

96 — قولـه : بالاتصال ، هذا قسم . وقوله : بالاجتماع وبالارتباط وبالتركيـب هـذا قسم آخر . .

97 — قولـه : كالمقدار : اي فان المقدار كالعامود مثلا ، ينقسم الى امـور ، اي اجـزاء متشابهة ، فى الاسم . وهي الحجرية ، وفى الحد وهو كونه جسما ليس بجسمين.

98 — قولـه : المنفطر ، ضبطه شيخنا الشيخ فتح الله ، بضم الميم وسكون النون بعدها وفتح الفاء بعد النون . وهو كتابة عند الشيء الواحد . « انتهى امير » .

99 — قولـه : نحو زيد ، تقدم ان المؤلف : جعله مثالا للوحدة الحقيقية . فهذا مشكل ، فلعله ناظر لكلام الامام ، فى جعله الوحدة ما لا ينقسم اصلا . فلذلك ، جعله مثالا للوحدة الاضافية .

100 — قولـه : والثالث : وهو الوحدة الذاتية بالجنس . اي افراد الانسان والفرس ، بالنظر لكل فرد على حدة .

101 — قولـه : والرابع : اي الوحدة بالنوع .

102 — قولـه : بالانسانية ، اي بالنظر لمجموع الحيوانية والناطقية .

103 — قولـه : والخامس ، اي الوحدة بالفصل .

104 — قولـه : بالناطقية ، اي وتقطع النظر عن الحيوانية .

105 — قولـه : كالكاتب .. الخ اي كمفهوم الكاتب وهو ذات تثبتت بها الكتابـة . وذات تثبت لها الضحك .

106 — قولـه : واحد فى الانسان ، مبني على ان النوع ، خارج عن الماهية . وهو احد اقوال ثلاثة . وقيل : داخل فيها . وقيل : لا . « انتهى تقرير » .

107 — قولـه : جعل المقدار ،.. كما سبق فى امثلة النوع الاول .

108 — قولـه : مشكل : لا اشكال . لانها وحدة اضافية .

مقولة الكيف

وهو كما قال العلاّمة الثانى (1) : عرض لا يتوقف تعقله على تعقـل الغير ، ولا يقتضى القسمة ، واللاقسمة فى محله اقتضاء أوليا (2) . فخرج الجوهر ، وباقى الاعراض النسبية ، كما لا يخفى . والنقطة والوحـدة ، بناء على القولين (3) ، لا على أنها من مقولة الكيف . وقوله : كما قال اقتضاء أوليا ، مدخل فى الحد ، ومخرج . يعنى من النفـى ، لما يقتضيهمـا لكـن اقتضاء ثانويا . كالعلم من مقولة الكيف (4) ؟ فان اقتضاءه للقسمـة ، واللاقسمة ، ليس اقتضاء أوليا ؟ بالنظر الى ذاته ، بل ثانويا ، بالنظر الى متعلقه . لكن لا يخفى عليك ـ كما قال العلامة يس فى حواشيه ـ ان قوله فى محله (5) ، مغن فى ادخال ما ذكر كالعلم عما ذكر . أعنى قوله : اقتضاء أوليا . فان العلم لا يقتضيهما فى محله ، وان اقتضاهما فى متعلقـه . لان متعلق العلم ، ليس محلا له . فافهم (6) .

وقد أورد العلامة شيخ الاسلام الهروى ـ حفيد السعد ـ أيضا . على التعريف : الكيفية المركبة ، كالمزوزة (7) . والنظرية كالعلم النظرى فى أن كلا منهما ، يتوقف تعقله على تعقل الغير ، كما لا يخفى . فلا يكون التعريف بما لا يتوقف ، جامعا . وأجاب : بأن المراد بالغير ، الواقع فى التعريف ، معناهما عند المتكلمين . وهو المنفك . لا اللغويين ، وهو المخالف .

وحينئذ : يكون المعنى : الكيف عرض ، لا يتوقف تعقله على تعقل مـا ينفك عنه . وان توقف على ما يخالفه ، ولا ينفك عنه . فيخرج الاضافـات ـ كما تقدم ـ كالضرب ، من مقولة الفعل . فانه يتوقف على تعقل ما ينفك

عنه . وهو ذات الضارب (8) . وتدخل الكيفية المركبة ، فانها لا يتوقف تعقلها على تعقل أمر ينفك عنهما . وان توقف على تعطل أمر مخالف ، لا ينفك . وهو مجموع ما تركبت منه ، كحلاوة الرمان ، وحموضته ، فان مجموعهما ، لا ينفك عن المزوزة . فهى موقوفة (9) على تعقل « غير » بمعنى غير موقوفة على تعقله بمعنى آخر ، بأن المراد بالمنفى ، فى قوله : لا يتوقف تعقله ، لزوم التوقف . وحينئذ ، يصرف على العلم النظرى ، أنه عرض لا يتوقف تعلقه على تعقل الغير. بل قد يكون كذلك (10) كما فى حقنا . وقد لا يكون ، كما فى حق الملك . وقد وضحته غاية التوضيح .

فائدة

الكيفيات أربعة . ووجه الحصر : أن الهيئة المرسومة ، اما أن تكون مختصة بالمقدار ، أولا (11) .

الاول (12) : كيفيات الكميات (13) . كالزوجية والفردية (14) والاستقامة والانحناء والطول والعرض (15) والنقطة على أنها من الكيف (16) ... من هذا القبيل . الا أن يمنع الحصر (17) .

والثاني (18) : اما أن يتعلق به الادراكات أولا .

الاول (19) : المحسوسات وهى اما راسخة كحلاوة العسل وحرارة النار أو غير راسخة ، سريعة الزوال (20) وتسمى انفعالية ، لانفعالات موضوعاتها بها ، كحمرة الخجل ، وصفرة الوجل . وبطيئة كملوحة الماء .

والثاني (وهو ما لا تتعلق به الادراكات) اما ان يوجب كمالا أولا .

الاول الملكات كملكات العلم والكتابة ، وليست عبارة عن احضار ما ذكر ، بل عن الاقتدار عليه بلا كلفة . والفرق بينهما (أى الملكات) وبين الاحوال ، بالعرض لا بالذات . كما ظن (21) فان قويت عسرة الزوال ، فملكات ، وان وهت سهلة الزوال ، فأحوال .

والثاني ، أي الذي لا يوجب كمالا ، المعدات (22) ، وهي ما يوجب استعدادا سريع الانفعال ، ويسمى (23) بلا قوة ، كاللين الموجب للانقسام بسهولة . والتعبير عن هذا (24) ، بسلب مقابله ، لكونه ليس لـه اسـم ، محصل له ، لا يوجب أنه عدمي ، كما ظن (25) . بل هو أمر وجودي ، كما هـو ظاهـر .

---

1 — العلامة الثاني ، المراد به : السعد . والعلامة الاول ، هو القطب الشيرازي .
2 — قولـه : اقتضاء اوليا ، مقول لقوله . وقوله « كما قال » معتـرض بين القـول ومقوله . والضمير في « قولـه » عائد الى العلامـة الثانـي ، الذي هو السعد . « انتهى تقرير » .
3 — اي انهما امر اعتباري او نوع مستقل .
4 — اي على الصحيح .
5 — قولـه : في محله ، اي قوله اقتضاء اوليا .
6 — قولـه : فافهم ، ملخصه : أن العلم ، من مقولة الكيف ، لانه لا يقتضي القسمة واللاقسمة ، لا اقتضاء اوليا ، ولا ثانويا ، من حيث محله .. وهو الذهن . وكذلك من حيث متعلقه ، بقطع النظر عن الكم ، واما بالنظر له ، فانما يقتضـي القسمـة اقتضاء ثانويا لا اوليا . وهو على كل حال ، من مقولة الكيف . « انتهى تقرير » .
7 — قولـه : كالمزوزة ، هو طعم بين الحلاوة والحموضة .
8 — قولـه : ذات الضارب ، اي والمضروب ففيه اكتفاء على حد سرابيل تقيكم .. الخ .
9 — قولـه : فهي موقوفة ، اي المزوزة موقوفة على تعقل غير مفسر بمعنـى . وهـو المخالف غير المنفك .
وقولـه : موقوفة : بالرفع ، معطوف على موقوفة وهو خبر ثـان لهي . اي ان المزوزة ، غير موقوفة على تعقل الغير المفسر بمعنى آخر ، غير المعنى الاول ، وهو المنفك .. الخ . « انتهى تقرير » .
10 — قولـه : كذلك : اي لا يتوقف تعقله على تعقل الغير . وقوله : وقد لا يكون ، اي لا يتوقف .
11 — قولـه : بالمقدار ، المراد به ، الكم ولو منفصلا . « انتهى تقرير » .
12 — قولـه : الاول ، اي المختصة .
13 — اي المقاديـر .
14 — قولـه : والفردية ، يجعل الواحد مقدارا ، فهو خارج عن الموضوع .
15 — قولـه : والطول ، وهو اطول الامتدادات ، او ما فرضته اولا ولو قصيـرا علـى الخلاف المتقدم . « انتهى تقرير » .
16 — قولـه : على انها من الكيف ، فيه ان النقطة ، لا مقـدار لها ، الا ان يلاحـظ ما انتهى بها « تقرير » .
17 — استدراك على كون النقطة ، من كيفيات الكميات ، التي هي المقادير . فهو راجع للنقطة (انتهى تقرير) .
18 — قولـه : والثاني : اي وهو الذي لا يختص بالمقدار « انتهى تقرير » .
19 — قولـه : الاول ، اي الذي تتعلق به الادراكات .
20 — قولـه : سريعة الزوال ، تفسير لقوله : غير راسخة .
21 — قولـه : كما ظن ، راجع للمنفي ، وهو كونها بالذات .
22 — قولـه : المعدات ، جمع معدة على صيغة اسم الفاعل .
23 — اي ذلـك المعـد .
24 — اي ما يوجب استعدادا سريع الانفعال .
25 — اي فيمـا تقـدم .

مقولة الإضافة

وتسمى النسبة المتكررة (1) . وهى لا تعقل ، الا بالقياس الى نسبة أخرى ، لا تعقل ، الا بالنسبة اليها . أقول : وهو دور معى (2) لا سبقى ، فلا اشكال . سواء أكانتا متفقتين كالاخوة (3) ، أو مختلفتين : كالابوة ، والعمومة ، والامومة ، والزيادة ، فان الاخوة ، لا تعقل الا بنسبة أخرى ، وهى الأخوة . والابوة ، لا تعقل ، الا بأخرى ، وهى البنوة . وكذلك الامومة ، والعمومة ، لا تعقل ، الا بنسبة أخرى ، وهى : ولديه الاخ والزيادة ، لا تعقل ، الا بأخرى ، وهى النقص ، فكل اضافة ، نسبة ، ولا عكس (4) . فان النسبة ، ان كانت موقوفة فى تعلقها على شىء آخر ، لا يلزم أن يكون ذلك الشىء نسبة ، ولا موقوفا عليها ، كما نبه على ذلك على، والعلامة البخارى . نوع تنبيه فى حواشيه (5) وحينئذ ، تكون النسبة عندهم : بالمعنى الاخص ، عرضا موجودا ، هو هذه المقولة . وأما بالمعنى الاعم ، فتارة تكون كذلك عرضا موجودا ، كما فى باقى المقولات الآتية ، فان جميعها نسب . وتارة لا ، كما فى النسبة العدمية . ونحن نقول : النسبة مطلقا أمر اعتبارى (6) ليس عرضا موجودا ، كما تقدم . وقد رد عليهم : بأنهم يصفونه — تعالى — بما هو اضافة كالملك (7)، مع امتناعهم — قبحهم الله — عن وصفه — تعالى — بما هو وجودى ، فكيف يجعلون الاضافة أمرا وجوديا ؟ الا أن يقولوا (8) : الوجودين : ذوا الاضافة .

فائدتان

الاولى : الكليات (9) ، من مقولة الاضافة . مثلا : الجنس (10) ، نسبة لا تعقل ، الا بأخرى . وهو النوع . ويأتى تحقيق ذلك .

الثانية : قال القطب ابن التلمسانى ، وقد تعرض (11) الاضافة للمقولات كلها : كالابوة ، والبنوة ، للجوهر . والصغر والكبر ، للكم المفصل والاحرية والابردية . والاقربية والابعدية ، للاضافة . أعنى : القرب والبعد . ولا يقال : كيف يعرض الشيء لنفسه ؟ كما لا يخفى ، والعلو والسفل ، للأين (12) . والاقدمية والاحدثية ، للمتى . والاسدية ، انحناء وانتصابا (13) للوضع . والاكسوية والاعروية ، للملك . والاقطعية (14) ، للفعل . والاشدية تقطعا ومنحنى ، للانفعال (15) .

---

1 — قوله : النسبة المتكررة ، اي النسبة التى حصل بها التكرر . ولا تعقل ، الا بالقياس اليها ، اي النسبة الاولى . وقوله : المتكررة ، لما ان كلا من الاضافتين مكررة بالنسبة للاخرى .

2 — قوله : دور معي لا سبقي ، الممنوع ، الدور السبقي . وهو ما اقتضى سبق احد الامرين على نفسه . ككون زيد أوجد عمرا . وعمرو أوجد زيدا . لا الدور المعي ، وهي الصدق بوجودهما معا : كالابوة والبنوة .

3 — قوله : كالاخوة ، هي الاتفاق فى جهتي النسب او احداهما . وهذا ، يقتضي ان المقارنة من الاضافة . فالفعل بالمعنى المصدري ، وعد الفعل مقولة ، مقابلة الاضافة، انما هو على مذهبهم فى الفعل . لا عندنا ، من ان فعل العبد مجرد مقارنة . هذا هو الظاهر . وان التزمت : ان المقارنة والاجتماع والاخوة ، نسبة واحدة ، تقدم بشيئين ، خرجت عن الاضافة . لكن يبقى النظر فى انهما من اي المقولات حينئذ ؟

4 — قوله : فكل اضافة نسبة ولا عكس ، تفريع على تعريف الاضافة المتقدم . هكذا قيل . وفيه : انه لا يظهر ، الا بالنظر للشق الاول ، من شقي التفريع . ولا يظهر بالنظر للثاني (وهو قوله ولا عكس) لان تعريف النسبة ، لم يتقدم فى كلامه راسا . ويجاب : بأن تعريفها ، معلوم عندهم . ووجه اعمية النسبة ، أنها لاتعقل ، الا بين نسبة ، وشيء آخر أعم من ان يكون كذلك . بخلاف الاضافة ، فانها لا تكون ، الا بين نسبتين . « انتهى تقرير » .

5 — اي حواشيه على المحلى .

6 — اي ولا نقول بوجود شيئين من هذه المقولات ، بحيث يصح ان لا يرى ، الا الجوهر والكيف ، كالبياض ، والباقي ثابتة فقط .

7 — اي مالكيته للاشياء .

8 — اي يوافقون على أن الوجودين ذوي الاضافة .

9 — الكليات ، اي صفاتها كالجنسية .

10 — قوله : الجنس ، اي جنسية الجنس . فهو على حذف مضاف ، وانما قدرنا المضاف ليصح الاخبار بقوله : نسبة . وقوله ، لا تعقل الا بأخرى . اي الا بتعقل نسبة أخرى . وقوله : وهو النوع ، اي نوعية النوع . « انتهى تقرير » .

11 — قوله : وقد تعرض ، هذا ظاهر ، على أن الاضافة ، امر اعتباري ، كما هو مذهبنا . أما على مذهبهم ، انها موجودة .. فالعرض الوجودي ، لا يقوم بالعرض. لان العرض ، لا قيام له بنفسه ، حتى يقوم بغيره ، فهل يتم هذا ؟ تأمل.

12 — ذلك على التوسع . والا فالموصوف بهما ـ فى الحقيقة ـ انما هو المكان ، لا الأين الذى هو الحصول . كما سيأتي .

13 — قوله : انتصابا وانحناء . كل منهما تمييز للاسدية .

14 — قوله : والا قطعية ، وهي تأثير الشيء فى غيره ، ما دام مؤثرا فيه .

15 — وهو كون الشيء متأثرا عن غيره ما دام متأثرا . « انتهى تقرير » .

مقولة الأين

وهو حصول الجسم فى المكان . وسمى « أينا » لوقوعه جوابا لاين . كذا ، ويسمى « الكون » أيضا . وقد ذهب المتكلمون : الى أنه أمر وجوبى. وألزمهم الغزالى باعترافهم ، بأنه من النسب — كما تقدم — وأجاب الفهرى باحتمال أن الوجودى ، ذو النسبة . والاكوان أربعة :

حركـــة : وهى كون أول (1) ، فى حيز ثان .

وسكون : وهو كون ثان ، فى حيز أول . أقول : هذا يقتضى أن الكون الأول ، فى الحيز الاول ، واسطة (2) بين الحركة والسكون . نعم . ان قيل: الكون ، ان كان حصولا أو لا ، فحيز ثان ، فحركة ، والا فسكون . فـــلا واسطة . وارجع الى المطولات .

واجتماع وافتــراق (3) ، وهو ظــاهــر .

---

1 — قونــه : كون اول ، ما ذكره الشيخ فى تعريف الحركة والسكون ، انما يتاتى على القول ببساطتهما واما على القول : بانهما مركبان ، فتعرف الحركة بانهما كونان فى مكانين ، فى زمانين ، والسكون ، بأنه كونان ، فى زمانيــن ، فى مكــان واحــد (بتصرف من ص) .

2 — قولــه : واسطة ، اي يقتضي ان يكون الثاني ، فى الحيز الثاني ، واسطة . بل هو فيه اول ، للكون الاول .

3 — قولــه : واجتماع وافتراق ، كونه ادخلهما فى الاين . لان الاجتماع ، حلول فى مكان مع اتصال . والافتراق مع الانفصال . هذا ، والنظــر ان الاجتمــاع نفــس الاتصال . والافتراق الانفصال ، فهما من الانفعال ، لا الاين . تأمل .

مقولة المتى (1)

سمى بذلك ، لوقوعه جوابا « لمتى » وهو كما فى ابن التلمسانى ، حصول الشىء فى الزمان أو فى الآن (2) . والفرق — عندهم — أن الزمان، يقبل التجزئة . والان ، لا يقبلها . وليس بمقدار . ونسبته للزمان ، كنسبة النقطة للخط . وينقسم الى « متى » حقيقى ، وهو كون الشىء فى زمان يطابقه ، ولا يزيد عليه : كالخسوف فى ساعة كذا . والى مجازى : كالخسوف يوم كذا . وهما فى « الأين » أيضا .

---

1 — قوله : مقولة المتى ، اعلم ان لفظة « متى » تصلح لمطلق زمان ، بخلاف أيان فانها خاصة بالاستقبال .

2 — قوله : حصول الشيء .. الخ . عبارة ابن قاسم . او الهيئة التابعة للحصول فى الزمن ، او طرفه . وهو الآن ، كالحروف الاتية الحاصلة دفعة ، مثل الباء والطاء. وينقسم المتى — كالأين — الى حقيقي كاليوم فى الحصول . والى غير حقيقي كالاسبوع والشهر والسنة لما وقع فى بعض اجزائها . فانه يجوز ان يجاب بها للسؤل بمتى . الا ان المتي فى الزمان الحقيقي ، يجوز ان يشترك فيه كثيرون . بخلاف المكان فى الأين الحقيقي .

مقولة الوضع

وهو هيئة حاصلة من نسبة أجزاء الجسم ، بعضها الى بعض . ومن نسبتها الى أمر خارجي عنها ، بأن تخلق تلك الاجزاء ، بتلك النسبة ، فى الموازاة والانحراف والقرب والبعد ، بالقياس الى جهات محوية ، وذلك كالقيام ، انما كان القيام وضعا ، لانه هيئة . اعتبر فيها نسبة أجزاء الجسم بعضها الى بعض بالطبع ، كالجلد بعض . ونسبة مجموع تلك الاجزاء الى أمور خارجية عنها ، ككون رأسه من فوق ، ورجليه من أسفل . الانسان ، واما بغيره : كالقعود والتربع والاستلقاء والاستقرار وكون الشخص راكعا أو ساجدا . وظاهر كلام ابن سينا والامام والاستاذ (1) ، أنه يشترط فى الوضع ، نسبتان . كما تقدم . وأقول (2) : لا مانع من تحققه بنسبة واحدة . ويمكن أن يقال : المحقق بالنسبة الواحدة ، بعض الهيئة . فلا يكون وضعا . لانه الهيئة كلها . فانا لو اكتفينا بالنسبة الاولى مثلا ، لكان انعكاس القامة ، يبقى قياما . وهو باطل (3) .

فائدة

يطلق الوضع — أيضا — بالاشتراك ، على ما يعرض للكم المتصل ، من أجزاء (4) منفصلة ، يشار الى كل واحد منها بأين (5) هو من الآخر ؟ وهذا قريب من الوضع ، الذى هو المقولة . والفرق بينهما ، هو : أنه ليس لكمية أجزائها المفروضة ، جهات مستقلة ، لما أنها أعراض عندهم . وأمور اعتبارية عندنا — كما تقدم — وعلى ما يكون (6) فى جهة معينة ، بحيث

يمكن أن يشار اليه اشارة حسية . سواء أكانت له أجزاء بالفعل : كالاول ، أو بالقوة كالثانى . أولا ولا (7) : كالجوهر الفرد. وكالنقطة على ما لبعض(8) فللوضع معان ثلاثة ، غير تعيين اللفظ ، للدلالة على معين بنفسه ، وغيره . بل على شىء (أى كما هو الفرق)

---

1 — الامام اي الفخر الرازي . والاستاذ هو ابو اسحق الاسفرايني .

2 — قولـه : واقــول : فى هذا القول نظر فانه لا يحكم علي جزئياته فوق اجزاء ، الا اذا اعتبر نسبتها للمحيط ضرورة . وكذا غيره فالنسبة للخارج لا ينفك «امير».

3 — فيه نظر . بل يكون وضعا نقط وهو صحيح .

4 — قولـه : من ، للتعليل ، اي من اجل .

5 — اي ، فيقال : اين كذا من عام كذا ؟ فيقال : قريب او بعيد .

6 — قولـه : وعلى ما يكون : اي وهو من مقول الأين .

7 — قولـه : لا ولا ، أنه ليس له جزء حقيقي ولا مجازي كالجوهر « امير » .

8 — قولـه : على مالبعض ، كما هو عند علماء الوضع .

مقولة الملك

وهى هيئة حاصلة للشىء بالنسب: لما يحيط به . وينتقل بانتقاله ، فهو أعم من الوضع من وجه . فبينه وبين الوضع ، عموم (1) وجهى ، كما لا يخفى . وذلك : كالتعمم (2) والتقمص والتختم والتسلح (ابن التلمسانى) ، ولا بد فى هذه المقولة من حصول شرطين :

الاول : الاحاطة ، اما بالطبع ، كجلد الانسان ، واما بغيره . اما بكل الشىء : كحال الهرة عند ارهابها ، وهو ذاتى . أو ببعضه ، كحال الانسان عند تختمه ، وحال الفرس عند الجامها واسراجها ، وهو عرضى .

والثانى (3) : أن ينتقل بانتقاله ، كالامثلة السابقة . أما اذا وجد أحدهما دون الآخر ، فلا يكون ملكا . فوضع القميص على رأسه ، وان (4) كان ينتقل ، لا يكون ملكا ، لعدم الاحاطة . والحلول فى الخيمة وان كان (4) كان مشتملا على الاحاطة ، لا يكون كذلك ، لعدم الانتقال . وقد يعبرون عن هذا الجنس : بالجدة والوحدة ، لكونه الراجع الى القدرة ، كما فى قوله تعالى : اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم .

---

1 — قوله : عموم وجهي ، اي فينفرد الوضع فى القيام والملك فى التقمص ، اذ ليس القميص جزءا ، تأمل ، ويجتمعان فى الانسان ، بالنسبة لجلده .

2 — قوله : كالتعمم، اي كأثره . لان كلا من التعمم والتقمص ، فعل الفاعل فلا يصح ان يكونا من مقولة الملك .

3 — قوله : والثاني : حاصله : ان الاقسام ثلاثة :
الاول : ان توجد الاحاطة بالشيء والانتقال بانتقاله ، كما تقدم من الامثلة ، وهي كالتعمم .
والثاني : ان يوجد الانتقال دون الاحاطة كوضع القميص على الراس .
والثالث : ان توجد الاحاطة دون الانتقال ، كالحلول فى الخيمة ، « تقرير شيخنا فتح الله » .

4 — الواو للحال .

مقولة الفعل

وهى تأثير الشىء فى غيره ما دام مؤثرا . فالتسخين ، فعل ، لكونه تأثيرا (1) مع المسخن . والسخونة (2) كيف ، لكونها لا كذلك . وأقول : وكان القيد والنفى ، لا احترازى . لان التأثير ، لا يكون ، الا بدوام المؤثر. فليتأمل .

1 — اي له تعالى حال كونه مصاحبا لوجود المسخن « تقرير شيخنا فتح الله » .
2 — قوله : والسخونة كيف ، اي لانها سخونة . هذا ، والاقرب اخذا مما ياتي : اعتبار الانفعال ، وهو التسخن ، قبل الكيف . « امير » .

مقولة الانفعال

وهى تأثر الشىء عن غيره ، ما دام يتأثر (1) . فتأثر الشمع ولينـه ، انفعال ، ما دام يتأثر للطابع ، ويلين. وبعد ذلك ، كيف . قال شيخ الإسلام ، فى شرح نقطة الزركشى : فان «يفعل وينفعل» (2)، انما يقالان (أى يطلقان) على التأثير والتأثر (3) ، ما داما . فاذا انقضيا ، يقال لهما : الفعل والانفعال (ويقال للناشىء منهما كيف) . فتأمل فى : هل العلم (4) من مقولة الكيف ؟ أو من مقولة الفعل ؟ أو من مقولة الاضافة ؟ أو من مقولة الانفعال (5) ؟ . وراجع تفصيل ذلك ، وثمرته : فى حواشى العلامة يحيى (الشناوى) على أم البراهين . وراجع أيضا : أحكام العرض ، فى المطولات الكلامية .

---

1 — قولـه : وهو تأثر الشيء ، اي وهو المؤثر فيه . وقوله : عن غيره وهو المؤثر . وقوله : ما دام ، اي ذلك الشيء المؤثر فيه ، يتاثر ، اي يقبل التأثير . (انتهى تقرير شيخنا فتح الله) .

2 — قولـه : فان يفعل ، وعليه فيكون من مقولة الفعل ، وقوله : وان ينفعـل وعليـه فيكون من مقولة الانفعال .

3 — قولـه : على التأثير ، راجع ليفعل . وقوله ، والتاثـر ، راجع لينفعـل . فهـو لف ونشر مرتب « تقرير شيخنا فتح الله » .

4 — قولـه : هل العلم ؟ . ذكر السيد الجرجاني ، فى حاشيته على المطول . وغيره : ان العلم ، يطلق على معان ثلاثة : يطلق على الملكات ، وعلى الادراكات ، وعلى القواعد والضوابط . لكن اطلاقه على الادراكات ، حقيقة لغوية ، وعلى الملكات والقواعد ، مجازي لغوي . ثم صار حقيقة عرفية (انتهى ، العلامة امير)

5 — قولـه : هل العلم من مقولة الكيف ؟ وعليه ، فيفسر بحصول صورة الشيء فى الذهـن .
وقولـه : او من مقولة الفعل ؟ وعليه ، فيفسر بالادراك .
وقولـه : او من مقولة الاضافة ؟ وعليه ، فيفسر بالعاليـة ، فانها لا تتعقـل ، الا بالنسبة للمعلومية ، كما علم فى تعريف الاضافة .
وقولـه : او من مقولة الانفعال ؟ وعليه ، فيفسر بتاثير النفس وانفعالها بالصور المدركـة « انتهى تقرير شيخنا فتح الله » .

تتمة

ذهب أقوال : الى أن الجنس العالى ، واحد . وهو من مقولة الوجـود عندهم . ورد بأن الجنس يجب أن يقال على ما تحته ، بالتواطى . خلافا لتوهم القاصر ، من تقسيم المناطقة ، الى : متواطى ، ومشكك . أنه عام فى كل كلى من الكليات : الجنس ، والفصل ، والوجود ، مقول بالتشكك . فلا يكون جنسا ، ولا مقولة ، لان المقولات ـ عندهم ـ هى الاجناس ، ولا تكون ، الا موجودة . وبأن الجنس ، جزء الماهية ، يمتنع فهمها دونـه . والوجود ، تفهم الماهية دونه . فلا يكون جنسا . وذهب أقوال ، الى أنـه مقولتان : الجوهر والعرض . وأقول : الى أنه (1) : أربع مقولات : الجوهر والكم والكيف والنسبة . جعلوها جنسا للنسب السبع . فما عدا الجوهـر والكم والكيف ، وهو السبع مقولات ، مقولة واحدة عندهم ، وهى النسبة . ووجهوا ذلك : بأن مفهوم النسبة ، الذى هو التوقف على تعقل الغير . لو رفع عن واحد من السبع كالاين ، وهو الحصول فى المكان ، مـا بقيـت حقيقته . وهو شأن الكلى الذاتى . ولا يخفى : أنها قدر مشترك ، بين تلك السبع المختلفة الماهية ، يصلح أن تقال فى جواب السؤال عنها (2) بحسب الشركة ، فتكون جنسا (3) لها . وها هنا ترديد (4) . وهو أن النسبـة اذا كانت جنسا ، يلزم أن يكون كل نسبة تحتها ، مركبة من جنس وفصل (5). وذلك محال . لان كل مركب ، فلكل جزء منه ، نسبة الى الاخر . فتلـك النسبة ، ان كانت مركبة ، كانت بين أجزائها حد مشترك ، نسبة أخرى . فان لم تنته الى نسبة بسيطة ، يلزم أن يكون المركب مركبا من أجزاء غير متناهية . وان انتهت الى نسبة بسيطة ، يلزم أن تكون تلك النسبة البسيطة

داخلة تحت مطلق النسبة ، وغير داخلة تحت الجنس ، لبساطتها . فالنسبة ، لا تكون جنسا للنسب عن السبع . وكل ما دخل تحت يتميز بالفصل ، فهو مركب . ويجاب باختيار الشق الاول . ولا نسلم اللزوم ؟ أعنى : أنه يلزم أن يكون المركب .. الخ .. وانما يلزم ذلك ، أن لو كانت النسبة ، التى بين الاجزاء ، داخلة فى المركب ، وليس غايته ، لزوم تحقق نسبة ، لا نهاية لها . وذلك ، جائز . اذا الواحد ، نصف ، وثلث وربع ... وهكذا من غير نهاية . فحاصله : أن الممنوع والمركب مما لا يتناهى لا مجرد وجود ما لا يتناهى ، فلا تركب منه .. الخ .. بتصريف أقول فيه : تأمل من جهة ، أن ما دخل فى الوجود ، معناه فى الحادث فقط ، على الراجح. والكلام فيه . ويمكن أن يقال : القاعدة فى الوجوب ، بالتحقيق ، لا بالاعتبار. فيجوز فى ذلك . وعدم النهاية فى النسب ، من قبيل الثانى . كما فى النظير . أعنى الواحد نصف ... الخ فيكون جائزا . وفيه ما فيه من جهة أن المرعى ، أن النسبة جنس للنسب السبع . والجنس موجود بالتحقيق ، لا بالاعتبار . كما لا يخفى على ذوى الابصار . أو يقال : ذلك الجواب ، مبنى على ما لغير الاصحاب ، من جواز دخول ما لا يتناهى فى الوجود . وذهب من ينسب الى التحصيل منهم ، كأريسطو : الى أن الاجناس العالية ، عشرة . وهى المقولات ، كالمقالات (6) فى الجنس العالى ، أربعة . وفى المقام ، أمور وفوائد .

أما الامور ، فمنها (7) : أن هذه المقولات كيف تكون أجناسا عالية ؟ مع كون كل مقولة منها ، ماهية مركبة : من جنس أعم منها ، وفصل مميز لها ، عما يشاركها فى ذلك الجنس ؟ وجوابه : أن القوم صرحوا : بأن الاجناس العالية ، تعريفها : انما هو بالرسوم الناقصة ، لانه لا يتصور لها جنس كيف . وهى العالية . ولا فصل آخر . لان تركب الماهية من أمرين متساويين، غير محقق ، بل هو احتمالى (8) .

ومنها : كيف يكون الجوهر جنسا عاليا للجوهر ؟ لفهمه دونه ؟ كما تقدم، فى الوجود . بل هو عرض عام له .

ومنها : جعلهم (9) الجوهر ، جنسا عاليا ، دون قسميه ، الذى هـــو العرض ما وجهه ؟ قلت : ــ كما مر ــ أعنى أن العرض ، لو كان جنسا ، لتوقف ما تحته عليه . واللازم باطل . بخلاف الجوهر . فان ما تحته ، متوقف عليـــــه .

ومنهـا : أنهم ردوا جنسية الوجود ، بالتشكيك (10) الذى من أسبابه التقدم والتأخر . فيقال مثله فى الجوهر ، لتقدم الجواهر بعضها على بعض، بل فى كل كلى . ويرتفع التواطى . وجوابه : أن الاختلاف الموجب للتشكيك، لابد وأن يكون واقعا فى نفس المفهوم الكلى . فالوجود لكون (11) ما ذكر من التقدم والتأخر ، واقعا فيه ، من قبيل المشكك ، بخلاف الجواهر ، مثلا فان تقدم بعضها على بعض ، وتأخره ، ليس واقعا فيها . بل فى وجوداتها . وكذا يقال فى (12) الانسان : اختلاف أفراده بالتقدم والبيان مثلا . لا يفيد كونه كليا متواطيا . لكون ما ذكر ، خارجا عن مفهوم الانسان . والحاصل : أن التشكيك ، معناه الاختلاف ، فى نفس المفهوم المشكك . فافهم .

ومنها : أن الجوهر ، لو كان جنسا عاليا تحته ، لكان امتياز ما تحته من الاقوال ، بعض عن بعض ، بالفصول الذاتيات . فحينئذ ، يكون كل نوع منها : مركبا من الجوهرية ، ومما يتميز به عن غيره من الانواع ، فتكون كلها مركبة (13) . وقد زعمتم : أن بعضها بسيط . وجوابه : أن كون الجوهر جنسا لما تحته ، لا تقتضى أن جميع ما تحته مركب منه ، ومن الفصـــول « كما زعمت » بل بعض ما تحته كذلك . وبعضه ــ وهو البسيط ــ تميــز بنوعه وشخصه ، فيكون منفصلا عن المركب (14) . قيل : وهذا الجواب اقناعى (15) .

ومنها : أن الجوهر ، لو كان جنسا للجواهر ، لكانت فصولها أيضا جوهرية . لان فصل الماهية ، من مقولة جنسها . لانها لا تتركب من أمرين متنافيين ، كهذا لجنسها . فليزم أن يكون للفصول فصول أخر ، تميز – وهى جوهرية – لما مر وهكذا .. وبتسلسل ، فيلزم تركب الجواهر ، من أمور غير متناهية ، ومثل هذا ، يجرى فى كل مقولة . مثلا : الكيف ، لو كان جنسا للكيفيات ، لكان فصوله أيضا من الكيفيات ولما مر . واذا كان لها فصول من الكيف ، كان الكيف جنسا لتلك . فيكون لتلك الفصول ، فصول أيضا ، من الكيف . ويتسلسل . وجوابه : تسليم أنها جوهرية ، ومنع كون الجوهر جنسا لها ، لقاعدة أن الجنس ، خارج عن ماهية الفصول ، غايته : أن الناطق ، شىء ذو نطق . وكونه جوهرا أو جسما ، وصف له خارج عنه . فلا يلزم من كونه جوهرا ، كونه جنسا له ، حتى يلزم النهاية ، فى ذات المركب الجوهر . سلمنا : أن الجوهر ، جنس للفصول . لكن لا نسلم لزوم الفصول لها . لان الفصول ، انما تكون للانواع ، لا للفصول . لانها غنية من تمييزها ، عما يشاركها فى ذلك الجنس ، الذى هو الجوهرية ، من جهة أن جوهر الماهية ، الذى هو الفصل ، هو جوهرها ، الذى هو الجنس المتميز ، بالفصل عما يشاركه فى الجوهرية والتغاير بينهما اعتبارى (16) . واذا كان نفس الجنس الذى تميز ، فلا يحتاج الى التميز أيضا . فصح لو كان غيره ذاتا ووجودا ، لاحتاج مثلا الجوهر ، الذى هو الحساس أو الناطق ، هو بعينه الجوهر ، الذى هو الجسم ، أو الجوهر ، الذى هو الحيوان . لكنه باعتبار (17) حصول الحس ، أو الناطقية ، صار حساسا (18) أو ناطقا (19) . انتهى .

أقول : وحاصل الجواب الاول ، منع كون الفصول أجناسها جواهر . « وتسليم التسلسل (20) ، بناء على أن منعه فى الجواهر المركبة ، لا مطلقا خصوصا ان كان اعتباريا جدلا » .

والثاني : بالعكس . قلت : وفيه أنهم صرحوا بأن الفصل ، لابد وأن ينتهي الى فصل بسيط ، كما فى العلامة السنوسى ، وغيره . فهذا صريح فى التعدد . وابطال لقوله . لان الفصول ، انما تكون للانواع لا للفصول . ويمكن أن ما هنا طريقة . وان صرح بأن الناطق جوهر ، ذو نطق . ويمكن أنـــه رسم . وأن قوله شيء ذو نطق ، مقتضاه أن الشيء جنس . مع أنه تقدم ، أنه عرض عام . ويمكن أن يكون رسما ومثالا . وقد فهم من المقام : أنه لا يلزم من كون الشيء من مقولة ، أن يكون جنسا له . فليتأمل .

والبحر ، رد منها : أن الامكان والوجود والوحدة والنقطة ، أمور زائدة، على المقولات المتقدمة . فلا يكون الجنس محصورا فى المقولات العشرة(21) وجوابه : أن الاولين (22) ، ليسا بأجناس عالية ، لاندراجهما تحت مطلق النسب . وأما الاخيران فعلى أنهما كيف ، فظاهر . وعلى أنهما عدميـــان ، لا يكونان من المقولات . وعلى أنهما نوع بسيط ، فكذلك (23) . ويعرفـــان بالرسم . كما صرحوا به . فلا تنافى بين البساطة والتعريف . وحينئـــذ ، فيقال : لنا شيء موجود حادث ، لا يمكن تحديده .

ومنها : أن جعلهم الجوهر ، مقولا (24) بالمواطية ، ينافيه التصريح فى الحكمة : بأنه مقول بالتشكيك ، على الجواهر الجسمانية ، والمجردات (25) عندهم . وهو بها أولى . وجوابه : أن المتواطى (26) ، بالنسبة الى الاول، لا ينافى التشكيك ، بالنسبة اليه ، والى الثانى . وليحقق المقام ، فانه من مزال الاقدام . اللهم ضراعة اليك ، بزين أنبيائك ، عليه أفضل الصـــلاة والسلام وعليهم . والاولى أن تردنى برداء سترك (27) الجميل . وأن تكلنى اليك . وأن تفرج ، يا نعم الحسيب ويا نعم الوكيل .

وأمـــا الفوائـــــد :

فمنها : أن الفصل ، نسبة الى الجنس ، بالتقسيم والى النوع ، بالتقوية كما لا يخفى . والى الحصة ، قيل عند الشيخ (28) : بالعلنية . فهو علة فاعلية

لوجود الحصة . لانه لو لم يكن أحدهما (29) علة للاخر ، لاستغنى كل منهما عن الاخر . فلا يتحقق التلازم بينهما ، وهو لا يصح واذا كان كذلك ، فلا يصح جعل (30) الجنس الحصة ، علة للفصل . والا ، لكان الجنس ، مستلزما للفصل، من جهة، أن الحصة على جعلها(31) علة: تكون سابقة. ولاتحقق لهما، الا فى طبيعة الجنس . فيكون الجنس علة أيضا (32) ، مستلزما للفصل . ورد بأن الفصل عنده (33) ، علة فاعلية ، تكون ناقصة فلا استلزام (34) لتوقفه (34) على المادية وغيرها . وذهب الامام (35) الى أن الفصل ، ليس علة للجنس ، يعنى الحصة (36) . وسد الخلاف (37) أن فصل النـوع ، لا يكون جنسا له ، على الاول ، لما يلزم عليه : من كون المعلول علـة ، وبالعكس . ومن تقدم الشىء (38) على ما تقدم عليه . ويكون على الثانى . ومن ثم : زعم قوم : أن الناطق ، بالنسبة الى الحيوان ، فصل الانسان . والحيوان ، جنس . وبالنسبة للملك ، بالعكس . وأن الفصـل الواحـد ، لا يقارن جنسين ، فى نوعين . والا ، لزم تخلف المعلول عن علته، ضرورة (39)، عدم حصة كل نوع ، فى النوع الاخر ، مع تحقق الفصل ، الذى هو علتهما، فى كل من النوعين ، بخلافها فى نوع واحد . كالناطق مقارن للحيـوان ، والجسم ، والجوهر فى الانسان . وهذا ، على الاول . وأما الامام ، فذهب الى ما ذكر ، من الحكم والتفصيل أيضا . لكنه علل : بأن الحكم ، لكونه تمام المتميز ، لا يكون الا واحدا . هذا ويرد على الاول : أن التخلف والتوارد ، انما يمنعان فى العلة التامة ، لا الناقصة . وما تقدم عن الشيخ ، من قبيل الثانى ، لا الاول . كما تقدم .

ومنها : أن الحد لابد من تركبه من الجنس والفصل ــ عند الشيخ ــ كما فى الاشارات ، فذهب أكثر شارحيه الى الانكار . ونقضوه بالاجزاء غير المحمولة (40) ، كأجزاء العدد والبيت (41) . فانه يتم المحدود بذكرها. مع أن شيئا منها ليس مما ذكر . قال نصير الدين الطوسى ، مراد الشيخ ، ذكر

بعض الحدود ، لا كلها . والحق ، ما ذكره الشيخ ، بناء على أن ما ذكره ، من أن المركب الحقيقى ، لابد من اندراجه تحت مقولة من المقولات العشر ، كما هو مذهب الاقدمية ، وكثير من المتأخرين . وحينئذ كل حد تام ، لـه جنس وفصل ، وجدت له أجزاء محمولة ، أم لا . فالعدد مثلا ، حده كـم مركب من الآحاد . والبيت ، جسم مركب (42) من السقف والجدر فى أصله.

ان الحاد التام ، هل لابد من تركبه من الجنس والفصل ؟ أو تارة وتارة؟ خلاف مبنى على الخلاف ، فى أنه : لابد من اندراجه تحت مقولة . وفى صحة التعريف بالاجزاء . المحمولة (43) .

أقول : ومما ينبنى على هذا ، صحة القول : بأن النطق ، فصـل ، ان قلنا بالصحة . وبطلانه (44) ، أن يقال الناطق فصل . مثلا ، اذ قلنـا بعد مها (45) ، فاحفظ .

ومنها : هل اختلاف المعروضات بالماهية ، يوجب اختلاف العـوارض بالماهية أو لا ؟ خلاف عند الحكماء . بعض : نعم . وبعض : لا فالجنـس العالى المنطقى ، الذى هو مفهوم المقول ، على كثيرين ، عارض للمقولات العشر ، كل يطلق عليه : الجنس العالى . وهو معروضات مختلفة بالماهية: فان قلنا بالاول ، كان مفهوم الجنس العالى العارض لمقولة الجوهر للجنس العالى . أعنى : العارض ، يكون جنسا مقولا ، على مختلفين بالماهيـة ، أعنى : الانواع العالية العارضة لكل مقولة . وان قلنا بالثانى ، كان هـذا الجنس العالى العارض للجوهر ، مثل العارض (46) للكم . والعـارض للكيف . وهلم جرا . وتكون متفقة بالحقيقة ، فيكون نوعا لها . وأيضا : حد أن الجوهر « مثلا » جنس طبيعى ، معروض لمفهوم المقول ، على كثيرين ، الذى هو الجنس المنطقى . وهذا العارض ، جنس له ، من حيث أنه عارض. وهل مطلق الجنس ، جنس طبيعى لهذا الجنس مثلا . أو نوع فيه ، مـا عرفت ؟ وكونه جنسا أو نوعا ، من حيث مقوليته على الاجناس العارضة ،

لا ينافى أنه جنس منطقى ، بلا خلاف ، من حيث أنه عارض للمقولات ، التى هى جنوس طبيعية . ولا يقال : اذا كان الجوهر مندرجا تحت الجنس العالى ، كيف يكون عاليا ؟ لان كونه عاليا على الجنوس الطبيعية ، لا ينافى أن فوقه جنس منطقى . فافهم . وينتقل أيضا (47) الى المقول على كثيرين، الى المقول على الشىء ، الى المضاف . فالمضاف (48) ، جنس الاجناس لهذه الاربعة . ويجرى جميع ما ذكر ، فى الجنس السافل والوسط والبسيط. وفى غير الجنس ، من سائر الكليات ؟ ومنه يعلم : أن الكليات الخمس ، من مقولة المضاف . وحينئذ يقال : اذا كان الجنس من مقولة المضاف ، كان أخص . والمضاف أعم . كيف ؟ وهو مندرج تحت مطلق الجنس ، وأخص منه ؟ هذا متناقض . وجوابه : أن يكون المضاف ، لا بشرط شىء أعم من الجنس ، لا ينافى أنه : بشرط كونه مطلقا مضافا . أقول : وكان العموم وجهى . وجهت وجهى اليك ، يامن أبدع الموجودات خلقا ، أن أكون من الناطقين بالتوحيد لجنابك الاقدس حقا . وبالاقرار بالرسالة لزين أنبيائك . وخاتمهم (صلى الله عليه وسلم) وكرم صدقا .

---

1 — اي الجنس العالي .

2 — اي بما .

3 — قوله : فتكون جنسا : اشار الى قياس من الشكل الاول . وتقريره ان نقول : النسبة ، قدر مشترك ، بين امور سبعة . يقال فى جواب السؤال عنها بما . وكل ما كان كذلك ، فهو جنس . يستنتج : أن النسبة جنس . « تقرير شيخنا فتح الله » .

4 — قوله : وها هنا ترديد ، وحاصله اننا لو قلنا ان النسبة جنس ، مقول على النسب السبع ، يلزم أن تكون كل نسبة منها مندرجة تحتها .

5 — قوله : من جنس وفصل ، ضرورة اندراج كل نوع مشتمل على جنس وفصل فى جنس وذلك باطل؛ لان كل مركب لكل جزء منه ، نسبة الى الآخر ، وتلك النسبة، ان كانت مركبة كذلك، كانت بين اجزائها نسبة اخرى .. وهكذا فان انتهت الى نسبة بسيطة ، لزم ان تكون تلك النسبة البسيطة داخلة ، تحت مطلق نسبة المشتمل على المركبة . وغير داخلة تحت الجنس ، لكونها بسيطة . وحينئذ ، فلا تكون النسبة جنسا للنسب السبع . وان لم تنته الى نسبة بسيطة ، لزم ان يكون المركب مركبا ، من أجزاء غير متناهية .

6 — أي الاقوال .

7 — قوله : فمنها، وهذا الامر ، وارد على القول الاخير ، الذى قاله أريسطو ونحوه. « تقرير شيخنا فتح الله » .

8 — وارد على الاقوال الاربعة « تقرير شيخنا فتح الله » .

9 — قوله : ومنها جعلهم وارد على القول الاول من الاربعة « تقرير شيخنا فتح الله ».

10 — قوله : ردوا جنسية الوجود ، وارد على الاقوال الاربعة « تقرير شيخنا فتح الله » .

وتقرير الاعتراض : انهم قاسوا الجوهر على الوجود ، في ان كلا منهما ، مقول بالتشكيك ، الذى من اسبابه التقدم والتأخر . وحينئذ ، فلا يكون جنسا عاليا « تقرير شيخنا فتح الله » .

11 — قوله : لكون ما ذكر : علة مقدمة على معلولها . وهو قوله : من قبيل المشكك « تقريـر » .

12 — قوله : وكذا يقال ، جواب عن قوله : بل في كل كلي الشامل للجوهر وغيره ، بخلاف الجواب الاول الذى ذكره بقوله : وجوابه .. الخ . فانه خاص بالجوهر « تقرير شيخنا فتح الله » .

13 — قوله : فتكون اي الجواهر « تقرير شيخنا » .

14 — قوله منفصلا عن المركب : اي عن الانواع المركبة من غير فصل ذاتي « تقرير شيخنا فتح الله » .

15 — قوله : اقناعي ، اي لا قطعي . « تقرير شيخنا فتح الله » .

16 — قوله : اعتباري ، اي هذا الجوهر الذى اندرج في الماهية من حيث شموله لسائر الجواهر . وعدم تقييده بما اندرج فيه ، يسمى جنسا عاليا ، ومن حيث تقييده بما اندرج فيه يسمى فصلا « تقرير شيخنا فتح الله » .

17 — قوله : لكنه باعتبار ... اي ما ذكر من الجسم والحيوان .

18 — قوله : صار حساسا راجع للجسم .

19 — وقوله : او ناطقا ، راجع للحيوان . فهو لف ونشر مرتب « تقرير شيخنا فتح الله » .

20 — قوله : وتسليم التسلسل ، الاولى حذف هذه العبارة من قوله : « وتسليم ، الى جدلا » وذلك لانه لا يخلو اما ان يرجع قوله مطلقا الى المركبة وعليه فيقبل منع التسلسل في الجوهر المركبة والبسيطة ، وليس كذلك بل التسلسل موجود قطعا في المركبة ، واما ان يرجع الى المنع وعليه يتقيد . وحينئذ ، منع التسلسل ، اذا لم نقل بالمنع . وهو واضح البطلان « تقرير شيخنا فتح الله » .

21 — اي التى هي اجناس عالية . وانما قدرنا ذلك ، ليلاقي السؤال قوله : فظاهر ، اي دخولهما في المقولات .

22 — قوله ، وجوابه .. الخ . اي فالمحصور ، انما هو الاجناس العالية « تقرير فتح اللـه » .

23 — قوله : فكذلك ، اي لا يكونان من المقولات « تقرير فتح اله » .

24 — قوله : مقولا : اي محمولا على افراده بالمواطاة . وحمل المواطاة هو حمل هو هو باختلاف الاشتقاق فانه حمل ذو هو « تقرير فتح الله » .

25 — قوله : والمجردات ، وهي الجواهر المجردة عن المادة والصورة كالعقول العشرة « تقرير فتح الله » .

26 — قوله : وجوابه ان المتواطي ، فهو متواطي ومشكك باعتبارين مختلفين فباعتبار انهما جواهر جسمانية ، متواطية ، وباعتبار انهما مجردة ، مشككة « تقرير فتح اللـه » .

27 — قوله : ستر ، بكسر السين بمعنى (الساتر) . وبفتحها ، مصدر (ستر) « تقريـر فتح الله » .

28 — قوله : عند الشيخ ، اي ابن سينا ، فانه متى ذكر الشيخ في كتب الحكمة واطلق يكون المراد منه ابن سينا « تقرير فتح الله » .

29 — قوله : احدهما ، اي الفصل والحصة . « تقرير فتح الله » .

30 — قوله : الحصة ، يصح أن تكون بالجر بدلا من الجنس ، ويصح ان تكون بالنصب مفعولا لفعل محذوف أي اعني به الحصة « تقرير فتح الله » .

31 — قوله : جعلها علة ، اي على جعل الحصة علة للفصل ، سابقة عليه « تقرير فتح اللـه » .

32 — قوله : فيكون الجنس ، اي وهو باطل ضرورة وجود جنس بدون فصل « تقرير »

33 — اي الشيخ ابن سينا .

34 — قوله : فلا استلزام ، اي بين وجود الجنس والفصل « تقرير » .

35 — اي الـرازي .

36 — قولـه : يعني الحصة ، اي على فرض جعلها جنسا والا فالحصة اسم للافـراد « تقرير فتح الله » .

37 — قولـه : وسد الخلاف ، اي والذى يترتب عليه الخلاف ، وتظهر ثمرته فيه ، أن فصل النوع كناطق مثلا ، بالنسبة للانسان ، لا يصح ان يكون جنسا لجنسـه ، الذى هو حيوان ، لما يلزم عليه من كون المعلول كناطق مثلا ، فى حال جعله جنسا، وبالعكس ، ضرورة كون الجنس علة فى فصله ، ومن تقدم الشيء كناطق مثلا ، فى حال جعله جنسا لحيوان ، على ما تقـدم عليه ، الذى هو حيـوان ، فى حال جعله فصلا له .. وكلاهما باطل على الاول ، بخلافه على الثاني . واذا تأملت ذلك، علمت ان فى كلام الشيخ تقدير مضاف ، فى قوله : لا يكون جنسـا له اي لجنسـه. كما يظهر من آخر كلامه .. أو اراد بالنوع الجنس .

38 — قولـه : ومن تقدم الشيء ، معطوف على قوله : من كون المعلول وهو كلام الشيخ .

39 — قولـه : ضرورة عدم حصة ، اي ضرورة عدم تحقق كل نوع فى النوع الآخر فان المراد بالحصة الافراد « تقرير » .

40 — قولـه : غير المحمولة ، اي غير التي يصح عملها ، اي الاخبار عن المحدود .

41 — وقولـه : كأجزاء العدد ، بأن تقول : العشرة مثلا مركبة من ستة واربعة او من خمسة وخمسة . ولا يصح حمل بعضها بأن تقول : العشرة ستة مثلا . وقوله : والبيت ، بأن تقـول : البيت ما تركب من اشياء مخصوصة وهكـذا « تقرير فتح اللـه » .

42 — قولـه : والبيت جسم مركب ، انما اعتبر بجسم فى تعريفه ، لكونه جنسا قريبا . والا فكان الاولى ان يبدله بجوهر لانه مقولة . « تقرير فتح الله » .

43 — قولـه : الاجزاء المحمولة : الصواب ان يقول : غير المحمولة : لانها محل الخلاف كما يدل عليه أول كلامه « تقرير فتح الله » .

44 — قولـه : وبطلانه ، الضمير فيه عائد على القول بأن النطق فصل .
وقولـه : وان يقال ، معطوف على : (وبطلانه) .

45 — وقولـه : وان قلنا بعدمها ، راجع لـ (وبطلانه) ، وان يقال ، « تقرير فتح الله » .

46 — قولـه : مثل الاولى ، حذف مثل ، لانه هو لا غير « تقرير فتح الله » .

47 — قولـه : وينتقل ، اي الجوهر ، « تقرير » .
قولـه: فالمضاف ، تفريق على الانتقالات الثلاثة « تقرير فتح الله » .

المقصد الثّاني

في العقول

اعلم : أن العقل ، قيل : جنس ، تختلف أصنافه بالخواص . فعلى الاول، يكون جنسا منفردا ، لكونه ليس فوقه جنس . وتحت أنواع حقيقية . وهو العقول المفارقة العشرة ، بناء على رأى الفلاسفة فى اثباتها ، واثبات الجواهر المجردات . أعنى : عن الجواهر الجسمية .وأن الجوهر ليس جنسا لما تحته ، لانه حينئذ ، مقول بالتشكيك على المجردات وغيرها . وشرط الجنس ، التواطى ، كما مر . وذلك أنهم يثبتون للعالم قسما ثالثا . غير جوهر ولا عرض ، سموه : بالجواهر الروحانية ، وبالمجردات . وجعلوا من ذلك : النفوس (2) والارواح والعقول . وحكى : أن الغزالى وبعض الصوفية ، ساعدوهم فى النفوس البشرية . وقد قيل به فى الملائكة أيضا . وأنها لا تتشكل ، ولا تعمر فراغا . والصحيح ، خلافه . وأنها تتشكل وتعمر فراغا كالجن . وانظر الفرق بين التشكلين ، فى شرح الاربعين النووية للشبرخيتى .

نادرة

روى شيخ أشياخنا ، العلامة يحيى، عن سعيد الجزائرى، أنه قتل ثعبانا، فاذا هو جنى . فاختطفه جنى آخر قريبه ، وألقاه فى أودية الجن . فدخل بعد مدة ، أعنى فى محل ، فوجد شيخا كبير السن جدا وكأنه قاضى الجن شمهورش . فقص عليه الحال ، فقال له : اذا أقبل سلطان الجن ، فقف واطلب الشرع . فلما أقبل اليه الانسى ، وشكا من الجنى ، فأحضره السلطان ، وسأله عن موجب خطفه الانسى ؟ فقال : قتل أخى . فقال الانسى : انما قتلت ثعبانا . فدعا السلطان بالشيخ الاول ، واستفتاه فيما

يلزم الانسى ، فقال ــ بعد أن رفع حاجبيه ــ الكبيرة رويت عن سعيد المقبرى ، عن ابن جلال ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصور على غير شكله ، فدمه هدر . وهذا سند غريب من وجهين (3) . تأملهما . فأمر السلطان برد الشيخ الانسى الى بلده بالمغرب . فوجد زوجته مهيأة بالدخول ، فمانع وأخذها . وافعل ما مر للفلاسفة : أنهم لما بنوا ــ أبعدهم الله ــ على قاعدتهم الفاسدة ، من أن الصانع تعالى ــ عن قولهم ــ موجب (4) لا مختار ، ولم يصفوه تعالى ــ عن قولهم ــ بشىء من الصفات. وردوا جميع ما يوصف به الى سلب واضافة ، لكونه موجب بالذات. وتبارك عن مقالتهم ، لانه لا يصدر عنه مباشرة ، الا واحدا ، وسموه عقلا ، أى جوهرا روحانيا ، مجردا عن المادة ولواحقها . ثم هذا العقل ، مثلا آخر ، باعتبار كونه عقلا ونفسا ، باعتبار امكانه فى نفسه ، وصورة له باعتبار وجوبه . ثم العقل الثانى كذلك ، الى العقل العاشر ، المسمى بالفياض. ، وهو العقل المنسوب الى فلك القمر . فتلك عشرة عقول ، وتسع نفوس ، وتسعة أفلاك . ثم حدثت العناصر ، أعنى : الماء والنار والهواء والتراب ، المختصة بالحيوان والنبات والمعادن . واختلطت كما فى العود الاخضر ، فى الماء والنار والدخان والتراب ، كما تظهر ان حرق. وتهيأت لقبول الصور المختلفة فى عالم الكون والفساد ، الى آخر ما فى شرح الكبرى . وغيرها . ويفيض العقل على كل قابل ، ما يستحقه ، افاضة واحدة ، من حيث هى . والاختلاف واقع بحسب القبول ، هذا ، ضلال مبين ــ لعنهم الله ــ وها هنا أمور ، منها :

أن العناصر ، ما ذكر فيها ، هو المشهود . وقيل : خمسة ، بزيادة البخار . وهو ما يرتفع من الماء كالدخان .

ومنها : أن كون كل منها أصلا ، هو الاصح ، لاختلاف حقائقها . وقيل: أصلها النار ، لشدتها بساطة . وتحصل البواقى منها ، بالتكاثف . فهى نار

متكاثفة ، على أوجه متفاوتة . وقيل : الهواء لرطوبته ومطار عنه ، ومنه ، بالحرارة المطلقة ، بالتكاثف ، تحصل النار . وبالبرودة المكثفة ، يحصل الباقيان . وقيل : الماء لقبوله التخلخل بالحرارة .

ومنها : النار والهواء والتكاثف ، بالبرودة .

ومنها : الارض لشدتها كثافة . ويحصل الباقى ، بالتلطف المختلف . وقيل : البخار ، لتوسطه كثافة ولطافة . والتفرع ظاهر .

ومنها : أن منها خفيف ، وهو النار والهواء . وما عداه ثقيل . ووجه ذلك، أن ما تحت فلك القمر ، مثاله . وهو الخفيف المطلق أولا ، وهو الخفيف بالنسبة للارض . والماء ، الثانى . وأما نحو المركز كذلك ، لمن ألقى سمعه .

ومنها : أن معنى الكون والفساد ، أن يخلع كل عنصر منها ، صورة عنصره الفساد ، ويلبس صورة عنصر آخر ، وهو الكون ، كالملح ماء . والنار ترابا ، وهواء . وحينئذ ، فالانقلابات — على المشهور — اثنتا عشرة وعلى مقابلة ، عشرون ، فافهم جميعها ، من اللقطة . وشرحها بالتصريف والاختصار .

---

1 — قوله : فى العقول ، جمع عقل وهو عندهم جوهر مجرد عن المادة والصورة . وحاصلة العقول عندهم (يعني الفلاسفة) عشرة .
العقل الاول : نشأ عن ذات الله بطريق العلة . قائم بنفسه لا فلك له . ونشا عنه الفلك الثاني ، وهو المسمى العرش ، عند اهل السنة ، وعقله المدبر له . ونشا عن الثاني ، الفلك الثالث ، وهو المسمى الكرسي ، عند أهل السنة ، وعقله المدبر له كذلك . ونشا عن الثالث ، الفلك الرابع ، وهو السماء السابعة ، وعقله المدبر له . وهكذا الى سماء الدنيا ، التى هي الفلك العاشر ، وعقله المدبر له ، ونشا عنه العناصر الاربعة، وهي : الماء والتراب ، والنار ، والهواء ، فامتزجت وتولدت عنها الحيوانات والمعادن والنباتات .

2 — قوله : وجعلوا من ذلك ، النفوس . اي فالنفس والعقل والروح — عندهم — : متحدة ذاتا ، وهي الجوهر المجرد عن المادة والصورة . مختلفة اعتبارا . فمن حيث تعلقها بتدبير الجسم ، فنفس . ومن حيث تعلقها بالقوام والحياة ، فروح . ومن حيث تعلقها بالمدركات ، فعقل . « تقرير فتح الله » .

3 — قوله : من وجهين : وهما كون راويه واحدا . وكونه جنيا عن انسي (فتح الله)

4 — قوله : موجب ، بصيغة اسم الفاعل ، وسموه موجبا ، لكونهم يقولون : انه علة فى العالم « تقرير فتح الله » .

تتمة

قسموا الجوهر ، الى بسيط ومركب . والاول ، اما جزء المركب أو لا . والجزء ، اما حال فى غيره ، وهو الصورة . أو محل . وغيره ، اما مجرد عن المادة . وعلائقها متنوعا الى ما هو منفصل عن الجسم ، وهو العقل . والى ما ليس كذلك ، وهو النفس . فان علاقته بالجسم للتدبير . أو غير مجرد . والثانى ، اما لا نفس له ، كالجماد . أو نام ، لا حس له ، كالنبات . أو له ، كالحيوان . أو غير تام ، كالملك ، قالوا : والجوهر ، جنس الاجناس ، لا اختلاف ، الا بالعرضيات وللمتكلمين معهم مؤاخذات .

أقول : وفى اللقطة : انه ينقسم الى روحانى، وهو المجردات. وجسمانى (بالكسر) وهو غير المجردة عن المادة الجسمية .

والثانى ، ينقسم الى : بسيط ، وهو ما لا ينقسم الى أجزاء مختلفة العناصر كالماء . والى مركب ، وهو الضد كالحيوان . والبسيط ، اما لكونه ذا آثار فى عالم الكون والفساد ، وهو الافلاك ، وما فيها . وهو العالم العلوى (بالضم والكسر) وهى شفافة لا لون لها . واما عنصرى ، وهو العالم السفلى .

والفرق بين السموات والافلاك أيضا : أن السموات — كلها — فوق الافلاك (أى كلها) وهى تحتها ، على التحقيق ، من أن السموات ، أطرافها على جبل قاف . وتأمله . مع أن المشهور ، من أن الشمس ، فى السماء الرابعة . والقمر ، فى سماء الدنيا . وأن الافلاك ، أجسام لطيفة . والسموات، أجسام كثيفة . وأن الافلاك تسعة . والسموات سبعة . وأن الافلاك الكواكب ، والسموات موضع الملائكة . وأن الافلاك دائرة متحركة ، والسموات ثابتة .

تتمـــان

الاولى : الكواكب على قسمين : سائرة ، وهى سبع : زحل وعطـارد والمريخ والمشترى والزهرة والشمس والقمر. والنظر تفاوتهما ، فى الحركة فى المطولات . وممن ذكره : العلامة اليوسى فى حواشى الكبرى . ولكـل واحد منهما فلك مختص به ، من الافلاك السبع . وثوابت ، بمعنى انهـا لا سرعة لها . والا ، فهى تتحرك من المغرب الى المشرق ، حركة بطيئة جدا، تقطع فى كل أربع وسبعين سنة وشهر وسبعة وعشرين يوما ، درجة. وهذه الثوابت ، لا يعلمها الا الله ــ تعالى ــ وغاية ما وصل اليه أهل الميقات ، ألف واثنان وعشرون نجما ، عليها أعمال أهل الميقات، من الماضى والباقى، ونحو ذلك . وأما السيارة ، أى غير الشمس والقمر ، فلا تنضبط . لكونهـا تارة ترجع القهقرى ، وتارة تسير معتدلة ، وتارة تخنس (1) فى غروبها . ولأجل ذلك ، لا يصلح أخذ عمل منها . واليها الاشارة بقوله ــ تعالى ــ : فلا أقسم بالخنس .. الآية . وجميع الثوابت فى ذلك ، واحد . وهو الثامن فوق السبعة . وأما التاسع ، فلا نجم فيه ، وهو أعظمها . وله فى كل يـوم دورة ، من المشرق الى المغرب ، ويدور بدورانه كل ما يحويه . من فلـك وكوكـب .

الثـانيـة :

اختلف المتقدمون فى حركة الكوكب . فقيل : ان الجرم الفلكى ، ساكن . والحركة للكوكب ، خارقة له .

وقيل : ان الفلك ، متحرك . والكوكب كذلك ، على خلاف حركته .

وقيل : المتحرك ، انما هو الفلك الثالث ، عطارد . والزهرة . والقمر ، أصغر من الشمس . والثلاثة الاخر ، أعظم من الشمس . والشمس ، أعظم من الارض بأضعاف (2) . والقمر ، أصغر منها ، بدليل الخسوف . وأصغر كوكب من الثوابت ، أعظم من الارض . وجميع الكواكب ، نوره ذاتى ، الا القمـــــر .

وكون النجوم فى سماء الدنيا ، أو فى غيرها وموضعها ، لم يرد شرعا . جعلنا الله — تعالى — من أهل منهاج الشرع ، وختم لنـــا بحســـب الختام (3) . وأشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، شهادة عبد محتاج اليك يا الله .

(تمت بحمد الله وعونه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . آمين)

---

1 — قوله تخنس ، اي تسكن في غروبها .

2 — قولـه : باضعاف ، قيل مئة واربعون مرة . والقمر قيل اكبر منها بمئة وعشرين مـرة « تقرير فتح الله » .

3 — الخاتمة ـ ونسـأل الله حسنها ـ ذهب المبطلون الي ان السموات كروية (نسبة الى الكرة) محيطة بالكون كالبيضة ، ومنعوا الخرق والالتئام . فأحالوا الاسراء (الاولى ان يقول المعراج .. تقرير .. بناء على انها ، اعني السمـوات ، هـي الافلاك . وقيل انها غيرها . ومقتضى كـلام بعض الافاضـل : ان الخلاف عام . لكن لا على منع الخرق والالتئام ، المرتب عليه ما ذكـر . وانه صحيـح كلا مـن القولين . وان الراجح ، ان السموات ، غير الافلاك . وهو كذلك لابد الملائم .

دراسات معجمية

ألفاظ الحضارة لعام 1971

الأستاذ محمود تيمور

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

ولد محمود تيمور فى القاهرة سنة 1894 م . والده العلامة احمد تيمور ، وعمته الشاعرة عائشة التيمورية ، واخوه الأديب المشهور محمد تيمور .

كان للبيئة التي عاش فيها أثر واضح فى صقل موهبته الادبية منذ الصغر ، قرا فى البداية الف ليلة وليلة واقبل بشغف على قراءة المنفلوطي ((الذي كانت نزعته الرومانية الحلوة تملك عليه مشاعره)) ثم حديث عيسى بن هشام للمويلحي ، وقصة زينب لهيكل ، كما ان نصيب الشعر لم يكن قليلا فى مطالعاته ، وكان شغفه بزعيم المدرسة المهجرية جبران خليل جبران كبيرا جدا .

ثم قرا للمشهورين من كتاب القصةفى العالم ، وكان لموباسان النصيب الأكبر من اهتمامه كما استأثر بنفسه تشيخوف وسومسرت وغيرهما .

وكان لأخيه محمد تيمور تاثير واضحعليه فى مطلع حياته الأدبية خصوصا بعد عودته من فرنسا . بدا ادب محمود تيمور ((محليا)) بتصوير النماذج العادية من البيئة ثم ما لبث ان حلق فعالج نماذج انسانية واكتسب رؤى جديدة .

قام بعدة رحلات الى اوربا وامريكا فصقلت موهبته ووسعت نظرته فى فهم الحياة .

اربت مؤلفاته على الخمسين بين اقاصيص ومسرحيات وابحاث وخواطر ورحلات . نال عدة جوائز ادبية وتقديرية ، كانت آخرها وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة 1963 . كما اختير عضوا فى مجامع لغوية داخل بلاده وخارجها .

منح موهبة قصصية رائعة ، واحساسا مرهفا فى النظر للحياة ومشاكلها ، وقد وفق فى تصوير نماذج ممتازة منها كان هدفه فيها الكشف عن الانسان بمعناه الشامل والتوجه به نحو عالم افضل .

اهتم به معاصروه من النقاد والأدباء وشهدوا له بالسبق فى ميدان القصة وعلى راسهم الدكتور طه حسين والمرحوم الأستاذ فريد ابو حديد ، والمستشرق الروسي المرحوم اغناطيوس كراتشكوشكي ، والمستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس وغيرهم ، لقب بعميد القصة العربية المعاصرة ..

ترجمت له عدة قصص الى لغاتشتى منها الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية واليوغسلافية والمجرية والايطالية والاسبانية وغيرها .

ما زال حتى اليوم يغذي الأدب العربي بفنه القصصي الجميل وبحوثه المختلفة الطريفة مد الله فى حياته .

اصطلحنا على أن اللفظ الحضاري هو اللفظ الذي يشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العام ، لتسمية أسباب الحياة في البيت والسوق ، فهو قاسم مشترك أعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والانسانية والفنون والآداب ، ذلك لإن طعام الجمهور في التعبير عن حياته وبيئته وعلاقاته بما حوله وبمن حوله يستمد عناصره من كل علم وفن ومعرفة .

وقد كان طبيعيا أن نرى الفاظ الحضارة في أغلبها خليطا من العامي والدخيل ذلك لان هناك لغتين: لغة خطاب ، ولغة كتابة ، ولان الامية ظلت ردحا من الدهر تضرب اطنابها في الامة ، فلا عجب اذن في ان تكون الفرقة كبيرة واسعة بين لغة الخطاب ولغة الكتاب ، ولا عجب تبعا لذلك في ان يكون العامي والدخيل كلاهما صاحب الصولة والجولة والسلطان في التعبير عن حياة الناس واسباب معايشهم ونواحي معاملاتهم في كل ميدان .

كذلك كان الامر ، وكذلك وقف حراس اللغة والمحافظون على سلامتها في حيرة ازاءه ، لا يدرون كيف السبيل الى مواجهة ذلك التيار العارم من العامي والدخيل في التعبير الحضاري العام .

على أن المشكلة حلت نفسها ، في معظم جوانبها ، وجوهر حقيقتها فقد تحقق التحول العظيم بنهضة التعليم وشيوعه ، وبتوافر وسائل التثقيف والتنوير ، وبانتعاش الوعي الجماهيري ايما انتعاش ، والقافلة تسير على هذه الطريق ، فالبيت ايا كان شأنه لا يخلو من مثقف ، والسوق ايا كان موضوعها لم يعد يعوزها المتعلمون ، يباشرون شؤونها ، في تجارة أو صناعة ، وفي بيع أو شراء ، وهكذا انكسرت القيود ، وازيلت السدود ، وانفتح الطريق امام لغة الكتابة لتتسرب في كل مكان ، وليكون لها في التعبير الجماهيري سلطان.

وان هذا التحول لفرصة أمام حراس اللغة والمحافظين على سلامتها ، لكي يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعامي والدخيل من الفاظ الحضارة بوجه خاص ، فانهم اذا تظاهرت جهودهم في تلك السبيل ، امكن لهم أن يحيلوا اللفظ الحضاري كلمة مكتوبة ، والكلمة المكتوبة تصافح العيون في الصحف والمجلات والكتب ، ثم هي تقرأ فتقرع الاسماع في المجالس والاندية والاذاعات ونتيجة ذلك أن يصبح اللفظ الحضاري طعاما جماهيريا يسوغ في الافواه كما جرى على الاقلام .

والخطر الذي يجب التوقي منه هو أن يشيع التكاسل في مواجهة الالفاظ الحضارية عامية كانت او دخيلة ، فان الجمهور في تحوله الثقافي لن يجد في لغة الكتابة ما يستعيض به عما كان يجري على لسانه في عهود الامية الطاغية .

ومعنى ذلك أن يستفيد في لغة الثقافة جديدا من التعبير بألفاظ الحضارة . فمن واجبنا اذن ان نعمل ما وسعنا العمل على جعل الفاظ الحضارة اقرب ما تكون الى الفصحى ، وأن نشجع كل عمل في هذه السبيل ، وأن نرحب بكل ثمرة تبدو لنا ، ما دامت تبغي احلال الفصيح محل العامي والدخيل .

واني اقدم لكم في هذه الجلسة بعض الثمرات التي اقتطفتها من المحاولات الجادة للتعبير عن مسميات الحضارة ومعانيها بلفظ عربي مبين .

1) الصاروخ القمري :

Lunar rocket (E.)
Roquette lunaire (F.)

الجهاز الدافع لسفينة الفضاء القمرية ، ويوصف بانه قمري تمييزا له عن بقية الأجهزة الصاروخية المختلفة الاغراض .

2) منصة الاطلاق :

Launch pad (E.)

القاعدة التي يوضع عليها الصاروخ القمري ، ومنها يبدأ انطلاقه .

3) السفينة القمرية او سفينة القمر :

Lunar space craft (E.)
Vaisseau spatial lunaire (F.)

احدى سفن الفضاء ، وهي خاصة بالانطلاق الى القمر .

4) مركبة الخدمات :

Service module (E.)
Module de service (F.)

احد اجزاء السفينة القمرية ، وله مهمة خاصة ، هي اداء المهمات اللازمة في رحلة تلك السفينة.

5) مركبة القيادة او المركبة الأم او الهادية والجمع (الهوادي) :-

Command Module or command vehicle (E.)
Module de commandement (F.)

جزء السفينة المختص بالقيادة ، وقد رشحنا كلمة « الهادية » اسما لهذا الجزء ، تنظيرا بينه وبين الراحلة التي تتقدم الركب ، وتسمى : الهادية ، والجمع : الهوادي .

6) مركبــة القمــر :
Lunar excursion module (E.)
Module lunaire (F.)

جزء السفينة القمرية الذي يترك ــ بعد هبوط السفينة ــ على سطح القمر .

7) تصحيح المسار :
Correction de trajectoire (F.)

توجيه السفينة القمرية توجيها صحيحا فى المسار المطلوب ، اذا اخطأته .

8) الغلاف الجوي :
Les couches denses de l'atmosphère (F.)

الطبقة الغازية المحيطة بالارض او بأحد الكواكب الاخرى ، فلكل منها غلاف جوي متميز .

9) القنبلة المدارية :
Orbital Bomb (E.)

قمر صناعي (Artificial satellite)

مزود براس نووي (naclear warhead)

يعود ليخترق الغلاف الجوي ، ولا يستطاع صده ، ولسرعته المذهلة قل ان يدرك امره قبل ان ينفذ مهمته .

10) حاجز الصوت :
Le mur du son (F.)

يقال : كسرت الطائرة او اخترقت او جاوزت حاجز الصوت ، اذا هبط طيرانها الى مستوى جوي معين .

11) التشكيل الجوي :
Formation aérienne (F.)

مسيرة مجموعة من الطائرات على نسق مخصوص

12) القنبلة الزمنية :
Bombe à retardement (F.)

قنبلة مزودة بجهاز يحدد وقت انفجارها ، فاذا حضر الوقت المحدد انفجرت من تلقاء نفسها .

13) اقمار التجسس :
Satellites espions (F.)

اقمار صناعية تزود بأجهزة للتصوير والتسمع ، وتوجه فى انطلاقها الى مناطق محددة لاغراض التجسس عليها .

14) المنعة : (الدشمة) :
شبه حائط يحتمي به الجنود فى مواقع القتال .

15) دول المواجهة :
Les pays de la ligne d'affrontement (F.)

هي الدول التي تواجه فى الحرب عدوا مشتركا بحكم موقعها الجغرافي ، أو موقعها من ناحية التخطيط الحربي ، اعني : الاستراتيجي .

16) الأوتوبوس المفصلي ــ الحافلة المفصلية او السيارة العامة المفصلية :
Jointed bus, trailer-bus (E.)
Autobus accordeon (F.)

سيارة واحدة بسعة سيارتين فى منتصفها المفصل الذي يضم الجانبين .

17) جرار نصف مقطورة :
Half trailed tractor (E.)

سيارة ذات جرار متعدد العجلات متصل بنصف مقطورة متعددة العجلات ايضا بحيث تستطيع هذه السيارة الجرارة ان تبلغ حمولتها اطنانا كثيرة .

18) الفن الحركي (فى التصوير) :
Kinematic art (E.)
Kinetic art (E.)

المصطلح مأخوذ من كلمة Kinesis بمعنى الحركة ، ويدل على نوع من فن التصوير يتميز بالنشاط الحركي ، ويستخدم الجديد من الخامات كاللدائن والأخشاب الصناعية ونفايات المواد المضغوطة والكيماويات الغريبة مادة للتعبير .

19) التلوين التلقائي (فى النظارات) :
Colormatic (E.)

امكن صنع عدسة تغني عن عمل نظارتين ، فهي تلون نفسها تلقائيا لتكون شمسية او غير شمسية. والكلمة ذات مقطعين: الاول : (color) بمعنى اللون ، والآخر : (matic) بمعنى الحركي ، او التلقائي .

20) اسطوانة طويلة المدى :

Long play record (E.)
Disque microsillon (F.)

او : قرص طويل المدى (فى فن التسجيل الصوتي):

نوع من الاسطوانات او الاقراص اعد بحيث يستوعب تسجيلات طويلة فى حيز قصير .

21) الثـوب السابـغ :

Maxi

او: الثوب الكاسي (فى مبتكرات الأزياء للسيدات):

المصطلح مقتطع من كلمة (maximum) بمعنى الحد الاعلى ، ويراد به ثوب سابغ او كامل يغطي ما تحت الركبة . وهو يقابل : (mini) بمعنى الحد الادنى وقد سميناه : الثوب الحاسر .

22) موهيـر :

Mohaire (E.)
Moiré - moir (F.)

المخير (فى المنسوجات) :

نسيج من وبر معزاة انقرة الحريري الطويل . وقد سماه العرب : المخير ، ونقل الى الانجليزية باسم : (mohair) والى الفرنسية القديمة باسم : (mocayar) وقد ذكرت المعجمات الباحثة فى اصول الكلمات ان كلمة (الموهير) او (الموار) من اصل عربي ، هو : المخير .

23) التبريـد :
او : التثليـج :

Refrigeration (E.)
Réfrigération (F.)

يطلق اللفظ على وضع الأطعمة أو نحوها فى الثلاجة ، وهي فى درجة تنزل تحت الصفر قليلا، أو تكون فوقه قليلا ، بحيث تبقى الأشياء باردة مثلوجة ، ولكن ماءها لا يستحيل ثلجا .

24) التجليـد :
او : التجميـد :

Freezing (E.)
Congélation (F.)

يطلق اللفظ على وضع الأطعمة أو نحوها فى الثلاجة ، وهي فى درجة تنزل تحت الصفر المئوي بحيث يتحول كل ماء الى ثلج .

25) الموقد المسطح :

Réchaud au butane (F.)

هو الموقد الذي يعمل بالغاز السائل ، وليس فيه فرن ، ويوضع على منضدة .

26) موقـد الفـرن :

Kitchener or stove (E.)
Cuisinière fourneau au butane

هو الموقد الذي يعمل بالغاز السائل ، وفيه فرن ، ومنه ما يشتمل على مكان للشواء .

27) بادىء الانارة :
ستـارتـر :

Starter (E.)
Commutateur (F.)

اداة تتخذ فى المصابيح المشعة (لمبات الفلورسنت) لتشغيلها عند اضاءتها .

28) الهوينيـون :

Les mitigés

تعبير اطلقه رئيس الحكومة المصرية فى مجلس الأمة فى منتصف ديسمبر سنة 1970 على طائفة الذين يؤثرون التريث والبطء والتدرج فى تطوير النظم والأوضاع ، وقال ان الانقياد للهوينيين معناه وقف سرعة الزمن الذي فاقت فيه سرعة الطيران سرعة الصوت .

والكلمة وردت على لسان رئيس الحكومة بصيغة الجمع ، ومفردها الهوينى نسبة الى الهوينى بالألف المقصورة ، ومعناها : التمهل والأناة والرفق .

29) المبادرة او المباداة :

Initiative (E.), (F.)

استعملت لفظة « المبادرة » فى الدلالة على معنى اللفظة الأجنبية ، ثم شاعت فى الصحف وعلى السنة الزعماء والقادة عبارة :
(Initiative de paix) (Peace initiative)
وترجمت فى العربية بعبارة « مبادرة السلام » ، فاستعملت لفظة « المبادرة » لا المبادأة ، واللفظتان متقاربتان فى الدلالة على اية حال .

30) تعلم الحرف (فى مدارس التعليم العام) : بريكولاج :
Bricolage (F.)

نظام يقوم على ادخال تعليم الحرف المتنوعة فى مدارس التعليم العام ، وقد اتبع هذا النظام لكي يكتسب المثقف العادي معرفة بالحرف تعينه فى مجرى الحياة كاصلاح كهرباء المنزل ، او اجهزة السيارة ، مما لا غنية عنه .

31) الاشارات الضوئية التوافقية (فى نظام المرور) :
Signalisations
électriques-coordonnées (F.)

تدبير الاشارات الضوئية ذات الموجة الخضراء ، بملاحظة الملاءمة بينها وبين سرعة المركبات على مد الطريق ، بحيث تنفتح تلك الاشارات للمركبات فى سيرها على سرعة معينة نسبيا ، ويمكن التحكم فى عمل هذه الاشارات من مركز واحد لعمليات المرور .

32) فرتيوز ـ الفائق البراعة أو الصناع (فى الفنون الجميلة) :
Virtuose (F.)
Virtuoso (E.)

وصف لمن بلغ فى الفن عامة ، والعزف الموسيقي خاصة ؛ منزلة اثبت بها براعة ذات تفوق وامتياز.

33) مطعم « اخدم نفسك » أو مطعم الاختدام :
Self-service (E.)

(وكذلك فى المشارب والأسواق المركزية ونحوها)
اتبعت فى بعض المطاعم والمشارب والأسواق المركزية ونحوها طريقة « اخدم نفسك » حيث لا يعول الزبون او العميل على من يخدمه من العمال ؛ وفى اللغة : اختدم الرجل خدم نفسه .

34) الشرابة ـ الشرابة او الشرافة أو العذبة :
Gland (F.)
Tassel (E.)

حلية من نسيج على هيئة زوائد تتدلى من بعض الاشياء ، كالمسابيح وكالاخراج ، ومنه المثل : هو مثل شرابة الخرج، اي ليس له كبير جدوى.

35) الشريط المتحرك :
Tapis roulant (F.)

جهاز على هيئة شريط تحركه قوة كهربية ، وعلى الشريط تحمل الاشياء والأمتعة ، او يقف الناس، فينتقل الشريط بما يحمل من مكان الى مكان ، والجهاز يستخدم فى المطارات والانفاق ونحوها.

36) الكتيم او الخنيس :
Cachottier (F.)
تطلق الكلمة على الرجل يخفي ما بنفسه فى خبث ، وفى لغتنا الدارجة : تقول فى وصف مثل ذلك الرجل : الخنيس على وزن قديس ، وقد وردت الكلمة بهذه الصيغة فى « التاج » بمعنى المراوغ المحتال ، وفى اللغة : خنس الشيء عنك : ستره . ويمكن ان نقول ايضا : الكتيم على وزن عليم ، وهي من الصيغ المسموعة فى مادة « كتم » .

37) الغزل او المتلطف او المتظرف او الدمث :
Galant (F.)
Gallant (E.)
وصف للرجل الذي يحسن التودد والكياسة فى معاملة النساء على وجه الخصوص واهم مميزاته الرقة واللين وعذوبة الحديث .

38) التحبب او التلطف او التظرف او الدماثة أو الملاطفة :
Galanterie (F.)
Gallantry
الاتصاف بالكياسة والرقة فى معاملة النساء ومحادثتهن على وجه الخصوص .

39) المناورة فى الحرب والسياسة (معربة) :
Manœuvre (F.)
Manœuvre (E.)

جرى استعمال هذا اللفظ فى معنى حقيقي يتصل بالحرب ، وهو تدريب تمثيلي لموقعه أو عمل حربي ، ثم استعمل اللفظ فى السياسة لمعنى مجازي هو الخدعة والحيلة ، والظهور بما لا حقيقة وراءه فى الاعمال والأقوال ، لغرض المخادعة . وقد ذكر المعجم الوسيط أن المناورة مولدة بمعنى المخادعة وبمعنى التدريب والتمثيل الجيشي ؛ والواضح أنها معربة لا مولدة .

40) الصنج :

Gong (F.), (E.)

قرص معدني يقرع تنبيها الى بدء العمل ، أو الدعوة الى الطعام .

41) الأوبريت ـ المغناة أو الغنائية (فى المسرحيات) :

Operette (F.)
Operetta (E.)

اسلفنا لكلمة (الأوبريت) مقابلا عربيا هو : الغنائية ، اي المسرحية الغنائية . وقد طاب لبعض الكتاب والمؤلفين استعمال كلمة (المغناة) بوزن اسم المفعول ، اي المسرحية التي تغنى . ونحن نؤثر أن تكون الكلمة (المغناة) على وزن (المفعلة) لأنها تلائم فى وزنها جملة من المصطلحات الفنية لانواع الروايات المسرحية ، وهي المسلاة والمأساة والملهاة والمشجاة والمفزعة ، وقد أقر المجمع وزن المفعلة ، لما يكثر فيه الشيء .

42) موهبة الجاذبية الشخصية :

Charisma (F.), (E.)

اللفظ الأجنبي يرجع مدلوله الى معنى ديني ، فهو يدل على موهبة لدنية ، أي منحة يهبها روح القدس للشخص ، وقد استخدم اللفظ للاعراب عما يتمتع به المرء من الزعماء والقادة من جاذبية شخصية تؤلف حوله القلوب ، وتجمع الأهواء .

43) كاريكاتير ـ الرسم الساخر أو الرسم الهزلي أو الرسم الفكاهي :

Caricature (F.), (E.)

اسلفنا لهذا اللفظ كلمة « الرسم الساخر » . ولكن السخرية لا تصلح وصفا لهذا الرسم اذا اتصل بشخصية لها مقامها أو موقف له جلاله . وربما كان وصف الرسم بأنه هازل أو فكه يدفع مثل ذلك الحرج فى الاستعمال .

44) الهويس ـ الحوز :

Canal-lock (E.)
Ecluse (F.)

اللفظ يدل على مكان يخصص على الأنهر أو الترع ونحوها لحجز المراكب ريثما تنتقل من جهة مائية الى اخرى مرتفعة أو منخفضة بحسب مستوى الماء فى كلتا الجهتين . وقد شاعت فى لغة الناس كلمة : « الهويس » وليس لها أصل معروف ، وقد وضعت بعض المعجمات العصرية فى مقابلها كلمة « الحوز » فهل « الهويس » العامية محرفة عن « الحوز » العربية ؟

اما معنى الحوز فى الفصحى فهو المكان المحدد المقامة عليه الحواجز . وهذا المعنى ينطبق على مدلول « الهويس » .

45) العوامة ـ عوامة النجاة أو طوق النجاة :

Bouée de sauvetage (F.)
Buoy (E.)

عجلة من المطاط أو نحوه تتخذ فى السفن لكي يستعين بها ركابها ، على النجاة عند خشية الغرق ، وتستعمل ايضا لتعليم السباحة أو لممارستها على الشواطيء .

حرف الهمزة مع الكاف فى مثل :

آكلة اللحم

الأستاذ عبد الله كنون

ورد علينا من فضيلة الاستاذ الكبير عبد الله كنون بحث قيم حول ((نص شاهد من كلام عمر)) جاء فيه:

عرض علينا فى العام الماضي قسم من المعجم الكبير الذي يضطلع به المجمع ، وكان مما فيه حرف الهمزة مع الكاف وما تثلثهما . وقد جاء فى هذا الحرف ذكر آكلة اللحم بمعنى السكين **والاستشهاد عليه بقول عمر بن الخطاب** (ض) نقلا عن النهاية لابن الأثير : **((والله ليضربن احدكم اخاه بمثل آكلة اللحم** ثم يرى اني لا اقيده ؛ والله لاقيدنه منه)) . واذا كان محل الشاهد لا غبار عليه فاني قد استشكلت اول النص ؛ وهو هذا القسم من عمر ، بصيغة الحنث ؛ على انهم يفعلون ذلك ويعتقدون انه لا يواخذهم به ، فقلت كيف يحلف عمر على امرين كلاهما غيب ورهن بالمستقبل ؛ وذلك بصيغة الحنث التي لا يبرا الحالف فيها حتى يفعل المحلوف عليه :

البر لا فعلت ان فعلت
لأفعلن ان لم افعل حنث

وهذا فيما يتعلق به هو فكيف بغيره ؟

وقد كنت ابديت هذه الملاحظة فى احدى جلسات المؤتمر السابق ولكنها لم تثبت فى المحضر كأنها اعتبرت ملاحظة جانبية على هامش الموضوع .

واهتممت بالامر فراجعت المادة فى نسختين من النهاية هما طبعة المطبعة الخيرية بمصر لصاحبها عمر الخشاب ، وطبعة المطبعة العثمانية لصاحبها عثمان عبد الرزاق بمصر ايضا ، **فاذا النص فيهما معا** بدون يمين هكذا : ((ليضربن أحدكم اخاه)) .

ورجعت الى الفائق فى غريب الحديث للزمخشري فاذا به يقول : ((عمر رضي الله عنه : **الله ليضربن احدكم اخاه)) بهمزة قطعية فى أوله ليس** غير ، والى مجمع بحار الأنوار للشيخ ظاهر الهندي فوجدته ينقل عن النهاية والنص فيه كما هو فيهما بدون يمين .

ثم رجعت الى لسان العرب فوجدت النص فيه كما جاء فى المعجم الكبير بلفظ ((والله ليضربن احدكم اخاه)) .

ورجعت الى التاج فوجدت النص فيه بلفظ ((ءالله ليضربن احدكم اخاه)) بهمزة الاستفهام أوله .

وازاء هذا الاختلاف فى نص الشاهد اخذت ابحث عن تخريجه ومظان ذكره فى ترجمة عمر لدى المؤرخين من ابن سعد وابن الاثير وابن كثير والمحب الطبري وسواهم . وفى كتب الحديث كمسند الامام احمد وفى كتب الفقه الأمهات على اختلاف المذاهب فلم اظفر به فى اي مرجع من هذه المراجع بهذا اللفظ ... نعم وجدت معناه فى كثير منها ، واقرب لفظ له وقفت عليه ، وهو مما ذكر فيه تعبير ((آكلة اللحم)) ، ما جاء فى المحلى لابن حزم من رواية ابي بكر بن ابي شيبة بسنده الى عمر قال : ((يعمد احدكم الى اخيه

فيضر به بمثل آكلة اللحم ، لا أوتي برجل فعل ذلك فقتل الا أقدته به » (1) .

وعلى هذا لم يبق لي الا النظر في الروايات التي بين يدي والترجيح بينها . وقد ظهر لي أن رواية اللسان فيها تصحيف ، وهذا التصحيف هو الذي يؤدي الى المحظور الذي ذكرته من حلف عمر على ما لم يكن كأنه كان ومنافاته للعقل والمنطق ولما عرف به عمر من التقوى والتحرج من الاثم .

بقيت رواية الفائق ، « ألله ليضربن » وهي صيغة قسم أيضا حذفت منه الواو وعوضت بقطع الهمزة من اسم الجلالة على ما في المفصل للزمخشري ، ولفظه نصب اذا لم تعتبر العوض ويجوز جره لقيام العوض مقام المعوض عنه ، قال في المشارق (2) . « وحكى ابو عبيد عن الكسائي :

كل يمين ليس فيها واو فهي نصب ، الا في قولهم : ءالله لآتينك ، فانه خفض ـ يريد ولا حرف قسم ـ وذلك أن القسم عندهم فيه معنى الفعل ، أي اقسم واحلف بالله او والله ، فاذا حذف حرف القسم عمل الفعل عمله فنصب مفعوله » .

والى هذا المعنى أشار ابن بونة في الاحمرار :

والله جره جوازا ان حذف
فعل وخافض وعوض الف

او ها او احكمن بانه قطع
همزته ودونها جر سمع

وعلى كل فما يلزم على رواية اللسان يلزم على هذه الرواية وأرى أنها محرفة من الرواية الثالثة التي عند صاحب التاج .

ورواية صاحب التاج كما راينا هي ءالله بهمزة الاستفهام ، وهذه الرواية يصح فيها الضم على حد حديث ضمام (ءالله امرك بهذا) ، ويصح فيها الجر على ما في الجمل للزجاجي حيث قال في باب القسم وحروفه : « وربما جعلوا الف الاستفهام عوضا من الخافض فخفضوا بها فقالوا الله ليخرجن » ، وبكلا الوجهين فان الاستفهام هنا منوي ومقصود حتى لو حذفت اداته ، لانه تقرير وانكار ، ولا يخرج نص الشاهد من التبعة التي ذكرناها ويجعله في تحلة من تلك اليمين الا هو . . . فالرواية التي جاءت عليه هي الصحيحة اذن وغيرها محرف منه والله أعلم .

---

(1) المحلى ، ج 10 ، ص 387 .
(2) ج 2 ، ص 353 ، ولينظر ايضا الجمل للزجاجي ط. الجزائر ، ص 84 .

أَخْطَاءٌ لُغَوِيَّةٌ

الأستاذ عبد الحق فاضل

عندما قرات فى العدد الفارط من « اللسان العربي » (ج 3) المقال المعنون « قل ولا تقل » الذي يستعرض بعض الاخطاء اللغوية الشائعة ويدعو القراء الى المساهمة فى الموضوع شعرت بالأسف لعجزي عن جمع شتات القصاصات والجزازات ومختلف الأوراق التي كنت ادون فيها منذ سنوات عدة ما يعترضني او يعن لي من تلك الأغلاط .

لكني رايت ان اعتمد على الذاكرة فاخذت ادون على الورقة ما يخطر لي من الأغلاط الشائعة فجعلت تنثال على ذهني ، حتى اجتمع لي منها على البديهة طائفة صالحة . ثم خطر لي أن أستعين بما اقرا كل يوم فى الصحف واسمع كل يوم وليلة فى الاذاعات ، فاذا جمهرة كبيرة من الأغلاط اللغوية مما انحدر الينا من الجيل الماضي وما ابتكره الجيل الحاضر — تحتشد امامي فى بضعة ايام . فبعد أن كنت اتقصى الأغلاط واتصيدها صرت لغزارتها اتخير منها ما يصلح ان يكون مثالا لغيره وانبذ الباقي دفعا للاطالة والاسئام .

والواقع ان الكثير من اللغويين قد كتبوا فى شأن هذه الأغلاط حتى لا يكاد المرء يستطيع ان يأتي منها بجديد لم يسبق ان نبه عليه سواه ، وحتى اصبحت الكتابة فى الموضوع من المكرور المعاد ، ما يجعل اداء هذا الواجب اشبه بفرض الكفاية لا حرج على من اسقطه عن نفسه لكثرة من قاموا وما زالوا يقومون وسيظلون يقومون بأدائه . وما كنت لاتصدى له لولا ان لي موقفي الخاص من بعض هذه الأغلاط .

الأخطاء السماعية

واقصد بها الاخطاء التى لا نشعر بها حين نقرؤها بل حين نسمعها ، لان عدم شكل الكلمات — بحركات الفتح والضم والكسر والسكون — يجعل كلا من المصيب والمخطىء يقرؤها على طريقته .

والظاهر انه لا يمكن ان يسلم احد فى جيلنا من خطأ فى نطق بعض الألفاظ ، لأنه ما من احد قد تعلم كل الفاظه من المعجم . حتى المعاجم لا تخلو من خطأ لغوي او مطبعي . وقد طفقت انطق (الظرف فى الأنف) بفتح راء الظرف زمنا طويلا لأني كنت أيام الدرس قد قراتها كذلك فى احدى طبعات « فقه اللغة » للثعالبي . والكثير بل الأكثر من الفاظنا الخاطئة قد لقننا اياه معلمو الابتدائيات والثانويات ، لأنهم كانوا انفسهم بحاجة الى معلمين . وقد يكون المرء هو الذي لقن نفسه خطأ النطق حين يخطىء الاجتهاد فى قراءة ما يعرض له فى كتبنا وصحفنا هذه غير المشكولة ، من قبيل : مائة ، على اهبة الرحيل ، صبارة البرد ، حمارة القيظ ، يشفى ، ارتج عليه ، مغمى عليه ...

ونكتشف الخطأ احيانا بعد أمد متطاول فنتعلم وجه الصواب فيه لكن لساننا يسبقنا الى النطق الخاطىء الذي اعتاده واستمراه . والأغلب اننا عندما نكتشف الخطأ نستهجن الصواب ونستثقله ونتعجب منه ، ونرى أن الخطأ الذي الفناه وجرينا عليه هو السائغ المقبول ، ونظل على ذلك حتى يعتاد لساننا الصواب

الجديد علينا ويألفه بعد آن يجري عليه امدا . وفيما يلي نماذج من الأخطاء السماعية الرائجة .

مـــائـــة :

اي عشر عشرات . ينطقونها (ماءة) وصوابها (مئة) . وسبب الخطأ فى نطقها هو هــذا الخطــأ التقليدي فى كتابتها .

الخطبـــة :

بمعنى طلب الرجل الفتاة للــزواج . يقرؤهــا الأكثرون بضم الخاء والصواب كسرها . اما الخطبـة بالضم فتعني الخطابة او الخطاب اللذين يفوه بهمــا الخطيب . و (الخطابة) ايضا ينطقونها بكسر الخاء ، والصواب فتحها .

القمـــة :

ينطقونها بضم القاف والصواب كسره ايضــا . لكن (القلة) بنفس المعنى هي التي ينطق قافها بالضم .

المنطقـــة :

ينطقونها بفتح الميم ، وصوابها الكسر .

المعـــرض :

ينطقونها بفتح الراء ، والصواب كسرها .

يشـــع :

ينطقون هذا الفعل بالضم ، وصوابه الكسر .

يصـــح :

ينطقونه بالضم ، وصوابه الكسر ايضا .

ينطـــق :

ولنتناول فعل النطق هذا نفسه ، فالاكثـرون ينطقونه بضم الطاء والصواب كسرها .

البخـــور :

ينطقونه بضم الباء والصواب فتحها . ومثل ذلك يقال فى السفوف والنشـوق اي ما يسف او ينشق من دواء أو نحوه ، وكذلك الفطـور والسحـور . والسوريون ينطقون البخور فى الدارجة بفتح الباء لكن بتشديد الخاء ، وهو خلاف النطق المعجمي ايضا .

يعنـــي بالشـــيء :

اذا نطقت (يعني) بصيغة المعلومية اي بفتح الياء وكسر النون كان المعني (يقصـد) . اما اذا اريـد الاعتناء والعناية فينطق بصيغة المجهولية اي بضم الياء وفتح النون . فيقال : عني بالشيء ويعنى به وهو معني به (بتشد ياء معني) . ومأتى ذلك من قولك عناني أمره فأنا معني به .

يشفـــى :

ينطقونها بفتح الياء والفاء بمعنــى يتعافــى ، والصواب نطقها بصيغة المجهول اي بضم الياء وفتــح الفاء . أما بصيغة المعلوم ــ أي بكسر الفاء ــ فيكون الفعل متعديا ، فيقال ان الدواء يشفي المريض .

الجيـــل :

كثيرا ما اسمعها من بعض المذيعين بفتح الجيم ، والصواب كسره .

حريـــق مهـــول :

بعض المذيعين ينطقون (مهول) على وزن (محسن) كأنه اسم فاعل لفعل (أهول) الذي لا وجود لــه فى العربية . وما اكثر ما نقرأ (الحريــق المهــول) فى الصحف السيارة كذلك ، ولا شك أن قراءها وكتابها ينطقون الكلمة على وزن (محسن) ايضا .

والصواب : (حريق هائل) أي مخيف ، حيــث يقال (هالني الأمر) فهو هائل ، ولا يقال (أهالني) او (أهولنـــي) .

وبعض عرب الشرق الأوسط يقولــون كذلــك (حريق مهول) لكنهم ينطقونهــا على وزن عــذول ، بصيغة اسم المفعول ، وهو خطأ ايضا لأن (المهول) هو (المخاف) اى الذي هاله الحريق .

معجب بنفسه :

ينطقونها بكسر جيم (معجب) والصواب فتحه . اما الشيء المعجب ، بالكسر ، فهو الذي يعجبك . هو المعجب (بالكسر) وانت المعجب به (بالفتح) . ومثل ذلك اولع به فهو مولع ، واغرم به فهو مغرم ، وفتن به فهو مفتون .. فكلها بصيغة المجهولية .

افرخ روعه :

يقرؤونها بفتح راء (روعه) والصواب ضمها . واشهد ان الخطأ هنا اقرب الى المنطق ، ولا سيما ان الروع ـ بالضم ـ ومعناه سواد القلب او موضع الفزع منه ـ لم يعد يستعمله احد ، فهو كلمة اشبه بالمماتة ، بينما الروع ـ بالفتح ـ ومعناه الفزع ـ هو الكلمة المستعملة الجارية على الالسن . وما احسب هذا الخطأ الا سيعم مهما بذل المصححون من جهد فى مكافحته .

بطيخ :

صوابها بكسر اولها لا بفتحه . ومثلها سكير وعربيد وازميل وغطريس ونحرير ومسكين . كلها مكسور اولها .

ارتج عليه فى الكلام :

يقرؤون (ارتج) بتشديد الجيم اي بصيغة المعلوم ظنا انها من الارتجاج . والصواب نطقها بصيغة المجهول اي بضم الهمزة وكسر التاء ، من الارتاج ، بمعنى استغلق عليه الكلام كانما أوصد دونه بابه .

اغمي عليه :

صوابها ان تقرأ بصيغة المجهول ، لكن بعضهم يقرؤونها بصيغة المعلوم اى بفتح الهمزة والميم . وعلى هذا يكون الشخص (مغمى عليه) بصيغة المفعول . ومثل ذلك يقال فى (غشي عليه) فهو مغشي عليه .

النسخة :

الورقة المنسوخة او المنسوخ عنها . صوابها بضم النون لكن بعضهم صار ينطقها بفتحه . على حين ان النسخة ـ بالفتح ـ تعني المرة الواحدة من فعل نسخ .

حمارة وصبارة :

كنت انطقهما كما سمعتهما من بعض المعلمين وكما لا يزال ينطقها الكثيرون بضم اولهما مع تشديد الميم والباء . ثم اخذني العجب حين تعلمت ان الصواب نطقهما بفتح اولهما وتخفيف الميم والراء وتشديد الراء فيهما . وما زلت ارى ان هذا الصواب ثقيل على الطبع غريب الاشتقاق . ومنذ عرفت وجه الصواب فى هاتين الكلمتين تخلصت منهما بترك استعمالهما ، لكني مضطر الى نطقهما كما يريد المعجم حين اصادفهما فى قراءاتي .

نجوا :

سمعت المذيع امس يقول (الذين نجوا من الغرق) بضم جيم (نجوا) والصواب فتحه . ومثل ذلك : جروا وجفوا وراوا وبكوا ومشوا وقضوا وأتوا .. وكل ما كان ماضيه على وزن سما وعلا ورمى ومضى . لكن صيغة المضارع هي التي تنطق بالضم : ينجون ويجنون ويمشون ...

بقوا :

هذه ينطقونها على العكس بفتح القاف والصواب ضمه ، ومثل ذلك : رضوا وخشوا وفنوا .. وكل ما كان ماضيه على وزن رضي وخفي وغشي وبلي .. ويكون مضارعها هو المفتوح (على عكس الحالة السابقة): يبقون ، يخشون ، يرضون ، يحيون .

ولدينا فعل ذو حدين فى هذا الباب هو فعل : هوى يهوى . فاذا كان الماضي (هوى) بمعنى وقع فهو على وزن رمى ويقال عندئذ انهم هووا يهوون على وزن رموا يرمون ، واذا كان (هوى) على وزن رضي بمعنى عشق فيقال انهم هووا يهوون على وزن رضوا يرضون .

لكن هذه القاعدة المتعاكسة مربكة للمبتدئين كالكثير غيرها من القواعد ، والاعتماد على التعليم والحفظ فيها لا يجدي ، وانما الاعتماد عند الذين يحسنون نطق هذه الافعال وامثالها ، على السليقة ، فما منا احد يفكر فى ماضي نجوا وبقوا حين ينطقهما .

لهذا كان من المهم جدا شكل الكتب بالحركات على الحروف ولا سيما في الكلمات التي يقع فيها الخطأ . أما الكتب المدرسية فيجب شكلها كلها بدون استثناء. وبذلك وحده نضمن للناشئة السليقة السوية التي تقود ألسنتهم الى الصواب دون أن يفكروا فيه او يحسوه .

تعالى :

نداء للانثى . ينطقونها بكسر اللام ، والصواب فتحه . ومثلها (تعالوا) ينطقها الكثيرون بضم اللام والصواب فتحه ايضا .

مختلف الحالات :

ينطقها الاكثرون حتى من الأدباء بفتح لام (مختلف) ، بصيغة المفعول ، والصواب كسره ، لان أصل التعبير هو (الحالات المختلفة) . فكما لا يجوز فتح اللام في هذه لا يجوز في تلك . وانما يفتح اللام في مثل قولنا (الحالات المختلف فيها) .

منتظم :

كذلك ينطقونها بفتح الطاء ، وصوابها الكسر . شأنها شأن (مختلف) .

التجربة :

اكثرهم ينطقونها بضم الراء غلطا ، وندر من ينطقها بكسرها وهو الصواب ، على غرار تكرمة وتوصية وتعبئة .

وفق الاصول :

ينطقون واو (وفق) بالكسر ، والصواب فتحه .

الخصر :

كنت اظن انها بضم الخاء . وعندما كنت اسمع بعض العرب ينطقونها بالفتح كنت أحسب ذلك من تحريف الدارجات . ولشد ما تعجبت حين رجعت الى المعجم ذات مرة فاذا الضم هو الخطأ والفتح الصواب .

العلاقة :

ينطقها بعضهم بفتح العين وبعضهم بكسرها دون تمييز بين معنييها المادي والمعنوي ، فهي تقرأ بالكسر اذا كانت العلاقة مادية ، وبالفتح اذا كانت معنوية . لكني لا اظن احدا يتقيد بذلك في نطقه أو يتوقف قليلا للتفكير بين الحالتين ، فالأغلب ان ينطقها حتى الأديب اللغوي المتفطن كما يجري بها لسانه على مألوف عادته من فتح أو كسر .

الضعف :

كثيرا ما قيل لنا أيام المدرسة ان الضعف ينطق بضم الضاد اذا كان ماديا وبفتحه اذا كان معنويا . فلما رجعنا الى المعجم وجدنا ان كلتا الحالتين سواء .

العالي ، الباقي ، الجاري :

بعض المذيعين ينطقونها بتشديد الياء بلا ضرورة، والصواب ان الياء هنا خفيفة وساكنة . ومثل ذلك قولهم : القاضي والمحامي والتربية والضربة القاضية، بالتشديد ويظهر انها طراز نطقي جديد اخذ بعض المذيعين يقبلون عليه . وفي بعض الاحيان لا يقتصر الأمر على مخالفة قواعد النحو بل يتعداه الى تغيير المعنى ايضا . فالعادي بالتخفيف هو الراكض أو المعتدي أو الاعتيادي ، وبالتشديد : الشيء المنسوب الى عاد ، ومن ذلك العاديات : الآثار القديمة . والسامي بالتخفيف : الرفيع ، وبالتشديد : المنسوب الى سام . فاذا قلنا : انها سامية الأخلاق بالتشديد نكون قد نسبناها الى الساميين وهو غير المقصود . كذلك (الحالية) بالتخفيف : المتحلية ، وبالتشديد : المنسوبة الى الحال الحاضرة .. وهكذا.

المدرج والمدرج :

هنا ايضا يتغير المعنى بتخفيف الراء أو تشديدها. فالمدرج بالتخفيف ـ زنة الملعب ـ اصطلاح مستحدث يقصد به الدرب اي السكة التي تدرج اي تسير عليها الطائرة قبل الاقلاع وبعد الحط . واما (المدرج) بالتشديد ـ زنة المضلع ـ فمصطلح مستحدث آخر يقصد به المكان المتحدر درجات بعضها أعلى من بعض ، وتطلق عادة على قاعة المحاضرات المدرجة أو المسرح أو السينما ...

اخطـــاء سيئـــــة

مترجمو القصص ، وبعضها من الروائع العالمية صاروا يحملون لواء اشاعة الاخطاء وافساد سلائـــق الناس . انهم وباء اللغة تجب مكافحتهم والا فعفاء على السليقة السليمة . ومن الغريب ان الكثير من اخطائهم يتكرر عند كل منهم كأنهم قد تعلموها على استاذ جاهل واحد فى مدرسة ما . صحيح ان التطور اللغوي سائر فى طريقه فى كل لغة وكل زمان لكن بعض هذه الاخطاء لا يصلح ان يكون تطورا . انها اخطاء سيئة وحسب .

واذا اضفنا اغلاط الجرائد والمجلات والاذاعات كانت لدينا عدة كاملة للقضاء على اي أمل فى تكويـن سليقة معافاة للناشئة ، بله تشويه السلائق السويـة عند الكبار ايضا .

ومكافحة هذا البلاء لا يغني فيــه التنبيــه على الاغلاط فى كتب ومطبوعات لا يقرؤها المترجمــون والكتاب الجهلة اصلا ، وانما يجب تأليف لجان فى كل قطر عربي لتصحيح الكتب ولا سيما المترجمة منها ، والمطبوعات الدورية ايضا فهي لانتشارها اقدر على افشاء طاعون الأخطاء اللغوية . وان تعذر ذلك وهو متعذر فعلا فيما يبدو فينبغي فرض غرامة مالية عن كل غلطة لغوية ، وذلك سيلجىء الناشرين الى استئجار من يقرأ لهم ويصحح قبل النشر وتوزيع الاخطاء على الناس بغير حساب .

الثلاثـــة رجـــال :

قلت مرة لأحدهم انها خطأ ، وصوابها : الثلاثـة الرجال . فقال : ثقيلة . قلت هذي هي قواعد النحو . قال هذا نحو جوامع ! قلت وهل هناك نحو كباريهات ؟

من حقه ان يقول انها ثقيلة لأن الخطأ فيها شائع الفته الآذان وجرت به الألسنة حتى لتستثقل ما عداه . ولكي نوضح حقيقة الامر فيها للقارىء نقول ان قولـه (الثلاثة الرجال) يساوي تماما قوله (الرجال الثلاثة) ، فلا ينبغي ان يكون تأخير الرجال سببا لاسقاط علامة التعريف عنها . فاذا استثقل تلك فليقل هذه ، لكن لا يقل : الثلاثة رجال .

3000 كتابا و 50 رجل :

قال احد الاجانب : سأسافر غدا من البغداد الى موصل ، فقال له السامع العراقي : من فضلك خـذ معك ال ! (اي خذ اداة التعريف من بغداد والحقهـا بالموصل) . فعلى هذا نقول لمن كتب قبل بضعة أيام فى الجريدة (3000 كتابا و 50 رجل) : من فضلك خذ علامة النصب من كتابا والحقها برجل ليكون التعبيـر الصحيح : 3000 كتاب و 50 رجلا . والحقيقـة أن حالات العدد والمعدود فى العربية من الكثرة والتنوع بحيث يصعب تعلمها بالحفظ مثل دساتيـر الجبـر والمثلثات ، وانما مرجعها السليقة المتأتية من كثـرة سماع الصواب وقراءته . وطريق ذلك كما قلنـا ان تشكل الكتب ولا سيما المدرسية منها ، وان تبـذل عناية خاصة فى الاذاعات بتلاوة النثر والشعر الذي يسيء بعض المذيعين والمذيعات قراءته فيشوهـون وزنه واحيانا يقلبون معناه ايضا .

مـــن على المنابـــر :

عجيب ان تظل هذه الغلطة حية ترزق بالرغم من وضوحها وكثرة تنبيـه اللغويين قراءهـم اليـها . والصواب : من فوق المنابر ، لأن حرف الجر لا يدخل الا على الاسم ، ولا يدخل على حرف جر آخر . لكني وجدت تعبير (من على) يرد حتـى فى ترجمـات شكسبير ، وحتى على اقلام بعض الكتاب المشهورين .

لـــو ، اذا :

صاروا يستعملون كلا منهما بمعنى الاخـرى . وبعضهم ولا سيما من مترجمي القصص الأجنبية يلتزم بذلك كأنها قاعدة لا محيد عنها . ذلك مثل قول أحدهم : لو رايتها غدا فقل لها انني اكرهها . والصـواب : اذا رايتها ... وقول آخر : اذا عرفت ما فى ضميـري لتأكدت انني أصدق اصدقائك . والصواب هنا : لـو عرفت . وقد قرانا اخيرا لكاتب معروف : اذا نظرنا الى الخميرة .. لوجدنا انها قائمة بنفسها . والصـواب : لو نظرنا .. او : اذا نظرنا .. وجدنا ..

الأهـرامـات :

صوابها : الأهرام ، ومفردها : الهرم . كثر هذا الخطأ وشاع حتى اننا قرانا صيغة (الأهرامـات) فى جريدة « الأهرام » غير مرة .

الرسـومـــات :

بمعنى الصور او الضرائب . لا ضرورة لصيغة جمع الجمع هذه . فالصواب : الرسوم .

الشيـــق :

يستعملونها بمعنى الممتع ، بينما معناها اللغوي بهذه الصيغة هو المشتاق والمشـــوق . أما الممتـــع فصيغته الشائق . ويمكن أن يقال كذلك بهذا المعنى ، بالاضافة الى الممتع : المعجب والشاغف .. والطلي ، اذا كان الموصوف صنيعا أدبيا .

استمـــرينـــــا :

صوابها : استمرنا . ومثلهـــا : استعددنـــا واستمددنا واستحممنا . على أن بعض القبائل كانت تقول فى الجاهلية استمرينا واستعلينا واستحمينا . وقول ذلك من قبل معاصرينا فى الدارجات ، وضعاف الكتاب فى الفصحى ، ما هو الا اثارة متخلفة من ذلك النطق الجاهلي . لكن الغلبة فى الفصحى صارت لفك الادغـــــام .

يعصـــــاه :

صوابها : يعصيه ، فان فعل (عصى) مضارعه يعصي بالكسر ، مثل رمى يرمي ، ومشى يمشـــــي ، واتى يأتـــي ..

مفجـــــع :

لا يوجد فى العربية فعل (افجع افجاعا) بـــل (نجع فجعا) ، ومن ثم لا يقال مفجع بل فاجع . ومنه الفاجعـــة .

مـــريـــــع :

كذلك لا يوجد فعل (اراعه اراعة) بل راعه روعا، وروعه (بالتشديد) ترويعا . والفاعل من الأول رائع ومن الثاني مروع ، بكسر الواو وتشديدها . وقديما قالوا راعني وروعني بمعنى . لكن الرائع تخصص اخيرا بمعنى المعجب الفائق ، والمروع بمعنى المخيف .

الواقـــع المعـــاش :

كثر استعمال هذا التعبير اخيرا ، وصوابـــه : الواقع المعيش ، زنة المبيع والمدين . لان المعاش هو الذي اعشناه ، بينما المقصود : الذي عشناه . ومثل ذلك قولهم المزاد والمشاد والمشان والمصـــان والمقاس والمـــكال والمصاد والمـــقاد والـمـــلام ... فصوابها : المزيد والمشيد والمشيـــن والمصـــون والمقيس والمكيل والمصيـــد والمقـــود والملـــوم ... اي تبعا لصيغة مضارع الفعل ، لا ماضيه .

مزقـــه اربـــا :

الارب العضو . فقولك (مزقه اربا) خطأ مثـــل قولك (مزقه عضوا) . والصواب : مزقه اربا اربا ، اي قطع اشلاءه عضوا عضوا .

الأثـــــاث :

بعضهم يؤنث الكلمة فيقول : كانت الأثاث ... ظنا منهم انها جمع . والصواب أن الأثاث مفرد ومذكر. هذا عدا ان بعضهم يكتبها أساس البيـــت وتأسيـــس الشقة ، كما قرانا أخيرا فى احدى المجلات . وهـــذه الغلطة النطقية مصدرها ان بعض العرب كما فى مصر وسورية ينطقون الثاء سينا فى الدارجة فيظن ضعفاء الكتاب انها النطق الفصيح . وقد رأينا ذات مرة بطاقة لاحد الدبلوماسيين ورد اسمه فيها بالعربيـــة : محمد ثابت ، وبالانكليزية : M. Sabet .

هـــي البـــاب :

صوابها : هو الباب . وكذلك يؤنث بعضهم الراس والبطن ، والصواب انهما مذكران .

بمـــا فى ذلـــك :

يقال نسيت امتعتي بما فى ذلك نقودي . وهـــو خطأ ، والصواب : وفى ذلك نقـــودي ، او : ومعهـــا نقودي ، او : وبضمنها نقودي .. الخ.. لان القـــول (بما فى ذلك نقودي) يساوي (بالذي فيها نقودي) وهو واضح الخطأ ، وصوابه : بما فيها من نقودي .

طـــالمـــا :

كثر استعمالها بمعنى (ما دام) ، وهو خطأ كثير الشيوع خاصة على اقلام المترجمين . فان (طالما) تعني : كثيرا ما .

المظاهرة :

صوابها (التظاهرة) بالمعنى المقصود اي احتشاد الناس فى مسيرة تأييد او احتجاج . والتظاهرة : المرة من التظاهر وهو من معنى الظهور . اما (المظاهرة) فمن الظهر ومعناها المؤازرة من الأزر اي الظهر ايضا ، مثل المساعدة من الساعد والمعاضدة من العضد . وما أكثر من يقع فى هذه الغلطة حتى من الكتاب ذوي الأسماء . بل اننا قلما نصادفها فى صيغتها الصحيحة (تظاهرة) .

الرؤيا :

كثرت فى كتابات المحدثين بمعنى الابصار ، دون ان يدركوا ان (الرؤيا) تعني الحلم الذي يرونه فى المنام، وانهم انما يقصدون (الرؤية) .

دغم الشيء فى الشيء :

الصواب (ادغمه ادغاما) لا : دغمه دغما .

دمج الشيء فى الشيء :

الصواب كذلك (ادمجه ادماجا) ، لا : دمجه دمجا .

التدعيم :

هذه على العكس، صوابها (الدعم) من فعل : دعم دعما . ومعنى دعمت الشيء : اسندته لئلا يميل. فلا يقال : ادعمته ، ولا : دعمته ، بالتشديد .

الهامة والهام (بالتشديد) :

يستعملونها من معنى الأهمية ، والصواب : المهم والمهمة . اما الهام والهامة فمعناهما : الغام والغامة (بتشديد الميم فى كلتيهما) اي المحزن والمحزنة . اي ان (اهمني) صارت تعني اثار اهتمامي ، اما (همني) فتعني غمني واحزنني . وهي غلطة شائعة تجري بها اقلام أكثر الكتاب كبارهم والصغار ، لأن بعض اللغويين كانوا فى هذا الباب قد صوبوا الخطأ وخطؤوا الصواب ، فشاعت قالتهم .

مما سبب كذا :

هذا الاستعمال يجوز اذا كان للأمر أكثر من سبب : مثل ارتفعت الأسعار مما ساعده على جمع ثروته . اي ان هناك سببا آخر او أسبابا أخرى ساعدته على جمع ثروته . اما اذا كان السبب هو الوحيد فلا – مثلا : هطلت الأمطار ما احدث السيول ، او : انكسفت الشمس ما سبب الظلام فى النهار ... فلا يقال فى هذين المثالين (مما) .

انهم يعرفوني :

وقرأت كذلك فى احدى الصحف : يرجى من الاخوان الذين يراسلونا .. ومثل هذه الأغلاط يكثر فى ترجمات شكسبير ايضا . والصواب : انهم يعرفونني ، يراسلوننا ، يرونني ، يسمعانني . وانما يحذف النون الأول فى حالتي النصب والجزم ، مثل: لم يعرفوني ، ولن يسمعاني .

هات الكتاب :

كثيرون يقولون ذلك فى خطاب الأنثى ، يظنون ان الجزم يكون هنا بحذف الياء . والصواب (هاتي). اما (هات) فتقال فى خطاب المذكر وحسب .

لن يقم :

ومثلها لن ينم ، ولن يستفق . وصوابها : لن ينام ولن يستفيق ولن يقوم .. فالنصب فى مثل هذه الأفعال يكون بفتح آخرها . اما حذف حرف العلة منها فعلامة الجزم ، مثل : لم يقم ولم يستفق ولم ينم . اي انهم يستعملون (لن) بمثابة (لم) . وهذا الخلط بين النصب والجزم كثيرا ما نصادفه فى الصحف والقصص المترجمة ، وسببه ضعف السليقة مضافا الى ضعف تعلم قواعد النحو .

لم تفقي ولم تقلي :

بدلا من لم تفيقي ولم تقولي . الخطأ هنا فى الجزم الذي يكون فى مضارع المخاطبة بحذف النون فيحذفون معه حرف العلة ، قياسا على مضارع المخاطب : لم تفق ولم تقل . ويلاحظ ان الجزم والنصب هنا يستويان ، فتقول:لم تريدي ولن تريدي،

ولم تعودي ولن تعودي . ومن حق التلاميذ فى امثال هذه التعقيدات اللامنطقية ان يرتبكوا ويخلطوا ، فان تعقيدات الرياضيات من جبر وهندسة مهما زادت فهي منطقية سرعان ما تنحل ويغمرها الضوء بعد حسن الروية والتفهم، لكن تعقيدات قواعد اللغة ، الاعتباطية، يصعب جدا على التلاميذ فى عصر السرعة والعلوم هذا ان يستوعبها . اما القدامى فلم يكن تعليمهم مزدحما بشتى العلوم كما هو اليوم من جهة وكانوا يتكلمون الفصحى صوابا بالسليقة لانها لغتهم الدارجة البيتية من جهة اخرى .

لذلك فقد وافقت :

الصواب : لذلك وافقت . وما أكثر المواطن التي يمكن فيها حذف (فقد) لتكون العبارة اقوم وآنق .

بالرغم من مرضه الا انه استيقظ مبكراً :

(الا انه) لا ضرورة لها . فاما ان يقال : انه استيقظ مبكرا بالرغم من مرضه ، واما : بالرغم من مرضه استيقظ مبكرا . ومن اصر على استعمال (الا انه) ففي وسعه أن يقول : كان مريضا الا انه استيقظ مبكرا .

ومثل ذلك قولهم : بالرغم من مرضه فقد استيقظ .. والصواب حذف (فقد) .

مع انه صديقي الا انه تآمر ضدي :

هذه العبارة ايضا صوابها حذف (الا انه) .

من الساعة الثانية والى الثالثة :

هذه غلطة اذاعية يكثر من ترداده متكلمو الاذاعات العربية مع ان بعضهم حسن السليقة سليم اللغة . والصواب حذف الواو من (والى) ، ففي العربية يقال : ذهبت من المكتب الى البيت ، ولا يقال: من المكتب والى البيت . وبشاعة الواو هنا لا تقل عن بشاعتها هناك . ولا ندري من اية لغة جاءوا بهذه الغلطة فهي ليست من التعابير المنقولة عشوائيا عن الفرنسية او الانجليزية .

المناخ هنا يوافقني اكثر :

تعبير عامي ، صوابه : اكثر موافقة لي ، او : اوفق لي .

كم هما جميلتان عيناك :

تعبير احد المتشاعرين قراناه فى احدى الصحف، وهو نقل اعتباطي عن بعض اللغات الأجنبية التي يؤدى بها معنى التفضيل على هذا النحو . فى مثل هذا المقام يكون الأبسط والأوجز والأعرب : ما اجمل عينيك ، واجمل بهما .

وهو من الاشخاص الأكثر تبذيرا :

عبارة اخرى قراناها فى صحيفة لكاتب قصصي! وهو تعبير مترجم ايضا . ولا حاجة الى التفصيل . لكن اذا لم يكتف الكاتب المفضال بالقول : انه مسرف ، او متلاف ، او مفرط التبذير .. واصر على صيغة التفضيل ففي وسعه ان يقول : انه من اشد الناس تبذيرا .

كان مثالا يحتذى به :

تعبير صادفناه مرات ، آخرها فى قصة . والصواب : كان مثالا يحتذى . اما اذا اشتهى الكاتب أن يستعمل (به) فليقل : يقتدى به .

وجدت بانه :

كثيرا ما يستعملون الباء بغير ضرورة فى امثال قولهم ، رايت بانه ، عرفت بانه ، ظننت بانه . والصواب: وجدت انه ، رايت انه .. الخ . لكن تجوز الباء فى : اخبرني انه وبانه ، علمت انه وبانه ، سمعت انه وبانه .

الغير معروف :

غلطة ما اكثر شيوعها . وصوابها : غير المعروف. كذلك : النصف شهري ، والفريق أول ، والضابط صف ، واسوأ منها : الصف ضابط ، الى ما هنالك . وصوابها : نصف الشهري ، والفريق الاول ، وضابط الصف ..

ذهبنا سويا :

صوابها : ذهبنا معا ، أو جميعا ، أو كلانا ، أو كلنا . لأن السوي هو المعتدل المستقيم ، فلا يقال ذهبنا معتدلا ، أو تمشينا مستقيما .

يبقي الى ما لا نهاية :

لا يوجد فى العربية تعبير (ما لا نهاية) . وانما يقال : الى غير نهاية ، أو : ما لا نهاية له . ويجوز فى الاستعمال الحديث : الى اللانهاية .

كلما كد واجتهد كلما زاد ربحه :

هذا تعبير آخر يستعمله حتى بعض ذوي الشهرة الآفاقية (التي طبقت الآفاق) من الأدباء . والصواب : حذف (كلما) الثانية .

اخطاء محتملة

توجد اخطاء كثيرة الشيوع اقل سوءا من هاته الاخطاء التى مرت بنا ، وربما يمكن التغاضي عنها لانها قياسية او قريبة من القياسية اولا ، ولأنها قد استفحل شيوعها فلم يعد بالامكان مقاومتها والقضاء عليها ثانيا . منها ما يلي :

الميوعة :

مصدر مستحدث لا تعرفه المعاجم . والمصدر المعجمي هو الميع . لكن بعض الأفعال الثلاثية له فى العربية أكثر من مصدر ، مثل : فار فورا وفورانا وفؤورا ، ومثل : عدا عدوا وعدوانا وعدوا وتعداءا وعدا — وارجع الى المعجم لتعرف كيف تنطق هذه المصادر الخمسة .

لهذا لا نرى باسا ان يكون لفعل (ماع) مصدران وحسب ، أحدهما مستحدث . و (الميوعة) بعد مصدر قياسي مالوف فى العربية من باب السهولة والعذوبة والبطولة ...

الخصوبة :

الصواب المعجمي هو الخصب — زنة الرزق . والقول فيه كالقول فى الميوعة .

النضوج :

مصدر مولد آخر . والمعجمي هو النضج — زنة النصر . ووزن النضوج فى العربية هو : الوقوف والمكوث والرجوع . وشانه شأن الخصوبة والميوعة .

الفشل :

معناه المأثور هو الضعف والتراخي والجبن عند حرب او كرب . اما المعاصرون فصاروا يستعملونه بمعنى الاخفاق . والعلاقة بين المعنيين علاقة سبب ونتيجة ، فالفشل يؤدي الى الاخفاق . وانتقال المعنى وتطوره على هذا الغرار مالوف فى جميع اللغات .

انخرط فى البكاء :

الصواب : استخرط فى البكاء . لكن فعل (استخرط) هذا لا نستعمله فى اي تعبير آخر . وقد عم (انخرط) الذى يعد غلطا الى حد ، الصواب كاد ينقرض بازائه .

اضاف عليه :

المأثور عن العرب هو : اضاف اليه . اما المعنى المعجمي فقد اندثر او كاد ، فان قولهم (أضاف على الشيء) كان يعني اشرف عليه، و (اضفت الرجل على فلان) : انزلته ضيفا عليه .

استند عليه :

صوابه : استند اليه ، كما يسندون عمودا الى جدار مثلا . لكن هذا التعبير صار يعني الارتكاز على الشيء أيضا كالاستناد بالمرفق الى المنضدة مثلا أي فوقها . والأصح فى شأن المنضدة ونحوها ان نقول : اعتمدت عليها . لكن الاعتماد صار يعني الاتكال على شخص آخر ، اي الاعتماد المعنوي ، وندر استعماله فى معناه المادي لدى المحدثين . لهذا لا نرى بأسا بالقول المفلوط : (استندت على المنضدة) و (استندت الى الجدار) — ولو أننا شخصيا نتجنب ذلك تزمتا .

وطـــيء على الشـــيء :

صوابها المعجمي : وطيء الشيء . لكن الاكثرين يكتبونها اليوم (وطيء عليه) ، فصارت أشيع من القولة الفصيحة . وقياسها قول العرب : ركب البعير وركب على البعيـــر .

داس عليـــه :

هذه ايضا صوابها ان تحذف منها (على) لتكون: داســـه .

تعـــود عليـــه :

ومثلها اعتاد عليه . والصواب المعجمـــي أن تحـــذف (على) فيقال : تعود الشيء واعتاده .

ثـــار عليـــه :

الصواب المعجمي : ثار به . لكننا اذا تذكرنا ان (على) تعني (ضد) فى مثل قولهم (من لم يكن منـــا فهو علينا) نجد أن‌تعبير (ثار عليه) أوضح من (ثار به) فى أداء المعنى المراد .

مـــر فيـــه :

يخطئون هذا التعبير ويصوبون قول المجنون : مررت على الديار ديار ليلـى ، وقول شوقي : ولقد مررت على الرياض .

ولئن اجازوا مررت على الديار فهي لا منطقية ولا قياسية . ونرى انه يجوز قياسيا استعمال حـــروف جر اخرى حسب واقع المعنى فنقول : مرت الطائرة على بغداد ، اي فوقها .. ومر القطار من الجزائر ، اذا اجتازها من جهة وخرج من جهة .. ومرت الرصاصة فى الرئة ، اذا اخترقتها .. ومررت بالديار ديار ليلى ، اذا اجتزتها دون أن تدخلها .. ومر الزورق تحـــت الجسر . وهذا هو الذي سوف يشيع على مر الأجيال. أما اتباع القاعدة باستعمال الباء و (على) فى جميـــع هذه الحالات فيجعل المعنى هو المرور بجانب تلـــك الأشياء وحسب .

اخـــطاء مستحبـــة

ينبغي ان نتذكر أن اللغة فى تطور دائب ، كمـــا كانت أبدا منذ نشأتها الأولى ، وأن تدوينها فى المعجم قد ساعد على ضبط ذلك التطور وتوجيهه لكنه لـــم يجمدها اويقف تطورها . ولنتذكر ان الكلمة الفصيحة قد مرت بعدة تطورات وتحريفات فى المعنى والمبنى حتى وصلتنا كما هي الآن . اي أن كل كلمة فصيحة قد كانت خطأ بالنسبة الى الكلمة التي نشـــات منهـــا . ولو قد دونت المعاجم قبل الاسلام بالف سنة لاعتبرت فصحانا عامية محرفة بالنسبة اليهـــا ، مثل لغاتنـــا الدارجة بالنسبة الى الفصحى . وقد انجبت العربية من مستحدث الالفاظ والمصطلحات فى العهد الاسلامي الشيء الكثير ـ فى العلوم والآداب والاجتماع والعمران، مما ينبيء أن حركة التطور سارت سيرها الطبيعـــي الحي ، وأن المعاجم الجامعة لبعض الصيغ السماعية لا تمنعنا من اشتقاق صيغ اخـــرى قياسية ، بـــل تساعدنا عليه .

ان من فضائل المعجم العربي انه يورد من الكلمة صيغها المسموعة فقط ، لا جميع الصيغ التي يمكـــن اشتقاقها منها . لكن بعض المتشددين كانوا يحرمـــون اشتقاق صيغ أخرى مما يمكن استخراجه حسب قواعد الصرف ، وما زالت بقية من اولئك المتشددين يحاولون الوقوف فى وجه التيار الذي لا يوقف فى وجهه . فانه لمن العبث اجبار ابن عصر الصاروخ الهابط هونا على الزهرة الا يخرج عن حدود لغة راكب البعير السائـــر هونا فى البيداء .

واذا سلمنا بحقيقة تطور اللغة نكون قد سلمنـــا ضمنا بأن الفصحى يمكن ان تكون هي المخطئة . وما بعض الشواذ الا اخطاء جرت قديما على لسان بعضهم فتبعته أسرته أو قبيلته ، ثم تسربت الى لغة قبائل اخرى ، ثم انحدرت الينا من العهد الجاهلي . والشواذ آفة تنتاب كل لغة . ومن أكثر اللغات شواذ الانكليزية حتى لقد فكروا جادين فى الغاء كل الشواذ نطقا وكتابة، واقامة ما سموه Basic English اي الانكليزيـــة القاعدية ، او القياسية .

من هنا تبرز أهمية حقيقية اخرى ، هي أن تيار الاخطاء اللغوية فى العربية سائر بوجه عام الى التقييس، اي الغـــاء الشواذ ، اي تصحيـــح الاخطاء الجاهلية القدمى . وسيلاحظ القاريء أن أكثر الأخطاء التالية ، التي نسميها مستحبة ، قياسيـــة . اي ان ضعـــاف الكتاب لجهلهم بالشواذ يقيسون ما لا يعلمون على مـــا يعلمون . وهذه الأخطاء المستحبة بالاضافة الى ذلـــك أقرب الى المنطق والى حاجاتنا واقـــدر على البقـــاء والصمود من الصواب التداعي المنهار الذي لم يعـــد بالامكان فرضه على الجيل .

وتصويب بعض الاخطاء المنطقية المقبولة لبس بالامر المستحدث ، فقديما حرموا اشياء ، منها تعريف (كل) و (بعض) باللام ، ونفي المضارع بعد (قد) . لكن الوعي اللغوي المفكر خرق هاتين القاعدتين . ويحل لنا اليوم أيضا أن نتبع هذه القاعدة — قاعدة خرق القاعدة اللامنطقية — حين يتطلب الأمر ذلك . فان لم نبح ذلك فان المحدثين قد اباحوه لأنفسهم دون استئذان منا ، ولم يبق لنا الا ان نقر ذلك ، لأن مكافحته عبث لا طائل وراءه . والظاهر انه كلما زدنا تشددا زاد الخرق اتساعا . القاعدة الدينية « يسروا ولا تعسروا» تجد لنفسها مكانا مرموقا فى اللغة أيضا .

انا شخصيا اكره الكثير من هذه الاغلاط — المستحبة — واتجنبها فى كتاباتي ، واذا استعملت بعضها مما ارجحه على الصواب فغالبا ما أشير فى الحاشية الى رايي فيها . لكن هذا لا يمنعني ان انظر اليها النظرة الواقعية الموضوعية .

الكل والبعض :

لا يجيز اللغويون تعريف (كل) و (بعض) باللام كما قلنا . لكن قدامى المترجمين — فى الفلسفة والمنطق — لم يجدوا مناصا من استعمال (الكل) معرفا وايراده مقابل الجزء ، ثم الحقوا به (البعض). وقد اخذ ابن جنى بذلك ، فأسقط حجة المتشددين .

قد لا يمكن :

يجيزون (قد يمكن ، وقد يكون) لكنهم لا يجيزون (قد لا يكون . .) . لماذا ؟ لانه لم يسمع عن العرب . ولنلاحظ ان هناك فرقا بين « لم يسمع عن العرب » و « لم يقله العرب » ، فان الكثير مما قاله العرب قد اندثر قبل ان يسمعه اللغويون أو سمعوه ولم يأخذوا به لانهم عدوه مولدا أو عاميا أو نبطيا . اي أن هناك فرقا آخر بين « لم يسمع عن العرب » و « لم يسمع عن الأعراب » .

وليس منطقيا بطبيعة الحال جواز (قد) فى الاثبات وعدم جوازها فى النفي . وقد خرج على هذه القاعدة بعض قدامى اللغويين المنطقيين — اي القياسيين — منهم ابن جنى ، فقد استعملها كذلك فى اكاتيبه .

الزوجة :

استعمل العرب كلمة (الزوج) للذكر والأنثى ، لان كلا منهما زوج للاخر ، اي قرين . لكن بعضهم أنثها للانثى على قلة قديما . وقد احسن المحدثون بالتمسك بذلك فقال اكثرهم : الزوج للذكر والزوجة للأنثى . فهي ليست خطأ اذن ، لكن المتشددين يعدون التذكير فى الحالين افصح .

الخادمة :

ويقال هنا ما قلنا فى الزوجة ، فان استعمال (الخادم) للأنثى يسبب اللبس اذا لم توجد قرينة توضيحية . ولا كذلك الظئر والمرضع والحاضن والحامل . . اللائي لا يلتبس الكلام فيهن لأنهن لا يكن الا اناثا .

العضو :

سمى الجزء من جسم الانسان عضوا ، بالتذكير، واعضاء الجسم اخلاء ، اي خلو من الذكورة والأنوثة ، ولا لبس فيها . لكننا حين نطلق الكلمة على البشر : عضو الجمعية وأعضاء الحزب او اللجنة — يحسن بنا التفريق بين الاناث والذكور . ان القاعدة اللغوية تقضي ان نقول ان فلانة عضو فى الجمعية الفلانية وزوجها عضو فى اللجنة الفلانية . لكن ضعاف الكتاب صاروا يقولون انها (عضوة) ويجمعونها على (عضوات). وهو التعبير القياسي الذي سيثبت فى المستقبل .

العريس :

صيغة تعني مذكر العروس . والعروس فى الفصحى كالزوج تطلق على الذكر والأنثى ، لكنها تخصصت فى الدارجات بالأنثى وخصوا العريس — ولعلها قديمة مهملة — بالذكر . وهي صيغة مقبولة تمتاز كذلك بعدم اللبس .

الملكي :

نسبة الى الملك بكسر اللام . لكنهم يعدون من الخطأ نطق هذه النسبة (الملكي) بكسر اللام ، لأن المأثور عن العرب فتحه ، زنة عربي وبلدي . وهذا الصواب المأثور هو الشاذ المخالف للقياس الذي هو

في الاصل اضافة الياء الى الاسم المنسوب اليه (عدا حالات شاذة اي مغلوطة هي الاخرى ، تتغير فيها بنية الاسم) . ونعتقد ان هذه الغلطة الدارجة ، الرائجة ، سوف تكتسح الصواب مع الزمن لكثرة الجاهلين بالصواب .

التقييم :

صوابها المعجمي : التقويم . لكن التقويم يعني تعديل المعوج ، وتقويم البلدان وتقويم الايام (الذي يبين حساب الايام والشهور) . فاذا اضفنا معنى آخر اليه هو التثمين وتقدير القيمة نكون قد حملناه فوق طاقته ، فضلا عما في ذلك من التباس لا يزيله الا ذكر قرينة ايضاحية مع الكلمة . لهذا سرعان ما تداول الكتاب صيغة (التقييم) مرحبين ـ وانا من جملتهم ـ بغلطة المترجم الضعيف الذي اشتقتها من القيمة ، غير عارف ان اصلها هو (القومة) بكسر القاف .

الحياتي :

الغربيون يستعملون كلمة حيوي (vital بالانكليزية) بمعنى الاساسي والجوهري ، وقد تبعهم العرب في ذلك حتى فقدت كلمة (الحيوي) ـ نسبة الى الحياة ـ معناها المنسوب الى الحياة . وقد صار ضعاف الكتاب يقولون (الحياتي) عندما يريدون النسبة فعلا الى الحياة (مقابل (biological وهي غلطة مستحبة اخرى ، مزيتها التفريق بين المعنيين .

بين كذا وبين كذا :

لا يجوز لغويا تكرار (بين) الا اذا كانت مضافة الى ضمير ، مثل : بيني وبينك ، او بينك وبين قومك. لكن لا يجوز ان يقال بين احمد وبين محمود ، فالصواب هنا ان تقول : بين احمد ومحمود .

وهذا يوجب اللبس اذا كان احد فريقي (بين) او كلاهما متعددا ، كقولك : وقعت الخصومة بين احمد واخيه واخته . فهذا قد يعني ان احد طرفي الخصومة هو احمد ، او احمد واخوه ، او ان كلا من احمد واخيه واخته طرف مستقل في الخصومة . لهذا صاروا يقولون للخروج من هذا المازق اللغوي : وقعت الخصومة بين احمد من جهة واخيه واخته من جهة اخرى ـ اذا كان احمد وحده احد طرفي الخصومة مثلا . واهون من ذلك واخصر ان نجيز تكرار (بين) في مثل هذه الاحوال فنقول : وقعت الخصومة بين احمد وبين اخيه واخته ، او بين احمد واخيه وبين اخته .

على ان الكثيرين يقعون في خطأ تكرار (بين) حتى كاتب معروف بمقدرته اللغوية كالعقاد حيث قال في كتابه عن (ابن الرومي) ما نصه : « فلم يمدح خليفة قط الا لعلاقة بين هذا الخليفة وبين رئيس أو نديم من الذين يعرفهم وينتمي اليهم » .

ونترك للقارىء ان يقدر هل (بين) الثانية ضرورية او مستحبة في هذه العبارة ام لا .

استهتر بالقانون :

استهتر فلان ، تعني اتبع هواه فلا يبالي بما يفعل . وقد صار المحدثون يقولون : استهتر بالشيء ، بمعنى لم يحترمه ، واستهتر بالقانون ، بمعنى لم يتقيد او يحفل به . لكن بعض اللغويين يحرمون هذا الاستعمال لان فعل (استهتر بالشيء) ـ بصيغة المجهول ـ تعني اولع به . وما من احد يستعمل اليوم صيغة المجهولية هذه بهذا المعنى. فلا بأس بالاستعمال المستحدث ، وهو ليس خطأ بل توليدا .

الافضل منه :

يقول النحاة انه لا يجوز استعمال حرف الجر (من) بعد اسم التفضيل المعرف باللام ، فلا يصح مثلا قولك : والانكى من ذلك ، وهو التعبير الذي يكثر استعماله على نطاق واسع ، بل الصواب أن تقول : وانكى من ذلك ، وادهى من ذلك .

لكن هناك فرقا في المعنى بين قولك : هذا الرجل اقدر مني ، وقولك : هذا الرجل هو الاقدر مني، فالاول يعني انه اقدر منك ويجوز ان يكون هناك آخرون كثيرون اقدر منك .

واما الثاني فيعني ان هذا الرجل وحده اقدر منك .

لهذا لا نرى ضيرا في ارتكاب هذه الغلطة المنطقية عندما يراد المعنى الثاني . واذا لم يوافقني القراء الكرام على ذلك فهو الخطأ الذي سيعم على كل حال ، وقد عم فعلا او كاد .

استعمـــالات مغربيـــة

الدارجة المغربية من اللغات العربية العجيبـــة ، فهي مثل طبقات الارض تكونت من ترسبات مختلفة فى آماد متفاوتة . وبالرغم من ان المغــرب هو القطــر الاقصى بين الاقطار العربية لم يكن حظه من العربيـــة اقل من حظ سواه ، منذ عهد الهجــرات الحاميــة (البربرية) والفنيقية والقرطاجية ثم العربية الاسلامية.

وصحيح انه توجد الفاظ اجنبية غير قليلـــة فى الدارجة المغربية (1) الا ان فيها لقاء ذلك الكثير من الالفاظ الفصحى التي لا توجد فى لغـات المشــرق العربي والتي لا يستعملها المشارقة الا فى الفصحى . نذكر من ذلك : الجهد (القوة) ، الوعر (الصعب) ، الماضي (الحاد القاطع) ، يرعف (ينزف انفه دما) ، العام (السنة) . بل ان فى الدارجة المغربية الفاظا من الفصحى لا يستعملها المشارقة حتى فى آدابهم مثل : الحـرش ـ بكســر الـراء (الخشــن الملمـس) ، ومثلهـا الخنـز (النتـن) ، والصهـد (الحـر) . واكثـر من هـذا ان فيـهـا مـا لا يعرفـه المشارقـة اصلا من الالفاظ المعجمية التي تعد عندهم مهجورة مما يجري على السنة سواد الناس فى المغرب حتـى من الأميين والقرويين ، مثل : القاصح ـ وفصيحها القاسح (الصلب الجاسي) ، ويكحب ـ وفصيحها يقحـب (يسعل) . ثم هم ينطقون الماء بالهمزة كالفصحى .

ولقاء هذه الأصالة فى الدارجة المغربية نجد فى الفصحى المغربية الرائجة ـ اي لغة الجرائد وما اليهاـ بعض الاستعمالات اللغوية المغايرة للفصيح المتعارف. وانما سميناها استعمالات ـ لا اغلاطا ـ لأننا بعد الذي اوردناه من راي فى التطور اللغوي نترك الحكم عليها للقارىء وللزمن بعد أن نبدي راينا فيها .

توصلـت برسالـــة :

فعل التوصل لا ياتي فى الفصحى بهذا المعنى . والفصيح : تسلمت رسالة ، تلقيت رسالة ، وصلتني رسالة . وانما يقال توصلت بالشىء الى شيء آخر ، اي توسلت به .

يتوفــر على المـــال :

بمعنى يملكه ، وبالتعبير المحدث : توفر له المال. اما توفرت على الأمر ، فتعني عكفت عليه وانقطعت له.

التـــدخـــل :

يستعملونها بمعنى القاء خطبة . ويمكننا ان نقول: تكلم فلان فى المجلس أو خطب ، بدلا من (تدخل) .. ونترك التدخل لمعناه اللغوي الرائج .

المقـابلـــة :

يستعملونها بمعنى المباراة ، وهي ليست خطأ ، لكن معناها يلتبس بمعنى التقابل . ويمكن بدلا منهـــا استعمال المباراة والمنازلة .

الجهـــوي :

يستعملونها مقابل regional . لكن region لا تعني الجهة بل المنطقة والربع والرجا ، زنة المها ، التي جمعها : الأرجاء . لذلـك نقتـرح استعمــال (الرجوى) ، زنة البدوي ، من (الرجا) ، بدلا مـــن الجهوي التي لها معنى آخر .

التـــراب الوطنـــي :

يستعملها عرب المغـرب العربي الكبير بمعنـى territory بالانكليـــزيـــة و territoire بالفرنسية ، وكلتا هما من اللاتينية terra : تراب ، وكان المشارقة يعبرون عن هذا المعنى بقولهم (الاراضي الاقليمية) . وقد اخذوا اخيـرا يجاورون المغاربة فى استعمال (التراب الوطنـــي) . لكـــن للتراب معنى آخر محدودا هو القليل من الثرى. وكان اولى من ذلك ان يقولوا (الأرض الوطنية) لأن كل حفنة من التراب تراب وطني . لكن هذا التعبير أيضا مركب من كلمتين ، وشعارنا فى وضع المصطلحات الاقتصاد فى اللفظ على قدر الامكان . لهذا نقترح (الثرى) الذى

---

(1) اكثرها من الفرنسية وبعضها من الاسبانية تسربت الى الدارجة المغربية فى عهد الاحتلال الأجنبي ، و « مكتب التعريب » يحارب هذه الألفاظ الدخيلة وقد اصدر كتيبا بها مع ما يقابل كلا منها مـــن الالفاظ الفصيحة ؛ كما توسط فى نشرها بـواسطة الاذاعة والمشواف .

كثيرا ما استعمل في العربية بمعنى أوسع من التراب ولا سيما في تسمية ديارهم : ثرى الاجداد . فبدلا من القول التراب الوطني المغربي ، او العراقي ، او السوري ، يقال : الثرى المغربي .. وخاصة أن كلمة (الثرى) العربية هي أثل terra اللاتينية . وتكون النسبة الى الثرى عندئذ (ثروى) زنة بدوي وسنوي.

الازديـــــاد :

يستعملها المغاربة بمعنى الـولادة . وازداد الشخص بتاريخ كذا : ولد . ولعلها ماخوذة من ازدياد عدد افراد العائلة بولادة انسان جديد . بل لعل الارجح انها من (زائدة الكبد) وهي الهنة الصغيرة منه الى جانبه كأنها ولده ، فشبهوا بها الولد ، ثم عبروا عن الولادة بالازدياد .

ويبدو أن الكلمة عريقة في العربية ، لان كلمة (زاده) تعني في الفارسية : سليل او نجل اي ولد ، والفعل الماضي (زاد) : ولدت . فان كان أثل الكلمتين المغربية والفارسية واحدا فهو من العربية القدمى .

تفصيــح الدارجـــات

توجـد في الدارجـات العربيـة الفـاظ لا مقابل لها في الفصحى ، أو لها مقابل منسي مهجور . ولا نرى بأسا باستعمالها في الفصحى . ولعـل بعض هذه العاميات أفصح من الفصحى أي أقدم منها ، مما اغفله جامعو اللغة .

فـــرم اللحـــم :

يكثر كتاب اليوم من قولهم : فرم اللحم ، واللحمة المفرومة . وهذه ايضا يخطئونها لفقدان (الفرم) في المعجم . ونعتقد انها كانت موجودة في لغات قبائل لم تصلهم لغتها ، وهي ما تزال موجودة على كل حال في السريانية . اما في الفصحى فيقال : هرم (بالتشديد) اللحم تهريما فهو مهرم . لكن من الصعب جدا تعميم هذه اللفظة في جيلنا .

وينطقونها في العراق بالثـاء : ثـرم اللحـم ، واللحم المثروم . وهي صيغة عريقة فيما نظن بقي من معناها في المعجم : ثرمت الرجل : كسرت سنه من أصلها فهو أثرم . والثرمان شجر لا ورق له .

والذي يبدو لنا ترسيسيا ان ثرم وهرم أثلهما فرم ، وهذه أثلها فرى ، وهذه أثلها ورسها فر ، من محاكاة صوت اجنحة الطائر عند فراره : فررررر .

فما دمنا نجد في العربية أثل (فرم) وهو فرى ، وبناتها مثل : هرم وثرم .. فليس ثمة الا مجال قليل للجدل في كونها عربية فصيحة .

شطـف الشـيء :

تعبير دارج يعني : غسله الغسلة الاخيرة بالماء الصافي (دون منظف من صابـون أو غيـره) . ولا نعرف ما يقابلها في الفصحى . لكن قولك في الفصحى: شطفت الثوب ، يعني غسلته بوجه عام . والمعنـى الدارج اخص ، وقد صاروا يستعملونه في المجالات التقنية والمعاشية في الشرق الاوسط ، ومن الصعب صرفهم عنه لو كانت هناك ضرورة لذلك .

و (الشطف) ان لم يكن كلمة عريقة من المهملات المنسيات فان أثلها عريق وهو (الشط) اي النهر أو الشاطىء لانهم كانوا الى عهد قريب يغسلون الثياب على شطوط الانهار ، قبل ان تعم اجهزة ايصال المـاء الى البيوت بالانابيب .

الشفـــــط :

معناه : رشف السوائل مصا بالدارجة العراقية، وربما في دارجات عربية أخرى . ومن ذلـك قالوا : المضخة الشافطة ، وهي فيما نرى أدق من المضخة الماصة ، لان المص يشمل السوائل وغيرها من رطب ويابس ، على حين أن الشفط خاص بالسوائل . فيقال ان الطفل يمص اصبعه مثلا ويشفط الحليب .

وأثل الكلمة : شف ، ومنها : الشفة والشفـر والرشف . ولعل الشفط العامية أثيلة في العربيـة تخلفت من بعض القبائل القدمى .

العزومـــــة :

فصيحها الدعوة . لكن الدعوة تلتبس بمعنـى النداء أو الدعاية أو التحريض . وقد حلت الدارجات هذا المشكل بالقول : عزمه على العشاء ، مثلا ، بدلا من دعاه اليه . لكن المصدر هو (العزيمة) فاذا أردنا تفصيح الكلمة فسوف يلتبس معناها بمعنى العـزم

والارادة . وقد حلت الدارجة المصرية هذا المشكل الآخر بجعل المصدر (عزومة) زنة مرونة وسهولة . .

لا يطوله القانون :

تعبير مصري آخر بالدارجة يعني : لا يناله القانون ، وبالدقة : لا تصل اليه يد القانون ، او لا تشمله طائلة القانون . وهي غلطة معجمية لكنها تؤدي بكلمة واحدة ما لا يؤديه المعجم الا بأكثر من كلمة .

الغنوة :

هي الأغنية في بعض دارجات الشرق الأوسط . وشدما يزعجني ان اقراها في شعر الشعراء ونثر النثراء . ولا عيب فيها سوى انها من الدارجة ، والا فهي اخف على اللسان من (الأغنية) واحلى جرسا . وما اكثر من يستعملونها في الفصحى ظنا انها من الفصحى ، ولعلها لعلا من الفصيح المنقرض مقلوبة من (النغوة) الفصيحة التي تعني : النغمة الحسنة .

الحكايا :

هذه ايضا يستعملونها بدل (الحكايات) . ويزعجني كذلك أن اقراها ، لأنها ــ كالغنوة ــ تمثل القصور اللغوي في المتأدب او المتشاعر ــ مع انها هي الأخرى اخف على اللسان واحلى جرسا في الأذن من (الحكايات) .

ووزنها في العربية : القضايا والعطايا والهدايا . فلعل بعض العرب كانوا يجمعون الحكاية والرواية والشكاية ايضا على : حكايا وروايا وشكايا .

والحكايا من الدارجة السورية اللبنانية وسوف تشيع اردنا أم لم نرد .

خض :

بالدارجة العراقية يقال : خض الغصن أو الشكوة (وفصيحها الشكية ، بصيغة التصغير) . أما في الفصحى فيقال : هز الغصن ومخض الشكية . لكن (الخض) لا وجود له في القاموس بهذا المعنى . ولا نشك ان الصيغة نصيحة وانها أثل (مخض) ولو أن اللغويين لم يذكروها . ونرى الكلمة مستحسنة ، فتقول : خض قارورة الدواء مثلا يعني هزها لمزج ما فيها ، لكنك لا تقول خضها اذا كانت فارغة ، بل هزها.

غشيم :

الفاشم والفشوم والفشام لغة : الظالم والغاصب. أما صيغة الغشيم في الدارجة العراقية ــ وربما في غيرها ايضا ــ فلا وجود لها في المعجم ، وهي تعني الشخص الساذج او الجاهل بالصنعة . ولا تقوم مقامها كلمتا (الغر) و (الغرير) الفصيحتان اللتان تعنيان : الشاب الذي لا خبرة له ، لأن (الغشيم) تشمل الشاب وغير الشاب ، كما انه من الصعب أن نعمم اليوم تعبير (فلان غر في التصوير أو غرير في التجارة) بمعنى انه غير ذي خبرة أو تجربة فيهما .

البصمات :

صاروا يطلقونها على وسمات الأصابع . ويبدو انه من العبث محاولة تعميم الوسمة والوسمات ، بالرغم من خفتهما وحسن وقعهما في الأذن ، فقد شاعت البصمة والبصمات شيوعا كاسحا . ولا بأس بهذه الصيغة فان السمة والوسمة من الوسم وائله الوشم ، وقد نشأت منه منذ القدم صيغ : الوصم والوصف والرسم والرشم والبسم .. ولا ضير ان نعطي المحدثين حق اضافة صيغة واحدة أخرى هي البصم . ولعلها صيغة اثيلة قديمة هي الأخرى مما افلت من شباك المعجميين ، بقيت في الدارجات فاستحياها المحدثون . ومن مزايا (البصمة) انها تدل وحدها على طبعة الاصبع ، بينما الوسمة أو السمة او اية كلمة اخرى ، لا تدل على هذا المعنى دون قرينة تفسيرية .

حول الأخطاء الشائعة

ينشر الأستاذ الشاعر السيد محمد العدناني تصحيحا للأخطاء الشائعة على أسلات الأقلام والسنة الخطباء والمذيعين، وقد لاقت مقالاته هذه صدى طيبا واحتراما مرموقا ، وعزم على جمعها وطبعها فى كتاب تتميما للفائدة واحب ان يستشير اخوانه من العلماء فى قيمتها ومدى نفعها فنشر فى مجلة الأديب استفتاء وجهه الى مجامع اللغة العربية فى القاهرة ودمشق وبغداد ، ومكتب تنسيق التعريب فى الرباط والمستشرقين والأدباء طالبا منهم الاجابة على ثلاثة أسئلة هي :

1 — هل تجيزون وضع همزة تحت الألف فى الأفعال الخماسية والسداسية اذا جاءت فى أول الجملة ام تضعون تحت الألف كسرة ؟

2 — هل تضعون التنوين على الألف فى نهاية الكلمة ام على اعلى جانبها الأيمن ؟ !

3 — ما هو رايكم فى انموذجات الأخطاء الشائعة التي ظهرت فى الأديب ؟ .

وجعل الاستاذ العدناني رسوله الينا سيادة سفير المملكة الأردنية بالرباط الشيخ ابراهيم القطان وهو الرجل العالم العامل قبل أن يكون ديبلوماسيا ناجحا فبعثنا اليه بالرسالة التالية :

1 — ما دامت الهمزة همزة وصل فرقم الهمزة تحتها خطأ وعبث ان ماضي الخماسي والسداسي وامرهما ومصدرهما وأمر الثلاثي كلها همزتها همزة وصل . وكذلك الكسرة تحتها لا لزوم لها. وانتم بنفسكم قد نشرتم ستة وعشرين مرجعا يؤيد هذا الراي فهو اذن مقبول بحكم الاجماع تقريبا .

2 — ان حروف العلة فى الاصل امتدادات صوتية لحركاتها ، والتنوين تكملة لغنة الحركة وموسيقاها ولذا فلا نرى بأسا من تحميل الألف هذا التنوين ما دامت قد اصبحت حرفا . أما قول النحاة بأنها حرف معتل مريض يكفيه ان يحمل حركته وحده فكيف نحمله حركتين ؟ فقول فيه كثير من الحنان الفلسفي !!!! . ونحن نعتقد ان الألف من اقوى الحروف ان لم تكن فى واقعها اقواها واشدها جلدا وصلابة . الا ترى انها تستطيع ان تتغير وتتبدل وتتنكر وتلبس لكل حال لبوسها فتارة تكون ممدودة مبسوطة وطورا مهموزة مفصولة وحينا موصولة ، واحيانا مقصورة ، فأي حرف من حروف اللغة يستطيع هذا التلوي والتغير

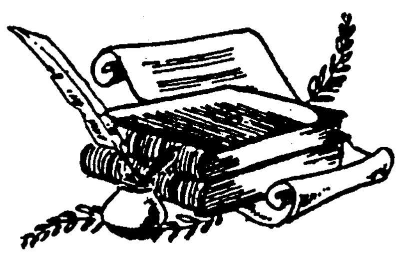
والتبدل والتلون سواها ؟ ! ومع هذا كله ، فانا نفضل متابعة الاكثرية المطلقة من علماء اللغة ورسم التنوين على الحرف السابق حبا بتوحيد الخط ورغبة عن الشذوذ على المجموع .

3 ـ تابعنا ما تنشرونه على صفحات الاديب الزاهرة باهتمام واقتبسنا بعضه ووقفنا حيال بعضه الاخر موقف المتردد ، لانا نفضل اللين لا التشدد والتسامح الممكن على التزمت والتصلب . ولغتنا ـ بحمد الله ـ من الطف لغات الدنيا واكثرها عونا وتسهيلا ، فلماذا نتعلق بالصعب ونهجر السهل ؟ !

نعم نحن حراس اللغة وعلينا واجب الدفاع عنها امام هجمات المفرضين والهدامين والمتساهلين والمخربين من هذا الجيل الكسول ، لكن علينا كذلك واجب التسهيل والتبسيط والتحبيب بجمال لغتنا ونشرها بايسر سبيل والطفه . الا ترى كيف سهل الفرنسيون صرفهم ونحوهم ، ويسر الانكليز لغتهم ؟ الا ترى كيف ينشرونها بكل وسيلة ويستخدمون المذياع الناطق والمصور على اوسع نطاق ؟ الا ترى كيف يحملون أمانة الضارة ويخلقون الالفاظ والمصطلحات خلقا ؟ الا ترى كيف يتابعون التطور العلمي يوما بيوم وساعة بساعة . ونحن ما نزال نتخلف ونختلف ونضيع اعمارنا الغالية فى مماحكات املائية فى عصر انطلق الانسان حتى من الجاذبية الارضية نفسها ووطيء وجه القمر وغازل الزهرة والمريخ ، فلماذا لا نقتدي بهم فى خدمة لغتنا ؟ !

ان مكتب تنسيق التعريب يجلكم اعظم اجلال ويقدر جهودكم المبرورة ويقف الى جانبكم فى الدفاع عن لغة القرآن الكريم ويشد ازركم ويرجو ان يوفقكم الله تعالى الى متابعة الطريق النبيل الذي بدأتموه ودمتم .

م . ح .



مُصطلحَات أجنَبيّة أصلها عربي

أبُو فَارِس

اقتبست اللغات الأوربية كثيرا من الالفاظ العربية وقد بلغت نسبة هذه في بعض اللغات عدة آلاف وكتب في هذا الموضوع لتره Littré صاحب القاموس المعروف لحقا اثبت فيه بعض هذه الكلمات وان كان وهم في اخرى فنسبهـا الى اصل غير عربي ونحن نفتح هذا الباب الجديد نورد فيه الكلمات العربية التي اقتبست عنها اللغات الأوربية وغيرها راجين ان يسهم في تحريره كل من عثر على شيء من هذا القبيـــل :

Humide من ومد العربية والومد عبــارة عن ندى ياتي في صميم الحز فيقال يوم ومــد وليلـــة ومــد او ومــدة .

ذكر لاروس الكبير انها من كلمـــة Zigzag الالمانية zickzach ولعلها من الكلمة العربيـــة الزكزكة وهي حسب لسان العرب أن يقارب الرجـل خطوه مع تحريك الجسد ويقال زكزك وهنالك ايضـا كلمة عربية اخرى تفيد نفس المعنى وهـي الزقزق بمعنى ترقيص الطفل

ذكر لاروس أنها من الكلمة اليونانية Eczéma, ekzema ويقصد به نوع من الطفح الجلدي وهناك حالة تعرف بالاكزيمة الجافة تبقى النفطة أو المجلة فيها مقفلة وتجف متقلصة ولعلها من الكزم ومعناها في لسان العرب لابن منظور التقلص والاجتماع في اليد والقدم والأنف والشفة والفم الخ . والمكزم هو الذي اكلت اظفاره الصخر

Rôder يرى لاروس أن هذه اللفظة مشكوك في اصلها وقد تكون في نظره من Rotare اللاتينيـــة ويظهر لنا أنها من الكلمة العربية راد يقال راد الدابـــة جعلها ترود رودا اي تختلف في المرعى مقبلة ومدبرة وارود في مشيه رفق ومعلوم ان قانون السيـــر فـــي الطرق العامة خلال الرود هو الرفق والاناة والريـــح الرادة هي الريح اللينة الهبوب والرود أيضا المهلة — يقال مشى على رود اي مهل .

Gerboise الكلمة الفرنسية من اليربوع العربية وتسمى في البادية العربية الجربوع

Suaeda fructicosa السويداء او السويد فاسم الجنس العلمي من العربية (الشهابي)

Traquée (bête ...) الدريكـــة من دارك اذا طارد ولعل اصل اللفظ الفرنسي عربي

Arac-mesuak (salvadoda persica) من العربية شجر السواك (مفردات الانطاكي)

Bubul من البلبل العربية وتسمى باللاتينية (Pycnonotus)

الكلمة الفرنسية من حبارى العربية حسب معجم لتـــره Aubère

الفاغرة Clavalier ou fagarier (= zantoxylum) كلمـــة fagarier من العربية وهي كلمة استعملها ابن سينا وهو من التوابل مثل الفلفل

ورل تصحيف ورل العربية (عن لحق معجم لتره) Varan ou monitor (Varanus)

Usnée (Usnéa) الاسمان العلمي والفرنسي
من الكلمة العربية اشنه وهو جنس من الحزاز

Village الفلاج جمع فلجة وهي من ناحية المدينة
رياض جامعة للناس ايام الربيع (معجم البلدان) ولعل
من الصدف الغريبة أن يكـون للكلمتيـن العربيـة
والفرنسية معنى متقارب

Mortaise من العربية مرتزة اي مثبتة (لاروس)
وقد رز الشيء في الشيء اذا اثبتـه (القامـوس)
والرزة هي الحديدة يدخل فيها القفل كما أن الكلمـة
الفرنسية يراد بها الفتحة في الخشب يدخل فيهـا
لسان خشبي

Aludel أثال : اناء كالبوتقة دون قعـر
لتصعيد المواد الكيماوية وقد أثل المادة صعدهـا
واللفظ الفرنسي مصحف عن الكلمة العربية

Sandale السنـدل جـورب الخـف
(لسان العرب عن ابن خالويه)

Tincal ou tinkal التنكار (مفردات الأنطاكي)
الكلمة الفرنسية مقتبسة من الاسبانية وهذه من العربية
وهي بورات الصود المائي الطبيعي

Sumac السماق ويسمى ايضا حسب القاموس
التمتم والعبرب والعربرب والعنزب والعترب والاسم
الفرنسي من سماق العربية

Talc الطلق (تعريب تلك : القامـوس)
الفرنسية من العربية

تمـرهنـدى
Tamarin ou tamarinier (tamarindus indica)
وهو الصبار والحمر والحومر
(القاموس) والكلمة اللاتينية من العربية

Cirage تشميع اصلها من شمع السراج
اي المصباح الزاهر

Tolier المطـال

Tôlerie المطالة من مطل الحديدة ضربهـا
ومدها وسبكها

Retama الرتـم (نبـات)
الاسم العلمي اللاتيني من الاسم العربي وهو جنـس
جنبات من الفصيلة القرنية تغرس للزينة وقد رتمت
المعزى اي رعت الرتم او اخذها غشي من أكل الرتم

الحرمل (وهي عربية الأصل)
Peganum harmale

Pastèque البطيـخ
الكلمة الفرنسية محرفة من كلمة البطيخ العربية

الفرنسية من نخاع العربية بدلوا معناها حسب
Nuque الشهـابـي

Mousson موسم (اصلها من العربية (لاروس)
وهو ريح موسمي يهب من البحر أو من البر في جنوب
شرق آسيـا

تعقيب على المصطلحات البريدية

توصلنا من الاتحاد البريدي العالمي بمجموعة من المصطلحات البريدية من اجل مراجعتها وابداء الملاحظات حولها وهذا هو القسم الثاني من الملاحظات التى سبق للمكتب ان ابداها حول المعجم القيم الذى وضعه الاتحاد وقد ادرجت ملاحظات المكتب الاولى فى الطبعة الجديدة التى صدرت للمعجم البريدي وقد توصلنا عن هذه الملاحظات الثانية بكلمة رقيقة من اخينا الدكتور انور بكير الامين العام للاتحاد عبر فيها عن « عظيم التقدير للملاحظات القيمة التى حفلت بها هذه اللائحة ولاسهام المكتب مع الاتحاد فى هذا العمل الدولي الهام » .

وهاكم هذه الملاحظات :

رقم الصفحة	الترجمة العربية المقدمة من طرف الاتحاد	المقابل العربي المقترح من طرف المكتب الدائم	المصطلح الفرنسي	ملاحظات
صفحة الغلاف	قيم مؤمن بها	قيم مؤمن عليها او قيم مصرح بها	V.D.	
1	المسائل الفنية .. والتعاون الفني	المسائل التقنية ... والتعاون التقني	Questions techniques... coopération technique	شاع فى العالم العربي تعريب لفظ « technique » ب « تقني » والمكتب الدائم يستحسن هذا التعريب على الاطلاق ولا يقر لفظ « فني » قبالة « technique » لانه يقابل على الاصح المصطلح « Artistique » وفى هذا التخصيص دفع للالتباس

رقم الصفحة	الترجمة العربية المقدمة من طرف الاتحاد	المقابل العربي المقترح من طرف المكتب الدائم	المصطلح الفرنسي	ملاحظات
1	بعيثة مستوفاة ... للشروط	بعيثة مستوفية ... للشروط	Envoi qui répond... aux conditions	يلزم هنا استعمال صيغة اسم الفاعل من فعل « استوفى » لا صيغة اسم المفعول .
2	المعونة الفنية	... المعونة التقنية	Assistance technique	انظر الملاحظة على ص 1
3	مجموعة دولية باسماء مكاتب البريد	مدونة دولية لمكاتب البريد	Nomenclature internationale des bureaux de poste	عرب لفظ « Nomenclature » في المصطلحات الجمركية ب « مدونة » ونحن نستحسنه ونفضله على لفظ «مجموعة» الذي له معنى أعم ويعرب به المصطلح « Collection » و « Ensemble » و « Groupement » الخ ..
5	... المنظمة الدولية للتوحيد القياسي	المنظمة الدولية للتنميط	I.S.O.	ابدينا ملاحظتنا فيما سبق
5	توحيد قياسي (تنميط)	تنميط (توحيد قياسي)	Normalisation	التنميط جعل شيء او اشياء على نمط واحد
5	... اداة فنية	اداة تقنية	Dispositif technique	انظر ملاحظتنا فيما سبق
6	آلة لازالة التراب من الاكياس	آلة لنفض الغبار عن الاكياس أو ... لازالة الغبار عن الاكياس	Machine à dépoussiérer les sacs	
6	حركة بريدية	رواج بريدي	Trafic postal	« حركة بريدية » تعني على الاصح مدلول العبارة الفرنسية: « Mouvement postal »
6	كنف (حاوية)	كنف (ج اكناف)	Conteneur	« الكنف » هو الاسم العربي الاصيل الذي كان يستعمله العرب للدلالة على هذا المعنى فلا داعي الى ترجمة المصطلح الفرنسي ترجمة حرفية .

رقم الصفحة	الترجمة العربية المقدمة من طرف الاتحاد	المقابل العربي المقترح من طرف المكتب الدائم	المصطلح الفرنسي	ملاحظات
6	منضدة فتح	مفتحة (منضدة فتح)	Table d'ouverture	للغة العربية قدرة على الاشتقاق لا يتوفر عليها غيرها من اللغات فينبغي استغلالها كلما سنحت الفرصة .
7	موزع يستخدم مركبة تسير بالمحرك	موزع راكب (فى سيارة او دراجة نارية) او موزع محركي	Facteur motorisé	
7	عبء زائد	علاوة	Surcharge	« العبء الزائد » هو بالضبط ما يفيده اللفظ العربي « العلاوة » ومن مقررات مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى موضوع تعريب المصطلحات الاجنبية ان تفضل الكلمة الواحدة على الاثنتين او الثلاث عند الامكان .
8	متحمل النواتج	حامل المنتجات	Porteur des produits	يعني لفظ « متحمل » فى العربية ما يعنيه لفظ « Supporteur » فى الفرنسية . اما لفظ « Porteur » فقد شاع تعريبه بـ « حامل » كما شاع تعريب « Produits » بـ « منتجات » . ومهما يكن فاننا نتحفظ بشأن هذه الترجمة الى ان نطلع على تعريف المصطلح الذى سيصدر عن المكتب الدولي للبريد .
9	... حقل راسي	... مجال راسي	Champ vertical	لفظ « Champ » الفرنسي مستعمل هنا على سبيل المجاز ولا يستسيغ الذوق العربي هنا مثل هذا المجاز .
9	تباعد	فسحة او فرجة	Espacement	سبق للاتحاد فى ص 5 ان عرب « Espacement » بـ « فسحة » وهو موفق فى هذا التعريب .
10	خدمة المصدر للصيغة	مصلحة مصدر الصيغة	Service d'origine de la formule	شاع تعريب لفظ « Service » بـ « مصلحة » عند دلالته على « ادارة » او « مكتب » وبـ « خدمة » فيما عداه .

المصطلحات الجغرافية

الدكتور يوسف توني
(القاهرة)

نشرت مجلة «حوليات» التابعة لكلية الاداب في جامعة عين شمس بعددها التاسع مقالا قيما للدكتور يوسف توني ما تزال قيمته العلمية ثابتة وان كان قد مضى عليه نحو سبعة اعوام . والمقال طويل جدا يصلح أن يكون كتيبا نقديا ومرجعا للباحثين الجغرافيين كلما حاولوا نقل مصطلحات جغرافية الى اللغة العربية ، سنعرض افكاره الرئيسية فيما يلي :

1 ـ لكل علم مصطلحاته ، ولعلم الجغرافية مصطلحاته الخاصة به يحق أن توضع في معجم معين مدقق فيه قبل ادماجه في المعجم العام .

2 ـ بسبب اختلاف الدقة في التعبير والتوصيف ـ حتى في اللغات الأجنبية ـ اختلف العلماء في امور قد نراها نحن بديهية : ويضرب على ذلك مثلا : « بالصحراء » فهي تغطي 15،6 مليون ميل مربع بحسب راي بيكر Baker و 8،5 مليون ميل مربع تبعا لراي ثور ونثويت .

« والاراضي الزراعية » تعبير يفهم منه : الاراضي المزروعة فعلا والاراضي القابلة للزراعة ، بينما هو في التعبير الضيق : « الاراضي المزروعة فعلا » وبسبب هذا الاختلاف لم تحدد بالضبط مساحة الاراضي الزراعية في العالم .

ومثل ذلك : خصوبة التربة ـ منطقة خالية من السكان ـ منطقة مزدحمة ـ فيض السكان ـ غيض السكان .. والشرق الاوسط ـ والشرق الادنى .. الخ .

3 ـ في بدء نهضتنا المعاصرة ادخلنا الفاظا ومصطلحات جديدة اما بصورة كلمات دخيلة او معربة مثل : دلتا ـ هنترلاند ـ ارخبيل ـ فيدرالي ـ ارتوازي ـ لابة .. الخ . وخطوتنا خطوة ثابتة فنبذنا بعض هذه المصطلحات واتخذنا الفاظا اقرب الى الصيغة العربية ، ولو عن طريق المجاز احيانا فاستخدمنا كلمة اتحادي بدلا من فيدرالي مثلا وزمن اللا حياة بدلا من الأوزي . والحوز او الظهير بدلا من هنترلاند ، والمهل بدلا من الماجما .. الخ . الا ان كثيرا من الكلمات استطاعت أن تتجنس بالجنسية العربية حتى اصبح من السخف محاولة تغييرها مثل : دلتا وارخبيل واطلس وبرخان وهاشور .. الخ

4 ـ وصاحب ذلك توليد كلمات عربية الاصل مثل : تجوية . وتعرية .. الخ .

5 ـ اصبح لكثير من الالفاظ معان اصطلاحية لم يكن يعرفها اجدادنا جغرافيا مثل : انكسار ـ صقيع ـ التواء ـ حفرية ـ شاطيء .. الخ .

6 ـ وبعض المصطلحات تتركب من كلمتين مثل: ميل الطبقة ـ جبهة جليدية ـ عمود ترابي ـ الطين الاخضر ـ الفجوة الجافة .. الخ .

7 ـ ان فى لغتنا ثروة من الالفاظ ماتت بسبب عدم استعمالها فمن المستحسن التنقيب على ما يمكن استخدامه للمصطلحات الحديثة ، قال محمد عطية الابراشي : ان فى لغتنا (80.000) لفظة لا نستعمل منها الا نحو (10.000) فقط .

8 ـ الف العرب فى القرون الوسطى عددا كبيرا من المعاجم والموسوعات الجغرافية مثل : معجم البلدان لياقوت . وتقويم البلدان لابي الفداء . ونزهة المشتاق للادريسي . وكذلك للمسعودي والبيروني والمقريزي والقزويني وابن بطوطة والمقدسي كتب قيمة جدا حتى قيل ان خمسين فى المئة من المصطلحات الفلكية فى اللغات الاوروبية من اصل عربي . انها لثروة يفتخر بها ويمكن ان تستغل للتعريب المعاصر غير انها غير مرتبة ترتيبا علميا وتحتاج الى نفض جديد . وساق مثالا على ذلك بعض اسماء السحاب فسرد عشرين مصطلحا لكنها بالفعل فوضى والعلم يحتاج الى ترتيب وتنسيق وتبويب . وعرض مثالا آخر لاسماء الطرق اعده المرحوم سليم الجندي ونقده النقد العلمي النزيه نفسه وقال :

« ان للعرب فى اسماء وانواع السحب او الجبال او الطرق او الكثبان او الاراضي وصفاتها آلاف الكلمات فهل هي مترادفات تحمل نفس المعنى أم هنالك اختلافات وتعريفات دقيقة لكل لفظ ؟ ! ان المعاجم العربية ـ القديمة والحديثة ـ غالبا ما تشرحها شرحا غامضا مبهما مقتضبا لا تبين معه حقائقها ولا تتميز به معانيها مما ينزع عنها صفة العلمية وان كانت لها هذه الصفة قديما » .

9 ـ ربما بسبب تعدد اللهجات فى مختلف الأصقاع العربية وضع اكثر من مسمى لاسم واحد فرياح الخماسين فى مصر تسمى فى ليبيا القبلي وفى تونس التشيلي وكذلك قد يختلف مفهوم المسمى الواحد فى مختلف اللهجات فكلمة « الجبل » فى صعيد مصر هو الصحراء الشرقية وفى برقة هو المراعي الصيفية . وفى تهامة هو هضبة اليمن. ولعل الانعزال الاجتماعي او الاقتصادي ، او ما شابهه ساعد على نمو الفاظ ومصطلحات محلية . على ان هذه المصطلحات المحلية قد تشيع فتصبح عالمية كالمصطلحات المحلية التى وضعها تورمان Thurmann لوصف التضاريس واخذها من لهجة جورا الفرنسية ، ولنا من لغتنا امثلة على ذلك فلفظ حمادة اخذ من لهجة بدو الصحراء الكبرى وسرير من لهجة بدو برقة وسلوقة من السودان وفقارة من موريتانيا وكلها اصبحت مصطلحات جغرافية عالمية تذاع بجميع اللغات . ولكل بيئة الفاظها ومصطلحاتها حتى فى جميع اللغات فالمصطلحات الجليدية تؤخذ عن روسيا ، والصحراوية عن العربية .

10 ـ ان استمرار استخدام الكلمات الاجنبية لدى علمائنا دليل على انهم لم يتمكنوا من ايجاد مقابلها العربي . وان منع دخول الكلمات الاجنبية الحديثة معناه منع دخول المعاني والافكار التى تعبر عنها هذه الافكار ولا يعيبنا أن نستضيف كلمات جغرافية ليس لها فى عالمنا وجود ونتبناها كما فعلت اللغة الانجليزية حديثا وكما فعلت العربية فى الماضي فتبنت مثلا : الكافور والسندس والصندل والياسمين والسوسن والبلور والنرجس والبنفسج وقنطرة وقنطار وقرميد وبطريق ... الخ .

11 ـ لم يتفق الجغرافيون العرب المعاصرون حتى الآ على وضع الفاظ محدودة للمعاني الجديدة ، حتى فى داخل الدولة الواحدة مثال ذلك المصطلحات التالية : (الدلتا المروحية) (الدلتا الجافة) (المروحة الغرينية) ثلاث مصطلحات مفهومها واحد . وكذلك : جرف وحافة . وكذلك البنية والتكوين والتشكيل والتركيب والبناء مقابل كلمة Structure

12 ـ وقد يترجم بعضهم المصطلح ترجمة فى جملة وهو نقص فى دقة التعريب يجب ان يكون مقابل المصطلح مصطلح عربي مماثل .

13 ـ ان علم الجغرافية بحكم انضمامه تحت لواء الآداب كان اكثر صلة باللغة العربية وخدم علماء الجغرافية اللغة بالتعريب خدمة جلى . ولما كان للجغرافيا صلة بكثير من العلوم فان على

علمائهـا ان يأخـذوا بالمصطلحـات التـى وضعهـا الجغرافيون تخفيفا لمتاعب التعريب ووقـوفا عنـد مصطلح واحد معين واغناء المصطلـح باشاعتـه . وهذا ما لم يفعله العلماء مع الاسـف بـل وضعـوا مصطلحات جديدة لما كان قد وضعه الجغرافيـون قبـلا .

14 ــ ومما يساعد اللغة العربية على الغنـى قدرتها على الاشتقاق والتركيب والتجريد والزيادة والاضافة والتصغير بحيث تعد اللغة الوحيدة فى هذا المضمار فقد نضع بالعربية مصطلحا مركبا من كلمة واحدة تعجز اللغة الانجليزية مثلا عن وضعه بأقل من خمس كلمات ..

15 ــ ان صياغة مصطلح من كلمتين معـا او اكثر كما تفعل اللغات الاخرى ما زال نادرا فى اللغة العربية مثل : برماء ، وسمال ... وانه بالرغـم من وجود محاولات ناجحةفى هذا المضمار كمحاولات الجامعة السورية مثلا الا ان بعض المصطلحات ما تزال غريبة فيها شيء من الثقل .

16 ــ وقد استفيد من اسماء اعضاء الجسم ومن الآلات والحيوان و ... الخ . مصطلحات جديدة حسنة باستخدامها استخداما مجازيـا مثـل : رقبة البركان ــ قلب المدينة ــ مفتاح الخريطـة ــ مروحة غربنية ــ بحيرة مرة .

17 ــ ويمكن استخدام اسمـاء العلمـاء كما استخدمتها اللغات الاخرى للمصطلحات الجغرافية مثل : لودبارك ، وجوبو ، وكلوزية .

18 ــ وقد عدد الكـاتب عـددا من المعاجـم الجغرافية فوصفها ونقدها نقد الخبير ودعـا الى وضع معجم جغرافي عربي جديد يتعاون عليه جغرافيون ولغويون معا ونحن نؤيده فى هذه الدعوة تأييدا بغير حدود .

مُعجم المصطلحات العِلميّة

الدكتور ممدوح حقي

نشر في بيروت أواخر عام 1971 معجم للمصطلحات العلمية والتقنية انكليزي ـ عربي جاء بما ينيف على سبع مائة صفحة من القطع الكبير تضمن أهم مصطلحات العلوم السائدة في هذا العصر وعددها يزيد على خمسين علما وفنا منها : الهندسة بجميع فروعها والفلك والالكترونات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والعلوم العسكرية ... الخ . وقد زين بنحو 1300 صورة ورسم والحق به عشرات من جداول المقاييس والوحدات وخصائص العناصر الكيماوية والجداول الرياضية والثوابت الفيزيائية بحيث يمكن ان يجعل منه المرجع الأصيل الوحيد لما تفرق من هذه المجموعات العلمية في عدد من المعاجم .

ومؤلف هذا المعجم الفريد الاستاذ احمد شفيق الخطيب ما زال دون الخمسين من عمره المديد ان شاء الله . درس في مدينة رام الله شمالي القدس وأكمل تحصيله في الجامعة الامريكية ببيروت وحصل على الماجستير في الآداب ثم احترف مهنة التعليم بضع سنين والتحق بعدها بقسم المعاجم في مكتبة لبنان (بيروت) .

وتخصص بهذا الفن من الترجمة حتى برع به وكلفته لجنة اليونسكو الوطنية في لبنان بترجمة مرجع اليونسكو العام في العلوم فجاءت ترجمته من خير ما وضع لهذا المرجع في اثنتين وعشرين لغة نقل اليها .

ومكتبة لبنان في بيروت أصدرت حتى الآن نحو ثلاثين معجما ما بين علمي ولغوي ووضعت تحت تصرف الاستاذ الخطيب نحو عشرين موظفا عملوا خمسة اعوام بلا انقطاع في البحث والمقارنة والجمع والتنسيق والترجمة والصياغة والمراجعة والشكل والتدقيق والتصوير والنقل حتى ظهر معجمهم بهذا المظهر الرقيق الأنيق . ومن لم يمارس صنعة المعاجم لا يستطيع تقدير الجهود الكبرى التي تبذل في اعدادها وتنسيقها وتدقيقها والمتاعب التي تتآكد العاملين فيها وسهر الليالي وكد الايام ، ان مؤلفا عاديا في الأدب أو القصة يرهق الكاتب والطابع والناشر الى حد الازعاج فكيف بالمعجم ؟ ! ونحن في مكتب التنسيق الدائم نقدر قيمة هذه الجهود ونفهمها لانا نعانيها عمليا كل يوم ، وما أصدرنا هذا العدد الكبير من المعاجم الا بشق النفس ، الم يقل الشاعر :

لا يعرف العشق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

قال لي مرة احد الزملاء وهو استاذ جامعي معروف : ان صناع المعاجم لا يزيدون على النقلة في شيء ، فهم ينقلون بعضهم عن بعض ولا يتميز احدهم من الآخر الا بالعرض والتنسيق !!! فهل في هذا الكلام صحة وصدق ؟ !

الواقع ان صانع المعجم ينقل ولكنه بنقله هذا يتابع تطور العلم ويلاحق المصطلح في كل زاوية

ويجري وراء ما استجد فى كل منعرج من المجـــلات والصحف والنشرات والمؤلفات ثم يقـــارن وينقـــد وينســق ، وفى آخر مرحلة من مراحل الاعداد يعرض ما استقر عليه وينشره . فصانع القاموس لا يمكن ان يأتي سابقا ، بل هو لاحق وملاحق فى آن واحد ، ولقد عانيت ما عانيت بجمع معجمي فى الحقوق والتجارة عدة سنين قبل ان اصبح خبيرا معترفا به فى هـــذا الفن . ولذا فاني اقدر جهد الأخ الاستاذ الخطيـــب واعترف له بالصبر والجلد وصدق النظر .

والامة العربية الآن فى اشد الحاجة لمثل هـذا المعجم العلمي لما طرا على الحضارة المعاصرة مـــن تطور فى التقنية والعلوم التجريبيـــة والهندســـة والالكترون ... الخ . ولئن صلح لطلاب الجامعات ومدرسي الثانويات فانه لا يمكن أن يعد كافيا شاملا لأستاذ جامعي مدقق ولا لباحث من العلماء المتفرغين لأن كل فرع من فروع العلوم التي تناولها بحاجة الى معجم خاص بها على أن يلاحق فى كل سنة ما استجد على عمله هذا ويضيفه اليه ملحقا وراء ملحـق ، واذا كان بين معاجمنا وبين هذا المعجم بعض الاختـــلاف الجزئي فان التوافق بينهما كبير جدا ولنأخذ بعضها على سبيل المثال Amortisation يفسرها بمـا يلي : « استهلاك الدين بمبالغ دورية » ونفسرها نحن بما يلي : « استهلاك (الأصول النقدية) . استهـلاك القيمة » . والواقع أن استهلاك الدين جزء صغير من الاستهلاك العام ، فالمكنات مثلا يفترض لها استهلاك مالي يجزا على سنين معينة حتى اذا استنفذتها اصبح ما تقوم به عطاء بالمجان يزيد حصة راس المال ، وعلى هذا تقاس الأملاك العقارية والمنقولة وكل شـيء فى الصناعة والتجارة ، فتحديد معنى الكلمة باستهـلاك الدين وحده تقييد حاسم بغير موجب .

وكلمة Barrel شرحها بكلمة برميل. وفرع عليها
Barrel bolt و Barrel destortion
و Barrel drain و Barreler و Barrel filler
و Barrel of a boiler و Barrel planting
و Barrel vault و Barrel winding

وهو تفريع دقيق ممتاز لا شائبة فيه ولكنـــه ينقص ما شرحناه نحن فى معجم البترول بكلمة واحدة وهي : برميل (وحدة حجمية للمواد البترولية تساوي 0ر158 384 متر مكعب .

قد يقال بأن الجدول المنشور على ص 711 فيه تفصيل لمقاييس البراميل بالقدم المكعب والكالـــون الامبريالي والكالون الامريكي والليترة والمتر المكعب الساعي والطون ، وهذا حق لا شبة فيه ، لكن اما كانت الاشارة الى هذا الجدول ضرورية مع الكلمة ؟ !

ومثل هذه الاختلافات ليست بالكثيرة لكنهـــا موجودة على اي حال وهي ـ فى نظرنا ـ نوع مـــن الجهد المخلص الذي يبذله كلانا ومعنا جميع العلماء العرب فى ميدان التعريب .

نحن نجعل معاجمنا ثلاثية اللغات ولا نعرب دائما ولكننا ننسق ما يعرب فى جميع البلاد العربية ، ولنا الأمل فى جعلها خماسية اللغات قريبـــا فى ضمـــن برنامجنا الخماسي الذي يبتديء مع عام 1972 ، واذا كان لنا ما نتمناه على مكتبة لبنـــان الزاهـــرة والأخ الاستاذ الخطيب فهو السعي لجعل معجمه النفيـــس هذا ثلاثي اللغات فى الطبعة القادمة بحيث تشترك اللغة الفرنسية مبدئيا مع اللغة الانكليزية خدمة لكثرة غالبة من المثقفين العرب ثقافة افرنسية فى لبنان وسوريا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا .

م ٢٠ ح

مُستدرك مُعجم المعاجم العربية خلال مائة عام

الأستاذ إسماعيل العبايجي
العراق - النجف الأشرف

لعل من نافل القول ان اثني على الجهد العظيم الذي جادت به بادرة الأستاذ « الصديق بن العربي » – مراكش – بنشر « معجم المعاجم العربية » المؤلفة خلال مائة عام 1869 – 1969 المجلد السابع من « مجلة اللسان العربي » (الجزء الثاني)، فهو ولا ريب قد اسدى خدمة جلى لكل من يهمهم أن ترقى النهضة العلمية ذروتها او أن تعود اللغة العربية الى طريقها اللاحب الاصيل بعد ان صارت اليه – بقصد أو دون قصد – هذه الفوضى اللغوية فأفسدت التراث العربي اللغوي في بعض من جوانبه ، فكان ان قيض الله سبحانه رجالا شمروا عن سواعد الجد فراحوا يرجعون للغة الأم ما ضاع لها أو اختلط . ولعمري أن قوما هذا عزمهم سيجعلون من لغتهم يوما ، لغة جامعة مانعة وفي ذلك نصر مؤثل .

لقد لاحظ فضيلة الشيخ محمد السمامي ان عددا لا يستهان به من المؤلفات لم يذكر ضمن فهرس الأستاذ « ابن العربي » فمهد لي تيسير مختلف المصادر رجعت اليها وانتقيت منها ما يربو على المائة من المؤلفات والفضل كل الفضل عائد له .

ولا شك ان هذه المهمة – مهمة فهرسة المعاجم العربية – تقتضي جهدا دقيقا ينبغي أن يكون ملاكه اكثر من فرد واحد لما يستنفد من وقت وعمل ، لذلك اعتبرت محاولتي هذه مجرد مساهمة تاركا ورائي، مؤلفات كثيرة لم اهتد اليها لكنها – ولا ريب – آتية لكثيرين غيري وهم مدعوون للمساهمة اتماما للفائدة وحفظا للتراث العربي . ورحم الله فئة حان لها أن تعمل صالحا ولم تتقاعد .

واخيرا استسمح القارىء الكريم اذا عثر على شيء طغى به القلم ، او زلت به القدم ، وارجو ان يحضر قلبه ان الجواد يكبو ، وان الصارم ينبو ، وان النار تخبو ، وان الانسان محل النسيان ، واجمل قول رايته في هذا المضمار للعماد الاصفهاني اذ يقول:

« اني رايت انه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل .

وهذا من اعظم العبر . وهو دليل على استيلاء النقص على جمله البشر » .

1 – المعجم الزولوجي الحديث :

ت – محمد كاظم صادق الملكي ، 6 مجلد ، النجف ، 57 – 1963 م ، قطع الوزيري ، 353 + 690 + 485 + 448 + 510 + 262 ص .

2 – معجم ما استعجم :

ت – ابو عبيد عبد الله بن العزيز ابن ابي مصعب البكري الاندلسي ، باريس ، 1876 م،

رقمي ، 864 + 56 ص ، 6 مجلد ، مصر ، 1364 هـ .

3 ـ معجم المصنفين :

ت ـ شيخ محمود حسن التونكي ، بيروت ، 1344 هـ ، وزيري ، 385 + 336 + 515ص

4 ـ معجم المطبوعات العربية والمستعربة :

ت ـ يوسف اليان سركيس ، 2 مجلد ، مصر ، 1346 هـ ، وزيري كبير 2024 ص وهـو شامل لاسماء جميع الكتـب المطبوعـة فى الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسمـاء مؤلفيها وترجمتهم وذلك منذ ظهور الطباعـة حتى نهاية 1919 وهو مؤلف من 7 أجزاء ، وهذا المعجم لا يكاد يستغني عنه مثقـف او بحاثـة .

5 ـ معجـم الشعـراء :

ت ـ ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، مصر ، 1379 هـ ، وزيري ، بتحقيق عبـد الستار احمد فراج ، 590 ص ، قاهـره ، 1354 هـ ، وزيري 556 ص .

6 ـ المعجم في أصحاب الامام القاضي ابي علي الصدفي :

ت ـ ابو عبـد الله محمد بن عبـد الله ابـن الانبار ، مدريد 92 ـ 1893 م باهتمام كوديـر اسبانيائي ، ضمن مجموعة المكتبة الاندلسية.

7 ـ معجم القاموس الفقهـي :

ت ـ الشيخ عبد الرسول الواعظي ، نجف .

8 ـ المعجم فى بقية الاشياء :

ت ـ ابو هلال العسكري ، مصر ، 1353 هـ .

9 ـ معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية :

ت ـ عمر رضا كحاله ، دمشق 76 ـ 1381هـ وزيري ، 320 + 320 + 320 + 320 + 320 + 295 + 320 + 320 + 320 + 320 +320 + 320 + 421 + 326 + 336 ص

10 ـ المعجم العسكري الموحـد ، القسـم الأول ـ انكليـزي ـ عربـي :

ت ـ لجنة توحيد المصطلحـات العسكريـة للجيوش العربية ، ط 1389 ـ 1970 مط دار المعارف بمصر ، وزيري ، 983 ص .

11 ـ معجم فقه المحلى :

ت ـ ابن حزم الظاهري ، تصدير جامعة دمشق ـ كلية الشريعة لجنة . موسوعة الفقه الاسلامي ، مطبعة جامعة دمشق .

12 ـ معجم المطبوعات النجفية :

ت ـ محمد هادي الاميني ، وزيري صغير ، مط ، النجف 1385 ـ 1966 يبحث عن المطبوعات التي طبعت فى النجف الأشرف منذ تأسيس المطابع حتى عام 1966 .

13 ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار :

ت ـ المحدث العلامة الشيخ عباس القمـي ، معجم فى مطالب بحار الأنوار ، ج 2 ، 7336 + 741 ص ، وزيري ، 52 ـ 1355 هـ .

14 ـ فهرست اسماء شعراء لسان العرب :

ت ـ عبد القيـوم ، ط فى الهند ، 1937 م ، 187 ص .

15 ـ الفهرست التحليلي لما طبع فى مصـر من الكتب العربية فى السنوات 42 ـ 1944 م :

جمع وترتيب كولشن وم . قنواتي ، القاهرة ، 1949 م ، 613 + 47 ص ، رقمي .

16 ـ فهرست اسماء الرجال المذكورة احوالهم فى كتاب التدوين لأبي القاسم عبد الكريم الرافعي القزوينـي :

ت ـ الاستاذ سيد جلال الدين قاسم محدث الارمـــوي ، ط في طهـــران ، 1374 هـ ، وزيري ، 16 + 103 ص .

17 ـ **فهرست جواهـــر الكـــلام :**

ت ـ علي بن شيخ زين العابدين المازندراني الحائـــري ، ط في طهـــران ، 1332 هـ . 19 + 21 + 30 + 33 + 22 + 31 ص .

18 ـ **فهرست الحواشي على عروة الوثقى :**

ت ـ حسين بن محمود طباطبائي القمـــي ، ط في النجف 1356 هـ . وزيري ، 50 ص .

19 ـ **فهرست الخزانة التيمورية :**

ت ـ أحمد تيمور باشا ، 3 مجلد ، القاهرة ، 67 ـ 1369 هـ ، وزيري 301 + 446 + 320 190 ص .

20 ـ **فهرست خزانة الصحف العربية ، المنطقـــة الحمامية :**

ت ـ محمد عزوز حكيم ، تطوان ، 1953 م ، دار الطباعة الغربية .

21 ـ **فهرست روضات الجنات في احوال العلمـاء والســـادات :**

ت ـ محمد باقر محمد تقي القت اصفهانـــي ، اصفهان ، 1352 هـ ، رحلي ، 58 ص .

22 ـ **فهرست كتابهاي جامعي عربي :**

ت خانبا مشار ، معجم للكتب العربية المطبوعة مـــن عـــام 1324 هـ ، 1014 ص + 110 ، طهران 1344 هـ ، 1964 م .

23 ـ **فهرست كتب خزانة الادب (عربي) لاهـور ،**

1927 م ، 147 ص .

24 ـ **فهرست الكتب العربية الموجودة بالدار :**

الجزء الثالث ، مصر ، 1345 هـ ، 1927 م ، وزيري كبير ، 439 ص .
الجزء الرابع ، مصر ، 1348 هـ ، 1929 م ، وزيري كبير ، 136 + 92 ص .

25 ـ **فهرست لمشاهير علماء زنجار :**

ت ـ شيخ موسى بن عبد الله الزنجاني . قم ، 1367 هـ ، 156 + 33 ص ، وبضمنها الرسالة في حكم الزوجة المفقود عنها زوجها .

26 ـ **فهرست ما رواه عن شيوخه :**

ت ـ ابو بكر محمد بن خير بن عمـــر الامـــوي الاشبيلي ، القاهرة ، 1963 م ، 579 ص .

27 ـ **فهرس مجلة المجمع العربي :**

ت ـ عمر رضا كحالة ، ج 1 دمشق .

28 ـ **فهرس المخطوطات ، دار الكتب الظاهرية :**

ت ـ يوسف العش ، دمشـــق ، 1366 هـ ، وزيري ، 490 ص

29 ـ **فهرست الكتب العربية في دار الكتب المصرية :**

5 ج ، مصر ، 345 ـ 1358 هـ .

30 ـ **فهرست المكتبة الظاهرية :**

ت ـ يوسف العش . دمشق ، 1366 هـ .

31 ـ **من نوادر مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم :**

ت ـ الشيخ محمد هادي الأميني، قطع وزيري، مط النجف 1382 ـ 1962 ، فهرست لبعض الكتب النادرة من مكتبة آية الله الحكيم في النجف.

32 ـ **عين الغزال في فهرست اسماء الرجال (فهرست رجال ومصطلحات حديث الكافي للكليني) :**

ت ـ فضل الله بن شمس الدين حكيم الحي ، ط في طهران 1315 هـ في 88 ص ، ذيل ج 2 من فروع الكافي .

33 ـ فهرست مكتبة آية الله الحكيم :

ت ـ الشيخ مهدي نجـف ، ج 1 فهرست مخطوطات مكتبة الامام الحكيم الواقعة في النجف، ط في النجف ، مط الاداب 1389 هـ ، قطع الوزيري .

34 ـ مخطوطات مكتبة آية الله البغدادي :

ت ـ الشيخ محمد هادي الاميني ، قطع وزيري صغير ، مط النجف ، 1383 ـ 1964 ، فهرست مخطوطات مكتبة آية الله البغدادي . الخاصة .

35 ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة (موسوعة) :

ت ـ شيخ الباحثين اغابزرك الطهراني ، 1293 ـ 1389 هـ : اكبر معجم لكتب الشيعة ، طبع منه 23 مجلدا لعشرين جزءا ا في مطابع النجف وطهران . طبع الجزء الأول عام 1355 هـ ، وبقيت اجزاء مخطوطه هي الآن تحت الطبع ، وزيري .

36 ـ طبقات اعيان الشيعة (موسوعة) :

ت ـ اغابزرك الطهراني ، تتضمن تراجم أعلاه الشيعة من القرن الرابع الهجري حتى القرن الرابع عشر الهجري . ط 6 ج . وزيري . 1373 ـ 1954 .

37 ـ مصفى المقال في مصنفي علم الرجال :

ت ـ اغابزرك الطهراني ، كتاب رجالي ط 1378 ـ 1959 ، المطبعة الحكومية بطهران . وزيري و + 626 ص .

38 ـ المشيخة أو (الاسناد المصفى) :

ت ـ اغابزرك الطهراني ، كتاب رجالي .

39 ـ ذيل كشف الظنون :

ت ـ اغابزرك الطهراني ، 1293 ـ 1389 ، ترتيب العلامة السيد محمد مهدي الخرسان، طبع في ذيل الجزء الثاني من كتاب هداية العارفين عام 1967 طهران ، رحلي ، 116 ص.

40 ـ الضليلة في تشجير بعض البيوتات الجليلة . كتاب يبحث عن النسب والأسر :

ت ـ اغابزرك الطهراني .

41 ـ هدية الرازي ـ الى الامام المجدد الشيرازي :

ت ـ اغابزرك الطهراني ، 1293 ـ 1389 ، وزيري صغير ، مط الاداب ـ النجف ، 1388هـ ط + 187 ص .

42 ـ قاموس رجال الحديث :

ت ـ آية الله السيد ابو القاسم الخوئي ، ط ج 1 في النجف عام 1390 هـ ، وزيري .

43 ـ قاموس الرجال :

ت ـ شيخ محمد تقي التستري ، قاموس رجالي يبحث عن الرجال الثقاة وغير الثقاة ، ط 13 مجلدا بقطع الوزيري في مطابع طهران 1375 فما بعد .

44 ـ في اللغة ، قاموس اللغة الفارسية الى الفارسية الفصيحة الى العربية :

للأستاذ محمد كاظم الملكي ، قاموس في اللغة الفارسية والعربية . ط ج 1 عام 1383 هـ ، النجف ، مط النعمان يبدأ من كلمة (ا) أي (تعال) وينتهي بكلمة (ايومن) أي (العين او الباصرة) 632 ص . وزيري .

45 ـ قاموس الأمكنة والبقاع التي يرد ذكرها في كتب الفتوح . لجامعه :

علي بهجت وكيل دار الآثار العربية ، ط 1325ـ

1906 م مط التقدم شارع محمد علي بمصر ، وزيري 216 ص .

46 ـ **رجال العلامة الحلي :**

نجف ، 1381 هـ ، وزيري ، مكتبة الحيدرية ، ط 2 ، 296 ص .

47 ـ **رجال الكبير ، يبحث في منهج المقال .**

48 ـ **رجـــال الكشـــي :**

ابو عمر ومحمد بن عمر الكشي ، 1317 هـ ، وزيري ، باهتمام شيخ علي محلاتي حائـــري ، 392 ص . نجف مؤسسة الأعلمي . وقد علق عليه السيد احمد الحسني ، 527 ص .

49 ـ **تنقيح المقال في علم الرجال :**

ت ـ الشيخ عبد الله بن محمد حسن الماحقاني، المتوفى 1351 هـ في النجف 3 ج ، 49 ـ 1352هـ، رحلي،334 + 476 + 368 + 79 + 445 ص

50 ـ **رجـــال النجاشـــي :**

يبحث في فهرست اسماء مصنفي الشيعة .

51 ـ **رجال التصوير :**

ت ـ محمد يوسف صمام ، مصر ، 1938 م .

52 ـ **رجال السند والهند الى القرن السابع :**

ت ـ ابو المعالي اطهر بن شيخ محمد حســـن مباركبوري ، بجبـــاي ، 1377 ، وزيـــري ، 328 ص .

53 ـ **رجـــال الخاقانـــي :**

ت ـ الشيخ علي الخاقاني المتوفي 1334 هـ ، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم ، وزيري، 430 ص ، وفي خاتمة الكتاب فوائد الوحيـــد البهبهائي 72 ص ، مط النعمان النجف 1388هـ

54 ـ **معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء :**

ت ـ العلامة الشيخ محمد حرز الدين ، 3 ج ، وزيري ، ج 1 416 ، ج 2 419 ، ج 3 436 ، مط النجف ـ النجف 1383 ـ 1964 .

55 ـ **توضيح المقال في علم الدراسة والرجال ـ :**

ت ـ ملا علي الكني الطهرانـــي ، 1220 هـ ـ 1306 هـ ط 2 طهران ، رحلـــي ، 66 ص ، 1302 هـ وط 1 1299 هـ .

56 ـ **خلاصة الذهب في مشجرات النسب :**

ت ـ السيد عبد الرزاق كمونه المتوفي 1390هـ (مخطوط) (عدة اجزاء) .

57 ـ **عقود التمائم في انساب بني هاشم :**

ت ـ السيد عبد الرزاق كمونه المتوفي 1390هـ (مخطوط) (عدة اجزاء) .

58 ـ **نجوم السحر في انساب البشر :**

ت ـ السيد عبد الرزاق كمونه المتوفي 1390هـ (مخطوط) (عدة اجزاء) .

59 ـ **منية الطالبين في طبقات النسابين :**

ت ـ السيد عبد الرزاق كمونه المتوفي 1390هـ ؛ بري ، 304 ص ، مـــط الآداب ، نجـــف ، 1387 ـ 1968 م .

60 ـ **موارد الاتحـــاف :**

ت ـ السيد عبد الرزاق كمونه المتوفي 1390 هـ كتاب يبحث عن حياة النقباء الأشراف ، 2 ج ، وزيري ، 1389 هـ ، مط الآداب ـ النجف .

61 ـ **مشاهد العترة الطاهرة واعيان الصحابة والتابعين معجم على الحروف في اسماء البلدان التي فيها الأعيان والصحابة والتابعون :**

ت ـ السيد عبد الرزاق كمونه ، مط الآداب ـ النجف 1968 . وزيري ، 304 ص .

62 ـ **ماضي النجف وحاضرها :**

ت ـ الشيخ جعفر آل محبوبة المتوفي 1377 هـ، 6 ج ط 3 ج ، وزيري ، ط 3 1378 ـ 1958، ج 1 ، 412 ص .

63 ـ **فاجعة غراء طويريج فى يوم العاشر من محرم الحرام سنة 1386 هـ :**

ت ـ السيد صادق آل طعمة والحاج جاسم كلكاوي ، مط أهل البيت ، كربلا ، وزيري صغير ، 68 ص .

64 ـ **خطباء منبر الحسين :**

ت ـ حيدر المرجاني ، 6 ج ، ج 1 1949 م، ج 2 1950 ، ج 3 1953 ، ج 4 1966 ، ج 5 1969 ، ج 6 1970 م ، طبعت جميعا فى مطابع النجف الأشرف . وزيري صغير .

65 ـ **فلاسفة الشيعة ـ حياتهم وآراؤهم :**

ت ـ العلامة الشيخ عبد الله نعمة . منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ط 1 وزيري ، 631 ص . يحتوي على ترجمة حياة 12 فيلسوفا من فلاسفة الشيعة .

66 ـ **ابصار العين فى انصار الحسين :**

ت ـ الشيخ محمد بن الشيخ طاهر السحاوي، طبع على نفقة المكتبة العربية ، مط الآداب ، النجف ، ط 2 ، وزيري صغير 160 ص .

67 ـ **ادب الطف او شعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر :**

ت ـ السيد جواد شبر ، ج 1 ، وزيري ، منشورات الأعلى ـ بيروت ـ 1388 ـ 1969، 351 ص ، ج 2 ، وزيري، دار الصادق ، 1970، 342 ص ، ج 3 ، وزيري ، دار الصادق 1971م

68 ـ **البابليات :**

ت ـ الشيخ محمد علي اليعقوبي ، فى تراجم شعراء الحلة ، 3 ج ـ نجف ـ 70 ـ 1373 هـ، وزيري ، 300 + 304 + 31 ص .

69 ـ **انساب القبائل العراقية وغيرها :**

ت ـ السيد مهدي القزويني المتوفى 1300 هـ ، ط 4 ، مط الحيدرية ـ النجف ، 1390 هـ ـ 1970 م ، وزيري صغير ، 512 ص .

70 ـ **ثقاة الرواة :**

ت ـ آقا حسن الموسوي الاصفهاني ، ج 1 1387 هـ ، مط الآداب ـ النجف ، 354 ، وزيري .

71 ـ **دليل المملكة العراقية :**
ط فى عام 1936 م .

72 ـ **دائرة المعارف ـ المسماة بمقتبس الأثر ومجدد ما دثر :**

ت ـ الشيخ محمد حسين الشيخ سليمان الأعظمي المرجاني ، طبع لحد الآن 22 مجلدا ، وزيري ، مطابع ايران .

73 ـ **دليل القضاء الشرعي :**

السيد محمد صادق بحر العلوم ، معجم لدليل القضايا الشرعية ، 3 ج وزيري ، 1375 هـ ، 828 + 836 + 1035 ص .

74 ـ **موسوعة الأعلام ، 10 مجلدات ، تتناول اعلام العالم العربي ومن لهم خدمة للقضايا العربية من المستشرقين :**

ت ـ خير الدين الزركلي ولكنها مرتبة على الأسماء لا على الألقاب والكنى .

75 ـ الكنـــى والالقـــاب :

ت ـ المحقق الكبير الشيخ عباس القمي ط 30 1389 ـ 1969 م منشورات المطبعة الحيدرية فى النجف ، وزيري ، ج1 454 ، ج2 498 ، ج3 374 ، فى نهاية الجزء الثالث مصـــادر الكتاب بقلم محمد هادي الأميني .

76 ـ الأوزان والمقاديـــر :

ت ـ الشيخ ابراهيم سليمان العاملي البياضي ، معجم فى الأوزان والمقادير بحسب الحروف ، الفها من سنة 1356 هـ ـ 1361 هـ ، ج1 ط 1 مط الصور الحديثة ، لبنان ، 1962 ـ 1381هـ ، وزيري ، 168 ص .

77 ـ العقد المنير ، فى تحقيق ما يتعلق بالدراهـم والدنانير :

ت ـ السيد موسى الحسيني المازندرانـــي ، ج1 ط2 ، 1382 هـ مط الاسلامية ، طهران ، وزيري ، مقدمة (ك) + 453 ص .

78 ـ جبابرة العقل البشري :

ت ـ محمد اسماعيل كاشف الغطاء ، تراجـــم حياة نوابغ البشرية وخدماتهم ـ النجـــف ، 1966 .

79 ـ انـــوار البهيـــة :

ت ـ الشيخ عباس القمي ، يبحث الكتاب عن تواريخ الحجج الالاهية وتراجمهـــم ، ط فى 1344 هـ ، وزيري صغير .

80 ـ المؤلفون الأفغانيون المعاصرون :

ت ـ محمد عيسى القاسمي الأفغاني ، القسم الأول من كتاب « الأفغانيون فى التاريـــخ » يحتوي الكتاب تراجم وسير المؤلفين الافغانيين، ج1 مط النعمان ، النجف ، 1970 م ، وزيري صغير 200 ص .

81 ـ دليـــل الطبـــخ والتغذيـــة :

ت ـ نزيهة اديـــب وفردوس المختـــار ط 4 ، 1968 م ـ 1386 هـ ، مط الارشاد ـ بغداد ، 478 ص ، قطع رحلي مصور ، يبحث فى الطبخ والتغذيـــة .

82 ـ دليل الآيات القرآنية :

اختيار السيد مرتضى السيد محمد مرتضـــى الرصنوي ، رحلي 72 ص ، « فى دليل تفسير الشبر » مط اليوسفية ـ القاهـــرة ـ ط 3 ، 1966 م ـ 1385 هـ .

83 ـ البيان فى شرح غريب القرآن :

ت ـ قاسم بن الحسن محي الدين ، وزيـــري ج1 168 ص ، ج2 216 ص ، مط العلمية فى النجف ، 1374 هـ ـ 1955 م .

84 ـ نيل الوطر ، من تراجم رجال اليمن فى القـــرن الثالث عشـــر :

ت ـ محمد بن محمد بن يحيى زبادة الحســـن الصنعانـــي ، ج1 ط القاهـــرة 1348 هـ مط السلفية ، وزيري ، ج1 435 ص .

85 ـ فرهنك نامه \ قاموس ، عربي فارسي :

ت ـ الدكتور علي نقي المنذوي ، ط طهران ، 1337 ش ، مط الجامعة ، وزيري 8 ـ 342 ص

86 ـ فرهنك جامع \ عربي ـ فارسي :

ت ـ أحمد سياح ، 4 ج ، وزيري طهران الى 1962 م .

87 ـ شهـــداء الفضيلـــة :

ت ـ الشيخ عبد الحسين الأميني ، (1320 هـ ـ 1390 هـ) وزيري ـ طهران ـ 1355 قمري ، 412 ص .

88 ـ مشهـــد الامـــــام :

ت ـ محمد علي جعفر التميمـي ، معجــم فى البيوتات النجفية وتراجمهم ، 4 ج ، وزيري ، 379 + 346 + 223 + 370 ص .

89 ـ الافصاح فى فقه اللغة :

ت ـ حسين يوسف موســى ، عبد الفتــاح الصعيدي ، مط دار الفكر العربي ، ط رحلي صغير ، ط1 1929 م ، ط2 1962 م .

90 ـ هديــة العارفيـــن :

ت ـ اسماعيل باشا بن محمد امين البابانــي البغدادي ، يبحث فى اسماء المؤلفيــن وآثــار المصنفين ، 2 ج استانبــول 51 ـ 1955 م رحلي 842 + 164 + 574 .

91 ـ سماء المقال فى تحقيق علم الرجال :

ت ـ كمال الدين حاج ميرزا ابو الهدى بن ابو المعالي محمد الكلباسي ، مط . قم . 1372 ق، وزيري 302 ص .

92 ـ دليل الجمهورية العراقية :

الأستاذ محمود فهمي درويش والدكتور مصطفى جواد واحمد سوسه ، دائرة معارف ، علمية ، تاريخية ، جغرافية ، اجتماعية ، صناعيــة ، زراعية ، تجاريـــة ، ط فى 17 كانــون الاول 1960 م فى بغداد قطع رحلي 824 ص .

93 ـ ذيل كشف الظنـــون :

ت ـ اسماعيل باشا البغدادي .

94 ـ دليل الوطن العربـــي :

مجلات طبعت منها اعداد فى بغـــداد وبقطــع الوزيري ، يبحث عن الدول العربية وحكامهــا ومناخها وشخصياتها ، طبع عام 1950 م .

95 ـ اتقان المقال فى احوال الرجال :

ت ـ الشيخ محمد طه نجف ، ط فى النجف .

96 ـ بـــاب الابـــواب .

ت ـ س . اسماعيل سيد كاظم الحسينـــي المتوفي 1305 هـ يبحث فى تراجم بعض العلماء المعاصرين (مخطوط) بخط المؤلف ، فى مكتبة سيد ابراهيم بني هاشميان ، رامسر .

97 ـ نزهـــة الناظريـــن :

سيد اسماعيل بن سيد كاظم الحسيني المتوفي 1305 هـ يبحث فى تراجم بعـــض العلمـــاء والرجال « مخطوط » بخط المؤلف ، وزيري ، مكتبة السيد محمد تقي السجادي .

98 ـ مفتاح الكتب الأربعة :

ت ـ سيد محمود 52 سرفي ، 4 ج معجم فى حديث الكتب الأربعة الكافـــي ـ والتهذيـــب والاستبصار ـ ومن لا يحضره الفقيه .

99 ـ مصادر الدراسة عن الشيـــخ الطوســـي :

ت ـ محمد هادي الأميني ، وزيري صغير ، مط النجف ، 1382 ـ 1962 ، يبحث عـــن الكتب التي تذكر حياة الشيخ الطوسي .

100 ـ الموسوعـــة الاسلاميـــة :

موسوعة ليست اختصاصية فى فرع محدد من فروع العلوم الاسلامية وكانت تطبع لحد عـــام 1966 م باللغتين الانجليزية والافرنسية وكان الاتحاد الدولي للمؤســسات العلمية يواصـــل اعماله فى اعداد هذه الموسوعة التي يشرف على اعدادها منذ عام 1956 كل من البروفـــور « برنارد لويس » استاذ تاريخ الشرق الأدنى والأوسط فى مدرسة الدراسات الشرقية فى لندن ، والبروفسور « شارلز بيلات » استاذ اللغة والحضارة العربية فى جامعة باريـــس ،

والبروفسور « جوزيف شاخت » أستاذ اللغة العربية فى جامعة كولومبيا بنيويورك سابقـا ، وقد صرح البروفسور « لويـس » بانجـاز الموسوعة بكاملها خلال العقد التاسع من القرن الحالـي .

101 ـ اللب اللباب فى غريب اللغة والحديث والكتاب:

العلامة الشيخ محمد رضا الغراوي ،(1303 هـ ـ 1385هـ) 33 جزءا . الجزء الثالث والثلاثون الى كلمة « شمشن » ج 1 ، وزيري مط الآداب فى النجـف 1388 هـ ـ 1968 م ، تحقيـق السيد احمد الحسيني .

102 ـ كشف المطالب فى كشف المطالـب والآيـات القرآنيـة :

ترتيب الحاج السيد محمـد بن سيـد محمد علي خط طاهر خشنوين ، 1377 فى 70 ص ؛ طبع مرارا فى نهاية القـرآن بطهـران على احجـام مختلفـة .



قصص من اللغة

الحمار والحبلى والغلام والملح...

الأستاذ عبد الحق فاضل

كثيرا ما قلنا ، استطرادا ، ان اللغة العربية قد اضاعت الكثير من مفرداتها . فهذا امر طبيعي ، لان التطور اللغوي والتنقل البشري لا بد ان يؤديا في كل لغة الى اهمال بعض الالفاظ لحلول الفاظ أخرى محلها او لانتفاء الحاجة اليها في الظروف الجديدة . يضاف الى ذلك فيما يخص عربيتنا عزوف جامعيها المخلصين عن لغات الكثير من القبائل والمدن العربية لمخالطتها الأعاجم او لمخالطتها من خالطوا الأعاجم . ولكم كانوا يأسروننا بجميلهم لو أنهم اهتموا بجرد لهجات كل القبائل والبلدان ثم نبهوا الى ما لا يعجبهم بقولهم انه ركيك أو مشبوه او مشكوك في نسبته أو ما شاءوا . اذن لكانت لدينا ثروة اضافية من اللغة اي ثروة . لكنهم لفرط حرصهم على سلامة هذه العربية وخوفهم ان يعم الخطأ نبذوا كل ما لم يتأكدوا من صوابه ، ولو انهم لم يتأكدوا من خطئه ايضا .

وانظر الآن الى ما يصنع الانثروبولوجيون ، اي البشرانيون (1) . يجدون عظمة من جمجمة آدمي اقدم قد انقرض منذ عشرات القرون ، او شظية من ساقه أو فكه، فاذا هم يستنتجون ما يستنتجون بالخيال الخصيب ، ويتصورون المخلوق ويصورونه بتمام جثمانه وجميع اعضائه اعتمادا على موحيات تلك العظمة النخرة .

ومن غير انتقاد لهم او تنديد بصنيعهم لأن هذا قصارى ما في وسعهم، نصرح اننا لا نبيح لنفسنا مثل ذلك في البحث اللغوي ، لأن المخلفات الباقية من اللغة اوفر بكثير من مخلفات الانسان الأقدم البائد . وانما شأننا عكس ذلك . اذا وجدنا هيكلا لمخلوق لغوي تام الاعضاء ينقصه جزء يسير أبحنا لنفسنا استنشاء (2) ذلك الجزء المفقود من مقايسة الادلة واستنطاق القرائن ، ولا سيما اذا عثرنا على ذلك الجزء المفقود في لغة أخرى .

قارئنا يتذكر مثالا على ذلك ، انها كلمة (آب) التي قلنا (في عدد فارط من « اللسان العربي » وفي كتابنا « مغامرات لغوية ») انها كانت تعني الماء في في العربية ، وهي ما زالت كذلك في الفارسية . فقد وجدنا اسلاف هذه الكلمة واخلافها في العربية على نحو من المنطقية التطورية والوضوح حق لنا معه أن

---

(1) نقترح « البشرانيات » من البشراني اي المختص بالبشر ، بمعنى علم الانسان او علم البشر (anthropology) — على غرار « الأرضانيات » التي كنا اقترحناها بمعنى علم طبقات الأرض (geology) من الارضاني اي المختص بالأرض .

(2) « الاستنشاء » مصطلح آخر نقترحه مقابل (reconstruction) اي اعادة انشاء الهيكل أو الصورة استنساخا او تخيلا . وهي كلمة تفتقر اليها العربية لكثرة ورودها في الآثاريات والمعماريات وغيرها .

نفترض انها كانت موجودة فى العربية بذلك المعنى ، حتى لو لم تكن قد بقيت فى الفارسية . لكننا على كل حال نحصر مثل هذه الاستنتاجات والافتراضات فى اضيق نطاق ممكن ونقصر اعتمادنا فى البحث اللغوي على اوضح القرائن واقواها تنزيها لهذا العلم ــ الترسيس ــ من التخبط والفوضى . وكم تحاشينا الاستشهاد بأمثلة وقرائن لغوية لافتقارها الى البرهان الناصع المقنع علميا ، بالرغم من اقتناعنا الوجداني شخصيا بصوابها .

سنتناول هنا كلمة رسية بديئة فى العربية تفرعت منها كلمات اصبحت حلقات متسلسلة متشابكة مثل نسيج الدرع ، لكننا نفتقد الحلقة الثانية منها فى العربية ونجدها فى الفارسية كذلك وهي (لب ــ lab) : شفة . ونكاد نجزم أنها كانت موجودة فى العربية ثم ضاعت وحلت محلها الشفة والشفر والمشفر والشفير والشفا والحافة والضفة .. فكل هذه الالفاظ تقوم مقامها كلمة (لب) فى الفارسية .

اما الكلمة العربية الرسية التى نحن بصددها فهي (**اللب**) زنة الدب ، التي نشأت من محاكاة صوت التهام (لب) البندقة أو اللوزة من قشرته بارتشاف الهواء بشدة وتلقي اللب باللسان والشفتين ، وهو صوت لا تستطيع أن تصوره بأحسن من (لب lup) ! فمن هنا سمي (**اللب**) فى العربية . ويبدو ان اللوزة بالذات هي الأصل فما زال المعجم جزاه الله خيرا يتذكرها بقوله ان المرء (لب اللوزة : كسرها واستخرج لبها) . بل ان اسم (**اللوز**) متطور من اللب فيما يبدو. ولأن اللب هو الجوهر المبتغى من امثال هذه الثمار القشرية اطلقوا اسمه على العقل ايضا باعتباره لب الانسان وما عداه فقشور . ومن (اللب) بالضم ، صاغوا (**اللب**) بالفتح ، بمعنى الشفة بسبب الدور الذي تقوم به الشفة فى التهام اللب من داخل قشرة اللوزة . وهي الكلمة المفقودة فى العربية والباقية فى الفارسية كالذي المعنا اليه . ولدينا دليل لعل قارئنا (اللبيب) يوافقنا عليه هو كلمة (**لبيك**) التي تعني الاستجابة مع التكرمة ــ لنداء او دعاء . وواضح أن هذه الصيغة ليست الا تثنية لصيغة (لب) ولو ان اللغويين لم يفطنوا الى أصل معناها . واصل معناها هو اظهار المتكلم طاعته لأمر حاكم أو سيد او عزيز ، وكأنه يريد ان يقول : سأصدع بأمرك ، او امنيتك حالما تخرج من لبيك ، اي شفتيك . وفى الموصل ينطقون لبيك بحذف الكاف (**لبي**) ، بمعناها . ومنها فى الفصحى فعل : **لبى** يلبي تلبية .

ومنها (**بلى**) بفتحين : حرف تصديق ، ويجيء غالبا جوابا لاستفهام . وينطقونها فى الدارجة العراقية بكسر اللام (بلى) بمعنى نعم ، البسيطة . و (**اللبلبي**) بالعراقية : الحمص المسلوق يلتهمه الصبيان واحدة واحدة على الأغلب . ويقولون فى العراق كذلك عن طبيخ الرز ونحوه من النواشف اذا كثر ماؤه فتعجن او الحساء اذا قل ماؤه فتكثف انه صار (**لبه** ــ lappah) ولا ندري هل هي مقتبسة من الفارسية أم منحدرة من لهجة عربية قدمى .

فهذا الذي مر بنا يقنعنا علميا بعروبة أثل (لب) وهي لم تتسرب الى الفارسية فقط بنفس صورتها العربية بل الى لغات اوربية اخرى بمعنى الشفة ايضا ، فى الانكليزية مثلا بصيغة lip وفى الفرنسية بصورة (lèvre) ، وفى كلتيهما (labial) : شفهي . وانما بقيت (لب) على حالها فى الفارسية لقربها من المعربة بينما تطورت وتحورت قليلا او كثيرا فى الآريات الأخرى بسبب بعد الشقة وتفاعلات الهجرات والظروف .

ونظنهم اطلقوا (لب) ــ بالضم ــ على حالات اخرى من الالتهام وتناول الطعام . ثم استعملوه بمعنى الرضاع عند ملاحظتهم التقام الوليد ثدي امه بشفتيه بعد الولادة توا ، دون سابق تعلم . ادهشهم ذلك كما لا يزال يدهشنا ، واحسبهم حكوا التهامه الثدي مبالغين فى التقليد بقولهم (لب ــ lup) !

ثم نشأت من الصيغة المفتوحة او المضمومة كلمة (اللبأ) ــ بالكسر ، زنة العنب ــ بمعنى الحليب اللزج الصمغي الذي يدره ثدي الأم بعد الولادة فيرضعه الوليد أول شيء . وهذا يؤيد قولنا ان الكلمة صيغت من استغرابهم تلقائية الرضاع الأول . وما زال أثر تلك الدهشة باقيا فى معجمهم حيث يقول : (**البا**) الجدي : رضع من تلقاء نفسه) !

وقالوا (لبأت) الأم ولدها ، بمعنى ارضعته اللبأ . ومن ذلك صاغوا اللبأة ، **واللبأة ، واللبوة واللبوة ، واللبوة** (بكسر اللام) ، **واللبة** (زنة الشفة) ، **واللباة** (زنة الحماة ، رعاها الله من لباة) ، **واللب** (زنة اليد ، اي بتخفيف الباء) ــ بمعنى انثى الأسد ، لأنها ترضع صغارها ، خلاف زوجها الذكر . والظاهر انهم اطلقوا هذه الأسماء ، او بعضها ، أو اكثر منها ، على اناث كل الحيوان ، كما نقول اليوم (الحيوانات

اللبونه) ، ثم تخصصت بأنثى الأسد . وصيغة (اللبونة) من اللبن تشبه صيغة (اللبواة) من اللبأ . يؤيد ذلك ان **(lupa)** تعني باللاتينية ومن ثم بالايطالية : ذئبة . والحاقا بها سموا مذكرها الذئب :
L. (lupus) و **It. (lupo)** . كذلك الأمر في الفرنسية **(loupe)** : ذئبة و **(loup)** ذئب . وربما كان منها في الانكليزية) **(wolf)**: ذئب .

وكما شمل اسم الذئبة اسم الذئب الذكر في بعض اللغات كالذي رأينا ، يلوح لنا ان اسم اللبوة ايضا قد شمل الأسد ، الذي صار يدعى**(leo)** و **(lion)** . ولعل ذلك قد تم في المعربة فان هاتين الصيغتين تشبهان صيغة (ليث) التي تعني الأسد أيضا .

ومن اللبأ أو اللب ــ بالفتح ــ صيغ (**اللبن**) الذي كانوا يعنون به الحليب كما لا يزالون في مصر ، لكن معناه في سائر لهجات الشرق الأوسط هو الحليب الرائب ، وفي المغربية : الحليب المخيض اي المأخوذة زبدته .

ومن ذلك صيغ (اللبان) ــ زنة اللسان ــ بمعنى الرضاع ، و (اللبان) ــ زنة الفؤاد ــ صمغ شجرة معينة ، تشبيها له بلبن الانثى ، ثم صار يطلق على الصمغ الذى يعلك والمعروف بالمصطكى . واللبان بالمصرية يعني العلك عامة اصمغا كان أم شيئا آخر . و (لبن الشجرة) اية كانت هو في المعجم ماؤها على كل حال . والمعقول ان يكون قد اطلق اولا على نسغ نوع من الشجر يسيل ماؤه ابيض كاللبن مثل شجرة التين ، ثم عم فشمل كل الأشجار . ثم صار (**اللبان**) ــ زنة الحنان ــ يعني موضع ما بين النهدين ، ثم الصدر عموما، للانسان والحيوان. ووجود ثديي انثى الانسان في صدرها يدل على ان هذه التسميات المختلفة اطلقت اولا على الانسان ثم انتقلت الى الحيوان ، اي ان الرضاع التلقائي ادهشهم من الولد الانسان قبل الولد العنز ، ولا سيما أن الماعز لم يستأنس الا بعد آماد . اي انهم طفقوا طوال تلك الآماد يقولون (البأ) الوليد البشري بمعنى رضع من تلقاء نفسه الى ان عرفوا الجدي فنقلوها اليه . ولا بد انهم كانوا يستعملون لمعنى (الرضاع) بوجه عام صيغة اخرى .

ومن اللبن جاءت تسمية جبل (**لبنان**) لان الثلج لا يبرح بعض قممه فتبدو حتى في الصيف بيضاء ، كاللبن ، وهو ما يعترف به المعجم . وقد سماه الاغريق والرومان **(Levant)** ، مما يدل على انه كان يسمى (لبان) او شيئا من هذا القبيل زمانئذ ، وخاصة انه يدعى بالفرنسية (لبان **Liban**) . ثم صارت **(levant)** تعني الشرق ايضا ، وهي ما زالت كذلك في اللغات الأوربية الحديثة ، لأن لبنان يقع شرقي أوربا .

والآن وقد اتضحت علاقة الكلمة بالرضاع والصدر نعود الى (اللب) ــ بالفتح ــ فنقول انهم اشتقوا منها ايضا بعض المعاني الصدرية . **فاللبة** (زنة الحبة) واللبب (زنة الحبب) بعنيان موضع القلادة من الصدر. وقالوا (ام **لبة**) : محبة عاطفة ، أي مثل الأم المرضع الرؤوم ، ثم استعير المعنى للرجل فقيل (هو **لب** على الأمر) : ملازم له ، تشبيها بملازمة الأم المرضع وليدها .

ومن اللبب صيغ (**التلبيب**) وهو ما في موضع اللبب من الثياب ويعرف بالطوق علىتعبير المعجم ــ وهو حاشية فتحة الصدر من التوب . ونحن بحاجة الى هذه الكلمة عصريا في دنيا الملابس التي نحار في تسميتها . ومن ذلك قيل (لببت الرجل) : اخذت بتلبيبه ، والاستعمال الشائع حديثا : اخذت بتلابيبه ، بصيغة الجمع .

اما (اللور) ــ بالراء المهملة ، زنة البوق ــ التي تعني اللبن المتوسط الصلابة بين الجبن واللبأ ، فنموذج آخر من تشعب الصيغ وتفرع المعاني . وهي كلمة اخرى نحتاج اليها في دنيا المآكل .

على أن الميدان الأوسع لنشاط هذه الكلمة ــ لب ــ انفسح حين صدروها بالحاء فصارت **(حلب)** اي لبن وزنا ومعنى . وفعل (الحلب) اي استخراج اللبن من الضرع نشأ منه (الحليب) اي اللبن المحلوب.

من الطعوم نكتشف اثنين من منتجات الحليب : الحلو والملح . اما (**الحلو**) فنظنهم قالوا اولا (حلا يحلو) من قولهم (حلب يحلب) بمعنى طاب وساغ مذاقا ، كالحليب . ولما كان الطعم السكري المعروف اطيب الطعوم والذها خصوصا عند الصغار فقد صارت (**الحلاوة**) تطلق على هذا الطعم خاصة وعلى كل مستملح او جميل عامة . ومنها بالدارجة صيغة (**حليوة**) . واما (**الملح**) ــ آخر ابطال عنوان قصتنا اللغوية هذه ــ فقد جاءته تسميته من لونه ، لان (**الملحة**) اي منجم الملح ، تبدو في البرية من بعيد ناصعة البياض كأنها بقعة من الحليب .

ولا نشك في ان (ملح) كانت تعني (حلب) في وقت من الأوقات ثم اختصت (بالملح) ـ المادة المعروفة المستعملة في تطييب الطعام ، لأن (ملح) هذه نشأت منها أفعال : ملع وملق وملج ، التي تعني الرضاع ، وسنتحدث عنها بعد . ومن هذا الطيب الذي يحدثه الملح في الطعام قالوا ان الفتاة (**مليحة**) اي حسناء ، او بالحري (جذابة) بالتعبير الحديث ، لأن (**الملاحة**) غير الجمال . ومن ذلك قول مصعب بن الزبير عن زوجتيه حين احتكمتا اليه : « عائشة اجمل وسكينة أملح». فقالت سكينة : «لقد قضى لي والله»!

و (المليح) بلغة الموصل يعني الجيد من كل شي . اما في سورية فقل من ينطقه كذلك فالأكثرون ينطقونه بالنون (**منيح**) ـ مع تسكين اوله . وفي الموصل ـ ايضا ـ يقولون عن الشخص انه (**يتملح**) بمعنى يتظرف ويماحك .

ومن الملح كذلك صيغت (**الملحة**) ـ زنة الفرفة ـ وهي النادرة من الكلام يتفكه بها .

وبعضهم قلبوا الملح فنطقوه (**المحل**) ـ زنة الوحل ـ وتخصصت هذه الصيغة فيما بعد بمعنى الأرض القاحلة ، لأن الارض الرسوبية التي انحسر عنها البحر تكون ملحية تظهر آثار ملوحتها على وجهها. والأراضي السبخة من هذا النوع لا تصلح للزراعة دون غسلها من الملح ، وقلما ينبت فيها زهر أو عشب ، فهي من ثم (**ممحلة**) اي (مملحة) . ثم عم استعمال (المحل) فشمل كل ارض قاحلة .

وربما كان من هذه المادة (الوحل) و (القحل) ايضا . اما (**الوحل**) فان الأرض الرسوبية رخوة تغدو (**موحلة**) تغوص فيها الاقدام غب المطر ، لأنها متكونة من تراكم الطمي في الماء الملح ، خلاف الأرض الكلسية الصلبة . واما (**القحل**) فقريب المعنى من (المحل) . وفي الموصل ـ التي لا ادري لماذا كثر ترداد الاستشهاد بلغتها في هذا الحديث ـ يقال عن اللون انه قد (**قحل**) ـ بتشديد الحاء ـ اذا حال وتغير الى ما يشبه لون الأرض السبخة التي تظهر فيها آثار الملح . فهذا يؤيد العلاقة بين (القحل) و (المحل) و (الملح) . ومن هذا المعنى ايضا (**الأملج**) بالجيم المنقوطة : القفر لا نبات فيه . وهذا واحد آخر من الأدلة على تعدد الصيغ مع اختلاط المعاني ، وسنعود كما وعدنا الى بيان علاقة (الملج) بالرضاع والحليب .

ومن الملح نشأ (اللمح) اي البريق ، استعارة من شدة بياض المملحة في الفلاة . ونطقها بعضهم بالعين فنشأ (**اللمع**) فقالوا لمح البرق ولمع ، بمعنى. ومن اللمح صيغت (**اللمحة**) وهي النظرة السريعة كأنما شبهوها بومضة البرق ، وبقي في المعجم من ذلك قوله : لمحت الشيء ، أو الى الشيء : ابصرته بنظر خفيف .

وما زالت بعض صيغ اللمع وثيقة الصلة بالحليب وما يتفرع منه من معان ، مثل (**لمع** ضرع الناقة) : تلون عند نزول الدرة فيه ، و (**املمت** الفرس ونحوها): اشرق ضرعها واسودت حلمتاه ، و (**الممعت** الانثى) : تحرك الولد في بطنها .

ولا بد من تذكير القارىء بأنه لم تكن هناك لجنة لغوية تولد الألفاظ وتصنف المباني وتوزع المعاني ، او أن هناك احدا أو قبيلا فعل ذلك عن عمد وحسن اختيار . وانما هي اختلاطات تعبيرية منشؤها ظهور صيغ جديدة بسبب الخطأ في النطق ومعان جديدة بسبب الخطأ في الفهم . وتصبح الصيغ الجديدة أول امرها مرادفات للصيغ القديمة التي منها نشأت، ثم يتخصص بعضها بمعان اخرى قريبة من المعاني الأصلية او بعيدة عنها بسبب مشابهات أو ملابسات قد تكون وجيهة معقولة وقد تكون واهية وقد تكون مضحكة . والتعمد الوحيد في الأمر هو استعارة بعض المعاني على المجاز أو التشبيه ثم يغدو المجاز حقيقة والتشبيه أصلا .

اما الصيغ الثلاث (ملع وملق وملج) التي قلنا انها نشأت من (ملح) ومعناها الرضاع ، فالظاهر انها كانت تعني الحليب كذلك بدليل الانكليزية (milk : حليب) . وهي أشبه بصيغة (ملق) . ولعل (ملك) ايضا كانت تعني الحليب في العربية ذات زمان . وقد بقي من آثارها (تلمك البعير) : لوى لحييه وتلمظ ، و (**اللماك**) ـ زنة السحاب : الشيء مما يذاق .

وكانت هذه الصيغ (ملع ، ملق ، ملج) مترادفة المعنى أول الأمر تعني عموم الرضاع ثم تخصصت كل واحدة منها بنوع منه ، فصارت (**ملج** الصبي ثدي امه) تعني على قول المعجم : تناول ثديها بأدنى فمه فرضعها، و (**أملجته** امه) : ارضعته ، و (**امتلج** ما في الثدي) : امتصه ، و (**المليج**) : الرضيع . اما (**الملق**) فيعني عموم الرضاع لولد الانسان ، واما (**الملع**) فاختص بولد الناقة حيث قالوا (**ملع** الفصيل امه) : رضعها .

لكننا لا نعتمد على دقة هذه التقسيمات التى نقلها اللغويون عمن عرفوا من القبائل فالأغلب أن قبائل اخرى كانت تعمم من هذا بعض الخاص وتخصص بعض العام ، على نحو آخر .

ومن (الملق) نشأت صيغ (**لقم**) و (**التقم**) و (**لقمة**) .. ومن ثم (**لقن**) و (**تلقين**) و (**لقانة**).. و (**لهم**) و (**التهم**) و (**ألهم**) و (**الهام**) ..

وهذه الألفاظ الرضاعية الثلاث (ملج ، ملق ، ملع) قلبوها وابدلوا حروفها كرة اخرى فنشأت منها صيغ مثل : (**لمظ**) و (**تلمظ**) . أما (**اظماظة**) — بضم اللام — فهي بقية الطعام فى الفم . وقلبوا (ملج) فقالوا (**لمجت** الشيء) : اكلته بأطراف الفم (اي مثل ملج الصبي ثدي أمه) . و (**اللمجة**) — زنة المضغة — ما يتعلل به قبل الطعام ، وهي كلمة جاهزة تصلح ان نطلقها على (الأوردوفر (hors-d'œuvre الذي اختلف وتحير اللغويون فى تسميته .

ثم ان الاعارب قلبوا (لمج) ايضا فنطقوها (لجم) ومنها صاغوا (لجام) الحصان . ويقولون — اللغويون — ان اللجام مقتبس من الفارسية (لكام — (lagam وها انتم ترون أن العكس الصحيح .

وقبل أن نتجاوز (ملق) التي نشأت منها (لقم) ونودعها الى غير رجعة ، نقول انهم تناولوا (لقم) هذه وصنعوا لها راسا فصارت (**حلقم**) ومنها (**الحلقوم**) ، ثم قطعوا لها ذيلها فصارت (**الحلق**) ومنه صاغوا (**الحلقة**) . ولما كانوا فى الجاهلية ، وما يزال بعض القرويين ، يتركون دائرة من الشعر فى وسط رأس الصبي حين يزيلون شعره ، صاروا يقولون (**حلقت** الصبي) — بتشديد لام حلقت — بمعنى صنعت له (حلقة) من الشعر فى راسه . ثم صار (**التحليق**) يعني ازالة الشعر بوجه عام ، ثم خففوا فعل (**حلق** تحليقا) فنطقوه (حلق حلقا) ايضا . ويلوح أن الصيغة المشددة كانت اشيع على العهد الجاهلي .

لكن كيف صار (**التحليق**) يعني الارتفاع ؟ يقول المعجم ان ذلك ناشيء من طيران الحمام على شكل دائرة فى الفضاء ، فشبهوه بتحليق الشعر فى رأس الصبي . لهذا كان قولك (**حلق** الطائر) يعني انه جعل يدور فى طيرانه . لكننا نرجح أن تحليق الطائر جاء من معنى (الحلقة) عامة لا من حلقة رأس الصبي خاصة.
ثم صار التحليق يعني الامعان فى الارتفاع . فأين تحليق الطائرة اليوم فى أجواز الفضاء من التقام الرضيع ثدي أمه ، فى الفاب ؟ ما أعجبها صلة . وامثالها كثير .

نعود الآن الى الحليب .

قالوا (**تحلب العرق**) : تفصد ، و (تحلب فمه): در لعابه. و (**الحالبان**) : القناتان اللتان يتحلب فيهما افراز الكليتين نازلا الى المثانة .

ومن الحليب أيضا صيغ (**الاحليل**) : مجرى اللبن فى الثدي ، والأغلب أنهم كانوا ينطقونه (**الاحليب**) اول الامر ، ثم اتبعوا الباء باللام ، على غرار صنيعهم باسم (قايين) مثلا نطقوه (قابيل) اتباعا له باسم هابيل . وعلى المجاز اطلقوا (الاحليل) على آلة الرجل باعتبارها مجرى ما يشبه اللبن من النطفة .

وواضح انهم قالوا (حلم يحلم) بمعنى (حلب يحلب) ومن هنا صيغت (**حلمة**) الثدي . وعندها قالوا (**حلم**) الصبي و (**احتلم**) بمعنى أنه بلغ ما نسميه سن الرشد ، وكأنهم قصدوا ان يقولوا انه (حلب) أو احتلب) لأنه يرى اول رؤيا جنسية ينزل فيها ماؤه الحليبي . ومن ثم صار (**الحلم**) — زنة الشكر — مرادفا للرؤيا بوجه عام من جهة ، و (**الحلم**) — زنة الرئم — يعني العقل والحصافة اي ضد الطيش والسفه من جهة اخرى ، باعتبار الصبي قد بلغ مبلغ الرجال ونفض عنه جهالة الطفولة ، وصار (الحلم) من جهة ثالثة مرادفا للاناة ورحابة الصدر لأن الحصيف العاقل هو الذي (**يحلم**) عن السفهاء ، فهو (حليم) . وهذا هو المعنى الشائع اليوم للحلم والحليم ، فقد ندر من يستعملهما فى غير الشعر بمعنى العقل والعاقل .

اما (الاحتلام) فنطقه بعضهم (**الاغتلام**) فشاعت هذه الصيغة ثم اختصت بمعنى هياج الشهوة . ومنها اشتقوا (الغلام) الذي هو أصل الاحتلام وممثل شدة الشهوة معا — وهو البطل الثالث لعنوان قصتنا هذه . ثم صار (الغلام) يعني الخادم والعبد ، وعمموا التسمية على الأنثى فسموها (**غلامة**) . ومن الغلام صيغت (الغلمة) : الشبق . ومن ثم سموا ذكر السلاحف (الغيلم) كناية عن شبقه .

وقالوا (حبلت) المراة بمعنى حملت جنينا فى رحمها . ذلك بأن الحليب يتكون فى ثدي (الحبلى) . فصار قولهم (حلبت)

المراة يعني انها (حبلت) ، والمصدر هو (الحبل) ـ زنة الامل . و (**الحبلى**) هي الثانية من ابطال عنوان قصة (لب) .

وبعضهم نطق (حبلت) المراة بالميم وتغيير الحركة فقال (**حملت**) ومن ثم سميت الحبلى (**الحامل**) ايضا . وعندما ولدت جنينها قالو وضعت (**حملها**) . وسمي الوليد (**الحمل**) ـ زنة الامل ايضا ـ ثم اختصت هذه الصيغة بولد الشاة ، وبقي (**الحمل**) ـ زنة الحول ـ يعني الجنين ما دام في بطن امه . وعلى التشبيه سموا ثمرة الشجرة (حملها) ما دامت عليها . ثم صار (**الحمل**) ـ زنة القرد ـ يعني الثقل الذي (**يحمله**) الانسان ايا كان نوعه . نعندئذ ظهر (**الحمال**) اول شخوص قصتنا هذه اللغوية الغرامية الاحيائية مع ابعادها الاجتماعية والاقتصادية . ظهر (الحمال) من (الحبلى) . وشتان بين حمل هذه في بطنها وحمل هذا على ظهره

ويلوح ان الصيغتين البائية والميمية ـ الحبل والحمل ـ قد تعايشتا عهدا طويلا كما هي العادة الغالبة عند ظهور صيغ جديدة محرفة عن صيغ سابقة وعلى هذا نرجح ان الحمال كان يدعى (**الحبال**) ايضا اول الامر ، فلا بد ان يكون (الحبل) ـ زنة الحمد ـ قد اخذ معناه من (الحبال) ـ زنة الحلاق ـ لا من (الحبلى) ، لانه هو الذي يربط حمله على ظهره (بالحبل) . ومن تعايش الصيغتين البائية والميمية اشتقوا (**الملاح**) من الحمال ، بمعنى الحبال ـ زنة الحلاق . نقول هذا لان العلاقة الوحيدة بين الحمال والملاح هي (الحبل) يستعمله الاول لربط حمله على عاتقه والثاني لسحب السفينة مع رفاقه عند مسيرها قرب الشاطيء ضد التيار أو الريح . من بقايا ذلك سوق بالموصل ـ ايضا ـ تدعى (**سوق الملاحين**) كان لها شأن ايام القوارب والسفن النهرية ـ تباع فيها الحبال ، وهم يسمونها (**سوق الحبالين**) كذلك ، مما يدل على أن الملاح كان يسمى (حبالا) ، فلو كان القصد من التسمية الثانية للسوق هو الحبال ـ زنة الجبال ـ لدعوها سوق (الحبال) بدل سوق (الحبالين) . ولا نعلم أن كانت هناك في دارجات عربيات اخريات كلمة ما تزال توحي بالصلة بين الملاح والحبال .

من بعض هذه الالفاظ التي تقدم ذكرها نشأت الفاظ كثيرة اخرى ذات معان اخرى تبتعد شيئا فشيئا عن معانيها الأصلية بحيث لا يمكن التعرف عليها الا بالمعاني والمباني المتصاقبة يقودنا بعضها الى بعض . والمعجم زاخر بها .

نهذي باختصار هي قصة **الحمال والحبلى والملاح والحليب والملح وملاحة الغيد الحسان وملاحة** البحار ثم الهواء ثم الفضاء **ولبنان والغيلم والالمعية والوحل والحلوى وسوق الحبالين والتلمظ والتملق واللبوة والالهام وحلمة النهد .. وخاتم لبيك ...**

فمن كان يتصور ان كل هذه الالفاظ وكثيرا غيرها من التفرعات التي تكمل اللغة وتزيد ثروتها .. ترجع الى أم واحدة صغيرة هي : (لب) ؟

لم يصادف أحد ، غير السندباد البحري في مغامراته السبع ، امثال هذه الغرائب والمفارقات التي صادفتنا في رحلتنا هذه الصغيرة في اقطار المعجم العربي .

نشاط المجامع والمكتب الدائم للتعريب

العربية لغة الحضارة والفكر والمعرفة

الدكتور عبد العزيز السيد
المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
(القاهرة)

قام الاستاذ عبد العزيز السيد مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربيـة بزيارة استطلاعية للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربـي ما بين 17 ـ 22 \ 6 \ 1971 قصد الوقوف على المنجزات التي حققها المكتب الدائم والمشاريع التي ينوي تنفيذها والمشاكل التي تعترض طريقـه فى سبيل تحقيق اهدافه .

وقد اقام المكتب على شرف سيادته حفلات استقبال نوه السيد المدير العام خلالها بالروح الاسلامية السامية التي تتوفر فى جميع موظفي المكتب وأشاد بدورهم الطليعي فى خدمة اللغة العربية والعودة بها الى اصالتها وأمجادها ، وقد ارتجل سيادته كلمة قيمة نلخصها فيما يلي :

ايها الاخوة . لقد سررت كثيرا بهـذا اللقـاء الاخوي ، وهذه الزيارة الكريمة التي مكنتني وستمكنني من أن اراكم وارى اعمالكم التي عرفتها فى الحقيقـة وسمعت عنها الكثير قبل أن أتولى شؤون المنظمـة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقبل انضمامي اليها، لقد عرفت اعمالكم واعجبت بها منذ كنت فى المجمـع اللغوي بالقاهرة ، فمنذ ذلك الحين وانا أتابع باعجاب المجهودات الجبارة التي يقوم بها هذا المكتب لخدمة اللغة العربية والمصطلح العربي .

وحينما رايتكم واطلعت على اعمالكم عرفت انكم موفقون فى اعمالكم لا ريب ؛ وانكم لا تبادلون الفكـر فقط، ولكن تتبادلون كذلك الاخلاص والوفاء والتفاني فى العمل مما يزيدنا ثقة وايمانا ان هذا المكتب سوف يحقق ما نبتغيه ان شاء الله .

والحقيقة انني لم اكن اعرف مدى **حاجتنا للتعريب،** الا حينما زرت بلدان المغرب العربي هذه الزيارة التي جعلتني اشعر بجلال المهمة الملقاة على عاتق مكتبكـم وضرورة التعجيل بالتعريب والعمل على نشر اللغـة العربية لان **وحدة الفكر واللغة هي التي ستجعلنا نقف على ارض صلبة من الفكر وهي اولى خطوات التقدم فى العصر الحديث ؛** وليس معنى التقدم أن نقلد غيرنـا ونستورد الافكار من سوانا . فهذا ليس من شيـم العرب الذين هم من المنشئين الاول للحضارة الانسانية ومن واضعي اسسها التي ما زالت اصالتهم موجـودة وتراثهم قائما يشهد بعظمتهم وفضلهم على الانسانيـة جمعاء ؛ وكل ما تنطوي عليه الحضارات المعاصرة من قيم انما هي فى الاصل مستقاة من الحضارة العربية والاسلامية ، وان اول من عرف العقيدة العالمية هـم

المسلمون ؛ وهذا لم يكن تشريعا وضعيا، بل كان جزءا من عقيدتهم . فالمسلمون جميعا وحدة متراصة، أي ان الفكرة العالمية هي اصلا فكرة اسلامية ، ثم ان دولة الرفاهية هي دولة اسلامية وعربية . لقد كانت فى الاديان الاخرى هوة بين الحاكم والمحكوم ، اما فى الاسلام فلأول مرة منذ قرون الفيت تلك التفرقة وزالت تلك الهوة ؛ بل ان الحكم فى الاسلام كان يبنى على التعاون والتفاهم ومبدأ الشورى والديمقراطية .

لقد عزفت المسيحية عن الدنيا فجاء الاسلام ليجمع بين الدين والدنيا وليحقق ما لم يكن معروفا من قبل الاديان الاخرى .

والنظر العلمي والبحث العلمي انما هو دعوة اسلامية صريحة فليس هناك شيء واجل من القرآن الكريم الذي هو اساس النظريات العلمية والبحث العلمي . ان ما يفخر به الغرب الآن من علم وتكنولوجيا كانت أصول الدعوة اليه موجودة اصلا فى القرآن .

اننا ايها الأخوة لم نتخلف الا حينما غابت عنا كل هذه الحقائق وكل هذه المبادىء التي التقطها منا غيرنا واقام بها حضارة وتقدما . ولو نظرنا الى الحضارة الغربية والتقدم الغربي لوجدنا أن تلك الحضارة اخذت تجنح الى الخراب والفساد بعد ان اخضعت العالم لمدد طويلة لمذهب من القوة والعنف .

اني لا انكر على الحضارة الغربية نضج العقل والفكر ، ولكني انكر عليها جنوحها الى الماديات وافساد الاخلاق .

ولو استطاع العرب فى عصورهم الذهبية تحت ظل القرآن الكريم وهديه ، والاسلام وقواعده الاحتفاظ بمبادئهم وافكارهم واستغلالها فى الصناعة والتقدم العلمي لما كنا الآن نعيش هذا التأخير ، ويجب ان نعد انفسنا الى الدور الفعلي نحو توحيد صفوفنا وتحقيق اهدافنا ، وبهذا نكون قد ادينا واجبنا على احسن ما يرام . واني لا ادعو الى معاداة الحضارة الغربية ولكن ينبغي علينا أن نفتح أعيننا جيدا لنتأكد من كل شيء .

ونحن عندما نتحدث عن الاسلام فاننا لا نقطعه عن العربية ولهذا **فان العربية تحتل المكانة اللائقة بها فى نفوسنا** وبين اللغات لانها **تجمع بين قداسة الدين وبين الدنيا** ؛ لانها لغة التخاطب ولغة الفكر وهي التي تجمع كل هذا من بين جميع اللغات ، وانا لا أعرف لغة أخرى يعتز بها اهلها مثل اللغة العربية ، ذلك لانها جمعت بين الدين والدنيا كما قلت ولانها **لغة الفهم والحضارة والفكر والمعرفة** ، ولهذا لم يكن غريبا علي ان اجد فى المغرب العربي **الشعور بالحاجة الى التعريب والعربية** ، لانه قد حان الوقت بالنسبة لهذا الجزء من الوطن العربي ولأهله ان يعملوا على تطوير لغتهم ولغة آبائهم واجدادهم وربما كان هذا هو السبب الذي جعل **اقطار المغرب العربي تنهض وتعلن معركتها من أجل التعريب** ومن أجل العودة الى لغتها وحضارتها وامجادها .

وختاما أيها الاخوة اقول انني لا اريد ان اعرف كيف تعملون ؛ لانني ارى كل ذلك فى عملكم وانتاجكم وفى كل ما تنشرون وكل ما اقوله لكم انني احييكم وأبارك عملكم واتمنى لكم كل تقدم وتوفيق فى هذا العمل العظيم . وانني لواثق انه فى زيارتي القادمة ان شاء الله سأجد تقدما اكثر وانتاجا أكبر والسلام عليكم .

مؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع

كلمة الدكتور ابراهيم مدكور

الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة

دعا المجلس الأعلي لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى القاهرة الى مؤتمر تبحث فيه مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع ، حضره مندوبون عن جميع البلاد العربية وبعض الملاحظين من خارجها، دام من يوم 3 مايو 1971 الى 8 مايو ، افتتحه معالي وزير الثقافة بكلمة ترحيبية وتلاه سعادة رئيس المجلس الأعلى المذكور الاستاذ يوسف السباعي بكلمة مشابهة ، ثم تقدم رئيس المؤتمر العالم الجليل السيد ابرهيم مدكور فالقى كلمته الجامعة وانفرع المؤتمر الى لجنتين احداهما تخصصت ببحث المصطلحات الفلسفية وثانيتهما تخصصت بدرس مصطلحات علم الاجتماع .

ومثل المكتب الدائم لتنسيق التعريب كبير الخبراء الدكتور ممدوح حقي والقى كلمة الختام لهذا المؤتمر الذى توصل الى الاتفاق على نحو الفي مصطلح حملها العلماء والفلاسفة المؤتمرون الى جامعاتهم لتطبيقهافى محاضراتهم ومؤلفاتهم .

وقبيل انفضاض المؤتمر رسميا اجمع الاعضاء على تكريم الرئيس الدكتور مدكور بمناسبة بلوغه السبعين من عمر قضى اكثره فى خدمة اللغة ، وتشكلت لذلك لجنة راسها عميد الفلسفة الدكتور عثمان امين واتفقت على نشر مقالات مبتكرة تهدى اليه وتجمع فى كتاب خاص بهذه الذكرى .

ونحن ننشر فيما يلي الموضوعين الافتتاحي والختامي للدكتور مدكور والدكتور حقي، كما نقدم كتاب ((المقولات العشر)) وهومخطوط غميس يحقق وينشر نقلا عن خط مؤلفه نفسه لاول مرة ويهدى الى الدكتورمدكور بمناسبة الذكرى السبعين .

سيدي الرئيس ، سادتي .

العلم لغة احكم وضعها ، ولا حياة له بدونها ؛ يلتقي عندها العلماء ، ويعول عليها الطلاب ، وعلى اساسها يقوم التأليف والنشر . تسير بسير العلم ، وتقف بوقوفه ، وتاريخ العلوم الى حد ما تاريخ للغتها ومصطلحاتها .

ولم تنشأ لغة العلم فى الاسلام دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت بنمو العلوم وتقدمها ، وقد بدات العلوم الاسلامية منذ القرن الاول للهجرة فى تكوين لغتها ، وظهرت مصطلحات فى الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها اخرى فى الاخلاق والسياسة ، والطب والكيمياء والفلك والطبيعة . وخضع المصطلح العربي القديم لسنة النشوء والارتقاء ، فنما وتطور على مر الزمن ، وعول واضعوه على النقل والاشتقاق ، ولم يبالوا بأن يكون عربيا اصيلا ، او معربا دخيلا ، وربما آثروا المعرب اذا كان ادخل فى المعنى واكمل فى الاداء وكثيرا ما يحمل التعريب شارة الأصل الذي نقل عنه ،

فتلحظ الألفاظ الفارسية في مستحدثات الادارة والحضارة ، واليونانية والسريانية في العلوم الفلسفية والطبيعية . واذا ما رؤى أن مصطلحا ما لا يؤدي معناه اداء كاملا ، عدل عنه الى ما هو ادق واضبط .

وما ان حل القرن الرابع الهجري حتى اكملت لغة العلوم في الاسلام ، واستقرت مصطلحاتها بحيث تنوسي معناها الاول ، ولا يكاد يفهم منها الا مدلولها العلمي الخاص . وتداولها الباحثون في المشرق والمغرب ، ولم تختلف من قطر الى قطر ، كانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان والفسطاط ودمشق ، وبغداد واصفهان . وبدىء بتسجيلها في معجمات تحت اسم « مفردات » او « تعريفات » ، ومن اوائلها « مفاتيح العلوم » للخوارزمي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع ، ومن أواخرها « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في النصف الأخير من القرن الثاني عشر . ومن المصطلحات العربية ما نقل الى الفارسية والتركية ، ومنها ما سرى الى اللاتينية ، بل الى بعض اللغات الأوربية الحديثة كالانجليزية والفرنسية .

— × —

واذا شئنا أن نقف عند المصطلحات الفلسفية بوجه خاص ، وجدنا انها سارت على نحو ما سارت المصطلحات العلمية العربية الأخرى . بدات ضعيفة محدودة مترددة ، فكانت تقتصر على الفاظ قليلة يؤخذ بها حينا ، ثم يعدل عنها ، ولكنها ما لبثت ان نمت وتنوعت بحسب تنوع العلوم الفلسفية وتعددها ، ويمكن ان ترد بوجه عام الى مصدرين هامين : الدراسات الكلامية الاولى ولدى المعتزلة خاصة ، وحركة الترجمة والمترجمين .

ويعد المعتزلة بحق مؤسسي المدرسة العقلية الاولى في الاسلام ، فلسفوا الدين قبل ان يعرف الفلاسفة ، ووضعوا دعائم علم الكلام ، او الفلسفة الالهية الاسلامية . على انهم لم يقفوا عند الالهيات ، بل كانت لهم نظريات في الطبيعة والسيكولوجيا والاخلاق . وقضوا نحو مائتين وخمسين سنة ، من أخريات القرن الاول الهجري الى منتصف القرن الرابع ، يدافعون عن الدين ، ويردون شبه الزنادقة والملحدين .

ولم يبق الزمن على شيء يذكر من مؤلفات مؤسسي هذه المدرسة وكبار رجالها الاول ، ولكن استطاع الأشعري في « مقالاته » والخياط في « كتاب الانتصار » أن يحتفظا لنا بقدر غير قليل من لغتهم ومصطلحاتهم ، ثم جاء « كتاب المغنى » للقاضي عبد الجبار الذي اكتشف اخيرا ، فأضاف الى ذلك ثروة يعتد بها . وفي ضوء هذه المصادر يمكن ان نقف على كثير من مصطلحاتهم ، ومن بينها ما اختصوا به : مثل الأصول الخمسة ، والعدل والتوحيد ، والصلاح والأصلح ، والحسن والقبح العقليين ، والجبر والاختيار ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزليين . ومنها ما تبناه الفلاسفة من بعدهم ، وبقي يتردد في المدارس المختلفة ، كالجزء الذي لا يتجزأ ، او الجوهر الفرد ، والجسم والروح ، والجوهر والعرض ، والحركة والسكون . وأوضح ما يلاحظ على هذه الألفاظ انها في اغلبها عربية خالصة ، لأن واضعيها تمكنوا من اللغة تمكنا تاما ، وبلاغة المعتزلة الاول كانت ولا تزال مضرب المثل .

— × —

اما المترجمون فلم يتمكنوا من العربية تمكن المعتزلة ، ومع ذلك بذلوا جهدا عظيما في تكوين المصطلح الفلسفي ، وقضوا نحو قرنين أو يزيد في النقل عن العبرية والسريانية ، والفارسية والهندية ، واللاتينية واليونانية . واستوقفهم بوجه خاص مؤلفات افلاطون وارسطو ، وما عليها من شروح ، وكان لشراح الاسكندرية شأن فيما نقلوا وترجموا ، وهم اقرب الى المسلمين من الشراح القدامى . وقد هدتهم هؤلاء المترجمون الى الدقة والنزاهة المقدرة العلمية ، فكانوا أمناء في نقلهم دقيقين في عملهم ، يتجردون ما امكن المصادر الوثيقة ، ويعيدون ترجمة ما لم يطمئنوا اليه ، او ما اهتدوا فيه الى نص اضبط .

وقد اسهموا اسهاما كبيرا في تكوين المصطلح الفلسفي ، الى حد ان قسطا مما تخيروه من الفاظ لا يزال مستعملا الى اليوم . ومن اوضح الأمثلة على ذلك كتاب «الأورجانون» لأرسطو ، وهو من أقدم الترجمات الفلسفية التي وصلت الينا ، وفيه مصطلحات منطقية لا تكاد تختلف عما استعمله الفلاسفة والمناطقة اللاحقون ، ولم يفتهم أن يستعيروا الفاظا استعملت في علوم أخرى ، واغلب الظن ان لفظ « الحكم » أو « القضية » مثلا عرفا لدى الفقهاء قبل ان يعرفا لدى المناطقة ، واشتراك مصطلحات بين علوم مختلفة امر ملحوظ في العربية . وكثيرا ما استعانوا بالنحت

والاشتقاق لخلق الفاظا تؤدي المعاني الجديدة ، وكان لهم فى المصادر الصناعية فسحة كبيرة كالهوية والماهية ، وقد يدخلون عليها لا النافية كاللاادرية واللانهائية . وان اعوزتهم الالفاظ العربية عربوا بعض الكلمات الاجنبية ، فاخذوا عن اليونانية مثلا ، الأنية ، والهيولى ، والأسطقس ، وفنطاسيا ، وثاسوس ، وعن السريانية « حيمر » بمعنى باب او فصل ، وسمع الكيان او « شمعا كيانا » للسماع الطبيعي ، وعن الفارسية الهندسة والجوهر . ومما يذكر ان كلمة « اوسيا » اليونانية ترجمت أولا بلفظة « عين » ، واستمرت هذه اللفظة مستعملة الى عهد الاشعري ، وعدل عنها بعد ذلك لانها ذات دلالات مختلفة الى كلمة « جوهر » الفارسية التي حلت محلها بصفة نهائية .

— x —

ثم جاء فلاسفة الاسلام فنقحوا مصطلحاتهم ، وغذوا لغتهم الفلسفية ، والتقوا فيها على كلمة سواء ، ولا تكاد تختلف مصطلحات ابن سينا والغزالي الفلسفية فى المشرق عن مصطلحات ابن طفيل وابن رشد فى المغرب. وجاراهم فى هذا المتكلمون المتأخرون امثال الفسفي والايجي ، وقد حرصوا على ان يدمجوا الفلسفة فى دراساتهم الكلامية . ويوم ان ركد البحث الفلسفي فى الاسلام ركدت لغته معه ، فجمدت المصطلحات ، واضحت ولا تجديد فيها ولا ابتكار ، وكان هم الخلف ان يرددوا الفاظا وصيغا قال بها السلف .

وجاءت أخيرا النهضة العربية الحديثة فى القرن الماضي على فترة من البحث والدرس ، وحاولت ان تتدارك بعض ما فات ، ولكن من قاموا فيها بالتأليف والترجمة لم يكونوا على علم تام بماضيهم ، ولا على صلة وثيقة بمصطلحاتهم القديمة ، فلم يفيدوا كثيرا من ذلك التراث العظيم ، واخذوا يؤدون الحقائق الفلسفية اداء لا يخلو من تعجل او خطأ ، وكان على ابناء القرن العشرين ان يتداركوا هذا النقص ، وأن يتابعوا سير البحث الفلسفي فى التاريخ الحديث والمعاصر . ولقد اصبحت المصطلحات الفلسفية فى نمو وتجديد لا ينقطع ، ولها فى اللغات الأوربية معجمات تزاد وتستكمل من حين لآخر .

ونستطيع ان نقرر ان البحوث العربية فى الفلسفة قد خطت فى نصف القرن الاخير خطوات فسيحة ، احيت مجد الماضي ، ووصلته بالحاضر ، واخذت تكون من جديد لغتها الخاصة . فيلحق بالكتاب ثبت بما ورد فيها من مصطلحات مع ذكر مقابلها الأجنبي وبذلت جهود فى وضع معجمات عربية للعلوم الفلسفية، ومن بينكم من اسهم فيها بنصيب ملحوظ ، ويعني بها مجمع اللغة العربية منذ عهد بعيد . وأخرجت لجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية مجموعة كبيرة من مصطلحات الفلسفة عام 1964 .

وقيمة المصطلح فى انتشاره والاخذ به ، وبذا يصبح جزءا من اللغة العلمية المشتركة . اما ان يختلف من باحث الى باحث ، ومن قطر الى قطر ، فانه يبقى عملة غير متداولة . ومن أسباب توحيد المصطلح العلمي الكتابة والتأليف ، ونشره لكي يذاع بين الناس. وينبغي أن يلتقي المختصون من حين لآخر ليتبادلوا الراي فى لغتهم ، ويتذاكروا ما فيها من قصور .

وانا لسعداء بأن يشهد مؤتمرنا هذا جمع صالح من كبار المشتغلين بالدراسات الفلسفية فى العالم العربي ، وقد وجهت الدعوة الى الجامعات العربية كلها ، والى زملاء كرام لم يصلنا رد منهم . ونؤمن بأن فى هذا اللقاء خيرا وبركة ، وفلاسفة العرب متعاونون من قبل ومتصلون ، وربما كانت مسافة الخلف بينهم فى المصطلح الفلسفي اضيق منها فى دراسات أخرى . ولتبادل هيئات التدريس بين الجامعات المختلفة ، ولنشر الكتاب العربي وتيسير نقله من بلد الى آخر اثر كبير فى هذا الشأن . ولقد برهنت العربية على انها ليست اقل استجابة لمقتضيات العلم من اية لغة أخرى، وكم من مصطلح عربي الصق بمعناه وادق فى دلالته من مصطلح اجنبي .

* * * *

وهاكم ملخص الخطاب الذي ارتجله الدكتور ممدوح حقي في الجلسة الختامية لمؤتمر الفلسفة والعلوم الاجتماعية

اخواني الزملاء والزميلات .

ما اشد غروري حين اقرن نفسي الى اساتيذ افاضل وعلماء فطاحل وفلاسفة كبار ضمهم هذا الحفل الكريم فى مؤتمر يعالج المصطلحات الفلسفية والاجتماعية وهي أرقى ما وصل اليه الفكر المجرد . بل ما أعظم اعتزازي بهم وافتخاري بمصاحبتهم فى هذه الرحلة الفكرية السامية خلال اسبوع كامل ذاب فيه الزمن فلم اشعر بتراكض الأيام والساعات حتى صحوت على لحظة الختام . وستبقى ذكرى هذا المؤتمر خالدة فى تاريخ حياتي العلمية وسأنقل شعوري العميق بها الى مكتب تنسيق التعريب فى الرباط الذي أمثله الآن أمامكم .

اخواني واخواتي :

لعل كل من تحدث اليكم باسم موطنه من السادة الأعضاء أقام فى نفوسكم صورة لهذا الوطن بحدوده وجغرافيته واقليمه وتاريخه وديموغرافيته . ولعلهأثار فيكم ذكريات خاصة او عامة تتعلق به ، أما حين أتحدث اليكم باسم مكتب تنسيق التعريب فى الرباط فكيف حال الصورة التي تقوم فى نفوسكم عنه ؟ ! اغلب الظن أن أكثر السادة الزملاء والزميلات وهم من أرقى الطبقات الفكرية فى البلاد العربية لا يعرفون عنه الا القليل القليل ان لم يكونوا يجهلونه بتا ، والذنب فى ذلك ذنبنا أكثر منكم ، فنحن نعمل بصمت صامت وهدوء ساكت منذ أكثر من عشر سنوات وهمنا كله فى الانتاج المستمر لا فى الضجة ولا فى الدعاوة ــ منذ أكثر من عشر سنوات والمكتب يعمل وينتج ولايدري به الا القلة القليلة ممن لهم صلة بنا كالمجامع العلمية فى القاهرة ودمشق وبغداد ، وبعض الجامعات فى سائر البلاد العربية وبعض العلماء .

كلنا نذكر بأن الشمال الافريقي الغربي وقع فى براثن الاستعمار الفرنسي منذ القرن التاسع عشر وما تخلص منها الا بعد الحرب العالمية الثانية ، ورأى جلالة المغفور له محمد الخامس ملك المغرب أن يوطد صلاته بالبلاد العربية الاسلامية عن طريق لغة القرآن متآخيا متعاونا معها فى طريق التقدم الحضاري ، وكانت هذه الاواصر قد تقطعت بفعل الضغط الاستعماري حتى باتت اللغة الفرنسية لغة التعامل العام لا فى المدارس والجامعات ودوائر الحكومة بل حتى فى السوق والبيت والمزرعة والجبل . ولاحظ أن البلاد العربية فى تسابقها للحاق بالركب الحضاري كل واحدة منها تسري فى طريقها الخاص تترجم وتؤلف وتعرب على قدر طاقتها وقدرتها فاختلف تعريب المصطلحات تبعا لاختلاف البلاد . وايقن بعين بصيرته مآل هذا التباين بعد عقدين أو ثلاثة من السنين وراءه أن تسير البلاد العربية فى طريق التباين الثقافي، فدعا الى ندوة عربية فى أواخر العقد السادس انتجت هذا المكتب الدائم لتنسيق التعريب وتقريب وجهات النظر فى الترجمة وتوحيد المصطلحات بقدر الامكان . ومنذ ذلك اليوم والمكتب يعمل فى تلقي ما يعرب من سائر الدول العربية وينسقه ويضيف عليه لغة أخرى ويتبعه بملحق يجمع ما أصابه النسيان او لحقه الاهمال او استجد على العلم من بعده وننشر ذلك كله فى مجلة « اللسان العربي » وهذا العدد الثامن أمامكم يتألف كما ترون من ثلاثة أجزاء ينوف كل جزء على سبع مائة صفحة ويجمع ثمانية معاجم علمية هي : معجم الكيمياء ومعجم النبات ومعجم الحيوان ومعجم البترول ومعجم الفيزياء ومعجم الجيولوجيا ومعجم الرياضيات عدا ما فيه من أبحاث ومقالات علمية ومعجمية ولغوية .

نعد ذلك كله وننشره على العلماء فى البلاد العربية وعلى المستشرقين ونتلقى ردودهم وملاحظاتهم وننشرها بحرفيتها فى المجلة ، وكنا نكتفي بالوقوف عند هذا الحد ، غير أننا اتخذنا الآن خطة جديدة قد تسركم سرورا بالغا على ما أعتقد .. سنرسل لكم نتائج عملنا لتطلعوا عليها وتنقدوها ثم نترك لكم فرصة

طويلة جدا لا تقل عن بضعة شهور نعقد لكم بعدهـــا مؤتمرا فى ظل الجامعة العربية تناقشون فيه عملنـــا بمنتهى الحرية ، وما يستقر عليه رايكم سيتخذ مجراه الطبيعي الى الجامعات والأساتذة والمؤلفين ويشيع على السنة العلماء واسنة اقلامهم وتتوحـــد بذلـــك المصطلحات ويسهل التفاهم العلمي بيننا جميعا ــ فهل انتم على استعداد للمساهمة فى هذا المؤتمر ؟ نعم لن يكون ذلك قبل دخول العام القابل ولكن حساب السنين فى عمر الشعوب غير ذي قيمة خصوصا ما تعلق منها بالعلـــم .

قد تتساءلون عن وصف المكتب وقدرته ولكم فى ذلك كل الحق . فالمكتب يتألف الآن من فرعيـــن : اداري وفني . يقوم على الاداري موظفـــون ممتازون بمستواهم العلمي والخلقي والاداري معا وبذلك تتيسر اموره وتعالج مشاكله بلطف وسهولة . ويقـــوم على الفرع الفني خبراء متخصصون على مستوى عال من الثقافة او الشهادات العلمية ومعرفة اللغات وما زلنـــا نقوي هذا الفرع بما نضيف اليه من خبراء مراسلين فى العالم العربي ومن المستشرقين فى كـــل العالـــم . والمكتب على عمومه نفس حي من فروع جامعة الدول العربية يعيش على ما تمنحه من ميزانية وما تقدمـــه دولة المغرب المضيفة من موظفين اداريين ومصروفات البريد وما شاكل ذلك مما يبلغ مئـــات الآلاف مـــن الدولارات . والمكتب لا يبذر ولا يسرف ولا يطلـــق المال جزافا بل كل قرش عنده بحساب دقيق ، ولقد انتج حتى الآن عددا عديدا من معاجم المعاني الصغيرة وسيواصل عمله فى هذا الدرب حتى يضع معجما كاملا تاما للغة العربية يرتفع حتى يساوق آخر ما وصلت اليه المصطلحات الحضارية الحديثة ويسير من بعـــد معها جنبا الى جنب . اما متى نصل الى هذا الهـــدف فلن نستطيع تقديره الا بعد عشر سنوات على الاقل . وأما كيف يعمل المكتب بهذا النظام الدقيق فذلك أمر تدركونه جميعا بالبداهة : انه الاخلاص فى العمـــل والايمان بقدرة لغتنا على التطور واغنائها بالتجديـــد وبالاستحداث والاشتقاق والتعريب . انه التعـــاون المثمر بين المكتب من الداخل وسائر العلماء العرب من الخارج : بيننا وبينكم ، بين كل من نطق لغة القرآن واحبها بين كل من آمن بحق العرب فى الحياة . بين كل من قدس تاريخنا المجيد واستشرف لمستقبلنا العتيد . فالمكتب فى خدمتكم ، والمجلة مفتوحة لكم، نرسلها بالمجان لمن اراد منكم ، ولا نشترط عليه أكثر من ان ينقدنا ويسدد خطواتنا ويهدينا الى خطئنـــا . المكتب لكم وعلماؤه وخبراؤه تحت تصرفكـــم . واذا كنت ــ قبل مغادرتي المنبر ــ احب ان اشكر احـــدا فالشكر لشقيقتنا الكبرى مصر وللمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وللمجمع اللغوي المصري ولكل من ساهم فى اقامة هذا المؤتمر الذي افدت منه شخصيا اكثر مما اعطيته وسأنقل الى مكتبنا فى الرباط صورة عما لقيته بينكم من رعايـــة وعمـــا شاهدته من تنافس فى خدمة العلم الصحيح ، وفقنا الله جميعا لما فيه الخير والصواب والحق .

قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة

جاء فى مجلة مجمع اللغة فى مصر (الجزء 24 صحيفة 194) أن المجمع قد اقر ما يلي :

1 — اطلاق جواز الاشتقاق من اسماء الأعيـــان ، دون قيد الضرورة بقيد العلوم كما كان مقررا ســابقـــا . .

2 — جواز لحوق تاء التأنيث صيغـــة (فعـــول) الصفة بمعنى فاعل ، وجمعها جمع تصحيح .

3 — جواز صوغ (فعيل) لمعنى المبالغة او الصفة المشبهة ، كما يدل على المشاركة : (جليس، مثيل ، خليط ... الخ .)

4 — صحة استعمال كلمة « متحف » بفتح الميــم والحـــاء .

5 — صحة استعمال (حدث) بضم الدال ولو لم يكن مرافقا فعل (قدم) لافادة المدح أو الذم أو المبالغة ، مع اشرابه معنى التعجب .

6 — جواز استعمال « تبرير » بمعنى تسويـــغ ، كقولهم : برر فعله بكذا ...

7 — صحة استعمال « تقدم اليه بكذا » بمعنـــى التمـــس منـــه .

8 — جواز الحاق المد الأصلي فى صيغة (مفاعل) بالمد الزائد فى صيغـــة (فعائل) مثـــل : مكايـــد = مكائـــد .

9 — جواز استعمال « ام » و « او » بعد سواء ، مع الهمزة وبدونها : سواء علي احضرت ام لم تحضر . سواء علي حضرت ام لم تحضر . سواء علي أحضرت او لم تحضر . سواء علي حضرت أو لم تحضر .

10 — جواز استعمال « تقييم » أي بيان القيمة بدل « تقويم » بالرجوع الى الأصل منعا للالتباس بمعنى التعديل فى استعمال تقويم من قوم أى عـــدل .

وجاء فى الجزء 25 صحيفة 191 ان المجمع اقر مـــا يلـــي :

1 — جواز حذف الياء واثباتها فى النســـب الى « فعيل » بضم الفاء او فحتها . مذكرة ومؤنثة فى الأعلام وفى غير الأعلام .

2 — جواز استعمال « اي » للابهام والتعميـــم فى مثل قولهم : اشتر اي كتاب . ويصح اضافتها الى معرفة مثل : اشتر اي الكتب . او الى مصدر مثل : لا تبال اي تهديد .

3 — جواز صياغة « فعله » للدلالة على التكثيـــر والمبالغة من الثلاثي القابل لذلـــك وصفـــا للذكر والمؤنـــث .

4 — جواز جمع « فعله » ساكن العين صحيحها على « فعلات » بتسكين العين او فتحها مثل : زفرة = زفرات .

5 — جواز الغاء النصب ب « اذن » .

6 — اقرار الاستثناء ب « غير ، سوى » .

7 — جواز دخول « أل » على « غير » .

8 — جواز النسبة الى كيمياء باثبات الهمزة « كيميائي » .

9 — جواز القول : فعلت كذا **رغما عن**

10 — جواز القول : حدث هذا **أثناء** كذا

11 — جواز القول : هل **هذا** الامر يعجبك ؟

وجاء فى الجزء 26 صحيفة 220 أن المجمع قد اقر ما يلي :

1 — الموافقة على صحة قولهم : هذا حمض **يوجد** فى عسل الشمع . هذه الكلمة **موجودة** فى المعجم الوسيط ... وما شابهها ، على اعتبارها من باب الكون الخاص لأن جمهرة النحاة على أن حذف الكون العام واجب .

2 — اباحة جمع « فعل » ساكن العين على « افعال » بغير استثناء : بحث = ابحاث .

3 — جواز جمع « مفعول » على « مفاعيل » مطلقا: مملوك = مماليك .

4 — جواز جمع ما لا يعقل جمع اناث مثل : فراغات صمامات . قرارات . جوازات ...

5 — جواز جمع « كيلومتر » على كيلومترات ، واخضاعه فى التمييز لما عليه القواعد العربية مثل : سرت سبعة كيلومترات . سرت عشرين كيلومترا ...

مجلس البحث العلمي الأردني

كتيب نشره مجلس البحث العلمي فى الأردن نوه فيه بضـــرورة البحـــوث العلمية فى الدول النامية .. لضمان التقدم والازدهار والتطور والتفتح على الحضارة الحديثة . وهي تساعد على تذليل الصعاب والمشاكل التي تعترض خطط التنمية والتطـــور .

ولقد تم تشكيل مجلس لتوجيه سياسة البحث العلمي فى الأردن منذ عـــام 1957 ، يتم تمويل هذا المجلس من الهبات الخارجية التي يحصل عليها ، بالاضافة الى ميزانيته الخاصة الممنوحة له من الدولة ، يرأس المجلس عادة وزير التربية وفيه تسع لجان هـــي :

1 ــ اللجنـــة التنفيذيـــة .

2 ــ اللجنـــة الماليـــة .

3 ــ اللجنـــة الزراعيـــة .

4 ــ اللجنـــة الصحيـــة .

5 ــ لجنـــة العلـــوم والطبيعـــة .

6 ــ لجنـــة العلـــوم والهندســـة .

7 ــ لجنـــة الأبحـــاث الاقتصاديـــة .

8 ــ لجنـــة العلـــوم الاجتماعيـــة .

واخيرا لجنـــة ابحـــاث الطاقة الذريـــة .

ويتكون مجلس الأمانة العامـــة من خمسة أعضاء .

وهذه بادرة طيبة نباركها ، وانهـــا لتبشر بخير كثير .

المكتب الدائم للتعريب في المؤتمر الثاني

لمنظمة التربية والثقافة والعلوم

تم انعقاد المؤتمر العام لمنظمة التربية والثقافة والعلوم التي انشئت فى نطاق جامعة الدول العربية فى دورته الاولى فى شهر دسمبر (كانون الاول) 1969 فأقر :

تعيين السيد الدكتور عبد العزيز السيد مديرا عاما للمنظمة . كما كان من قراراته :

1 ـ انتخاب اعضاء مجلس تنفيذي للمنظمة لمدة سنتين

2 ـ الموافقة على النظام الداخلي للمؤتمر العام وكذا النظام الداخلي والنظام المالي للادارة العامة للمنظمة

3 ـ التصديق على نظام الموظفين والمستخدمين بالمنظمة وعلى برنامجها وتكاليفه لسنتي 70–71 71 ـ 72 وميزانيتها الانتقالية للسنة المالية (1971)

4 ـ احداث شعب محلية فى الدول الأعضاء لتنظيم التعاون مع المنظمة

5 ـ التعاون بين المنظمة وجامعة الدول العربية .

واما المؤتمر العام الثاني لهذه المنظمة الفتية فكان انعقاده من 4 دسمبر (كانون الاول) 1971 الى 13 منه ، وكان جدول أعماله حافلا بالمواضيع المهمة التي نوقشت فى جو ملؤه الوئام والجدية فصدرت قرارات كلها تبعث على التفاؤل والآمال منها :

1 ـ تحديد البرامج والميزانية للمنظمة عن سنتي 1972 ـ 1973

2 ـ اتخاذ التدابير الملائمة بعد دراسات المنظمة لتقارير الدول العربية الأعضاء عن نشاطاتها فى مجالات التربية والثقافة والعلوم

3 ـ اقرار عقد الاجتماعات والحلقات والمؤتمرات خلال سنتي 1972 ـ 1973

4 ـ اثبات تعاون ايجابي بين المنظمة وجامعة الدول العربية من جهة وبين المنظمة العربية ومنظمة اليونسكو من جهة اخرى

5 ـ تشكيل الشعب المحلية فى الدول العربية (اللجان القومية)

6 ـ انشاء مراكز اقليمية عربية للوسائل التعليمية ولتنمية الثروة البشرية

7 ـ تطوير التعليمين الهندسي والاداري فى البلاد العربية .

وقد اوفد المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي مندوبين عنه قاما بعرض موجز عن نشاطه وتطور اعماله وانتاجه وتخطيطه للمشروعات الحالية والمقبلة كما تقدما بتفاصيل مشروع الميزانية الخاصة بالمكتب .

وأوضح المندوبان بهذه المناسبة ان الحكومة المغربية كانت منذ انشاء المكتب ولا تزال تقدم اليه ـ باعتبارها دولة المقر المضيفة ـ مساعدات مشجعة .

ومما يجدر ذكره انه أثناء المناقشات حول نشاط المكتب تفضل السيد رئيس اللجنة المالية والادارية والقانونية فأشار « الى ما لهذا المكتب فعلا من اهمية قومية بالاضافة الى عمله العلمي » .

كما كان من أهم مقررات المؤتمر العام الثاني بالنسبة للمكتب عقد مؤتمر التعريب الثاني خلال سنة 1973 وقد ترك امر تحديد مكان انعقاده للادارة العامة لمنظمة التربية والثقافة والعلوم ، وفيما يلي نص هذا القرار :

قـــرار

عقد مؤتمر التعريب الثاني سنة 1973

ان المؤتمر العام ،

تعزيزا لتوصية المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العرب (الكويت 17 ـ 22 فبراير 1968) الهادفة الى ان تسعى جامعة الدول العربية فى ان يتم توحيد المصطلحات العلمية بين الدول العربية حتى نهاية مرحلة الدراسة الثانوية .

وتقديرا للجهود التي بذلها مكتب تنسيق العتريب فى هذا الصدد باعداد ستة مشروعات معجمية علمية تحت اشراف الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية بناء على قرار مجلس الجامعة فى دورة سبتمبر (ايلول) لسنة 1969 باحالة موضوع توحيد المصطلحات العلمية حتى مرحلة الدراسة الثانوية الى المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط ، وقد تم انجاز هذه المشروعات كالآتي :

1 — مشروع معجم الرياضيات .
2 — مشروع معجم الفيزياء .
3 — مشروغ معجم الكيمياء .
4 — مشروع معجم النبات .
5 — مشروع معجم الحيوان .
6 — مشروع معجم الجيولوجيا .

وطبقا لتوصيات مؤتمر التعريب الاول الذي انعقد بالرباط (3 ـ 7 أبريل 1961) .

وطبقا للنظام الأساسي لمكتب تنسيق التعريب الذي اقره مجلس جامعة الدول العربية (قرار رقم 2541 ـ ج / 4) وقد نص على « ان يتولى المكتب مهمة تلقي ما تنتهي اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والأدباء والعلماء والمترجمين ومتابعة ذلك كله وتنسيقه ومقارنته ليستخرج منه ما يتصل بأغراض مؤتمر التعريب لعرضه على دورات التعريب المقبلة » .

وبناء على المذكرة التي قدمها مكتب تنسيق التعريب بشأن اقتراح عقد « المؤتمر الثاني للتعريب خلال سنة 1973 من اجل استعراض ما استطاع انجازه من التوصيات الصادرة عن مؤتمر التعريب الاول ومن أجل دراسة مشروعات المعاجم العلمية السالفة الذكر .

يقـــرر :

1 ـ عقد المؤتمر المقترح فى وقته المحدد (سنة 1973) على ان يترك أمر تحديد مكان انعقاده الى الادارة العامة للمنظمة للتربية والثقافة والعلوم وعلى ان يسبق انعقاد المؤتمر تحضير له من حيث اعداد البيانات والدراسات الوافية ومن ذلك عرض المعاجم التي تم اعدها بواسطة المكتب على الخبراء واللغويين والمجامع اللغوية والاتحادات العلمية فى الوطن العربي فى وقت كاف يسمح بدراستها دراسة جادة متانية قبل حلول وقت المؤتمر المقترح .

2 ـ ويوصي المؤتمر العام بتوسيع موضوع المؤتمر المقترح ليشتمل على الجوانب الهامة لمشكلة التعريب من جوانبها المتعددة وبخاصة فى المغرب العربي ... م ع / (1971) ق 6 ط

جهود الدول العربية في حقل التعريب

الأستاذ ميرغني (السودان)

كتب الأستاذ ميرغني دفع الله مقالا تحليليا حول المصطلحات التربوية فى مجلة « التوثيق التربـوي » التي تصدر عن مركز التوثيق التربوي بوزارة التربية والتعليم العالي بالسودان (عدد 18 سنـة 1971) ؛ سلط كاتبه فيه الأضواء على **أهمية المصطلحـات فى هذه الآونـة** ثم انتقل الى الحديث عن تطور مدلول الكلمات من عصر الى آخر وكيف يبطل مدلول بعضها ويتولد مدلول جديد .

وعن توحيد المصطلحات العلمية يقول الأستـاذ فى هذا الصدد : « .. ففى اوربا تفرغ بعض العلماء الى **وضع قوانين علمية** تحدد تحديدا دقيقا المقصود بكل مصطلح وفتحوا المجال لكل صاحب راي ان يدلي برايه كما قاموا بعقد مؤتمرات من آن لآخر لمناقشة التطور الناشيء فى كل ميدان وتعديل ما يمكن تعديله » .

ثـم يضيـف :

« واما فى الجانب العربي فقد كان الجهد المبذول فى هذا المضمار كله يدور حول علوم اللغة واسرارهـا امدا من الزمان ، الى ان تصدت جامعة الدول العربية وبعض الهيئات الاخرى لهذا الأمر ، **فقد قامت الجامعة العربية بانشاء المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط، مهمته الأساسية تعريب بعـض المصطلحات العلميـة وتوحيدها ، فهو يصدر من وقت لآخر ، مجلة ((اللسان العربي)) ، ويتناول فيها مصطلحات كل علم بالتعريب واختيار انسب العبـارات واقربهـا الى المعنى لتكون** مصطلحا عاما متفقا عليه ، وبجانب ذلك يقوم المركز **باصدار كتيبات ونشرات لكل جديد يبرز فى عالـم المصطلحات** ، كذلك قام بعض اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت باصدار **((قاموس التربية وعلم النفس التربوي))** هذا الى جانب **جهود المجلس الأعلى لرعاية الفنـون والعلوم الاجتماعية بالقاهرة ، وغيرها من مجامع اللغة** العربية والاتحادات والهيآت العلمية .. ألخ » .

ويدعو الكاتب فى مقاله الى توحيد مناهج التعليم بين الدول العربية وتوحيد المسميات حتـى لا يقـع التلميذ العربي فى حيرة وبلبلة من أمره . وكذا الى توحيد كافة المصطلحات التي تجد والعمل على نشرها فى الوطن العربي .

تم ذيل مقاله ببعض المصطلحات فى مجال التعليم المبرمـج .

ومن خلال هذه العجالة يبرز لنا دور المكتـب الدائم فى تعريب المصطلحات العلميـة وتوحيدهـا وتعميمها ونشرها فى جميع الاقطار العربية وعملـه الدائب على مسايرة ركب التطور الحضاري الزاحف الذي يطلع علينا فى كل يوم بسيل كبير من المصطلحات الجديدة التي يمليها العصر والتي نحن فى حاجة ملحة الى جهود متضافرة لتلاحقها وتداركها وتعريبها. وكذا يتأكد لنا ـ بالتالي ـ دور المجامع والهيئات اللغويـة فى مختلف الدول العربية التي جندت نفسها لنفـس الغايـة .

المكتب الدائم في مشاريعه العربيّة والدوليّة

انبثق المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي عن مؤتمر التعريب المنعقد فى الرباط (3 – 7 ابريل 1961) وتبنته جامعة الدول العربية عام 1969 (قرار رقم 2541 / ج / 4) فى جلستها العادية رقم 51 .

وتقررت مهمته فيما يلي :

أ – تجميع بحوث العلماء العرب وتنسيق المصطلحات المعربة فيما بينهم قصد توحيدها بقدر الامكان .

ب – تنسيق التعاون بينه وبين المجامع اللغوية والهيئات العلمية المختصة وشعب التعريب فى كل بلد عربي .

ج – متابعة التعريب خارج حدود الوطن العربي والتنبيه على ما يرتكب فيها من اخطاء تعزيزا لمكانة اللغة العربية على نطاق دولي .

د – معاونة الحركة المندفعة نحو استخدام اللغة العربية الأصيلة لتحتل مكان اللهجات المحلية واللغات الأجنبية المستخدمة فى بعض البلاد العربية ، خصوصا فى المغرب العربي .

منجزاته فى المرحلة بين 1961 و 1966

من منجزات المكتب – بالرغم من ضعف وسائله المادية والبشرية – خلال خمس سنوات انتهت عام 1965 :

أ – اصدار مجلة « اللسان العربي » وما زالت تتقدم وتتطور وتكبر حتى ساوقت اكبر المجلات اللغوية فى البلاد العربية .

ب – اصدار عدة معاجم الحت الضرورة على استعجال بعضها منها : الرياضيات، الفيزياء ، الكيمياء ، الاشغال العمومية ، السياحة ، الطحانة والخبازة ، السيارات ... الخ .

منجزاته فى المرحلة بين 1966 و 1971

قام المكتب خلال السنوات الخمس التي تنتهي مع انتهاء هذا العام بانجاز ما ياتي :

أ – عدة معاجم لفروع المعرفة لتكون اساسا لمعجم المعاني والحضاري الكبير وللمعجم العلمي والتقني العام .

ب – اعداد مئات الألوف من الجزازات لمختلف المصطلحات العلمية والتقنية مما توصلت اليه المجامع اللغوية والجامعات والمجالس العليا والهيئات الثقافية والعلماء ...

وما زال مستمرا فى العمل على تنمية هذه الحصيلة وذلك بثلاث لغات .

ج – توسيع مجلة « اللسان العربي » حتى بلغ العدد الثامن منها ثلاثة أجزاء فى نحو الفي صفحة من القطع الكبير . وتحتوي – عدا بحوث العلماء المختصين – وبعضها معاجم علمية وتقنية ، منها سبعة معاجم خاصة بالرياضيات والفيزياء والكيمياء

النبات والحيوان والجيولوجيا قدمت مشروعها وزارة التربية والتعليم المصرية بلغتين ــ انجليزية وعربية ــ وإتمها المكتب الدائم باضافة اللغة الفرنسية مع ملحق ضاف لكل منها بثلاث لغات ايضا . أما السابع فهو معجم البترول وقد صدر عن المنظمة العربية للبترول فأضاف المكتب اليه لغة ثالثة وملحقا على غرار المعاجم الستة المذكورة .

د ــ يعمل المكتب الآن على نشر هذه المعاجم وملحقاتها فى طبعة خاصة مشكولة لكي يكون النطق بالمصطلحات العربية واضحا لا لبس فيه .

هـ ــ اصدر عدة معاجم صغيرة تتعلق بالمصطلحات الحضارية ، تكملة لما سبقها فى ارساء قواعد معجم المعاني الكبير المنتظر . منها : الأجهزة والآلات والألعاب العربية والسماكة والأسماك واسماء العلوم والفنون والمعجم المنزلي ومعجم البناء ومعجم الألوان ومعجم الحرف والمهن ومعجم الأطعمة ومعجم الحساب (للابتدائي) والمعجم الصوفي . . .

و ــ وساهم فى تنشيط التعريب ومحاربة الدخيل بالمغرب العربي باصدار مجموعات من كتيبات عنوانها ــ قل ولا تقل ــ كان لها أجمل الصدى فى المنطقة وفى منظمة اليونسكو .

ز ــ أصدر الجزء الأول من معجم الاقتصاد والقانون، ومعجم الفقه والقانون والفقه المالكي الخ .

ح ــ اجرى مسابقة فيما بين العلماء العرب المختصين باللغة ، فاز بالجائزة الأولى السيد ناجي هلال من العراق ، وقد تبرعت بها المملكة المغربية ونشر تحقيقه كتاب « متخير الألفاظ » لأحمد بن فارس المتوفى عام 395 هـ . وتجري الآن مسابقة ثانية ــ تبرعت بجائزتها دولة الكويت ــ ثم ثالثة تبرعت بها المملكة العربية السعودية .

ط ــ وقد اسهم مع الاتحاد البريدي العربي باضافة ملحق لمعجمه الأصلي كما اسهم فى اكمال معجم الطيران المدني ومعجم اليونسكو واصدار معجم للطرق على نفس النسق باتفاق مع الجمعية الدولية الدائمة لمؤتمرات الطرق .

مشاريع المكتب فى اطار تخطيطه للمستقبل

كان تحقيق معظم المشاريع السالفة الذكر فى اطار تصميم وضعه المكتب الدائم لعشر سنوات ابتداء من سنة 1966 .

وسيصدر قريبا معجما للميكانوغرافيا .

وقد قرر المكتب ان تكون جميع معاجمه الكبيرة باللغات الثلاث : عربية وانجليزية وفرنسية وتخابر مع بعض الهيئات العلمية فى المانيا وروسيا للتعاون على اصدار معاجم مخمسة اللغات فى وقت واحد لا سيما فى حقل التكنولوجية .

— x —

ومما تجدر الاشارة اليه ان اللغة العربية اصبحت تسير سيرا حثيثا نحو بلوغ مكانتها المحترمة بين سائر اللغات العصرية الكبرى فصارت تستعمل الى جانب اللغات الاربع فى بعض الهيئات الدولية مثل اليونسكو غير ان كسبها هذا لم يكن الا سياسيا أما الكسب العلمي فيحتاج الى جهود جبارة لنستطيع اللحاق بركب الحضارة التقني والعلمي على الخصوص ، ولن يتأتى لنا هذا الا بمواصلة الجهاد المخلص المتفاني وليس ذلك على علمائنا بعزيز . ومكتبنا ــ على قلة من فيه من خبراء وعلماء ــ يواصل عمله بلا انقطاع نهارا وليلا فى كثير من الأحيان وهذا ما ساعده على انجاز اعماله خلال المدة القصيرة من حياته ولقد وضع مخططا للسنوات الخمس المقبلة للعمل على تحقيق ما يلي بعون الله :

أ ــ مواصلة تجميع الجزازات الى اقصى حد ممكن فى العلوم والفنون المختلفة باللغات الثلاث العربية والفرنسية والانجليزية مقتبسة من القواميس القديمة والمعاجم الحديثة والمصنفات العلمية

ب ــ متابعة اصدار المعاجم التقنية والعلمية مشكولة شكلا تاما حرصا على حسن نطقها بالعربية ، منها: « معجم الترتيب العشري العالمي » (باتفاق مع المنظمة العالمية للزراعة) و «معجم العظام» و « معجم الدم » وسلسلة طويلة من معاجم المعاني تستغرق ما انجزته دار « لاروس » والمعاجم الانجليزية علاوة على معاجم تقنية خاصة يستند فيها المكتب الى ما وضعه من

جزازات هي خلاصة ما ورد من مصطلحات قديمة فى الكتب والقواميس .

ج ـ يضاف الى ذلك المعاجم التالية : معجم الفنون ، معجم الموسيقى ، معجم علم الاجتماع ، المعجم السياسي والديبلوماسي ، معجم الفلسفة ، معجم علم النفس ، معجم المذاهب والديانات ، المعجم الاداري ، المعجم الفلكي ، المعجم الجغرافي ، المعجم التاريخي وموسوعة السينما وموسوعة الكهرباء ومعجم الحراج والخشب ، معجم الانسان (من الناحية البيولوجية) ومعجم المرأة (فى الحضارة) والمعجم العام للسكك الحديدية مع اعطاء الأسبقية لكل مشروع جديد ترتئي احدى الدول العربية ضرورة التعجيل باصداره .

د ـ انعاش التراث اللغوي والفكري للعربي باقامة مسابقات جديدة بين العلماء العرب تقدم فيها جوائز وتنشر الكتب الفائزة . وفى أطار هذا المضمار فان المكتب سينشر قريبا :

1 ـ كتاب « المقولات العشر » ، يلحق به معجم مثلث اللغات للمصطلحات الواردة فى المنطق الصوري .
وهو مخطوط غميس اكتشفه وحققه الدكتور ممدوح حقي وقدم له مقدمة علمية رصينة .

2 ـ معجم « لآلىء العرب » للمرحوم السيد رزق وهو معجم للمعاني فيه تدقيق وتحقيق وزيادات بالنسبة لمعجم ابن سيده.

هذا مع استمرار الاتصال بالدول العربية وخاصة مع الشعب القومية للتعريب والخبراء المراسلين للمكتب والمعينين من طرف الحكومات العربية لمتابعة التعريب بقصد تنسيقه وعرضه على العلماء العرب فى الندوات التي يعقدها المكتب فى نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وسيكون حق الأسبقية فى النشر لما يمس الحاجة العربية فى نضالها الداخلي للتقدم أو فى نطاقها الدولي لتتساوق وسائر اللغات فى الهيئات الدولية. ويلاحظ فى هذه النقطة بالذات ان خطة المكتب قد انتقلت انتقالين واضحين جد الوضوح :

أ ـ الخطوة الأولى فى داخل النطاق العربي ، بدات مع تأسيسه واستمرت حتى أوائل الخطة الخماسية الثانية ، وفى هذه الفترة اهتم المكتب بتعريب العلوم والفنون على النطاق المدرسي حتى حدود البكالوريا .

ب ـ الخطوة الثانية ، فى داخل النطاق الدولي ـ خصوصا بعد قبول اللغة العربية لغة خامسة فى هيئة الأمم ـ وفى هذه الفترة ارتفع التعريب الى المستوى الجامعي ثم اتصل بالحركة التقنية العالمية ضمن نطاقها العلمي فكانت معاجم البترول والميكانوغرافيا والطيران المدني والبريد والطرق والترتيب العشري العالمي الخ.

ويأمل المكتب أن يكون اتصاله بالمجامع اللغوية اكثر عمقا وسعة ليفيد منها ويقف على تطورها وخدماتها كما سيكون اتصاله بالهيئات العلمية العربية اكثر توطيدا واستقرارا لتجنب ازدواجية العمل بحيث لا ننافس هيئة منها فى موضوع تقوم هي على خدمته لكنا نعاونها ونقدم لها خدماتنا ونسق جهودها الى جانب جهود سواها فى ميدان التعريب ونعرض ذلك كله على العلماء فى ندوات على صعيد العالم العربي ، وقد اتخذت الجامعة العربية قرارا شبيها بهذا حينما قررت الا يقوم بتحقيق الأثر الغميس اكثر من هيئة أو عالم متخصص ونحن نرجو ان يطبق هذا فى مجال التعريب كذلك بحيث تتفق الندوة العربية على مصطلح معين يصبح الزاميا بالنسبة لسائر الدول العربية بجميع متخصصيها وهيئاتها العلمية .

للمـرة الثـانيــــة:

مسابقة المكتب الدائم

سبق للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي اعلانه عن تنظيم مسابقات سنوية فى موضوعات تتعلق باختصاص المكتب ، توزع فيها جوائز نقدية باسم كل دولة عربية . وكان موضوع المسابقة الاولى (وقد تبناها المغرب) تقديم مخطوط غميس مستوفى الشرح والتعليق او بحث جديد حول اللغة العربية ، وكانت الجائزة الثانية (بعد ان احتفظ بالجائزة الاولى) من نصيب أستاذ من الجمهورية العراقية والثالثة والرابعة من نصيب أستاذين من الجمهورية العربية المتحـــدة .

ولقد قرر المكتب تنظيم مسابقة ثانية لسنة 1971 – 1972 – على غرار المسابقة الاولى – وتبنت دولة الكويت الشقيقة تمويلها بمبلغ عشرة آلاف درهم– اي ما يعادل 2000 دولار امريكي لتغطية قيمة الجوائز الأربع التي ستمنح للأبحاث الفائزة . واتفق المكتب الدائم ووزارة التربية الكويتية على ما ياتـــي :

(1) ان يكون موضوع مسابقة هـــذه السنة نفس موضوع السنة الماضية لما له من علاقة وطيدة بالتعريب واللغة العربية وهو (تقديم مخطوط نادر او دراسة غميسة حول اللغة العربية لـم ينشر من قبل) .

(2) ان يكون المخطوط القديم ذا قيمة علمية فى موضوع اللغة العربية على شكل معجم أو دراسات أو ابحاث غميسة (لم يسبق نشرها) .

(3) يدرس المخطوط دراسة علمية تتناول الكتاب ومؤلفه وعصره وقيمته العلمية مع تحقيق النص تحقيقا دقيقا .

(4) ان لا تقل الدراسة عن خمسين صفحة (50) من الحجم المتوسط .

(5) يجوز اشتراك اكثر من شخص فى تقديم المخطوط او البحث الواحد وفى هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي فيما بين المشتركين .

(6) يهدف هذا المشروع الى الكشف عن المخطوطات الغميسة النادرة حول اللغة العربية وحفز القرائح العربية للقيام بدراسات لغوية على نطاق الرسالة الجديدة التي تقوم بها اللغة العربية كلغة عمـل فى المحافل الدولية .

(7) يرسل البحث (فى نسختين) الى مقر المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربـي 8 شارع الانتيل ص. ب. 290 الرباط – المغرب –

(8) تتألف لجنة التحكيم فى هذه المسابقة من اعضاء تختارهم وزارة التربية فى دولة الكويت .

(9) تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من تاريخ اكتوبر 1971 الى نهاية شتنبر 1972 .

تكريم الفائز :

فى الثالث والعشرين من نسيان 1971 اقام سفير المغرب ببغداد الأستاذ عبد الهادي التازي حفلا تكريميا ضخما سلم خلاله جائزة المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط (التابع للجامعة العربية) الى الأديب العراقي الكبير الأستاذ هلال ناجي الفائز بالجائزة الاولى عن تحقيقه معجم ـ متخير الألفاظ ـ للامام اللغوي احمد بن فارس المتوفى سنة 395 هـ وهو الكتاب الذي طبعه المكتب الدائم بالرباط لاول مرة كما طبع طبعة ثانية فى بغداد بعد ذلك .

وقد حضر الحفل جمهور غفير من رجال الفكر والأدب يمثل ثلاثة اجيال من ادباء العراق غصت بهم دار السفارة وتميز الحفل بالضيافة المغربية السمحة وبالجو الشاعري الرائع الذي اشاعته قصائد اربعة من ابرز شعراء العراق أوحتها اليهم المناسبة ، وكان عريف الحفل الأديب التونسي المعروف الأستاذ محمد صالح الجابري الذي تولى تقديم الشعراء، فالقى الشاعر العراقي المعروف الأستاذ خضر عباس الصالحي القصيدة التالية :

احقا بات يعني بالاديب ... وتدفع عنه غائلة الخطوب
وتحميه يد من كل ضر ... ومن غدر الزمان المستريب
وتدرأ عنه ويلات الرزايا ... رزايا الفقر والظرف العصيب
وتشفي جرحه كف حنون ... فلا تبقى به اثر الندوب
وتربت فوق كتفيه اعتزازا ... كما يعتز صب بالحبيب
وتمسح مدمعا فى مقلتيه ... تهامى وهو كالمزن السكوب
وتنعش فيه احلاما تبدت ... كشمس حين تجنح للمغيب
وتمحضه المودة والتحايا ... وتدنيه من الأمل الرطيب
وترفعه الى اسمى محل ... محاط بالضمائر والقلوب

— ◆ —

وعفوا ان تمـــرد بـــي خيـــال جموح قــد تحفــز للوثـــوب
وان ثارت بصـــدري عاطفـــات بها انفجرت براكيـــن اللهيـــب
فليس ارى الأديب سوى شريـــد يعيش بقومنا عيـــش الفريـــب
اذا مـــا الليـــل ران تقاذفتـــه اعاصير التسكـــع فى الـــدروب
تسمر فـــى ملامحـــه اكتئـــاب وذاب بصوته جمـــر النحيـــب
وخط على جبينه سطـــر بـــؤس مرير شابـــه هـــول الكـــروب
واورثـــه الشقـــاء السقـــم لمـــا غدا يشكو من الجوع الرهيـــب

— ◆ —

اذا تبغـــون امثلـــة لقولـــي اليكم جئت بالأمـــر العجيـــب
نمعروف الرصافي وهو فخـــر لأهل الفكـــر والأدب الخصيـــب
قضى ايامه الحيـــرى التياعـــا تمزق قلبـــه دامـــي النيـــوب
يكابد شـــر كيـــد واضطهـــاد اذا ما جاء بالـــراي المصيـــب
وان افتـــى بأفكـــار عظـــام تشـــن عليه الـــوان الحـــروب
تطـــارده عصابـــات التجنـــي وتنبـــذه كشيطـــان مريـــب
اذا ما سار فى الطرقـــات يرنـــو اليه كل فـــرد فى قطـــوب
فتى العليـــاء ما اقترفت يـــداه كما اقترف الطغاة من الذنـــوب
يموت بدونمـــا كفـــن وحيـــدا ويدفن تحت طائلـــة الرقيـــب

— ◆ —

وللصافي العظيم حديث حـــزن تسربل فى رؤى الـــم مذيـــب
نبي الشعر فى بيـــروت يحيـــا اسير الهم فى عيـــش رتيـــب
وفى مقهى فلسطيـــن تـــراءى كنبت راح يذبـــل فى شحـــوب
تخطى عمـــره السبعيـــن عامـــا يعاني الويل من عبء المشيـــب
رايت بوجهـــه اشبـــاح يـــأس تمرغ فى اسى ضجر خضيـــب
واحسست السآمة وهي مـــلأى بآهة قلبه الدامـــي الوجيـــب
به هـــاج الحنيـــن الى حمـــاه حنين الصب للخـــود اللعـــوب
وان حنينـــه فـــى جانحيـــه كعصف الريح اوغل فى الهبـــوب
وثورة شوقـــه بيـــن الحنايـــا كلفح النار امعـــن فى النشـــوب

— ◆ —

وللسيـاب مأســاة تعــدت مآسي جيلنا القلــق الكئيــب
وانه شاعر كــم قــال شعــرا قد استوحاه من دمه الصبيــب
سلوا قطر الكويت ففيــه بــدر ذوى كالزهر فى قفـر جديــب
به استشرى السقام فراح يشكـو فما لاقت شكاته مــن مجيــب
ولاح مــن الضنى كذكــاء لمــا هوت كلمي على صدر الغــروب
ومات هنــاك لا احــد عليــه تأثر مــن بعيــد أو قريــب

— ◆ —

واني اليــوم يغمرنــي ابتهــاج كطير رف فى افــق رحيــب
فاهـزج بالقصائــد مستهامــا واصدح فى الربى كالعندليــب
أرى « متخير الألفاظ » يحظــى بجائــزة وتكريــم مهيــب
وما « متخيــر الألفــاظ » الا حصيلــة بــاحــث واع دؤوب
كتاب كــان يقبــع فى الزوايــا كأنه من اساطيــر الغيــوب
عليه من الغبــار بــدت تــلال كتبر غاص فى جـوف الكثيــب
وما هــو غيــر آيــة عبقــري جليل القدر موهــوب لبيــب
بجهد « أبي جمال » قــد تحلــى رصين البحث فى ثوب قشيــب
ولو عاد « ابن فارس » من جديــد لعاش العمر فى قلـب طــروب
وخص « هلال » بالحب المصفــى واغرقه بأشعــار النسيــب
وليس « هلال » فى دنيا المعانــي سوى البحاثة الفــذ الاديــب
وفى روض القريض غــدا هــزارا اذا غنى فما لــه مــن ضريــب
ومــا آثــاره الغــــراء الا ذرى فاضت بأنفـاس الطيــوب
يد « التازي » قد مرت عليهــا كما مر الربيــع على السهــوب
ومــا « التــازي » الا مغربــي نجيب قد تحـدر عــن نجيــب
سفير الحب فى وطني المفــدى ومصدر كــل ايثــار وطيــب
وجدت بــه شهامــة اريحــي ووعــي مفكــر حــر أريــب
اصالة فكــره أوحــت اليــه بأن الفكر نبــراس الشعــوب
وادرك ان فــى الآداب طبــا به نجتــث اشــواك العيــوب
فراح يسانــد الأدب المرجــى لنيل العدل والحــق السليــب

ثم ألقى شاعر كربلاء الأستاذ سلمان هادي الطعمة القصيدة التالية :

تألق نجمه مجدا تليدا ... وعاد لدى الورى نهجا سديدا
تراث يمنح الالباب فكرا ... تضمن سحره فخرا عتيدا
سقى غرس الحقيقة اذرعاها ... وخلدها لنا ذكرا حميدا
فما « متخير الالفاظ » الا ... سحاب ينثر الدر النضيدا
وما كل السحاب اتى بغيث ... ولا كل الغيوث روت ورودا
فيا كلما علا هام الثريا ... ويا قيثارة عزفت نشيدا
تراع يسكب العرفان هديا ... مضيئا يرشد الجيل الجديدا
وياسفرا حوى سمط اللئالي ... زها بفصوله عقدا فريدا
وصنفه (ابن فارس) خير سفر ... بديع قد حوى الأدب المفيدا
وقد بلغ العلى فيه (هلال) ... فقد اسدى لنا جهدا جهيدا

— ◆ —

ثم القى الشاعر المجدد الأستاذ خالص عزمي المدير بوزارة الثقافة والاعلام العراقية القصيدة التالية :

دعوة التازي بدره ... انبتت اجمل زهره
كل حقل يتمنى ... ضمها للروض دهره
دعوة شعت سناء ... وبحسن الذوق ثره
جاءها كل اديب ... هو في الآداب دره
حيث يلقى في رحاب الفكـ ... ـر من اوجد فكره
ويرى باحث سفر ... حمل الآيات سفره
نثره نسج موشى ... او كورد رش عطره
وهب الفن عطاء ... وجبين النظم غره
فاذا بالشعر همس ... واذا بالشعر ثوره
قادها من غير عنف ... مرة في اثر مره
شاعر هلت قوافيه ... على بحر المجره
فأضاءت كل داج ... لم ير الانوار عمره
هو للنثر لسان ... ولعين الشعر قره
شاعر لا بل هلال ... منح الاشعار بدره

ثم تقدم القاضي بمحكمة العمل العليا الاستاذ حازم سعيد فألقى الخريدة التالية:

انعم بمحتقب الاوابد مسفر — عن ضاحك خضل اللهاة منور
كنا حيارى قبل لمح جبينه — بمتعتين على أجب معسر
حتى مخضت لنا التراث وجئتنا — من لؤلؤ الالفاظ (بالمتخير)
الف مضت وفم الخلود يزقه — حذر الفناء بنغبة من كوثر
وتمر تطحنه السنون تعاقبا — بمصحف ومحرف ومنشر
شيخ تعاوره الزمان بجاحم — من قائظ وبراعد من ممطر
وتراه ينهض في عجيب جلادة — فلت قرون الحادثات بمنسر

— ◆ —

أ ابا جمال يا منور حسنه — في وشي مؤتلف الشيات محبر
فصلت فيه القول غير مخطأ — وجلوت فيه الحسن غير مغير
وجمعت طائفة بخال حديثها — غزل النسيم على غدير مقمر
لو رد (احمد) للحياة رأيته — يزهو بصيب لؤلؤ متحدر
هي من ولائد روحه لكنها — حسنت بحسن مرقق ومجبر

— ◆ —

وقد أهدى الشاعر الأستاذ زكي المحاسني قصيدة الى الشاعر العراقي هلال ناجي هذا نصها :

يا (هلالا) ناجيته بخيالي — عاش ملء الفؤاد عف الوصال
أسمع العذب في لغاه بلفظ — فيه لحن العراق حلو المثال
في ضفاف النيل التقينا على شعـ — ـر وفكر فكان زين احتفال
منظر آخذ بعين ، وشخص — شاعري مفوق بخصال
حين يسجو اليك رهن حديث — يملك الروح في سمو المقال
ينشد الشعر باهتزازة شوق — فتحس الدبيب في الأوصال
ما كفته الحقوق كانت لديه — عند قانونها رداء جلال
ووقوف « المرافعات » ، عليها — دفع غرم المظلوم يوم النزال
والمحاماة حين عزت وجدت — في حياة مليئة بالنضال
والسياسات في المناصب والحكم — وتقليب طرفه بالغوالي
فاتني للبيتان يحتل فيه — منزل الشمس في ظلام الليالي

— ◆ —

ايه (ناجي) حفظت ذكرى الزهاوي — والزهاوي مربي الأجيال
انا اسمعته عشية حفل — مجمع الشام شاده للمعالي
كنت فى العنفوان والشرخ اروى — شعره الحرفي فدا الأبطال
كان « طربوشه » يغوص الى الأذن — بعمر فان من الاثقال
انشد الشعر كالغناء بمحزون — وقص الحياة بالأهوال
قال قد كنت احسب الشعر يغني — فخدعنا وكان غير مبال (1)
وارادو لي الغناء ومن لي — بغناء الأعداء بعد القتال

— ◆ —

يا رفيع التاليف فى الشعر والبحث — سلاما من معجب لا يغالي
عشت للعرب ملهما عبقريا — رهن عمر يزدان بالأعمال

— ◆ —

ثم تحدث المحتفى به الاستاذ هلال ناجي ، فارتجل كلمة وجه فيها شكره العميق الى علماء المغرب الأثبات الذين تولوا التحكيم فى المسابقة بروح علمية موضوعية بعيدة عن الهوى والتعصب الذميم واشاد بعلمهم وفضلهم . وشكر المكتب الدائم لتنسيق التعريب برئاسة مديره العام الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله لما يقدمه هذا المكتب من خدمات جليلة للغة العربية ينعكس بعضها فى مجلته الموسوعية ـ اللسان العربي ـ ودعا الى دعم هذا المكتب ماديا وادبيا ، كما توجه بالشكر الى سفير الأدباء واديب السفراء الأستاذ عبد الهادي التازي بما اتاح من فرصة لهذا اللقاء الأدبي الضخم .

وختم التازي الحفل بكلمة ارتجلها تحدث فيها عن جهود المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الرباط فى خدمة العربية ، ودور الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى ذلك واهمية هذا الدور على مستوى الوطن العربي . وتحدث عن فرحته لفوز عراقي بهذه الجائزة لما فى ذلك من تعزيز للوشائج الادبية والفكرية بين اقصى المغرب واقصى المشرق فى الوطن العربي الكبير ، وشكر جمهور الحاضرين على تلبيتهم الدعوة .

وبالاجمال فلقد كان حفل السفارة المغربية ببغداد عند تسليم جائزة المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، مهرجانا ادبيا ضخما وخالدا .

---

(1) اشارة الى قوله :

ظننت بأن الشعر يغني فما اغنى — وكم شاعر فى موقفي اخطأ الظن
يريدون مني ان اغني باسمهم — واى عظيم باسم اعدائه غنى

بين المجلة وقرائها

لا يمر يوم الا ومجلتنا تخطو فيه خطوة الى الامام ، وتكتسب قارئا أو صديقا جديدا من مختلف أصقاع العالم المترامي الأطراف ، وتتأكد لنا مع صدور كل مجلد جديد حقيقة امست جلية كبلج الصباح تؤكدها الرغبة الملحة التي ينطق بها السيل العارم من رسائل القراء التي تنهال علينا من كل صوب وتلتقي كلها فى هذا الركن وهي ايمان العرب بماضيهم المشرق وثقتهم بحاضرهم وتطلعهم نحو مستقبلهم الذي تتضافر من اجله الجهود فى كل حقل من حقول المعرفة والعلم .

ففى كل رسالة تصلنا نلمس الايمان العميق الذي لا يتزعزع بأن « العربية » ما كانت لغة ادب وخيال وحسب بل هي لغة علم وتقنية وحضارة كذلك ، ونحن اذ نؤكد هذه الحقيقة ونؤمن بها ايمانا راسخا نشد بحرارة على أيدي قرائنا الكرام فى كل مكان ونعدهم العمل بقدر ما أوتيناه من امكانيات لخدمة لغتنا الجميلة والسير بها قدما نحو المستوى الذي نرجوه لها فتقف مزهوة ـ على غرار ماضيها ـ بجوار كبرى اللغات العالمية الحية المعاصرة .

وتؤكد المجلة من جديد أن هذا الركن من القراء واليهم هو منتدى افكارهم وملتقى آرائهم ، وهي اذ تقدر هذه الصلة الطيبة بينها وبين قرائها من اساتذة وباحثين وطلبة ترحب بكل نقد بناء أو اثارة لمشاكل لغوية قد تعترض الباحثين وطلاب العلم ، كما ترحب بجميع الملاحظات من رجال الفكر العربي والاسلامي حول النشاط العام للمكتب .

* من الجمهورية الجزائرية :

— من الجزائر العاصمة تلقينا رسالة من الاستاذ عبد الرزاق رحال « يزجي فيها الشكر الوافر للمكتب، ويبدي اعجابه وتقديره لما يقدمه من **اعمال نيرة جبارة، وما يضطلع به من نشاط متواصل لاعلاء لغتنا القومية واحياء تراثها المجيد** » .

— ومن مدينة الجزائر كذلك جاءتنا رسالة من وزارة التعليم الابتدائي والثانوي بالقطر الشقيق جاء فيها : « يسعدني أن أكتب اليكم راجيا منكم ان تتفضلوا بموافاتنا بما انجزه المكتب الدائم لتنسيق التعريب بين الدول العربية من معاجم ومطبوعات مختلفة تتصل بالمصطلحات العلمية والكلمات الحضارية، ذلك اننا فى نطاق جهودنا المتواصلة من أجل احلال

لغتنا القومية محلها الطبيعي فى حياتنا اليومية، وفى معاملاتنا الادارية ، ونشاطاتنا التعليمية ، تحتاج الى الاطلاع على ما توصل اليه الاشقاء العرب فى هـذه الميادين ، لنحافظ على وحدة بيننا ، وهي الرباط المقدس بين العرب اجمعين .

واني على يقين من أنكم تقدرون **اهمية معركة التعريب فى الجزائر** ، وانكم لن تدخروا وسعا فى تقديم هذه المساعدة لنا » .

ولقد استجبنا فعلا ــ فور توصلنا بهذه الرسالة ــ ووافينا الوزارة الموقرة بجميع ما صدر عن مكتبنا من مطبوعات مع ابداء الرغبة فى رصد طاقاتنا لمساعدة الجزائر الشقيقة فى معركتها الكبرى من اجل التعريب .

ــ ومن وزارة التعليم ايضا وصلتنا كلمة ثانية جاء فيها: « يسرنا ان نفيدكم **اننا نولي اعمال المكتب الدائم كل عناية** ونحاول باستمرار الاطلاع على كل ما جد من نشاطكم المبارك ، كما نرجو ان تكون اتصالاتنا دائمة بصورة يرتضيها ما نامله للعربية من ازدهار وتقدم فى اقطارنا ، بارك الله فى جهودكم وتقبلوا اجزل الشكر ووافر التقدير » .

ــ ومن مدينة وهران وصلتنا رسالة من الأستاذ عبد الله ميلود نقتطف فيها ما يلي : « وبعد .. فهاندا لاول مرة اكتب لكم ، وكلي اعجاب وتقدير بما تقومون به من خدمة فى سبيل **تحرير اللغة العربية** من كل الاغلال التي كبلتها طويلا ، **واعطائها الصورة الحقيقية** التي يجب ان تكون عليها ، **فلغة الضاد لم تكن فى يوم ما لغة ادب وحسب ، بل هي لغة العلم والتقنية كما هي لغة الشعر والنثر** ، وذلك هو اهم عنصر او بصورة اوضح **اهم ميدان تتجلى فيه مجهودات المكتب الدائم للتعريب** التي لم تعد فى حاجة الى تنويه » .

٭ من جمهورية مصر العربية :

ــ من الأستاذ الكبير محمد خلف الله احمد مدير **معهد البحوث والدراسات العربية** بجامعة الدول العربية بالقاهرة تلقينا كلمة شكر رقيقة جاء فيها : « تسلمت المجلد السابع (الجزء الأول والثاني) من مجلة « اللسان العربي » وهما جزآن حافلان بالبحوث القيمة التي تهمنا فى مجمع اللغة العربية وفى معهد البحوث والدراسات العربية ، ونحن حريصون على متابعة **المجهود الموفق الذى يقوم به مكتب تنسيق التعريب**، ويهمنا ان تصلنا مجلة « اللسان العربي » دون انقطاع».

ــ ومن القاهرة كذلك وصلتنا هذه الرسالة من الاستاذ محمد حافظ دياب : « لقد كان علي ان اكتب لكم فور قراءتي لاحد اعداد مجلة « اللسان العربي » الفراء وصدقوني لو قلت لكم **ان هذه المجلة هي المجلة التي كنا نحن ابناء اللغة العربية وطلابها نرنو اليها بعين الخيال سعيا وراء اصالة الكلمة العربية وعراقتها** ، ولن يستطيع قلمي ان يوفيكم بعض حقكم على هـذه الصفحة او غيرها من الصفحات » .

ــ ومن القاهرة ايضا جاءتنا هذه الرسالة الكريمة من الأستاذ قاسم الخطاط مدير **معهد المخطوطات العربية** بالانابة بجامعة الدول العربية « يشرفني ويسعدني أن ارسل لكم بالبريد المسجل كتاب « مختار الأغاني » بأجزائه الثمانية ، **تحية تقدير مني ومن المعهد لجهودكم الرائعة فى خدمة حركة التعريب ولفضلكم الكبير على الثقافة العربية** ، وانتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن عميق التقدير والاحترام .

ــ ومن القاهرة **نفسها** بعث الينا الاستاذ علي عبد الحليم القرناوي بالكلمة الرقيقة التالية : « اسمحوا لي ان اعبر عن مدى اعزازي ، وتقديري لمجلتنا الكبيرة (اللسان العربي) فانها حقا **خير لسان يترجم لنا اصالة لغتنا العربية** ، كما نراها **راعية للغة** ومحافظة عليها على انهاضها دائما بما يعرض على صفحاتها من بحوث قيمة فى شتى جوانب اللغة العربية الواسعة » .

ان اللغة العربية فى امس الحاجة الى جهود ابنائها للحفاظ عليها من عبث العابثين والعمل على اثرائها وربطها بكل جديد حتى تظل حية مليئة بالحيوية بعيدة عن الجمود والركود .

ولقد لمسنا **الجهود الجديرة بكل اعجاب وتقدير** والتى يبذلها المسئولون عن تحرير مجلة « اللسان العربي » وما تقدمه هذه الجهود الكبيرة من اجل الخدمات للغة العربية ودارسيها . واسأل الله أن يمنحكم القدرة على المسير قدما فى طريقكم الجليل لخدمة اللغة العربية ومساعدة دارسيها حتى يتضح الطريق امامهم فيعملوا جاهدين من اجل رفعة لغتنا العربية الجميلة . وفقكم الله ودامت «اللسان العربي» بجهودها وخدماتها الجليلة من اجل لغتنا والعناية بها».

ــ من القاهرة كذلك تلقينا هذه الكلمة الطيبة من

حضرة الدكتور انور بكير الأمين العام للاتحاد البريدي العربي جاء فيها : « تلقيت بمزيد من الشكر والامتنان لائحة المصطلحات البريدية التي قام المكتب الدائم بوضع ملاحظاته عليها ، ولا يسعنا الا أن نعرب لكم عن **عظيم التقدير للملاحظات القيمة التي حفلت بها هذه اللائحة ، ولاسهامكم معنا فى هذا العمل الدولي الهام ،** كما نبعث بالشكر اوفره على الاستجابة لرغبتنا فى تزويدنا بملاحظاتكم القيمة فى هذا الزمن الوجيز » .

* من الجمهورية العربية السورية :

ـــ من مدينة حلب حمل الينا البريد هذه التحية الرقيقة من الأديب الأستاذ عبود حداد ، : « .. اطلعنا عند صديقنا الشاعر الاستاذ عبد الله يوركى حلاق صاحب « مجلة الضاد » الغراء ـ على مجلتكم الكبرى ـ فأعجبنا كل الاعجاب بما تضمنته من موضوعات علمية وتاريخية وادبية . وقدرنا لكم الجهود الجبارة التي تبذلونها فى سبيل هذه **المجلة الموسوعية الوضاءة التي سدت ثلمة واسعة فى عالمي البحث والتحقيق »** .

ـــ ومن مدينة دمشق وجه الينا رئيس ديوان مجلة « الفكر الثوري » الاستاذ محمد نسيب سعيد هذه الرسالة : « سيدي المدير ، لقد اطلعت على بعض اجزاء « اللسان العربي » المرسلة الى احد زملائنا فى « اتحاد الكتاب العرب » فأعجبت كل الاعجاب لما وجدت فيها من **أدب رفيع وعلم غزير ، وتحقيق رائع ، وبلاغة ساحرة** ، وكل ذلك بفضل اشرافكم النبيل ، وعنايتكم السامية لهذا « اللسان المبين » .

ـــ ومن دمشق كذلك وصلتنا كلمة رقيقة من الاستاذ محمد سالم الحموي ، استهلها بقوله : « لقد اطلعت على المجلد السابع من مجلة « اللسان العربي » ، **ولقد دهشت بل وسررت جدا لما احتوته المجلة من الأبحاث اللغوية القيمة** التى لابد لكل دارس للعربية من الاطلاع عليها بل ودراسة ما جاء فيها من موضوعات قيمة ، كيف لا وهي تمثل **خلاصة أفكار علماء العربية الكرام فى عصرنا الحاضر »**

ـــ ومن وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي من دمشق تلقينا رسالة رقيقة تقتطف منها هذه السطور : « تهدي وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي تحياتها لمكتبكم ، وتقدر جهوده الطيبة لتنسيق التعريب **وجعل اللغة العربية هي لغة العلم والأدب معا»** .

ـــ ونعود الى مدينة حلب لنتلقى خطابا رقيقا من الاستاذ احمد وليد ضبع يقول فيه : « .. **انه لجهد عظيم تقدمونه للأمة العربية ولغتها المجيدة لغة القرآن الخالدة** ، وهل اجل من هذا الجهد عناية بعربيتنا القديمة وملاءمتها لعصرنا الحاضر لذا **أسدي لكم مزيدا من الشكر وللجامعة العربية ولكل الاساتذة الكرام والدول التي تساهم فى اخراج هذه المجلة الى حيز الوجود »** .

ـــ ومن دمشق تسلمنا رسالة من الاستاذ المطران ديونسيوس بهنام المعاون البطريركي للسريان الأرثوذكس نقتطف منها ما يلي :

« يسرني ان اكتب اليكم لأعرب عن اعجابي وتقديري لمجلتكم الغنية « اللسان العربي » التي تصدر عن مكتبكم الكريم ، والتي **تحمل طابعا عربيا أصيلا** صنو شقيقتها « العربي » الكويتية ، وقد الفيت اعدادا منها عند بعض الأدباء اصدقائي فازددت شوقا ورغبة للحصول عليها ومطالعتها » .

ـــ وهذه رسالة اخرى من دمشق كذلك وصلتنا من الاستاذ خليل منور بيطار جاء فيها : « تحية عربية ابعثها لكم من روابي دمشق وغوطتها تنقل اليكم شذا ورود الربيع الجميل ومشاعر صديق من المشرق العربي يمد يده ـ على بعد الشقة ـ لتشد ازركم ولتبارك مساعيكم فى حفظ العربية من طغيان اللهجات الداخلية والرطانة المستغربة .. صديق يستنفر لسانه وقلمه ليحفظ رمز العروبة وعنوان أصالتها ووحدتها من تحذلق المتحذلقين وغباء المتشدقين المستهترين .

ان لغتنا وسعت علوم الشرق والغرب فى أيام تأليفها ومنعتها وعزتها .. وما عجزها الذي يصنعه بعضهم الآن عن استيعاب المصطلحات الجديدة والمخترعات الحديثة الا عجزنا المستحكم وجمودنا المتمكن منا واشفاقنا الطويلة وفخرنا بسيف أبينا ورمح جدنا ونحن عزل ، وبعبقرية من سبقنا وفصاحتهم ونحن خرس » .

وقد بعث لنا ايضا بهذه الأبيات تحية للمجلة التي ننشرها شاكرين :

حماة اللسان واهل البيان
واحفاد احدادنا الأكرمين
لسانكم كالشهاب المضيء
ورمز العروبة فيكم مبين

اعظم فيكم جمـــال العطـــــاء
وكنا كذلـــك فى العالميـــــن

ــــ ونختتم جولتنا من سوريا برسالة القارىء السيد محمد المصطفى التي نقتطف منها هذه الكلمات : « لقد اطلعت على مجلتكم الدورية التي تصدرونها باسم « اللسان العربي » ، ودهشت دهشة فرح وحبور عندما تصفحتها لاطلع على اهتمامكم المتواصل بالتعريب وحفظ العربية واظهار ليونتها ومسايرتها للركب اللغوي العلمي الحاضر ، ومما اثلج صدري كذلك مرافقة كل عدد بمقالات باللغات الأجنبية كدليل على اهتمامكم ايضا باظهار المجلة بالمظهر المناسب وليطلع عليها اكثر من لســـان » .

*** من الجمهورية العراقية :**

ــــ ومن النجف وصلتنا رسالة رقيقة من الاستاذ محمد رضا آل صادق يقول فيها : « وانني اذ اعرب لكم عن عميق شكري وتقديري ليسرني ان احييكم **تحية الاكبار والاعجاب لما تقومون به من خدمة للغة الضاد والأمة العربية** ، وان مجلة « اللسان العربي » والحق يقال تمثل **خيرة المجلات العربية** ، ويصح ان نعتبرها **دائرة معارف فى اللغة العربية** ، فوفق الله العاملين فيها وامدهم بعمر مديد » .

ــــ ومن بغداد تلقينا الرسالة التالية من مكتبة جامع الهادي العامة جاء فيها : « لا ريب فيما للعلم والثقافة من اثر كبير فى رفع مستوى مختلف طبقات الامة وايصالها الى سبيل الخير والرشاد ، كما لا ريب فى ان ذلك لا يتيسر الا من خلال **توفير سبل المعرفة** وفى مقدمتها (الكتاب المفيد) لذا كانت للمكتبات العامة التي تقوم بدور مشرف فى هذا المضمار الاهمية الكبرى مما حدا الكثير من ذوي الهمة والغيرة أن يسهموا فى تشييدها واعمارها بما يقدمون من عون كمساهمة فعالة فى خدمة امتهم واجيالهم ، وبالنظر لما نجده فى مجلتكم الموفقة من اهتمام بالغ بهذا المجال ندعوكم أن تمدوا يد المساهمة سواء من مؤلفاتكم او مطبوعاتكم ، كما لا يفوت ادارة مكتبتنا ان تنتهز هذه الفرصة لتكرر تحياتها وتمنياتها لكم بالتوفيق والسداد .

ــــ ومن بغداد نفسها كتب الينا الاستاذ سليم طه التكرتي يقول : « اطلعني الصديق السفير الأديب الاستاذ عبد الهادي التازي على احد اعداد مجلة « اللسان العربي » الغراء فاكبرت فى شقيقنا المغرب العربي ورجاله الأفذاذ هذه الهمة **والتضحية فى سبيل العرب والاسلام** » .

ــــ ومن بغداد كذلك تطالعنا كلمة الاستاذ الحاج عبد الوهاب الأعظمي الأمين العام للمؤتمر الاسلامي جاء فيها : « اننا فى الواقع ــ صرنا نرقب وصول هذه المجلة بكل شوق لانها **مجلة علمية راقية فريدة من نوعها**، فجزاكم الله خير الجزاء ووفقكم لخدمة القرآن وعلومه وآدابه ولغته العربية والتي هي فى الواقع اللسان الرسمي للدين الاسلامي الحنيف » .

ــــ ومن الموصل بعث الينا الاستاذ يوسف ذنون رسالة رقيقة « يشكر فيها المكتب على مجهوداته فى اخراج المجلة ويبدي استعداده للمساهمة فى مجال تخصصه « الخط العربي » « واللسان العربي » اذ تشكر له هذه المبادرة الطيبة ، يسرها ان تتلقى من القارىء الكريم نماذجه فى هذا المضمار للنظر فيها » .

ــــ وقد وصلتنا رسالة اخرى من بغداد من الاستاذ محمد هادي المنصور ، نقتطف منها هذه السطور : « لقد طالعت مجلتكم (اللسان العربي) الغراء ونظرت الى ما تحمله فى طياتها من اخبار جمة وعلوم مختلفة ، فوجدتها والله ، من **نوادر المجلات فى العالم العربي ــ انها لكوكب يسطع فى سماء المغرب الأقصى** ، وهي فى الأخير **ملتقى العلماء فى العالم العربي** » .

ــــ ونعود مرة ثانية الى النجف لنلتقي برسالة الاستاذ هاشم الواعظ التي جاء فيها : « مما هو قمين بالاكبار تلك الجهود الكبيرة التي تبذلونها فى اصدار مجلة (اللسان العربي) والتي تعطي لقارئها المتتبع **الوقوف على تطور جوانب اللغة وما يطرأ على لغتنا من تغيير او تبديل او حذف او اضافة** ، واكبر تلك الجهود واجهدها نفعا واكثرها خدمة للغتنا الأم هو **تعريب المصطلحات الأجنبية** التي غزت اللغة العربية منذ سالف الأزمان حتى عسرّ تمييزها او التخلص منها ، نعم رأيت فى مجلتكم خدمة كبيرة واضحة للغة العربية فضلا عن المواضيع الأخرى » .

ــــ ومن البصرة حمل الينا البريد رسالة الاستاذ عبادي احمد التي جاء فيها :

«وبعد ، ان لغتنا اليوم تمر بظروف حاسمة نتيجة لما يحمله التطور بين طيات مخترعاته وافكاره المتشابكة على مسرح لغتنا العربية .. ولكي يتسنى للغتنا أن تعايش هذا التطور ــ دون ان يصيبها عجز كما يدعي

البعض ــ فما عليها الا ان تصفي حسابها مع **المصطلحات الأجنبية بكيفية ايجابية ..** ولن يتأتى هذا للغتنا الا اذا جعلت لمسيرتها عبر عباب الأفكار طريقا موحدا يوصلها الى الشاطىء المقصود حيث المرفأ المنشود .. **وما المرفأ المنشود الا مجلة (اللسان العربي)** فاللسان العربي هي فعلا على المستوى المحلي والعالمي.. **مرفأ تنطلق منه عاصفة اللغة العربية فى اعماق العالم . منافسة غيرها من اللغات فى مضمار التقدم »** .

ــ ومن بغداد ايضا وجه الينا الأستاذ الكبير العلامة محمد بهجة الأثري رسالة كريمة جاء فيها : « وبعد ، وافتني الأجزاء الثلاثة من (اللسان العربي) لعامها الثامن ــ مد الله حياتها ــ وهي **تمثل بضخامتها وفخامتها وما زخر فيها من بحوث ودراسات فياضة ناضجة ومجودة غاية التجويد ، اعظم نقله الى الأمام ، ونموا عجيبا لم اعهد له نظيرا فى الأعمال العلمية فى دنيا العرب ، وانه ليثير الدهشة ويبعث الغبطة والانشراح ، ولست اشك فى ان الفضل فى هذا كله راجع الى النشاط العقلي الذي تتمتعون به وتفيضونه على الناس ، والى الاخلاص فى العمل الذي تتحلون به، وحبكم للغة القرآن ان تعود اليها عزتها وسالف مجدها .. واني لواثق ان صنيعكم العظيم هذا سيكون حافزا لدوائر العلم والثقافة فى الوطن العربي ان تحتذيه وتجاريه وتمد مدكم الفياض هذا ،** والله سبحانه يتولى الجميع برعايته ويمدهم بعونه وتوفيقه » .

ــ ومن بغداد كذلك وصلتنا هذه التحية الطيبة من الاستاذ عبد الرزاق الجزار يقول فيها : « اتشرف باعلامكم بتسلمي ثلاثة اجزاء من المجلد الثامن من **مجلتنا الأثيرة (اللسان العربي)** فآثرت البدء بمطالعتها قبل اي كتاب او مطبوع آخر . والحق يقال**ازددت اعجابا وافتخارا ليس لثرائها بالموضوعات والأبحاث التي احتوت عليها فحسب ، وانما لطلاوة تلك الأبحاث وعمقها وغزارة مادتها ، فهي تعتبر بحق مجلة العرب الأولى** المعبرة عن لسانهم ، وفقكم الله فى مسعاكم وجزاكم عن العربية والعروبة خير جزاء » .

ــ ومن البصرة جاءتنا هذه الرسالة من الاستاذ عبد القادر الحاج عبد الجليل يقول فيها : « كثيرا ما كنت ارتاد مكتبة جامعة البصرة ، فيقع بصري على مجلة (اللسان العربي) فأذهب سارحا بين صفحاتها ، اقرأ الموضوع تلو الآخر ، حتى اذا ما انتهيت او شارفت نهاية المطاف .. يأخذني **الذهول والاعجاب بما يخرجه (المكتب الدائم) وما يبذله من جهد جهيد فى سبيل احياء تراثنا العربي الخالد .. »**

*** من المملكة العربية السعودية :**

ــ نفتح جولتنا فى المملكة العربية السعودية برسالة جاءتنا من ديوان رئاسة مجلس الوزراء جاء فيها : « نشعر سيادتكم بأننا قد تشرفنا باستلام المجلد السابع من (اللسان العربي) وهي المجلة الدورية التي يصدرها مكتبكم فى الرباط ، شاكرين لكم جهودكم الجبارة فى **نشر الوعي الثقافي وتوسيع نطاق التعريب فى العالم العربي »** .

ــ ومن الرياض وجه الينا الاستاذ عثمان بن حمد المستشار بوزارة العدل كلمة رقيقة نقتطف منها ما يلي : « ان الجهود الموفقة التى يقوم بها المكتب الدائم ضمن مجلة (اللسان العربي) وما تحتويه من مادة دسمة وبحوث ومقالاتهامة قد اعطى لها ــ والحمد لله ــ **رصيدا من التقدير والثناء ومن الرغبة فى الحصول** عليها من كل شاب مثقف يهتم بهذه اللغة الشريفة لغة القرآن الكريم ويعتز بها ويحرص على ان تظل صافية نقية من شوائب العجمة والكلمات الدخيلة عليها ».

ــ ومن الرياض كذلك بعث الينا الاستاذ حمزة محمد عابد مدير عام الثقافة بوزارة المعارف كلمة رقيقة استهلها بقوله : « ويسرني أن ابدي لكم **سرور الادارة العامة للثقافة بوزارة المعارف واغتباطها بالخطوات التي يخطوها مكتب التعريب الدائم من اجل الحفاظ على لغتنا الفصحى** ، والعناية بها .. وليس ادل على ذلك من هذه المجلة الضخمة ، بل **السفر القيم** عن اللغة العربية واعني بذلك مجلة (اللسان العربي) ».

*** من الجمهورية التونسية :**

ــ من سفارة المملكة المغربية بتونس الشقيقة تلقينا رسالة كريمة من الاستاذ السفير السيد التهامي الوزاني جاء فيها : « وبعد ، فلقد تلقيت بيد الشكر والامتنان مجموعة من القواميس المهمة مع العدد السابع من مجلة (اللسان العربي) التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي والتي تسهرون بانفسكم على اتمام اخراجها فى **حلة جذابة تاخذ بالألباب ، وتلبي كثيرا من الرغبات وتنير سبيل العلم والمعرفة للجميع** ، واني أبارك عملكم الجبار وارجو من المولى الكريم ان يديم توفقكم ويسدد خطاكم حتى

تزيدونا من تلك **الروائع التي هي ابرز الأعمال المهمة والتي تعطي صورة حقيقية وعملية عن الحالة الفكرية والعلمية والثقافية بالمغرب** » .

— ومن تونس كذلك وصلتنا هذه التحية الطيبة من الدكتور محمود عبد المولى : « اشكركم على جهودكم المبذولة فى (اللسان العربي) ، **ان هذا السفر القيم لعلى اهمية علمية فائقة لأنه يسدي الى الباحثين واللغة العربية خدمات لا تضاهى** » .

— وهذه رسالة اخرى من تونس ايضا بعث بها الينا الاستاذ محمد الهاشمي زين العابدين جاء فيها : « **ان عملكم هذا ، العظيم المبارك لا تلبث آثاره ان تقتحم المؤلفات العربية احياء للسان العربي ، وتوطيدا لكيانه فى هذا الظرف العصيب الذي تجتازه لغة الضاد** » .

— ومن مدينة صفاقس وجه الينا الاستاذ الطاهر عبد السلام كمون كلمة رقيقة نقتطف منها هذه الكلمات : « قرات مجلتكم الغراء ونالت اعجابي كثيرا وجدت فيها **الأبحاث المفيدة والمقالات الشيقة فى التعريب واللغة والترجمة** ، واني اتقدم اليكم والى اسرة المجلة بشكرنا الجزيل على الجهود القيمة التي تبذلونها نحو الوطن العربي ، وفى سبيل **دعم اللغة العربية** » .

※ من المملكة المغربية :

— من الدار البيضاء وصلتنا رسالة من الاستاذ عبادي احمد يقول فيها : « لا يخفى على احد ما لمجلة (اللسان العربي) الغراء من **اثر بالغ وخدمة نافعة للغة العربية وتبسيطها وتيسيرها ونشرها ، والعمل على رفع شأنها فى العالم** ، ولعلنا نحن رجال التعليم نعد من جملة من عمهم هذا الأثر وغمرهم ذلك النفع لما تقدمه المجلة من دراسات ومصطلحات نحن فى اشد الحاجة اليها ، والحقيقة ان فضل المجلة واضح امام الجميع خاصة وانها توزع على نطاق واسع » .

— ومن مدينة مراكش جاءتنا كلمة رقيقة من السيد شوقي الحسن **يقول فى مستهلها : « ان مجلة** (اللسان العربي) التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي لمثيرة بموضوعاتها وابحاثها العلمية والادبية **ومثار الدهشة فيها ايضا يتجلى فى اقبال الطلاب والأساتذة ورجال العلم على اقتنائها ودراسة ابحاثها وموضوعاتها** التي تجد فى نفس القارىء العربي كل اقبال وترحيب » .

— ومن مدينة الرباط وصلتنا رسالة من الاستاذ محمد عادلي نقتطف منها هذه السطور : « وبعد ، مما لا ريب فيه ان **مجلتكم الموقرة تلعب دورا طلائعيا هاما فى التقدم بالعربية نحو الامام ، والعمل على تطويرها لمسايرة الحضارة المعاصرة ، وهي تعد بحق سجلا حافلا بجلائل الأعمال فى مختلف الميادين العلمية واللغوية والثقافية** » .

— ومن مدينة الرباط كذلك جاءتنا رسالة رقيقة من الاستاذ رزقي احمد القدميري يقول فيها : « حينما اريد اقناع الذين يجهلون لغتهم العربية أو يتجاهلونها بأنها لغة علم وادارة لم اجد بين يدي ما يؤازرني فى دعوتي من المفردات العربية الا النزر اليسير رغم كثرة القواميس العربية الوارد غالبها من لبنان .. والآن وبفضل هذه **الذخائر العربية التي تصدر عن مكتبكم** يحق لي ان ارفع الراس وانا اقدم للذين فى قلوبهم مرض **ما تتوفر عليه اللغة العربية من مرونة وقدرة** على شق جميع الميادين جنبا الى جنب بين اللغات الحية الأخرى . ويرجع فضل هذا الاعتزاز الى جهودكم فى تمهيد السبيل وانارة الطريق وان **مكتبكم العامر ليعظم فى نظري اذ يستحق اكثر من الاعجاب والتقدير** ، ادعو الله مخلصا ان يظل مكتبكم يحصد النجاح تلو النجاح والله وملائكته يباركون لكم أعمالكم » .

※ من الجمهورية اللبنانية :

— من **معهد الشرق الاوسط ببيروت** تلقينا رسالة من الاستاذة سلفيا اسطفان نقتطف منها هذه السطور : « نشكركم جزيل الشكر للعناية التى اوليتمونا لنا بارسالكم **مجلتكم المحببة والمفيدة والتي لاقت اعجاب الكثيرين من طلابنا** » .

— ومن بيروت كذلك وصلتنا هذه الكلمة الرقيقة من الاستاذين يوسف محمد رضا وخليل شرف الدين: « **تحية تقدير واعجاب بكم » وبالجهود المشكورة التي تبذلونها فى خدمة اللسان العربي والثقافة العربية** » .

— ومن المتن الشمالي بلبنان ايضا تطالعنا رسالة الاستاذ جوزف بارود التي جاء فيها : « لقد قيض لي الاطلاع على مجلة « اللسان العربي » التي تشرفون على ادارتها ، وتراسون تحريرها فوجدت فيها **مادة غنية ومنهلا دفاقا لكافة الناطقين بلغة الضاد** » .

— ومن بيروت حمل الينا البريد هذه التحية من الاستاذ جوزيف افرام البستاني رئيس دائرة **المكتبة**

المركزية بالجامعة اللبنانيـة جاء فيها : « وليس فى وسع أمانة المكتبة الا أن تتقدم من جضركم لا سيما فى هذه المناسبة الطيبة باصدق شكر واعمق تقديـــر تجاوبا معكم ولاهدائكم الكريم الذى يعتبر **انجـــازا ثقافيا وادبيا ضخما** يرى فيه القاريء العربي المثقف **مادة غزيرة ومرجعا رئيسيا** يستفيد منه ويستعين به، وان مثل هذه المجلة الدورية العربية التي تصدر عنكم **لهي مفخرة للمكتبة العربية** ، لما تحتويه من بحـــوث قيمة ومفيـدة ، **تغـذي المجتمع العربـي** بالمزيد من الدراسات فى لغته وتراثه الضارب جذوره فى عمـق التاريـــخ » .

ـــ وهذه رسالة كريمة من لبنان كذلك وصلتنا من الاستاذ العلامة عجاج نويهض ، وجدير بنا ان نشير اشارة سريعة الى نشاط هذا الرجل فى الحقل العربي قبل ان نورد رسالته : فهو اديب كبير من فلسطيـــن اشتهر بعدد من الكتب اعظمها : « حاضـــر العالـــم الاسلامي » الذي علق عليه الامير شكيب ارسلان حتى ظهرت الطبعة الأخيرة فى اربعة اجزاء كبيرة وصاحب كتاب « بروتوكولات » أو « حكماء صهيون » الذي لم يعلق حتى اليوم كتاب تعليقا علميا وتاريخيا دقيقا مثله وهو فى جزءين كبيرين اعتزل الحياة الآن فى قريتـــه بوسط لبنان تبعد عن بيروت نحو ثلاثين كيلمترا ، لكنه ما زال يهتم بالترجمة والتأليف . ولقد جاء فى رسالته ما يلـــي :

« **اشكر للمغرب والمناضلين الثقافيين فيه هذا النشاط من « دعوة الحق » المشبعة المليئة الناضجة الى « اللسان العربي » الزاخرة المحشوة بالعلم حشوا، الى ما يقوم به المكتب الدائم لتنسيق التعريـــب فى العالم العربي** ، واحيي العلامة الاستاذ الجهبذ عبـــد العزيز بنعبد الله المدير المسؤول ورئيس التحريـــر للمجلة ، مما يضاعف الأمل الحي فى نفـــس العربـــي المسلم، وغير المسلم ان هذه الأمة وهيخير امة اخرجت للناس ؛ ستعود او هي عائدة فى الحال سيرتها الأولى» .

* من المملكـــة الأردنيـــة :

ـــ من مدينة السلط كتب الاستـــاذ صبـــري مصطفى المسعود كلمة رقيقة يقول فيها : « كان لـــي شرف الاطلاع على عدد من اعداد مجلتكم الغراء فوجدت فيها **فائدة عظمى للاسلام والعروبة ولغة الضاد** فدعوت الله مخلصا ان يمد فى عمر هذه المجلة وان يزيد نفعها لتكون نبراسا لأبناء هذه الأمة ، كما ادعو الله أن يسدد على الخير خطاكم ويوفقكم وجميع العاملين معكم الى ما فيه خدمة ديننا ولغتنا » .

ـــ ومن المفرق بالاردن ايضا جاءتنا هذه التحية من الاستاذ بهجت فرحان حداد : « يشرفني ـــ وبكل فخر ـــ ان احيي **الجهود الكبيرة المضنية والأعمـال المشرقة العظيمة** التي يحملها على عاتقه مكتب التعريب فى الوطن العربي، **لخدمة العربية وآدابها ولايصال هذه اللغة الجميلة الى المستوى اللائق بها لتحتل مكانتهـا المرموقة بين لغات العالم** حيث ان لغة الضاد هي الركيزة الأساسية لبناء حضارة شامخة وماجدة لأمتنا النبيلة، فباسم هذه اللغة اجل هذا العمل الجبار على أيـدي علمائنا الكبار ودمتم فى نضالكم المقدس » .

ـــ ومن مدينة اربد تطالعنا رسالة القاريء الكريم الاستاذ غازي محمد عودة منها : « لقد اطلعت وكلـــي **فخر واعتزاز** على مجلتكم ، وفى الحقيقة لا يسعني الا ان **اطاطيء راسي اجلالا لهذا المجهود الرائع القيم والعظيم الذي بذل فى اعداد المادة وتحضيرها** ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل بالتاكيد على نية صادقة ، وعزيمة قوية فى **خدمة اللغة العربية والأمة العربية باسلـوب عصري علمي حديث بعيد كل البعـــد عن الارتجـــال والهرطقة والتنطع** ؛ واني لأهيب بكم ان تواصلوا البحث وتوصيل هذه الأبحاث للقاريء العربي فى كل مكان ».

* من الجمهورية العربية الليبية :

ـــ ومن طرابلس وجه الينا الاستاذ احمد عيسى المقدمي هذه الرسالة : « تحية لكل مخلص وكاتـــب وكل مساهم فى تطوير وكشف غموض اللغة العربيـــة واسرارها ، ومكنوناتها ، وتاريخها ، وانـــي اشكـــر القائمين والعاملين فى المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، وارجوكم اعطائي فكرة عن اللغة البربريـــة » . شكرا لعواطفك وفى خصوص سؤالكم عن اللغـــة البربريـــة يمكنكم ان تراجعوا العدد الثاني من مجلة « اللســـان العربـــي » .

* من الجمهورية السودانية :

ـــ من الخرطوم تلقينا رسالة من السيد محمد سيف الدين سر الختم جاء فيها : « لقد تتبعت بشغف شديد ، واهتمام بالغ « اللسان العربي » وقد ارتاح

ضميري وانتم تقومون بضم **اللسان العربي وجمعه من البعثرة والضياع** » وبما انني خطاط فانني اضع نفسي رهن اشارتكم فى حدود امكانياتي » .

فشكرا لاستعدادكم للمساهمة فى تنويع خطوط المجلة ونحن فى انتظار نماذجكم .

*** من السينغـــــال :**

— كتب الاستاذ احمد التجاني صال ـ خريج جامعة القرويين بفاس ـ رسالة رقيقة نقتطف منها هذه السطور : « اني ارى أن مجلة (اللسان العربي) **ضرورية لكل مهتم بالثقافة العربية والاسلامية وهي همزة وصل بيننا وبين الأبحاث القيمة التي تقدمونها الى العالم العربي والاسلامي** .

*** من ايطـاليـــا :**

— من روما وصلتنا التحية التالية من السيد انريكو شرولى : « اشكركم من الاعماق ، واقدر **الدور الكبير الذي يضطلع به مكتبكم وما يقدمه من اعمال ، وما حققه من نجاح مشرف من اجل تحسين الثقافة العربية** » .

— ومن روما كذلك بعثت الينا الدكتورة اميليا كوزاتى عن **اكاديمية الفهد الوطنية** رسالة « تزجي فيها الشكر للمكتب عن مجلة (اللسان العربي) وتهنئه على **هذا العمل الكبير ومساهمته الفعالة التي لها صلة بالدراسات اللغوية العربية** » .

*** مــن الهنـــــد :**

— من جامعة علكرة الاسلامية وجه الينا الدكتور مختار الدين احمد رسالة مطولة « يرجو فيها ربط صلة ثقافية بالجامعة المذكورة وبالمكتب ، ولقد بادر المكتب فعلا الى امداده بجميع مطبوعاته منها مجلة (اللسان العربي) التي قال عنها حضرة الدكتور : « **هذه المجلة قد حازت اعجابي بموضوعاتها وترتيباتها وجعلتني اثني على المجهود الكبير الذي بذلتموه فى خدمة العلم واحياء التراث العربي القديم** » .

*** مـن بـريطـانيـــا :**

— وصلتنا رسالة رقيقة من القارىء الكريم السيد هاشم المهدي الشريف جاء فيها : « تحية العروبة والاسلام الصادقة ابعث بها اليكم مقرونة **بالاعجاب والاكبار لما تبذلونه فى سبيل لغة الضاد** المجيدة ترجمان الدين ولسان اهل الجنة ، ومحاربتكم للعجمة والتغريب » .

وقد ارفق السيد هاشم كلمته ببيتين ننشرهما لصدق معناهما :

لغتي التي آمنت ان وجودها
يعني وجودي وهي عين بقائي
سأذود عنها ما حييت لأنها
لغة (الكتاب) وذاك فيه وقائي

و (اللسان العربي) تشكر الاستاذ الكريم على عواطفه النبيلة نحو مجلته ـ التي هي مجلة المثقفين قاطبة ـ وتتمنى له كل توفيق » .

*** مــن الأرجنتيـــن :**

— من مدينة قرطبة تسلمنا رسالة من الاستاذ نديم ايوب جاء فيها : « اطلعت عند احد الاصدقاء من اهل الأدب فى هذه الحاضرة على مجلة (اللسان العربي) التي يصدرها مكتبكم، والحقيقة ان **هذه المجلة تحفة ثمينة لدى كل اديب عربي يغار على لغته ، ويعتز بقوميته** ، واني لأبدي لكم تقديري واعجابي باتجاهكم الى هذه الناحية من نواحي الجهاد القومي بتعزيز اللغة العربية وهي **النواة الصالحة التي تؤلفها العناصر الأولية فى تبادل الافهام لايجاد الوسائل اللازمة فى تثبيت الوجود وحفظ الكيان** ؛ وقد يحق الثناء ايضا على جهودكم المبذولة فى **التعريف بحقيقة الاسلام** وما يرمي اليه من تنوير العقول وتوحيد القلوب » .

— ومن بوينس ايرس جاءتنا رسالة من الاستاذ زكي قنصل نقتطف فيها ما يلي : « وقد عكفت على مطالعة ما فيهما (الجزء الاول والثاني من المجلد السابع) من ابحاث قيمة ومقالات نفيسة تنطوي فى اكثرها على متعة وفائدة ، ولقد لفت نظري ـ فى الجزء الاول بحث بعنوان « أثر اللسان العربي فى اللغة الاسبانية » بقلم سلمى الحفار الكزبري وهي كاتبة ذائعة الصيت لقامت ردحا من الزمن فى الأرجنتين وفترة اخرى فى اسبانيا زوجة سفير سوريا الاستاذ الكزبري ، وقرات بشغف ولذة مقال الدكتور محمد عبد الرحمان مرحبا « تشويهات فى اللغة العربية » وانا أوافقه على ما جاء فيه وأثني على الاحتجاج على ما يصيب العربية من غبن وتشويه على ايدي بعض المترجمين وغير المترجمين » .

و « المجلة » تشكر الاستاذ الكريم على ملاحظاته القيمة وكذا على تنبيهه لنا للخطأ الطباعي الذي وقــع بالنسبة لمقال الاستاذة سلمى الحفار الكزبري ، والذي نأسف لوقوعه .

* مـن فـرنســـــا :

— من باريس جاءتنا هذه الكلمة الرقيقة مـــن الاستاذ رمسيس أحمد شافعي : « سيادة المدير العام، اني لاود فى هذه العجالة أن اعبر لكم عن **صميم اعجابي وعظيم اكباري للجهد الرائع الذي يبذله المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي** تحت اشرافكم وان اقدم لكم تهانئي الخالصة على **الانتاج الوفيـــر لمـــا اصدرتموه من المعاجم فى مختلف حقول المعرفة** » .

* مـن سـويســـرا :

— من جنيف كتب الدكتور زكي علي يقول : «لقد اطلعني صديق عربي مثقف يقيم بسويســـرة على أن المكتب الدائم للتعريب يصدر مجلة قيمـــة اسمهـــا (اللسان العربي) **فابتهج فؤادي ابتهاجا مضاعفا أولا بوجود هذا المكتب فى ذلك البلد المحبوب من الوطن العربي** لاقامة معالم العربية بعد أن عمل الاستعمـــار البغيض فى العهود البائدة على طمسها ، وثانيا باصداركم **مجلة جليلة الشان بما تحتويه من موضوعات** وبحوث قيمة تبعث فى نفوس قرائها حب الثقافـــة العربيـــة والاعتزاز بلغة القرآن الكريم والعمـــل على تعميـــم التخاطب والكتابة بها فى كافة البلاد العربية » .

* من الولايات المتحدة الأمريكية :

— جاءتنا من الاستاذ سلمان العانـــي ، الاستـــاذ المساعد بقسم الدراسات والآداب الشرقية بجامعة انديانا التحية التالية : « **لقد تاثرت كثيرا بالعمل الجاد العلمي** الذي تنشرونه فى مجلة (اللسان العربي) وكذا بمقالاتها القيمة ، وهي مساهمة فعالة منكم بالنسبة لدراسة اللغة العربية ونشرها » .

* من المانيـــا الغربيـــة :

— من مشروع دار السلام بكولونيا تلقينا رسالة من الاستاذ محمد رسول يقول فيها : « نما الى علمنـــا ان لكم **مجهودات طيبة فى سبيل احياء اللغة العربيـــة** وانكم تصدرون مجلة (اللسان العربي) الغراء التـــي تصدر بصفة دورية لتبسيط العلوم اللغوية والترجمة والتعريب ، وانه لا يسعنا ازاء هذه المجهـــودات الا أن نرجو لكم كل توفيق من المولى عز وجل فى الارتفاع بلغة القرآن الكريم الى المكانة المرجوة لها فى وسط الأمم المتحضرة » .

— ومن جامعة ارلانجن بألمانيا الغربية أيضـــا جاءتنا هذه التحية من الاستاذ هاشم الأيوبي : « لقد وقعت على بعض اعداد **مجلتكم الراقية** ، وعندما كنت فى موطني لبنان أحضر الدبلوم فى اللغة العربية ادركت **ان روحا جديدة ودما جديدا ينبضان فى جسم لغتنا العظيمة على صفحات مجلتكم الراقية وادركت كذلك ان فراغا كبيرا كنا نعانيه نحن المشتغلين بأمور اللغة ، قد بدأت تسده هذه المجلة** » .

نحو تفصيح العامية
في الوطن العربي
دراسات مقارنة بين العاميات العربية

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

488

مقـــــدمـــــــة

سبق ان نشرنا فى ورق المهرق ثمانين نسخـــة مكررة من كتابنـــا « الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية » وقد وزعناها على المختصين فى الوطن العربي لأخذ رأيهم كما نشرنا دراسات مقارنة حول اللهجـــات الدارجة فى كثير من الأقطار العربية وخاصة فى سوريا ولبنان ومصـــر والكويت وقطر والبحرين الخ . ثم أضفنا الى هذه الأبحاث حصيلة اخرى من الألفاظ الدارجة المغربية التي وجدنا لها اصلا عربيا فصيحا فى المعاجم القديمة كلسان العرب لابن منظور الذي جردناه بكامله لهذه الغاية فتجمعت لدينا ضميمة جديدة عززنا بها ما سبق ان نشرناه من قبل وهذه المجموعة هي التي نقدمها اليوم للقراء الكرام وهي محاولة اولى نرجو ان نكون قـــد اسهمنا بها فى اقامة هيكل واضح لبيا ن مدى تقارب العاميات فى العالـــم العربي اعتبارا لأصولها الفصحى وما نتلمحه من امكانيات تفصيـــح هـــذه العاميات حتى تصبح لغة الحديث فى الوطن العربي موحـــدة اقـــرب الى الفصحى منها الى اللهجات الاقليمية الكثيرة التحريف .

صراع بين العامية والفصحى بالمغرب

ان اغلب الأصول والقواعد الأساسية مشتركة بين الفصحى والعامية المغربية حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والترخيم والنحت وغير ذلك وتمتاز العامية (1) بمظاهر بسيطة تجعلها فى بعض الأحايين اكثر ايغالا فى القلب والتسهيل.

ونضرب لهذه الوحدة الاصلية أمثلة وجيزة لا تنفرد بها العامية فى المغرب الاقصى وحده بل تمس اللهجات الدارجة فى معظم أجزاء العالم العربي (2) ، فمن مجالي التخفيف فى اللسان الفصيح والتى اثرت فى السنة العامة وجود مترادفات يختلف بعضها عن بعض باضافة حرف واحد وقد اختار الدهماء لتخاطبهم اليومي اخفها نطقا وان كان أكثرها احرفا مما يؤكد ان عقلية العامة لا تنحرف عادة عن الأصيل الا اذا لم تجد فى صيغه ما يتفق وطبيعتها الميالة الى التسهيل ومن أمثلة ذلك : (رز — ارز) (رز) — سبل (سنبل) (سبولة فى العامية) — سطل وسيطل (سطل) — تحوان وأقحوان (قحوان) — لوباء ولوبياء (لوبياء) — مونة ومؤونة (مونة) — وز —

---

1) العامية هي ما يسميه الجاحظ بلغة المولدين والبلديين (البيان والتبيين ج 1 ص 111) وقد لاحظ ان فى كل مدينة السنة ذلقة غير ان اللحن كان فاشيا فى العوام (ص 111) .
وقد تحدث احمد امين عن العامية فى القرن الرابع، فقال: « ان اللغة العامية اصبح معترفا بها يبحث فى الفاظها واساليبها وينتقى منها خيرها الا بعض علماء كأبى العلاء المعرى ... (ظهر الاسلام ج 2 ص 100) .

2) توجد فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة للهجات من أهدافها استقراء الالفاظ والتراكيب الجارية على السنة اهل الاقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا فى معاجم وأطالس لغوية وقد اتخذت اللجنة لهجة القاهرة مقياسا وترتكز اللجنة فى هذا البحث على تنقل القبائل لما له من أثر كبير فى لهجات الاقاليم وتطورها واختلافها (مجلة المجمع جزء 7) .

اوز (وز) — دغر ودغمر اي خلط (دغمر) — طلمس وطمس الكتابة بمعنى محاها(1) — نطحه ونرطحه اي (جعله عريضا : نطح ونرطح) — تصم وتصمل اي تطع (تصم) هدم ودهدم (هدم) .

وهناك مترادفات يختلف ترتيب حروفها مثل جبذ وجذب (جبذ) وخربش وخرشب العمل اي لم يتقنه (خربش) وخشخش وشخشخ (2) السلاح صوت — دعس وعدس (داس) (3) — دعم وعمد (عمد) — ادغم وادمغ « ادغم » تسكع وتكسع (تسكع) — نطس وطنس اي مات (طنس) لطخ وطلخ (لطخ) يئس وايس (ايس) وقد تستعمل العامة الكلمتين مثل : كف وكنكف — كب وكبكب — هز وهزهز — ذر وذرذر الخ .

اما النحت فامثلته كثيرة : ويلمه وهي منحوتة من اصلها (ويل لامه)

صبحه اي قال له صباح الخير .

مساه : قال له مساء الخير

تويل : قال يا ويلي

فسقه : قال له يا فاسق

ما شا الله — (ما شاء الله) — ما طيبو (ما أطيبه) — محلاه (ما احلاه) الخ .

ومن أمثلة الاتباع او الابدال بنفس المعنى :

العجر والبجر — حيص بيص (4) هين لين (سهل) — هش بش (مسرور) — الكوع والبوع (كعو وبعو) — الجوع والنوع — شيطان ليطان — حسن بسن الخ.

وهناك مآت الكلمات تحكي الاصوات أو الحركات وتتحد فيها اللهجتان نذكر منها ما يلي :

زرزور — صنصاف — ريح — رعد — تبقاب — ناقوس — طبل — بوق — نبح الكلب — قاقت الدجاجة — طن أو دن الذباب — وع الطفل الباكي — طنين الناقوس — خرير الماء — تفل — لحس — نفخ — بح — تحب — أح — عطس — بخ — صاح — زعق — ناح — ضرط — فسا — زمر — قطع — شق — دق — تختخ — تمتم — جمجم — غمغم — بعبع — بقبق — قرقر — وسوس — همهم — نحنح — خنخن — (تكلم من انفه) — تهته — قرقر — صرصر — ولول — وحوح —

---

1) استعملت العامة الكلمتين : طمس بمعنى محى وطلمس بمعنى اخفى (الطلامس اي الطلاسم)
2) يستعملان في معنيين متقاربين (شخشخ وجهه اي جلب له العار) .
3) تطلق العامة لفظتي دحس (بالحاء بدل العين) وداس على مدلولين متقاربين
4) افرد أبو البركات الانباري كتابا خاصا لحيص بيص وقد توفى عام 577 هـ .

دقدق — وعوع — غرغر — طلطل — هرهر — زعزع — حثحث — ضعضـــع —
شقشق — وقوق — زقزق — زرزر — طقطق — رشرش — رعرع — طنطن — تكتك.

اما الصيغ فكثيرا ما تتخذ نفس الوزن فى العامية والفصحى للتدليل على نفس المدركات كالمبالغة والتفضيل والبقية والسقاطة والتظاهر والتشبيه او التشبه والوصف مثل كنز (1) (مكنوز) وعلاج (دواء) ووقف (موقوف) وغصب (مغصوب) ونكسة (نجسة اي كثير النجس) وشتامة (كثيرة الشتم) وعيابة ومصلحة (اي صلاح) ومطهرة ومفسدة وحثالة وتفالة (اي بقية التفل) وتمامة ونخالة ونشارة ونجـــارة واحمق (اكثر حمقا) واخوف واطيب واسلم واخوا واعجب واعرف وجهد جاهد (اي شديد) وصيف صائف وهول هائل وعيشة راضية ومكان عامر (اي معمور) وخبر كاذب (اى مكذوب) ويمين فاجرة (اي مفجور فيها) وتفاقر (اظهر الفقر) وتباكى وتحامق وتجاهل وتماوت وتناعس وتشيطن وتفحل وتفرعن وتفرنج وتمدن وتوحش وبخل وجهل وسفه وضعف وفسق وغلط وكفر واحمق (اي موصوف بالحمق) وابلـــه واعمى .

ويجمع المذكر فى اللسانين باضافة تاء مربوطة الى المفرد مثل : حمارة (اصحاب الحمير) وخيالة ورحالة وعسالة (اصحاب العسل) وتشترك الفصحى والعاميـــة فى الاشتقاق المنطقي من الفاظ ذات معنى حسي مجرد كالحمام من حم المـــاء اي سخنه ومخدة من الخد والسماء من سما اي ارتفع والسمن من السمن والشباك من شبك والغمام من الغم اي التغطية والجارية اي التي تجري فى خدمة سيدهـــــا والجمعة اي يوم الاجتماع فى الجوامع وحريم الرجل اي نساؤه (من تحريم المراة على غير زوجها) والصداع اي وجع الراس من صدعه اي شقه والغلة الدخل من كراء بيت او فائدة ارض من غل المكان اذا دخله .

ويكاد ينعدم فى العامية التغليب بالمثنى (مثل القمرين والخافقين والعشائـــين والاصغرين والاسودين) واستعمال صيغة فعال المبني على الكسر (للدلالة على الافعال والاسماء) او المصدر نعتا او معظم صيغ المبالغة (مفعيل وفعلة وفعيل) او مفعلة للكثرة او المكان او افعل للتعظيم او التصغير (اعنق (اي طويل العنق) واعين واورك (اي عظيم الورك) واخفش (صغير العينين) او افعل للدخول (اتهم واشأم واغلس وانجـــــد) .

---

1) كنز ومكنوز ذكره ابن سيده فى المخصص فى مادة كنز .
وتوجد صيغ عربية كثيرة انفردت بعض الاقاليم العربية باستعمالها مثل مصدر فعل المضعف على وزن تفعال مثلا حمل تحمالا بدل تحميلا فى المغرب واليمن ، قال الكسائي : « أهل اليمن يجعلون مصدر فعل تفعالا وغيرهم من العـــرب يجعلونه تفعيلا » .

ومما امتازت به الفصحى أيضا افعال السلوب الدالة على الـزوال مثـل أعتب أي أزال العتاب واشكى اذا ازال الشكـوى وزيـغ اي ازال الزيـغ والميلان (زيغ بالعامية آثار الزيغ) وتأثم وتحرج وتحنث اذا تجنب ذلك .

وكذلك زيادة الميم للمبالغة كزرقم أي شديد الزرقة .

ويجب أن يعيد التاريخ نفسه فى تفصيح العاميات العربية وتوحيدها فقـد تعددت اللهجات فى الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى وخفت اوجه الاختلاف بما استوثق اذ ذاك من صلات فى الاسواق الاقليمية والمبادلات التجارية والمصاهرات وقد لعبت قريش دورا هاما فى انتقاء اجود اللغات ، فنسقت واجتبت افضل لغات العرب حتى صارت لغتها افضل لغاتهم (لسان العرب) فنزل القرآن بها وازدادت مظاهر الوحدة تحت راية الاسلام بالرغم عن الفوارق القبلية البسيطة التي ساندتها احرف القرآن السبعة وقد احتفظت السنة جهوية بميزات خاصة « من حيث التصريف والهيئـة والابدال واوجه الاعراب والبناء » (متن اللغة ج 1 ص 47) فقريش مثلا تفتح نون المضارعة وأسد تكسرها والحجازيون يثبتون ما النافية وتميم تهملها أما الاختلاف فى الاسماء فلا يكاد يظهر الا فى لغة حمير التي ظلت محتفظة بكثير من مفرداتها (المدية الحميرية بدل السكين مثلا) .

ويتجلى الاختلاف بين لهجات العرب فى مظاهر مختلفة كالاظهار والادغام والاشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والامالة والفتح والتسهيل والابدال وهو اختلاف فى الصور الظاهرة لمخارج الحروف مع وحدة اللفظ ، وقد عرف العرب منها قديمـا العنعنة عند تميم وقيس (ابدال الهمزة عينا) والكشكشة والكسكسة عند ربيعة (ابدال كاف الخطاب شينا) والغمغمة عند قضاعة (وهى اخفاء بعض الحروف) والفحفحة عند هذيل (ابدال الحاء عينا مثل حتى وعتى) واللخلخانية فى عمان واليمن (وهي حذف همزة ما شاء الله (مشا الله) والتلتلة فى بهراء وهي كسر تاء المضارعة (تلعب) والوتم عند اهل اليمن (قلب السين المتطرفة تاء كالنـات فى النـاس)

---

1) لاحظ الاستاذ فريد أبو حديد (مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 205) أن حركة الكسر تكاد تكون شائعة فى كثير من الدول العربية مثال ذلك كسر آخر الاسم المضاف الى ضمير المؤنثة المخاطبة فيقولون فى الشرق أنت مالك (يقول المغاربة مالك بفتح اللام) وهي لهجة لخم التي تكسر ما قبل كاف المخاطبة .

والوكم والوهم عند ربيعة وكلب (كسر كاف الخطاب وهاء الضمير (عليكم عنهم) والاستنطاء فى لغة سعد بن بكر وهذيل والازد وقيس والانصار وهي قلب العين الساكنة قبل الطاء نونا (انطى — اعطى) وما زالت مظاهر ذلك الى الان عند الاعراب .

والمشترك نفسه يرجع لتعدد الالفاظ للمدلول الواحد بين القبائل كما أن فى اللغة الموحدة نفسها اختلافا فى الابنية من لغتين الى ثلاث عشرة لغة (عباءة — عباية الخ) .

وقد ارجعت اصول الكلمات الواردة فى القرآن الى خمسين لهجة من لهجات القبائل علاوة على وجود كلمات معربة .

وظهر الانحراف فى الحركات الاعرابية منذ صدر الاسلام فسار العوام فى منهجهم المنحرف واستفحل هذا الزيغ اللغوي باختلاط العرب بالاعاجم بعد الفتوح فهب علماء اللغة لتقويم العامية وارجاعها الى اصالتها الفصحى وتجلى هذا المجهود فى « أدب الكاتب » لابن قتيبة « ودرة الغواص » للحريري فخف البون بين الفصحى والعامية اذا روعيت شساعته فى اللغات الراقية اليوم وبقيت العامية فى جميع مظاهرها لغة عربية محرفة الشكل غير مضبوطة القواعد . ان العامية احتفظت احيانا بألفاظ عريقة استعملها العرب واهملها المحدثون وقد راعت العامة مقتضيات التطور اكثر مما فعل اللغويون الذين جمد الكثير منهم وراء قواعد راسخة لا تنفعل للتيارات الحضارية المتجددة وقد حاول عرب الجاهلية تطوير اللغة استجابة لهذا الناموس وساعدهم على ذلك كون العربية كانت لغة منطوقة لا مقروءة وسارت العامة على نهجهم فاحتفظت ببعض الخواص الحية وعملت على تنميتها بما يتفق ولوازم التجديد ضمانا لاطراد الحياة وقد اضطر بعض الشعراء انفسهم كالفرزدق الى مسايرة هذا الاتجاه عندما استعمل ال بمعنى اسم موصول اليعمل واليضرب بمعنى الذي يعمل والذي يضرب وهى شائعة فى العامية وخاصة منها المغربية .

وقد حاولنا فى معجمنا هذا مقارنة بعض الالفاظ العامية فى المغرب ومصر والشام ويتجلى من موازنة كثير من هذه الألفاظ مع مرادفها فى المعاجم انها دخلت اولا الى اللغة الفصحى ومنها تسربت الى اللهجتين بسوريا ولبنان وكذلك بالمغرب والا فيصعب تعليل وجودها فى العامية المغربية التي لم تتأثر البتة باللهجة السريانية.

ولا ننس ان الشام وخاصة لبنان هو منبثق اللغة البونيقية أو اليونانية التـي اثرت فى البربرية المغربية منذ ثلاثة آلاف من السنين والبونية عربية الأصل (1) وقد سبقت لغة القرآن والفتح الاسلامي بالمغرب وكيفت كثيرا من المعطيات اللغوية لاسيما وان الفينيقيين الشاميين اسسوا فى المغرب الأقصى عاصمة هي تشمش او ليكس قرب العرائش منذ عام 1100 قبل الميلاد أي قبل تأسيس قرطاجنة بثلاثة قـرون (814 قبل الميلاد) .

وهنالك مآت الكلمات التركية اندرجت فى عامية سوريا ولبنان طوال أربعـة قرون من الحكم التركي فأبعدت كثيرا من المقومات اللغوية عن عراقتها العربية وقد دخل عدد قليل منها الى المغرب منذ نفس التاريخ تقريبا أي فى عهد السعديين الذين كان لهم ارتباط بالباب العالي لا سيما فى الميدان الحضاري (الحياة والجيش والملاحة والادارة الخ) (2) .

وقد اشار الثعالبي فى فقه اللغة (طبعة 1378 — 1959 — القاهرة ص 450) الى اسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية اوصلها الى مائة وواحد واربعين منهـا البياع والدلال والبقال والجمال والطراز والخياط والند والبخور والغالية والحنـاء والمضربة والقمري والربعة والخرج والدواة والمرفع والفتيلة والمجمرة والمـزارق والطبل والشكال والقلية والهريسة والعصيدة .

ثم ذكر (ص 453) اسماء تفردت بها الفرس فعربها العرب أو تركوها ، منها : الابريق والكوز والطبق والقصعة والسندس والياقوت والبلور والسميذ والكعـك والسكنجبين والجلنجبين والفلفل والكروياء والقرفة والزنجبيل والسوسن والياسمين والمسك والعنبر والكافور والقرنفل .

---

1) اكد الاستاذ توفيق المدنى فى « تقويم المنصور » عـام 1348 (ص 72) ان الكشوف الحفرية ونقوش الحجارة أثبتت كنعانية الفينيقيين كما أبرزت ان كلامهم كان عربيا شديد الشبه بالعربية العامية المستعملة خصوصا بنواحي العاصمة التونسية وبجزيرة مالطة قبل ان تختلط اختلاطا فاحشا بمختلف اللغـات الاوربية وأهل مالطة هم بقايا العنصر الفينيقى الخالص .. » وقد نشر توفيق المدني (ص 72) نص الحفرية القرطاجنية التي وجدت فى البرازيل ويتضح منها تقارب البونيقية ولهجة شمال افريقيا .
ووجود هذه الحفريات بالبرازيل يدل على ان القرطاجنيين هم أول من اكتشف أمريكا قبل الميلاد بـ 125 سنة .

2) راجع كتابنا «مظاهر الحضارة المغربية» و « معطيات الحضارة المغربية» (فصل: تاريخ دخول اللغة العربية الى المغرب) وكذلك كتابنا « تاريخ المغرب » وتاريخ افريقيا الشمالية القديم لكزيل Gsell و « العصـور الغامضـة للمغـرب » للمؤرخ كوتيي « Siècles obscurs du Maghreb »

وقد تاثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق الدخيل في المعجم العربي (1) لا بكيفية مباشرة لأن المغرب ظل في منحى عن التأثيرات الفارسية .

ومن امثلة المشترك الفارسي في اللهجتين المغربية والشامية : بابا (اي الأب في لغة الاطفال) وبازار (سوق) وبازاري وباس (لثم) وشاويش (وشاوش) وخردة (واصلها العربي الخرثي) وخواجه أو خواجي (غني) ودرويش (فقير) وزنزانة (سجن ضيق) وزيره (جعله في مكان ضيق) وسالف (خصلة شعر متدلية على الصدغ) وشبر اي اشبار (وهو حبل رقيق جدا) وشنطة (حقيبة صغيرة) وشيت (نسيج قطني فيه رسوم والوان) وصباهي (صبايحي اي جندي) وطارمة (بيت خشبي ذو قبة) وطاقية (نوع من ملابس الراس) وقيطان (خيط مفتول من القطن او الحرير) وكخ (كخ بالمغرب اي رديء في لغة الاطفال) ومارستان (مستشفى المجانين) وميخانة (حانة اي خمارة وتطلق على احد الاحياء بالمغرب) ونيشان (وسام) ونيشن (نيش بالمغرب اي صوب التذينة نحو الهدف) اما اليونانية فقد دخلت هي ايضا الى سوريا ولبنان قبل الميلاد بثلاثة قرون حيث استمر الحكم اليوناني بها مائتين وخمسين سنة قبل خضوعهما الى الرومان كما اندرجت عن طريق المترجمين السريانيين واليهود والعرب منذ اواخر الأمويين بما اقحموه من الفاظ دخيلة في القاموس العلمي العربي الذي اقتبس منه حكماء المغرب ونباتيوه أو عشابوه وكتب الطب والعقاقير المغربية حافلة بهذه الالفاظ التي يتردد صداها في لغة العوام مع شيء من التحريف الا ان وجودها في عامية اهل الشام أبلغ نظرا للاتصال المباشر خلال حقبة طويلة من تاريخ البلاد .

ومن الكلمات العربية المقتبسة من اليونانية والتي دخلت الى العامية المغربية على ما يقال :

ياقوت ، وملوخية ، ومصطكى ، ولوبياء ، ولجنة ، وكروياء ، وكرنب ، وكافور ، وقيطون ، وقيراط ، وقيثارة ، وقنطرة ، وقنب ، وقمقم ، وقلم ، وقصدير ، وقرنفل ، وقرميد ، وقانون ، وقالب ، وقارب ، وقادوس ، وفندق ، وفنار ، وفلس ، وفص ، وفخ ، وطاجن ، ورطل ، ودلفين ، ودرهم ، وتؤلول ، وبلغم ، وبجماط ، وبطاقة ، وبارود ، واوقية ، واقليم ، والالماس ، والرز .

اما اللاتينية فقد استمدت منها اللهجتان الفصحى والعامية الفاظا يقال بأن منها اسطبل ، وبوق ، ودينار ، وسجل ، وصراط ، وصاقور ، وطرطور ، وقرصان ، وفرن ، وقفة ، وقلنسوة ، وقميص ، وقنديل ، وقنطار ، وكونية ، ومد (مكيال) ،

---

1) وكذلك بالفاظ من اللغة التركية مثل باشا وبكرج (اناء معدني) وخازوق وتخوزق (التخوزيق) وسنجق وطابور وطز (للاستهزاء والاستياء) وطوبجي (مدفعي) وصابونجي وجبدولي (صدرية) وجامكية (مرتب عسكري في عهد الموحدين) وخواجي (تاجر) وبابوشة (بابوج) وبازار وباشادور وبرنامج الخ .

ومنديل ، وميل الخ (1) .

وبينما كان التاثير الاسباني فى اللهجة السورية واللبنانية نادرا جدا اذا به يتخذ طابعا عميقا بالنسبة للعامية المغربية نظرا للتبادل الموصول بين الاندلس والمغرب خلال الحكم الاسلامي اي طوال ثمانية قرون ثم ثلاثمائة عام بعد ذلك احتل البرتغاليون والإسبان فى غضونها مراكز هامة فى شواطىء البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلنطيقي من المغرب (2) .

* * *

وقد عرف البربر كسائر البدو منذ اعرق العصور حياة بدائية لم تكن تخلو من مظاهر احتفظت بها قبائل صحراوية واطلسية الى الآن كالملكية الجماعية والاشتراكية الفلاحية والسكنى فى اكواخ الطوب بالدساكر والاقتصار فى الأكل على الكسكس والصيد وشرب الألبان والعسل والماء القراح ولبس الجبة والبرنس ووضع اكاليل الريش على الرؤوس واستعمال الحراب والاتواس والخناجر والدرقات الجلدية فى الحروب وكان المغربى يرسم على الجدران صورا تمثل حياته اليومية فى براعة فنية

---

1) من الالفاظ الفارسية الدخيلة الدربكة اى الطبل (واصلها تابوراك) والدمغة بمعنى الختم والطابع .
ويختلف هذا التاثير فى الاقطار العربية الاخرى ولعل الدخيل من الفارسية فى لغة العراقيين يوازي الدخيل فيها من التركية خلافا لما عليه الحال فى مصر فان معظم الدخيل فيها فى لغتها الشائعة من التركية ثم من اللغات الافرنجية (محمد رضى الشبيبى مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ج 8 ص 131) .
وديوان العراق لم ينتل من الفارسية الى العربية الا فى عهد الحجاج الذي امر بذلك كاتبه صالح بن عبد الرحمن الذي كان يتقن اللغتين (تاريخ ابن خلدون — المجلد الاول القسم الثاني ص 437) .

2) ذكر برونو Brunot (هسبريس 1949 — العددان الثالث والرابع) ان اللغة الرومانية اللاتينية امدت العامية عن طريق الفصحى بالفاظ مثل مد وقصر او مباشرة بكلمات مثل الطابية وكرزية وكركور وذكر ان لفظ تنديل (Candi) مقتبس من اللفظ العربي Qindid وان الكنتة مأخوذة من التركية .
ولاحظ فى مقدمة مذكراته حول المفردات البحرية بالرباط وسلا ان وفرة الالفاظ الاسبانية الدخيلة فى هذه المفردات تدعو الى نسبة بعض الكلمات الى اصل يوناني لاتيني وهذا الغلط هو الذي وقع فيه سيموني Simonet فى كتابه Glosario حيث ذكر مثلا ان الشابل Alose مستمد من اللفظ اللاتيني Sapidus وقد اعطى برونو صورة عن مروح التاثيرات الاجنبية فى العامية البحرية بالرباط وسلا فذكر انه بالاضافة الى 456 لفظ عربي يوجد 217 كلمة اسبانية و 30 لاتينية يونانية و 6 فرنسية وايطالية و 6 انجليزية وكلمة واحدة برتغالية وعشر كلمات بربرية وعشر تركية واحدى عشرة كلمة مشكوك فى مصدرها وذلك من مجموع يبلغ 753 لفظة ويلاحظ هنا قوة تاثير العربية الفصحى بالنسبة الى موانىء اخرى فى المغرب مثل مستغانم بالجزائر ففي الرباط مثلا تسمى Chaloupe بالعشارية وفى مستغانم ببوطة من Bota الاسبانية
على ان البرتغالية قد تأثرت باللهجة المغربية حيث كان البرتغاليون يراسلون بالعجمية التي كانت عبارة عن برتغالية مملوءة بالالفاظ المغربية وكانوا يكتبونها بالحروف العربية (تاريخ المغرب كواساك Coissac de Chavrebière ص 273)

رائعة كما يتحلى كالنساء بالاسورة والعقود وتمتاز المراة بنقش الاواني الخزفية ونسج الزرابي فى تعاريج هندسية ، وبرز الاطار السياسي القبلي فى شكل جمهورية صغيرة يمثلها مجلس منتخب وقد طعمت الحضارة القرطاجنية الشرقية هذه المعطيات الأولية بعادات جديدة كالطربوش والقميص الفضفاض والتكحل والاختضاب بالحناء والاختتان (1) وربما حدت البربر الى التفكير فى وضع احرف « تفناغ » على غرار الهجائية الفينيقية التي تكونت منها الالفبائية العربية اذا لم يكن البرابرة قد اقتبسوا هذه البادرة مباشرة من الهيروغليفية المصرية فى الجناح الشرقي لافريقيا الشمالية ويظهر ان اليهود النازحين من الشام وخيبر لم ينقلوا الى المغرب شيئا جديدا باستثناء الديانة الموسوية ونتف من العبرية لم تترك اثرا يذكر فى اللهجات المحلية .

ولعل أول نواة حضارية عربية تلقاها المغرب بعد الفتح الاسلامي قد جاءته عن طريق القيروان التي بدات تنصهر فيها الحضارة الاموية بعد مرور ثلاثة ارباع قرن على الهجرة فاقيمت المساجد والدواوين والمصالح والدور الصناعية على غرار ما عرفته دمشق آنذاك من روائع امتزج فيها العنصران الفارسي والرومي واذا اعتبرنا الصلة الوثيقة بين القيروان والمغرب قبل أن تزدهر بالأندلس الحضارة الأموية فى اطارها الجديد امكننا القول بأن الشام كانت الينبوع المشترك للحضارتين ما لبث أن تعزز بمدد مباشر فى عهد الأدارسة فاذا ما حاولنا التنظير بين عناصر الحضارة الأموية من نشأتها فى الشام الى امتدادها بالأندلس لاحظنا وحدة مقومات العمران والبناء والزخرفة والنقش والثقافة والاجتماع والترتيبات الادارية والسياسية والقضائية فى أشكالها ومصطلحاتها الا ان الأندلس لم تتصل بهذه المعطيات قبل وصول عبد الرحمن الداخل عام 137 حيث قضى خمس سنوات بالمغرب الشمالي يحاول عبثا اقامة مملكة اموية لأن امواج اليمنيين والقيسيين ظلت فى صراع حدا البربر انفسهم الى النزوح الى الريف وطنجة واصيلا بين عامي 134 و 136 هـ ولم تكد الدولة الأموية الجديدة تستقر حتى وضع الادارسة بفاس اسسا عمرانية كانت وفرة مياهها وبساتينها وفنادقها وقيساريتها ومسجديها مظهرا خافتا لعاصمة دمشق

وسواء اكان هذا الاقتباس مباشرا او بواسطة فان الفاظا فارسية دخلت منذ هذا العصر الى المغرب ودخلت معها مسمياتها كما انتقلت الى المغرب فى نفس الفترة من الشام مصطلحات رومية (2) قليلة كالبستان ، والقسطاس ، والبطاقة ، والاسطرلاب ، والقنطار ، والقرمود ، والترياق ، والقنطرة والقيطون (3) والذي يجلعنا نرجح وجود هذه الالفاظ فى المصطلح الدارج بالمغرب منذ هذا العصر هو ان

1) ماضي افريقيا الشمالية — كوتيي ص 148 .
2) فقه اللغة طبعة 1378 — 1959 — القاهرة ص 450 — 455 .
3) دار القيطون بفاس اسسها المولى ادريس .

معظمها يمثل المظهر الجديد للحضارة الاسلامية التي بقي الشعر والشعراء فى منأى عن وصفها لانهم حتى فى دمشق ظلوا فى ابراجهم العاجية يبكون فى اسلوبهم الجاهلي على الاطلال ويتغنون بالماء الآسن فى عنفوان المدنية الناشئة .

واول مسجد على النسق المعماري الاسلامي فى المغرب هو ذلك الذي بناه سعيد بن صالح الحميري فى نكور (1) فى نهاية القرن الأول استمد فى تصميمه من جامع الاسكندرية التي ظلت مهبط الرواد المغاربة وعلى راسهم الصوفي احمد البدوي دفين طنطا وكانت البساطة آنذاك هي طابع الفن المعماري الذي لم يعرف بعد المقرنصات ولا التعاريج العربية) Arabesques والواقع أن انعدام الاقتباس من الطبيعة والامعان فى دراسة الرياضيات ونزعة الابداع حدت مسلمي الاندلس والقيروان ومصر ثم المغرب الى التسطيرات الهندسية الساذجة التي يظهر أنها وسمت الزخرفة فى اوائل العصر الادريسي وكان استمرار الصراع فى الاندلس بين العناصر السلالية المختلفة من عرب وبربر وقوط عائقا دون تفتق الفن حيث لم تكد تمر ست سنوات (2) على تأسيس فاس حتى انحدرت الى المغرب ثلاثمائة اسرة قيروانية تلتها بعد اربع سنوات ثمانمائة عائلة جاءت من ارباض قرطبة معظمها من الفلاحين والمزارعين الذين استقروا بعدوة الاندلس ووصل بعضهم فازاز بالأطلس انتجاعا للحقول والمراعي الخصبة واشجار التوت لتربيةدود القز وصناعة الحرير (3)

---

1) مما يبرز تأثير الاندلس احداث الموالي الصقالبة لقرية تحمل اسمهم فوق مدينة نكور (المسالك والممالك للبكري طبعة الجزائر 1911 ص 97) .

2) تبلغ الأسر الاندلسية التي هاجرت الى فاس عام 202 هـ 818 م اربعة آلاف حسب عبد المالك الوراق وثمانية آلاف (روض القرطاس ص 25) ودوزى : تاريخ مسلمي الأندلس (1932 ج 1 ص 301) أو ثمانمائة (هنري طيراس — تاريخ المغرب ج 1 ص 118) بينما بلغ عدد الاسر الافريقية التي جاءت من القيروان عام 198 هـ ثلاثمائة ويظهر أن عدد الربضيين تراوح بين اربعمائة وثمانمائة اعتبارا للغلط المحتمل الناتج عن اضافة صفر للعدد ونظرا للتوازن الديموغرافي بين العدوتين وقد تحدث المقري فى النفح (ج 1 ص 318) عن الوقعة التي ادت الى طرد الاندلسيين فذكر أن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل انهمك فى لذاته فخلعه العلماء بقرطبة فأجلاهم عن الاندلس ولحقوا بفاس والاسكندرية ومنها الى جزيرة اقريطش .

3) ذكر ليفي بروفنصال ان الاندلسيين نقلوا معهم الى المغرب فن البستنة وكذلك تجربتهم للحياة الحضرية كالبناء والصناعة التقليدية (فاس قبل الحماية Fez avant le Protectorat وقد لاحظ لوطورنو (ص 205) انه اذا كان العرب قد نقلوا الى فاس مظاهر نبلهم فان الاندلسيين قد نقلوا رقتهم والقيروانيين مهارتهم واليهود حيلهم والبربر صمودهم . وقد اعطانا الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب فى كتابه « بساط العقيق » صورة عن حضارة القيروان حيث تحدث عن سماطها (يوجد شبهه بفاس وهو سماط العدول الا انه اصغر منه) وحماماتها العمومية (49 حماما) ومصانع الزربية (ذات الطابع القيرواني الخاص رغم أصلها الفارسي) والزجاج والبلور والورق ودار الطراز وكان قاضي القيروان شيخا للاسلام فى تونس أو قاضيا للجماعة كما فى فاس وقد لاحظ الاستاذ التونسي فى رسالة بالفرنسية أن الطبقة المتمدنة العتيقة من الاندلسيين قد نزلت مدينة =

بينما كان مهاجرو حاضرة القيروان من الفعلة الذين اقاموا فى عدوة القرويين الخلايا الأولى للحرف والصنائع اليدوية مدرجين بذلك فى المصطلح الصناعي والتجـــاري مفردات دخلت منذ ذلك فى التقاليد الحرفية لا نستطيع تحديدها بالضبط واذا اعتبرنا أن الوضع الحالي بفاس لا يختلف كثيرا عما كان عليه من حيث الهيكل العام فاننا نلاحظ أن عدوة القرويين تضم معظم مقومات الاقتصاد والثقافة والاجتماع ففيهـا القيساريات والحرَف والمدارس والزوايا والفنادق ويبلغ عدد أحيائها اثنى عشـر مقابل نصفها فى عدوة الأندلس و 17 حماما و 96 كتابا قرآنيا بدل 24 وست مـدارس بدل اثنتين هذا وان جامع القرويين الذي أسس عام 245 هـ مع شبيهـه جامـع الأندلس على يد أم البنين واختها مريم الفهرية القيروانيتين لم يكن يثير الانتباه بفن جديد نظرا لعدم اختصاص بنائيه القيروانيين عدا تصميمه الغريب الـذي تتـوازى بلاطاته مع القبلة على غرار مسجد الشرفاء الادريسي وجامع ابن طولون بالقاهرة وجامعي بعلبك ودمشق وقد أضاف اليه الناصر الأموي عام 345 اي بعد مـرور قرن كامل على بنائه اثنى عشر بلاطا جديدا وحول المنارة الى مكانها الحالي مغشيا بابها « بصفائح النحاس الاصفر » مع « قبة صغيرة » محلاة « بتفافيح مموهـة بالذهب (1) وبذلك انبثقت النواة الاولى للفن الاندلسي المغربي البارز فى مسجـد قرطبة ومدينتي الزهراء والزاهرة حيث امتزج العنصر السوري بالفارسي والبيزنطي ولعل عهد الناصر الذي ازدهرت فيه الفلاحة والصناعة والتجارة والفنون والعلـوم (2) بالاندلس كان عهد تحول وانقلاب فى تاريخ الحضارة المغربية التي بدات تتخـذ بالعاصمة الادريسية سمات جديدة فى شتى المجالات ، تقل مع ذلك روعة وفخامة عن أصولها بقرطبة اذا اعتبرنا المضافات الاموية بجامع القرويين وقد انتشرت بدائع هذا الفن فى حواضر ادريسية كالبصرة واصيلا اصبحت تنافس مدينة فاس .

ومن الصعب أن نتعرف على العناصر الحضارية والمصطلحات التي تسربت الى فاس فى القرن الثالث الهجري وان كنا نعرف مما كتبه مؤرخون عرب أمثال الحميدي صاحب « جذوة المقتبس» وابن غالب صاحب «فرحة الانفس» والحميري فى « الروض المعطار» والمقري فى النفح الكثير من ذلك بالنسبة للاندلس حيث اكتملت مظاهر المدنية فى

= تونس واختلطت بأهلها وتلدهم الحفصيون الذين هم فرع عن الموحدين. وتذكر المقري عن ابن غالب (نفح الطيب ج 2 ص 764) أن أهل الاندلس تفرقوا فى المغرب الاقصى مع افريقية فمال أهل البادية الى ما اعتادوه فاستنبطوا المياه وغرسوا الاشجار واحدثوا الأراحي الطاحنة بالماء وعلموا أهل البادية أشياء جـديـدة .

ومعلوم أن الاندلسيين كانوا يحتكرون ببلادهم — حسب سرفانطيس مؤلف « دون كيشوط » تجارة الأغذية ويضعون يدهم على المحاصيل عند نضجها وهم لا يشترون العقارات حفاظا على حرية رواج أموالهم .

1) زهـرة الآس ص 37 .

2) ابن حوقل — طبعـة ج 2 ص 77

الادارة والقضاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة والاجتماع والعمران واول ما يبده الباحث حتى بالنسبة للامويين هو امتزاج العناصر الحضارية بسبب تداخل الاختصاصات وعدم فصل السلط حيث تندرج كثير من مقومات الدولة ضمن البلاط كالجامع والصدقات والاعشار والأموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة والرسوم الموظفة على بيوع الأسواق والمكوس والمشرف (1) او الأمين ودار السكة وخزانة الطب والحكمة واذا ما حاولنا أن نقارن بين مصطلحات هذا العصــــر والتعابير المغربية دون تحديد لاطارها الزمني فاننا نلاحظ ان اغلبها متقاربة عدا كلمات لم يعرفها المغرب مثل صاحب البنيان وصاحب البيازرة والاسجال الخراجية وصاحب التطوع (أي الجبايات المرسومة على الاقطاعات) وصاحب الرد (رئيس قســـم الشكايات بالقصر الملكي) والكور المجندة والجند المتدون (اي المسجل فى الديوان) وفحص السرادق (اي مكان تقام فيه حفلة البروز لتوديع البعوث العسكرية وعقد الألوية) والمهرجان (عيد موسمي منه العنصرة التي تعرف بالمغرب) على أن معظم اسماء الحرف موحدة وكذلك اسماء الازهار والاعشاب والمصنوعات اليدويـــة وغيرها (2) واستمر هذا الاقتباس طوال قرن ونصف قرن بدافع من بني زيــري وخلفاء المنصور بن أبي عامر الى ان اصبحت الاندلس جزءا من العدوة الجنوبية تحت حكم المرابطين الذين استدعى زعيمهم يوسف بن تاشفين رجال الحرف القرطبيين لاقامة المساجد والسقايات والحمامات والفنادق بفاس (3) ودار الامة بمراكش بينما استعان نجله علي بن يوسف بمهندسي الأندلس لمد قنطرة تنسيفت (4) وقنــوات الماء وبناء دار الحجر بمراكش (5) وكان لوحدة افريقية والمغرب الاقصى حينئــذ اثرها فى ضم الآثار القيروانية الى المدد الاندلسي غير أن من الصعب تمييز الأثرين بوضوح لأن جامع القيروان نفسه دخلت فيه مواد اندلسية كالمرمر والآجر والجبس عند تجديده على يد محمد بن حمدون الأندلسي عام 252 هـ ولم ينس المرابطـــون الصحراويون اقامة القصبات والحصون فى عمرانهم العسكري الذي تعزز بتسوير الحواضر ايام علي بن يوسف بايعاز من ابن رشد الاندلسي واذا أردنا دليلا علــى مدى انسجام الصحراويين المغاربة مع روح العصر واستساغتهم للفن واساليبــه ومصطلحاته فان ذلك يتجلى بوضوح فى الروائع الجديدة التي اضيفت لجامع القرويين الذي اتخذ حينذاك شكله الحالي بمنبره المصنوع من « الصندل والابنوس والعناب

1) هذه الكلمة معناها امين المال وقد استعملها الموحدون (زهرة الآس ص 872)
2) راجع القائمة الكاملة بهذه المصطلحات فى الملحق رقم 2 فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » (طبعة القاهرة ص 213)
3) زهرة الآس ص 87 وجذوة الاقتباس ص 27 .
4) الادريسي — مقتطفات من النزهة — طبع الجزائر 1957 ص 69 .
5) الاستبصار — ترجمة ص 179

والعاج » (1) وقبته التي كشفتها الحفريات عام 1952 كانموذج للفن فى اروع مجاليه

وهكذا فالفعلة الأندلسيون الذين انتقلوا الى المغرب فى العصر المرابطي كانوا اذن اكثر اختصاصا من سلفهم وان كان عملهم لم يتجاوز نطاق هندسة المساجد وبعض المآثر العسكرية لان بداوة الملثمين وتقشفهم حالا دون تقبل عناصر حضارية طريفة زخرت بها آنذاك قرطبة واشبيلية كموسقى زرياب الذي أحدث فى الأندلس ثورة جذرية فى المودات فكان بحق « مشرع اسبانيا العربية » ، كما يقول دوزي — وظلت المراة المغربية بدوية الطبع رغم سفورها (2) لم تتفتح للثقافة عدا القليلات أمثال زينب النفزاوية زوجة يوسف بن تاشفين والبطلة الموحدية فانو وأم هانىء بنت القاضي عبد الحق بن عطية وحفصة الركونية استاذة نساء دار المنصور (3) بل استاذة عصرها (4) وأم عمرو بنت ابى مروان بن زهر طبيبة النساء فى البلاط الموحدي وورقاء الفاسية الاديبة الشاعرة (5) وزينب القرتولية استاذة القراءات السبع بمراكش واغمات وزينب بنت يوسف بن عبد المومن التي ربيت بالاندلس فكانت صاحبة الراي فى البلاط والشغوف فى المجتمع وازاء هذه الندرة من المثقفات فى المغرب كانت نساء غرناطة يشهدن الحفلات العامة سافرات ويسبغن بوجودهن عليها روعة وسحرا ويتمتعن بقسط وافر من الحرية الاجتماعية كما كان بالربض الشرقي لقرطبة وحده مائة وسبعون امراة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي الذي اتخذ فى هذا العصر أشكالا خاصة بالمغرب (6) ، فاذا استثنينا مثلا الخط الحجازي فان ترتيب الحروف تختلف بين الشرق والمغرب ابتداء من الزاي فهي عندنا .

ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي

بينما هي فى المشرق

س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م . ن هـ و لا ي

والمغاربة يعجمون الفاء والقاف بنقط الاول بنقطة من اسفل والثاني بنقطة واحدةمن اعلى كما أن صور الأرقام فى المغرب عربية اصيلة ليست منقولة عن الرسم اللاتيني وقد ابرز ذلك الاختصاصيون فى المؤتمر الذي انعقد بتونس عام 1963 حيث اكدت الجامعة العربية عزمها على اصدار تعليماتها الى الدول الإعضاء لاعتبار الارقام المغربية هى الأصل والاقتصار عليها فى العد والترقيم .

---

1) زهرة الآس ص 42
2) حتى الاميرات لم يكن يتحجبن مما حدا المهدي بن تومرت الى نقد سياسة البلاط الدينية للنيل منه سياسيا .
3) « الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور » ص 165 .
4) الاحاطة لابن الخطيب .
5) جذوة الاقتباس ص 335 .
6) راجع الملحق رقم 4 من كتابنا المذكور « تطور الفكر واللغة ... » ص 222

غير أن الموحدين تفنزوا بالفن الى مستويات راقية بالرغم عما ابدوه فى البداية من روح التزمت (1) فاضافوا روائع جديدة الى المآثر الأموية تجلت فى المنارة الخالدة باشبيلية وجامع حسان بالرباط والكتبية بمراكش والقصور الفخمة والحدائق الغناء (على غرار مسرة المرابطين المعروفة الآن بالمنارة) ونضرب مثلا لهذه الروعة بمنبر الكتبية الذي يرجع الى عهد عبد المومن (2) والذي قارنه ابن مرزوق بمنبر جامع قرطبة واعتبره طيراس وباسي « اجمل ما ابدعه الغرب الاسلامي بل العالم الاسلامي » ولعل الوحدة السياسية التي حققتها الدولة البربرية فى المغرب الكبير قد تجلت خاصة فى تجديد الاتصال بين الفن المغربي الاندلسي والفنيين المصرى والعراقي السائدين فى بجاية ومهدية وتونس الخضراء (3) وبذلك تعززت الوصلة بين جناحي العروبة واندرجت فى المجتمع المغربي مصطلحات كانت عصارة الاحتكاك الموصول طوال خمسة قرون وبذلك يكون فى وسعنا اعتبارا لهذه المعطيات أن نستخلص بعض الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية من خلال اسماء الحرف التي ظلت الى القرن الحالي الصناعة الأساسية لنصف سكان الحواضر (4) فمصطلحات الحرف بمراكش كانت تحتوي نظرا لقرب العاصمة من الصحراء على كلمات بلدية أو حضرية معدودة مثل بعدى (أي اسكافي بدوي) وخطاطري (حفار الخطارات أي السواقي الصحراوية) وتكموتي (صائغ) وتراشلي (حلاج) فى حين تزخر بالألفاظ العربية التي حرف بعضها تسهيلا للنطق بها مثل بامهاود (اي ابو المهاودة وهو حكم يتدخل بين الناس للمهاودة) ومواكنى (مصلح المنجانات)

---

1) وقد امر المنصور الموحدي « بقطع اللباس الغالي من الحرير والاجتزاء بالرسم الرقيق الصغير ومنع النساء من الطرز الحفيل والاكتفاء منه بالساذج القليل وامر باخراج ما كان فى المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت .. » (البيان المغرب لابن عذاري ج 4 ص 81)
ففي زمن المنصور والناصر الموحديين كان عدد الأطرزة بفاس 3094 ودور الصابون 47 ودور الدباغة 86 والصباغة 161 وتسكيك الحديد والنحاس 12 والزجاج 11 وكوش الجير 135 وافران الخبز 1170 واحجار صنع الكاغد (اي الورق وهي كلمة تركية) اربعمائة ودور الفخارة 180 (زهرة الآس للجزنائي ص 33) وقد بلغت الارحي بفاس 600 فى القرن السابع (حسب ياقوت المتوفى عام 626 هـ فى معجمه ج 6 ص 331) .

2) المسند الصحيح الحسن ص 65 — 1925 .

3) ويليام مارسي فى كتابه حول تاريخ الفن الاسلامي .

4) راجع احصاء قام به ماسينيون عام 1923 — 1924 فى كتابنا « معطيات الحضارة المغربية » ج 2 ص 78 . (الحناطي الاسلامية — باريس 1925 ص 38 وقد كان نظام الحناطي (اي النقابات العمالية) يتسم فى جميع العصور بطابع الحرية حيث ظل المخزن يحترم مبدا الحرية التجارية والاقتصادية قبل صدور ظهير 1917 القاضي بتنظيم البلديات .

وغواسلي (بائع الغاسول) وظل معظمها مما ينيف على المائة فى قالبه العربى الفصيح مثل التبان (بائع التبن) والجرار والحراث والحمار والحمائمي (بائع الحمام) والخراط والرحوي (صاحب الرحى المائية) والطاحوني (صاحب المطحنة او الطاحونة التي تدار بحركة بغل أو حمار) والرخايمي (صانع الرخام) والزيات والسفاط (صانع الاسفاط اي السلال) والعشاب والقطارني (بائع القطران) واللباد (صانع اللبد) ، أما مصطلحات الحرف والمؤسسات العمومية وغيرها بفاس فاذا استثنينا بعض الدخيل فان الكلمات البربرية أقل بينما تظهر الفاظ خاصة مثل مقدم الحومة ودار معلمة (وهي مدرسة لتعليم الخياطة والتطريز للبنات) وشيوخ الفلاحة (وهم خبراء فى الشؤون الزراعية من أصل أندلسي) ودار العميان والمرقطان وسوق الفرش (أي صنع المخاد والحشايا) ومعاصر الزيت وكعب غزال (فارسي) والبلاحة (صانعو الاقفال) وصناع الاسلحة الاختصاصيين مثل الجعايبية (لصنع جعاب المسدسات) والسرايرية (لصنع مقابضها) والجوايين (لصنع الاغمدة) والصقالة والذهابين والسكاكين والبراولية (باعة خيوط الحرير) والزرادخية (باعة القماش من نوع الزردخان) والنيارة (صانعوا نول النساج) واذا أخذنا مثالا لباقي المدن المغربية فى شخص أصغر مدينة وهي ميناء أزمور لاحظنا وجود معظم هذه الحرف عدا التنويع فى النسيج وحرف جديدة كحرفة البغازة وهم بائعوا السمك بالجملة والشراحة وهم مجففوا الحوت ، وهنالك الفاظ مغربية أندلسية مبتكرة مثل القبال والقابض بدل الجمركي والجابي وقد استدل السيد محمد علي بهاتين الكلمتين للتدليل على اصالة الابداع اللغوي فى المغرب والاندلس (عجائب اللهجات — مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 128 عام 1953) ويلوح لأول وهلة من مقارنة نوع المصطلح فى عاصمتي الشمال والجنوب مدى تاثر فاس بالحضارة الاندلسية حيث بدأت تظهر مؤسسات اجتماعية واختصاص ادق فى بعض المرافق الصناعية بالعاصمة الادريسية ولا بدع فى ذلك اذا اعتبرنا أن مدينة فاس أصبحت فى عصر الموحدين (1) « حاضرة المغرب » الفكرية اجتمع فيها علم القيروان وقرطبة « ولا يوجد فى الدنيا أكثر مرافق وأوسع معايش واخصب جهات منها » كما يقول المراكشي — بشيء غير قليل من الغلو على أن الفن بفاس أصبح مزيجا للكثير من العناصر العربية فاذا ضربنا بالزليج الذي عرف فى الشرق بالفسيفساء لاحظنا انه نوع من الترصيع الخزفي اصله بيزنطي كان يصنع منه بالاندلس نوع من المفضض

1) المعجب فى تلخيص اخبار المغرب بسلا عام 1357 — 1938 (ص 213 — 221) لعبد الواحد المراكشي .

المعروف فى الشرق بالفسيفساء (1) والترصيع هو التكنيت (كلمة تركية) لها مرادفات منها التلبيس والترسيب والتنزيل اصحها عند العرب فى العهد العباسي التطبيق وفن الترصيع سوري فى أصله يعرف بأوربا الى الآن بالفن الدمشقى damasquinage وقد دخل الفن العربي الى ايطاليا وبعد الحروب الصليبية غزت المنسوجات العربية الأقطار الاوروبية حتى اضطر احد ملوك فرنسا الى تحديد ايرادها (2) .

وقد شمل التعريب معظم المواد والآلات والاجهزة والأدوات التي استعملها الصانع المغربي الى العصر الحديث وتكفي القاء نظرة على معجمنا « الاصول العربية فى العامية المغربية » للتعرف على مدى فصاحة الاستعراب فى هذه المفردات التي نجد منها فى الصفحات الأولى للمعجم الفاظا كالاشفى (مخرز الاسكافي) والبريمة والبرمة والبرميل والبوطة والبلور والتبان والترس وتفصيلة الثوب وتكريشه (تقبيضه) والتكة والتنجرة والتومة (القرط) والثلج والخبل (لفظة يمنية) والحنوط والخرقة والخميرة والخنجر ، ثم ان الفكر العلمي الاندلسي الذي حماه البلاط الموحدي بمراكش لم يكن ليخلو من مظاهر اجتماعية تمثله مثال ذلك البيمارستان (3) الذي احتوى على « النقوش البديعة والزخاريف المحكمة » وغرست فيه « الاشجار المشمومات والماكولات » واجريت فيه « مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك فى وسطه احداها رخام ابيض » وماله من « الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم » وتزويده بالادوية والصيادلة » لعمل الاشربة والادهان والاكحال مع ثياب الليل والنهار للمرضى ومجانية العلاج ورعاية المنصور الموحدي الشخصية له بزيارة اسبوعية لتفقد حال المرضى وقد اشاد مؤرخ فرنسي معاصر بهذا المستشفى الذي بذ فى نظره مستشفيات باريس فى عنفوان القرن العشرين (4) .

وقد راينا كيف بلغ المصطلح العلمي اوجه فى هذه الفترة التي آوى خلالها العرش المغربي فى ظلال مراكش الحمراء اقطاب الفكر الاندلسي الذين مهدوا بكشوفهم العلمية فى شتى الميادين عهد النهضة والانبعاث بأروبا حيث ظلوا اساتذتها المرموقين طوال قرون .

اما المرينيون الذين كانت لهم أرقى المقومات الملكية بالمغرب واغناها واحقها بتبني التراث الموحدي فى افريقية والاندلس فان مغربهم الزاهر كان منطلق الاشعاع

---

1) النفح نقلا عن ابن سعيد ج 1 ص 187 .
2) (اعراف المسلمين وعاداتهم ص 247)
3) العجب ص 177 .
4) الموحدون les Almohades للسيد Millet طبعة 1927 .

فى مجموع الشمال الافريقي (1) حيث تبلورت مدنيتهم الحضرية فى أروع ما عرفه المغرب الكبير من حواضر ومساجد ومعاهد وقبب وفنادق ومدارس وملاجىء وحمامات وقناطر وحصون وخاصة فى عهد ابى الحسن المريني (1331 — 1351) الذي يعتبره الغربيون اقوى عاهل فى القرن الرابع عشر وقد كان لتزاوجهم الحضاري مع غرناطة النصرية وارثة الاندلس ذيول عززت التراث المشترك الذي ما لبث أن انتقل بكامله مع رجال المهجر الى المغرب ليشكل الحضارة المغربية الاندلسية الموحدة . وقد ظهرت فى الحقل الاجتماعي لأول مرة مدارس هي عبارة عن احياء جامعية مجانية للطلبة فى مختلف المدن كفاس وتلمسان والجزائر (2) علاوة على قصور فخمة تجلت فيها مهارة المهندسين والفنانين فى تصميم معماري محكم ويمكن ان نقدر من خلال وصف (3) لأحد هذه القصور مدى تطور المصطلح الفني والانواع الجديدة من أرباب الصناعات كالبنائين والنجارين والجباسين والزليجيين والرخامين والقنوبين والدهانين والحدادين والصفارين والجدارات المنقوشة بالجبس والزليج والأرز المحكم النجارة والصناعات المشتركة (كالتوريق والتسطير) مع فروش الرخام والزليج وطيافير (فسقيات) المرمر والقبب والخوخ (اى الابواب) والخزائن بنحاسها المموه بالذهب والحديد المقصدر ، غير ان هذه المظاهر الحضارية لم تتجاوز المدن لان البادية (أي الارياف والسواد) ظلت نسبيا فى معزل عن تياراتها بسيطة فى سكنها ومطعمها وسلوكها قد حفظت تراثا لغويا اصيلا ما زالت الحواضر تطعمه تدريجيا استجابة لمقتضيات العصر وسنرى كيف أن قبائل عاشت فى ارباض عواصم كرباط الفتح ظلت عالقة الى عهد حديث بتراثها اللغوي الجاهلي الخالي من اية شائبة الأمر الذي اسفر عن نوع من الخلل بين المصطلح الكلاسيكي القديم ومولدات العصر الحديث .

وقد توافرت هذه المجالي الحضارية ولوازمها اللغوية العربية التركية فى العصر السعدي عندما اقتبس المغرب بعض الانظمة العسكرية العثمانية كما دخلت

---

1) مارسي Marçais فى كتابه « L'Art dans l'Islam » ص 134) وقد ظهرت فى هذا العصر نتيجة للتاثير الغرناطي الموسيقي الاندلسية بمصطلحاتها وبعض التعابير القانونية مثل لفظة الظهير بمعنى المرسوم الملكي (صبح الاعشى ج 15 ص 299)
وقد اسهم العلماء والادباء فى الصناعة والتجارة مما اكسب الكثير من المصطلحات طابعا فصيحا ومنهم محمد الغساني الذي كان تاجرا بقيسارية آسفي يدير حانوته بعد الفراغ من تدريس الموطا والسير والنحو والآداب واللغة وهو من رجال القرن السابع (توفى عام 663 هـ (الذيل والتكملة) ومنهم كذلك العلامة محمد بن عبد الله ممن الذي كان يتمعش (كلمة مغربية معناها يتعيش بعمل دود القز بفاس (نشر المثاني فى ترجمة علماء القرنين الحادي عشر والثاني (ج 1 ص 197) .
2) نخب من « المسند الصحيح الحسن فى مآثر ابى الحسن » لابن مرزوق .
3) نفس المصدر حيث اشار ابن مرزوق الى وضع تصميم معماري لهذا القصر وصفه بانه رسم فى كاغد لتقدير الساحة (أي المساحة) .

الى المغرب افواج المهاجرين الاندلسيين بلغت في مدن كتطوان اربعين الفا فيهم الاديب والعالم والفنان والعامل المختص والتاجر والفلاح واذا كانت هذه المظاهر تنعكس على العادات الاجتماعية والمآثر العمرانية ، فاننا نلاحظ في خصوص الأزياء مثلا أن سكان حواضر اندلسية مثل فاس وتطوان والرباط اصبحوا يضعون على رؤوسهم قلانس حمراء قد لفت عليها عمامة تتوسطها شوشة زرقاء (أي نواسة) بعد النفي العام أوائل القرن السادس عشر الميلادي لان الشوشة الزرقاء لم تكن معروفة بالاندلس قبل عضور التحقيق الصليبي (Inquisitions) حيث اجبر الاسبان العرب المسحين على التميز بشارة زرقاء (1) .

ولباس البياض في مناسبات وفصول خاصة هو أيضا عادة اندلسية حيث كان هؤلاء يخلعون الثياب الملونة ويلبسون البياض ابتداء من يوم المهرجان (اي العنصرة كما تسمى في العدوتين) اي 24 يونيه وذلك الى اول اكتوبر خلال ثلاثة اشهر متوالية (النفح ج 2 ص 752) .

اما في الحقل العمراني فان « قصر البديع » الذي استغرق بناؤه زهاء العشرين سنة (986 هـ — 1002 هـ) يبرز لنا مدى التطور الحاصل في الفكر الحضاري ولغته فقد ظهرت معه فنون طريفة ومصطلحات فريدة كالرخام المجزع والزليج الملون والقباب الخمسينية (2) كتبت في ابهائها الأشعار بمرمر أسود في ابيض تذكرنا بروائع الاندلس : فمن شعر أبي فارس عبد العزيز الفشتالي يصف فن هذه الروائع :

فأنها والتبر سال خلالها	وشي وفضة تربها كافور
وكأن أرض قراره ديباجة	قد زان حسن طرازها تشجير
وكأن موج البركتين امامه	حركات سحب صافحته دبور
صفت بضفتها تماثل فضة	ملك النفوس بحسنها تصوير

---

1) في عام 1019 هـ هاجرت الوف الاندلسيين الى فاس والوف الى تلمسان وجمهورهم من تونس فتسلط عليهم الاعراب ونهبوا أموالهم في تلمسان وفاس وسلم اكثرهم في تونس وتطوان وسلا وفسحة الجزائر ووصل جماعة الى قسطنطينية العظمى ومصر والشام (نشر المثاني عن النفح ص 101) .

2) اي التي فيها خمسون ذراعا بالعمل اي بالنقش وكانت الجدران تحلى أحيانا بأنواع التطريز ومنه النوع الفاسي الذي هو سوري الأصل وفي سلا نماذج من أصل فارسي او شامي ويلاحظ في تطريز الرباط تأثير الانسجة الاوربية وكذلك في أزمور التي يرجع تاريخ نماذجها الاسبانية الايطالية الى القرن العاشر الهجري (مجلة هسبريس ج 21 عام 1935) .

ويوجد بفاس تطريز علجي الأصل ادخلته الى المغرب النساء التركيات أو الجركسيات اللواتي تسرى بهن أهل فاس أما التطريز التطواني فهو من اصل بلقاني .

وقد كتب بجدران المصرية (1) المطلة على الرياض :

باكر لدي من السرور كؤوسا وارض النديم اهلة وشموسا

وكان هذا الاطار العمراني الرائق مسرحا لحفلات شعبية بمناسبة حفلات كذكرى المولد النبوي يجري خلالها اعذار ابناء الفقراء ويتبارى الشماعون فى تطريز شموع « يحملها صحانون — كما يقول الفشتالي فى مناهل الصفا — محترفون بحمل خدور العراش عند الزفاف » وهي على رؤوسهم كالعذاري تتبعها الاطبال والأبواق وأصحاب المعازف والملاهي حتى تستوي على منصات بالديوان الشريف حيث يقعد السلطان على اريكته وعليه حلة البياض شعار الدولة وأمامه شموع من بيض كالدمي وحمر جليت فى ملابس ارجوان وخضر سندسية فى حسك ومباخر ترنم خلالها نوبات منشدي المولديات واشعار الصوفية وتتلى قصائد شعراء الدولة بغزلها ونسيبها ومديحها للرسول عليه السلام وللسلطان وولي عهده فى تراتيب يتقدمها قاضي الجماعة ثم الامام المفتى ثم الوزير ثم الكتاب المخزنيون ويختم الحفل بنشر « خوان الأطعمة والموائد ، وتوزيع الأعطيات » وكأن هذه القصور الباذخة فى فرشها الحريرية ونمارقها المصطفة واستارها وكللها وحجالها المخوصة بالذهب وحائطياتها ووصفانها واعلاجها بأتبيتهم المخوصة ومناطقهم المرصعة وحزمهم المذهبة — صور حية لفخفخة استمرت معالمها فى القرن العشرين فى بلاط الملوك العلويين وتصور الاثرياء حيث استعيض عن القصاع المالقية والبلنسية المذهبة وعن الأواني التركية والهندية والطسوت والاباريق والصحاف ومباخر العنبر والعود الشرقية بأوعية لا تقل روعة قد جلبت من مختلف أنحاء الدنيا شرقا وغربا لتضفي هالة من الجمال والسناء على محافل نشرت فيها كالماضي اغصان الريحان الغض وماء الزهر والورد. كما استبدلت بنوبات المنشدين نوبات الموسيقى الاندلسية الرائعة التي تسحر الألباب بنغماتها المشجية وتلاحينها الأخاذة والوانها الخمسة والخمسين وتوشيحاتها التي تردد فى حنان وخشوع على السنة الخاصة والعامة لتسهم فى تحريك نبرات القلوب وتوعية الروح وتاجيج الشعور وتوفير الثراء اللغوي فى الدارجة والفصحى على السواء فكم من تعابير تخللت الألحان كانت ارسخ فى البواطن وأملك للوعي وكم من اغنيات ساحرة رددها الرضيع فى حبوه وربة الخدر فى حجلتها كان اثرها أوقع فى النفس ولفظها أعلق باللسان من كل قصيد يلقن فى الكتاب او درس لغوي يلقى فى حلقات العلم .

---

1) المصرية اي الغرفة الواقعة فى طبقة عليا (العلية بالفصحى) ولعل لوجود طبقات فى الأبنية منذ القديم بمصر أثرا فى هذه التسمية .

واذا كان عهد السعديين قد نضدت معالمه بالزخارف المعمارية والروائـــع الاجتماعية فان عهد العلويين الذي أقيمت فيه نفس القصور والبساتين مثل دار الهناء والدار البيضاء والصالحة والزاهرة وجنان رضوان وأجدال بنفس البذخ قد اتجه الى دعم الكيان بالقصبات والقلاع ومن أروع ما يبدهك فى قصر من هذه القصور كقصر الرياض بمكناس عاصمة المولى اسماعيل جمعه بين فخفخة البلاطات الملكية وضخامة التحصينات بأبراجها ومدافعها ازاء البرك الفياضة للتمرين والانبساط معا فى فلكها وزوارقها وكانت أهراء القصر تضم اثني عشـــر الفا من خيل الجهـــاد وعشـــرات المستودعات زاخرة بمؤن تكفل للبلاد اكتفاء ذاتيا وميزانا تجاريا متوازيا وقد بدانـــا بالرغم عن أصالة اللغة العربية بالمغرب نسمع فى معماريات العلويين وعمرانياتهم مصطلحات جديدة فيها الكثير من الدخيل كالقنانيط (أي الهياكل) المقبوة فى الأهراء والاصطبـــلات المسقفة بالبرشلة (وهي نـــوع من الروافـــد والعـــوارض pignon وسواني الماء الدائرة (أي النواعير المائية) والقراميد علاوة على المولدات العسكرية والـــدبلوماسيـــة واتخـــاذ الأشبـــار (أي حفـــر الخنـــادق الحـــربيـــة) وصنع البارود الكور والبنـــب (أي القنابـــل والتذائـــف) ونصـــب المهـــاريـــس والكـــراريـــص (أي المدافـــع المجـــرورة والضـــوبلـــي) لتحـــريـــر الثغور المحتلة وبعث الباشدورات الى طواغية (جمع طاغية) الاصبنيول أو البرتغال أو النجليز « لاحكام الصلح » ومفاداة الأسرى البلوط بالبلوط واليكانجي باليكانجـــي والبحري بالبحري دعما للطبجية (أي المدفعية) والبحرية المغربية بغلائطها (سفنها الحربية) وفراكطها (أي حراقاتها) ومراكبها الترصانية ودخلت الى المعجم المغربي بجانب ذلك عشرات المفردات مثل الكشينة (1) والباصبورط (الجواز) والطنبـــور والكرنتينة (المحجر الصحي) والمحلة (أي المعسكر) وصاكة الأعشار (أي رسومها) وصقالة (أي برج) والتوافل (الرماح) وتفرقع البونب (ي انفجار القنابـــل) والبستيون (2) وأنواع النقود كالبندقي فى اربعين اوقية من الذهب والضبلـــون (doublon) فى اثنين وثلاثين من الريال (الريال real فيه عشرون أوقية) والبسيطة (خمس أواق) والموزونة (ربع الدرهم الرباعي اي نصف القـــرش)

---

1) راجع النفحة المسكية فى السفارة التركية لعلي بن محمد التامجروتي .

2) ظهرت هذه الكلمة منذ السعديين وقد استعمل الناصري فى تاريخ المغرب هذه المصطلحات التي بدا يستعملها آنذاك سلفه من المؤرخين وقد استعـــرض الناصري (ص 224) النظام العسكري عند الاتراك فلاحظ أن اهم ما يمتازون به هو العزوف عن العادات الاجنبية والمصطلحات العجمية حيث « عمت المصيبة فى عسكر المسلمين بالتخلق بخلق العجم واذا كان اصل العمل مأخوذا عن العجم فليجتهد المعلم الحاذق فى تعريبه » . (راجع الاستقصا الجزء الرابع)

والسنجق (1) وبقسماط (بسكويت) وكل تلك مظاهر للعجمة التي بـدأ المجتمـع المغربي يتسم بها حيث « اتخذ ذوو اليسـار ـــ كما يقول الناصري المراكب الفارهة والكسي الرفيعة والذخائر النفيسـة وتأنقوا فى البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع لاسيما بفاس ورباط الفتح ولاحت على الناس سمة الحضارة الاعجمية » التـي تعززت مع ذلك بمقتبسات غربية صالحة مثل فابريكة (أي مصنع) السكر وفابريكة تزديج البارود بمراكش وبرج الفنار (لتوجيه السفن فى البحر) باشقار قرب طنجة وبابور البر (القطار الحديدي) والتلغراف الى غير ذلك وهكذا بدات تتجلى فى الأفق المغربي على عتبة القرن العشرين مصطلحات استعملها المغرب فى قالبها الافرنجي دون تعديل وقد تحدثنا فى كتابنا « تطور الفكر واللغة .. » (ص 161) عن ظهور هذا الدخيـل خـلال الحمايـة وبعـد الاستقـلال فأوضحنـا كيـف تمـت وحـدة نسبيـة بـين جناحـي العروبـة عندمـا ظهـرت الصحـافـة المغربيـة واشرابت الأعناق الى ما يرد من الشرق العربي وخاصة من الشام ومصر حيـث انبثقت حضارة طريفة ضمت الى جوهر الاسلام ومعطياته جوانب من الفكر الغربي الحديـث

1) الاستقصا ج 4 ص 233 يصف الوضع بالمغرب عام 1290 هـ وقد شـارك الصانع المغربي فى معرض باريس عام 1285 هـ (أي فى عهد نابليون الثالث) بنماذج من انتاجه كالسروج المذهبة والمناطق المزخرفة والقطائف المنمقـة والزليج الفاسي والمعلمين الذين يباشرون ترصيفه .

رواحات الفصحى...

لقد كان لكثير من القبائل العربية التي دخلت المغرب لهجات محرفة عن لهجة قريش التي نزل بها القرآن ولكن تطورها اللغوي لم يخرج عن النطاق العادي في تبادل التأثير بين الفصيح والعامي ، لان المغرب ظل بعيدا عن التأثيرات الفارسية والرومية والتركية ، وعاش في اطار مقفل طوال قرون تمكن خلالها من الحفاظ على كثير من معطياته اللغوية ، فكان الخلاف اقل بين الفصيح والعامي ، ويتجلى ذلك في المصطلحات المستعملة في كثير من مرافق الحياة ، ولعل ابرز مظهر لعراقة المحتد العربي في قبيلة أو اقليم يتجلى في صفاء لسانها ، وقد ارتكز ابن خلدون لتحقيق الارومة على عنصرين هما : الموطن والعجمة (التاريخ ج. 6 ص. 96) وان كان الموقع الجغرافي لا يمثل في نظرنا عاملا جوهريا لامكانية الهجرة في فترات سالفة .

ومن الصعب ان نميز بعد التفاعل اللغوي الناتج عن ارتباط الاقاليم بين ما جد وما تلد في هذه اللهجة ، غير اننا اذا قارنا بين المصطلحات المستعملة في هذه القبيلة والتي تتبع المستعرب الفرنسي لوبينياك عام 1916 الكثير منها في كتابه « نصوص عربية في زعير » (طبعة باريس 1952) لمسنا مدى الصفاء الملحوظ في الكثير من الكلمات التي درجت على السنة العامة من اهل زعير مما لا نجد له مثيلا الا عند القبائل التي لا يتطرق الشك الى عروبتها كالشاوية ، وقد اشار كثير ممن درس انساب الفصائل السلالية المغربية الى ان القبائل الرحالة في سهول المغرب الغربية واقاليم عبدة ودكالة والشاوية وشرقا بالحدود الجزائرية ما زالت تحتفظ بعروبتها الاصيلة التي طبعتها منذ الفتوح الاولى ، وقد اثر ذلك حتى في العنصر البربري حيث لوحظ ان عامية القبائلية بالجزائر تشتمل على نحو ثلث الالفاظ العربية (حضارة العرب – كوستاف لوبون – الطبعة الفرنسية ص. 250) ، ولا يخفى ما تتسم به لهجات الاندلس وافريقيا الشمالية من صفاء (1) رغم عدم تقيدها بالهندام الشكلي للفظ (2) ، ورغم الالفاظ البربرية التي تسربت الى الاقاليم العربية نفسها على أن الكثير من الكلمات التي يزعم بعض

(1) تحدث كرد علي عن « عجائب اللهجات » (مجلة مجمع اللغة العربية ج. 7 ص. 128 سنة 1953) فقال: «لعل الدخيل كان نادرا في ارض الاندلس لان الامويين توخوا الوحدة في كل شيء» ، الى ان قال : «وكانت اللهجة الاندلسية من أجمل اللهجات نقلها أهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام ، ولعلها كانت لقربها من الفصحى اشبه بلهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت الفاظا فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام » .

(2) لاحظ فليش H. Fleisch في «المدخل لدراسة اللغات السامية» (ص. 101) ان لهجة المثقفين العامية تقتبس من الفصحى المفردات اللغوية بكيفية خاصة ويعني بذلك انها لا تتقيد كثيرا بالاوزان والصيغ

اللغويين رطانتها يتضح اصلها العربي بعد التحليل فقد نشرت مثلا مجلة مجمع اللغة العربية (ج. 8 ص326 عام 1955) بحثا للاستاذ شارل كونتز خبير لجنة اللهجات حول اثر اللغة العربية فى عربية المغرب اورد فيه نماذج من الصيغ والكلمات الدخيلة التي ترجع الى اصل بربري ، وقد وفق الاستاذ فى طائفة من الكلمات ولكنه لم يتحر فى مقارنة الاصل العربي المحتمل لطائفة اخرى مثل :

1) املوس (الوحل) الذي تمكن مقارنته باللفظ العربي (الملس) وخاصة الملص بمعنى الزلق اذ اعظم خاصية فى الوحل انه مدعاة للزلق .

2) داليس (الخيزران) Bambou تقارن بالدلس وهو نبت يورق آخر الصيف ، ومعروف ان الخيزران لا يترعرع الا فى الحرارة وفيه عشرات الانواع .

3) المازوزي (الاخير من النتاج) ويظهر انه مشتق من مزز الفصحى حيث يقال فعلته على مزز اى على مهل فالمازوزي ياتي متاخرا كانه يتمهل فى انبثاقه .

4) قطوس (قط) : من مميزات العامية سواء فى المغرب او بعض الاقطار العربية كسوريا ولبنان نقل بعض الصيغ من فعل او فعلل او افعل الى فعلول مثل احمق وحمقوق او جموق وبط (كالبطة فى السمن) وبطبوط وخنفر او مخنفر وخنفور فيمكن القول اذن بأن قط العربية اعطت قطوس العامية .

5) اقراب وهو الخرج او الجراب من القراب (لان اداة التعريف بالبربرية هي الهمزة للمذكر والتاء المتصدرة اى فى اول الكلمة والمتسكعة اى فى آخرها) .

6) ساط بمعنى نفخ ولعلها من ساط الفحم اى خلط بعضه ببعض ليتقد كله اذا كانت النار لم تمس سوى جانب دون آخر والبادية تستعمل الكثير من ذلك كالمسوط للتحريك والنفخ وقد ورد فى المعجم الوسيط ان المسجر هو الخشبة التي تسوط بها الوقود فى التنور .

7) كفس بمعنى لطخ بسواد او فضح اصلها كفس اى اعوج ، والتكفاس بالعامية الاعوجاج الخ . . .

وقد عمدنا دعما للنظرية القائلة بعروبة زعير الى تتبع مدلول اللفظ فى المعاجم العربية القديمة وفى الاستعمال العامي فحررنا لائحة مطولة لهذه الكلمات استخلصناها من معجمنا الكبير الموسوم « الاصول العربية للعامية المغربية » ، وهاكم هذه النماذج مرتبة حسب الحروف الهجائية :

اهلا بك : مرحبا بك ــ كثير من القبائل المغربية وخاصة زعير تقول واهلا بك .

اول امس: البارحة الاولى ــ غالب الحواضر بالمغرب تقول ولبارح اى اول البارح ، واهل البوادي يقولون اول نامس او نامس وخاصة زعير .

بث الخبر او السر نشره ــ (لهجة زعير) ــ (بث)

البريش : المكان الابرش الكثير النبات المختلف الالوان ولعل منه لفظ برنيشة الذي يطلقه عامة قبائل زعير على ارض محروثة .

بفرت السماء : امطرت وقد اقتبسه عامة قبائل زعير للتعبير عن سيلان العرق بعد التعب .

بك الشيء : خرقه وفسخه ــ يقول عامة زعير بك الثوب خرقه ، ويستعمله اهل عبدة فى الجنوب الغربي للمغرب بمعنى ثقب الاناء فهو مبكوك اى مثقوب .

ابلق : فرس ابلق ، اى فى لونه سواد وبياض ، وهو مستعمل بهذا المعنى فى قبائل المغرب وخاصة فى زعير بأرباض عاصمة الرباط .

متبرز : اى فى حالة التغوط ــ (بردوز عند اهل زعير معناه الرجل الذي هو فى حالة وسخة يكون عليها عادة كل من يقضي حاجته) .

تجاوز : عفى يقال داوز (زعير) ودوز فى بعض الحواضر كالرباط .

الجرزة : الحزمة ــ حزمة من العشب او الاوراق فى زعير (اولاد علي) ، وتقلب الى جرجة عند اولاد سعيد .

جائح : من الجائحة اى المصيبة ــ عام جائح مصاب بجائحة ، والجيحة هي الجائحة .

المجبنة : مكان صنع الجبن ــ يستعمل بهذا المعنى فى المغرب ويطلق خاصة فى زعير على معدة الارنب المعدة للتجبين كما يطلقه اهل الشام على كرش الجدي الذي يجمد به اللبن جبنا .

الجابية والخابية : الحوض ــ وتطلقه البادية المغربية وخاصة زعير على الحوض الذي يجبي فيه الماء للابل .

الجران من البعير : مقدم عنقه ــ والجرانة عند زعير هي كبدة حافر الخيل Fourchette والمقصود تعبير اللفظ عن عضو لدى البهيمة .

الجرو : ولد الكلب ، (الجرو فى معظم البوادي المغربيـــة) .

الجراية : المرتب اليومي ـ الجرية العمل اليومي فى زعيـــر .

الجراية : الجاري . من الوظائف ـ الجراية فى زعير المراة تستخدم فى كل شيء ـ والمعنى المشترك بين الكلمتين هو العمل والوظيفة .

الجعف : قوت لا فضل فيه ـ والجعف فى زعير الشخص الذي يسيء الضيافة ، والمجوعف فى الشاوية اللئيم ـ والمعنى المشترك هو عدم الكفاية فى القوت .

الجعفر : النهر ـ الجعفر فى زعير الارض الوعرة الصعبة المسلك ، ووجه الشبه هو ان جفاف الانهار فى الصيف يكشف عن ارض وعرة قد نخرها الماء فأبرز فيها نتوءا .

جفل البعير : نفر (جفل فى البادية وبعض الحواضر)

جلل الفرس : البسه الجل وهو للدابة كالثوب للانسان ـ جلل الفرس فى زعير معناه غطى ظهره ، ويسمى الجل بالجلال .

الجليد : ما يجمد على الارض من الماء ـ الجليد (زعيـــر) .

جم الماء : اجتمع بكثرة ـ جم الماء فى زعير معناه نبع ـ والجامة : الارض المتروكة Terre en jachère ومعنى الترك لفائدة ملحوظ فى مادة جم . ومنها جم الفرس ترك ولم يركب . واجم الماء تركه يجتمـــع ، واجم البئر تركها حتى تمتلىء ماء .

جن الرجل : اصيب فى عقله ـ تجن فى زعيـــر وتجنن فى الحواضر وبعض البوادي .

جهز : جهز بنته لزفانها ـ جهج فى زعير ومنه الجهاج ، اى الجهاز . ويقال فى الشاوية : دهـــز ، وتستعمل عامة اهل الرباط جهز الفصيحة وتقلب الجيم الى قاف معقوفة (كهز) .

الحبارى : طائر اكبر من الدجاج الاهلي واطول عنقا . (الحبار زعير) Outarde

حرن البغل : لم ينقد فهو حرون ـ (حران فى لهجة زعير وغيرها من القبائل المغربية وحتى فى بعض الحواضـــر) .

تحرزت المراة : كانت ذات ورع وتصون ـ وحرز فى لهجة زعير بالغ فى الوقاية والصيانة .

الحرجة : جماعة الغنم والابل ـ وفى لهجة زعير. حارج الجمل ضيق عليه .

تحفز : تجمع وتهيأ للوثوب ـ محفوز عند عامة اهل زعير معناه ، متحفز فى حين ان عامة المـــدن يستعملون اللفظ بمعنى محفوظ ومصون .

الحقف : ما اعوج من الرمل واستطال ـ والحقف عند اهل زعير الارض العالية .

تحضر : صار حضريا ـ تسحضر عند اهـــل زعير وتحضر عند عامة اهل المدن) .

الحصحاص : التراب ، والحصحص : الحجارة ـ (حصحاصة عند زعير ارض حجرية) .

الحلة : المحلة والقوم (الحلة القبيلة عند زعير).

تحلحل : تحرك وتزحزح عن مكانه ـ (تحلحل فى زعير تثاقل فى الحركة) .

الحمرة : لغة فى بوحمرون وهو مرض وبائي يسبب حمى وبقعا حمراء فى الجلد (الحمرة عند زعير) .

حمس اللحم : قلاه ـ والحميسة لغة القلية ـ وعند عامة زعير حمس : طبخ اللحم ، ومنه الحميسة اى لحم مطبوخ بمرق ـ وكذا فى الشاوية العربية الاصل حيث تسمى قدر الطبخ بالحماس .

الحسى : السهل من الارض يستنقع فيه الماء ـ (حاسى فى لهجة زعير معناه ثغرة مـــاء فى مسيـــل الوادي) . وهو مصطلح مشهور فى المغرب العربي ومنه حاسى بيضاء .

الحوة : سواد الى خضرة او حمرة الى ســـواد لغة والوصف احوى ـ وفى زعير سواد الى بيـــاض بخصوص الضأن والمعز (أحوى) .

الحوار : ولد الناقة قبل ان يفصل عنها (الحوار فى زعير) .

الحيقطان او الدراج : (الحيقون عند زعير هو ذكر الحجل) .

اخبارى : مدون اخبار (فى زعير خبايرى) .

استخبر : بحث عن الاخبار (تسخبر فى زعيـــر وحتى فى بعض الحواضر) .

ختل الصياد : مشى قليلا قليلا لئلا يحس الصيد به ـ ختل فى زعير وتختل فى الشاوية .

خفق خفقانا : اضطرب ـ (خفق فى زعير) .

خمخم : نبت له شوك ـ وهو فى زعير عبارة عن اوراق جافة تبنى بها الاخصاص .

استخول : شبه اخواله ـ (تسخول فى زعير) .

تخيل واستخال : تستعمل قبيلة زعير صيغة استفعل مع تحريف فتقول تسخايل فى حين ان عامة الحواضر تقول تخايل .

الداب : ما دب من الحيوان وغلب على ما يركب عليه ـ (الحمار فى لهجة زعير) .

الداح : نقش يلوح به للصبيان يعللون به ، ومنها دوح الصبى هدهده ، والدواح بمعنى المهد (زعير) والدوح (الشاوية) .

الدبر : من كل شيء مؤخره وعقبه ـ (الديبور فى لهجة زعير) .

الدرن : الوسخ ـ (وفى لهجة زعير بعوضة وسخة تكمن تحت جلد البقر) .

دكم : دق ودكمه فى صدره دفعه ـ ودكم فاه او انفه كسره (قارن هذا اللفظ مع دلقم التي لها نفس المدلول فى العامية) ـ والدكوم فى لهجة زعير مطرقة الحداد .

ادلج : سار ليلا ، ودلج فى لهجة زعير مشى وهو يتعثر كمشية الطفل او الحيوان الصغير وهي مقتبسة مجازا لان السير ليلا مظنة التعثر .

دلح : مشى بحمله منقبض الخطو لثقله عليه ـ وفى لهجة زعير ، مشى تائها دون هدف وهي مستعملة ايضا فى ناحية مراكش وقبيلة بزو .

دلح : فرس دلح يختال بصاحبه ولا يتبعه ـ وتدلوح فى لهجة زعير مشى وهو يختال .

المدماجة : العمامة تنطوي اطرافها بعضها على بعض ، والدمجة عند عامة زعير الضفيرة المطوية المدمجة فى بعضها .

دنر الوجه : اشرق وتلألأ كالدينار ، والدينار فى لهجة زعير غرة بيضاء .

ادغم الله فلانا : سود وجهه ادغاما وادغيماما ـ (الدغمومى فى لهجة زعير هو الاسود) .

دغر الرجل : لؤم وساء خلقه ـ (المدغار هو الحمار او البغل اللئيم سيء الخلق)،وكثيرا ما تستعمل وصفا فيقال : حمار مدغار ، وفى بعض الحواضر يقال: حمار مدبار بالباء بدل الغين او داغور بمعنى بليد كالحمار .

دهس المكان : كان سهلا لا يبلغ ان يكون رملا وليس بتراب ولا طين فهو ادهس ـ والدهس فى لهجة زعير تراب لا طيني ولا رملي .

الدهري : الذي طال عمره واتى عليه الدهر ـ (رجل دهري فى لهجة زعير غنبظ ثقيل ساذج) .

دهمه الامر : غشيه ـ دهم هاجم وانقض (زعير)

الارجوحة : يطلق عليها عامة زعير لفظ دحراج من دحرج .

رخل ورخلة : الانثى من اولاد الضأن (رخلة فى زعير) .

الرعونة : الحمق وكثرة الكلام ـ شخص رعواني فى زعير والشاوية اى وضيع من اصل منحط .

الرعاش : رعشة تعتري الانسان من داء يصيبه ـ والرعاش فى زعير رعشة الابقار وهي مرض قاتل يعجل بالموت .

الرف : الثوب الناعم ـ الرفافة فى زعير ثوب تصنع منه حواشي الخيمة .

الرسن : الحبل يجعل فى راس الدابة ـ (الرسن عند زعير)

رشقه بالسهم : رماه ـ (رشق فى زعير) .

الارقط : اسود مشوب بنقط بيض او ابيض مشوب بنقط سوداء ـ ارقط فى زعير ومزرقط فى بعض البوادي والحواضر مثل الرباط .

استراح : وجد الراحة ـ تسراح (زعير) .

رهس الفرس : جعله رهيسا ، والرهصة ما يحصل لحافر الفرس اذا اصابه حجر او نحوه ـ (يقال رهص الفرس فى زعير) .

الزاجل : خشبة كالحلقة تربط فى طرف الحبل ـ تسمى فى زعير الزاجل والحاجل .

زاع الدابة : حرك زمامها لتزيد فى السير ـ زيزع راسه فى زعير حركه .

زفن : رقص ، والزفان الرقاص ـ ويطلق في زعير والشاوية على الراقص والمغني والعازف .

الساري : الذي يسير في الليل ـ ويستعمل في معنى المبكر فيقال : امراة سارية اذا كانت تقوم مبكرة والبكرة في البادية المغربية هي آخر الليل وكذلك السروة والسروية اي الفجر .

سبك الشيء : احسن ترصيفه وتهذيبه ـ مسبوك في زعير معناه متقن النسج .

السربة : القطيع والجماعة من الظباء والخيل ـ ومعناها في زعير عصابة من الخيالة خاصة ، وفي الشاوية جماعة من الخيل .

سحف : كشط ، وسحف الريح السحاب بدده ـ سحف عند اهل زعير معناها بدد وبذر .

سخا النار : سهل اتقادها ، وسخا القدر سهل اتقاد النار تحتها ـ والسخية في الشاوية وزعير الرماد الساخن الملفوف في خرقة للتسخين والعلاج .

سفط : كان طيب النفس ، والسفط وعاء يعبأ فيه الطيب ـ وسفط في لهجة زعير اشترى الطيب ومنه تزوج .

السكاك : الذي يضرب السكة ـ السكاك الصائغ في لهجة زعير .

المسند : ما يسند اليه كالمخدة ـ (المسند بهذا المعنى عند زعير) .

السهب : الوادي ، الفلاة ـ (الشاوية وزعير) .

السير : القدة المستطيلة من الجلد (السير) .

الشرابة عند المولدين : ضمة من خيوط يعلق طرفها الواحد بالطربوش وغيره ويتدلى الآخر وتستعمل بهذا المعنى في بعض انحاء المغرب ، اما في زعير فانها تعني ثوبا يغطي الراس ويتدلى على الظهر .

الشربة : الوادي ـ والشرابة طرف من الوادي لا مخرج له (زعير) .

شرجت كجعفر : نوع من الكوى عند أهل زعير .

الاشخم : الابيض ـ فرس اشخم اذا كان له لون ابيض مشوب بسواد (زعير) ـ وصوفة شخمة وشاة شخمة (الشاوية) .

شنفر : اخرج شفتيه غضبا ومنه الشنفرى ـ يقال : شنفارة في زعير ، والشاوية .

شهل : كان في عينيه شهلة وهي ان يشوب سواد العين زرقة ـ وشهل في زعير ابيض وشاب .

الصرم : الجلد وهو معرب فارسي ، والصرم الخف المنعل ـ اما في زعير فان الصرم والصارمة عبارة عن تطعيم وترخيم بسيور الجلد ، والصارمة عند اهل الشاوية معناها الشكارة وهي كيس كبير من جلد للنقود

الصفاق : الجلد الاسفل الذي يمسك البطن Péritoine ويسمى الصفاقة في زعير .

الاصك : القوى من الناس (الاقوى في زعير) .

الصمام : سداد القارورة ـ الصمامة في زعير قطعة ثوب لتصفية الماء ، والاصل في تسمية المصفاة بالصمام ان قارورة العطر في المغرب تسد بمصفاة من النسيج الابيض الرقيق .

ضمر : هزل (زعير) .

الضنء : الاولاد لا واحد له ـ الضنايا في زعير والمغرب عامة معناها السلالة والعقب .

ضهد : قهر الام من فرط الرضاع ـ قهر (زعير) .

الطبة : القطعة المستطيلة من الثوب وتدل الطبة (بضم الطاء) في زعير على القطعة التي توضع على الثوب .

اطرقت الابل : تبع بعضها بعضا ، واطرق الرجل تزوج ـ وطرق عند زعير وكثير من البوادي بحث عن الانثى .

طرحت الانثى : القت الجنين قبل كماله ، والطرح الجنين السقط ـ وطرح وضع السقط (زعير) . وتستعمل اللفظة في الشاوية لطرح الحيوانات .

الطنب : حبل يشد به سرادق البيت ـ الطنب (زعير) .

عرش البيت : رفع سقفه ، وعرش الكرم ، رفع دواليه ، وعرش الطائر ارتفع ، ويقال في زعير : عرش اذا اقام الخيمة او ارتفع ، ويستعمل اللفظ حتى في الحواضر بمعنى ارتفع . عرش فلان اي انتصب وارتفع راسه ـ ومنه العريش ويكاد يكون شائعا في المغرب .

عرقوب : عصب غليظ فوق العصب ، او طريق في الجبل ـ العرقوب (بالقاف المعقوفة) عصب كذلك او طريق ضيقة في متون الجبل (زعير) .

عرمرم : جيش عرمرم كثيف ـ جيش رمروم (زعير)

اعتذر: تقلب عند زعير الى تسعذر (واصلها استعذر)

العذار : ما سال من اللجام على خــد الفرس ــ العذار (زعير) .

العروة : المقبضة ــ العروة (البادية) .

العجيف : المهزول ــ العاجف (زعير) .

عصم الرجل زوجته رعاها وحفظها ــ عصم (زعير)

معطن : مكان تأوى اليه الابل ــ ومعطن فى زعير ومعظم البوادي المغربية مكان فيه الوحل ، وعطن بــال لان البعير اذا برك فى معطنه بعد ان يروى من المــاء يبول فى تلك الفترة لذلك كانت لوازم العطن من معانيه فى العاميــة .

العكة : زقيق للسمن أصفر من القربة ــ والعكة فى زعير قربة صغيرة من جلد الشاة للعسل .

عكش الشعر : التوى وتلبد ، وعكش النبت كثر والتف ــ عكرش ، التوى على نفسه (زعير ولعل اسم عكراش الواقع فى طريق زعير مستمد من هذا المعنى لالتواء وادي الرمان او ابي رقراق فيه) .

عكرم الليل : سواده ــ وعكرم سرق فى الليل (زعير)

عكاس البعير : حبل يشد به فى خطمه اى راس انفه الى رسغ يده ليذل ــ والعكاس فى زعير حبــل يشد به قرن البقر او الثور لتذليله ، ومنه عكس البعير فهو معكوس ، وتقول العامة فى المغرب تعكس الرجل فهو عكسي اى استعصى كالبعير الذي يحتــاج الى عكاس لتذليله .

عقعق الطائر بصوته : صوت ــ والعقعق طائــر كالغراب يصوت (زعير) .

العقبة : ما يعقب بعد الطعام من حلاوة ــ العقبية (القاف المعقوفة) ما يوكل من الطعام البسيط فى العشي (البادية وخاصة زعير) .

معكف : معوج ، معطف ــ معكوف (زعير) .

تعقل واستعقل : استحضر عقله ــ تسعقل (زعير)

عناق : انثى من اولاد المعز ، وعناق الارض حيوان من فصيلة السنور جارح له خصلة من الشعر الاسود ، (يقول اهل زعير ان خصلة شعر العناق حمراء) .

عنى عناية : قصد ، ومنه عنوة اى قصدا (البادية)

اعتفر : اقتدر وقوى وتعافر بالدارجة بذل جهده للتغلب والتقوى وقد قلبت فى بعض القبائل المغربيــة مثل زعير الى « تفاعر » .

عسلوج : ما لان من قضبان الشجر ، وعسلــج الشجر اخرج عساليجه ــ (عسلوج) .

العواق : الصوت يخرج من بطن الدابة اذا مشت ــ وهي التعويقة (بالقاف المعقوفة) فى البادية وتطلق اليوم حتى على الصوت الخارج من بطن القاطرات ونحوهــا فى البادية والحاضرة .

الغرارة ، الجوالق : وهو العــدل من صوف أو شعر ــ الغرارة مكيال للزرع (زعير) .

الغارب : غارب الفرس كاهله أو من بين الظهــر والسنام ــ الفارب (زعير) .

الغار والمغارة : الكهف ــ المغارة (زعير) .

غاط الحفرة غوطا : حفرها ، والغوط كذلــك المطمئن الواسع من الارض، ومنها غوطة دمشق ــ الغوط حفرة وخليج (زعير) .

غرنيق ، وغرنوق : جمعه غرانيق ــ غرنوق (زعير)

الاغر : الابيض من كل شيء ــ لون اغر صاف غير مشوب (زعير) .

اغدق المطر : كثر قطره ، واغدق العيش اتسع ــ اغدق بالقاف المعقوفة (زعير) .

غدير : قطعة من الماء يتركها السيل ــ غدير ، وغدرة (زعيــر) .

غشي الفرس غشا : كان اغشى اى اشقر ، لان الغشوة بياض الراس دون الجسد ، الغشوة (زعير) .

غضا غضوا : كان فى نعمة وحسن حال ، فهو غاض وهي غاضية ــ امراة غضوية كانت سبب النعمة (زعير)

غضف العيش: كان ناعما ــ عيش اغضف ناعم (زعير)

غل غلولا : خان ــ الغلول الخيانة (زعير) .

غمر صدره : غل : اى كان ذا غش او ضغن وحقد، والغمر : الجاهل الحقود ــ الغمار اليهود فى زعير لانهم يبطنون الحقد والضغينة لمن عداهم .

الغمد : جفن السيف ــ الغمد (زعير) .

الغفر ، والغفار : شعر كالزغب يكون على العنــق واللحيين ، والقفا ونحوها ــ الغفر والغوفارة شعــر

اشعث (زعير) ، ويقال غوفالة فى بعض الحواضر مثل الربـــاط .

غاول : اسرع فى السير ــ غاول اسرع ، وهــي لا تستعمل الا كفعل امر (زعير) .

الغوغاء : السفلة من الناس والمتسرعون الى الشر ــ غوغ تمرد ، والغوغاء الضجة (زعير وكثير من القبائل والحواضر مثل الرباط) .

فتخ : استرخت مفاصله ولانت وضعفت فهو افتخ فتخ رطب ولان (زعير) .

افج : سلك الفجاج ــ فج عند زعير سلك الفــج وهو الطريق الواسع .

انفرك : تكسر فى مشيته ــ افرك مشى متباعد القدمين (زعير) فركح (الرباط) .

افرك السنبل : صار فريكا حين يصلح ان يفرك فيوكل ــ فركت السبولة فهي فريك بدا نضجها (زعير)

فدفد: عدا هاربا ــ فدفد عدا او طار ونزل بالقرب (زعيــــر) .

فدر الفحل : فتر وانقطع وجفل عن الضراب وعدل، وربما كان ذلك من مرض ــ والفدر فى زعيــر مــرض يصيب البقر والمعز .

فص الجرح فصيصا : سال بما فيه ــ فص الجرح انفتح (زعير) .

نقع : اشتد لونه، وانقع ساءت حالته ــ فقع اشتد غضبه (زعير) ــ تفقع (بالقاف المعقوفة) (الرباط) .

الفل : الثلمة (زعير)

فلجة : تباعد ما بين الاسنان.ــ والمفلج صاحــب الاسنان المتباعدة ــ الفلجة والمفلج (زعير والربــــاط واقاليم اخرى) .

الفليجة : شقة من شقق الخباء ــ الفليجة (زعير).

فنن وفن النبات اذا برعم من الفنن : وهو الغصن، فنن (زعير) .

الفهة الغفلة : فها العقل غاب (زعير) . فاه فهو فايه (الرباط) .

قبضة : ما يقبض ويمسك ــ قضبة بتقديم الضاد على الباء (زعير) .

القبعــــة : طائـــــر صغيــــر قبـــــع (او قوبـــــع طائر يكون فى الحقول (زعير) .

القبس : شعلة النار ــ القبس (زعير) .

قتب البعير : رحله ــ القتب (زعير) .

قرس الماء : جمد من البرد ومنه برد قارس ــ قرس (زعير وكثير من الحواضر والبوادي) .

قرقرت الحمامة : رددت صوتها ــ القربقر بالقاف المعقوفة ، الجماعة تقرقر (زعير) .

القرش : ما يجمع من هنا وهناك فهو عبارة عن المحمول لا الحامل ــ ولكن القرش فى زعيـــر معنـــاه التليس اى المخلاة تجمع فيها الحبوب .

القراد : دويبة تعلق بالبعير وهي كالقمل للانسان، القراد (زعير) .

قرح الفرس : صار قارحا اى شق نابه وطلع وهو مظهر للطعن فى السن ــ قرح الجمل طعن الجمــل فى السن (زعير) .

تقدت الدابة : مشت وسط الطريق ــ تقدى مشى الخيلاء (زعير) ولا شك ان السير وسط الطريق دون مبالاة يكون فى كثير من الاحايين مظهـــرا للخيــــلاء والاعتداد بالنفس) .

القطن : موضع الاقامة ــ قيطنة (زعير) ــ(القيطون خيمة يقطن فيها) .

قطب الرحى : محورها ــ قطب (زعير) .

تطقطت الحجلة : صوتت ــ وقطقطت الدجاجة نادت افراخها (زعير) .

مقطع النهر : معبره ــ مقطع .

قلز بسهمه : رمى به ــ قلزه ضربه (زعير).

قمطه : البسه القماط وهي اثواب الرضيع ــ قمط (زعير) .

قمقم ما على المائدة : تتبع ما عليها فاكله ــ قمقم (زعير) .

قعب الحافر : كان مقببا ــ القعب الظهر البارز المقوس (زعير) .

قعقع البعير : صوت ــ قعقع (زعير) .

قعصه الفرس : اسقطه ، وقعصت الشاة اصابها القعاص وهو داء في الصدر كأنه يكسر العنق ـ قعص الفارس سقط من الوراء (زعير) .

القش : ما يكنس من المنازل ـ القش الكنس(زعير)

القواء : الارض التي لم تمطر ـ العـــام القاوي بالقاف المعقوفة الجاف الذي لا مطر فيه (زعير) .

القيدوم : مقدم الوجه أو اللحية ـ القادوم(زعير) القويدمة بالقاف المعقوفة (الرباط) .

الكتكاك : الكثير الكلام يسرعه ويتبع بعضه بعضا ، كتكت دعا الدواجن وكلمها (زعير) .

مكربس : رجل مكربس الراس مجتمعه ـ الكربس القبعة (زعير) .

الكردوس : فقرة من فقر الكاهل وتكردس اجتمع بعضه الى بعض ـ المكردس من لا يظهر كردوسه من السمن (زعير) ولعل تكردغ التي لها نفس المعنى محرفة من تكردس (الرباط) .

الكركرة : الجماعة من الناس ، والكراكر ايضــا كراديس الخيل ـ الكركور مجموعة من الحجر والبطيخ ونحوهما ـ والكركرة ايضا صدر كــل ذي خف من البهائم ، (وتطلق في زعير على قسم من صدر الجمــل يعتمد به على الارض اذا برك) .

كنس : شطب ـ تقلب في زعير والشاوية فيقال : نكس بتقديم النون .

الكنة : امراة الابن او الاخ ـ الكنة (زعير) .

كعبرة : كل شيء مجتمع ، وكعبــورة معناهــا المجتمع ـ كعبورة كل شيء مجتمع (زعير) .

الكعل : الفني البخيل ، والكعل الرجل القصير الاسود ـ المكعول المنحوس من النحس (الربــاط) ، المكعول لقب لليهود وهو عبارة عن كل وصف ذميــم يوصف به الرجل (زعير) .

كف رجله : عصبها ـ كف الشيء جمعه وضمــه (زعير) .

كفاف الثوب : موضع كفه اى خياطة حاشيته خياطة ثانية ـ الكفافة ما يثنى ويخاط في طرف الثوب (زعير) .

الكسر : جانب البيت او الشقة السفلى من الخباء او ما تكسر وتثنى على الارض منها ـ ويطلق في زعير على ثوب يبطن به جانبا الخباء .

تكوف القوم اجتمعوا واستداروا : ومنها الكوفية وهي منديل يلف على الراس ، والكوفة الرملة المجتمعة المستديرة ـ كوف لف الخيوط في الكفــة الكافــة (زعير) .

التلابيب : فلان آخذ بتلابيب فلان اى ماسكه ، فلان في تلابيب فلان اى بازائه (زعير) .

تلبط الرجل : اضطجع وتمرغ ـ تسلبــط من استلبط (زعير) .

لدن : اى ندى ـ اللدن المطر الرقيق البارد (زعير)

لزه بالرمح : طعنه ، واللزز شدة الخصومــة ـ لزز عرض تعريضا سيئا (زعير) .

اللغدود : لحمة في الحلق ـ اللغدودة (زعير) .

مز الطعم اذا صار مــزا : اى كان بين الحلــو والحامض ـ مز نثر السكر والملح على الطعام (زعير) .

مزز ، فعلته على مزز : اى على مهل ـ المازوزي المحصول الذي ياتي متأخرا كانه يتمهل في انبثاقــه .

مطى يمطي : اذا امتد وطال ـ ماطى وتماطــى (زعير) ـ المطية الدابة تمطى اى تركب (زعير) .

منحه الناقة وكل ذات لبن : جعل له وبرها ولبنها وولدها فهي المنحة ، وناقة ممنح دنا نتاجها ـ منــح شرب لبن غنم ممنوح (زعير) .

المنول : آلة النسيج ـ المنول (زعير) .

تماسى الشيء وتمسى : تقطع ـ تماسى الحليب تقطع (زعير) .

مسد الشيء : امر بيده عليه مرا شديدا ـ مسد (زعير) .

المسن : ما يسن به ـ المسن (زعير) .

المشاشة : راس العظم اللين ـ المشاشة عظم متحرك بين الساق والفخذ (زعير) .

مودونة : مؤنث مودون قصير العنق واليدين ضيق المنكبين ـ ولعل منها ميدونة بمعنى قفة مفرطحة ذات جوانب قصيرة .

النباغ والنباغة : الطحين او الهبرية اى القشر الذي يتناثر من الراس ـ النبغة (زعير) .

نتش الشوكة : استخرجها واللحم جذبه قرصا ، ونتشه بالعصا ضربه ضربة بها ، وما نتشت منه شيئا أي ما اصبت ــ نتش ضغط على البندقية لاطلاق النار (زعير) ونيش فى باقي المغرب .

نسف الحب بالمنسف : نفضه وذراه ــ نسف الشيء غربله (زعير) .

انشب الصائد على الصيد بحبالته ــ النشبة المصيدة (زعير) النصبة فى الرباط (يقال نصب الفخ) .

نشرة ، مكتوب ــ نشيرة (زعير) .

نشط : الحبل عقده فهو منشوط ، والانشوطة العقدة فى الحبل يسهل حلها ــ النشاط الحبل من الصوف يستعمل فى شد المنسج (زعير

انصل الشيء من الشيء : اخرجه ــ نصل الشعر نتفه (زعير) .

النعرة : ذبابة تسقط على الدواب فتوذيها ــ النعرة (زعير) .

النفطة : بثرة تخرج باليد من العمل ــ النفطة (زعير)

نقع : روى من الماء والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء ــ النقيع بالقاف المعقوفة اقدام الرجل فى الوحل المخلوط بالماء (زعير) .

النكتة : النقطة السوداء فى الابيض او الوسخ فى المرآة ــ النكتة الوسخ والرجيع (زعير) .

نكع الماشية : جهدها حلبا وهو ان يضرب ضرعها لتدر ــ نكع (زعير) .

تكف عنه : انف منه ــ تكف عليه رفق به واشفق (زعير) .

النمام : الذي يغتاب ــ النمنام (زعير) .

النم : اللمعة من بياض فى سواد او سواد فى بياض ــ النم لمة من الشعر او غيره فى الثوب تزول بالنفش (زعير) .

هتهت : اسرع فى الكلام ــ هتهت (زعير) .

هجع جوعه : كسره ــ هجع شبع (زعير) .

هرع : اسرع فى المشي ــ هرع (زعير) .

الهجهاج : الاحمق الشديد الهدير من الجمال ــ هجهوج ، مضطرب كثير الحركة (زعير) .

هطل المطر : نزل ــ هطل (زعير) .

هلب : نتف الهلب وهو الشعر وخاصة شعر الذنب ، هلب (زعير) .

هفت الريح : هبت ــ هفت (زعير) .

الهامة : نوع من البوم ــ الهامة (زعير) .

الوبرة : انثى الوبر وهي دويبة كالسنور واصغر منه ــ الوبرة انثى الارنب (زعير) .

وحوح الكلب او الخنزير : صوت ــ وحوح (زعير)

ولع بحقه : فاز به ــ ولع فرض نفسه وربح (زعير)

واقع امراة : وطئها ــ وقع (زعير) .

تنظيرات ومقارنات حول :
فصحى العامية في المغرب والأندلس

اذا استعرضنا **المفردات الاندلسية** التي وصلت الينا محرفة عن اصلها العربي وجدناها **اقرب فى بنيتها وشكلها من دارجة المغرب** فالدخيل فيها قليل وقد تحدث الاستاذ الكبير كرد علي عن «عجائب اللهجات»(1) فقال : « لعل الدخيل كان نادرا فى ارض الاندلس لأن الامويين توخوا الوحدة فى كل شيء » الى ان قال : « وكانت اللهجة الاندلسية من أجمل اللهجات نقلها اهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام **ولعلها كانت لقربها من الفصحى** اشبه بلهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت الفاظا فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام » .

ونريد ان نقصر هنا تنظيراتنا على لهجتي المغرب والاندلس لنلمس من خلال هذه المقارنات كيف **ان لهجة المغرب كانت اقرب الى الفصحى** منذ القرن الرابع الهجري وسيكون مصدر بحثنا كتاب « لحن العوام » للعلامة اللغوي الكبير ابي بكر محمد بن حسن ابن مذحج الزبيدي (316 هـ - 379 هـ) وقد صدر هذا الكتاب (عام 1964) فى سلسلة كتب « لحن العامة» باشراف الدكتور رمضان عبد التواب استاذ الآداب بجامعة عين شمس .

والزبيدي هذا اشبيلي اندلسي اصله من حمص الشام وهو من تلامذة ابي علي القالي البغدادي فى اللغة والشعر روى عنه كثيرا فى كتابه « لحن العوام » ومن تلامذة الزبيدي اسماعيل بن سيده والد علي ابن سيده المشهور صاحب « المخصص » وقد وصف الزبيدي فى كل من « طبقات ابن شهبة (2 / 37) والوافي بالوفيات (3 / 251) بانه « شيخ اللغة والعربية بالاندلس » كما لقبه الفتح بن خاقان (2) بامام اللغة والاعراب وابن خلكان (3) ب « أوحد عصره فى علم النحو وحفظ اللغة » وهو ايضا فى نظر الثعالبي (4) « احفظ اهل زمانه للاعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر » وقد لخص المقري هذه الانظار كلها بقوله (ق) : هو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق » .

وقد كتب الكثير فى اخطاء العوام والخواص ونجتزىء الآن بذكر أربعة كتب مخطوطة فى دار الكتب المصرية منها :

1) درة الغواص فى اوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (516 هـ) مع تكملتها لابي منصور الجواليقي (540 هـ) .

---

1) مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 128 عام 1953 .
2) مطمح الانفس 53 \ 23 .
3) وفيات الاعيان 1 \ 514 .
4) يتيمة الدهر 1 \ 409 .
5) نفح الطيب 5 \ 24 .

2) رسالة فى أغلاط العوام للسيوطي (911 هـ) مرتبة على حروف المعجم .

3) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه لابن كمال باشا احمد بن سليمان (940 هـ) (معجم رقم 348 لغة) .

4) « تقويم اللسان » لابن الجوزي (597 هـ) وقد نشرنا قسما منه فى العدد السابع من مجلة « اللسان العربي » وصدر كاملا باشراف المجمع العلمي العربي ببغداد كما سبق ان نشرت مجلتنا « اللسان العربي » (العدد الثاني) دراسة حول العامية فى « المغرب والاندلس » استعرضت المصنفات المغربية فى هذا المجال « كانشاد الضوال وارشاد السؤال » (6) ويتضح من مائة مثال اوردها الزبيدي فى كتابه بالنسبة للقرن الرابع الذي هو العصر الفني فى حقب تطور اللغة العربية ــ ان الكثير من الفاظ العامية المغربية اقرب الى اللسان الفصيح ــ بنية وشكلا ــ من الدارجة الاندلسية :

1) يزيم للحديدة التي تكون فى طرف حزام السرج او المنطقة .. والصواب ابزيم (ص 15) .

2) دشيش .. والصواب جشيش (20) .

3) يقولون لواحد الذباب ذبابة .. والصواب ذباب (31) .

4) يقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط بالارض خرشف .. والصواب حرشف (ص 37) .

5) يقولون لشجر يكون فى الجبال عرعار .. والصواب عرعر (ص 48) .

6) يقولون حنن يده .. والصواب حنا يديه (ص 52) وهو المستعمل عندنا بالمغرب الاقصى وبذلك يكون المغرب هنا اقرب الى الفصحى من الاندلس .

7) ويقولون للنبت الذي يصبغ به الثياب فوة (بالفتح) .. والصواب فوة (بالضم) (ص 63) (مثل المغرب) .

8) قرنفل بضم الراء .. والصواب قرنفل (بالفتح) (ص 64) .

9) يقولون فلان مذهول .. والصواب ذاهل (ص 65) وهو المستعمل بالمغرب .

10) ويقولون لواحد الكلى كلوة .. والصواب كلية (ص 67) .

11) ويقولون للظرف الذي يوضع فيه افواه العطر واصناف الحلي حكة .. والصواب حق (ص 68) (حك بالمغرب) .

12) ويقولون مقداف السفينة .. والصواب المجداف (ص 69) .

13) ويقولون حلفة للنبت الذي يتخذ منه الحبال .. والصواب حلفة (بالتحريك) (ص 70) .

14) ويقولون للاناء المتخذ من الصفر سطل .. والصواب سيطل (ص 75) .

15) ويقولون للحديدة التي يقطع بها ويحلق موس ويعودون فيجمعونها امواسا .. والصواب موسى (ص 78) .

16) ويقولون فلان سلف (بتسكين اللام) فلان اذا تزوجا اختين .. والصواب سلف (بكسر اللام) (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 81) .

17) ويقولون لم افعل هذا عاد بمعنى حتى الآن .. والصواب لم افعل هذا بعد (ص 3 8) .

18) ويقولون لريحانة طيبة الريح نعنع (بالفتح) .. والصواب نعنع بضم النونين (ص 87) .

19) ويقولون فلان مخمول .. والصواب الخامل (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 88) .

20) ويقولون سفرجل فيضمون (اي الجيم) .. والصواب سفرجل بالفتح وليس فى الكلام الخماسي الصحيح شيء على مثال فعلل (ص 89) (والفتح الفصيح هو لغة المغرب) .

21) ويقولون للصبرة من الطعام وغيره كدس بالضم .. والصواب كدس (بالفتح) (يسكن بالمغرب) (ص 90) .

22) ويقولون لبعض الاصماغ المجلوبة لوبان (بفتح اللام) .. والصواب لبان (المستعمل بالمغرب) (ص 93) .

23) ويقولون حمص بالتخفيف .. والصواب حمص بالتشديد (كما فى المغرب) (ص 94) .

---

6) سماه السيوطي فى بغية الوعاة ص 82 بلحن العامة .

24) ويقولون لبعض الفؤوس التي يقطع بهـــا الخشب شقور بالشين .. والصواب صاقور (ص 97).

25) ويقولون لضرب من الشجـر دفلـــة .. والصواب دفلى (ص 99) .

626) ويقولون قادوم .. والصواب قدوم (مثل ما فى المغرب) (ص 100) .

27) ويقولون للحية حنـــش فيسكنـــون .. والصواب حنش (بالتحريك) (ص 102) (بفتح النون فى المغـــرب) .

28) ويقولون للبستان الذي يحظر عليه جنان ويجمعونه اجنة .. والصواب جنة يجمع على جنـــان وليس الجنان بواحد (ص 111) .

29) ويقولون لمن يقعد عن المشي والقيام من علة او خلقة مقعد (بالفتح) .. والصواب مقعد بالضم (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 112) .

30) ويقولون للنبت الذي يشبه الخطمى خبيز .. والصواب خباز (ص 115) .

31) ويقولون خلخال بكسر أوله .. والصواب خلخال (بالفتح) (ص 116) (مثل ما فى المغرب) .

32) ويقولون قصعة (بالكسر) لواحد القصاع .. والصواب قصعة بالفتح (ص 117 ص) (مثل المغرب).

33) ويقولون نافق القميص .. والصـــواب نيفـــق (ص 125) .

34) ويقولون للشجر الذي يعصر منه الزفت صنوبر .. والصواب صنوبر على مثل فعولل (ص 132)

35) ويقولون للظرف الذي يقلى فيه الحـــب وغيره مقلاه .. والصواب مقلى بلا هاء (كما فى المغرب) (ص 140) .

366) ويقولون شورة العروس والبيـــت .. والصواب شوار (ص 141) (هو المستعمل فى المغرب) .

37) ويقولون للذي يلاط به البيوت جبس .. والصواب جص (ص 144) (يستعمل المغرب كلمة كص بدل جص بمعنى البلاط المجصص) .

38) ويقولون للذي يلاط به البيوت جير .. والصواب جيار على مثل فعال وهو الصاروج ايضـــا (ص 1455) .

39) ويقولون عند الاستعجال هيا (بالفتـــح) وربما قالوا ايا .. والصواب هيا بالكسر (ص 148) .

40) ويقولون كاغظ بالظاء المعجمة .. والصواب كاغد بالدال غير المعجمة (ص 152) (كاغظ بالطـاء المشالة بالمغرب) .

41) ويقولون صوف موضـــح بالضـــاد .. والصواب موذح بالذال المعجمة (ص 155) (يقـال فى المغرب ليقة (اي صوفة) موذحة بتسكين الذال) .

42) ويقولون لواحد المصران مصرانـــة .. والصواب مصير ثم يجمع على مصران (ص 157) .

43) ويقولون سكرانة يبنونها على سكران .. والصواب سكرى (ص 162) .

44) ويقولون للزئبق زواق .. والصواب زاووق (ص 166) (فى المغرب زاواق) .

45) ويقولون هو مبطول اليد .. والصـــواب مبطل الا أن يكون خرج مخرج مجنون ومزكوم وهـــذا مما يحفظ ولا يقاس عليه (ص 169) .

46) ويقولون صمعة المسجد ويجمعونهـــا على صمع .. والصواب صومعة (ص 171) .

47) ويقولون للمطهرة ميضة .. والصـــواب ميضاة بالهمزة (ص 174) .

48) ويقولون لسام أبرص وزغة فيخففون .. والصواب وزغة (بالتحريك) (ص 179) .

49) ويقولون منكب (بالفتح) الانسان وغيره .. والصواب منكب بالكسر (ص 185) .

50) ويقولون للمدة الخارجة من الجرح قيـــح (بكسر القاف) .. والصواب قيح (بفتح فسكون) (185) .

51) ويقولون لجمع الجداة احدية .. والصواب حداء (ص 189) (احدية للمفرد فى المغرب كما فى الحجاز) (وهي لغة فصيحة) .

52) ويقولون لجماعـــة الصاحب صحـــاب (بالفتح) .. والصواب صحاب (بالكسر) ولا يكـون فعال جمعا مكسرا الا قولهم شباب لجماعة الشبـــاب (ص 191) (وفى المغرب يسكنون الصاد كما هي العادة فى بداية الكلمات غالبا) .

53) ويقولون امراة عروسة فيلحقون الهاء .. والصواب عروس والجمع عرائس (ص 193) (عرايس بالمغـــرب) .

54) ويقولون مخدة للتي توضع تحت الخد .. والصواب مخدة بالكسر وهي اعظـم من المصدغــة (تسكين الميم بالمغرب) (ص 194) .

55) ويقولون جارية عزبا للبكر .. والصـواب عزبة وهي التي لا زوج لها بكرا كانت او ثيبا ورجـل عزب (ص 201) .

56) ويقولون يا غايث المستغيثين .. والصواب يا مغيث (ص 202) (يقال يا غياث فى المغرب بصيغـة المبالغـــة) .

57) ويقولون بنيقة للقطعة من الشقـــة تخاط بجانب القميص والبنيقة لبنة القميص التـــي فيهــا الأزرار (ص 213) والواقع ان البنيقة تطلق كمـا فى التاج على اللبنة والجربان والدخرص كما تطلـــق على زمعة الكرم او السطر من النخل وهو المجاز الذي أخذ به المغاربة عندما اطلقوا البنيقة على قطعة او غرفة من بيت كبير وخاصة على المكتب الرسمـي فى الدوائــر المخزنيـــة .

58) ويقولون نزل اليوم شتــاء كثير يعنـــون المطر وهو يوم شات والشتاء فصل من فصول السنة كالربيع والصيف وليس بواقع على المطر (ص 221).

59) ويقولون للدينار من الذهب مثقال والمثقال زنة الشيء الذي يثقل به ويقال دينار ثاقل اذا كان لا ينقص (ص 221 — 222) .

60) ويقولون لعود الشراع صـــار والصاري الملاخ (ص 224) .

61) ويقولون للتي يعلى بها السقوف القراميد جمع قرمد والقرمد ما طلي به الحائط من جـــص او جيار (ص 224) (ويقولون فى المغرب القرمود لنفس المسمى الاندلسي والقرمود فى اللغة ولد الوعل) وقـد اشار الزبيدي الى ما ذهب اليه يعقوب من ان القرمـد خزف يطبخ وقال انه ليس بصحيح وهو ما اخذ بـــه المغاربة فى العدوتين .

62) ويقولون اسطوان البيت للذي يشرع الى الفناء والاسطوانة السارية (ص 227) .

63) ويقولون للكمثرى اجاص والاجاص ضرب من المشمش (وفى النبات لابي حنيفة الدينـوري ج 5 ص 41 : والاجاص عند اهل الشام الكمثرى ويسمون الاجاص المشمش) ومعلوم ان كلمة انجاص المستعملة فى كل من الشام والمغرب أصلها اجاص وهي تعنـــي فى الحقيقة ما يسمى بالفرنسية prune وهو البرقوق فى مصر او المعروف غلطا بالخوخ فى الشام) .

64) ويقولون سانية للخشب تديره الدابة اذا سنت والسانية هي الدابة بعينها التي تسنو (ص 231) (وتطلق السانية فى المغرب على الجنة التي تسنا) .

65) ويقولون للزق الذي ينفخ به الحداد كير (ص 227) .

66) ويقولون « باع » لاوسع الخطا والباع ما بين طرفي يدي الانسان (ص 238) .

(يلتقي المغرب مع الفصحى فى هذا المفهوم) .

67) ويقولون آرى لمعلف (بكسر الميم) الدابة والآرى الحبل الذي تشد به الدابة (ص 239) ويطلقه المغرب محرفا الى اروى على المعلف (بالفتـــح) اي مكان العلف) .

68) قولهم الوادي للنهر خاصـــة .. والوادي كل بطن مطمئن الارض (ص 240) .

69) ويقولون ريحان للآس خاصة دون سائـر الرياحين والريحان كل نبت طيب الريح (ص 241) .

70) ويقولون لحاف للغطاء الذي يكـون على الاسرة خاصة واللحاف ما التحف به من ثوب (ص 242) (ويطلق فى المغرب على المنجد من السرر) .

71) ويقولون بكرت اليك بمعنى غدوت خاصة .. والبكور التعجل فى جميع اوقات الليل والنهـــار (ص 245) . والواقع ان العرب استعملت البكـــور بمعنى الخروج غدوة كما فى معاجم اللغة وهو بمعنـــى التقدم اي وقت من ليل او نهار من اقوال ابن جنـــي فتكون عامية المغرب والاندلس بذلك فصيحة .

72) ويقولون آرنج ولارنج .. والصواب نارنج (ص 251) .

73) يقولون لضرب من العصافير براطيـــل والبراطيل حجارة مستطيلة واحدها برطيل (ص 262).

74) ويقولون طعام ذو بنة اذا كان ذا طيب ومساغ ، والبنة الرائحة الطيبة يقال شراب ذو بنة اذا كان طيب الريح (ص 263) .

75) ويقولون لواحد الحراب حربة بفتحون الراء .. والصواب حربة بالتخفيف (ص 266) وهو المستعمل بالمغرب) .

76) ويقولون لبعض الحبوب حلبا .. والصواب حلبة (ص 267) .

77) ويقولون لبعض بسط الصوف حنبل والحنبل الفرو عن الشيباني (ص 268) .

78) ويقولون خممت الشيء تخميما اذا قدرته .. والصواب خمنت بالنون من التخمين (ص 271) .

79) ويقولون لما وقي به الحائط من حطب او حشيش زرب والزرب حفرة تحفر مثل البيت يبنى حولها (ص 274) .

80) ويقولون للطائر زرزل باللام .. والصواب زِرزور (ص 274) (كما فى المغرب) .

81) ويقولون زريعة فيشددون .. والصواب زريعة بالتخفيف (ص 274) .

82) ويقولون للذي يعصر من شجر الصنوبر زفت (بالفتح) .. والصواب زفت بالكسر (ص 275) .

83) ويقولون سعوت فى الامر .. والصواب سعيت فى الأمر (ص 276) (كما فى المغرب) .

84) ويقولون للحبل الذي يربط بـه الدابة طوال .. والصواب طول (ص 282) .

85) ويقولون عوش الطائر .. والصواب عش (ص 284) (كما فى المغرب) .

86) ويقولون للذي ينخل به الحنطة غربال .. والصواب مغربل (ص 284) .

87) ويقولون لجمع القسط قطاطيس .. والصواب قطط (ص 287) (قطوط بالمغرب) (القطوس هو القط بالبربرية) .

88) ويقولون قليع المركب ويجمعونه على قلوع .. والصواب قلاع وجمعه قلوع (ص 287) (كما فى المغرب) .

89) ويقولون للبيت الذي بجانب البيت المسكون قيطون .. والقيطون الذي يكون فى جوف البيت يتخذ للنساء (ص 288) .

90) ويقولون لجمع الكرم كرمات .. والصواب كروم (ص 289) .

91) ويقولون كرع الشاة .. والصواب كراع (ص 290) كما فى المغرب) .

92) ويقولون للخجر المطبوخ لاجور .. والصواب آجر وآجور (ص 292) .

93) ويقولون لقة المداد فيشددون .. والصواب ليقة (ص 293) (كما فى المغرب) .

94) ويقولون للذي يصيبه البلاء مجذام والمجذام النافذ فى الامور الماضي (ص 294) .

95) ويقولون مرقة بالتخفيف .. والصواب مرقة ومرق للجمع (ص 294) .

96) ويقولون المكنى بأبي فلان .. والصواب المكني بفتح الميم (ص 297) كما فى المغرب (المكني بفتح الكاف وكسر النون مع تشديدها) .

97) ويقولون لجمع الماء مياة بالتاء .. والصواب امواه للجمع الاقل ومياه للكثير (ص 298) . (مياه فى المغرب) .

98) ويقولون امراة نفيسة .. والصواب نفساء (ص 298) .

99) ويقولون لبيت الطعام هري (بكسر الراء) .. والصواب هري (بتسكينها) (ص 299) .

100) ويقولون لكف الانسان الى معصمه يد واليد إسم جامع للاصابع والكف والدراع والعضد (ص 301) .

ومن هذه الامثلة المائة يتضح ان **علمية المغرب اقرب الى الفصحى من عامية الاندلس بواحد وثلاثين فى المائة (حيث ان 31 كلمة مشتركة من بين مائة تتخذ فى المغرب بنية عربية فصيحة فى حين ان المائة كلمة الاندلسية كلها بعيدة عن الفصحى)** .

مظاهر الوحدة والاختلاف
في عاميات المغرب والشام

لقد حاول بعض العلماء منذ عقود من السنين تفصيح بعض اللهجات العامية مثل الاستاذ عبد القادر المغربي فلم يصادفوا كبير نجاح ولعل ذلك راجع الى عدم اتخـــاذ مسطرة منطقية فعالة جماعية مصادق عليها من مجموع الدول العربية لمواجهة الفروق المختلفة الناتجة عن تشعب القواعد العامية تبعا لاختلاف التأثيرات القبلية العربية أو التأثيرات اللغوية الدخيلة .

ونجدد الآن هذه المحاولة ضمن سلسلة من الابحاث لمقارنة العاميات فى العالم العربي تمهيدا للعمل على تقريبها ، وقد بدأنا بهذه الدراسة حول مظاهر الوحدة والاختلاف فى أصول الاشتقاقات اللغوية عند عامة المغرب والشام ، والحقنا ذلك بمعجـــم صغيـــر للمصطلحات الموحدة فى العاميتين وقد تلقينا من عميد الادب العربي الاستاذ الكبيـــر الدكتور طه حسين رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة رسالة رقيقة يشجعنا فيها على ما شرعنا فيه «من تأليف كتاب حول أصول اللهجة المغربية ومقارنتها ببعض اللهجات الشرقية» قائلا : «ما احوج المكتبة العربية والدراسات اللغوية الى هذا التأليف» . كما اكد لنا المرحوم الاستاذ امين الخولي بهذا الصدد «ان تفصيح العامية وتقريبها بين الدول العربية هو أنجع الاعمال فى احياء الفصحى ونصرها فى صراعها مع العامية » .

تحويـــل الحـــروف

مظاهـــر الوحدة (1) :

1) سقوط الهمزة الإبتدائية فى الافعال مثل ارم (رم) واضرب (ضرب) وانتقل (نتقل) واستعمل (ستعمل) وأعان (عان) واطاع (طاع) وافاق (فاق) .

وكذلك الهمزة فى وسط الكلمة وآخرها مثل راس (راس) وبئر (بير) ومؤنة (مونة) وبريء (بري) وضـــوء (ضو) ووضوء (وضو) ودفيء (دفى) وملآن (مليـــان)

(1) اقتبسنا كثيرا مما يتصل بالشام من « غرائب اللهجة اللبنانية السورية» للأب رفائيل نخلة ، وهوامش «متن اللغة» للشيخ احمد رضا عضو المجمع العلمي العربي بدمشق حيث توجد مئات الالفاظ العاميـــة الشامية و « قاموس العوام » لحليم دبوس وغير ذلك، وفى «هسبريس» (النصف الأخير لعام 1955) لاحظ لوى برونو فى تحليله لكتاب حول اللهجة العامية فى طرابلس الشام (صدر بباريس عام 1954) ان اللهجـــة الطرابلسية اللبنانية اقرب الى الفصحى من المغربية لان هذه تترك باب القياس مفتوحا على مصراعيه ولها نزوع الى التسهيل والتبسيط وحذف ما ليس له فائدة محققة بالنسبة للتعبير عن الفكر والعاطفة وهي نظرية لها ما يؤيدها وان كان فى العامية المغربية ما يشهد لها ايضا بهذه الاصالة كما سنرى خلال هـــذا العـــرض .

ومروءة (مروة) وخطيئة (خطية) وقــراءة (قرايــة) ومصائب (مصايب) .

2) اضافة ياء فى مثل دواة (دوايا)

3) اسقاط تاء التانيث مكتبة (مكتبه) وتحول الثاء الى تاء (تور وتمانية) وكذلك الذال الى دال (داب) ونيابة السين عن الشين او العكس (ويلاحظ فى الشام تأثير الارامية وابدال الظاء ضادا (ظهر ــ ضهــر) أو القاف همزة عند اكثر اهالي لبنان وسوريا (وهذه فى المغرب نتيجة آفة لسانية بالنسبة الى القاف والكاف معـــا) .

والواو المتطرفة تنقلب الى ضمة بعد حرف ساكن فى اللهجتين مثل دلو (دلو) مع فارق بسيط هو اسكان الحرف الاول فى العامية المغربية .

وتتحول الواو الساكنة بعد فتحة الى حرف مثل توفيق (بضم التاء) بدل توفيق ، كما تتحول الواو فىمضارع الافعال الثلاثية المنتهى ماضيها بالف طويلــة الى ألف وياء عند عامة المغرب وسوريا : بيسخا (يسخــو) (بيدعو يدعو) مع انعدام الباء فى اللهجة المغربيــة ، ويظهر ان وجودها فى بعض اللهجات الشرقية راجــع لنحت كلمة بيسخا مثلا من بدأ يسخو (1) .

كما ان الياء المتطرفة تنقلب فى اللفظ الى كسرة بعد حرف ساكن مثل مشى تلفظ مش مع تسكيــن الحرف الاول فى المغرب وزيادة لام التعريف فيقــال لمش (ولبنى الخ) .

والياء المتطرفة يزول تشديدها فى اللهجتين : غنــي (غنــي) .

مظاهـــر الاختـــلاف :

1 ــ تحتفظ العامية المغربية بالهمزة فى بعض الاحوال مثل ابليس وامير وابريق بينما تسقـــط فى سوريا ولبنان فيقال بدل امير (مير) وابليس (بليــس) أو (ببليس) فى المغرب وابريق (بريق) .

2 ــ تتحول التاء فى الشام الى سين (مثل حديس وخبيس ومؤنس بدل حديث وخبيث ومؤنث) (بينما تنقلب الى تاء فى المغرب) ، كما تبدل الذال زايا فى الشام (ذوق ــ زوق ــ وكذب ــ كزب واذا ــ ازا) ، وقد اثرت التركية فى نقل الضاد الى ظاء او زاي (مزبوط وفايظ) فى حين يحتفظ اللفظ الدارج المغربي بأصالته العربية لعدم تأثير اللسان التركي فى الحضارة المغربية . وتنوب الغين مناب الجيم الارامية فى الشام مثل غدف بدل جدف (من قدف الارامية Godef) فى حيـــن تقلب بالمغرب قافا فى هذه الحالة (قدف) وهي اقرب هنا الى الارامية رغم عدم تأثر المغرب بهذه اللهجة نظرا لكون المغرب اقتبسها مباشرة من الفصحى (2) .

وتتحول الميم فى سوريا ولبنان نتيجة للتأثيـــر الارامي كذلك الى نون فى آخر الضمير المتصل فى جمع المخاطب والغائب المذكرين مثل ضربكـن بـــدل ضربكم وضربن عوض ضربهم ، وتسقط الهاء من الضمير المتصل للغائب والغائبة فى حالتي الافراد والجمـــع ضربو (ضربه) وضربا (ضربها) وضربن (ضربهــم أو ضربهن) بينما لا تسقط فى اللهجة المغربيـــة الا فى الحالة الاولى (ضربو ــ ضربها) .

---

(1) العامية المغربية تزيد الكاف أو التاء فتقول تياكل او كياكل كما تزيد العامية المصرية الحاء فتقول حاياكل (أي رايح ياكل) ، ولعل الحرفين الزائدين وهما التاء والكاف فى العامية المغربية من أدوات الخطــاب وهما انت وانك كاننا نستشهد المستمع على مــا يفعل الشخص المتحدثعنه فنقول:انت تراه ياكلوانت تراك تاكل وانك تراه ياكل وانك تراك تاكل فاختصر الخطاب فى الحرفين الاخيرين وتزيد العامة أحيانا الغين فتقول غاياكل ولعل اصلها راء (راياكل) اى رآه ياكل بمعنى رآه وتراه او يراه ياكل ، وتدخل بعض اللغات السامية ، كالفارسية الباء على الاسماء فتقول بيمارستان بدل مارستان ويقال بأن اصل الباء بيت .

(2) اكد دوزي فى مقدمة مستدركه على المعاجم العربيةان العربية الفصحى هي أساس اللهجة المتفرعة عنها بينما زعم برونو (هسبيريس 1949ــالمجلدان الثالث والرابع ص 7) فى خصوص المغرب ان اللهجات الحضرية واقل منها اللهجات البدويةــلم تقتبس ما يستحقالذكر من العربية الفصحى قبل الحماية الفرنسية ، ولا يخفى ما فى هذا الادعاء من التهافت الرخيص .

قلـــب الحركـــات او الغاؤهـــا

عناصـــر الوحـــدة :

تتحول الضمة الى فتحة فى اكثر الاسماء الخماسية غير المشتقة (عربون — جمهور — صعلوك) كما تتحول الكسرة الى فتحة فى وزني فعيل وفعليل (بطيخ وقنديل ومسكين) واسماء الآلة على وزني مفعل ومفعلة (مبرد ومروحة ومحفظة) اما فى اول مصدر وزن افعل المشتق من فعل ثلاثي اجوف (اراده واماته) فان اللهجة المغربية تحتفظ بالصيغة الفصحى .

وتحذف حركة اول حرف من الكلمة اذا كان الحرف الثاني متحركا وبعده سكون او حرف مـــد : تزحلـــق وتكسر وتنزه — كتاب — فطور (اللهـــم الا فى بعـــض الحالات حيث تحتفظ الدارجة المغربية بالحركة الاصيلة مثل كنيسة) .

كما تحذف الحركة فى وسط الكلمة مثل يضربو — تكتبي وكذلك حركات الاعراب آخر حرف الكلمة عدا فتحتي التنوين احيانا مثل (دائما وابدا — تقريبا وعموما وخصوصا — طبعا — حقيقة — عادة) .

مجالـــي الاختـــلاف :

تتحول الفتحة الى كسرة بالشام فى ادارة التعريف (فتقول الكتاب) وفى الافعال (فتقول فى صعب ، صعب) بكسر الصاد والعين (وفى شرب شرب كذلك) بكســـر الشين والراء والصفات (وسخ بكسرتين بدل وسخ) وفى وزن تفعيل (ترتيب) واول عدة ضمائر (انـــت والى) ومئات الكلمات مثل صدر ونجم وحتى الخ .

اما فى المغرب فان القاعدة العامة هي تسكين الحرف الاول تسهيلا : (لكتاب — صعب — شرب — نت — لي) اللهم الا فى وزن تفعيل والالفاظ الاخـــرى فيحتفـــظ بصيغته الاصلية .

قلـــــب الأوزان

وقد امتازت اللهجة السورية اللبنانية ايضـــا بتحويلات فى اوزان الافعال :

فعل بكسر الفاء والعين بدل فعل بضم العين او كسرها او فعل مجهول الثلاثي او تحويل فعل الى انفعل (مثل انخجل واندهش بدل خجل ودهش) أو قلـــب افعل المتعدية الى فيعل (اقعد وقيعدة — اطلع وطيلع) او انفعل (وجد — انوجد — قيل — انفعال) .

اما فى اللهجة المغربية فان صيغة انفعل لا تستعمل الا فى المطاوعة مثل الفصحى كما ان كسر فاء الفعـــل غير معروف ومجهول الثلاثي يحول الى وزن افعل بدل افاعل (اكل — اتكل — بدل اتاكل — اخذ — اتخذ بدل اتاخـــذ) .

وذلك بتحويل الف الفعل الثلاثي الى تاء مع اسكانها كما هي القاعدة الاصلية — والتصرف فى عين الكلمة بما يناسب وهو الفتح .

وتتفق اللهجتان فى اسقاط اول المهموز اتقن (تقن) واعار (عار) او تحويل افعل بمعنى التعدية الى فعـــل المضعف افهم وفهم — اركب وركب — .

اما فى خصوص اوزان الاسماء فان صيغ المبالغة (فعالة — مفعال — مفعيل — فعلة) قد زالت من العامية فى الشام ولم يبق منها فى المغرب سوى وزن فعالـــة (برادة — جلاسة) وفعلة احيانا (نكسة بدل نجسة) كما تحول وزن فعيل فى الاولى الى فعيل بفتح الفاء مـــع انعدام هذه الصيغة غالبا فى عامية المغرب (اللهم الا فى مثل كرطيط وحنتيت الخ) .

اما اسماء الآلة فان وزن مفعلة قد تحول عند عامة اهل الشام الى مفعاية بينما يحتفظ المغرب بالصيغـــة الفصحى فى غالب الاحيان (مفعلة — مفعال) (كمطرقـــة ومنشار) مع استعمال صيغة فعاية فى خصوص الافعال المهموزة او المعتلة الاخير (سقاية — طلاية — مشاية) ومصفاة (مصفاية — صفاية) ومطفاة (مطفاية وطفايـــة الخ .

ووزن مفعال يتحول احيانا فى الشام الى مفعول فيقال منقور بدل منقار ومهموز بدل مهماز بينما يحتفظ بصيغته فى المغرب فيقال منقار ومهماز ويقع التحول احيانا فى المغرب كما فى منكوس ومسعور ومتعوس (من النجس والسعر والتعس) .

اما اذا دل وزن فعالة على اسم الآلة فان مفعـــال يحول فى اللهجة السورية واللبنانية الى فعاية: ممحاة — محاية (محايةبتسكين الميم وفتح الحاء فى المغرب) ومبراة براية فى حين يقلب فى العامية المغربية الى وزن آخر من اوزان المبالغة وهو فعال : ملقاط — لقاط عـــلاوة على الصيغة المذكورة (فعاية) .

* + *

وهكذا يتضح ان التجانس بين اللهجتين اغلب وان مجال الاختلاف تمس احدى اثنتين اما انسياق مع مقتضيات التسهيل الموسومة باللون الاقليمي او تأثر بلهجة قبلية اصيلة كالتلتلة عند اهل بهراء وهي كسر ياء المضارعة او تحول الثاء الى سين (نحو دعثه ودعسه اذا وطئه والحثالة والحسالة) او ابدال الدال زايا (مثل توكد بأمر كذا وتوكز اى قام واستعد) وتعاقب الضاد والظاء كالبظر والبضر والظهر والضهر او وقوعها مكان الزاى (زغد — وخقد اى عصر حلقه) وهي لغة عربية اصيلة لا مجال فيها للتأثير التركي كما يظن صاحب غرائب اللهجة اللبنانية السورية كما ان تعاقب الغين والجيم (المجعط والمغط اى المسترخى فى طول) ليست حتما من الآثار الآرامية بل هي من مظاهر التعاقب فى اللغة العربية .

ويتحد المغرب (1) وسوريا ولبنان فى كثير من الكلمات المشتركة بين العربية والعامية نعطي منها الامثلة الآتية : برا (خارج البيت) حاف (الخبز حاف بتشديد الفاء او حاف اى بدون ادام) وحمص الحب قلاه ، وخبط (ضرب ضربا شديدا) وخطرة (مرة) وراح (ذهب) وزعق (صاح) وسكر الباب(اغلقه) ومشبوح (ممدود الذراعين كالمصلوب) ومكان فاض (خال) وفرحان (فرح) وفقش البيض (فقس فى المغرب اى كسره بيده) وقد (قامة) وقرص العجين (قطعه اقراصا) وقشط (سلب) وقعد يفعل كذا (اى اخذ يفعل) وكش (طرد) ومغط (مد) وهبرة (قطعة لحم بلا عظم) واهبل (أحمق) وهرس (دقه دقا شديدا) وخربق العمل (خردق) .

وتختلف الصيغة احيانا نوعا ما كما فى : قحب وقح بمعنى سعل (بدل كحب وكحكح فى المغرب) وجرد (جرجر) وتفل وتف (بصق) ومن غريب ما يلاحظ وحدة الاتجاه فى تغيير ترتيب الحروف مثل : أبله (ابهل) وزنجار (جنزار او جنجار وهو صدأ النحاس) وسجادة (سداجة) ولعن (نعل) وملعقة (معلقة) ويئس (أيس) .

واغرب من ذلك ان الكلمات المشتركة بين العربية والعامية مع اختلاف المعنى (وقد ساق منها صاحب غرائب اللهجة اللبنانية السورية نحو 550 لفظة (2) يتحد كثيرمنها فى المدلول ومن ذلك : بدع (نسبه الى البدعة) وبرك (قعد عن مرض او ضعف) بشبش (تنسم الاخبار تقابلها فى المغرب شمشم المأخوذة من شم) والبطن (المولود) وبكره (غدا) وبيت (غرفة) وجفره (انتهره وعنفه) وحرامي (سارق وان كان اللفظ يحتفظ فى المغرب غالبا بمعناه الاصيل) وتخشع (تأثر قلبه) ومخطوف لون الوجه شاحبه (كأنه مخطوف الدم) وخالص (متمم) ودرويش (فقير) ودور عليك (طلبك) ورشح الملح (ذره) وسبع (جريء) وتسلط عليه (تعدى) وساهى (نعسان) وشاطر (ماهر) وشكل (نوع) والصافي (الخلاصة) وطول (مكث مدة طويلة) وعبد (زنجي) وعسكري (جندي) وعيا (مرض) وعيان (مريض) وعيال (زوجة) (والعيال الاطفال ايضا فى المغرب) وتفدى (اكل حول الظهر) وغزالة (امراة جميلة) ومغلوب (عاجز عن القيام بأعباء عائلته او غيرها) وغول (مفرط الاكل) وطعام فاخر (لذيذ) وفردي بفتح الفاء وكسر الدال (مسدس) وفسد بين الناس (زرع الشقاق والفشل (الحبوط) وفاضي (غير مشغول او خال) وفطن بالامر (تذكره) وفقسه (احزنه بعد فرحه) وفك اللغز (حله) وقاع البئر او الوادي (اسفله) والقابلية (شهوة الطعام) وقتله (ضربه) والقحط (قلة المواد الغذائية) وقرع الراس (نزع لباسه او شعره) والقعود (او القعاد البطالة)

---

(1) اللغة العامية المغربية لا تختلف عن اللغات العامية الاخرى فى البلاد العربية اذ لم يعقها عن الاتصال بالفصحى الا ما فيها احيانا من الحرفشة على حد تعبير ابن خلدون او وقف وعدم اعراب (راجع كتاب العربية للاستاذ يوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار — احمد امين — ظهر الاسلام ج 2 ص 20)

(2) ويرجع الاختلاف الجزئي الى تحريف العوام ، وقد كتب فى لحن العامة علماء امثال الكسائي ويحيى الفراء (المتوفى عام 207 هـ) وابي عبيدة (209 هـ) والسجستاني (250 هـ) واحمد بن يحيى (291 هـ) ومحمد بن الحسن الزبيدي الاندلسي (379 هـ) وابى هلال العسكري (495 هـ) وابن الجوزي (597 هـ) وابن هشام اللخمي السبتي (577 هـ) صاحب شرح الفصيح لثعلب والمدخل الى «تقويم اللسان وتعليم البيان» فى لحن العامة وابن مكي الصقلي صاحب «تثقيف اللسان وتلقيح الجنان» (مخطوط باسطمبول) الذي حوى الفاظا عربية محرفة او دخيلة من البربرية او الاسبانية مع مرادفها العربي والقزاز البربري الذي صحت عليه اللغة العربية بالاندلس ومالك بن المرحل الذي نظم فصيح ثعلب وابن هانىء اللخمي السبتي (733هـ) الذي رتب كتاب بلديه ابن هشام اللخمي .

وقعدة (او مقعدة ــ است) والقعد (البهو) وقفا الشيء (مؤخره) وتقلع (ذهب وفيها معنى التثاقل) وكلــف المعدن (طلاه بمعدن آخر) واللبن (اللبن الرائب فى الشام الشيء كذا (كان ثمنه كذا) والكنية (اسم العائلة) ولبس واللبن الحامض فى المغرب) وملعون (لعين وخبيــث) ولقطه (اخذه بيده) وتمدد (انسطح على ظهره) ونبش (حفر) ونجس (او منجوس (خبيث) ونصب عليه (خدعه) وناصح (سمين او جيد وخاصة فيما يتعلق بالسمنــة واللون) ونفض (حشر كل ماله) ونقب الارض (حرثهــا وحفرها) والنقطة (قطرة او مرض الصرع) ونكاه (اغاظه) وهاوده (باع له بثمن معتدل) وهيكل (جسم انسان او حيوان) والواعي (من كان فى حالة اليقظة) .

خصائص المعجم العلمي فى اللهجتين

تمتاز أوزان الافعال او الاسماء خاصة فى اللهجة الشامية بصيغ استثنائية منها زيادة حرف اول الفعل او وسطه مثل عكبر (المسألة اى عظمها) بدل كبر وحلمس (لمس لمسا خفيفا) بدل لمس وهي نادرة فى اللهجــة المغربية (جنفخ بدل نفخ) وتتحد اللهجتان فى الفاظ كثيرة مثل (شقلب بمعنى قلب) وطنفخ (الجرح اي ورم) بدل نفخ (وان كان عامة المغرب يزيدون الجيم بدل الطــاء فيقولون جنفخ) وفى شرشح صوته اي غنى بصوت قوي من شرح (الا ان المغاربة يقولون صرصح بالصــاد بدل صرح) وشرمط (من شرط اى قطع) وزحلقه اى جعله يزلق (من زحل اى ازاح (1) .

واما فى خصوص الحذف فان العامية المغربيــة لا تحذف مثلا جزءا من حروف الجر الا ما كان كالالــف والباء مثل فلبيت بدل فى البيت ولا تعرف ع الــرف عوض على الرف .

وكثيرا ما تزداد الباء اول الفعل فى العامية المغربية مثل بحلس (اى حلس وتحلس بمعنى لزم مكانه فضار يتحرك ببطء) ، وبحلط (اى دقق النظر فى المغضوب عليه من حلط عليه اذا غضب) .

غير ان هنالك صيغا فى الافعال غير الرباعية احتفظت فيها العامية المغربية بالاصل الفصيح بينما زيدت حروف واستمادى (تمادى) واستمنى (تمنى) واستخبى (اختبا فى العامية الشامية مثل استناول (مقابل تناول فى المغرب) وفى الدارجة المغربية تخبا) واسترجى (ترجى) واسترقى (ترقى) واستلقى (تلقى فى حين أن استلقى فى المغرب تفيد كذلك معنى الانبطاح كالفصحى) .

اما فى الاسماء فهنالك اوزان اكثرها دخيل فى لسان أهل الشام مثل حصود (حاصد) وداحوس (داحس) وباكور (2) وفاعولة وفاعولي وفعول (هبول اى احمق) وفعولة وفعيل بتشديد العين وضم الفاء وفعيلة وفعيل (مثل مويت اى مشرف على الموت) وفعلنه (حمرنه اى قول او عمل حماقة كعمل الحمار) وولدنه (قول او عمل ولد صغيــر) .

وهذه الصيغ نادرة فى الدارجة المغربية وان كان بعضها يحتفظ بمعناه العربي أو غيره (مثل غاســول وباكور او ناعورة وداغور اى بليد) ورابوز (اي كير) وفاسوخ (نبات يتبخر به) .

ولا يستعمل وزن فاعولي بالمغرب فى مدلول التفضيل كما هو الحال بالشام (قاتولي ــ قتالي وباطولي ـ بطال) وانما للنسبة (مثل باكوري من باكور وناعــوري مــن الناعورة) وتشتق النسبة فى المغرب من صيغة الكثــرة (مثل حموقي : شديد الحمق او قفوحي اي اجنبي عن العربية او غير قح) .

واذا استثنينا اوزان التصغير المقتبسة من العربية فى اللهجتين (فعيل (1) وفعيلة وفعيل) فاننا نجد صيغا مختصة باللغة العامية منها ما هو مشترك فى الدارجتين مثل فعول (بيوض اى قط أبيض وعزوز اى عزيز جدا وقدور لعبد القادر وفضول لفضل الله وعبود لعبد الله وخدوج لخديجة وعيوش لعائشة (2) وكروم (لعبــد الكريم) وفعلول (بحبوح اى مبحوح) وقرعوش (الرباط)

(1) يرى الاب رفائيل ان فرتك من فرت السريانية بمعنى قطع ومزق والواقع انها عربية اقتبست منها حتى العامية المغربية التي لا صلة لها بالسريانية ، والمعنى واحد فى اللهجتين (فرتكه اى قطعه مثل اللدو ــ متن اللغــة) .

(2) يستعمل العامية فى المغرب هذه الصيغة فى باكور وحصول (بدل حاصل) الخ .

(1) وزغير فى الشام ورقيوق وصفير او صفيور فى المغــرب .

(2) بعض هذه الصيغ يفيد فى المغرب التعظيــم لا التصغير مثل كروش بمعنى بطن كبير لا بطن صغيــر كما فى الشام .

او اقرعوس في البربرية بالمغرب) وفعفول (3) وفعفولة(4) وفعيلة بضم الفاء وتشديد العين المفتوحة (مثل حريقة في المغرب) اى نبات يحرق بشوكه وحميضة نبت كثير الحموضة .

وتختص العامية الشامية بأوزان اخرى للتصغير مثل فعلة (اى جبلة للجبل الصغير) وفعلون (طربون للغصين) وفعلونة وفعلوسة وكلها مقتبسة من السريانية وقد اقتبست اللهجة الاندلسية صيغة فعلون حفصون وزيدون من الاسبانية .

وقد عرفت الشامية كذلك الشين مثل خربوش (بيت مخروب) في حين ان خربوش في اللهجة المغربية مشتق من خربش الوجه اى افسده فهو مخربش او خربوش .

والشائع في لهجة حلب مثلا استعمال اوزان خاصة في تصغير اسماء الاعلام مثل فعلو وفاعو وفيعو (زينو لزينب وسلمو لسليم وعبدو لعبد الله) الا ان بعض هذه الصيغ توجد ايضا في العامية المغربية وخاصة في المناطق البربرية (مثل حمو لاحمد وبطو لفاطمة وهنو لهنية ورحو لعبد الرحيم أو الرحمن ، وعبو لعبد الله علاوة على صيغ حضرية مثل طامو الخ) .

* + *

وتشترك اللهجتان ايضا في كثير من النعوت، كفعلان (تعبان وحفيان لحافي الرجل وخفيان او خوفان للخائف وعجزان للعاجز وغلطان للغالط) وفعلاني (حمراني وبراني وتحتاني وفوقاني ووحداني ووسطاني) بينما تنفرد العامية في سوريا ولبنان باللواحق التركية مثل جي (بستانجي وبوسطجي وتلفرانجي (5) اولى (جزائرلي) او الفارسية مثل خانه (حبسخانه اى سجن ورصد خانه اى مرصد وميخانة اى حانة) (6) .

وتكثر في اللهجتين :

1 ـ الصيغة السماعية في افعل التفضيل (مثل اكمل واحب وازيد واغنى واخبث واعرف والذ واطيب واذل) .

2 ـ الكنى (بودراع صاحب الذراع وبوكبوط صاحب الرداء) .

3 ـ النحت (مطيبو اى ما اطيبه وملدو اى ما الذه ومحلاه اى ما احلاه ومشرو اى ما أشد شره وايش اى اى شيء وبشويش اى على مهل وبعدين اى بعد آن وبلاش اي بلا شيء ورسمال اي راس مال وشقداي اي شيء قدر ذلك وشنو لاى شيء هو وعقبالك اي العقبى لك وعمنول او عماول اى العام الاول وهو العارط وفيسع اي فورا اصلها في الساعة وفين اصلها فاين وقديش اي بقدر اي شيء وليس اي لاي شيء وماش اى ما هو شيئا وماشئه اى ما شاء الله ومش كبير اى ما هو شيئا كبيرا ومشانك اى لاجلك اصلها من شانك ومعليش اى لا بأس بذلك اصلها ما عليه شيء ومنين اى من اين وناسملاح اى ناس ملاح وولا اى والا وويلي اى ويل لي ووين اصلها واين ويله اصلها يا الله اى انست معي وبلي اى يا ايها الذي اصلها يا الذي) .

4 ـ الاتباع : يقوم الاتباع القياسي في سوريا ولبنان على تحويل اول حرف من الكلمة الاولى الى ميم في الثانية اقتباسا من التركية مثل « لا كتاب عندي ولا متاب » اما الاتباع السماعي فهو منوع يتفق في الكثير مع

---

(3) تستعمل العامة في المغرب بطبوط لعظيم البطن كما تستعمل الفاظا لا تراعى فيها ازدواجية فاء الكلمة مثل حتنوك بمعنى الرجل الحقير جدا وشنفوخ او جنفوخ (للكثير الانتفاخ في الوجه خاصة ويقال في العامية الشامية ايضا شنفخ التين اذا انتفخ بعد بدء نضجه) .

(4) مثل طقطوقة الا ان اللفظ يفيد بالمغرب مبالغة في الطقطقة وهي صوت الدفوف والطبول في حين يعني في اللهجة السورية اللبنانية امراة تحاول لفت نظر الرجال بطقطقتها في المشي لاثارة الانتباه ، وتوجد كذلك لفظة كشكوشة التي معناها الرغوة بالمغرب والناصية (اى شعر طويل في مقدم الراس) في الشام حيث اقتبست من الكشة وهي الناصية في حين اقتبس المغرب اللفظ من الكش وهو الصوت الخوار او غليان القدر وارتغاؤها فالمصدر في الحالتين عربي وتفيد الكركوبة في العامية المغربية حبة مدورة تتكركب اى تتدحرج .

(5) وهذه الصيغة نادرة جدا في العامية المغربية والفاظها معدودة مثل قهوجي وطبجي وصابونجي وهي اسم عائلة في سلا .

(6) يوجد لفظ ميخانه في اللسان المغربي وهو اسم حي بعاصمة الرباط ولعل ذلك راجع لوجود حانة قديمة في هذا الحي .

المغرب (1) مثل حاضر ناضر (رجل يرى كل شـــيء) وحلاس ملاس (متملق مفرط المجاملة) (2) شهي بهي (جميل جدا) وكاني ماني (اى كان هذا وكان ذاك) (3) .

وتتقارب اتباعات اخرى فى اللهجتين اما من حيث الشكل او المعنى مثل : حزمز (فى المغرب : تقول وصل فلان الى حزمز اى الى نقطة التحول الحاسمة) وحزبز (فى الشام ويفيد الذهاب والمجيء المتواصلين) وحربش بربش او (حربوش بربوش للتحدي فى المغرب وسوريا ولبنان) وخلط وبلط (بدل خلط جلط فى المغرب اى اختلاط عادم الترتيب) وشري مري (فى الشام بمعنى زيارات مفرطة التوارد مقابل خري طرى فى المغرب لنفس المدلول) وشلع بلع فى الشام مقابل (شرح ملـح) وكلاهما يفيد الكلام البذيء او الصريح جدا .

5 ــ حكاية الاصوات : التقارب فيها طبيعي مثل طن طن (صوت الجرس) وطق (الانفجار بضجة) وطراق طراق او طراق (صوت الضرب) وقرت المعدة (قرقرت فى المغرب اى صاتت الخ .

6 ــ وحدة التعبير فى مئات الكلمات وقد ساق الاب رفائيل تسعة وستين اسما يحتوي كلمة عين يتفـــق مدلول الكثير منها مع معنى اللفظ المغربي مثل :

يا عيني (يا عزيزي) ــ ما يملا العين (لا يشبع رغبات صاحبه) وعينو شبعانه (قنوع) وعينو مفتوحة (حاذق) وعلى الراس والعين ونزل من عيني (سقط) ووقعت العين على العين وعيني فيه وتفه عليه (عيني فيه مـــا قديت عليه فى المغرب وهي تقال لمن يشتهي شيئـــا ويتظاهر باحتقاره) وعين الشمس (قرصها) وعلى عينك ياتاجر (يقال فى المغرب : على عينك يابن عدي لمن يعمل جهارا عملا قبيحا) وذهب عين (ذهب خالص) والعيـــن بصيرة واليد قصيرة .

* + *

وقد تأثر اللسان السوري واللبناني منذ صـــدر الاسلام بالارامية التي تعد السريانية اشهر واغنـــى لهجاتها والملاحظ ان المغرب الذي لا يوجد ما يؤكـــد تأثره بهذه اللهجات يتفق مع عرب الشام فى كثيـــر من هذه المصطلحات الدخيلة مثال ذلك :

برا : فى الخارج (مقابلها السرياني Baro)

برم : اى ثقب بالبريمة وهي مثقب من حديـــد للخشـــب (bram)

بطن : بمعنى مولود (batno)

بطانية : بردة او حبة من صوف (bitouno)

بعج : ضغط شيئا لينا فجوفه (b'aq)

بعير : حيوان (حمار او جمل) متوحش خشن B'iro

بـــق : بعـــوض (Boqo)
بهـــر : سطـــع (Bkar)
تبهلـــل : تباله والبهل (الابله (Bahlo)
بهموت : رجل داهية طماع (Bel moût)
بيناتنـــا : بيننـــا (Baynot)

تفو عليه : تعبير عن الاحتقار والاسمئزاز (اف (وتفف فى الفصحى قال له تفا او تف لك اى قذرا وبعدا) .

جرجـــر : جـــر (Gargar)
الحـــد : يوم الاحـــد (Had)

حربق الامر : عقده (Habeg) (يقـــال خربـــق فى المغـــرب) .

حنتت : قتر وبالغ فى البخل (Haté) ولعل منه حنتيت فى العامية المغربية .

خرشوم : انف (Hasoumo) (خيشوم فى المغرب)
خلخلـــه : هـــزه Halhel
دار : ساحة بيت غير مسقفة (Dorto)
درفة باب او نافذة : مصراعهما (Dafo) ، ويقال فى المغرب دفـــه .

الدغـــل : المكر والكـــذب (Dougolo)
دقدق الباب : قرعه مرارا (Daqdeq)
الدقـــن : اللحيـــة (Dagno)

دندله : دلاه (dandel) ، (فى المغرب دلـــدل)

(1) الاتباع القياسي فى المغرب مقتبس من اتبـــاع الفصحى مثل : حيص بيص ــ الجوع والنوع ــ الكوع والبوع ــ اللتي واللتيا ــ حسن بسن ــ الشخير والنخير ــ شحيح نحيح .
(2) يستعمل فى المغرب الفعل خاصة وهو حلـــس ملـــس .
(3) فى العامية المغربية : كيني ميني .

روح اللحـــم : فســـد (Rbah)
زفـــرة : نتن الرائحـــة
سطره : شقه نصفين بالساطور (Star)
ساوسه : لاطفه ، (سيس معه فى المغرب)
شح الماء : قل (Sah) ، يقال شحت فى المغرب
شقفـــة : قطعـــة .
شقلب : قلبه بدون ترتيب (Chaqleb)

شلهب الشخص : احترق من الحر او العطش او نحوهمـــا (échtalheb)

الشاوي : القائم بتوزيع المياه على الاراضي المزروعة (اقليم الشاوية فى المغرب حيث تتوافر الشياه والمياه)

طاش : هام على وجهه
ضهـــر : بـــدل ظهـــر (Tahro)
طعـــم : لقـــح (Taém)
طلس بالوحل او نحوه : وسخه (Tlach)
فرتكه : كسره وقطعـــه .

فرقع : انفجـــر بضجـــة (Farga)
فركش : وضع امامه ما يعثر به (Farkes)

يقال صبي فركوش فى العامية المغربية اذا كان يتعثر فى مشيـــه لصغـــره) .

فشـــر : كـــذب (Fchar) (الفشـــار)

فشط : كذب وادعى ما ليس فيه (Fchat) (فشاط)

فكح : عرج قليلا (Bgah) (فركح فى المغرب)

قاقى الدجاج : صوت (Qawqi)
قدي : كفي (يقدني ـ يكفيني) (Aqdé)

القرطة : قطعة كبيرة مستديرة من جذع شجرة يسطر عليها اللحم مثلا (Kourtto)

كاش على الدنيا: اشتد حبه لها وبخل بها (Kachi)
كـــاف : كهـــف (Kifo)
كرش : المعدة او البطن (Harso)
كش الذباب : طرده (Akech)
كلخ : غصن مقطوع (يطلق فى المغرب خاصة على قشرة الغصن او الجذع المقطوع)

كوش : (تقال للكلب) ، اسكت او اهدأ (تقال حتى للذباب والدجاج ونحوهما فى المغرب)

لبخـــه : الصقـــه (lbah)

لهط ولهف : خطف بسرعة وبشوق شديد
مرط الغصن : جرده عن ورقه (Mrat)
معس : داس ما فيه حياة (M'as)
مقله : مقلى او مقلاه (Maqlyo)

ويتجلى من مقارنة كثير من هذه الالفاظ بمرادفها فى المعاجم انها دخلت اولا الى اللغة الفصحى ومنهـــا تسربت الى اللهجتين بسوريا ولبنان وكذلك المغرب والا فيصعب تعليل وجودها فى العامية المغربية التي لم تتاثر البتة باللهجة السريانية .

واذا اعتبرنا الاتصال الوثيق الذي تم بين اهـــل الشام واهل المغرب فى الاندلس خلال الحكم الامـــوي خاصة ثم فى الفترات التالية امكننا ان نتساءل هـــل هنالك الفاظ عامية مشتركة قدر لها ان تتقارب منـــذ تلك العصور وقد تتعزز هذه النظرية بتساوق كثيـــر من العادات والتقاليد فى المغرب والشام لا يكفي فى بلورتها ما كان البلدان يتبادلانه من علماء وتجار .

ولا ننسى ان الشام وخاصة لبنان هو منبثق اللغة البونيقية او البونية التي اثرت فى البربرية المغربيـــة منذ ثلاثة آلاف من السنين والبونية عربية الاصـــل ، وقد سبقت لغة القرآن والفتح الاسلامي بالمغرب وكيفت كثيرا من المعطيات اللغوية لا سيما وان الفينيقييـــن الشاميين اسسوا فى المغرب الاقصى عاصمة هي تشمس او ليكس قرب العرائش منذ عام 1100 قبل الميلاد اى قبل تاسيس قرطاجنة بثلاثة قرون (814 قبل الميلاد)

وبالاضافة الى ذلك توجد فى عامية اهل الشام كلمات من اصل عربي تحرفت بالاستعمال التركي على ان الفارسية وسمت لهجة السوريين واللبنانيين منذ القرن السادس قبل الميلاد ثم تعزز هذا التاثير بواسطة التركية التي اقتبست آلاف الكلمات من الفارسيـــة ، ويرى بعض المختصين فى اللغات السامية ان الفارسية تحتوي فى مجمعها على نحو ستين فى المائة من المصطلحات العربية وقد تاثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق الدخيل فى المعجم العربي لا بكيفية مباشرة لان المغرب ظل فى منحى عن التاثيرات الفارسية وعن الهيلينيستية قبلهـــا Hellénisme ؛ ومن امثلـــة المشتـــرك الفارسية فى اللهجتين المغربية والشامية ، بـــابـــا (اى الاب فى لغة الاطفال) وبازار (ســـوق) وبازارى وباس (لثم) وشاويش (شاوش) وخردة (اصلها العربي خرثي) ، وخواجه او خواجي (غنى) ودرويش (فقـــير) وزنزانة (سجن ضيق) وزيره (جعله فى مكان ضيـــق) وسالف (خصلة شعر متدلية على الصدغ) وسبر اى

اشبار (وهو رقيق جدا) وشنطـــه (حقيبة صغيـــرة) وشيت (نسيج قطني فيه رسوم والوان) وصباهـــي (صبايحي اى جندي) وطارمة (بيت خشبي ذو قبـــة) وطاقية (نوع من ملابس الراس) وقيطان (خيط مفتول من القطن او الحرير) وكخ (كخ بالمغـــرب اى رديء فى لغة الاطفال) ومارستان (مستشفي المجانين) وخانـــه (حانة اى خمار وتطلق على احد الاحياء بالمغرب) ونيشان (وسام) ونيشن (نيش بالمغرب اى صوب القذيفة نحو الهـــدف) .

وقد تاثرت اللهجتان بالفرنسية نظرا للفترة التي قضاها البلدان تحت سيطرة فرنسا ، بل هناك الفاظ مشتركة لاتينية الاصل (ايطاليا واسبانيا) مثـــل : شتف (ستف الاشياء اى وضع بعضها فـــوق بض ، ويزعم البعض بانها مقتبســة من لفـــظ Stivare بواسطة التركية ، والاصح انها من صفف واصطـــف وكذلك صوبا من صبة الفصحى لا من (Zuppa) وضاما (لعـــب Dama) وصالــــة Sala وطرمبـــا (اى مضخة (Tromba) وطرومبيطا (Treumbête) وفاتورة Fattuia وفبريكـــا (Fabrica) وفترينـــا Vetrina وفلصـــو (Falso) اى باطل وفورمـــا Forma وفيزيتـــا (Visita) وكرنتينـــا (Quarantina) اى محجر صحي وكورنيطا Cornetta وكوبرطه اى ظهر السفينة (Coperta) وكونطرابانـــدو Contrabando وموضـــا (Moda)

اما اليونانية فقد دخلتهي ايضا الى سوريا ولبنان قبل الميلاد بثلاثة قرون حيث استمر الحكم اليونانـــي بهما مائتين وخمسين سنة قبل خضوعهما الى الرومان كما اندرجت عن طريق المترجمين السريانيين واليهود والعرب منذ اواخر الامويين بما اقحموه من الفـــاظ دخيلة فى القاموس العلمي العربي الذي اقتبس منه حكماء المغرب ونباتيوه او عشابوه وكتب الطب والعقاقير المغربية حافلة بهذه الالفاظ التي يتردد صداها فى لغة العوام مع شيء من التحريف الا ان وجودها فى عامية اهل الشام ابلغ نظرا للاتصال المباشر خلال حقبـــة طويلة من تاريخ البلاد .

الألفاظ المشتركة

في العاميتين المصرية والمغربية

ابو جعران : كنية الجعل بوجعران .

ابو علي : الرجل اللطيف الكريم (مصر) وابا علال فى المغرب كناية عن الفقر المدقع .

اتسرق اي انسل خلسة من انسرق (المغرب) ويقال انسرا فى (مصر) .

اعشاري اي عشري نسبة الى عشرة (مصر والمغرب)

امتا اى متى (ويقال ايضا يمتى فى المغرب وميته بالامالة فى الصعيد المصري) .

انفضح بمعنى افتضح فى مصر ويحتفظ المغرب باللفظ الفصيح وهو افتضح لان المغرب لا يستعمل صيغة انفعل (1) الا لمعنى المطاوعة .

انقرع (مصر) اى لزم حده من قرع فهو قرع اذا ارتدع ويقال فى المغرب اتقرع (بالقاف المعقوف) .

اور عينيه (مصر) قلعهما او عورهما ويقال خور عينيه بالمغرب ولعل الكلمتين من قاريقور قورا بمعنى العـــور .

ايس لغة فى يئس وهي مستعملة فى البلدين .

ايش بمعنى اى شيء خفف منه نص عليه ابن السيد فى شرح ادب الكاتب وصرحوا بانه سمع من العرب (شفاء الغليل ص 15) ، (ايش)

باب الفتوح احد ابواب القاهرة وفاس .

بابوج : بابوش (كلمة فارسية) حذاء .

---

(1) التوافق ملحوظ فى اللهجة العامية بين القاهرة والرباط عدا خلاف بسيط فى الشكل مثل بات وباح يبات ويبوح بكسر فاء المضارع فى القاهرة وبتسكينه فى الرباط وقد نشرت مجلة «مجمع اللغة العربية» (ج 7 ص 319) تسعا وخمسين كلمة بصدد دراستها للهجة القاهرية ولاحظنا من بينها خمسا وثلاثين لفظة مشتركة فى المادة عدا الخلاف الشكلي المذكور) ومن امثلة ذلك يخس يبخس بكسر الخاء فى القاهرة وفتحها بالرباط، وبدا يبدي (ق) ويبدا (ر) وبدر يبدر وبرق يبرق ويرم يبرم وبشر يبشر بضم عين الكلمة (ق) بدل فتحها (ر) وبطأ يبطيء بكسر الطاء (ق) وفتحها (ر) وبل (ق) عوض بلل (ر) يضاف الى ذلك تباين خفيف فى النطق (ترقيقا وتفخيما وامالة الخ) مع المؤثرات اللغوية الخاصة كالتركية على نسق التأثير السرياني والنبطي فى الشــــام .

باس : قبل ، البوس التقبيل (يقال بانه فارسي معرب) (شفاء الغليل) .

باسل : فلان باسل أو كلامه باسل أي ثقيل لا معنى لـــــه .

الباع : مقياس يمتد من طرف اصابع اليد الى طرف اصابع الاخرى . وتقول العامة فى مصر والمغرب « فلان باعه طويل » اي له قدرة ونفوذ .

بتاع : هذا الشيء بتاع فلان اي متاعه او فى ملكه (متاع بالمغرب) .

بحلق بعينيه اي حدق النظر وحملق .

برا اي فى الخارج ، ومنه براني اي غريب واجنبي

البربر : لفظ يطلقه المصريون على سكان النوبة لبربرتهم اى كثرة كلامهم وجلبة لسانهم ويطلقه العرب فى المغرب على سكانه الاصليين لنفس السبب .

برطم : تكلم بكلام غير مفهوم (بركم فى المغرب) .

برمكي : معناه فى مصر فاقد الغيرة ذو اعمال جنسية شائنة اما فى المغرب فمعناه الكريم نظرا لكون البرامكة كانوا فى عهد الرشيد موصوفين بذلك .

بريمة : مثقب (لعلها مشتقة من الايطالية barrena

البزبوز : القصبة او القضيب المجوف ويطلقه المغاربة على انبوب الصنبور .

بسبس : دعوة الهر الى الطعام ، يقال له بس بس بس (بفتح الباء فى المغرب وكسرها بمصر) .

البشماط : المرادف العربي للبشماط هو الكبنة اي الخبز اليابس (المخصص) البقسماط فى مصر) .

بشويش : (بفتح الباء فى المغرب) اي بتؤدة وهدوء ، يقال (تكلم بشويش) .

البصارة : تصنع من الفول المطبوخ بماء وتوابـــل وبصــــل وسمن .

بصبص الكلب بذنبه حركه .

بطال : عاطل من العمل ، تعطل الاجير فهو بطال .

بطنطة : ضريبة التجارة (patenta) (patente)

البعبع : ما يخوف به الصبيان (بعو بالمغرب) .

البعصوص : اي العظم الصغير الذي بين اليتـــي الانسان ويستعمل عامة المغرب الكلمة الفصحى .

بعيد : يقال هو البعيد اي الاجنبي .

بغل : فلان بغل اي غبي ، ومن العادات المشتركة بين مصر والمغرب ان البغلة اذا حملت وولدت فهذا دليل على انتهاء عمر الدنيا .

البقال : ــ حسب القاموس ــ بمعنى بياع الاطعمة عامية والصحيح البدال وقد ورد فى فقه اللغة ان البقال بمعنى بائع البقول معربة عن الفارسية (المغرب ومصر) .

بكرج وعاء القهوة ويسمى فى المغرب بقرج ومقرج وهي كلمة تركية معناها غلاية .

البلغة : حذاء من جلد اصفر « ويظهر ان اصله من فاس فى المغرب لانهم ينادون عليها البلغة الفاسيــــة » (قاموس العادات الخ احمد امين ص 95) .

بندير آلة للطرب كالدف ولعل اصلهـــا اسبانـــي (bondera)

بنديره : العلم وهي ايطالية bandiera

بهدله : اى احتقره واستخف به .

البوري : سمك ينسب الى قرية بساحل مصر قرب دمياط وذلك حسب ياقوت (شفاء الغليل ص 46) .

بوغاز : اى مضيق كلمة تركية عربيها الزقاق كغراب وهو مجاز البحر مثل ما بين طنجة والجزيرة الخضراء (المغرب ومصر) .

بونية : عربيها جمع الكف (القاموس) وهي فرنسية الاصل (المغرب ومصر) .

بياع : اى بائع مثل بياع الرؤوس (عربيها الرآس) وبياع الزجاج (عربيها الزجاجي) (مصر والمغرب) .

تأفف : اى قلق وغضب فكأنه يقول لمن يخاطبـــه اف لـــك .

تبهر : اى عجب من ابهر اي جاء بالعجب واصل انبهر تأثر باشعة الشمس ووهجها وقد اقتبس العامة فى مصر نفس المعنى من كلمة عربية اخرى هي وهـــر فيقولون انوهر اى انبهر وعجب اذ الوهر توهج الشمس، ويستعمل المغاربة ايضا تفهر بالفاء .

التربيعة : مكان بالقاهرة تباع فيه البضاعات المغربية من بلغ وبطاطين (احمد امين ــ قاموس العادات ص 96) وكذلك العنبر المحلول وعطر الورد والزهر (ص 115) والتربيعة (بالتصغير) بتقديم الياء تفيد فى المغرب نفس المعنـــى .

تززى الخياط وهو من الدرز أي الثوب بالفارسية وبنودرز الخياطون ويقال الدراز بالمغرب وهي من الطراز اى صاحب الطراز .

تعبان : اى متعب ولم يعرف عند العرب على ما يظهر (مصر والمغرب) .

تعنطز فلان : تكبر وتجنب الناس ، ويسمى المغاربة العبيد وأولاد الاماء العناطيز لانهم يعيشون عادة معزولين عن الناس .

تفرج على لعبة : تفكه بالنظر اليها .

تفرشح : جلس وفرج ما بين رجليه ويقال فى المغرب تفرشخ بالخاء بدل الحاء المهملة بمعنى جلس مادا رجليه (ولها فى المغرب معنى آخر حيث يقل تفرشخ البطيخ بمعنى تكسر) ، وتستعمل لفظتا فسخ وفشح فى مصر بهذا المعنى .

تفنطز : كلمة يونانية معناها تريض phantasia وتوجد فى العامية المغربية ولعلها اقتبست من الكلمة الفرنسية fantasia لالعاب الفروسية التي كانت تسمى قبل بالتبوريدة (اي اللعب بالبارود) وقد اقتبس منها العامية بالمغرب الفخفخة والعنجهية .

تكابوا على الشىء : بمعنى ازدحموا عليه واشتهرت فى مصر خاصة اتكببوا (بكسر الباء الاولى وتشديدها) .

تكرع تجشا ويقال تبعج فى الشام ولعلها من تجرع الماء اذا بلعه فالجشاء من لوازم تجرع الماء .

تمسخر ومسخرة : فلان يتمسخر بك (بيتمسخر فى مصر اي يهزأ بك .

تندة : مقتبسة من Tente الفرنسية بمعنى ظلة أو خباء وعربيها الزفن وهو حسب القاموس ظلة تتخذ فوق السطوح تقي من حر البحر ونداه .

تنهد أي تنفس الصعداء وعربيها تنفس وزفر .

جاب الشيء : جاء به .

جاحم ايدفع نفسه وسط آخرين وقد لاحظ الدكتور احمد عيسى فى محكمه انها من الجحيم ويظهر انها من زاحم مزاحمة وزحاما بمعنى مدافعة الناس .

جرجر : اي جر وجذب ويقال بانها سريانية الأصل وقد اقتبسها المغاربة من العربية الفصحى لا من السريانية التي لم تؤثر فى العامية المغربية نظرا لانعدام كل صلة بين المغاربة والسريانيين تاريخيا .

الجعيدي : الجعد من الرجال المجتمع المتداخل المدمج ويطلق فى مصر على من قل ذوقه وكياسته ، وفى المغرب على الضعيف البنية كأن أجزاء جسمه تندمج فى بعضها .

جلبية : جلباب او قميص (جلابية بالمغرب) .

جليطة : بتسكين اللام فى مصر وتشديدها فى المغرب معناها الخلط وعدم الاتقان تقول فلان جليط عمله اذا لم يتقنه (جلط فى المغرب ومنها الاتباع المغربي : خلط جلط) .

جواني : براني .

الجوخ : نوع من النسيج والجوخة كلمة فارسية معناها الكساء من الصوف .

الجوق : فرقة تقوم بعمل واحد كالجوق الموسيقي ويقال بانها تركية الاصل .

حاف : خبز حاف اي من غير ادام .

حب الرشاد : عربيها الحرف (المخصص) ، ويستعمل عامة المغرب الكلمتين وخاصة الحرف .

الحجاب : الحرز اشتهر باستعماله المصريون ويعمله المغاربة للتحصن ويطلق عليه فى كل من المغرب ومصر لفظ الحرز .

الحرقة ما يجده الانسان عندما يطعم شيئا محرقا اى حارا أو دسما يثير نوعا من التخمة فى معدته .

الحريرة دقيق يطبخ بلبن أو دسم (القاموس) (مصر والمغرب).

الحريف الزبون وحريفك معاملك فى حرفتك والزبون مولد (القاموس) ، وتستعمل عامة مصر لفظة زبون المولدة وعامة المغرب كلمة حريف .

الحشيش : الكيف القديم ، ولعل منه اسم الحشاشين اى القرامطة شرابي الحشيش .

حط بمعنى وضع اشتهرت فى عامية مصر والمغرب وتستعمل فى الفصحى فى مثل العبارة التالية : حط الله عنه الوزر اى وضعه عنه .

الحفا : عدم لبس شيء فى الرجل .

حمص القهوة : قلاها على النار وهي عربية حسب الازهري (حب محمص اى مقلو) .

حوائج ما يلزم الانسان من ملابس وغيرها .

الخازوق : الخشبة كانت تستعمل قديما لاعدام المجرمين وهي من الخزق اى الطعن بالرمح ، وقد دخلت

الى مصر عن طريق التركية ولا ندري كيف تسربت الى المغرب ؟ فهل تم ذلك فى عهد السعديين بسبب تسرب العناصر التركية الى المغرب أم عن طريق التجار المغاربة الذين استقر منهم عدة آلاف بمصر ولا سيما فى عهد العلويين ؟

خربشه : خدشه وخمشه .

خربق عمله : افسده (تستبدل العامة فى مصر القاف الفا فتقول خربأ) .

خرخش اى صوت وتستعمل بالمغرب لصوت الآلة وفى مصر لازيز الصدر .

خردة قطع الحديد المستعمل وهي كلمة فارسية مقتبسة من الخرثى الفصحى على ما يظهر .

الخس : بقل عريض الورق يوكل نيئا (مصر والمغرب).

خلاه : خلاه فى المحل اي تركه يقال : خلـه فى المحل اى اتركه حتى تعود اليه .

خمسة وخميسة : عبارة عن كف فيها خمسة اصابع يزعمون انها تدفع العين (احمد امين – قاموس 195) وقد عرفت فى افريقيا الشمالية منذ عهد القرطاجنيين وتوجد صورة لها فى متحف باردو بتونس ويقال فى المغرب خمسة لخمامس بدل خمسة وخميسة فى مصر ويسميها الفرنسيون يد فاطمة main de Fatma

الخنفسة : اى غير الجميلة وفى المثل المصري «الخنفسة عند امها عروسة» ويقابله المثل المغربي : «كل خنفوش عند مو غزال » .

الخوا : بكسر الخاء (وتسكينها بالمغرب اى الفراغ ، يقال : شربت على الخوا اي على الريق ، والخواء فراغ المعدة من الطعام .

خواجه : كانت تطلق فى الاصل على الاعيان والتجار ثم اطلقت على الاجنبي بمصر ولكن المغرب احتفظ بمعناها الاصيل وهي لفظة فارسية معناها سيد ، (مصر والمغرب والشام) .

خوخ الفاكهة : فهي مخوخة اي فارغة القلب لا لب فيها .

الخوخة : تطلق غالبا على الباب الصغير فى قلب الباب الكبير وعربيها حسب القاموس هو الخادعة .

الدادة : المربية ، ودادا كلمة فارسية معناها خادم ومربية .

دحدح فلان : مشى على مهل او تقارب خطوة مع سرعة ، والدحداح فى المغرب القصير وتلك هي صفة سير كل من قصر جسمه .

درابزين : الحاجز الحامي فى السطح او الدرج (دربوز بالمغرب) .

دربكه : الطبل الصغير وهي فارسية عربيها الكوبة التي اشار اليها صاحب القاموس .

الدرفة : درفة الباب اي مصراعها وهو من الدفة بمعنى الجنب ويستعمل العامة فى المغرب لفظة دفة بدل درفة فى مصر .

درويش : فقير كلمة فارسية (البرهان الجامع) (مصر والمغرب) .

الدشيش : دشيش الفول طحينه وهي من جش الحب اذا دقه ويقال الدشيشة فى المغرب (الطحين المدقوق) .

دغرى : مشى الرجل دغرى اي قدما لا يلوى على شيء ويقال بأنها من طغرو الفارسية بمعنى مستقيم اوطوغرى التركية .

الدمغة : الطابع والتنبر ويقال ايضا التمغة بالمغرب وهي فارسية (من التمغ او الطمغ) .

دندن : غنى بصوت او آلة موسيقية .

دهست السيارة الرجل : اى داسته ودعسته وتستعمل العامة بالمغرب معس بهذا المعنى مستبدلة الدال ميما .

الدوار : معروف فى ريف مصر بمعنى مكان يضم عناصر اجتماعية كالامير والمدير والمعلم وغيرهم فهي نواة حضرية واصلها فارسي (داوار) وهي بمعنى القرية بالمغرب .

راس مشعنن : اى منتفش الشعر اشعث .

الرزمة من الثياب ماشد فى ثوب واحد .

رغرغت عينه بالدمع : اي اغرورقت (غرغرت بالمغرب)

الرقاق : الخبز الرقيق واحدتها رقاقة (رقاقة بالمغرب) .

الرقعة : عربية معناها البطاقة استعيرت لرقعة الشطرنج وهي دخيلة حسب شفاء الغليل ومن ادواتها المعروفة كذلك فى عامية مصر والمغرب البيدق والرخ والفرز والفرس والشاه .

الزريبة : المكان الذي تنام فيه البهائم وهي فصحى زعا : صاح من الزعق (زعق بالمغرب) .

زعلوك : اى صعلوك وقد ورد زعلوك بضـــم الزاي بمعنى القصير المجتمع العضل ويطلق بالمغرب خاصـــة على شديد المراس وصعب الطبع ، (مصر والمغرب) .

زغرتت النساء فى الافراح : من الزغردة وهي هدير الفحل يخرج من حلقه فاستعير منه صوت النساء يتردد بين السنتهن واصابعهن .

زفر : ريحه زفرة اى منتنة وهي رائحـــة بعـــض الاطعمة كاللحم والجبن وهو من الذفر اى شدة رائحة الطيب او النتن .

زلا : اى زلق (زلق بالمغرب) .

الزلط : يقول المصريون فلان راسه زلط اى لا شعر فيه وفي الجزائر : «فلان أزلط من فار الجامع » وهو المدلول المغربي للزلط بمعنى الفقر .

الزمت : شدة الحر ووقوف الريح وهي من زمتـــه اذا خنقـــه .

زنبيل : وعاء من خوص وهو المعنى العربي الاصيل ويطلق فى المغرب خاصة على وعاء من نحاس .

الزواق : النقش بالالوان وهـــو من الزاووق اى الزئبق ويسمى الزئبق بالمغرب الزواق .

السبوع : اليوم السابع من ولادة الطفل والسبوع لغة فى الاسبوع .

السبيل : صهريج يخزن فيه الماء لشرب الناس فى قارعة الطريق ولعله من السبل بحركتين اى المطر الهاطل والسبيل اى الطريق .

ستف : رتب وهي من صففه او صفصفه فاصطف وهو مصطف (مستف) .

سطل : بمعنى بقرج ولكن له عروة خاصة وهو ستل بالفارسية و (Situla) باللاتينية .

السقاء والسقا : موزع الماء على البيوت (مصر) وهو المسمى القراب بالمغرب لحمله القربة على ظهره ، والقربة هي السقاء (بكسر السين) .

سك الباب : سدها ويقال فى المغرب ايضا سكرها وهي سريانية وفى مصر سنكر بزيادة النون .

السميد : لون من الوان الدقيق وهو معرب عن الفارسية (فقه اللغة) واستعمله الحريري فى مقاماته ، ويقال السميد بالمغرب والسميط بمصر .

السوة : (بكسر السين فى مصر وفتحها فى المغرب) اسفل البطن وهي من السواة بمعنى الفـــرج ولكنهـــا اطلقت خاصة على الدبر .

سيأ الارض : غسلها (سيق بالمغرب) وهـــي من صيأ راسه اذا غسله فلم ينقه (متن اللغة) .

السيفون : مجرى خاص للماء اصله siphon (مصر والمغرب) .

شاف : اى تطاول ونظر .

شالب : اى سقلب بمعنى صرع واصلها قلب وهي شائعة ايضا فى الشام (شقلب بالمغرب) .

الشايط : الطعام الذي يحترق على النار فيسوء طعمه وتفسد رائحته فيرمى ، والشايط فى المغرب هو كل ما يرمى .

الشربات : الماء يذاب فيه السكر مع ماء الورد للمناسبات المفرحة .

الشربة : الحساء الذي يقدم قبل الطعام ومقابلها التركـــي جوربـــا .

شرشر الماء : اى خر بمعنى اشتد سيله .

شرمط : مزق (اشرمط فى مصر) وذكر الدكتور احمد عيسى فى «المحكم فى اصول الكلمات العامية» انه من اثرنمط السقاء اذا انفتح والاثرنماط اطمحـــرار السقاء اذا راب ورغا ففي ذلك معنى التمزق » ويظهر لي ان اصل شرمط شرم فهو اشرم اذا انشق وتمزق وتشرم اى تمزق واصل تشرمط تشرمت(تاء التأنيث)، وقد تكون من الشرط بمعنى الشق فتكون الميم زائدة.

شقافة : اى شظية الخزف والشقف الخـــزف المكسر (شقفة بتسكين القاف فى المغرب) .

الشكال اى رباط العقال للفرس ولعلها فارسية دخيلة فى الفصحى .

شكم الدابة : شد فمها بالشكيمة .

الشنطة : الوعاء من الجلد تحفظ فيه الملابـــس (ويطلق فى المغرب على الحقيبة) واصلها تركي على مـــا يظهر (جنتـــه) .

شوشة : شعر قمة الراس ومعناها بالسريانية كبة القطن وتطلق فى المغرب على ازرار الحرير السوداء المتدلية من الطربوش .

شويه : اعطني شوية اى شيئا يسيرا .

الشياط : رائحة الاحتراق .

الشيت : نوع من القماش (اصلها هندي) .

الشين : علامة النفي فى اللهجتين مثلا : فـــلان ماجاش اى لم يات (اصلها لم يات شيء) وماكلتش اى لم اكل شيئا واخدتش حاجه اى هل اخذت شيئا(واضيفت حاجة لزيادة البيان) .

صرصع : صاح بصوت عال وهي من صرصـــــر وتستبدل العين حاء بالمغرب فيقال صرصح .

صنارة : حديدة الصيد .

صنايعي : نسبة الى الجمع وهو صنائـــع (على خلاف القاعدة الغالبة) وجمعه صنايعية بمصر والمغرب

صينية : طبق يجهز فيه الطعام ويطلق فى المغرب على طبق من نحاس تصف فيه كؤوس الشراب وهـــو منسوب منذ العهد الجاهلي الى الصين التي يستورد منهـــا .

طابور : صف من العساكر (التابور تركية) .

طاجن : وعاء للطبخ (كلمة يونانية) .

الطار : محرف عن اطار الاعجمية وعربيه الدف وقد دخل فى عامية مصر والمغرب وغيرهما (ويقول عامة المغرب طر) .

طاقـــة : كـــوة .

طاقية : ما يلبس على الراس ولعلها مشتقة من تقية اى وقاية الرأس من الحر والقر .

طبطب على الولد : ربته .

طربوش: قبعة تركية (سربوش بمعنى غطاء الراس كلمة فارسية) ، اشار اليها ابن دحية فى تفسير حديث « يلبسون الشعر » اى السرابيش .

طز : كلمة يقولها الانسان اذا شاهد شيئا رديئا او قبيحا فتكون بمعنى السخرية (دز بالفارسية وطنز بالتركية وقد عربت) .

الطقس : حال الجو من حر او رد .

طنجرة : وعاء للقلي او الطبخ (تنجرة او طنجرة تركيتان) والطنجير بالمغرب معناه الطنجرة الكبرى .

عافر الرجل : بذل جهده ليقوم بعمل (تعافـــر بالمغـــرب) .

عبد اللاوي : نسبة الى عبد الله ومنه البطيـــخ العبدلاوي .

عربية او عربة : عاميتان مرادفهما العربي عجلة واطلق على مركب ذي عجل تجره الخيل ، والعربيـــة هي الشائعة عند عامة مصر والمغرب .

عرقان : فصيحة بمعنى عرق (المصباح) يقـــال عرقان فى مصر والمغرب .

العرقسوس : عرق نباتي حلو يمتص .

عيان : مريض ومدلوله الاصيل فى الفصحى من الاعياء فى الامر والمشي لا فى المرض (القاموس) (مصر والمغرب) .

عيط : نادى ، والعيطة فى المغرب نوع من السماع يضرب فيه على الدفوف .

العينة : النموذج من السلع (العينة بتسكين الياء فى المغرب) .

غامق : لون اسود غامض اي شديـــد الســـواد ومقابله فاتح اذا خف لونه .

غرقان فى الدين : اي غريق فيه بحيث لا يستطيع اداءه .

الغريبة : نوع من الكعك يصنع من دقيق وسمن وسكر ويكثر فيه السمن (احمد امين ص 299) .

فتافيت : ما تبقى من قطع الخبز على المائده من فته اذا دقه (فتايت بالمغرب) .

الفدان : وحدة المقاييس المصرية او الممرات وهو لفظ نبطي (شفاء الغليل) ، ويطلق الفدان بالمغرب على الحقل الزراعي .

الفرت : (بكسر الفاء) الكرش واصله الفرث (وهو بفتح الفاء فى المغرب) .

فرتك : قطع ومزق مثل الذر .

فرجية : ما يلبسه العلماء فوق ملابسهم ويقال بان اصلها يوناني وان الاتراك اقتبسوها وتطلق فى المغرب على لباس يجعل فوق الثياب للرجال والنساء وهـــو منفرج من الامام لذلك لا يبعد ان يكون أصلها عربيا .

فرحان : فرح (القاموس) يقال فرحان بمصـــر والمغـــرب .

فرم : اى قطع وكسر وهي سريانية الاصل على ما يقال ولعلها دخلت الى المغرب عن طريق الفصحى

نظرا لانعدام التأثيرات السريانية فى اللهجة المغربية وهي تطلق فى المغرب على الكسر الجزئي كفرم الاسنان او الكأس .

فش : اى فتح ويقال فى المغرب فش الوطب اى افرغه من الهواء وفى المثل فشه فش الوطب اى ازال نفخته وكبرياءه .

الفشار : الكذاب المغالى فى كلامه .

فقس الطائر البيضة : فضخها .

الفقي : (بالهمزة وكسر الفاء) الفقيه .

الفلقة : الآلة تمسك بها الاقدام فى الكتاب لضرب الصبيان ويقال بأنها يونانية اقتبس منها الفرنسيون palanque

فلوكة : سفينة صغيرة وهي من الفلك أى المركب

فلصو : اى زيف وزائف درهم فلصو اى زائف واصلها اسباني (falso) أو انجليزي (false) (مصر وشمال المغرب) ويمكن مقارنتها بكلمة فلس وافلاس العربية .

فميلية : اسرة وعاميتها عائلة بمصر والمغرب وهي من اللفظ الفرنسي famille

الفنطزية : نوع من اللعب بالبارود على صهوة الخيل وهي يونانية أخذ منها الغربيون fantazia

قارب : سفينة صغيرة وهي يونانية على ما قيل عربت .

القراع : مرض جلد الراس واصله القرع بحركتين اى بثر يخرج بالراس (القرعة بتسكين الراء فى المغرب)

قرنص من البرد : تقبض ، ويقال فى المغرب حنية مقرنصة أو مقربصة بالباء اى متقبضة النقش والترخيم stalactite

القرينة : الجنية تكون مع الشخص .

القصرية : الوعاء يتبول فيه ولعلها من اللاتينية gastrum ومعناها اناء مجوف وتطلق فى المغرب على وعاء مجوف لعجن الخبز .

قطع اللبن أو لبن قاطع : بمعنى حامض (وانقطع الحليب فى المغرب او تقطع اى لم يصلح لان يغلى او يروب نظرا لعدم طراوته ، ولعلها من قطع الخمرة بالماء مزجها (متن اللغة) .

القفطان : من الملابس الخاصة بالرجال فى مصر ويلبسها حتى النساء بالمغرب واصلها قفتان التركية المقتبسة هي ايضا من خفتان الفارسية .

قفقف من البرد : ارتعش وهي فصيحة تستعمل فى مصر والمغرب .

قلع ملابسه : اى خلعها وهي بحركتين فى مصر الا انها مشددة اللام بالمغرب حيث تستعمل بمعنى الانتزاع كقلع الاسنان أو تقليع الحجارة من الارض وهو معنى فصيح .

القهاوي : المقاهي .

قورمة : مأخوذة من قاورمة التركية وهي لحم يطبخ بالبصل (المغرب ومصر) .

كاكي : تقول كاكت الدجاجة أي صوتت عند البيض وأصلها قاقت وتستعمل العامة بالمغرب هذا اللفظ فتقول : الدجاجة تقاقي .

كاني ماني : يقال بأنها تركية ومعناها كيت وكيت بمعنى الاكثار من الكلام عن طريق التلميح والكناية ويقول العامة فى المغرب كيني ميني .

واكد الدكتور أحمد أمين بأنهما كلمتان قبطيتان فكاني معناها السمن والثانية العسل وهي فى الاصل خلط السمن بالعسل ثم استعمل فى خلط صحيح الكلام بفاسده ثم فى الكلام غير المفهوم (قاموس العادات الخ ص 333) .

كاوح او أوح : فى مصر من كافح اى قاتل وناضل وتستعمل فى المغرب المكابرة وتروج عند عامة المغرب كلمة كافح الفصحى فى نفس المعنى .

الكباب : قطع صغيرة من اللحم تشوى فى السفافيد ، ويظن ياقوت أنه فارسي عربه المولدون(شفاء الغليل ص 174) .

كح : سعل (كحكح بالمغرب وهي ترديد للمحاكاة او على نسق جرجر بدل جر .

كرنفال : مسخرة أصلها فرنسي carnaval (مصر والمغرب) .

الكسكس : طعام معروف بالمغرب خاصة يكس اى يدق من القمح فهو مكسوس ومكسكس ويسمى الكسكس بالمغرب .

كش كش : بكسر الكاف زجر الكلب ونحوه وهو فى المغرب بضم الكاف .

الكفتة (بضم الكاف فى مصر وفتحها بالمغرب) اللحم المهرم اى المقطع قطعا صغارا (ويقال فى عامية مصر والشام المفروم). ويقال بأن اللفظ فارسي دخل

الى التركية ومنها الى بعض العاميات العربية كالمصرية والمغربيـــة .

كفى القدر : اى قلبها (كفحها بالمغرب) .

الكمنجة : بمعنى الرباب معرب حسب « شفـــاء الغليـــل » .

الكوارع : الكراع مستدق الساق عند البقر والغنم وجمعه اكراع واكارع وتجمعه العامة بمصر والمغرب على كـــوارع .

كورجة : باع كورجة اى بلا وزن ولا كيل ولا عد وهي تركية معناها العمي ووجه الشبه ظاهر بين هذه الآفة والبيع الاعمى بدون تبصر .

الكيب : فى مصر هو الحصير من الياف البردي وهي من اللفظة التركية كيب ومعناها غطاء وتستعملها العامة فى المغرب (بالباء والميم) بمعنى غطاء من خشب يجعل فوق الدكاكين على نسق الافريز والاستعمـــال المغربي اقرب الى الاصل التركي .

الكوشة : موقد الحمام وعربيها الاتون ، وتستعمل الكوشة عند عامة مصر والمغرب خاصة لاتون الآجـر وهو بيت يطبخ فيه الآجـــر .

كومبانية : شركة (compagnie) (مصـــــــر والمغـــرب) .

الكيف : بعض انواع التبغ (يقال له فى مصـــر حسن كيف) .

لبارح = البارحة : اي الليلة الماضية ويقال فى مصر امبارح باستبدال ام من ال على لغة حمير لقوله عليه السلام « ليس من أمبر امصيام فى امسفر » .

اللبخة : دواء كالمرهم يوضع حارا او باردا فوق العضو الألم (اللبخة) .

الالثغ : من فى لسانه عسر فى نطق بعض الحروف كابدال الراء غينا بوجه خاص (وهو كثير بفاس) وتقول العامة بمصر الذغ بابدال الثاء دالا .

لهط الرجل فى الاكل : اي ازدرد اللقم الكبـــرى بدون مضغ وتستعمل فى المغرب خاصة للتعبيـــر عن اظهار التلهف فى الطعام ولفظة لهف جارية ايضا بهـــذا المعنى فى البلدين .

ليلة الحنة : هي التي تسبق عادة الزواج وللحمام والحناء فيها اهمية وليلة الدخلة الزفاف والبناء .

مبلم (بكسر الميم فى مصر وبتسكينها فى المغرب) اى ساكت لا ينبس ببنت شفة .

المتختخ : اى المسترخى من كثرة الماء (بكسر الميم فى مصر وبتسكينها فى المغرب) .

المترد : وعاء اللبن والثريد واصله المثرد .

امخروع : ضعيف لا يقدر على العمل .

مخطوف : لون مخطوف اى اصفر .

مخوخ : فارغ اللـــب .

مدغمس : عين مدغمسة اى ضعيفة البصــر يستعمل عامة المغرب خاصة مدعمش بالعين المهملة) .

مزنجر : اى يعلوه الصدا او الزنجار .

مسوكر : جواب مسوجر او مسوكر اى مؤمـــن عليه او مضمون (assicurare)

المضربة النجاد المخيطة بالقطن (المصباح) (يقال مضربية فى مصر) .

المعجون : خليط لتخدير الاعصاب .

الملابطة : المصارعة (الملاكطة بالمغرب) .

ملط فى مصر واملط فى المغرب : اى املط لا شعر على جسده .

الميت : يتقارب المثلان المصـــري والمغربـــي « الضرب فى الميت حرام » (مصر) «البكاء على الميت خسارة » (المغرب) .

الميضـــة : المرحـــاض .

نخشوش (بالنون فى مصر) وتخشوش (بالتاء فى المغرب) اذا دخل الماء فى خيشومه فاثار قلقه واضطرابه

نش الذباب : اى طرده .

نفز : اي حرض ونفزه بابـــرة اى وخـــزه وفى الفصحى نخس .

نقر : (نكر فى المغرب) بالكاف المفخم اى اكثر من الكلام المؤلم . نكر عليه اى لمزه بالكلام المؤلم .

ننه : تغنى للطفل لاغرائه بالنوم ويسمى غنـــاء الاطفال بالتركية نيني والمهد بالفارسية نانو .

نونو : الطفل الحديث الولادة (مصر) وهـــو من الكلمة الفارسية نو ويقال فى المغرب نينو لكل جديد فى لغة الاطفال .

نينة : معناها أم جدة واصلها ننة الفارسية وقد اقتبسها الاتراك ثم العرب ويستعمل عامة المغرب نانة (التي ترخم نه) وكثيرا ما يصف المغاربة الجـــدة ب : حنينة « فيقولون جدتي الحنينة ولا يبعد أن تكون نينة مرخمة عنها .

هبهب الكلب : نبح .
هجالة : عزب ويقال عزباء (الازهري) وتستعمل في المغرب خاصة بمعنى الارملة .

هطل فلان (بتشديد الطاء في مصر وتخفيفها في المغرب) : استرخى .

الهمج : الطبقات الوضيعة من الناس واصلـــه البعوض في العربية ثم اطلق على كل رذيل من القوم .

هيه : ترد زجرا للطفل اذا استعملـــت باؤهـــا ممدودة ، هاه : هي كلمة وعيد حتى للكبار بمعنى حذار حـــذار .

الوحش (بفتح الواو في المغرب وكسرهـــا في مصر) اي الرذيل من الناس .

وردبان : اي الحارس أصلهـــا guardiano الايطالية او gardien الفرنسية ، وقد اشتق منها المصريون والمغاربة الوردية واستعمل عامة المغـــرب كلمة وردن للتدليل على عمل حراس الجمارك .

يوغورت : اللبن الرائب في التركية وقد دخلت الى المغرب أخيرا عن طريق الكلمة الفرنسيـــة yogourt

العامية في المغرب والخليج العربي

ان من أبرز ما تمتاز به العامية فى جناحي العروبة ما بين المغرب واقطار الخليج العربي – وخاصة فى الكويت والبحرين وقطر التي تشرفنا بزيارتها خلال فصل الربيع عام (1387 – 1967) بدعوة من حكوماتها الموقرة – هي اصالة معظم مصطلحاتها الدارجة بالنسبة للفصحى ولا بدع فالخليج عريق فى العروبة وقد استعمل سترابون Strabon (1) كلمة الخليج العربي فى وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب (2) وكان للعرب الكنعانيين جولات فى هذا الخليج قبل التاريخ الميلادي بالف عام وما زالت آثارهم قائمة الى الآن وتحمل احدى مدن الخليج العتيقة اسم صور اى تير Tyr عاصمة الفينيقيين على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط على نسق المدن التي اسسها الكنعانيون فى الجناح الغربي للعروبة منذ عام 1.101 قبل الميلاد بالمغرب الاقصى (ليكسوس Lixus) وتونس (Utique) والاندلس (مالقة وقادس) وهبو Hippo (عنابة وبنزرت) وكانت اللغة البونية langue punique الشبيهة بعامية افريقيا الشمالية (راجع كتابنا معطيات الحضارة المغربية وبحثنا فى « اللسان العربي » العدد الثاني ص 34 عام 1965 حيث نشرنا رسما كشف فى البرازيل عن حجارة مكتوبة بالعربية تحمل تاريخ 125 ق. م.) قد سادت كثيرا من الاقاليم العربية التي استوطنها الكنعانيون منذ الالف الثانية قبل الميلاد وهو تاريخ انطلاق حضارتهم وهذه الاقاليم تنتشر من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ويرى ابن خلدون (المقدمة ج 1 ص 58 طبعة مصر 1936) ان ابراهيم الخليل عليه السلام تزوج بعد سارة بقنطورة بنت يقطان الكنعانية فولدت له ستة اولاد منهم يقشان جد البربر الذين انتقلوا من جنوب فلسطين عن طريق مصر حوالي 300 1 ق. م. ثم تتابعت الجاليات الكنعانية ولهذا اعتبر الحسن الوزان الفاسي (وهو ليون الافريقي Léon l'Africain) الفنيقيين عنصرا هاما فى سكان افريقيا الاقدمين ، وقد انتقل فوج ثان من الكنعانيين صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق. م. عندما اجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم فوج ثالث ممن اجلوا ايام نبي الله داود عليه السلام عام 1055 ق. م.

ومعلوم أن العرب كانوا يملأون هضاب وبطاح جنوب افريقيا فقد كشف الدكتور استانلي تيمبور على مقربة من نهر زمبر فى مقاطعة رديسيا آثارا منقوشة عليها رسوم مكتوبة استدل بها على أن العرب

---

(1) جغرافي اغريقي ولد عام 58 قبل الميلاد وتوفى بين سنتي 21 و 25 ميلادية كتب جغرافية ما زال معظمها موجودا الى الآن ولكن قيمة هذا العالم المؤرخ لم تعرف الا منذ القرن السادس عشر الميلادي

(2) جواد علي فى « تاريخ العرب قبل الاسلام » ج 2 ص 380 وكذلك المقدسي البشاري الذي عاش عام 985 م استعمل كلمة « بحر العرب » فى تقسيمه للابحر السبعة (كتاب احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص 17) .
ويرجع اطلاق المؤرخين الخليج الفارسي على الخليج العربي الى القائد اليوناني نيركس لما عاد من الهند مبعوثا من سيدة الاسكندر الاكبر لانه لم يمر الا من الساحل الشرقي فقط (كتاب قطر ماضيها وحاضرها لمصطفى مراد الدباغ ص 24) راجع مجلة « الاقلام التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ج 8 ص 64 السنة الاولى » .

قد استثمروا مناجم الذهب التي كان استثمرها اسلافهم عرب اليمن قبل ذلك بعهد طويل ولاحظ صاحب قصة الحضارة (ج 2 ص 43) (3) ان الحضارة ظهرت في بلاد آسيا الغربية وبخاصة في بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة قبل ظهورها في مصر وما بين النهرين ومنها انتشرت في صورة مثلث ثقافي الى شومر وبابل واشور والى مصر (4) وقد تحدث ابن خلدون (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عن عروبة الاطلس المغربي فأشار الى ماأكده المؤرخون والنسابون العرب امثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من ان صنهاجة (سكان الاطلس الاوسط) ومصمودة (الاطلس الكبير) وكتامة (السهول الشمالية والشرقية بالمغرب) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة على هذه الرواية اعرق في العروبة من ربيعة ومضر لانهم من بني افريقش بن قيس بن صيفي الحميري (5) والعامل الجوهري الذي يؤكد تلك الرابطة الموصولة بين عرب افريقيا الشمالية وبين الخليج العربي الى البصرة ، ان القوافل التجارية كانت تربط بين بصرة المغرب (6) وبين بصرة المشرق عن طريق الخليج العربي مما ضاعف الاتصال والتبادل الفكري واللغوي بين هاته المراكز وان هذا الاثر العربي ربما وصل الى بابل وخوزستان منذ ما قبل الميلاد اذا صدقنا الراى القائل بأن قانون حمورابي عربي وان العربية كانت لها جولات في هذه الاصقاع فلفظ الحوز مثلا يطلق في المغرب على ناحية مراكش اي الاقليم المحيط بها والاهواز – كما جاء في معجم البلدان – جمع هوز واصله حوز لانه ليس في كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد في محمد . . وعلى هذا يكون الاهواز اسما عربيا سمي به في الاسلام وكان اسمها في ايام الفرس خوزستان واصل الحوز في كلام العرب من الحيازة اي الحصول والملك وقد نص سالوست Salluste (7) على ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على ايبيريا (اي اسبانيا) في عهد هيروكولس Heraclès (هيركول اللاتيني الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الاقصى) قد تحولت اشرعتهم بالريح الى المحيط الاطلنطيكي فوصلوا الى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيتول Getules(وهم جزولة على ما يظهر فتصاهروا معهم وسميت سوس او سوسة (8) باسم سوسانة Susiane (او أرض عيلام Elam) بالاهواز وقد اشتهر الفرس بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم واطلق على سكان الجزائر وقسم من تونس (اي نوميديا الشرقية وعاصمتها قرطاج) .

وهكذا نرى ان الوصلة موثوقة بين عاميتي المغرب العربي والخليج العربي قبل الاسلام بازيد من الف عام بفضل بني كنعان وبني قحطان من حميريي اليمن .

وهاكم امثلة عن مظاهر الوحدة والاختلاف بين هذه اللهجات العربية :

(3) نقلا عن : Child., Ancient East, p. 216 :

(4) مما يدل على عروبة مصر كما قيل وجود اسماء عربية فملك مصر في عهد يوسف عليه السلام هو الريان بن الوليد الذي خلفه قابوس بن مصعب‌ابن معاوية (الكامل لابن الاثير ج 1 ص 72 طبعة 1348)

(5) ذكر القلقشندي في صبح الاعشى (ج 1 ص 321) ان افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام الى المغرب كما رجحه ابن خلدون وان اكثر الاقوال جانحة الى ان البربر عرب وان لم يتحقق من اي عرب هم وقد انكر عروبتهم ابو عمرو بن عبد البر وابن حزم وابن خلدون الذي نقل عن جمهرة ابن حزم (التاريخ ج 6 ص 96) انه ما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر ان ابن خلدون اغفل الطريق‌القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم وصحراء السودان والتشاد فالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى نهر النيجر الى مراكش تلك الطريق التي حكى الحسن الوزان انه سلكها مع القوافل التجارية في اواخر القرن العاشر الهجري فرارا من قراصنة طريق سواحل البحر الابيض‌المتوسط ومعلوم ان سجلماسة كانت مركزا تجاريا تتوارد عليه قوافل البصرة والكوفة وبغداد .

(6) التي تقع بالقرب من القصر الكبير بشمال المغرب والتي هدمها ابو الفتوح عام 368 هـ وكانت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان (البيان المعرب لابن‌عذارى ج 1 ص 330) .

(7) مؤرخ روماني 35 – 86 ق. م. في كتابه Guerre de Jugurtha (يوغورطا هو ملك نوميديا ولد عام 154 ق. م. وهو ابن اخ Micipsa نجل‌ماسينيا امير البربر .

(8) ولعل اسم مدينة سوسة التونسية يرجع لنفس المصدر اذا صحت الرواية .

1 - عناصر الوحدة

وجود الفاظ مشتركة بين العاميتين مع اختلاف بسيط فى الشكل والاعراب وهاكم امثلة منها :

— ابو صفار وهو مرض اصفرار العينين والجسم (بوصفير بالمغرب) .

— اح لفظة يخاطب بها الطفل تحذيرا له من الاقتراب الى نار او نحوها .

— اخوي لمناداة شخص من اجل مخاطبته فى امر من الامور (خاصة بالذكور فى المغرب) .

— ساس وسيسان لاصل البناء .

— اللي بمعنى التي

— ام آح دلالة على الحلوى فى لغة الاطفال (ماماح فى المغرب) .

— امية اي المائة من الاعداد (مية بالمغرب) .

— ايش بمعنى اي شيء ، وفيها ادماج واختزال .

— البابوج ضرب من النعال وقد اقتبستها عامية الكويت من اللفظ الفارسي بايه بوشي بينما اقتبسها المغرب عن طريق اللفظة الفرنسية babouche الفارسية الاصل فقال بابوشة وهي نادرة الاستعمال (عدا فى بعض الحواضر) .

— الباسور (يستعمل الجمع فى المغرب وهو البواسير) .

— الباشا (مصدر تركي مشترك) .

— البايت الذي يرجع اصله الى الامس من طعام وغيره .

— البحرة وهي المستنقع والغدير (البحيرة بالمغرب)

— البدو سكان البادية الواحد بدوي .

— البراحة الفسحة (يستعمل المغرب اللفظ الفصيح وهو البراح) .

— البربرة كثرة الكلام والصخب فى الكويتية وهو المعنى الفصيح فى حين يراد بها العويل الصاخب فى الدارجة المغربية (التبربير) .

— البرمة حب صغير يقطر فيه الماء الصافي (الكويت والبرام وعاء يعجن فيه العجين (البصرة) واستعمل المغرب البرمة بمعناها الفصيح وهو القدر كما فى القاموس .

— البسباسة نبات (البسباس بالمغرب) .

— البصل والبطاط (البطاطة بالمغرب) والبطيخ والعدس واللوبيا .

— بغى يبغي بمعنى اراد (وتلفظ يبى فى الكويت وفى بعض البوادي المغربية .

— بكرة (بكري فى المغرب) .

— البكرة (البقرة فى المغرب) .

— البلدة من منازل القمر والبلع كذلك منها سعد بلع (وفى المثل الكويتي اذا طلع البلع الشتاء تطلع

وفى المثل المغربي سعد بلع كيجمد الماء فى القرع اى الزجاجة كناية عن البرد القارس خلال هذه المنزلة) .

— البلدية احدى دوائر الحكومة .

— بلم اى اغلق فمه ومنه مبلم اى موكوء الفم .

— بوا : تعبير للاطفال يقصدون به الرغبة فى الماء (مبوا بالمغرب) .

— البهلول المعتوه واللفظة معروفة ايضا فى بغداد وتطلق على شخص معروف ببهلول دانتة يقول

العامة (حسب صاحب الالفاظ الكويتية ص 54) انه اخو هرون الرشيد الخليفة العباسي ويظهر لي ان المقصود هو احمد السبتي ابن هارون الرشيد الذي اشار اليه ابن عربي الحاتمي فى جملة الاقطاب وقد ورد ذكره فى وفيات الاعيان لابن خلكان (ج 1 ص 66) وقيل له السبتي لانه كان يتكسب بيده فى يوم السبت ويتفرغ للعبادة بقية الاسبوع واشار اليه ايضا ابن الجوزي فى شذور العقود وصفوة الصفوة وصاحب كتاب التوابين .

— بيش اى باي شيء او بكم .

— التحسونة الحلاقة (الحسانة بالمغرب) وحسن اي حلق وفى المثل الكويتي « يتعلم التحسونة بروس الكرعان (اى يتوخى الامر من غير وجهه) ومن الامثال البغدادية والمغربية « يتعلم الحجامة بروس اليتامى » كناية عن استغلال المستضعفين

— الجاوي نوع من البخور اصله من جاوا احدى جزر اندونيسيا .

— الجدف بمعنى القيء (الكدف بالمغرب) .

— الجنطة الحقيبة (الشنطة) .

— جاف اي راى (شاف فى المغرب) .

— الحارة : الحي والمحلة .

— الحافي من حفاء الاقدام وهي كناية عن الفقير المعدم .

— الحب الحنطة والحرمل والحلبة (نباتان) .

— حب بمعنى قبل (خاصة فى البادية المغربية .)

— الحريم جماعة النساء .

— حصن عوذ .

— حط وضع .

— حويل ما دار عليه الحول (حولى بالمغرب) ويقال ايضا طعام حايل بالمغرب وبغداد اى قديم .

— الخاطر الضيف (مستعمل في بعض البوادي المغربية) .

— الختمة اى اتمام قراءة القرآن .

— خنز (خنز الطعام اذا فسد) .

— الخنفرة الانف الكبير (انف مخنفر اى انف كبير بالمغرب) .

— الدرويش اي الفقير او السالك من الصوفية (لا يعرف المعنى الاخير بالمغرب) .

— الربعة صندوق تودع فيه اجزاء المصحف (الربيعة فى المغرب) .

— الردحة ساحة الرقص (تطلق على الرقص نفسه بالمغرب) حيث يستعمل الاتباع: الشطحة والردحة)

— الريح مرض من امراض البطن .

— الزعتر هو السعتر .

— الزين الحسن الجيد .

— السحتيت صنف من اللؤلؤ دقيق (كل صغير من الحيوان وخاصة القرود فيقال بالمغرب قرد سحتيت) .

— السدى مقابل اللحمة .

— السنسلة (بدل السلسلة وفيه تسهيل ملحوظ فى كل العاميات) .

— الشاوي الراعي نسبة الى الشياه (توجد بالمغرب ناحية تسمى الشاوية تربى فيها الماشية) . وذكر ابن خلدون فى مقدمته ، ان من كان معاشه فى السائمة مثل الغنم والبقر يسمون شاوية .

— الشاهد السبابة من الاصابع .

— الشايب الشيخ الطاعن فى السن .

— الشب مادة معروفة .

— صلع اي حسن راسه والمصلع الحاسر الراس يقال له مقرع فى العراق (الاصلع بالمغرب اي الذي لا ينبت له شعر فى راسه اما القرع فهو حليق شعر الراس) ويقال للقرع الكرع فى الكويت .

— الصيني الاناء من الخزف (الاناء من النحاس فى المغرب) .

— الضو بمعنى النار (معناه النور فى المغرب) .

— طاب اي شفي من مرضه (طاب اللحم اي نضج بالمغرب) .

— الطابي هو الطاجن (الطجين بالمغرب ويقال له الطاوة ببغداد فى حين تطلق الطاوة بالمغرب على وعاء يشبه الطاجن يكون من معدن) ولعل للفظ

الكويتي مصدرا موحدا مع المصطلح المغربي لان الطياب هو الطبخ وآلة الطبخ تسمى طبعا الطابي .

— الطار : الدف الكبير (الطر بالمغرب) والطرار معناه فى المغرب الضارب على الطر وهو بمعنى الشحاذ فى الكويت .

— الطاسة الكاس من نحاس .

— الطبخة : طبخة من الشاي اي كمية يسيرة تكفي لمرة واحدة .

— الطنا الغيظ يقال اطناني اي اغاظني .

— الطيز الدبر وقد اشار اليه الخفاجي فى « شفاء الغليل » كلفظ عامي مبتذل .

— العرضة حفلة الزواج (مطلق دعوة لحفل بالمغرب) .

— العزيمة الدعوة الى مادبة (العزومة فى بعض اقاليم المغرب) .

— العشر المكس على المال (الزكوات والاعشار بالمغرب) .

— المصيد (العصيدة بالمغرب) .

— العمارية ظلة هرمية مثل السقيفة (المحفة بالمغرب)

— العود المندل او الآلة الموسيقية المعروفة .

— العيال الاولاد الصغار تستعمل لهذا المعنى فى شمال المغرب وتطلق ايضا على النساء فى بعض الحواضر .

— الغربي الهواء يهب من جهة الغرب .

— الفار والفتر (ما دون الشبر) والفحم .

— الفكع اي الكماة من الفقع فى الفصحى (الفقاع بالمغرب) .

— الفلس نقد نحاسي .

— الفوطة المنشفة والمئزر .

— الكحة السعال .

— كخ كلمة نهي عن القرب من شيء قذر .

— كرفسه اذا القاه على الارض .

— محار وعاء صدفي يعيش فى داخله حيوان بحري صغير .

— مرفاعة رف معلق (مرفع بالمغرب) .

— المشموم ما يشم من رياحين وغيرها وهو يطلق فى الكويت على الريحان خاصة .

— المطهر المرحاض .

— المكبة غطاء من خوص او معدن يغطى به صحن الطعام (مكب بالمغرب) .

— الموسدة (الوسادة بالمغرب) .

— المينة اي الميناء (المرسى بالمغرب) .

— النباح عواء الكلب (النبيح بالمغرب) .

— النيلة مادة عطارية زرقاء لصبغ الملابس .

— واجد اي كثير (موجود اي بكثرة فى المغرب) .

— وده اي ابعده ونحاه (بمعنى ضيعه بالمغرب) .

— الوزار (الازار بالمغرب) ومنها adirer بالفرنسية

— الوسم اول مطر الربيع (لفظ كويتي فصيح لا وجود له بهذا المعنى بالمغرب) .

— الوزة واحدة الوز وهو البط الكبير .

— الوفرة منطقة فيها مجموعة آبار (الشعر الطويل بالمغرب وهو فصيح) .

2 ـ نقـــط الاختــلاف

وقد تستعمل العاميتان نفس الالفاظ اما لمدلولين مختلفين بالاضافة الى معنى مشترك مع الفصحى واما لمفهوم مخالف .

فالادب معناه حسن السلوك ولكن معناه ايضـا المرحاض فى الكويتية (1) .

— البايز منكر الجميل وفى المغرب الكاسد من بارت السلعة وهي جملة مستعملة ايضا فى الكويـت والبصرة (ويقال فى المغرب ايضا الفتاة البايـرة بمعنـى العانس) .

— البارة قضيب حديدي (اصلها bar الانجليزيـة واقتبسها المغـرب من الفرنسيـة barre

— الباصج وصف لطعام لا ملح فيه او كلام لا معنى له ، وهي معروفة بالبصرة ولكن يقال ماصخ فى بغداد وباسل فى المغرب .

— البروة وثيقة تملك بيت او دكان ونحوهما(الرسالة والالوكة بالمغرب وينطق بها البرا جمعا براوات

— بس اداة زجر واسكات (وهي اداة استدعاء للهر بالمغرب او دعوة الطفل الى البول) .

— بعبع عبارة عن الاستغراب والتشكي من صفـة سيئة (شخص يخوف به الاطفال فى مصر والمغرب وقد حول فى المغرب الى بعو) .

— البفاك الشهقة بمعنى الفواق (الفواقة بالمغرب).

— البلوغ الوصول الى الغاية (ومعناه فى بغـداد والمغرب سن الرشد فيقال بلغ اكتفاء بها عـن قولهم بلغ سن الرشد) .

— البنت تطلق على المراة ولو كانت عجوزا (خاصة بالفتاة فى المغرب) .

— البوص اقلام القصب ويرى الدكتور احمد عيسى فى المحكم بانها ربما كانت لفظة مصرية قديمة . ويرى الشيخ جلال الحنفي انها تركية بمعنى مكمن يربض فيه اللصوص وتستعمل فى المغـرب بمعنى الكسل عن الحركة والجمود فى المكان .

— التلقين اى تلقين الموتى وهو غير معروف عنـد اهل الكويت ولكنه يعرف فى المغرب وفى جزيرة فيلجة ومعناه تلقين الموتى الشهادة بعد دفنهم .

— الجتابة عصائب المراة (تطلق على القصـة من الشعر وتكتب القطابة) .

— الجراقية (بالجيم) وهي المفرقعـات يلعب بهـا الصبيان ولعل اصلها عربـي (2) (الحراقيات بالحاء فى المغرب وهي اقرب الى المفهوم العربي الفصيـح) .

— حرامي لص (يطلق فى المغرب على صاحب الحيلة الذي يرتكب اعمالا غير مشروعة) .

— الحسن (بكسرتين) هو الزنجفـر (الزنجفـور بالمغرب والزنجفر ببغداد) .

— خـز (خزر فى المغرب) .

— دادة تعني الاخ والاخت والزميل من اللـذات (يقصد الامة المربية العجوز بالمغرب ولهـا نفس معنى الداية فى الشرق) .

— الزرب الفار فى الارض (الزرب والزريبة بمعنـى حظيرة الغنم بالمغرب) .

— الزفان الراقص (مستعمل بالمغرب فى بعض الاقاليم العربية الاصل مثل ناحية زعير والشاوية) .

— الزك التفوط (الدبر بالمغرب) .

— الزوان لؤلؤ ناعم (معناه فى فارس والعراق والمغرب دقيق مثل الحنطة) .

— شربات قهوة خفيفة (ماء مخلوط بسكر وماء ورد بالمغرب والعراق) .

— الصر حفظ الشيء فى صرة (والعامية المغربيـة تستعمل الصر بمعنى البرد القارس والصـرة بمعنى الكيس وهما من الفصحى) .

— صيف عن الجماعة اي تخلف (صيف فى المغرب اصطياف) .

— الطرشة : السفرة (فى المغرب واحدة الطرش اي لكمة يصاب الرجل من جرائهـا بالطـرش اي الصمم) .

---

(1) اقتبسنا بعض المصطلحات الكويتية من « معجم الألفاظ الكويتية » للشيخ جلال الحنفي البغـدادي (طبعة بغداد 1383 ـ 1964) .

(2) معجم الالفاظ الكويتية ص 85 .

— الطنجرة نداء الشاة (الطنجير والطنجرة بمعنى القدر فى المغرب وهي فصحى) .

— العايل الطفل الهزيل من رضاع امه الحامل (يطلق فى المغرب على الطفل عامة)، فى حين ان المعنى المذكور يعبر عنه بالمغايل بالغين من الغيلة وهي ارضاع الحامل لولدها .

— العص نهاية العظم الفقري (البعصوص بالمغرب) وفصيحه العصعص والعصعوص .

— العوعو لفظ يفزع به الاطفال (بوعو بالمغرب) .

— الفرد السيلان (الفرد الخطر ومنه بيع الفرد) .

— الغيرة النهم فى الاكل (الغيرة بمعناها الفصيح بالمغرب) .

— الفطام عظم يكبس به على اكف الغواص (معناه الفصال بالمغرب) .

— اللبوة اي اللبا وهو اول الحلبة بعد الولادة يستعمل المغرب اللبوة بمعنى انثى الاسد واللبأ بمعناه الفصيح) .

— المحاحة صفار البيض (المح بالمغرب وهو فصيح)

— المداس نعل جلدي تلبسه النساء وهو فصيح (لا يعرف بهذا المعنى بالمغرب) .

— المسمار القرنفل (يستعمل بمعناه الفصيح بالمغرب) .

— المشبك حلية لشد الخمار وغيره عند المراة ، وهو فصيح لا يعرف بالمغرب وكذلك المشجب وهو ما تعلق عليه الملابس .

— مكهوي صاحب القهوة وساقيها (قهوجي فى المغرب وهي من الالفاظ العامية المغربية النادرة التي توجد فيها ياء النسبة التركية) .

— نط اي قفز وهي فصيحة (نطع بالمغرب) .

— اليد بتشديد الدال بمعنى الجد (اليد فى المغرب وهي لغة فصيحة) .

وتستعمل العامية الكويتية الفاظا فصحى مع تحريف فى بعض حروفها فى حين يستعمل المغرب الشكل الفصيح مثل الجافلة (القافلة) والجدوم (القدوم) والجربة (القربة) والجي (الكي) والحمش (الحمص) والعكرب (العقرب) والعكل (العقل) والكصر (القصر) وكضب (مقلوب كبض بمعنى قبض) والكلب (القلب) والكمر (القمر) والكهوة (القهوة) والكيصرية (القيصرية للسوق) والكيطان (القيطان) والمكام (المقام) والمكلى (المقلى أو المقلاة) بينما تستعمل الكويت فى لهجتها الدارجة كثيرا من الالفاظ العربية الفصحى ليست مزاولة فى المغرب (1) بهذا المدلول الاصيل .

ومن امثلة ذلك البراسيم (الحرير) والتنكة (وعاء من الصفيح وهي تطلق فى المغرب على النعل البالي) ومن غريب ما لمسناه خلال جولتنا للخليج العربي وخاصة الكويت وقطر والبحرين ان هنالك عامية عريقة فى الفصحى مثل الدمجانة التي اطلق عليها مجمع اللغة العربية لفظ الدبة وهي قارورة الزيت ونحوه بينما اقتبسها الفرنسيون لنفس الدلالة Dame-Jeanne ففرنسوها اي افرغوها فى قالب لاتيني صرف لا يوذن بأصلها العربي وقد وجدنا فى ساحة المتحف الاثري بالكويت خباء عربيا مضروبا استفسرنا عن اسماء بعض اجهزته فكانت كلها عربية .

---

(1) تستعمل بالمغرب آلاف الكلمات ذات اصل عربي فصيح اشرنا اليها فى كتابنا « الاصول العربية والاجنبية فى العامية المغربية » .

راجع معاجم العامية
فى
الجزء الثانى من هذا المجلد

أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

- اخطاء فى قراءة العربية وتصحيحها
للاستاذ سامي عيـــاد

- تعريـــف الثقافـــــة
للاستاذ زكي عبد المالك

- اسبقية العربية الفصحى على العاميـــة

- العربية تحل محل الفرنسية فى المحاكم الجزائرية

- اللغة والثورة الفكرية فى العالم العربي

Les conceptions du langage « miroir unique et parfait » du monde ou « moyen de découverte du réel » de la linguistique du moyen-âge européen, conceptions qui méconnaissent les liens dialectiques étroits entre pratique réelle, langage et pensée, étaient dépassées,

Cependant les vicissitudes de l'histoire et l'abandon par les philosophes arabes de la recherche dialectique de l'ijtihad ont opéré une coupure entre la pensée et le monde réel, provoquant peu à peu une séparation entre la langue dite littéraire et la langue populaire parlée. Pendant des siècles, les « gens de culture » ont fait de la langue « une sphère indépendante » faite de langages altérés, tandis que les linguistes arabes s'enfermaient dans le cercle vicieux de la réthorique, des artifices du logicisme formel et de l'atomisme linguistique donnant lieu aux interminables débats byzantins.

Depuis, il faut souligner que la langue arabe doit son salut à son actualisation populaire par l'écrit coranique et les multiples formes d'expression de résistance et de lutte politiques et culturelles contre la domination coloniale, Elle est une conquête du peuple qui l'a marquée de son sceau. Les conséquences qui découlent d'une telle conclusion doivent inciter à plus d'une réflexion sur le fait que la restauration de la langue arabe n'est pas l'affaire de cercles savants ou de règlements administratifs ; elle passe par une profonde révolution culturelle dont nous dirons plus loin les fondements et les implications.

Face à la langue de l'administration coloniale et à son écrit oppresseur, répressif et aliénant, la résistance populaire, culturelle et linguistique a mis en échec les efforts de dépersonnalisation et les tentatives d'instituer ici et là une dualité linguistique, dualité devenant vite d'ailleurs sous la pression de l'histoire, un instrument de lutte.

On peut citer en exemple le fait que malgré une domination coloniale séculaire dans toute l'Afrique, moins de 10 % seulement de sa population véhiculent une expression linguistique étrangère, élémentaire tandis qu'une infime minorité de cette minorité l'assimilent.

C'est dire qu'il ne s'agit pas pour nous de remplacer simplement une langue par une autre — on ne retrouvera pas le compte — mais — et la tâche est gigantesque — de restaurer la langue nationale dans ses divers langages actualisés dans les structures dynamiques de l'activité sociale,

Aussi est-il impératif de souligner que la progression de la différenciation de la langue et la densité de son expression et de ses manifestations ne résident ni dans ses capacités structurales, ce qui est un non-sens linguistique, ni dans la présence d'un bilinguisme hétérogène, somme toute dérisoire.

Car l'adversité d'une langue réside justement dans les conceptions culturelles erronées, véhiculées par le conservatisme puritaniste attardé et nostalgique ou le positivisme marginaliste, pâle imitation du pragmatisme impérialiste ; conceptions qui ne peuvent elles-mêmes s'alimenter que dans une vision et une pratique sociales non progressistes produites par des rapports socio-économiques surranés,

Seule une culture reconnaissant ses sources dans une pratique révolutionnaire, s'appuyant sur les conquêtes socio-économiques populaires et les approfondissant, pourra ramener la langue à la vie dans ses multiples formes.

Voilà nous semble-t-il dans quel cadre les gens de culture doivent résoudre les tâches d'actualisation de la langue.

Une méthode claire doit être élaborée qui permettra de dire s'il faut rehausser la langue pratique, réelle, populaire avec son cachet d'authenticité et la possibilité, aux fins de structuration et de différenciations, pour les besoins des divers secteurs d'activité, puisant progressivement dans un riche patrimoine devant être par ailleurs jalousement conservé, ou bien, s'il faut laisser le choix de l'évolution linguistique à la libre appréciation de l'empirisme des uns et des autres selon la préférence devant la variété exceptionnelle des références.

Ainsi donc la promotion d'une culture est indissolublement liée à la restauration et au développement de la langue qui la véhicule.

La langue permet d'apprécier l'importance de la densité des rapports entre le réel et l'idéal, la pensée et la matière, le praxis et la théorie, tout en donnant la mesure de l'évolution sociale aux niveaux de ces rapports.

Il est alors facile d'entrevoir les dangers qui guettent une langue et les obstacles qu'elle aura à surmonter lorsque cette unité n'est pas respectée.

Par ailleurs, il est difficile de concevoir une nation, à l'existence séculaire, sans une langue qui rende précisément compte de sa constitution, de son développement historique et des périodes socio - économiques et culturelles qu'elle a connues. Alors que bien des langues qui, à l'exemple du latin, ont fait la grandeur des civilisations, sont pourtant « mortes » vaincues par les dialectes des communautés environnantes qui ne voyaient en elle que celle de l'écrit inintelligible et de l'administration de l'empire dominateur,

On a dit de la langue qu'elle est le génie d'un peuple ; elle est effectivement au peuple ce que le sang est à l'homme, la sève à l'arbre, l'oxygène à l'être. Il n'y a pas d'autres comparaisons plus valables : si vous administrez à un homme un groupe sanguin, qui n'est pas le sien, il est aisé de prévoir les conséquences, Il en est de même des peuples sur le plan linguistique, mutatis mutandi,

L'histoire du développement de la langue arabe nous semble confirmer ces hypothèses.

A l'état de langage, voire de dialecte des tribus bédouines de l'époque anté-islamique, le phénomène coranique l'a d'emblée prodigieusement projetée au niveau d'une langue historique différenciée dans divers langages structurés depuis le langage réel de l'environnement socio-économique du bédouin jusqu'au langage conceptuel et transcendantal d'une richesse inégalée,

Qui ne connaît en effet l'effort des linguistes de l'époque voulant s'élever au niveau du défi d'empreinte divine qu'énonce le Coran (Sourate de la Vache - verset 23).

Il appartient au linguiste arabe de refaire aujourd'hui le double parcours critique, celui de l'histoire socio-politique de la langue arabe et celui de son développement structurel pour permettre un débat valable et constructif aux fins de dégager les tâches relatives aux voies et moyens de son actualisation harmonieuse, populaire, scientifique et technique.

Si la notion de Umma préfigurait celle de nation sur le plan socio-politique et socio-culturel, elle était à l'origine et dans ses premiers développements principalement constituée par la foi et le verbe coraniques. La langue arabe qui en est le principal support allait, par delà les limites géographiques, exprimer et stimuler la vie politique, sociale, culturelle et idéologique des diverses communautés dès lors intimement solidaires dans la Umma.

Bien avant l'apparition, au 17e siècle, de la nation dans ses formes modernes basée sur l'appartenance à un territoire délimitée et plus ou moins à une langue commune ou dominante, aux intérêts, desseins et destin communs, la langue arabe connaissait la richesse d'une intense activité scientifique, philosophique et culturelle ainsi qu'une importante pratique sociale populaire, féconde, par la diversité des communautés qui formaient la Umma. C'est dire tout le travail de différenciation et de structuration qui a pu s'opérer au niveau de la langue,

Sur ce plan nous avons déjà dit que le Coran a fait faire un bond qualificatif incomparable à la langue arabe ; et il n'est que de citer la parole coranique relative à la genèse de la création pour vérifier que le langage (expression et activité) est inséparable de l'évolution de l'homme, depuis son origine ou de la maturation de l'individu depuis sa prime enfance (Sourate de la Vache - versets 31 à 33).

Voilà qui signifie bien, nous semble-t-il, que lorsqu'une langue satisfait aux définitions et hypothèses que nous venons d'établir, et c'est le cas de toute langue universelle et de l'arabe en particulier, la question n'est point la possibilité pour elle d'être, par exemple, l'outil de telle approche scientifique, ou plus généralement d'exprimer la modernité,

Tout le problème que peut connaître une telle langue réside dans les inégalités de son développement et dans ses capacités ou incapacités de les surmonter.

La civilisation arabe a fait connaître à la langue une richesse que ne connaissaient pas encore des langues aujourd'hui pourtant dominantes.

En effet la linguistique arabe, principalement par le seul travail des exégètes du Coran et du Hadith, et celui des logiciens et grammairiens, s'était hissée au niveau des travaux de dérivation et de réduction, de classement et de transformation analogiques des sons, des sens et des mots.

La Langue et la Révolution Culturelle dans le Monde Arabe

Le V^e^ Séminaire sur la Pensée islamique qui a tenu ses assises à Oran, du 20 juillet au 1er août 1971, avec la participation d'éminentes personnalités du Monde arabo-islamique, a eu pour thèmes trois sujets fondamentaux dont la langue et la révolution culturelle.

M. Kaid Ahmed (membre du Conseil algérien de la Révolution) a fait un exposé, chaleureusement applaudi, sur l'importance de la langue nationale, dans ces termes :

Au moment où la connaissance scientifique dans le domaine linguistique traverse de par le monde une crise remarquable, due aux divers itinéraires et aux multiples interprétations, nous nous trouvons, quant à nous, confrontés à des tâches plus complexes parce que nos travaux doivent répondre à une double exigence : celle d'une recherche approfondie d'une part, et d'autre part, celle de répondre aux impératifs immédiats et directs de restauration de la langue arabe, aux niveaux populaire et national qui étaient les siens aux temps mémorables de la grande civilisation universelle arabe et à une époque antérieure à la domination coloniale et impérialiste.

Quelles que soient les controverses cependant, l'on peut s'accorder à dire que le langage est essentiellement un **moyen de communication** et d'intercompréhension en même temps qu'il est la matière première, en quelque sorte, le moyen de **production** par excellence de la **pensée** humaine.

N'est-il pas vrai de dire alors que, dès qu'un langage dans une communauté donnée, parvient au stade de l'expression intégrée du descriptif et de l'action, du substantif et du verbe, du signe et du sens par l'image acoustique et la différenciation phonétique, il acquiert le statut d'une langue sociale et historique de cette communauté.

Il ne convient plus dans ce cas de discuter et de savoir si cette langue peut ou ne peut pas exprimer telle situation, tel concept ou telle problématique.

La question est tranchée. Et le tout ne réside plus que dans le développement historique inégal d'une langue à travers les divers langages spécifiques qui la constituent ainsi que dans les causes de cette inégalité de développement.

C'est là le problème fondamental de toutes les langues jusques et y compris la langue arabe ; et non comme on l'a prétendu, celui principalement, voire exclusivement de la langue arabe.

Est-il besoin de rappeler à cet effet l'exemple selon lequel depuis trois siècles, et jusqu'à une date récente, le développement de la philosophie en Europe passait par l'utilisation de concepts-clefs dont seule la langue allemande a su donner l'évaluation exacte ; ou encore celui contemporain, de la cybernétique et de la recherche opérationnelle dont les principales notions sont exprimées dans la langue d'origine, la langue anglo-américaine ?

Aussi, devant le problème ainsi situé devient-il banal de dire que le développement d'une langue est le travail permanent d'une communauté ou d'une société ; et les progressions ou les régressions de celle-ci déterminent l'évolution de celle-là.

Ce travail est un travail ininterrompu d'actualisation à la fois historique et spécialisée, spécifique à tel ou tel domaine de l'activité sociale,

Expression générale et « dépôt » des divers langages que se forgent l'homme et la société dans leurs appréhension et vision du monde, dans leur activité et leur développement :

— économiques, scientifiques et techniques,

— psychologiques et socio-psychologiques,

— culturels et artistiques,

— idéologiques, politiques et philosophiques.

L'arabe remplace le Français dans les Tribunaux Algériens

« L'arabe remplace le français comme langue principale dans les tribunaux algériens depuis le premier octobre 1971 », a annoncé M. Boualem Ben Hamouda, Ministre de la Justice, à Alger, au cours de la cérémonie d'ouverture de la nouvelle année judiciaire.

« Les débats se dérouleront en arabe, et les mémoires, les conclusions des avocats seront présentés en arabe suivis d'une traduction en français. Les décisions seront prononcées en arabe, distribuées en arabe, suivies d'une traduction en français. Le temps viendra où les traductions en français seront écartées », a-t-il dit.

Le président Boumédienne présidait la cérémonie.

Le Ministre a ajouté que les autorités étaient conscientes des difficultés de l'arabisation, mais avaient accepté de les combattre. Un lexique sur la terminologie juridique arabe et des guides explicatifs sur les différents aspects de la procédure ont été préparés pour simplifier la tâche des magistrats, avocats et avoués, a-t-il dit.

Un centre de formation a été créé pour les magistrats et les greffiers en vue d'améliorer leur arabe.

« Nous avons pu amener les magistrats et les avocats à se libérer des mentalités, des pratiques et de coutumes désuettes en contradiction avec notre société, tel l'attachement étroit à la langue française, aux règles juridiques occidentales... », a encore déclaré le Ministre algérien.

« C'est ainsi que cette nouvelle robe, inspirée des costumes nationaux traditionnels, fera sentir aux magistrats et avocats la nécessité impérieuse d'un affranchissement de tout ce qui nous est étranger.

« Nous pouvons affirmer que la nouvelle année judiciaire verra avant sa fin l'Algérie dotée de tous les codes fondamentaux qui réglementeront notre société moderne et qui auront un caractère strictement et purement algérien ».

student. A "useful" speed, therefore, cannot be defined in terms of words per minute.

A person has achieved a "useful" speed in reading and writing when he can grasp meaning without making written symbols the focus of his attention, and when he can produce the graphic symbols representing utterances without being consistently conscious of the shape and the direction of the symbols and of what symbol represents what unit. Written graphemes are only a representation, not an end—in that they are similar to speech sounds. Whether sounds or graphemes are used, the language code, the language signals, and the message are the same; the difference is only the medium of perception (in hearing it is the ear, and in reading it is the eye) or the medium of production (in speaking it is the organs of speech, and in writing it is the hand).

One does not know a language until be can use its patterns of sounds in "habit trees". In like manner, one does not know how to read and write until a comparable facility has been achieved with the graphic symbols. Nevertheless we cannot stipulate that to read at a useful speed means to grasp language units from the written page at the rate they are grasped from the spoken sequence of sounds. In the first place, we have no scientific proof that visual messages can be transmitted to the brain at the same rate as auditory messages; in the second place' we have no conclusive studies comparing the muscular activities involved in hearing with those involved in seeing; in the third place, we may justifiably wonder whether it is fair to expect the same efficiency of performance from two organs each of which starts to handle the skill of perceiving language symbols at a different stage in life, and each of which continues such perception for a different length of time; and, finally, spoken signals have a time sequence, while written graphemes have a space sequence—which suggests that the rate of perception should be different for each. Likewise, we cannot stipulate that to write at a useful speed means to represent language units graphically at the rate they are produced orally.

We therefore limit our demand, as far as speed is concerned, to the factor which we mentioned above and which, we believe, is basic to all efficient language communication: namely, the ability to concentrate on the message, and to handle the forms as a matter of habits operating below the threshold of awareness,

THE MATERIAL

It is common knowledge that people who can read and write with great facility in a given field mispronounce, hesitate, misunderstand, and misspell when attempting to read or write about an unfamiliar, highly technical subject.

Our definition of literacy must specify the material to be read or written, which means the addition of two requirements:

(a) A literate person must be able to read and write about subjects that lie within the range of his interest and experience; inability to handle other subjects does not disqualify him as literate.

(b) Within the range of his interest and experience, a literate person must be able to read and to write materials that he has never before seen written in their entirety.

We shall describe as "of normal difficulty" materials that lie within the interest and experience of an individual, but which have not necessarily been read or written by him before.

DEFINITION

The following is suggested as a definition to which the above discussion gives surface:

"A literate person is one who can at a useful speed (1) respond normally to, and (2) put down the graphic symbols which represent the units of a language known to him—symbols of which he has a functional control—provided the material being handled is of normal difficulty".

FOOTNOTES

(1) William S. Gray, "How Well Do Adults Read?" in **Adult Reading, Part II of The Fifty-fifth Yearbook of the National Society for the Study of Education** (Chicago: University of Chicago Press, 1956), p. 38.

(2) **The Teaching of Reading: A Second Report, Part I of The Thirty-sixth Yearbook of the National Society for the Study of Education,** (Bloomington, Ill.: Public School Publishing Company, 1937), pp. 25-28.

(3) Arthur I. Gates, "The Nature of the Reading Process," in **Reading in the Elementary School, Part II of The Forty-eighth Yearbook of the National Society for the Study of Education** (Chicago: University of Chicago Press, 1949), pp. 3, 4.

(4) See Charles C. Fries, **Linguistics and Reading** (New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1963), Chapter I.

is a sequence of words; and the sentence method is based on the concept that language is an expression of throught and that the unit of thought is the sentence (4). In spite of the great differences underlying these concepts, they all agree on a fundamental principle: that writing represents language **units.** It is on what the unit is that the proponents of the different methods disagree.

Thus the literate person possesses, among other skills, the ability to grasp language units from their written representation, and to put down the symbols for those units. The term "grasping" as used here implies a response similar to that which would be normally elicited by the same units if heard. It is this response that we consider the essence of grasping, **not** simply the pronunciation of what is written at one extreme, nor the modification of personality at the other. To this response we shall assign the label "normal response".

KNOWLEDGE OF THE LANGUAGE

A literate person knows the language which he can read and write; such knowledge enables him to associate the symbols with the language units. It is possible to arrive at the meaning of a passage written in, for example, the alphabetic system of the Phoenicians without knowing how to pronounce the phonemes represented; this may be callled "deciphering", but it is not "reading" according to our definition. Again, a person may be able to imitate with remarkable accuracy the written symbols representing the utterances of a language he does not know; we hold that such a person may be "drawing," but he is not writing.

MASTERY OF THE GRAPHEMES

Mastery of the graphemes consists of the habitual response to and production of the features listed below. To such mastery we shall refer as "functional control".

(a) The direction: Graphemes are written in some sequence in every language: in some languages the direction is from left to right; in others, from right to left; and in still others, from top to bottom.

Direction is isolable as an independent feature opposed to, for example, the form of the letter. The writer has heard a student of Arabic read /tasabba9at/ 'it became saturated' as /tasa99abat/ 'it branched out'. It can be easily shown that the mistake was not the result of unfamiliarity with the letters (in Arabic both /tasabba9at/ and /tasa99abat/ contain the same letters), but of insufficient skill in handling the feature of direction.

(b) The shape of the letters: The significance of letters, like that of speech sounds, does not lie in composition, but in **contrast.** Each of the letters **b** and **d** consists of a straight line with a circle at the bottom; the two letters, however, are contrastive because the circles face different directions. Again, **p** and **b** differ distinctively because in on the circle is at the top of the vertical line while in the other it is at the bottom.

A literate person must be able to recognize and produce with habitual ease all the contrastive units which exist in the writing system: this includes numerals, punctuation marks, etc.

(c) The relation of grapheme to language unit: Recognition and production of the graphemes is useless unless the graphemes can be associated with the language units that they represent. This association must be automatic and without hesitation. A literate person must be able to grasp the language patterns from their written representation, and to put down the graphic symbols for the units, without analysis of what symbol represents what unit.

(d) Supplying signals not represented graphically: In most of the known writing systems, some distinctive units of language are not represented; e.g., pitch and stress are not usually represented in the conventional writing of English. Comprehension is hindered unless a person can supply in reading those signals that are not represented.

(e) Grasping the meaning of graphic symbols and conventions which do not correspond to elements in the speech signal, as well as ability to use those symbols and conventions effectively in writing: Examples of such symbols and conventions are quotation marks, capitalization of letters, paragraph indentation, and the uniting of several **grammatical** sentences into one "written sentence" through the use of semicolons, colons, and dashes.

SPEED

Reading and writing must proceed at a useful speed if the person is to be classified as literate. Perhaps the definition of "useful speed" is the most problematic part of our discussion.

A given rate of reading and writing may be useful enough to an elementary school student, but quite unsatisfactory for an advanced medical

On defining literacy

by

Zaki N. Abdel-Malek, PH. D.

PROFESSOR AT UTAH UNIVERSITY U.S.A.

Of the many authors who have written about literacy in general and about reading in particular, relatively few have attempted to give a definition for either literacy or reading; the rest seem to begin with the assumption that most people know what a literate person is. The majority of the definitions that have been given are unsatisfactory. W.S. Gray, for example, defined a literate adult as one who has completed the fourth grade (1). But what are the specific skills that make such an adult literate? Only when we have the answer to this question can we judge whether another adult that has learned to read and write, say at home, is literate.

In a later report (2), Gray defines reading in terms of problem solving and personality development, He claims that one who fails to include "reflection" and "critical evaluation" is not reading: for reading must "deepen his understanding, aid in the reconstruction of experience, stimulate intellectual and emotional growth, modify behavior, and... promote the development of rich and stable personalities," Admittedly a person cannot understand what he reads without taking some attitude to it, which may be considered a modification of experience and personality; but such is the **result** and not the **process** of reading. And what of a person who reads a dull book and finds in it no contribution to the development of a "rich and stable personality?" Is he temporarily illiterate while reading the book?

Arthur Gates claims (3) that if a child is "reading," his « innermost being in involved." Thus a child who takes a passive attitude to the contents of a book is not reading! It is interesting that such stipulations are made for the grasping of written symbols but not for the grasping of oral sounds, though both are representations of the same code, namely, language.

A clear, precise definition of a given skill is one of the major pre-requisites for teaching that skill. With the imprecise definitions of literacy which now exist, it is no wonder that the teaching of reading and writing usually consumes an excessively long period of time and results in no little frustration on the part of students and teachers alike.

DIFFICULTY OF DEFINING LITERACY

The definition we seek here is one that would indicate the specific skills a person must possess to be literate. Because those skills are numerous and involved, a statement that attempts to define literacy precisely would be lengthy, detailed, and perhaps too complicated to be easily understandable. We shall therefore discuss the skills involved, and define a literate person as one who possesses them.

THE TWO BRANCHES OF LITERACY

A literate person can both read and write. The skills he possesses, then, consist of two corresponding sets: one for recognition, and the other for production.

GRAPHEMES AS REPRESENTATION OF LANGUAGE UNITS

The writing systems of all languages consist of symbols that represent language units: a unit may be the phone, the phoneme (segmental or suprasegmental), the syllable, the morpheme, the word, or the idea.

Different definitions and concepts of language have led to the evolution of different methods for the teaching of reading: the alphabetic method is based on the concept that language is basically a sequence of letters; the word method is based on the concept that language

A sound dictation method was also used in this stage of remedial instruction. The student was asked to write the words as the sounds were dictated by the teacher.

2. Addition of sounds. Among the causes for inserting extra sounds in words were failure to discriminate the blends of Arabic consonants, failure to dicriminate the word form accurately, and failure to give the sound or vowel its proper length. The reading test given before showed that addition of sounds was the most frequent error committed by all the students.

The causes of inserting sounds were found to be: (1) extra lengthening of vowels; (2) overlooking the rules of connecting the end of a word with another word which starts with the definite article, and (3) the position of the speech organs in the formation of specific sounds.

For this kind of difficulty, drills on lists of words which have short and long vowels were used. A special drill was given to train the student to listen to the long vowels and connected definite article in a "sun-letter" combination. The words were printed on cards and mixed so that the words with or without long vowels and definite article did not appear in a regular sequence. The teacher read the word on the first card, the student listened but did not see the card. He then indicated whether or not he thought the word contained either a long vowel or connected definite article. Te card was given to him to check his response by seeing whether the long vowel or the definite article was actually present.

3. Ommision of sounds. Two main causes were found for the omission of sounds; (a) difficulty in discrimination of complex patterns so that the student recognized a smaller unit within a word and omitted the rest of the word; (b) overstress of speed, in some cases, and inability to blend a sound and a vowel at the same time; e.g., **al-madinatu** was read **al-dinatu.**

The students who selected only a smaller unit within a word were given drills in dividing words into small and easy units, such as syllables in polysyllabic words. The small portions of a word were then combined to make the complete word.

In cases in which the student's omissions were caused by undue speed, he was encouraged to slow down until accuracy was obtained.

4. Repetition of sounds. Repetition often resulted from: (a) other errors which disrupted the meaning of the passage, so that the student reread part of the word in an attempt to join the repeated sound with the following one; (b) the student's attempt to discover the error.

In cases in which other disrupting errors caused the repetition, no specific drill was given since the repetition gradually decreased with the treatment of other errors.

The remedial methods as here described were specially modified to meet the needs of each student. The drill words were designed and modified to attack specifically each student's errors were recorded, the tabulated as mentioned in the first phase of the experiment. The consonants and word were then photographed on synchronized slides, illustrating the various steps of procedures, unusual sounds, short vowels, long vowels and so on.

In remedial instruction the following materials were found helpful and effective: Arabic typewriter, sound - slide series (synchronized), elementary books in Arabic for Arab children, tapes, records, and flash cards.

Although the methods stressed the mechanics of word recognition, such recognition was utilized not as an end in itself, but as a means to accomplish a final goal of reading, and the comprehension of meaning.

RESULTS AND CONCLUSION

1. When the total errors, of cases receiving remedial instruction, measured quantitatively were compared with the total errors of cases receiving no remedial instruction, it was found that the Experimental Group committed significantly less errors than the Test Group (Mean for Group A = 9.25 and for Group B = 15.75).
2. When the progress of the four cases was compared with their performance before receiving any remedial instruction, it was found that their errors were almost reduced to half (the over all improvement = 67.50).

It appears from this study that the students who have difficulty in learning Arabic or similar foreign languages do not overcome the difficulty under ordinary class instruction but are able to make accelerated progress under special methods adapted to their difficulties.

cases may not necessarily be the same in regular instruction. During the whole phase of the experiment, there were three basic assumptions: (1) although it is desirable to be a reader within a reasonable level, it is better to be a slow reader than a non-reader; (2) although it is desirable to be able to recognize large units and more complex patterns, it is better to read sentences word by word, sound by sound, than not to read them at all; (3) although it is desirable to obtain meaning without the awareness of mechanics, it is better ot get the meaning by mechanical steps than not to get it at all.

Individual Instruction.

One of the most important factors in remedial instruction which was undertaken in this study was individual instruction. Under such conditions the instructor was able to study the student and his reading difficulty more carefully than in a group. Individual instruction, in addition to its general usefulness for each student of Arabic, could be considered an important factor in the success of the methods applied and in the efficiency of the material utilized. It should be noted, however, that some of the students who showed almost complete inability to learn Arabic at the very beginning improved their rading. In addition, special methods were applied successfully to a small group of reading-difficulty cases. It could be asserted that both the nature of the methods and the individual instruction contributed jointly to the effectiveness of the remedial work.

Psychological Factors in Remedial Instruction.

"I feel that I am really stupid or dumb." This was a comment by one of the students who showed inability to read Arabic. When he became aware of his own little success, his picture about himself began to change. In his specific case, instruction began with simple material so selected and designed that he would have a high percentage of success. In this case, moreover, the remedial work was psychologically therapeutic in replacing failure with success and in stimulating a genuine desire for a goal which could be achieved.

METHODS AND MATERIALS

The methods and materials which were selected to correct the excessive errors were given according to the various types of errors which were known as a result of the analysis of the student's reading performance.

Although the methods and materials used in this study seemed to be new, they were probably not entirely new to other languages. The only difference was their specific application to particular difficulties.

ERROR IDENTIFICATION AND CORRECTION

1. Faulty vowels and consonants. Among the causes for faulty vowel and consonant errors are the following: (a) difficulty in discrimination of specific speech sounds; (b) inability to associate or to retain visual and auditory symbols easily.

It was necessary, in all the cases, to build up the ability to discriminate the Arabic sounds. Special words were selected and written on slides. These, and others used for different purposes, were synchronized, i.e., sound accompanied the word as it appeared on the screen. While the word was projected on the screen, an interval was provided in order that the student could repeat aloud and copy down what he heard and saw. In order to obtain the correct placement of the speech organs in specific sounds, devices such as diagrams of function and location of speech organs, and live demonstrations by the instructor were used.

The drills in sound discrimination were varied by presenting the various sounds of the Arabic alphabet in different units (words).

The drills for vowels followed the same procedure. The student was shown how to shape the oral cavity to obtain the proper vowel.

In every step each word was a drill in blending the sounds to make the word. The sounding consisted of articulating the word distinctly and slowly enough for the sequence of sounds to become evident (7).

In all the steps taken, the student was encouraged to articulate the separate sounds and blend them as he heard them. The variability of the students in their immediate recognition of words was evident. A word might be recognized immediately as a unit at one setting and yet have to be attacked phonetically.

(7) The method of "sound-blending" has proved in all cases very effective in teaching the student the Arabic alphabet. Although the word was written as a whole, sound-blending distinguished each phoneme or morpheme alone, which helped the student to master the alphabet faster.

The purpose of the present study was to follow up the cases of those students who showed enough errors in their reading performance and who needed special attention or "remedial instruction."

SUBJECTS

Eight students from the same twelve cases previously diagnosed received varying amounts of remedial instruction in reading according to the methods outlined previously. Four of them volunteered to receive training under class supervision. Instruction was given individually. The work done with them was intensive and carefully controlled. In these cases the remedial work was given usually in hour sittings at regular intervals. For comparison purposes, these cases were known as group A.

Group B consisted of the four students who received no remedial instruction in reading, but continued in their regular Arabic course in the class. Both groups were tested again after a period of time in order to determine the progress made by reading-difficulty cases during ordinary class instruction without special assistance. Group B, therefore, gave a basis for the comparison of the effectiveness of remedial-reading instruction with ordinary class instruction in cases of reading difficulty.

LIMITATIONS

Due to the fact that Arabic is a recently introduced language in a small number of American universities, and consequently, very few students enroll in this language, the most obvious limitation of this study is its necessarily small number of cases.

PROCEDURES AND TECHNIQUES

Selection of Remedial Methods.

The selection of remedial methods in this experiment was made with a view of overcoming, if possible, the impediments which had hindered the student from reading Arabic effectively and in an acceptable manner. Drills and devices were arranged to minimize the student's excessive errors in reading, to assist in establishing, as far as possible, the discriminations which he failed to make, and to enable him to utilize to the fullest extent the discriminations which he was able to make successfully.

The complexity of the reading process of Arabic scripts offered the opportunity for a variety of methods of learning. Individual differences suggest that different individuals learn to recognize a printed symbol in entirely different ways. For example, the student who was able to discriminate letters but not words; was taught by a method which began with small units and built up the larger ones gradually. The students who failed to discriminate precisely the sounds of words was taught the movements of placing speech organs to obtain the desired sounds.

Because of the following reasons, the methods selected were primarily those which required auditory and visual responses on the part of the student:

1. The audio-visual responses are seen in their relationship to teaching and the learning process as a whole.

2. The audio-visual responses, when carefully controlled, do assist in discrimination. The students who had difficulty in their reading of Arabic failed to discriminate certain characteristics, such as the sounds of vowels or the connecting positions of patterns. Forcing the student to make different audio-visual responses to different characteristics reinforces the visual and auditory characteristics.

3, The audio - visual sensory stimuli assist in holding the student's attention. Attention has been defined as an adjustment of the organism in such a way as to bring the sensory stimuli into the field of greatest vividness or intensity (6).

The Differences Between Remedial Instruction and Ordinary Teaching of Reading Arabic.

Remedial instruction of reading is a different problem from the usual teaching of reading to students who have minimum difficulties. The problem of effective educational instruction in reading Arabic is to find the methods which are best adapted to develop reading still in the majority of the students who are learning the language. The problem of remedial instruction in reading is to find a possible method of learning for those students who have not been able to read by methods adapted to the group. The methods found helpful for reading - difficulty

(6) Harvey A. Carr, Psychology, New York: Longmans, Green & Company, 1925, p. 78.

TABLE I

Typical Individual Profile of Errors of all the Twelve Cases

Case	Faulty Vowel	Faulty Consonant	Addition of Sounds	Omission of Sounds	Repetition of Sounds	Total
1	1	1	1	2	—	5
2	4	12	4	9	1	30
3	5	11	3	4	1	24
4	17	10	15	5	2	49
5	6	7	18	8	5	44
6	2	3	4	3	5	17
7	3	7	13	0	5	28
8	4	6	10	6	4	30
9	6	9	4	3	9	31
10	4	3	5	2	7	21
11	4	8	10	3	4	29
12	13	4	8	0	3	28
Total	69	81	95	45	46	336
Mean ...	5.75	6.75	7.91	3.75	3,83	

DISCUSSION AND CONCLUSION

The important outcome of this study is the development of a technique where by students' errors in reading Arabic can be diagnosed, classified and grouped together objectively. Such a technique can throw enough light on the student's problems and confine them to certain mathematical value which may be called "quantitative measurement of reading errors." Effective teaching of Arabic as a foreign language cannot be measured by verbal judgment such as saying that student "A" reads better than student "B", or that student "C" is not a good reader at all. Sound teaching is usually based on sound theory and valid and reliable techniques. Therefore, using Monroe's adapted diagnostic method makes the students' errors measurable quantitatively. It enables the language instructor to pinpoint individual problems. It will be significant to test this method of analysis on other foreign languages.

A FOLLOW UP STUDY

THE PROBLEM

This report is a follow up to a study on the kinds of errors that American students commit when they learn to read Arabic and the means of measuring such errors quantitatively. The previous study suggested that no matter how students are taught to read Arabic, or any foreign language, they tend to develop certain errors in the early stage of their reading performance. The errors of the subjects of the study were thoroughly analyzed from two basic sources: (1) The profile of reading errors, and (2) tests of various discriminations involved in reading. From these two sources of data, the factors which appear to have impeded progress in reading were as follows: (1) Faulty vowels (2) Faulty consonants (3) Addition of sounds (4) Omission of sounds (5) Repetition of sounds.

TEACHING PROCEDURES AND TECHNIQUES

1. A series of twenty-four lessons was mimeographed in the form of a textbook especially designed for research purposes.

2. The try-out text was divided into two major phases: The first phase consisted of five lessons. The purpose of these five lessons was to teach the student how to read and write modern standard literary Arabic. In order to do so, especially designed audio-visual materials were prepared.

In order to identify the nature of his reading errors, each student was given a reading test individually at the end of the academic year. The test was composed of two parts: The first consisted of elevent words, each of which was projected separately; the second consisted of twenty-five pairs or words, each pair representing one unit.

The words of both parts were chosen on the basis of their frequent use in the Egyptian newspapers and literature. Very few of these words were known to the students but all were voweled diacritically according to the Arabic vowel system. No time limit was required for the reading. Each student's reading was recorded on tape.

METHOD OF ANALYSIS

Each recorded word was analyzed by the experimenter who was the instructor of the twelve cases. After careful examination of the student's recordings and comparing their pronunciation with the original sounds of Arabic, the experimenter was led to believe that Monroe's (5) diagnosis of children's difficulties in reading could be used as a diagnostic method in analyzing the student's responses in reading Arabic. Monroe has listed six types of errors as follows: (1) Faulty vowels (2) Faulty consonants (3) Addition of sounds (4) Omission of sounds (5) Repetition of sounds (6) Reverse.

The only error which the subjects of this experiment did not commit at all was the "reverse" of consonants. Therefore, only the first five types were taken by the experimenter to analyze the student's reading. These types were defined according to the nature and principles of Arabic as follows:

Faulty vowels: A vowel error was recorded for each mispronunciation in which the student altered one of mcre of the Arabic vowel sounds: /a/, /u/, /i/; /a/, /u/, /i/.

Faulty consonants: A consonant error was recorded for each mispronunciation in which the student altered or mispronounced one or more consonant sounds. i.e., the /q/ is pronounced /k/; /h/ is prounounced /h/ is pronounced /h/; ع is pronounced /'/ (or **hamza**).

Addition of sounds: A sound-addition was recorded for each mispronunciation in which the student omitted one or more sounds or part of a word.

Repetition of sounds: A sound-repetition was recorded each time the student repeated a vowel or a consonant in his/her mispronounced word. Table I shows the typical individual profile of errors of all the twelve cases.

ANALYSIS OF THE RESULTS

The profile of errors gives a measure of the quantitative differences between a student's performance and that of other students. The profile is of practical value in assisting in the diagnosis of the specific difficulties which a student has in learning Arabic as a foreign language, For example, the major problem of case 5 in Table 1 is "addition of sounds." The same table shows clearly that the profiles are as varied as the number of students examined.

The overall picture given by the data in Table I suggest the following:

1. As far as the twelve cases of this study are concerned, Monroe's system of analyzing reading errors served as an excellent diagnostic device for analyzing the students' errors in reading Arabic.

2. The error least committed by all the students was the repetition of sounds, and the most serious type of error was "addition of sounds."

---

(5) Marion Monroe, **Children Who Cannot Read** (Chicago: University of Chicago Press, 1954), pp. 34-37.

Quantitative measurement of errors and remedial instruction in reading Arabic

Sami Ayyad Hana

DIRECTOR, NORTH AFRICAN CENTER FOR ARABIC STUDIES

University of Utah

Teaching children how to read, viewed through an historical scheme, shows certain trends. The "whole" method was used as a reaction against the old phonic method in the early twentieth century. Later on, the "experience approach," which is associated with "progressive education," supplemented the "Whole" method. Then came the Gestalt theory, which was used as a theoretical basis for learning word "wholes." However, "the most prominent criticism of instruction in the 1940's and 1950's centered around the place of phonics in the teaching of reading." (1) The crucially important fact which is drawn from the historical evaluation of teaching how to read is the:

"Realization that different children learn in different ways, that the process of learning to read and reading are more complex than we once thought, and that the issues in reading instruction are many sided,.. From the scientific point of view, we must regard as false prophets those who advocate one method or one type of material for all children regardless of whether they are at different stages of learning to read or whether they are reading for different purposes." (2)

There are no decisive conclusions that the success of learning to read a new foreign language is related to any one approach or philosophy of teaching the language.- Experimental studies have made only gross comparisons between "traditional" and "new" type courses without isolating the effect of different approaches to the teaching of reading. They have established that students succeed in learning to read about as well under any approach. (3) However, this should not close the door for more and varied experimentation in regard to those oriental tongues of which Arabic calls for more ample attention.

THE PROBLEM

The purpose of this study has been to diagnose, analyze, and measure quantitatively the reading errors committed by American college students while learning to read modern standard literary Arabic.

SUBJECTS

When the Fall Quarter of 1969 began, twelve students were enrolled in the beginning course of Arabic. This relatively small number suggested the case study method of rerearch as the method of conducting the study, which took place in the University of Utah in Salt Lake City, Utah.

First, each student was given the Modern Language Aptitude Test, (4) for the purposes of screening the cases individually, obtaining general ideas about the range of their language aptitude, and acquainting the investigator with the strengths and weaknesses of each case,

(1) David H. Russell and Henry F. Fox: "Research on Teaching Reading," in **Handbook of Research on Teaching**, American Educational Research Association (Chicago: Rand McNally and Company, 1963), p. 867.

(2) Ibid.

(3) See the works of Emma H. Birkmaier, "Modern Languages," in C.W. Harris (ed.), **Encyclopedia of Education Research**, 3rd ed. (New York: Macmillan, 1960); and D.L. Hamilton and E.F. Haden, "Three Years of Experimentation at the University of Texas," Modern Language Journal, Vol. 34, No. 2 (February, 1950), pp. 85-102 and J.M. Hahfeld, **An Experiment Employing Two Methods of Teaching Spanish to College Freshmen**. Doctoral Dissertation, University of Pennsylvania, 1950.

(4) John B. Carroll and Stanley M. Sapon, **Modern Language Aptitude Test** (New York: The Psychological Corporation, 1959).

3) المعلمـــة العربيـــة
التــراث العربــي الخالـــد

4) تحـقيـقـــات

5) دراســـات معجميـــة

6) نشاط المجامع والمكتب الدائم للتعريب

صفحة

7) أبحاث ودراسات باللغات الاجنبية

مطبعة فضالة